إتمام

نهج البلاغة

لما أورده الشريف الرضي

عن مولانا الإمام أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب

صلوات الله عليه

إتمام نهج البلاغة

لما أورده الشريف الرضي
عن مولانا الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام

اعداد: الشيخ حسن آل عصفور

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٦٥٣
التاريخ ١٤/٣/١٤٢٠

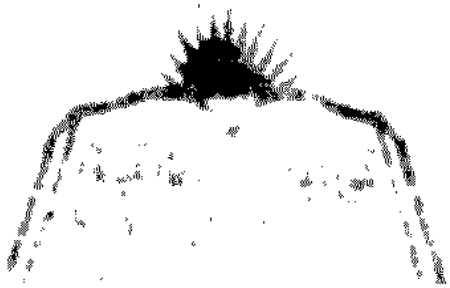

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

علی بن ابی طالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق
[نهج البلاغه]
اتمام نهج البلاغه [علی بن ابی طالب]/ اعداد حسن آل عصفور.-قم :دارالتفسیر، ۱۴۲۶ق.=۱۳۸۴.
۸۴۸ص.
ISBN:964-7866-82-8
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
۱.علی بن طالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق.-- خطبه‌ها. ۲.علی بن ابی طالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار. ۳.علی بن ابی طالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق.-- نامه‌ها. الف.آل عصفور، حسن، ۱۹۷۲ - م، گردآورنده. ب. عنوان.
BP۳۸/۰۹۵/۱۸ ۲۹۷/۹۵۱۵
کتابخانه ملی ایران ۸۴م-۳۰۵۰۰

آدرس: قم - خیابان معلم، میدان روح الله - تلفن:۷۷۴۴۲۱۲ - تلفاکس:۷۷۴۱۶۲۱

❊ اسم الکتاب: اتمام نهج البلاغه
❊ اعداد: الشیخ حسن آل عصفور
❊ الطبعة: الاولی
❊ تاریخ النشر: ۱۳۸۴ هـ.ش ۱۴۲۶ هـ.ق
❊ شابك: ۸-۸۲-۷۸۶۶-۹۶۴
❊ السعر: ۳۵۰۰ تومانا
المطبعة: شریعت ❊
عدد المطبوع: ۲۰۰۰ مجلد ❊
❊ ISBN: 964-7866-82-8

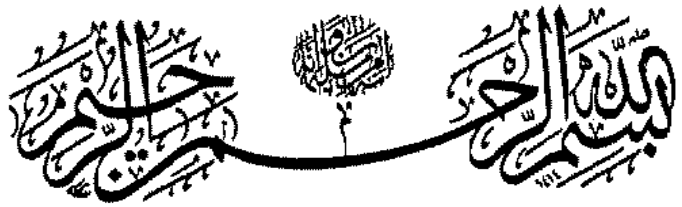

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الحمد له مفتاحاً لذكره، وسبباً للمزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته.

الذي انتهج بنا سُبل أولياءه الكرام الميامين محمد وآله الهداة المهتدين، وكرمهم على خلقه أجمعين. واستوجب أعدائهم ومناؤيهم اللعنة الى يوم الدين.

أما بعد: فأن أمير الكلام كلام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام ذلك النهج الناطق بالحق وهم عنه معرضون.

وهو القرآن الناطق والثقل الآخر بإتفاق الموافق والمخالف.

كيف لا! وهو البحر الذي لا يدرك قراره، ولا تُسبر أغواره، فهو أحسن مثال حي للإنسان الكامل في كتاب الله الحق في حكمته وعلمه وهديه وإعجازه وفصاحته.

فنهج البلاغة . . غني عن التعريف والوصف، كيف وقد عجز عن وصفه كل واصف وأظهر العجز.

ففيه جميع العوالم الكونية والعلمية بل هو منبعها وأساسها فهو الكتاب الكامل الجامع بعدّ القرآن الكريم، ولا يزال قائماً يتحدى كل من أوتي البيان والبنان . .

فهذا السفر الجليل الذي بين يديك عمل جبار في نوعه وجهد مضّن فـ «إتمام نهج البلاغة» وترتيبه بشكل متقن على ضوابط فنية لعمل عظيم، وجهد كبير.

والغرض من ذلك كله هو إيقافك على الخطب والوصايا وغيرهما كاملة من غير تقطيع ونقص، فتقطيع الشريف الرضي (رضي الله عنه) لها أوجب اشكاليات للشراح والقارئ لخفاء القرائن الأتصالية في السياق، مما أوجب كثرة التأويلات البعيدة والقريبة.

وقد جردنا الكتاب عن ذكر اختلاف النسخ والمصادر بغية التخفيف وعدم التشويش فمن أراد الوقوف على ذلك مفصلاً فعليه مراجعة الوسائل العصرية في البحث (الحاسوب) في البرامج الحديثة أو كتاب «تمام نهج البلاغة» وهو كالأصل للكتاب وكذا «نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة» وكتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده. وكتاب «بهج الصباغة» وغيرها من كتب الشرح.

وقد أختلف ترتيبنا عن نهج البلاغة لتداخل بعض نصوصه في عدة فصول متقدمة ومتأخرة وتكرار بعضها، فصار الأجدر أن نجعل الباب الأول ما صدر عنه عليه السلام بالشفة واللسان.

والباب الثاني يتضمن ما كتبه عليه السلام بالقلم والبنان، وألغي باب الحكم لكون غالب اجزاءه من الوصايا والخطب.

وأسأل الله العلي القدير أن يغفر زللي، ولا يؤاخذني بسوء عملي إنه غني حميد.

الباب الأول

فصل الخطب

خطبة له عليه السلام (١)

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض

وخلق آدم وإرسال الرسل حتى مبعث نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَحْمنِ الرَحِيم

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي لا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلا يُحْصي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلا يُؤَدّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ.

الَّذي لا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ.

الَّذي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلا أَجَلٌ مَمْدُودٌ.

فَطَرَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِه، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِه، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِه.

إِنَّ أَوَّلَ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِه الاخْلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الاخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ.

لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، وَشَهَادَتِهِمَا جَمِيعاً بِالتَّثْنِيَةِ الْمُمْتَنِعِ مِنْهَا الأَزَلُ.

فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ - سبحانه - فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ.

وَمَنْ قَالَ: (فِيمَ) فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: (عَلامَ) فَقَدْ حَمَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: (أَيْنَ) فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: (مَنْ هُوَ) فَقَدْ نَعَتَهُ، وَمَنْ قَالَ: (إِلامَ) فَقَدْ غَيَّاهُ.

كَائِنٌ لا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لا عَنْ عَدَمٍ.

مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ.

فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

فَكَذَلِكَ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتعالى -، وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ.

أَنْشَأَ جَالَهَا، وَلا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَلا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا.

أَحَالَ الأَشْيَاءَ لأَوْقَاتِهَا، وَلأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا.

ثُمَّ أَنْشَأَ - سبحانه - فَتْقَ الأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الأَرْجَاءِ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ.

حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ.

ثُمَّ أَنْشَأَ - سبحانه - رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ.

فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا.

ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ.

ثُمَّ فَتَقَ - سبحانه - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، فَمَلأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لا يَتَزَايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ، لا

يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُون، وَلا سَهْوُالْعُقُول، وَلا فَتْرَةُ الأَبْدَان، وَلا غَفْلَةُ النِّسْيَان.

فَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلى وَحْيِه، وَأَلْسِنَةٌ إلى رُسُله، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِه وَأَمْرِه.

وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لعِبَاده، وَالسَّدَنَةُ لأَبْوَاب جِنَانه.

وَمِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاء الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّة، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَة.

لا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلا يَحُدُّونَهُ بِالأَمَاكِنِ، وَلا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

ثُمَّ جَمَعَ - سبحانه - مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلا طَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ، أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ مَعْلُومٍ.

ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِه فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالأَلْوَانِ وَالأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالأَخْلاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ.

وَاسْتَأْدَى اللَّهُ - سبحانه - الْمَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِه إِلَيْهِمْ، فِي الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِه، فَقَالَ - عز مِنْ قَائِل -: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾، اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى - النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسَّخْطَةِ، وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ.

ثُمَّ أَسْكَنَ اللَّهُ - سبحانه - آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فيهَا عيشَتَهُ، وآمَنَ فيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْه بِدَارِ الْمُقَامِ، ومُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّه، والْعَزِيمَةَ بوَهْنه، واسْتَبْدَلَ بالْجَذَلِ وجَلًا، وبالاغْتِرَارِ نَدَماً.

ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ - سبحانه - لَهُ في تَوْبَته، ولَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَته، ووَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلى جَنَّته، فَأَهْبَطَهُ إِلى دَارِ الْبَلِيَّة، وتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّة.

واصْطَفى - سبحانه - مِنْ وُلْده أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ ميثَاقَهُمْ، وعَلى تَبْليغِ الرِّسَالَة أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقه عَهْدَ اللَّه إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَته، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عبَادَته. فَبَعَثَ اللَّهُ فيهِمْ رُسُلَهُ، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِه مِنْ وَحْيه، وجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلى خَلْقه، فَدَعَاهُمْ بلسَانِ الصِّدْق إِلى سَبيلِ الْحَقِّ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ ميثَاقَ فِطْرَته، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَته، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْليغِ، لِئَلاَّ تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بتَرْكِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُول، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَة، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ.

ولَمْ يُخْلِ اللَّهُ - سبحانه - خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ. رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ، عَلى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ.

إِلى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ -سبحانه وتعالى- مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ لإِنْجَازِ عِدَتِه، وإِتْمَامِ نُبُوَّته، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلادُهُ. وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للَّه بِخَلْقه، أَوْ مُلْحِدٍ في اسْمه، أَوْ مُشِيرٍ إِلى غَيْرِه، فَهَدَاهُمْ بِه مِنَ الضَّلالَة، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِه مِنَ الْجَهَالَة.

أَلا إِنَّ اللَّهَ - تعالى- قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ، ومَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ، ولكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً،

والْعِقَابُ بَوَاءٌ.

ثُمَّ اخْتَارَ - سبحانه - لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ لِقَاءَهُ، ورَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، ورَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله.

وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلا عَلَمٍ قَائِمٍ، كِتَابَ رَبِّكُمْ، مُبَيِّناً حَلالَهُ وحَرَامَهُ، وفَرَائِضَهُ وفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ ومَنْسُوخَهُ، ورُخَصَهُ وعَزَائِمَهُ، وخَاصَّهُ وعَامَّهُ، وعِبَرَهُ وأَمْثَالَهُ، ومُرْسَلَهُ ومَحْدُودَهُ، ومُحْكَمَهُ ومُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً جُمَلَهُ، ومُبَيِّناً غَوَامِضَهُ.

بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، ومُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ ومَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وواجِبٍ فِي الشَّرِيعَةِ أَخْذُهُ ومُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، ومُبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ. مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوصَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، ومُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ.

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ، جَعَلَهُ - سبحانه - عَلامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ.

وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً، أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، ووَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وتَشَبَّهُوا بِمَلائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ.

جَعَلَهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى - لِلإِسْلامِ عَلَماً، ولِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وأَوْجَبَ حَقَّهُ، وكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: مَنْ مَلَكَ رَاحِلَةً وزَاداً يُبْلِغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ولَمْ يَحُجَّ فَلا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيّاً أَونَصْرَانِيّاً.

خطبة له عليه السلام (٢)

المعروفة بخطبة الأشباح

وقد سأله سائل أن يصف اللّه حتى كأنه يراه عيانا فغضب عليه السلام لكلامه فصعد المنبر فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي لاَ يَفِرُّهُ الْمَنْعُ والْجُمُودُ، ولا يُكْديه الإِعْطَاءُ والْجُودُ، إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِوَاهُ، وكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ.

وَهُوالْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وعَوَائِدِ الْمَزِيدِ والْقِسَمِ.

عِيَالُهُ الْخَلاَئِقُ، بِجُودِه ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، ونَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ. ولَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ.

الأَوَّلُ الَّذي لَيْسَ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، والآخِرُ الَّذي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، والرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوتُدْرِكَهُ.

مَا اخْتَلَفَ عَلَيْه دَهْرٌ فَتَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ، ولاَ كَانَ في مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْه الاِنْتِقَالُ.

وَلَووَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ، مِنْ فِلَزِ اللُّجَيْنِ، وسَبَائِكِ الْعِقْيَانِ، ونُثَارَةِ الدُّرِّ، وحَصِيدِ الْمَرْجَانِ، لَبَعْضِ عَبِيدِه، مَا أَثَّرَ ذَلِكَ في جُودِه، ولاَ أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، ولَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الإِنْعَامِ مَا لاَ تَخْطُرُ لِكَثْرَتِه عَلى بَالٍ، ولاَ تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الأَنَامِ.

لأَنَّـهُ الْجَوَادُ الَّذي لاَ يَغيضُهُ سُؤَالُ السَّائلينَ، ولاَ يُبَخِّلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلحِّينَ، وإِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.

فَمَا ظَنُّكُمْ بِمَنْ هُوهكَذَا ولاَ هكَذَا غَيْرُهُ. سُبْحَانَهُ وبحَمْده.

أَيُّهَـا السَّـائلُ، اعْقِـلْ عَنِّي مَا سَأَلْتَني عَنْهُ، ولاَ تَسْأَلَنَّ أَحَداً عَنْهُ بَعْدي، فَإِنِّي أَكْفيكَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وشِدَّةَ التَّعَمُّقِ فِي الْمَذْهَبِ.

وَكَيْفَ يُوصَفُ الَّـذي سَـأَلْتَني عَنْهُ، وهُوالَّذي عَجَزَتِ الْمَلاَئكَةُ، عَلى قُرْبِهِمْ مِنْ كُرْسِـيِّ كَرَامَـته، وطُـولِ وَلَهِهِـمْ إِلَيْه، وتَعْظيمِ جَلاَلِ عزَّته، وقُرْبِهِمْ مِنْ غَيْبِ مَلَكُوته، أَنْ يَعْلَمُـوا مِـنْ عِلْمِـه إِلاَّ مَـا عَلَّمَهُـمْ، وهُومِـنْ مَلَكُوتِ الْقُدْسِ بِحَيْثُ هُمْ مِنْ مَعْرِفَته عَلى مَا فَطَرَهُمْ عَلَيْه، فَقَالُوا: سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاَّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَليمُ الْحَكيمُ.

بَـلْ إِنْ كُنْـتَ صَـادقاً، أَيُّهَـا الْمُـتَكَلِّفُ لِوَصْـفِ رَبِّـكَ الرَّحْمـنِ بِخِـلاَفِ التَّـنْزِيلِ والْبُرْهَانِ، فَصِـفْ جِبْرِيلَ وميكَائِيلَ، وجُنُودَ الْمَلاَئكَـةِ الْمُقَرَّبِـينَ، فِي حُجُرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالقينَ.

[ومَلَكُ الْمَوْتِ] هَلْ تُحِسُّ بِه إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً.

بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنينَ فِي بَطْنِ أُمِّه.

أَيَلِجُ عَلَيْه مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا.

أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا.

أَمْ هُوسَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا.

كَيْفَ يَصِفُ إِلهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْله.

فَإِنَّمَـا يُـدْرَكُ بِالصِّـفَاتِ ذَوُوالْهَيَـئَاتِ والأَدَوَاتِ، ومَـنْ يَنْقَضِـي إِذَا بَلَـغَ أَمَـدَ حَـدِّهِ بِالْفَنَاءِ.

فَلاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِه كُلَّ ظَلاَمٍ، وأَظْلَمَ بِظُلْمَتِه كُلَّ نُورٍ.

فَانْظُـرْ، أَيُّهَـا السَّـائلُ، فَمَـا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْه مِنْ صِفَتِه، وتَقَدَّمَكَ فِيهِ الرُّسُلُ، فَاتَّبِعْهُ

لِيُوصِلَ بَيْنَكَ وبَيْنَ مَعْرِفَتِه، فَإِنَّمَا هُونِعْمَةٌ وحِكْمَةٌ أُوتِيتَهُمَا، فَخُذْ مَا أُوتِيتَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وائْتَمَّ بِه، واسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِه.

وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، ولاَ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ وأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ -، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ، أَيُّهَا السَّائِلُ، أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الاقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَقَالُوا: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا.

فَمَدَحَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وتعالى - اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً، وسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً.

فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، ولاَ تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

هُوالْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِه، وحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرِ الْوَسَاوِسِ، أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِه، وتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِه، وغَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَالَ عِلْمَ ذَاتِه، رَدَعَهَا وهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ -.

فَرَجَعَتْ، إِذْ جُبِهَتْ، خَاسِئَةً، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ الاِعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِه، ولاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلاَلِ عِزَّتِه، لِبُعْدِه مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي قُوَى الْمَحْدُودِينَ، [وَ] لأَنَّهُ خِلاَفُ خَلْقِه فَلاَ شَبَهَ لَهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ.

وَإِنَّمَا يُشَبَّهُ الشَّيْءُ بِعَدِيلِه، فَأَمَّا مَا لاَ عَدِيلَ لَهُ فَكَيْفَ يُشَبَّهُ بِغَيْرِ مِثَالِه.

وَهُوالْبَدِيءُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، والآخِرُ الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ بَعْدَهُ.

لاَ تَنَالُهُ الأَبْصَارُ فِي مَجْدِ جَبَرُوتِه، إِذْ حَجَبَهَا بِحُجُبٍ لاَ تُنْفَذُ فِي تُخُومِ كَثَافَتِه، ولاَ

تَخْرُقُ إلى ذي الْعَرْشِ مَتَانَةُ خَصَائِصِ سِتْرَاته.

الَّذي تَصَاغَرَتْ عِزَّةُ الْمُتَجَبِّرِينَ دُونَ جَلاَلِ عَظَمَته، وخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وعَنَتْ لَهُ الْوُجُوهُ مِنْ مَخَافَته.

وَاعْلَمْ أنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ وبِحَمْدِه، لَمْ يَحْدُثْ فَيُمْكِنَ فيه التَّغَيُّرُ والانْتِقَالُ، ولَمْ تَتَصَرَّفْ في ذَاته كُرُورُ الأَحْوَال، ولَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْه عَقْبُ الأَيَّامِ واللَّيَالي.

الَّذي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ، ولاَ مِقْدَارٍ احْتَذى عَلَيْه مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِه، وعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ به آثَارُ حِكْمَته، واعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إلى أنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوَّتِه، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلى مَعْرِفَته.

لاَ تُحِيطُ به الصِّفَاتُ فَيَكُونُ بِإِدْرَاكِهَا إيَّاهُ بِالْحُدُودِ مُتَنَاهِياً، ومَا زَالَ، إذْ هُواللَّهُ الَّذي لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ، عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ مُتَعَالِياً، وانْحَسَرَتِ الْعُيُونُ عَنْ أنْ تَنَالَهُ فَيَكُونَ بِالْعِيَانِ مَوْصُوفاً، وبِالذَّاتِ الَّتي لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوعِنْدَ خَلْقِه مَعْرُوفاً.

وفَاتَ لِعُلُوِّه عَنِ الأَشْيَاءِ مَوَاقِعَ وَهْمِ الْمُتَوَهِّمِينَ، وارْتَفَعَ عَنْ أنْ تَحْوِيَ كُنْهَ عَظَمَته فَهَاهَةُ رَوِيَّاتِ الْمُتَفَكِّرِينَ.

فَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ فَيَكُونُ مَا يَخْلُقُ مُشَبَّهاً بِه، ومَا زَالَ عِنْدَ أهْلِ الْمَعْرِفَةِ به عَنِ الأَشْبَاهِ والأَنْدَادِ مُنَزَّهاً.

وظَهَرَتْ في الْبَدَائِعِ الَّتي أحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَته، وأَعْلاَمُ حِكْمَته، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ، ودَلِيلاً عَلَيْه، وإنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، ودَلاَلَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.

فَأَشْهَدُ أنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أعْضَاءِ خَلْقِكَ، وتَلاَحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجَبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِه عَلى مَعْرِفَتِكَ، ولَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لاَ نِدَّ لَكَ.

وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّأَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَّأُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِتَقْدِيرِ مُنْتَجٍ مِنْ خَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ.

وَكَيْفَ يَكُونُ مَنْ لاَ يُقْدَرُ قَدْرُهُ مُقَدَّراً فِي رَوِيَّاتِ الأَوْهَامِ، وَقَدْ ضَلَّتْ فِي إِدْرَاكِ كُنْهِهِ هَوَاجِسُ الأَحْلاَمِ، لأَنَّهُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ تَحُدَّهُ أَلْبَابُ الْبَشَرِ بِتَفْكِيرٍ، أَوْ تُحِيطَ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى قُرْبِهِمْ مِنْ مَلَكُوتِ عِزَّتِهِ بِتَقْدِيرٍ، وَهُوَ أَعْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ كُفْوٌ فَيُشَبَّهَ بِنَظِيرٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ، رَبَّنَا، بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلْتَ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ.

فَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً، وَلاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً.

فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ جَهْلِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ إِفْكِ الْجَاهِلِينَ.

فَأَيْنَ يُتَاهُ بِأَحَدِكُمْ، وَأَيْنَ يُدْرِكُهُ مَا لاَ يُدْرِكُ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الاِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الأُمُورُ عَنْ مَشِيَّتِهِ.

هُوَ الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، وَلاَ قَرِيحَةٍ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلاَ تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَلاَ شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الأُمُورِ، وَلاَ مُعَانَاةٍ لِلُّغُوبِ مَسَّهُ، وَلاَ مُكَاءَدَةٍ لِمُخَالِفٍ عَلَى أَمْرِهِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ

إلى دَعْوَتِه، ووَافَى الْوَقْتَ الَّذي أَخْرَجَهُ إِلَيْهِ إِجَابَةً، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ، ولاَ أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ.

فَأَقَامَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَوَدَهَا، ونَهَجَ مَعَالِمَ حُدُودِهَا، ولاَءَمَ بِقُدْرَتِه بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، ووَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وخَالَفَ بَيْنَ أَلْوَانِهَا، وفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ والأَقْدَارِ، والْغَرَائِزِ والْهَيْئَاتِ، بَدَايَا خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صَنْعَهَا، وفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وابْتَدَعَهَا.

إِنْتَظَمَ عِلْمُهُ صُنُوفَ ذَرْئِهَا، وأَدْرَكَ تَدْبِيرُهُ حُسْنَ تَقْدِيرِهَا، ونَظَّمَ بِلاَ تَعْلِيقِ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا، ولاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، ووَشَّجَ بَيْنَهَا وبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِه والصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِه حُزُونَةَ مَعْرَاجِهَا، ونَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ مُبِينٌ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا، وفَتَقَ بَعْدَ الارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا، وأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا، وأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِه، وأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لأَمْرِه.

وجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وقَدَّرَ مَسِيرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ بِهِمَا، ولِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ والْحِسَابِ بِمَقَادِيرِهِمَا.

ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا، ونَاطَ بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا، ومَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، ورَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلاَلِ تَسْخِيرِهَا، مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، ومَسِيرِ سَائِرِهَا، وهُبُوطِهَا وصُعُودِهَا، ونُحُوسِهَا وسُعُودِهَا.

ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ- سُبْحَانَهُ - لإِسْكَانِ سَمَوَاتِه، وعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِه، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلاَئِكَتِه، مَلأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وحَشَابِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا، وبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدْسِ، وسُتُرَاتِ الْحُجُبِ، وسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، ووَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا.

أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلاَلَ عِزَّتِه،

لاَ يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِه، ولاَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِه، بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

جَعَلَهُمْ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الأَمَانَةِ عَلى وَحْيِه، وحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِه، وعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِه، وأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ، وفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلًا إِلى تَمْجِيدِه، ونَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلى أَعْلاَمِ تَوْحِيدِه.

لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الآثَامِ، ولَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي والأَيَّامِ، ولَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ نَوَازِعَهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، ولَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، ولاَ قَدَحَتْ قَادِحَةُ الإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، ولاَ سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لاَقَ مِنْ مَعْرِفَتِه بِضَمَائِرِهِمْ، وَسَكَنَ مِنْ عَظَمَتِه وهَيْبَةِ جَلاَلَتِه فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، ولَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلى فِكْرِهِمْ.

مِنْهُمْ مَنْ هُوفِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّخِ، وفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وفِي قَتَرَةِ الظَّلاَمِ الأَيْهَمِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتِ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ.

قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِه، ووَسَّلَتْ حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَعْرِفَتِه، وَقَطَعَهُمُ الإِيقَانُ بِه إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْه، ولَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلى مَا عِنْدَ غَيْرِه.

قَدْ ذَاقُوا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِه، وشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِه، وتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِه، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، ولَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْه مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، ولاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ، ولَمْ يَتَوَلَّهُمُ الاعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، ولاَ تَرَكَتْ لَهُمْ إِسْتِكَانَةُ الإِجْلاَلِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، ولَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، ولَمْ تَغْضُ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ،

ولَـمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلاَتُ أَلْسِنَتِهِمْ، ولاَ مَلَكَتْهُمُ الأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، ولَـمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ، ولَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابُهُمْ، ولاَ تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلاَدَةُ الْغَفَلاَتِ، ولاَ تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ.

قَـدِ اتَّخَـذُوا ذَا الْعَـرْشِ ذَخِـيرَةً لِـيَوْمِ فَاقَتِهِمْ، ويَمَّمُـوهُ عِـنْدَ انْقِطَـاعِ الْخَلْـقِ إِلَـى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ.

لاَ يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، ولاَ يَرْجِعُ بِهِمُ الاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ إِلاَّ إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ ومَخَافَتِهِ.

لَـمْ تَـنْقَطِعْ أَسْـبَابُ الشَّـفَقَةِ مِـنْهُمْ فَيَنُوا فِـي جِدِّهِمْ، ولَمْ تَأْسِرْهُمُ الأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ، ولَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، ولَواسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ، ولَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُـوءُ الـتَّقَاطُعِ، ولاَ تَوَلاَّهُـمْ غِـلُّ التَّحَاسُـدِ، ولاَ تَشَـعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَـبِ، ولاَ اقْتَسَـمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ ولاَ عُدُولٌ، ولاَ وَنًى ولاَ فُتُورٌ.

ولَـيْسَ فِـي أَطْبَاقِ السَّـمَوَاتِ مَوْضِـعُ إِهَـابٍ إِلاَّ وعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوسَاعٍ حَافِدٌ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

[وَ]كَبَسَ الأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، ولُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا، وتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا، وتَرْغُوزَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلاَطِمِ لِثِقْلِ حَمْلِهَا، وسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً، وفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً.

وسَكَنَتِ الأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، ورَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ واعْتِلاَئِهِ، وَشُمُوخِ أَنْفِهِ

وسُمُوغُلَوَائه، وكَعَمَتْهُ عَلى كظَّة جَرْيَته، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاته، ولَبَدَ بَعْدَ زَيَفَان وثَبَاته.

فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاء مِنْ تَحْتِ أَكْنَافهَا، وحَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلى أَكْتَافهَا، فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أَنْوفهَا، وفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بيدهَا وأَخَاديدهَا، وَعَدَّلَ حَرَكَاتهَا بالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلاَمِيدهَا، وذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَلِ فِي قِطَعِ أَدِيمهَا، وتَغَلْغُلهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمهَا، ورَكُوبهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الأَرَضِينَ وجَرَاثِيمهَا، وفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّوبَيْنَهَا، وأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنهَا، وأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلى تَمَامِ مَرَافقهَا.

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابيهَا، ولاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ الأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلى بُلُوغهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا، وتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعه، وتَبَايُنِ قُزَعه، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فيه، والْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفه، ولَمْ يَنَمْ وميضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابه، ومُتَرَاكِمِ سَحَابه.

أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ، تَمْرِيه الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبه، ودَفْعَ شَآبِيبه.

فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بَوَانِيهَا، وبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ به مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الأَرْضِ النَّبَاتَ، ومِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وتَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا، وحُلِّيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا، وجَعَلَ ذَلِكَ بَلاَغاً لِلأَنَامِ، ورِزْقاً لِلأَنْعَامِ، وخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلى جَوَادِّ طُرُقِهَا.

وقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وقَلَّلَهَا، وقَسَّمَهَا عَلَى الضيقِ والسَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا ومَعْسُورِهَا، ولِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ والصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وفَقِيرِهَا.

ثُمَّ قَرَنَ - سُبْحَانَهُ - بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وبِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا.

وخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وقَصَّرَهَا، وقَدَّمَهَا وأَخَّرَهَا، ووَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وجَعَلَهُ

خَالِجاً لأَشْطَانِهَا، وقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا.

عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، ونَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ، وخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، ومَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ، ومَا ضَمَنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، ومَا أَصْغَتْ لاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الأَسْمَاعِ، ومَصَائِفُ الذَّرِّ، وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ، ورَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ، وهَمْسِ الأَقْدَامِ، ومُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلائِجِ غُلُفِ الأَكْمَامِ، ومُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وأَوْدِيَتِهَا، ومُخْتَبَأِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الأَشْجَارِ وأَلْحِيَتِهَا، ومَغْرِزِ الأَوْرَاقِ مِنَ الأَفْنَانِ، ومَحَطِّ الأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الأَصْلابِ، ونَاشِئَةِ الْغُيُومِ ومُتَلاحِمِهَا، ودُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، ومَا تَسْفِي الأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وتَعْفُوالأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وعَوْمِ نَبَاتِ الأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، ومُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ، وتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الأَوْكَارِ، ومَا أَوْعَبَتْهُ الأَصْدَافُ، وحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، ومَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ، أَوذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، ومَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ، وسُبُحَاتُ النُّورِ، وأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، ورَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، ومُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، ومِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، ومَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوسَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوقَرَارَةِ نُطْفَةٍ، أَونُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ، أَونَاشِئَةِ خَلْقٍ وسُلالَةٍ.

لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ كُلْفَةٌ، ولاَ اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلاَ اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الأُمُورِ وتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلالَةٌ ولاَ فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ، ووَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوأَهْلُهُ.

فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ، وأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ خِيَرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ، وأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ، وأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، والْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ.

فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ،

وليُقيمَ الْحُجَّةَ به على عبَاده.

ولَـمْ يُخْلِهِـمْ بَعْـدَ أنْ قَبضَـهُ ممَّـا يُؤَكِّـدُ عَلَيْهِمْ حُجَّـةَ رُبُوبيَّـته، ويَصِلُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَعْرِفَـته، بَـلْ تَعَـاهَدَهُمْ بِـالْحُجَجِ عَلـى ألْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أنْبِيَائِه، ومُتَحَمِّلي ودَائِعِ رِسَالاَته، قَرْناً فَقَرْناً.

فَاسْـتَوْدَعَهُمْ فـي أفْضَـلِ مُسْـتَوْدَعٍ، وأقَـرَّهُمْ فـي خَـيْرِ مُسْـتَقَرّ، تَنَاسَـخَتْهُمْ كَـرَائِمُ الأَصْلاَبِ إلى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضى سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّه خَلَفٌ.

حَتَّى أفْضَتْ كَرَامَةُ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ، فَأخْرَجَهُ مِنْ أفْضَلِ الْمَعَادِن مَنْبِتاً، وأعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً.

مِـنَ الشَّـجَرَةِ الَّـتي صَـدَعَ مِـنْهَا أنْبِيَاءَهُ، وانْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، الطَّيِّبَةِ الْعُودِ، الْمُعْتَدِلَةِ الْعَمُودِ، الْبَاسِقَةِ الْفُرُوعِ، النَّاضِرَةِ الْغُصُونِ، الْيَانِعَةِ الثِّمَارِ، الْكَرِيمَةِ الْحَشَاء.

عِـتْرَتُهُ خَـيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْـرَتُهُ خَـيْرُ الأُسَرِ، وشَـجَرَتُهُ خَـيْرُ الشَّـجَرِ، نَبَتَـتْ فـي حَرَمٍ، وبَسَقَتْ في كَرَمٍ، وفيه تَشَعَّبَتْ وأثْمَرَتْ، وعَزَّتْ وامْتَنَعَتْ، فَسَمَتْ بِهِ وَشَمَخَتْ.

لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وثَمَرٌ لا يُنَالُ.

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرّ، ومَنْبِتُهُ أشْرَفُ مَنْبِت، في مَعَادِنِ الْكَرَامَة، ومَمَاهِدِ السَّلاَمَة.

حَتَّى أكْرَمَهُ الله - عَزَّوجل - بِالرُّوحِ الأَمِينِ، والنُّورِ الْمُبِينِ، والْكِتَابِ الْمُسْتَبِينِ، فَخَتَمَ بِهِ النَّبِيِّين، وأتَمَّ بِهِ عِدَّةَ الْمُرْسَلِينَ، وجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ عَلى عِبَاده، وأمِينَهُ في بِلاَده.

زَيَّـنَهُ بِالتَّقْوى، وآثَـارِ الذِّكْـرى، وسَخَّرَ لَهُ الْبُرَاقَ، وصَافَحَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ، وأرْعَبَ بِهِ الأَبَالِسَةَ، وهَدَمَ بِهِ الأَصْنَامَ والآلِهَةَ الْمَعْبُودَةَ دُونَهُ.

قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وثُنِيَتْ إلَيْهِ أزِمَّةُ الأَبْصَارِ.

دَفَـنَ اللَّـهُ بِـهِ الضَّـغَائِنَ، وأطْفَـأَ بِـهِ النَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِهِ إخْوَاناً، وفَرَّقَ بِهِ أقْرَاناً، وَأعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وأذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ.

حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ حُجَّتُهُ، وبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ

وَتُنْذِرُهُ.

كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وصَمْتُهُ لِسَانٌ، فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقى، وبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدى.

سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، فَاسْتَضَاءَتْ بِهِ الْعِبَادُ، وَاسْتَنَارَتْ بِهِ الْبِلاَدُ.

سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وكَلاَمُهُ الْفَصْلُ، وحُكْمُهُ الْعَدْلُ.

صَدَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ بِمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ، وبَلَّغَ مَا حَمَّلَهُ، حَتَّى أَفْصَحَ بِالتَّوْحِيدِ دَعْوَتُهُ، وأَظْهَرَ فِي الْخَلْقِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَخَلُصَتْ لَهُ الْوَحْدَانِيَّةُ، وصَفَتْ لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ.

وأَظْهَرَ اللَّهُ بِالتَّوْحِيدِ حُجَّتَهُ، وأَعْلى بِالإِسْلاَمِ دَرَجَتَهُ، واخْتَارَ الله - عَزَّ وجل - لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الرَّوْحِ والدَّرَجَةِ والْوَسِيلَةِ.

اللَّهُمَّ فَخُصَّ مُحَمَّداً بِالذِّكْرِ الْمَحْمُودِ، والْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وآتِهِ الْوَسِيلَةَ والْفَضِيلَةَ، واجْعَلْ فِي الْمُصْطَفَيْنَ مَحَلَّتَهُ، وفِي الأَعْلَيْنَ دَرَجَتَهُ، وشَرِّفْ بُنْيَانَهُ، وعَظِّمْ بُرْهَانَهُ، واسْقِنَا بِكَأْسِهِ، وأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ، واحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ خَزَايَا ولاَ نَاكِثِينَ، ولاَ شَاكِّينَ ولاَ مُرْتَابِينَ، ولاَ ضَالِّينَ ولاَ مَفْتُونِينَ، ولاَ مُبَدِّلِينَ ولاَ خَائِدِينَ.

اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّداً مِنْ كُلِّ كَرَامَةٍ أَفْضَلَهَا، ومِنْ كُلِّ نَعِيمٍ أَكْمَلَهُ، ومِنْ كُلِّ عَطَاءٍ أَجْزَلَهُ، ومِنْ كُلِّ قَسْمٍ أَتَمَّهُ، حَتَّى لاَ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ أَقْرَبَ مِنْكَ مَكَاناً، ولاَ أَحْظَى عِنْدَكَ مَنْزِلَةً، ولاَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ وَسِيلَةً، ولاَ أَعْظَمَ عَلَيْكَ حَقّاً ولاَ شَفَاعَةً، مِنْ مُحَمَّدٍ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ]، واجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ فِي ظِلِّ الْعَيْشِ، وبَرْدِ الرَّوْحِ، وقُرَّةِ الأَعْيُنِ، ونُضْرَةِ السُّرُورِ، وبَهْجَةِ النَّعِيمِ. فَإِنَّا نَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وأَدَّى الأَمَانَةَ، واجْتَهَدَ لِلأُمَّةِ، وجَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، وأُوذِيَ فِي جَنْبِكَ، وَلَمْ يَخَفْ لَوْمَةَ لاَئِمٍ فِي دِينِكَ، وعَبَدَكَ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، ورَبَّ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، ورَبَّ الرُّكْنِ والْمَقَامِ، ورَبَّ الْمَشْعَرِ

الْحَرَامِ، بَلِّغْ مُحَمَّداً مِنَّا السَّلاَمَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مَلاَئِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وعَلى أَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ، وعَلَى الْحَفَظَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ.

وصَلَّى اللَّهُ عَلى أَهْلِ السَّمواتِ وأَهْلِ الأَرَضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

[أَيُّهَا النَّاسُ،] وفِيكُمْ مَنْ يَخْلُفُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمْ لَنْ تَضِلُّوا، وهُمُ الدُّعَاةُ، وبِهِمُ النَّجَاةُ، وهُمْ أَرْكَانُ الأَرْضِ، وهُمُ النُّجُومُ بِهِمْ يُسْتَضَاءُ، مِنْ شَجَرَةٍ طَابَ فَرْعُهَا، وزَيْتُونَةٍ بُورِكَ أَصْلُهَا، مِنْ خَيْرٍ مُسْتَقَرٍّ إِلى خَيْرٍ مُسْتَوْدَعٍ، مِنْ مُبَارَكٍ إِلى مُبَارَكٍ، صَفَتْ مِنَ الأَقْذَارِ والأَدْنَاسِ، ومِنْ قَبِيحِ مَا نَبَتَ عَلَيْهِ أَشْرَارُ النَّاسِ.

حَسَرَتْ عَنْ صِفَاتِهِمُ الأَلْسُنُ، وقَصُرَتْ عَنْ بُلُوغِهِمُ الأَعْنَاقُ، وبِالنَّاسِ إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ.

فَاخْلُفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فِيهِمْ بِأَحْسَنِ الْخِلاَفَةِ، فَقَدْ أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُمْ وَالْقُرْآنُ الثَّقَلاَنِ، وأَنَّهُمَا (لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ).

فَالْزَمُوهُمْ تَهْتَدُوا وتَرْشُدُوا، ولاَ تَتَفَرَّقُوا عَنْهُمْ ولاَ تَتْرُكُوهُمْ فَتَفَرَّقُوا وتَمْرُقُوا.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، والتِّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ، وإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ.

اللَّهُمَّ وقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لاَ أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، ولاَ أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، ولاَ أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ ومَوَاضِعِ الرِّيبَةِ، وعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الآدَمِيِّينَ، والثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ.

اللَّهُمَّ ولِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، أَوعَارِفَةٌ

مِنْ عَطَاء، وقَدْ رَجَوْتُكَ دَليلًا عَلى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ.

اللَّهُمَّ وهذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذي هُوَلَكَ، ولَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهذه الْمَحَامِدِ والْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وبِيَ فَاقَةٌ إِلَيْكَ لاَ يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلاَّ فَضْلُكَ، ولاَ يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلاَّ مَنُّكَ وجُودُكَ. فَهَبْ لَنَا فِي هذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الأَيْدي إِلى سِوَاكَ، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

خطبة له عليه السلام (٣)

في التوحيد وقد ألقاها بعد انصرافه من صفّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الْمُلْهِمِ عِبَادَهُ حَمْدَهُ، وفَاطِرِهِمْ عَلى مَعْرِفَةِ رُبُوبِيَّتِه، الدَّالِّ عَلى وُجُودِه بِخَلْقِه، وبِمُحْدَثِ خَلْقِه عَلى أَزَلِيَّتِه، وبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلى أَنْ لا شَبَهَ لَهُ.

الْمُسْتَشْهِدِ بِآيَاتِه عَلى قُدْرَتِه، الْمُمْتَنِعَةِ مِنَ الصِّفَاتِ ذَاتُهُ، ومِنَ الأَبْصَارِ رُؤْيَتُهُ، ومِنَ الأَوْهَامِ الاحَاطَةُ بِه، لا أَمَدَ لكَوْنِه، ولا غَايَةَ لبَقَائِه.

لا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، ولا تَحْجُبُهُ الْحُجُبُ السَّوَاتِرُ، فَالْحِجَابُ بَيْنَهُ وبَيْنَ خَلْقِه لامْتِنَاعِه مِمَّا يُمْكِنُ فِي ذَوَاتِهِمْ، ولإِمْكَانِ ذَوَاتِهِمْ مِمَّا يَمْتَنِعُ مِنْهُ ذَاتُهُ، ولافْتِرَاقِ الصَّانِعِ والْمَصْنُوعِ، والْحَادِّ والْمَحْدُود، والرَّبِّ والْمَرْبُوب.

فَهُوالأَحَدُ لا بِتَأْوِيلِ عَدَد، والْخَالِقُ لا بِمَعْنى حَرَكَة ونَصَب، والسَّمِيعُ لا بِأَدَاة، والْبَصِيرُ لا بِتَفْرِيقِ آلَة، والشَّاهِدُ لا بِمُمَاسَّة، والْبَائِنُ لا بِتَرَاخِي مَسَافَة، والظَّاهِرُ لا بِرُؤْيَة، والْبَاطِنُ لا بِلَطَافَة.

أَزَلُهُ نَهْيٌ لِمُحَاوِلِ الأَفْكَارِ، ودَوَامُهُ رَدْعٌ لِطَامِحَاتِ الْعُقُول.

الَّذِي قَدْ حَسَرَتْ دُونَ كُنْهِه نَوَافِذُ الأَبْصَارِ، وقَمَعَ وُجُودُهُ جَوَائِلَ الأَفْكَارِ.

بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا والْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وبَانَتِ الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ والرُّجُوعِ إِلَيْه.

مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، ومَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، ومَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، ومَنْ قَالَ:

(كَيْفَ) فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، ومَنْ قَالَ: (إلامَ) فَقَدْ وَقَّتَهُ، ومَنْ قَالَ: (أيْنَ) فَقَدْ حَيَّزَهُ.

عَالِمٌ إذْ لا مَعْلُومٌ، وخَالِقٌ إذْ لا مَخْلُوقٌ، ورَبٌّ إذْ لا مَرْبُوبٌ، وإلهٌ إذْ لا مَألُوهٌ، وقَادِرٌ إذْ لا مَقْدُورٌ، ومُصَوِّرٌ إذْ لا مُصَوَّرٌ. وكَذَلِكَ يُوصَفُ رَبُّنَا، وهُوَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ.

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لنِعْمَتِه، واسْتِسْلاماً لعِزَّتِه، واسْتِعْصَاماً منْ مَعْصِيَتِه، وأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إلى كِفَايَتِه، إنَّهُ لا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، ولا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ، ولا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ، فَإنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وأَفْضَلُ مَا خُزِنَ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إخْلاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، ونَدَّخِرُهَا لأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإنَّهَا عَزِيمَةُ الإيمَانِ، وفَاتِحَةُ الإحْسَانِ، ومَرْضَاةُ الرَّحْمنِ، ومَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بالدِّينِ الْمَشْهُورِ، والْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، والْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، والنُّورِ السَّاطِعِ، والضِّيَاءِ اللاَّمِعِ، والأَمْرِ الصَّادِعِ، إزَاحَةً للشُّبَهَاتِ، واحْتِجَاجاً بالْبَيِّنَاتِ، وتَحْذِيراً بالآيَاتِ، وتَخْوِيفاً بالْمَثُلاتِ، والنَّاسُ في فِتَنٍ انْجَذَمَ فيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، واخْتَلَفَ النَّجْرُ، وتَشَتَّتَ الأَمْرُ، وضَاقَ الْمَخْرَجُ، وعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدى خَامِلٌ، والْعَمى شَامِلٌ، وعُصِيَ الرَّحْمنُ، ونُصِرَ الشَّيْطَانُ، وخُذِلَ الإيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، ودَرَسَتْ سُبُلُهُ، وعَفَتْ شُرُكُهُ.

أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، ووَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلامُهُ، وقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، ووَطِئَتْهُمْ بِأَظْلافِهَا، وقَامَتْ عَلى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ، جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، في خَيْرِ دَارٍ، وشَرِّ جِيرَانٍ.

نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ وطَاعَتِه، فَإنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، والْمَنْجَاةُ أَبَداً.

[وَ] تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ كَنْزٍ، وأَحْرَزُ حِرْزٍ، وأَعَزُّ عِزٍّ، مَنْجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، وعِصْمَةٌ

مِنْ كُلِّ ضَلالَة، فيهَا نَجَاةُ كُلِّ هَارِب، ودَرْكُ كُلِّ طَالِب، وظَفَرُ كُلِّ غَالِب.

وبِتَقْوَى اللَّه فَازَ الْفَائِزُونَ، وظَفِرَ الرَّاغِبُونَ، ونَجَا الْهَارِبُونَ، وأَدْرَكَ الطَّالِبُونَ، وبِتَرْكِهَا خَسِرَ الْمُبْطِلُونَ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

أَلا وإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، وللْحَقِّ دَعَائِمَ، وللطَّاعَة عِصَماً، وإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَة عَوْناً مِنَ اللَّه يَقُولُ عَلَى الأَلْسِنَة، ويُثَبِّتُ بِهِ الأَفْئِدَةَ، فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، ولْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا.

ولْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِه، وقَلِيلِ مُقَامِه، فِي مُنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِه، ومَعَارِفِ مُنْتَقَلِه.

فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيه، وتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيه، اسْتَنْصَحَ وقَبِلَ نَصِيحَةَ مَنْ نَصَحَ بِخُضُوعٍ، وحُسْنِ خُشُوعٍ، ودَخَلَ مُدْخَلَ كَرَامَة، وأَصَابَ سَبِيلَ السَّلامَة، بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ، وطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، إِلى أَفْضَلِ الدَّلالَة، وكَشْفِ غِطَاءِ الْجَهَالَة الْمُضِلَّة الْمُهْلِكَة، وبَادَرَ الْهُدى بِبُرْهَانٍ وبَيَانٍ، قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ، واسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وأَمَاطَ الْحَوْبَةَ، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ، وهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

واعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّه الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ [وَ] رُعَاةَ الدِّينِ، فَرَّقُوا بَيْنَ الشَّكِّ والْيَقِينِ، وجَاؤُوا بِالْحَقِّ الْمُبِينِ، بَنَوْا لِلإِسْلامِ بُنْيَاناً، فَأَسَّسُوا لَهُ أَسَاساً وأَرْكَاناً، وجَاؤُوا عَلَى ذَلِكَ شُهُوداً بِعَلامَاتٍ وأَمَارَاتٍ.

يَحْمُونَ حِمَاهُ، ويَرْعَوْنَ مَرْعَاهُ، ويَصُونُونَ مَصُونَهُ، ويُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، بِحُبِّ اللَّه وبِرِّه، وتَعْظِيمِ أَمْرِه وذِكْرِه مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُذْكَرَ بِه.

يَتَوَاصَلُونَ بِالْوَلايَة، ويَتَلاقَوْنَ بِالْمَحَبَّة، ويَتَنَازَعُونَ بِحُسْنِ الرِّعَايَة، ويَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّة، ويَصْدُرُونَ بِرِيَّة.

قُوَّامٌ عُلَمَاءُ، أَوْصِيَاءُ أُمَنَاءُ، لا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ، ولا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ.

عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وأَخْلاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ

الْبَذْرِ يُنْتَقى، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ ويُلْقى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْليصُ، وهَذَّبَهُ التَّمْحيصُ.

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، ولَجَأُ أَمْرِهِ، وعَيْبَةُ عِلْمِه، ومَوْئِلُ حُكْمِه، وكُهُوفُ كُتُبِه، وجِبَالُ دِينِه، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِه، وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا، ويَبْرَأُ رِجَالٌ مِنْ رِجَالٍ، عَلى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ.

فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، [وَ] لَمْ يَكُنْ فِيهِ اخْتِلَافٌ. ولكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هذَا ضِغْثٌ، ومِنْ هذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ مَعاً فَيَجِلَّانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلى أَوْلِيَائِهِ، ويَنْجُوالَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنى.

ومَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلاَّ تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا الْبِدَعَ، والْزَمُوا الْمَهْيَعَ.

إِنَّ عَوَازِمَ الأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا.

إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ يَقُولُ: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا أَلْبَسَتْكُمْ فِتْنَةٌ، يَنْشَأُ فِيهَا الْوَلِيدُ، ويَرْبُوفِيهَا الصَّغِيرُ، ويَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، يَجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا فَيَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ: قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ، وقَدْ أَتَى النَّاسُ مُنْكَراً. ثُمَّ تَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ، وتَنْشَأُ فِيهَا الذُّرِّيَّةُ، وتَدُقُّهُمُ الْفِتَنُ كَمَا تَدُقُّ النَّارُ الْحَطَبَ، وكَمَا تَدُقُّ الرَّحى بِثِفَالِهَا، فَيَوْمَئِذٍ يَتَفَقَّهُ النَّاسُ لِغَيْرِ اللَّهِ، ويَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، ويَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ.

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وتَوَغَّلُوا الْجَهْلَ، وأَطْرَحُوا الْعِلْمَ، وأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ، ونَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ.

أَثَرُوا عَاجِلًا، وأَخَّرُوا آجِلًا، وتَرَكُوا صَافِياً، وشَرِبُوا آجِناً.

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وحَصَدُوا الثُّبُورَ.

كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى فَاسِقِهِمْ وقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وبَسِيَ بِهِ ووَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لا يُبَالِي مَا غَرَّقَ، أَوكَوَقْعِ النَّارِ

فِي الْهَشيمِ لا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ.

هَلَكَ مَنْ قَارَنَ حَسَداً، وقَالَ بَاطلًا، ووَالى عَلى عَدَاوَتِنَا، أوشَكَّ في فَضْلِنَا.

إِنَّهُ لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً.

[هُمْ] أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْرَاساً، وأَفْضَلُ النَّاسِ أَنْفَاساً.

هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالي، وبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ، وحُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ في حِجَّةِ الْوِدَاعِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ، وبِذِي الْحُلَيْفَةِ، وبَعْدَهُ الْمَقَامُ الثَّالِثُ بِأَحْجَارِ الزَّيْتِ.

تِلْكَ فَرَائِضُ ضَيَّعْتُمُوهَا، وحُرُمَاتٌ انْتَهَكْتُمُوهَا.

ولَوسَلَّمْتُمُ الأَمْرَ لأَهْلِهِ سَلِمْتُمْ، ولَوأَبْصَرْتُمْ بَابَ الْهُدى رَشَدْتُمْ.

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاتِ، وإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وفُتِحَتْ لِيَ الأَسْبَابُ، وأُجْرِيَ لِيَ السَّحَابُ.

ولَقَدْ نَظَرْتُ فِي الْمَلَكُوتِ بِإِذْنِ رَبِّي، فَلَمْ يَعْزُبْ عَنِّي شَيْءٌ غَابَ عَنِّي، ولَمْ يَفُتْنِي مَا سَبَقَنِي ولاَ مَا يَكُونُ بَعْدِي، ولَمْ يَشْرَكْنِي أَحَدٌ فِيمَا أَشْهَدَنِي رَبِّي يَوْمَ شَهَادَةِ الأَشْهَادِ.

وعَلى يَدِي يُتِمُّ اللَّهُ مَوْعِدَهُ، ويُكْمِلُ كَلِمَاتِهِ.

وبِوِلاَيَتِي أَكْمَلَ الله - تعالى - لِهذِهِ الأُمَّةِ دِينَهَا.

وأَنَا النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلى خَلْقِهِ.

وأَنَا الإِسْلامُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ، أُبَشِّرُ بِإِذْنِ الله - تعالى - وأُؤَدِّي عَنْهُ. كُلُّ ذَلِكَ مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ، وأَذَلَّ بِهِ مَنْكِبِي، فَلَهُ الْحَمْدُ.

ولَقَدْ سَتَرَ عِلْمَهُ عَنْ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ إِلاَّ صَاحِبَ شَرِيعَتِكُمْ هذِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، فَعَلَّمَنِي عِلْمَهُ.

أَيْنَ مُسْلِمُوا أَهْلِ الْكِتَابِ، أَنَا اسْمِي فِي الإِنْجِيلِ إِيلِيَا، و[فِي] التَّوْرَاةِ بِرْيَا، و[فِي]

الزَّبُورِ إِرْيَا، وعِنْدَ الْهِنْدِ كَابِرْ، وعِنْدَ الرُّومِ بِطْرِيسَا، وعِنْدَ الْفُرْسِ جَبِير، وعِنْدَ التُّرْكِ تَبِيرْ، وعِنْدَ الزِّنْجِ حَيْتَرْ، وعِنْدَ الأَرْمَنِ فَرِيقْ، وعِنْدَ الْكَهَنَةِ بَوِيّ، وعِنْدَ الْحَبَشَةِ بَتْرِيك، وعِنْدَ الْعَرَبِ عَلِيٌّ، وعِنْد أُمّي حَيْدَرَةٌ، وعِنْدَ أبي ظَهِيرٌ، وعِنْدَ ظِئْري مَيْمُونٌ.

أَلا وإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وغَنِمَ، ومَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ ونَدِمَ.

إِعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وتُبْلى فيه السَّرَائِرُ، ومَنْ لا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّه، فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، وغَائِبُهُ أَعْوَزُ، واتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، ولَجَبُهَا عَتِيدٌ، وقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وشَرَابُهَا صَدِيدٌ، وعَذَابُهَا أَبَداً جَدِيدٌ.

أَلا وإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ الله - تعالى - لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لا يَحْمَدُهُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ بَصَّرْتُهُمُ الْحِكْمَةَ، ودَلَلْتُهُمْ عَلى طَرِيقِ الرَّحْمَةِ، وحَرَصْتُ عَلى تَوْفِيقِهِمْ بِالتَّنْبِيهِ والتَّذْكِرَةِ، ودَلَلْتُهُمْ عَلى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، بِالتَّبَصُّرِ والْعَدْلِ والتَّأْنِيبِ، لِيُثِيبَ رَاجِعٌ ويُقْبِلَ، ويَتَّعِظَ مُتَذَكِّرٌ ويَتَّبِعَ، فَلَمْ يُطِعْ لِيَ قَوْلٌ.

اللَّهُمَّ وإِنِّي أُعِيدُ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ لِيَكُونَ أَثْبَتَ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اعْرِفُوا فَضْلَ مَنْ فَضَّلَ اللَّهُ، واخْتَارُوا حَيْثُ اخْتَارَ اللَّهُ، واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِمَنِّه حَيْثُ يَقُولُ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

فَقَدْ طَهَّرَنَا اللَّهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ، ومِنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وكُلِّ رَجَاسَةٍ، فَنَحْنُ عَلى مِنْهَاجِ الْحَقِّ، ومَنْ خَالَفَنَا فَعَلى مِنْهَاجِ الْبَاطِلِ.

أَنَا قَسِيمُ النَّارِ، وخَازِنُ الْجِنَانِ، وصَاحِبُ الْحَوْضِ والأَعْرَافِ. يَقُولُ الله - عَزَّ وجل -: ﴿وعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.

ولَيْسَ مِنَّا، أَهْلَ الْبَيْتِ، إِمَامٌ إِلاَّ وهُوعَارِفٌ أَهْلَ وِلايَتِه، وذَلِكَ لِقَوْلِ الله - عَزَّ وجل -: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

ألا ونَحْنُ النُّذُرُ الأُولى، ونَحْنُ الآخِرَةُ والأُولى، ونُذُرُ كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ.

وبِنَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ، ونَجَا مَنْ نَجَا.

فَلاَ تَسْتَعْظِمُوا ذَلِكَ فِينَا، فَوالَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، وتَفَرَّدَ بِالْجَبَرُوتِ والْعَظَمَةِ، لَقَدْ سُخِّرَ لِيَ الرِّيَاحُ، والْهَوَاءُ، والطَّيْرُ، وعُرِضَتْ عَلَيَّ الدُّنْيَا فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا.

أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وقَادِرُهَا بِقَدَرِهَا، ونَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا، ورَادُّهَا عَلى عَقِبِهَا.

وحَتَّى مَتى يَلْحَقُ بِيَ اللَّوَاحِقُ.

لَقَدْ عَلِمْتُ مَا فَوْقَ الْفِرْدَوْسِ الأَعْلَى، ومَا تَحْتَ السَّابِعَةِ السُّفْلى، ومَا فِي السَّمواتِ الْعُلى ومَا بَيْنَهُمَا ومَا تَحْتَ الثَّرى.

نَحْنُ الشِّعَارُ والأَصْحَابُ، والْخَزَنَةُ والأَبْوَابُ، ولا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً لا تَعْدُوهُ الْعُقُوبَةُ.

وعِنْدَنَا، أَهْلَ الْبَيْتِ، مَعَاقِلُ الْعِلْمِ، وأَبْوَابُ الْحُكْمِ، وأَنْوَارُ الظُّلَمِ، وضِيَاءُ الأَمْرِ، وفَصْلُ الْخِطَابِ.

فَمَنْ أَحَبَّنَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ، ويُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلُهُ، ومَنْ لاَ يُحِبُّنَا، أَهْلَ الْبَيْتِ، لاَ يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ ولاَ يُتَقَبَّلُ عَمَلُهُ، وإِنْ دَأَبَ فِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ قَائِماً وصَائِماً.

واللَّهِ لَئِنْ خَالَفْتُمْ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ لَتُخَالِفُنَّ الْحَقَّ، ولَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي وأَهْلَ بَيْتِي مُطَهَّرُونَ، فَلا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، ولاَ تُخَالِفُوهُمْ فَتَجْهَلُوا، ولا تَتَخَلَّفُوا عَنْهُمْ فَتَهْلَكُوا، ولا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، هُمْ أَحْلَمُ النَّاسِ كِباراً، وأَعْلَمُهُمْ صِغَاراً، إِنَّهُمْ لا يُدْخِلُونَكُمْ فِي رَدًى، ولاَ يُخْرِجُونَكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى. فَاتَّبِعُوا الْحَقَّ وأَهْلَهُ حَيْثُ كَانُوا.

أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدى، والأَبْصَارُ اللاَّمِحَةُ إِلى مَنَارِ التَّقْوى.

أَيْنَ الْمُوقِنُونَ الَّذِينَ خَلَعُوا سَرَابِيلَ الْهَوى، وقَطَعُوا عَنْهُمْ عَلاَئِقَ الدُّنْيَا.

أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ، وعُوقِدَتْ عَلى طَاعَةِ اللَّهِ.

أَيْنَ الَّذينَ أَخْلَصُوا أَعْمَالَهُمْ للَّه، وطَهَّرُوا قُلُوبَهُمْ لِمَوَاضِعِ نَظَرِ اللَّه.

أَلآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلى أَهْلِه، ونُقِلَ إِلى مُنْتَقَلِه، [وَ] قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، ولَمَعَ لامِعٌ، ولاحَ لائِحٌ، واعْتَدَلَ مَائِلٌ، واسْتَبْدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وبِيَوْمٍ يَوْماً، وانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ، ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ، وتَسَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ، ورُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ والنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ، ودَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا ووَلَّوْا، ودَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وأَقْبَلُوا.

ثم أقبل عليه السلام بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصّته وشيعته فقال: لَقَدْ عَمِلَتِ الْوُلاةُ قَبْلِي أَعْمَالًا عَظِيمَةً، خَالَفُوا فِيهَا رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ مُتَعَمِّدِينَ لِخِلافِه، نَاقِضِينَ لِعَهْدِه، مُغَيِّرِينَ لِسُنَّتِه.

ولَوْ حَمَلْتُ النَّاسَ عَلَى تَرْكِهَا وتَحْوِيلِهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا إِلى مَا كَانَتْ تَجْرِي عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، لَتَفَرَّقَ عَنِّي جُنْدِي، حَتَّى لا يَبْقَى فِي عَسْكَرِي غَيْرِي، وقَلِيلٌ مِنْ شِيعَتِيَ الَّذِينَ عَرَفُوا فَضْلِي وفَرْضَ إِمَامَتِي مِنْ كِتَابِ اللهِ - عَزَّ ذِكْرُهُ - وسُنَّةِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ.

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَمَرْتُ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَرَدَدْتُهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهُ فِيهِ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ.

ورَدَدْتُ فَدَكَ إِلى وَرَثَةِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلامُ.

ورَدَدْتُ صَاعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ ومُدَّهُ إِلى مَا كَانَ.

وأَمْضَيْتُ قَطَائِعَ أَقْطَعَهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ لأَقْوَامٍ مُسَمَّيْنَ لَمْ تُمْضَ لَهُمْ ولَمْ تُنْفَذْ.

ورَدَدْتُ دَارَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلى وَرَثَتِه وهَدَمْتُهَا مِنَ الْمَسْجِدِ.

ورَدَدْتُ قَضَايَا مِنَ الْجَوْرِ قَضَى بِهَا مَنْ كَانَ قَبْلِي.

ونَزَعْتُ نِسَاءً تَحْتَ رِجَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ فَرَدَدْتُهُنَّ إِلى أَزْوَاجِهِنَّ، واسْتَقْبَلْتُ بِهِنَّ

الْحُكْمَ فِي الْفُرُوجِ والأَحْكَامِ.

وسَبَيْتُ ذَرَارِيَ بَني تَغْلِبَ.

وَرَدَدْتُ مَا قُسِمَ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ.

ومَحَوْتُ دَوَاوِينَ الْعَطَايَا وأَعْطَيْتُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يُعْطِي بِالسَّوِيَّةِ ولَمْ أَجْعَلْهَا دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ.

وأَلْقَيْتُ الْمَسَاحَةَ.

وسَوَّيْتُ بَيْنَ الْمَنَاكِحِ.

وأَنْفَذْتُ خُمْسَ الرَّسُولِ كَمَا انْزَلَ الله - عَزَّ وجل - وفَرَضَهُ.

ورَدَدْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ عَلى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وسَدَدْتُ مَا فُتِحَ فِيهِ مِنَ الأَبْوَابِ، وفَتَحْتُ مَا سُدَّ مِنْهُ.

وحَرَّمْتُ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ.

وحَدَدْتُ عَلَى النَّبِيذِ.

وأَمَرْتُ بِإِحْلالِ الْمُتْعَتَيْنِ.

وأَمَرْتُ بِالتَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ.

وأَلْزَمْتُ النَّاسَ الْجَهْرَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

وأَخْرَجْتُ مَنْ أُدْخِلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فِي مَسْجِدِهِ مِمَّنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَخْرَجَهُ، وأَدْخَلْتُ مَنْ أُخْرِجَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ مِمَّنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أَدْخَلَهُ.

وحَمَلْتُ النَّاسَ عَلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ.

وعَلَى الطَّلاقِ عَلَى السُّنَّةِ.

وأَخَذْتُ الصَّدَقَاتِ عَلَى أَصْنَافِهَا وحُدُودِهَا.

ورَدَدْتُ الْوُضُوءَ والْغُسْلَ والصَّلاةَ إِلَى مَوَاقِيتِهَا وشَرَائِعِهَا ومَوَاضِعِهَا.

ورَدَدْتُ أَهْلَ نَجْرَانَ إلى مَوَاضعهمْ.

ورَدَدْتُ سَبَايَا فَارِسَ وسَائِرِ الأُمَمِ إلى كِتَابِ اللَّهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله.

إذاً لَتَفَرَّقُوا عَنِّي واللَّه.

لَقَدْ أَمَرْتُ النَّاسَ أَنْ لا يَجْتَمِعُوا في شَهْرِ رَمَضَانَ إلاَّ في فَرِيضَةٍ، وأَعْلَمْتُهُمْ أَنَّ اجْتِمَاعَهُمْ فِي النَّوَافِلِ بِدْعَةٌ، فَتَنَادى بَعْضُ أَهْلِ عَسْكَرِي مِمَّنْ يُقَاتِلُ سَيْفُهُ مَعِي: يَا أَهْلَ الإِسْلامِ، غُيِّرَتْ سُنَّةُ عُمَرَ، يَنْهَانَا عَنِ الصَّلاةِ في شَهْرِ رَمَضَانَ تَطَوُّعاً في جَمَاعَةٍ.

حَتَّى خِفْتُ أَنْ يَثُورُوا في نَاحِيَةِ عَسْكَرِي.

بُؤْسى لِمَا لَقِيتُ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا مِنَ الْفُرْقَةِ، وطَاعَةِ أَئِمَّةِ الضَّلالِ والدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ.

وأَعْظَمُ مِنْ ذلِكَ، [لَوْ] لَمْ أَعْطِ سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبى إلاَّ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِإِعْطَائِهِ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ - عز وجل -: ﴿**واعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ولِذِي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ. كُلٌّ هؤُلاءِ مِنَّا خَاصَّةً إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ**﴾.

فَنَحْنُ، واللَّهِ، الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ بِذِي الْقُرْبى الَّذِينَ قَرَنَهُمُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ وبِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ، فَقَالَ - تعالى -: ﴿**ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ولِذِي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ مِنْكُمْ وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا واتَّقُوا اللَّهَ**﴾ في ظُلْمِ آلِ مُحَمَّدٍ وأَتَمُّوا الْحَجَّ ولِمَنْ ظَلَمَهُمْ، رَحْمَةً مِنْهُ لَنَا، وغِنىً أَغْنَانَا اللَّهُ بِهِ، ووَصَّى بِهِ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، لأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَنَا في سَهْمِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً، وأَكْرَمَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ وأَكْرَمَنَا، أَهْلَ الْبَيْتِ، أَنْ يُطْعِمَنَا مِنْ أَوْسَاخِ أَيْدِي النَّاسِ، فَكَذَّبُوا اللَّهَ، وكَذَّبُوا رَسُولَهُ، وجَحَدُوا كِتَابَ اللَّهِ النَّاطِقِ بِحَقِّنَا، ومَنَعُونَا فَرْضاً فَرَضَهُ اللَّهُ لَنَا.

مَا لَقِيَ أَهْلُ بَيْتِ نَبِيٍّ مِنْ أُمَّتِه مَا لَقِيَنَاهُ بَعْدَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله.
واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى مَنْ ظَلَمَنَا، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

خطبة له عليه السلام (٤)

في التوحيد

وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي بَطَنَ خَفيَّات الأُمُورِ، ودَلَّتْ عَلَيْه أَعْلاَمُ الظُّهُورِ، وامْتَنَعَ عَلى عَيْنِ الْبَصيرِ، فَلاَ عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكرُهُ، ولاَ قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصرُهُ.

سَبَقَ في الْعُلُوفَلاَ شَيْءَ أَعْلى منْهُ، وقَرُبَ في الدُّنُوفَلاَ شَيْءَ أَقْرَبُ منْهُ، فَلاَ اسْتعْلاَؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ منْ خَلْقه، ولاَ قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ في الْمَكَان به.

لَمْ يُطْلعِ الله - سُبْحَانَهُ - الْعُقُولَ عَلى تَحْديد صفَته، ولَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجب مَعْرفَته، فَهُوَالَّذي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُود عَلى إقْرَار قَلْب ذي الْجُحُود.

تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ به والْجَاحدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبيراً.

إنَّ أَوَّلَ عبَادَة الله - عَزَّ وجل - مَعْرفَتُهُ، وأَصْلُ مَعْرفَته تَوْحيدُهُ، ونظَامُ تَوْحيده نَفْيُ الصِّفَات عَنْهُ، لشَهَادَة الْعُقُول أَنَّ كُلَّ صفَة ومَوْصُوف مَخْلُوقٌ، وشَهَادَة كُلِّ مَخْلُوق أَنَّ لَهُ خَالقاً لَيْسَ بصفَة ولاَ مَوْصُوف، وشَهَادَة كُلِّ صفَة ومَوْصُوف بالاقْتراَن، وشَهَادَة الاقْتراَن بالْحُدُوث، وشَهَادَة الْحُدُوث بالامْتنَاع منَ الأزَل الْمُمْتَنع منْ الْحُدُوث.

فَلَيْسَ اللَّهَ عَرَفَ مَنْ عَرَّفَ ذَاتَهُ، ومَا وَحَّدَهُ ولاَ به صَدَّقَ مَنْ كَيَّفَهُ، ولاَ حَقيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، ولاَ إيَّاهُ عَنى مَنْ شَبَّهَهُ [وَ] حَدَّهُ، ولاَ لَهُ وَحَّدَ مَنِ اكْتَنَهَهُ، ولاَ به آمَنَ مَنْ نَهَّاهُ، ولاَ لَهُ تَذَلَّلَ مَنْ بَعَّضَهُ، ولاَ صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إلَيْه وتَوَهَّمَهُ.

كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ.

شَائِي الأَشْيَاءَ لاَ بِهِمَّةٍ، دَرَّاكٌ لاَ بِخَدِيعَةٍ، فِي الأَشْيَاءِ كُلِّهَا غَيْرَ مُتَمَازِجٍ بِهَا، ولاَ بَايِنٍ مِنْهَا.

بِصُنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ، وبِالْعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ، وبِالْفِكْرَةِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ، وبِآيَاتِهِ احْتَجَّ عَلَى خَلْقِهِ.

خَلَقَ اللهُ - تعالى - الْخَلْقَ فَعَلَّقَ حِجَاباً بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ، فَمُبَايَنَتُهُ إِيَّاهُمْ مُفَارَقَتُهُ إِنِّيَّتَهُمْ، وإِيدَاؤُهُ إِيَّاهُمْ شَاهِدٌ عَلَى أَنْ لاَ أَدَاةَ فِيهِ، لِشَهَادَةِ الأَدَوَاتِ بِفَاقَةِ الْمُؤَدَّيْنَ، وابْتِدَاؤُهُ إِيَّاهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لاَ ابْتِدَاءَ لَهُ، لِعَجْزِ كُلِّ مُبْتَدَإٍ مِنْهُمْ عَنْ إِبْدَاءِ غَيْرِهِ.

أَسْمَاؤُهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى - تَعْبِيرٌ، وأَفْعَالُهُ تَفْهِيمٌ، وذَاتُهُ حَقِيقَةٌ، وكُنْهُهُ تَفْرِقَةٌ بَيْنَهُ وبَيْنَ خَلْقِهِ.

قَدْ جَهِلَ اللهَ - تعالى - مَنِ اسْتَوْصَفَهُ، وتَعَدَّاهُ مَنْ مَثَّلَهُ، وأَخْطَأَهُ مَنِ اكْتَنَهَهُ.

فَمَنْ قَالَ: (أَيْنَ) فَقَدْ بَوَّأَهُ، ومَنْ قَالَ: (فِيمَ) فَقَدْ ضَمَّنَهُ، ومَنْ قَالَ: (إِلاَمَ) فَقَدْ نَهَّاهُ، ومَنْ قَالَ: (لِمَ) فَقَدْ عَلَّلَهُ، ومَنْ قَالَ: (كَيْفَ) فَقَدْ شَبَّهَهُ، ومَنْ قَالَ: (مَتَى) فَقَدْ وَقَّتَهُ، ومَنْ قَالَ: (حَتَّى) فَقَدْ غَيَّاهُ، ومَنْ غَيَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، ومَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ وَصَفَهُ، ومَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ أَلْحَدَ فِيهِ، ومَنْ بَعَّضَهُ فَقَدْ عَدَلَ عَنْهُ.

لاَ يَتَغَيَّرُ اللهُ - تعالى - بِتَغْيِيرِ الْمَخْلُوقِ، كَمَا لاَ يَتَحَدَّدُ بِتَحْدِيدِ الْمَحْدُودِ.

أَحَدٌ لاَ بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ، صَمَدٌ لاَ بِتَبْعِيضِ بَدَدٍ، بَاطِنٌ لاَ بِمُدَاخَلَةٍ، ظَاهِرٌ لاَ بِتَأْوِيلِ الْمُبَاشَرَةِ، مُتَجَلٍّ لاَ بِاسْتِهْلاَلِ رُؤْيَةٍ، فَاعِلٌ لاَ بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لاَ بِجَوْلِ فِكْرَةٍ، غَنِيٌّ لاَ بِاسْتِفَادَةٍ، مُدَبِّرٌ لاَ بِحَرَكَةٍ، مُرِيدٌ لاَ بِعَزِيمَةٍ، مُدْرِكٌ لاَ بِحَاسَّةٍ، سَمِيعٌ لاَ بِآلَةٍ، بَصِيرٌ لاَ بِأَدَاةٍ، قَرِيبٌ لاَ بِمُدَانَاةٍ، بَعِيدٌ لاَ بِمَسَافَةٍ، لَطِيفٌ لاَ بِتَجَسُّمٍ، مَوْجُودٌ لاَ بَعْدَ عَدَمٍ.

لاَ تَحْوِيهِ الأَمَاكِنُ، ولاَ تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ، ولاَ تَرْفِدُهُ الأَدَوَاتُ، ولاَ تَحُدُّهُ الصِّفَاتُ، ولاَ تَأْخُذُهُ السِّنَاتُ.

ثَبتَ لَهُ مَعْنَى الرُّبوبيَّة إذْ لاَ مَرْبوبٌ، وحَقيقَةُ الأُلوهيَّة إذْ لاَ مَألوهٌ، ومَعْنَى العِلْمِ إذْ لاَ مَعْلُومٌ، ومَعْنَى الْخَالِقِ إذْ لاَ مَخْلُوقٌ، وتَأْويلُ السَّمْعِ إذْ لاَ مَسْمُوعٌ، ووُجُوبُ الْقُدْرَة إذْ لاَ مَقْدُورٌ عَلَيْه.

سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، والْعَدَمَ وُجُودُهُ، والابْتدَاءَ أزَلُهُ.

بتَشْعيرِهِ الْمَشَاعرَ عُرِفَ أنْ لاَ مَشْعَرَ لَهُ، وبتَجْهيرِهِ الْجَوَاهرَ عُرِفَ أنْ لاَ جَوْهَرَ لَهُ، وبإنْشَائِه الْبَرَايَا عُرِفَ أنْ لاَ مَنْشَأَ لَهُ، وبخَلْقِه الأَشْيَاءَ [عُرِفَ] أنْ لاَ شَبَهَ لَهُ، وبمُضَادَّته بَيْنَ الأُمُورِ الْمُتَضَادَّة عُرِفَ أنْ لاَ ضدَّ لَهُ، وبمُقَارَنَته بَيْنَ الأَشْيَاءِ الْمُقْتَرِنَة عُرِفَ أنْ لاَ قَرِينَ لَهُ.

ضَادَّ النُّورَ بالظُّلْمَة، والْوُضُوحَ بالْبُهْمَة، والْجُمُودَ بالْبَلَل، والْخَشِنَ باللَّين، والْحَرُورَ بالصَّرْد، مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا.

دَالَّةٌ بتَفْرِيقِهَا عَلى مُفَرِّقِهَا، وبتَأْلِيفِهَا عَلى مُؤَلِّفِهَا، وذلكَ قَوْلُهُ- جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿ومِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

شَاهِدَةٌ بغَرَائِزِهَا أنْ لاَ غَرِيزَةَ لمُغْرِزِهَا، دَالَّةٌ بتَفَاوُتِهَا أنْ لاَ تَفَاوُتَ في مُفَاوِتِهَا، مُخْبِرَةٌ بتَوْقِيتِهَا أنْ لاَ وَقْتَ لمُوَقِّتِهَا، حَجَبَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ لِيُعْلَمَ أنْ لاَ حِجَابَ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا.

جَعَلَهَا- سُبْحَانَهُ - دَلاَئِلَ عَلى رُبُوبِيَّته، وشَوَاهِدَ عَلى غَيْبَته، ونَوَاطِقَ عَلى حِكْمَته، إذْ يَنْطِقُ تَكَوُّنُهُنَّ عَلى حَدَثِهِنَّ، ويُخْبِرْنَ بوُجُودِهِنَّ عَنْ عَدَمِهِنَّ، ويُنْبِئْنَ بتَنَقُّلِهِنَّ عَنْ زَوَالِهِنَّ، ويُعْلِنَّ بأُفُولِهِنَّ أنْ لاَ أُفُولَ لخَالِقِهِنَّ.

لَيْسَ مُذْ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ، ولاَ بإحْدَاثِه الْبَرَايَا اسْتَحَقَّ اسْمَ الْبَارِئِ.

فَرَّقَهَا لاَ منْ شَيْءٍ، وأَلَّفَهَا لاَ بشَيْءٍ، وقَدَّرَهَا لاَ باهْتِمَامٍ.

لاَ تَقَعُ الأَوْهَامُ عَلى كُنْهِه، ولاَ تُحِيطُ الأَفْهَامُ بذَاته.

لاَ يُشْمَلُ بحَدٍّ، ولاَ يُحْسَبُ بعَدٍّ، ولاَ تُوَقِّتُهُ (مَتى)، ولاَ تُغَيِّبُهُ (مُذْ)، ولاَ تُدْنِيه (قَدْ)،

ولاَ تَحْجُبُهُ (لَعَلَّ)، ولاَ تُقَارِنُهُ (مَعَ)، ولاَ تَشْتَمِلُهُ (هُوَ).

وإِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وتُشِيرُ الآلاَتُ إِلَى نَظَائِرِهَا، وفِي الأَشْيَاءِ تُوجَدُ أَفْعَالُهَا، وعَنِ الْفَاقَةِ تُخْبِرُ الأَدَوَاتُ، وعَنِ الضِّدِّ يُخْبِرُ التَّضَادُّ، وإِلَى شِبْهِهِ يَؤُولُ الشَّبِيهُ، ومَعَ الأَحْدَاثِ أَوْقَاتُهَا، وبِالأَسْمَاءِ تَفْتَرِقُ صِفَاتُهَا، ومِنْهَا فَصَلَتْ قَرَائِنُهَا، وإِلَيْهَا آلَتْ أَحْدَاثُهَا.

مَنَعَتْهَا (مُنْذُ) الْقِدْمَةَ، وحَمَتْهَا (قَدْ) الأَزَلِيَّةَ، وجَنَّبَتْهَا (لَولاَ) التَّكْمِلَةَ.

فَرَّقَ بَيْنَ قَبْلٍ وبَعْدٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لاَ قَبْلَ لَهُ ولاَ بَعْدَ.

إِفْتَرَقَتْ فَدَلَّتْ عَلَى مُفَرِّقِهَا، وتَبَايَنَتْ فَأَعْرَبَتْ عَنْ مُبَايِنِهَا.

بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وبِهَا احْتَجَبَ عَنِ الرُّؤْيَةِ وامْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ، وإِلَيْهَا تَحَاكَمَ الأَوْهَامُ، وفِيهَا أُثْبِتَتِ الْعِبْرَةُ، ومِنْهَا أُنِيطَ الدَّلِيلُ، وبِالْعُقُولِ يُعْتَقَدُ التَّصْدِيقُ بِاللَّهِ، وبِالاقْرَارِ يَكُونُ الإِيمَانُ بِهِ.

لاَ دِينَ إِلاَّ بِمَعْرِفَةٍ، ولاَ مَعْرِفَةَ إِلاَّ بِتَصْدِيقٍ، ولاَ تَصْدِيقَ إِلاَّ بِتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ، ولاَ تَوْحِيدَ إِلاَّ بِالإِخْلاَصِ، ولاَ إِخْلاَصَ مَعَ التَّشْبِيهِ، ولاَ نَفْيَ مَعَ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، ولاَ تَجْرِيدَ إِلاَّ بِاسْتِقْصَاءِ النَّفْيِ كُلِّهِ.

لأَنَّ إِثْبَاتَ بَعْضِ التَّشْبِيهِ يُوجِبُ الْكُلَّ، ولاَ يُسْتَوْجَبُ كُلُّ التَّوْحِيدِ بِبَعْضِ النَّفْيِ دُونَ الْكُلِّ، والإِقْرَارُ نَفْيُ الإِنْكَارِ، ولاَ يُنَالُ الاخْلاَصُ بِشَيْءٍ مِنَ الانْكَارِ.

كُلُّ مَا فِي الْخَلْقِ مِنْ أَثَرٍ لاَ يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ، وكُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِهِ.

لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ والْحَرَكَةُ، ولاَ يُمْكِنُ فِيهِ التَّجْزِئَةُ ولاَ الاتِّصَالُ.

وكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، ويَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، ويَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ.

إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ، ولَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، ولامْتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ، ولَمَا كَانَ لِلأَزَلِ مَعْنىً إِلاَّ مَعْنَى الْحَدَثِ، ولاَ لِلْبَارِئِ مَعْنىً إِلاَّ مَعْنَى الْمَبْرُوءِ، ولَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ، ولالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ.

وكَيْفَ يَسْتَحِقُّ اسْمَ الأَزَلِ مَنْ لاَ يَمْتَنِعُ مِنَ الْحَدَثِ، وكَيْفَ يَسْتَأْهِلُ الدَّوَامَ مَنْ تَنْقُلُهُ الأَحْوَالُ والأَعْوَامُ، وكَيْفَ يُنْشِئُ الأَشْيَاءَ مَنْ لاَ يَمْتَنِعُ مِنَ الإِنْشَاءِ.

وإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فيه، ولَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْه، ولاقْتَرَنَتْ صِفَاتُهُ بِصِفَاتِ مَا دُونه، لَيْسَ في مَجَالِ الْقَوْلِ حُجَّةٌ، ولاَ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ جَوَابٌ.

خَرَجَ بِسُلْطَانِ الامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فيه مَا يُؤَثِّرُ في غَيْرِه.

الَّذي لاَ يَحُولُ ولاَ يَزُولُ، ولاَ يَجُوزُ عَلَيْه الأُفُولُ.

لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، ولَمْ يُولَدْ فَيَصيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأَبْنَاءِ، وطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ النِّسَاءِ.

لاَ تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، ولاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، ولاَ تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتَحُسَّهُ، ولاَ تَلْمِسُهُ الأَيْدي فَتَمَسَّهُ، ولاَ يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، ولاَ يَتَبَدَّلُ فِي الأَحْوَالِ، ولاَ تُبْلِيه اللَّيَالي والأَيَّامُ، ولاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ والظَّلاَمُ، ولاَ يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ، ولاَ بِالْجَوَارِحِ والأَعْضَاءِ، ولاَ بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ، ولاَ بِالْغَيْرِيَّةِ والأَبْعَاضِ.

ولاَ يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ ولاَ نِهَايَةٌ، ولاَ انْقِطَاعٌ ولاَ غَايَةٌ، ولاَ أَنَّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيه فَتُقِلَّهُ أَوتُهْوِيه، أَوأَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَويُعَدِّلَهُ.

لَيْسَ فِي الأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، ولاَ عَنْهَا بِخَارِجٍ.

يُخْبِرُ لاَ بِلِسَانٍ، ولَهَوَاتٍ، ويَسْمَعُ لاَ بِخُرُوقٍ وأَدَوَاتٍ، يَقُولُ ولاَ يَتَلَفَّظُ ويَحْفَظُ ولاَ يَتَحَفَّظُ، ويُرِيدُ ولاَ يُضْمِرُ، ويُحِبُّ ويَرْضى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، ويُبْغِضُ ويَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ.

يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ: (كُنْ) فَيَكُونُ، لاَ بِصَوْتٍ يُقْرَعُ، ولاَ بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ، وإِنَّمَا كَلاَمُهُ- سُبْحَانَهُ - فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ ومَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً، ولَوكَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلهاً ثَانِياً.

لاَ يُقَالُ: (كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ)، فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، ولاَ يَكُونُ بَيْنَهَا

وبَيْنَهُ فَصْلٌ، ولاَ لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ والْمَصْنُوعُ، ويَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ والْبَدِيعُ.

خَلَقَ الْخَلاَئِقَ عَلى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ، ولَمْ يَسْتَعِنْ عَلى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِه.

وأَنْشَأَ الأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ، وأَرْسَاهَا عَلى غَيْرِ قَرَارٍ، وأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، ورَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وحَصَّنَهَا مِنَ الأَوَدِ والاعْوِجَاجِ، ومَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ والانْفِرَاجِ.

أَرْسى أَوْتَادَهَا، وضَرَبَ أَسْدَادَهَا، واسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وخَدَّ أَوْدِيَتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، ولاَ ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

هُوالظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِه وعَظَمَتِه، وهُوالْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِه ومَعْرِفَتِه، والْعَالِي عَلى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلاَلِه وعِزَّتِه.

لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا فَيَطْلُبَهُ، ولاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، ولاَ يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، ولاَ يَحْتَاجُ إِلى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ.

خَضَعَتِ الأَشْيَاءُ لَهُ، وذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِه، لاَ تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِه إِلى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِه وضَرِّه، ولاَ كُفْؤٌ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، ولاَ نَظِيرٌ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ.

هُوالْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

ولَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا واخْتِرَاعِهَا.

وكَيْفَ ولَوِاجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا، مِنْ طَيْرِهَا وبَهَائِمِهَا، ومَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وسَائِمِهَا، وأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وأَجْنَاسِهَا، ومُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وأَكْيَاسِهَا، عَلى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ، مَا قَدَرَتْ عَلى إِحْدَاثِهَا، ولاَ عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلى إِيجَادِهَا، ولَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وتَاهَتْ، وعَجِزَتْ قُوَاهَا وتَنَاهَتْ، ورَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ فِي إِبْدَائِهَا، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

وإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ ولاَ شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلاَ وَقْتٍ ولاَ مَكَانٍ، ولاَ حِينٍ ولاَ زَمَانٍ.

عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الآجَالُ والأَوْقَاتُ، وزَالَتِ السُّنُونَ والسَّاعَاتُ، فَلاَ شَيْءَ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الَّذي إِلَيْهِ مَصيرُ جَميعِ الأُمُورِ.

بِلاَ قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا، ولَوقَدَرَتْ عَلَى الامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا.

لَمْ يَتَكَأَّدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، ولَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وبَرَأَهُ.

ولَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، ولاَ لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ ونُقْصَانٍ، ولاَ لِلاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ، ولاَ لِلاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ، ولاَ لِلازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ، ولاَ لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ، ولاَ لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا.

ثُمَّ هُوَيُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لاَ لِسَأْمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وتَدْبِيرِهَا، ولاَ لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، ولاَ لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ.

لاَ يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، ولكِنَّهُ- سُبْحَانَهُ - دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ. ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، ولاَ لاسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، ولاَ لانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ، ولاَ مِنْ حَالِ جَهْلٍ وعَمًى إِلَى حَالِ عِلْمٍ والْتِمَاسٍ، ولاَ مِنْ فَقْرٍ وحَاجَةٍ إِلَى غِنىً وكَثْرَةٍ، ولاَ مِنْ ذُلِّ وضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وقُدْرَةٍ.

لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِاللَّهِ وضَلُّوا ضَلاَلًا بَعِيداً، وخَسِرُوا خُسْرَاناً مُبِيناً.

وصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

خطبة له عليه السلام (٥)

في توحيد اللّه تعالى والتزهيد في الدنيا

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيم

الْحَمْدُ للَّه الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، والنِّعَمَ بِالشُّكْرِ.

نَحْمَدُهُ عَلى آلائه كَمَا نَحْمَدُهُ عَلى بَلاَئه، ونَسْتَعينُهُ عَلى هذه النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، ونَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ به عِلْمُهُ، وأَحْصَاهُ كِتَابُهُ: عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ، ونُؤْمِنُ به إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، ووَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلاَصُهُ الشِّرْكَ، ويَقِينُهُ الشَّكَّ.

ونَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لاَ يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيه، ولاَ يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ مِنْهُ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّه، بِتَقْوَى الله سُبْحَانَهُ الَّتي هِيَ الزَّادُ، وبِهَا الْمَعَادُ: زَادٌ مُبَلِّغٌ ومَعَادٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، ووَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وفَازَ وَاعِيهَا.

عِبَادَ اللَّه، إِنَّ تَقْوَى اللَّه حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّه مَحَارِمَهُ، وأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، والرِّيَّ بِالظَّمَأِ، واسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ، فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وكَذَّبُوا الأَمَلَ، فَلاَحَظُوا الأَجَلَ. [أُولئكَ] طُوبى لَهُمْ وحُسْنُ مَآبٍ.

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وعَنَاءٍ، وغِيَرٍ وعِبَرٍ، فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ، مُفَوِّقٌ

نَبْلَهُ، لاَ تُخْطِئُ سِهَامُهُ، ولاَ تُؤْسِي جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، والشَّبَابَ بِالْهَرَمِ، والصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، والنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ، آكِلٌ لاَ يَشْبَعُ، وشَارِبٌ لاَ يَنْقَعُ.

ومِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لاَ يَأْكُلُ، ويَبْنِي مَا لاَ يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الله - سُبْحَانَه وتعالى - لاَ مَالًا حَمَلَ، ولاَ بِنَاءً نَقَلَ.

ومِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، والْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذَلِكَ إِلاَّ نَعِيماً زَلَّ، وبُؤْساً نَزَلَ.

ومِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلاَ أَمَلٌ يُدْرِكُ، ولاَ مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ.

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالاحْسَانِ إِلَيْهِ، وكَمْ مِنْ مَغْرُورٍ بِالسِّتْرِ عَلَيْهِ، وكَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ.

ومَا ابْتَلَى الله - سُبْحَانَهُ - أَحَداً بِمِثْلِ الإِمْلاَءِ لَهُ.

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الله - عَزَّ وجل -: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾.

فَسُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا، وأَظْمَأَ رَيَّهَا، وأَضْحَى فَيْئَهَا، لاَ جَاءٍ يُرَدُّ، ولاَ مَاضٍ يَرْتَدُّ.

وسُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِهِ بِهِ، وأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

[عِبَادَ اللَّهِ،] إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ، ولَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ، وكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ.

فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، ومِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.

واعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وزَادَ فِي الدُّنْيَا، فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ، ومَزِيدٍ خَاسِرٍ.

[عِبَادَ اللَّه،] إِنَّ الَّذي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذي نُهيتُمْ عَنْهُ، ومَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، ومَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ.

قَدْ تُكُفِّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلاَ يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ، واللَّه، لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ، ودَخَلَ الْيَقينُ، حَتَّى كَأَنَّ الَّذي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُم، وكَأَنَّ الَّذي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ.

فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وقَصِّرُوا الأَمَلَ، وخَافُوا بَغْتَةَ الأَجَلِ، فَإِنَّهُ لاَ يُرْجى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ.

مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، ومَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ.

الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائي، والْيَأْسُ مَعَ الْمَاضي، فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، واسْعَوْا في مَرْضَاتِهِ، واحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ أَليمِ عَذَابِهِ، ولا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

خطبة له عليه السلام (٦)

في وحدانية اللّه سبحانه وتعالى

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة وهوقائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي جبينه ثفنة من أثر السجود.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي لاَ يَمُوتُ ولاَ تَنْقَضي عَجَائِبُهُ، لأَنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوفِي شَأْنٍ مِنْ إِحْدَاثِ بَدِيعٍ لَمْ يَكُنْ.

الَّذي لَمْ يُولَدْ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً، ولَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً، ولَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ شَبَحاً مَاثِلًا، ولَمْ تُدْرِكْهُ الأَبْصَارُ فَيَكُونَ بَعْدَ انْتِقَالِهَا حَائِلًا.

الَّذي لَيْسَتْ لأَوَّلِيَّتِه نِهَايَةٌ، ولاَ لآخِرِيَّتِه حَدٌّ ولاَ غَايَةٌ.

الَّذي لَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ ولاَ زَمَانٌ، ولَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ ولاَ نُقْصَانٌ، ولاَ يُوصَفُ بِـ (أَيْنَ)، ولاَ بِـ (مَا)، ولاَ بِمَكَانٍ.

الَّذي بَطَنَ مِنْ خَفِيَّاتِ الأُمُورِ، وظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا فِي خَلْقِهِ مِنْ عَلاَمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، والْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ.

الَّذي سُئِلَتِ الأَنْبِيَاءُ عَنْهُ فَلَمْ تَصِفْهُ بِحَدٍّ، بَلْ وَصَفَتْهُ بِأَفْعَالِه، ودَلَّتْ عَلَيْهِ بِآيَاتِه، ولاَ تَسْتَطِيعُ عُقُولُ الْمُتَفَكِّرِينَ جَحْدَهُ، لأَنَّ مَنْ كَانَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ ومَا فِيهِنَّ ومَا بَيْنَهُنَّ فِطْرَتَهُ، وهُوالصَّانِعُ لَهُنَّ، فَلا مَدْفَعَ لِقُدْرَتِه.

الَّذي بَانَ منَ الْخَلْقِ فَلاَ شَيْءَ كَمِثْله.

الَّذي خَلَقَ خَلْقَهُ لعبَادَته، وأَقْدَرَهُمْ عَلى طَاعَته بمَا جَعَلَ فيهمْ، وقَطَعَ عُذْرَهُمْ بالْحُجَجِ، فَعَنْ بَيِّنَة هَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وعَنْ بَيِّنَة نَجَا مَنْ نَجَا، ولِلَّه الْفَضْلُ مُبْتَدَءاً ومَعيداً.

ثُمَّ إنَّ اللَّهَ، ولَهُ الْحَمْدُ، افْتَتَحَ الْكتَابَ بالْحَمْد لنَفْسه، وخَتَمَ أَمْرَ الدُّنْيَا وحُكْمَ الآخرَة بالْحَمْد لنَفْسه، فَقَالَ: ﴿وقُضيَ بَيْنَهُمْ بالْحَقِّ وقيلَ الْحَمْدُ للَّه ربِّ الْعالَمينَ﴾.

الْحَمْدُ للَّه اللاَّبس الْكبْرياءَ بلاَ تَجْسيد، والْمُرْتَدي الْجَلاَلَ بلاَ تَمْثيل، والْمُسْتَوي عَلَى الْعَرْشِ بلاَ زَوَال، والْمُتَعَالي عَنِ الْخَلْقِ بلاَ تَبَاعُد عَنْهُمْ، والْقَريب منْهُمْ بلاَ مُلاَمَسَة منْهُ لَهُمْ.

لَيْسَ لَهُ حَدٌّ يُنْتَهَى إلى حَدِّه، ولاَ لَهُ مثْلٌ فَيُعْرَفُ بمثْله.

ذَلَّ مَنْ تَجَبَّرَ غَيْرُهُ، وصَغُرَ مَنْ تَكَبَّرَ دُونَهُ، وتَوَاضَعَت الأَشْيَاءُ لعَظَمَته، وانْقَادَتْ لسُلْطَانه وعزَّته، وكَلَّتْ عَنْ إدْرَاكه طُرُوفُ الْعُيُون، وقَصُرَتْ دُونَ بُلُوغ صفَته أَوْهَامُ الْخَلاَئق.

الأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْء ولاَ قَبْلَ لَهُ، والآخرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْء ولاَ بَعْدَ لَهُ، والظَّاهرُ عَلى كُلِّ شَيْء بالْقَهْر لَهُ، والْمُشَاهدُ لجَميع الأَمَاكن بلاَ انْتقَال إلَيْهَا.

لاَ تَلْمسُهُ لاَمسَةٌ، ولاَ تُحسُّهُ حَاسَّةٌ، وهُوَالَّذي في السَّماء إلهٌ وفي الأَرْض إلهٌ وهُوَالْحَكيمُ الْعَليمُ.

أَتْقَنَ مَا أَرَادَ خَلْقَهُ منَ الأَشْيَاء كُلِّهَا لاَ بمثَال سَبَقَ إلَيْه، ولاَ لُغُوب دَخَلَ عَلَيْه في خَلْق مَا خَلَقَ لَدَيْه.

إبْتَدَأَ مَا أَرَادَ ابْتدَاءَهُ، وأَنْشَأَ مَا أَرَادَ إنْشَاءَهُ، عَلى مَا أَرَادَ منَ الثَّقَلَيْن: الْجنِّ والإنْس، ليَعْرفُوا بذَلكَ رُبُوبيَّتَهُ، وتَمَكَّنَ فيهمْ طَاعَتُهُ.

فَمنْ شَوَاهد خَلْقه خَلْقُ السَّمَوَات مُوَطَّدَات بلاَ عَمَد، قَائمَات بلاَ سَنَد، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائعَات مُذْعنَات، غَيْرَ مُتَلَكِّئَات ولاَ مُبْطئَات.

ولولاَ إقْرَارُهُنَّ لَهُ بالرُّبوبيَّة، وإذْعَانُهُنَّ لَهُ بالطَّوَاعيَة، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضعاً لعَرْشه، ولاَ مَسْكَناً لمَلاَئكَته، ولاَ مَصْعَداً للْكَلم الطَّيِّب والْعَمَل الصَّالح منْ خَلْقه.

جَعَلَ نُجُومَهَا أعْلاَماً يَسْتَدلُّ بهَا الْحَيْرَانُ في مُخْتَلَف فجَاج الأَقْطَار، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورهَا ادْلهْمَامُ سُجُف اللَّيْل الْمُظْلم، ولاَ اسْتَطَاعَتْ جَلاَبيبُ سَوَاد الْحَنَادس أنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ في السَّموَات منْ تَلاَلُؤ نُور الْقَمَر.

فَسُبْحَانَ مَنْ لاَ يَخْفَى عَلَيْه سَوَادُ غَسَق دَاج، ولاَ لَيْل سَاج، في بقَاع الأَرَضينَ الْمُتَطَأْطئَات، ولاَ في يَفَاع السُّفْع الْمُتَجَاورَات، ومَا يَتَجَلْجَلُ به الرَّعْدُ في أُفُق السَّمَاء، ومَا تَلاَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَام، ومَا تَسْقُطُ منْ وَرَقَة تُزيلُهَا عَنْ مَسْقطهَا عَوَاصفُ الأَنْوَاء، وانْهطَالُ السَّمَاء، ويَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَة ومَقَرَّهَا، ومَسْحَبَ الذَّرَّة ومَجَرَّهَا، ومَا يَكْفي الْبَعُوضَةَ منْ قُوتهَا، ومَا تَحْملُ الأُنْثى في بَطْنهَا.

نَحْمَدُهُ بجَميع مَحَامده كُلِّهَا عَلى جَميع نَعْمَائه كُلِّهَا، ونَسْتَهْديه لمَرَاشد أُمُورنَا، ونَعُوذُ به منْ سَيِّئَات أعْمَالنَا، ونَسْتَغْفرُهُ للذُّنُوب الَّتي سَلَفَتْ منَّا.

ونَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، بَعَثَهُ بالْحَقِّ نَبيّاً دَالًّا عَلَيْه، وهَادياً إلَيْه، فَهَدَانَا به منَ الضَّلاَلَة، واسْتَنْقَذَنَا به منَ الْجَهَالَة. مَنْ يُطع اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظيماً، ونَال ثَوَاباً كَريماً جَزيلًا، ومَنْ يَعْص اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ خَسرَ خُسْرَاناً مُبيناً، واسْتَحَقَّ عَذَاباً أليماً.

فَأَنْجعُوا بمَا يَحقُّ عَلَيْكُمْ منَ السَّمْع والطَّاعَة، وإخْلاَص النَّصيحَة، وحُسْن الْمُؤَازَرَة، وأعينُوا عَلى أنْفُسكُمْ بلُزُوم الطَّريقَة الْمُسْتَقيمَة، وهَجْر الأُمُور الْكَريهَة. وتَعَاطَوُا الْحَقَّ بَيْنَكُمْ وتَعَاوَنُوا عَلَيْه، وخُذُوا عَلى يَدَي الظَّالم السَّفيه، وأْمُرُوا بالْمَعْرُوف، وانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَر، واعْرفُوا لذَوي الْفَضْل فَضْلَهُمْ.

عَصَمَنَا اللَّهُ وإيَّاكُمْ بالْهُدى، وثَبَّتَنَا وإيَّاكُمْ عَلَى التَّقْوى، وأسْتَغْفرُ اللَّهَ لي ولَكُمْ.

خطبة له عليه السلام (٧)

في بيان قدرة اللّه وانفراده بالعظمة وأمر البعث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ، [والصَّلاَةُ عَلى مُحَمَّد سَيِّد الْمُرْسَلينَ].

أُوصيكُمْ، عبَادَ اللَّه، بتَقْوَى اللَّه، وأَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ.

أَوَّلُ كُلِّ شَيء وآخرُهُ، ومُبْتَدئُ كُلِّ شَيْء ومُعيدُهُ.

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، وكُلُّ شَيْءٍ ضَارِعٌ إِلَيْهِ، وكُلُّ شَيْءٍ مُشْفِقٌ مِنْهُ.

خَشَعَتْ لَهُ الأَصْوَاتُ، وقَامَتْ بِأَمْرِهِ الأَرْضُ والسَّموَاتُ، وضَلَّتْ دُونَهُ الأَعْلاَمُ، وكَلَّتْ دُونَهُ الأَبْصَارُ.

سُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ، وأَجَلَّ سُلْطَانَهُ.

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وحِكْمَةٌ، ورِضَاهُ أَمَانٌ ورَحْمَةٌ، وكَلاَمُهُ نُورٌ، وسَخَطُهُ عَذَابٌ.

وَاسِعُ الْمَغْفِرَة، شَديدُ النَّقْمَة، قَريبُ الرَّحْمَة.

يَقْضي بِعِلْمٍ، ويَعْفُوبِحِلْمٍ، غِنى كُلِّ فَقيرٍ، وعِزُّ كُلِّ ذَليلٍ، وقُوَّةُ كُلِّ ضَعيفٍ، ومَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ.

يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، ومَا تَخُونُ الْعُيُونُ، ومَا في قَعْرِ الْبُحُورِ، ومَا تُرْخى عَلَيْهِ السُّتُورُ.

الرَّحيمُ بِخَلْقِه، الرَّؤُوفُ بِعِبَادِه، عَلى غِنَاهُ عَنْهُمْ وفَقْرِهِمْ إِلَيْهِ.

مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، ومَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، ومَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، ومَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلى مَا تَأْخُذُ وتُعْطي، وعَلى مَا تُعَافي وتَبْتَلي، وعَلى مَا تُميتُ وتُحْيي، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ، ويَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْداً لاَ يُحْجَبُ عَنْكَ، ولاَ يُقْصَرُ دُونَكَ، ويَبْلُغُ فَضْلَ رِضَاكَ، حَمْداً يَفْضُلُ حَمْدَ مَنْ مَضى، ويَعْرِفُ حَمْدَ مَنْ بَقِي، حَمْداً لاَ يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، ولاَ يَفْنى مَدَدُهُ.

فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلاَّ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ ولاَ نَوْمٌ.

لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، ولَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، ولاَ يَقْدِرُ قُدْرَتَكَ مَلَكٌ ولاَ بَشَرٌ.

أَدْرَكْتَ الأَبْصَارَ، وكَتَمْتَ الآجَالَ، وأَحْصَيْتَ الأَعْمَالَ، وأَخَذْتَ بِالنَّوَاصي والأَقْدَامِ.

لَمْ تُعَنْ في قُدْرَتِكَ، ولَمْ تُشَارَكْ في إِلهِيَّتِكَ، ولاَ يَبْلُغُكَ بُعْدُ الْهِمَمِ، ولاَ يَنَالُكَ غَوْصُ الْفِطَنِ، ولاَ يَنْتَهي إِلَيْكَ نَظَرُ النَّاظِرِينَ.

إِرْتَفَعَتْ عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ صِفَةُ قُدْرَتِكَ، فَلاَ يَنْتَقِصُ مَا أَرَدْتَ أَنْ يَزْدَادَ، ولاَ يَزْدَادُ مَا أَرَدْتَ أَنْ يَنْتَقِصَ.

وكَيْفَ تُدْرِكُكَ الصِّفَاتُ، أَوتَحْوِيكَ الْجِهَاتُ، وقَدْ حَارَتْ في مَلَكُوتِكَ مَذَاهِبُ التَّفْكِيرِ، وحَسِرَ عَنْ إِدْرَاكِكَ بَصَرُ الْبَصِيرِ.

ومَا الَّذي نَرى مِنْ خَلْقِكَ، ونَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، ونَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، ومَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ، أَعْظَمُ.

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وكَيْفَ عَلَّقْتَ في الْهَوَاءِ سَمَوَاتِكَ، وكَيْفَ مَدَدْتَ عَلى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ، ضَلَّ هُنَالِكَ

التَّدْبيرُ في تَصَاريفِ الصِّفَاتِ لَكَ.

فَمَنْ تَفَكَّرَ في ذَلكَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسيراً، وعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وسَمْعُهُ والهاً، وفِكْرُهُ حَائراً.

وكَيْفَ يُطْلَبُ عِلْمُ مَا قَبْلَ ذَلكَ مِنْ عِزِّ شَأْنِكَ، إِذَا أَنْتَ فِي الْغُيُوبِ ولَمْ يَكُنْ فيهَا غَيْرُكَ، ولَمْ يَكُنْ لَهَا سِوَاكَ.

لَمْ يَشْهَدْكَ أَحَدٌ حَيْثُ فَطَرْتَ الْخَلْقَ، ولاَ نِدٌّ حَضَرَكَ حينَ ذَرَأْتَ النُّفُوسَ.

فَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً مُتَوَالِياً يَدُومُ ولاَ يَبِيدُ، غَيْرَ مَفْقُودٍ فِي الْمَلَكُوتِ، ولاَ مُنْتَقَصٍ فِي الْعِرْفَانِ، فِي اللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ، وفِي الصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ، بِالْغُدُوِّوالآصَالِ، والْعَشِيِّ والابْكَارِ.

كَلَّتِ الأَلْسُنُ عَنْ صِفَتِكَ، وانْحَسَرَتِ الْعُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِكَ، وتَوَاضَعَتِ الْمُلُوكُ لِهَيْبَتِكَ، وعَنَتِ الْوُجُوهُ لِعِزَّتِكَ، وانْقَادَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِكَ، وخَضَعَتِ الرِّقَابُ لِسُلْطَانِكَ.

وكَيْفَ لاَ يَعْظُمُ شَأْنُكَ عِنْدَ مَنْ عَرَفَكَ، وهُوَيَرى مِنْ عِظَمِ خَلْقِكَ مَا يَمْلأُ قَلْبَهُ، ويُذْهِلُ عَقْلَهُ، مِنْ رَعْدٍ يَقْرَعُ الْقُلُوبَ، وبَرْقٍ يَخْطَفُ الْعُيُونَ.

لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ.

لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، ولاَ اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، ولاَ يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، ولاَ يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، ولاَ يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، ولاَ يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، ولاَ يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، ولاَ يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ.

كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلاَنِيَةٌ، وكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ.

أَنْتَ الأَبَدُ لاَ أَمَدَ لَكَ، وأَنْتَ الْمُنْتَهى لاَ مَحِيصَ عَنْكَ، وأَنْتَ الْمَوْعِدُ لاَ مَنْجَا مِنْكَ.

بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ، وبِإِذْنِكَ تَسْقُطُ كُلُّ وَرَقَةٍ.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرى مِنْ خَلْقِكَ، ومَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ. ومَا أَهْوَلَ مَا نَرى مِنْ مَلَكُوتِكَ، ومَا أَحْقَرَ ذَلكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، ومَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا، ومَا أَحْقَرَهَا ومَا أَصْغَرَهَا فِي جَنْبِ نِعَمِ الآخِرَةِ.

مِنْ مَلائكَة أنْشأتَهُمْ إنْشاءً، فَأسْكَنْتَهُمْ سَمواتكَ، ورَفَعْتَهُمْ عَنْ أرْضكَ، وأكْرَمْتَهُمْ بجُودكَ، وائْتَمَنْتَهُمْ عَلى وَحْيكَ، وجَنَّبْتَهُمُ الآفاتِ، ووَقَيْتَهُمُ الْبَليَّاتِ، وطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الذُّنوبِ، فَلَيْسَ فيهِمْ فَتْرَةٌ، ولاَ عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ، ولاَ بِهِمْ مَعْصيَةٌ، لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، ولاَ سَهْوُ الْعُقُولِ، ولاَ فَتْرَةُ الأَبْدَانِ.

هُمْ أعْلَمُ خَلْقكَ بكَ، وأخْوَفُهُمْ لَكَ، وأقْرَبُهُمْ مِنْكَ، لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلاَبَ، ولَمْ يُضَمَّنُوا الأَرْحَامَ، ولَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ولَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ.

ولَولاَ تَقْوِيَتُكَ لَمْ يَقْوَوْا، ولَولاَ تَثْبيتُكَ لَمْ يَثْبُتُوا، ولَولاَ رَهْبَتُكَ لَمْ يُطيعُوا، ولَولاَ أنْتَ لَمْ يَكُونُوا.

وإنَّهُمْ عَلى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، ومَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، واسْتِجْمَاعِ أهْوَائِهِمْ فيكَ، وكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أمْرِكَ، لَوعَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أعْمَالَهُمْ، ولَزَرَوْا عَلى أنْفُسِهِمْ، ولَعَرَفُوا أنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، ولَمْ يُطيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

سُبْحَانَكَ خَالقاً ومَعْبُوداً.

وسُبْحَانَكَ بِحُسْنِ بَلاَئكَ عِنْدَ خَلْقكَ مَحْمُوداً.

وسُبْحَانَكَ خَلَقْتَ دَاراً وجَعَلْتَ فيهَا مَأدُبَةً: مَشْرَباً ومَطْعَماً، وأزْوَاجاً وخَدَماً، وقُصُوراً وأنْهَاراً، وزُرُوعاً وثِمَاراً.

ثُمَّ أرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُوإلَيْهَا، فَلاَ الدَّاعِيَ إلَيْهَا أجَابُوا، ولاَ فيمَا رَغَّبْتَ فيه رَغِبُوا، ولاَ إلى مَا شَوَّقْتَ إلَيْه اشْتَاقُوا. [بَلْ] أقْبَلُوا عَلى جيفَةٍ قَد افْتَضَحُوا بأكْلِهَا، واصْطَلَحُوا عَلى حُبِّهَا، وأعْمَتْ أبْصَارَ صَالحي زَمَانِهَا، وفي قُلُوبِ فُقَهَائِهِمْ مِنْ عِشْقِهَا، ومَنْ عَشِقَ شَيْئاً أعْشَى بَصَرَهُ، وأمْرَضَ قَلْبَهُ، وأمَاتَ لُبَّهُ، فَهُويَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحيحَةٍ، ويَسْمَعُ بِأذُنٍ غَيْرِ سَميعَةٍ.

قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وأمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، ووَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوعَبْدٌ لَهَا ولِمَنْ في يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إلَيْهَا، وحَيْثُمَا أقْبَلَتْ أقْبَلَ عَلَيْهَا.

لاَ يَـنْزَجِرُ مِـنَ اللَّـهِ بِزَاجِـرٍ، ولاَ يَتَّعِظَ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وهُوَيَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ، حَيْـثُ فَارَقُوا الدُّورَ، وصَارُوا إِلَى الْقُبُورِ، وحُشِرُوا إِلَى دَارٍ دَانَتْ لَهُمْ فِيهَا دَوَاهِي الأُمُورِ، فَلاَ إِقَالَةَ لَهُمْ ولاَ رَجْعَةَ، فَعَلِمَ كُلُّ عَبْدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ مَغْرُوراً مَخْدُوعاً.

فَسُبْحَانَ اللَّـهِ كَيْفَ بِهِمْ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ.

فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ خَلَّتَانِ: سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وحَسْرَةُ الْفَوْتِ.

فَاغْبَرَّتْ لَهَا وُجُوهُهُمْ، وفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، وعَرِقَتْ لَهَا جِبَاهُهُمْ، وحَرَّكُوا لِمَخْرَجِ أَرْوَاحِهِمْ أَيْدِيَهُمْ.

ثُـمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، ويَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ: فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ، ويَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا، وحُقُوقاً مَنَعَهَا، وقَدْ أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وأَخَذَهَا مِـنْ مُصَرَّحَاتِهَا ومُشْتَبِهَاتِهَا، قَـدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، ويَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، والْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ، وحِسَابُهَا عَلَيْهِ.

والْمَرْءُ قَـدْ غَلِقَـتْ رُهُونُـهُ بِهَـا، فَهُوَيَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِـنْ أَمْرِهِ، ويَـزْهَدُ فِـيمَا كَـانَ يَرْغَـبُ فِـيهِ أَيَّـامَ عُمُـرِهِ، ويَتَمَـنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا، ويَحْسُدُهُ عَلَيْهَا، قَدْ حَازَهَا دُونَهُ.

فَلَـمْ يَـزَلِ الْمَوْتُ بِالْمَرْءِ يَزِيدُهُ ويُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ، حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ وسَمْعَهُ، فَصَارَ بَيْـنَ أَهْلِـهِ لاَ يَـنْطِقُ بِلِسَـانِهِ، ولاَ يَسْـمَعُ بِسَـمْعِهِ، يُـرَدِّدُ طَـرْفَهُ بِالـنَّظَرِ فِـي وُجُوهِهِـمْ، يَـرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، ولاَ يَسْمَعُ رَجْعَ كَلاَمِهِمْ.

ثُـمَّ ازْدَادَ الْمَـوْتُ بِـهِ الْتِيَاطاً، فَقَبَضَ بَصَرَهُ كَمَـا قَـبَضَ سَـمْعَهُ، فَذَهَبَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ، وهَمَلَتْ عِنْدَ ذَلِكَ حُجَّتُهُ.

ومَا زَالَ الْمَوْتُ يَزِيدُهُ حَتَّى خَالَطَ عَقْلَهُ، فَصَارَ لاَ يَعْقِلُ بِعَقْلِه، ولاَ يَسْمَعُ بِسَمْعِه، ولاَ يَنْطِقُ بِلِسَانِه، [ولاَ يُبْصِرُ بِعَيْنِه].

فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحُلْقُومَ.

ثُمَّ زَادَهُ الْمَوْتُ حَتَّى خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِه، فَصَارَ جِيفَةً عِنْدَ أَهْلِه، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِه، وتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِه، لاَ يُسْعِدُ بَاكِياً، ولاَ يُجِيبُ دَاعِياً.

ثُمَّ أَخَذُوا فِي غَسْلِه فَنَزَعُوا عَنْهُ ثِيَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ كَفَّنُوهُ فَلَمْ يُوَزِّرُوهُ، ثُمَّ أَلْبَسُوهُ قَمِيصاً لَمْ يَكْفُوا عَلَيْهِ أَسْفَلَهُ ولَمْ يُزِرُّوهُ.

ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الأَرْضِ فَأَدْخَلُوهُ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ وأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِه، وانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِه، وخَلُّوهُ بِمُفْظِعَاتِ الأُمُورِ، وتَحْتَ مَسْأَلَةِ مُنْكَرَ ونَكِيرٍ، مَعَ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وضِيقِه ووَحْشَتِه. فَذَلِكَ مَثْوَاهُ حَتَّى يَبْلَى جَسَدُهُ، ويَصِيرَ رُفَاتاً رَمِيماً.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، والأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِه، وجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِه، أَمَادَ السَّمَاءَ فَفَتَقَهَا، وفَطَرَهَا، وأَفْزَعَ مَنْ فِيهَا، وبَقِيَ مَلاَئِكَتُهَا قَائِمَةً عَلَى أَرْجَائِهَا.

ثُمَّ وَصَلَ الأَمْرُ إِلَى الأَرَضِينَ، والْخَلْقُ رُفَاتٌ لاَ يَشْعُرُونَ، وأَرَجَّ الأَرْضَ وأَرْجَفَهَا بِهِمْ، وزَلْزَلَهَا عَلَيْهِمْ، وقَلَعَ جِبَالَهَا مِنْ أُصُولِهَا ونَسَفَهَا وسَيَّرَهَا، ودَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِه، ومَخُوفِ سَطْوَتِه، ثُمَّ كَانَتْ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، قَدْ دُكَّتْ هِيَ وأَرْضُهَا دَكَّةً وَاحِدَةً.

وأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاَقِهِمْ، وجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفْرِيقِهِمْ.

ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ تَوْقِيفِهِمْ، ومَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ، وخَبَايَا الأَفْعَالِ.

فَمَنْ أَحْسَنَ مِنْهُمْ يُجْزِيه بِأَعْمَالِه وإِحْسَانِه، ومَنْ أَسَاءَ مِنْهُمْ يُجْزِيه بِإِسَاءَتِه.

ثُمَّ مَيَّزَهُمْ وجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هؤُلاَءِ وانْتَقَمَ مِنْ هؤُلاَءِ.

فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِه، وخَلَّدَهُمْ فِي دَارِه، فَعَيْشٌ رَغَدٌ، ومُجَاوَرَةُ رَبٍّ

كَـريم، ومُـرَافَقَةُ مُحَمَّـد صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ النُّزَّالُ، ولاَ تَتَغَيَّرُ بهمُ الْحَالُ، ولاَ تَـنُوبُهُمُ الأَفْزَاعُ، ولاَ تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ، ولاَ تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ، ولاَ تُشْخِصُهُمُ الأَسْفَارُ.

وأَمَّـا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وخَلَّدَهُمْ فِي النَّارِ، وغَلَّ الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ، وقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ، وأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، ومُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ. في عَذَابٍ قَد اشْتَدَّ حَـرُّهُ، وبَـابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلى أَهْله، في نَارٍ لَهَا كَلَبٌ ولَجَبٌ، ولَهَبٌ سَاطِعٌ، وقَصِيفٌ هَائِلٌ، لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، ولاَ يُفَادى أَسِيرُهَا، ولاَ تُفْصَمُ كُبُولُهَا.

لاَ مُدَّةَ للدَّارِ فَتَفْنى، ولاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضى.

فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمِثْلِ هذَا الثَّوَابِ والعِقَابِ.

مَا لِلنَّاسِ مِنْ هَوْلٍ نَامَ طَالِبُهُ، وأَدْرَكَهُ هَارِبُهُ، أَوتَشَاغَلَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ.

تَشَاغَلَ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ، وتَشَاغَلَ أَهْلُ الآخِرَةِ بِأُخْرَاهُمْ.

فَأَمَّـا أَهْلُ الدُّنْيَا فَأَتْعَبُوا أَبْدَانَهُمْ، ودَنَّسُوا أَعْرَاضَهُمْ، وخَرَجُوا عَنْ دِيَارِهِمْ فِي طَاعَةِ مَخْلُـوقٍ مِثْلِهِمْ، تَعَبَّدُوا لَـهُ، وطَلَبُوا مَا فِي يَدِهِ، وأَذْعَنُوا لَهُ، ووَطِئُوا عَقِبَهُ، فَصَارَ أَحَدُهُمْ يَرْجُوعَبْداً مِثْلَهُ، لاَ يَرْجُواللَّهَ وَحْدَهُ.

يَدَّعِي، بِزَعْمِه، أَنَّهُ يَرْجُواللَّهَ.

كَذَبَ والْعَظِيمِ.

مَا بَالُهُ لاَ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِه.

فَكُـلُّ مَـنْ رَجَـا عُـرِفَ رَجَـاؤُهُ فِـي عَمَلِـه، وكُـلُّ رَجَـاءٍ إِلاَّ رَجَـاءَ الله - تعـالى- فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلاَّ خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ.

يَـرْجُواللَّهَ فِـي الْكَبِـيرِ، ويَرْجُوالْعِبَادَ فِـي الصَّـغِيرِ، ويُعْطِي الْعَبْدَ مَا لاَ يُعْطِي الرَّبَّ، ويَخَافُ الْعَبِيدَ فِي الرَّبِّ، ولاَ يَخَافُ فِي الْعَبِيدِ الرَّبَّ.

فَمَـا بَـالُ الله - جَلَّ ثَنَاؤُهُ- يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِعِبَادِهِ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ

لَهُ كَاذِباً، أَوتَكُونَ لاَ تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً.

وكَذَلِكَ إِنْ هُوخَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِه، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لاَ يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً، وخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَاراً ووَعْداً.

وكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللهِ - تعالى - ، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وصَارَ عَبْداً لَهَا.

وأَمَّا صَاحِبُ الطَّاعَةِ فَاتَّبَعَ أَثَرَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وسَلَكَ مَنَاهِجَهُ.

ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ [الْ]حَسَنَةِ، ودَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وعَيْبِهَا، وكَثْرَةِ مَخَازِيهَا ومَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، ووُطِئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا، وفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا، وزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.

و[قَدْ] عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً، وبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً.

وإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِذْ يَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

واللَّهِ، مَا سَأَلَهُ إِلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ.

ولَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وتَشَذُّبِ لَحْمِهِ.

وإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، ويَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا، ويَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمِ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، ويَلْبَسُ الْخَشِنَ، ويَأْكُلُ الْجَشِبَ.

وكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وظِلاَلُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا، وفَاكِهَتُهُ ورَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ.

ولَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، ولاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، ولاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ، ولاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ

رِجْلاَهُ، وخَادِمُهُ يَدَاهُ.

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ [وَ] اسْتَنَّ بِسُنَّتِه، حينَ حَقَّرَ الدُّنْيَا وصَغَّرَهَا، وأَهْوَنَ بِهَا وهَوَّنَهَا، فَإِنَّ فيه أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى.

وأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ - تعالى - الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، والْمُقْتَصُّ لأَثَرِه، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، ولَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً.

عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمَفَاتِيحِهَا وخَزَائِنِهَا، لاَ يَنْقُصُهُ ذَلِكَ مِنْ حَظِّه مِنَ الآخِرَةِ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وعَلِمَ أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ.

ولَوْلَمْ يَكُنْ فِينَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ، وتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلَّه، ومُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ - تعالى -.

فَلَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، ويَخْصِفُ بِيَدِه نَعْلَهُ، ويَرْقَعُ بِيَدِه ثَوْبَهُ، ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ ويُرْدِفُ خَلْفَهُ.

ويَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِه فَتَكُونُ فِيه التَّصَاوِيرُ، فَيَقُولُ: يَا فُلاَنَةُ، لإِحْدَى أَزْوَاجِه، غَيِّبِيه عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا.

فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِه، وأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِه، وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِه، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، ولاَ يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، أَوَيَرْجُوفِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ.

وكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِه، وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِه.

فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِه، أَكْرَمَ اللهُ - تعالى - مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ بِذَلِكَ أَمْ

أهانَهُ.

فَإنْ قَالَ: أهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ واللَّه الْعَظيم، وأتى بالإفْك الْعَظيم.

وإنْ قَالَ: أكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أنَّ اللَّهَ قَدْ أهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وزَوَاهَا عَنْ أقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ وأعَزِّهِمْ عَلَيْه.

فَتَاسَّى مُتَأسٍّ بنَبيِّه، واقْتَصَّ أثَرَهُ، ووَلَجَ مَوْلِجَهُ، وإلاَّ فَلاَ يَأمَنِ الْهَلَكَةَ.

فَإنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ عَلَماً للسَّاعَة، ومُبَشِّراً بالْجَنَّة، ومُنْذراً بالْعُقُوبَة.

بَلَّغَ عَنْ رَبِّه مُعْذراً، ونَصَحَ لأُمَّته مُنْذراً، ودَعَا إلَى الْجَنَّة مُبَشِّراً، وخَوَّفَ منَ النَّار مُحَذِّراً.

خَرَجَ منَ الدُّنْيَا خَميصاً، ووَرَدَ الآخرَةَ سَليماً.

لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلى حَجَرٍ، ولاَ لَبِنَةَ عَلى لَبِنَةٍ، حَتَّى مَضى لسَبيله، وأجَابَ دَاعيَ رَبِّه.

فَمَا أعْظَمَ منَّةَ اللَّه عنْدَنَا حينَ أنْعَمَ عَلَيْنَا به سَلَفاً نَتَّبعُهُ، وقَائداً نَطَأُ عَقبَهُ.

والْحَمْدُ للَّه الَّذي أكْرَمَنَا بمُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، أرْسَلَهُ رَحْمَةً وحُجَّةً، فَجَلَّتْ ووَصَلَتْ إلَيْنَا نعَمُهُ بنعْمَةٍ أسْبَغَهَا عَلَيْنَا، فَبَلَّغَ رسَالاَتِ رَبِّه، ونَاصَحَ لأُمَّته مُنْذراً ودَاعياً.

فَمَا أعْظَمَ النِّعْمَةَ عَلَيْنَا بمُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

فَبه هَدَانَا اللَّهُ منَ الضَّلاَلَة، واسْتَنْقَذَنَا به منْ جَمَرَات النَّار، وبَصَّرَنَا به منَ الْعَمى، وعَلَّمَنَا بهَ بَعْدَ الْجَهَالَة، وأعَزَّنَا به في خَلَّتنَا، وكَثَّرَنَا به في قلَّتنَا، ورَفَعَ به خَسيسَنَا، ونَحْنُ بَعْدُ نَرْجُو شَفَاعَتَهُ.

واللَّهُ أوْجَبَ حَقَّهُ عَلَيْنَا فَأمَرَنَا بالصَّلاَة عَلَيْه، فَصَلُّوا عَلَيْه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

فلمّا فرغ عليه السلام من الصلاة قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد عظّمت اللّه فلم تأل في تعظيمه، وحمدته فلم تأل في تحميده، وحثثت الأمة وزهّدت ورغّبت.

فقال عليه السلام:

نَحْنُ، أَهْلُ الْبَيْت، شَجَرَةُ النُّبُوَّة، ومَحَطُّ الرِّسَالَة، ومُخْتَلَفُ الْمَلاَئكَة، ومَعَادِنُ الْعِلْمِ، ومَوَاطِنُ الْحِلْمِ، ومَصَابِيحُ الظُّلَمِ، ويَنَابِيعُ الْحِكَمِ.

نَحْنُ أَصْحَابُ رَايَات بَدْر، لاَ يَنْصُرُنَا إلاَّ مُؤْمنٌ، ولاَ يَخْذُلُنَا إلاَّ مُنَافقٌ.

مَنْ نَصَرَنَا نَصَرَهُ اللَّهُ، ومَنْ خَذَلَنَا خَذَلَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا والآخرَة.

وقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ أَقْوَاماً بَايَعُوني وفي قُلُوبهمُ الْغَدْرُ.

أَلاَ وإنّي لَسْتُ أُقَاتلُ إلاَّ مَارقاً يَمْرُقُ منْ دينه، ونَاكثاً بَيْعَته يُريدُ الْمُلْكَ لنَفْسه، يَبيعُ دينَهُ بعَرَضٍ منَ الدُّنْيَا قَليلٍ، وإنَّمَا يُقَاتلُ مَعَنَا مَنْ أَرَادَ الآخرَةَ وسَعى لَهَا سَعْيَهَا.

أَلاَ إنَّ نَاصرَنَا ومُحبَّنَا يَنْتَظرُ في كُلِّ صَبَاحٍ ومَسَاء الرَّحْمَةَ منَ اللَّه، وإنَّ خَاذلَنَا ومُبْغضَنَا يَنْتَظرُ السَّطْوَةَ منَ اللَّه كُلَّ صَبَاحٍ ومَسَاء.

فَلْيُبَشَّرْ وَلِيُّنَا بالأَرْبَاحِ الْوَافرَة، والْجَنَّة الْعَاليَة، ولْيَنْتَظرْ عَدُوُّنَا النَّقْمَةَ في الدُّنْيَا والآخرَة.

خطبة له عليه السلام (٨)

في توحيد اللّه تعالى

ويذكر فيها عجيب خلق الطّاووس والهمجة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه خَالقِ الْعبَاد، وسَاطِحِ الْمهَاد، ومُسيلِ الْوِهَاد، ومُخْصِبِ النِّجَاد.

لَيْسَ لأَوَّلِيَّته ابْتدَاءٌ، ولاَ لأَزَلِيَّته انْقضَاءٌ.

هُوالأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، والْبَاقي بِلاَ أَجَلٍ.

خَرَّتْ لَهُ الْجبَاهُ، ووَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ.

حَدَّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقه لَهَا إِبَانَةً لَهُ منْ شَبَهِهَا.

لاَ تُقَدِّرُهُ الأَوْهَامُ بِالْحُدُود والْحَرَكَات، ولاَ بِالْجَوَارِحِ والأَدَوَات.

لاَ يُقَالُ لَهُ: (مَتى)، ولاَ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِـ(حَتَّى) الظَّاهرُ لاَ يُقَالُ: (ممَّا)، والْبَاطنُ لاَ يُقَالُ: (فيمَا)، ولاَ يَزَالُ (مَهْمَا)، ولاَ مُمَازِجٌ مَعَ (مَا)، ولاَ حَالٌّ بِـ(مَا)، ولاَ خَيَالٌ وَهْماً.

لاَ شَبَحٌ فَيَتَقَضَّى، ولاَ جِسْمٌ فَيَتَجَزَّى، ولاَ بِذي غَايَة فَيَتَنَاهى، ولاَ مَحْجُوبٌ فَيُحْوى، ولاَ مُحْدَثٌ فَيُتَصَرَّفُ، ولاَ مُسْتَتِرٌ فَيُتَكَشَّفُ.

كَانَ ولاَ أَمَاكنَ تَحْملُهُ أَكْنَافُهَا، ولاَ حَمَلَةَ تَرْفَعُهُ بِقُوَّتِهَا، ولاَ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَيُقَالُ: حَادثٌ، بَلْ حَارَتِ الأَوْهَامُ أَنْ تُكَيِّفَ الْمُكَيِّفَ لِلأَشْيَاءِ، ومَنْ لَمْ يَزَلْ بِلاَ مَكَانٍ، ولاَ يَزُولُ بِاخْتلاَفِ الأَزْمَانِ، ولاَ يَغْلبُهُ شَأْنٌ بَعْدَ شَأْنٍ.

الْبَعيدُ مِنْ حَدْسِ الْقُلُوبِ، الْمُتَعَالي عَنِ الأَشْيَاءِ والضُّرُوبِ، الْوِتْرُ، عَلاَّمُ الْغُيُوبِ.

الْمَعْرُوفُ بِغَيْرِ كَيْفِيَّة، فَمَعَانِي الْخَلْقِ عَنْهُ مَنْفِيَّةٌ، وسَرَائِرُهُمْ عَلَيْه غَيْرُ خَفِيَّة.

ولاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، ولاَ تُحِيطُ بِهِ الأَفْكَارُ، ولاَ تُقَدِّرُهُ الْعُقُولُ، ولاَ تَقَعُ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ.

فَكُلُّ مَا قَدَّرَهُ عَقْلٌ أوعُرِفَ لَهُ مِثْلٌ فَهُومَحْدُودٌ.

وكَيْفَ يُوصَفُ بِالأَشْبَاحِ، ويُنْعَتُ بِالأَلْسُنِ الْفِصَاحِ، مَنْ لَمْ يَحْلُلْ فِي الأَشْيَاءِ فَيُقَالُ: هُوفِيهَا كَائِنٌ، ولَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالُ: هُوعَنْهَا بَائِنٌ.

لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، ولَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، بَلْ هُوفِي الأَشْيَاءِ بِلاَ كَيْفِيَّة، وهُوأَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وأَبْعَدُ مِنَ الشَّبَهِ مِنْ كُلِّ بَعِيد.

ولاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَة، ولاَ كُرُورُ لَفْظَة، ولاَ ازْدِلاَفُ رَبْوَة، ولاَ انْبِسَاطُ خُطْوَة، فِي لَيْلٍ دَاجٍ، ولاَ غَسَقٍ سَاجٍ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ، فِي الأُفُولِ والْكُرُورِ، وتَقَلُّبِ الأَزْمِنَةِ والدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ.

قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ ومُدَّة، وكُلِّ إِحْصَاءٍ وعِدَّة.

تَعَالى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الأَقْدَارِ، ونِهَايَاتِ الأَقْطَارِ، وتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ، وتَمَكُّنِ الأَمَاكِنِ.

والْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أوعَرْشٌ، أوسَمَاءٌ أوأَرْضٌ، أوجَانٌّ أوإِنْسٌ.

لاَ يُدْرَكُ بِوَهْمٍ، ولاَ يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، فَهُوالْعَالِمُ بِكُلِّ مَكَانٍ، و[فِي] كُلِّ حِينٍ وأَوَانٍ، وكُلِّ نِهَايَةٍ ومُدَّة، فَالأَمَدُ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، والْحَدُّ إِلى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ.

لَمْ يَخْلُقِ الأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّة، ولاَ مِنْ أَوَائِلَ كَانَتْ مَعَهُ بَدِيَّة، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَتْقَنَ خَلْقَهُ وأَقَامَ حَدَّهُ، وصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ.

فَسُبْحَانَ مَنْ تَوَحَّدَ فِي عُلُوِّهِ، فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، ولاَ لَهُ بِطَاعَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ

انْتِفَاعٌ.

عِلْمُهُ بِالأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ، وعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى.

إِجَابَتُهُ لِلدَّاعِينَ سَرِيعَةٌ، والْمَلاَئِكَةُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِينَ مُطِيعَةٌ.

ولاَ يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، ولاَ يَنْقُصُهُ نَائِلٌ.

ولاَ يُنْظَرُ بِعَيْنٍ، ولاَ يُحَدُّ بِـ (أَيْنٍ)، ولاَ يُوصَفُ بِالأَزْوَاجِ، ولاَ يُخْلَقُ بِعِلاَجٍ، ولاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، ولاَ يُقَاسُ بِالنَّاسِ.

الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً، وأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً، بِلاَ جَوَارِحَ ولاَ أَدَوَاتٍ، ولاَ نُطْقٍ ولاَ لَهَوَاتٍ.

سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَنِ الصِّفَاتِ.

فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَهَ الْخَلْقِ مَحْدُودٌ، فَقَدْ جَهِلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ، ومَنْ ذَكَرَ أَنَّ الأَمَاكِنَ بِهِ تُحِيطُ لَزِمَتْهُ الْحَيْرَةُ والتَّخْلِيطُ.

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، والْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، ومُضَاعَفَاتِ الأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، ووُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وأَجَلٍ مَقْسُومٍ.

تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً، لاَ تُحِيرُ دُعَاءً، ولاَ تَسْمَعُ نِدَاءً.

ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، ولَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا.

فَمَنْ هَدَاكَ لاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلِبَتِكَ وإِرَادَتِكَ.

هَيْهَاتَ، إِنَّ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ والأَدَوَاتِ، فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، ومَنْ تَنَاوَلَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

وكَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ،

الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ، يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ. وَأَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الأَخْضَرُ الْمُتَعَنْجِرُ، وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ.

وَجَبَلَ جَلاَمِيدَهَا وَنُشُوزَ مُتُونِهَا، وَأَطْوَادَهَا، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا، فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا، وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلاَلَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا، وَجَعَلَهَا لِلأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا، مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً، فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ، رَاكِدٍ لاَ يَجْرِي، وَقَائِمٍ لاَ يَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ، وَتَمْخَضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى.

[ثُمَّ] ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنَ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ، عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا، وَرَوَاسِيَ أَعْلاَمِهَا، مِنْ ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرْفِرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ، وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ.

كَوَّنَهَا، بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ، فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً، وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلاَفِهَا فِي الأَصَابِغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ.

فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ لاَ يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ.

وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلاَفِ مَا صُبِغَ بِهِ.

ومِنْ أعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ، الَّذي أقَامَهُ في أحْكَمِ تَعْديد، ونَضَّدَ أَلْوَانَهُ في أحْسَنِ تَنْضيد، بِجَنَاحٍ أشْرَجَ قَصَبَهُ، وذَنَبٍ أطَالَ مَسْحَبَهُ.

إذَا دَرَجَ إلَى الأُنْثى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّه، وسَمَا به مُطلًا عَلى رَأسه، كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ، يَخْتَالُ بِأَلْوَانه، ويَميسُ بِزَيَفَانه، يُفْضي كَإِفْضَاءِ الدّيكَة، ويَؤُرُّ بِمَلاقَحه أرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَة للضِّرَاب.

أُحيلُكَ مِنْ ذلكَ عَلى مُعَايَنَة، لاَ كَمَنْ يُحيلُ عَلى ضَعيف إسْنَاده.

ولَو كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَة تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ في ضَفَّتَي جُفُونه، وأنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لاَ مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِس، لَمَا كَانَ ذَلكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَة الْغُرَاب، تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّة، ومَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجيب دَارَاته وشُمُوسه، خَالِصَ الْعِقْيَان، وفِلَذَ الزِّبَرْجَد.

فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَت الأَرْضُ قُلْتَ: جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَة كُلِّ رَبيع، وإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلاَبِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ، وإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَان قَدْ نُطِقَتْ باللُّجَيْنِ الْمُكَلَّل.

يَمْشي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَال، ويَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وجَنَاحَيْه، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَاله، وأَصَابِغِ وِشَاحه.

فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِه إلَى قَوَائِمَهُ زَقَا مُعْوِلًا بِصَوْت يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَته، ويَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعه، لأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلاَسِيَّة، وقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنُبُوبِ سَاقه صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ.

ولَهُ في مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ، ومَخْرَجُ عُنُقه كَالإِبْرِيق، ومَغْرِزُهَا إلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّة، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَال، وكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ.

إلاَّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ، لِكَثْرَةِ مَائه وشِدَّةِ بَرِيقه، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ به.

ومَعَ فَتْقِ سَمْعِه خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ في لَوْنِ الأُقْحُوانِ، أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوبِبَيَاضِه في سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ.

وقَلَّ صِبْغٌ إلاَّ وقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وعَلاَهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِه وبَرِيقِه، وبَصِيصِ دِيبَاجِه ورَوْنَقِه، فَهُوكَالأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، ولاَ شُمُوسُ قَيْظٍ.

وقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِه، ويَعْرَى مِنْ لِبَاسِه، فَيَسْقُطُ تَتْرَى، ويَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِه انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلاَحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِه قَبْلَ سُقُوطِه، لاَ يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِه، ولاَ يَقَعُ لَوْنٌ في غَيْرِ مَكَانِه.

وإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِه أَرَتْكَ تَارَةً حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً.

فَكَيْفَ تَصِلُ إلى صِفَةِ هذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ، أَوتَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوتَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ، وأَقَلُّ أَجْزَائِه قَدْ أَعْجَزَ الأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، والأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ.

فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاَّهُ لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، ومُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وأَعْجَزَ الأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِه، وقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِه.

وسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ، والْهَمَجَةِ إلى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ والْفِيَلَةِ، ووَأَى عَلى نَفْسِه أَنْ لاَ يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ، إلاَّ وجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، والْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

فَلَورَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَمَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا ولَذَّاتِهَا، وزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، ولَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا في كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وفي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وأَفْنَانِهَا، وطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً في غُلَفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، ويُطَافُ عَلى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، والْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ.

قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادى بِهِمْ، حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وأَمِنُوا نُقْلَةَ الأَسْفَارِ.

فَلَوشَغَلْتَ قَلْبَكَ، أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، بِالْوُصُولِ إِلى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، ولَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسي هذَا إِلى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا.

جَعَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعى بِقَلْبِهِ إِلى مَنَازِلِ الأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

خطبة له عليه السلام (٩)

في عظمة الله تعالى

ويذكر فيها بديع خلقة الخفّاش والذرّة والجرادة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّه الَّذي انْحَسَرَتِ الأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِه، ورَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِه.

هُواللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ.

لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، ولَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا.

خَلَقَ الْخَلْقَ عَلى غَيْرِ تَمْثِيلٍ، ولاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ، ولاَ مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِه، وأَذْعَنَ لِطَاعَتِه، فَأَجَابَ ولَمْ يُدَافِعْ، وانْقَادَ ولَمْ يُنَازِعْ.

وأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ، فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا، وعَدَّدَ قِسَمَهَا، فَبَلَّ الأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

ولَوفَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، ولكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ، والْبَصَائِرَ مَدْخُولَةٌ.

فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لأَمْرِه، أَحْصى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا والنَّفَسَ، وأَرْسى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدى والْيَبَسِ، وقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وأَحْصى أَجْنَاسَهَا.

فَهذَا غُرَابٌ، وهذَا عُقَابٌ، وهذَا حَمَامٌ، وهذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِه، وتَكَفَّلَ لَهُ بِرِزْقِه.

أَلاَ يَنْظُرُونَ إِلى صَغيرِ مَا خَلَقَ اللَّهُ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وأَتْقَنَ تَرْكيبَهُ، وفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ والْبَصَرَ، وسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ والْبَشَرَ.

أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَة في صِغَرِ جُثَّتِهَا، ولَطَافَة هَيْئَتِهَا، لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، ولاَ بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلى أَرْضِهَا، وصُبَّتْ عَلى رِزْقِهَا.

تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلى حُجْرِهَا، وتُعِدُّهَا في مُسْتَقَرِّهَا.

تَجْمَعُ في حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وفي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا.

مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا، لاَ يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، ولاَ يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، ولَوفي الصَّفَا الْيَابِسِ، والْحَجَرِ الْجَامِسِ.

ولَوفَكَّرْتَ في مَجَارِي أَكْلِهَا، وفي عُلْوِهَا وسُفْلِهَا، ومَا في الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، ومَا في الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، ولَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً.

فَتَعَالَى اللَّهُ الَّذي أَقَامَهَا عَلى قَوَائِمِهَا، وبَنَاهَا عَلى دَعَائِمِهَا، لَمْ يَشْرَكْهُ في فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، ولَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ. لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ، لاَ مَعْبُودَ سِوَاهُ.

ولَوضَرَبْتَ في مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلاَلَةُ إِلاَّ عَلى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوفَاطِرُ النَّخْلَة، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وغَامِضِ اخْتِلاَفِ كُلِّ حَيٍّ.

ومَا الْجَلِيلُ واللَّطِيفُ، والثَّقِيلُ والْخَفِيفُ، والْقَوِيُّ والضَّعِيفُ، في خَلْقِهِ، إِلاَّ سَوَاءٌ.

وكَذَلِكَ السَّمَاءُ والْهَوَاءُ والرِّيَاحُ والْمَاءُ.

فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ والْقَمَرِ، والنَّبَاتِ والشَّجَرِ، والْمَاءِ والْحَجَرِ، واخْتِلاَفِ هذَا اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وتَفَجُّرِ هذِهِ الْبِحَارِ، وكَثْرَةِ هذِهِ الْجِبَالِ، وطُولِ هذِهِ الْقِلاَلِ، وتَفَرُّقِ هذِهِ اللُّغَاتِ، والأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ.

فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ، وجَحَدَ الْمُدَبِّرَ.

زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، ولاَ لاِخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ.

ولَمْ يَلْجَؤُوا إِلى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، ولاَ تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا.

وهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ، أوجِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ.

وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، ونَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، ومِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ، يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، ولاَ يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا، ولَوأَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا، وتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا، وخَلْقُهَا كُلُّهُ لاَ يَكُونُ إِلاَّ إِصْبَعاً مُسْتَدَقَّةً.

ومِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِه، وعَجَائِبِ خلْقَتِه، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هذه الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، ويَبْسُطُهَا الظَّلاَمُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وتَتَّصِلَ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا، ورَدَعَهَا بِتَلأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ ائْتِلاَقِهَا، فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا، وجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلاَ يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِه، ولاَ تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِه. فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، ودَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا، أَطْبَقَتِ الأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا، وتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً ومَعَاشاً، والنَّهَارَ سَكَناً وقَرَاراً، وجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَظَايَا الآذَانِ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ ولاَ قَصَبٍ، إِلاَّ أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً.

لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، ولَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ.

تَطِيرُ ووَلَدُهَا لاَ صِقٌ بِهَا، لاَجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، ويَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لاَ يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، ويَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، ويَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِه، ومَصَالِحَ نَفْسِه.

فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ.

[وَ] تَبَارَكَ الَّذي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمواتِ والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً، ويُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً ووَجْهاً، ويُلْقي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وضَعْفاً، ويُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وخَوْفاً.

خطبة له عليه السلام (١٠)

في قدرة اللّه تعالى والحثّ على التقوى والعمل الصالح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه الْمَعْرُوف مِنْ غَيْرِ رُؤْيَة، والْخَالق مِنْ غَيْرِ رَوِيَّة، الَّذي لَمْ يَزَلْ قَائماً دَائماً، إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، ولاَ حُجُبٌ ذَاتُ أَرْتَاجٍ، ولاَ لَيْلٌ دَاجٍ، ولاَ بَحْرٌ سَاجٍ، ولاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، ولاَ فَجٌّ ذُواعْوِجَاجٍ، ولاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَاد، ولاَ خَلْقٌ ذُواعْتِمَاد، ذَلكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ ووَارِثُهُ، وإِلهُ الْخَلْقِ ورَازِقُهُ، والشَّمْسُ والْقَمَرُ دَائِبَانِ في مَرْضَاتِه، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَديد، ويُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعيد.

خَلَقَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِه، واسْتَعْبَدَ الأَرْبَابَ بِعِزَّتِه، وسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِه، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وأَحْصَى آثَارَهُمْ وأَعْمَالَهُمْ، وعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ، وخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، ومَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، ومُسْتَقَرَّهُمْ ومُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الأَرْحَامِ والظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهى بِهِمُ الْغَايَاتُ.

أَحْمَدُهُ إِلى نَفْسِه كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلى خَلْقِه، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ غَيْرُ مَعْدُول به، ولاَ مَشْكُوك فيه، ولاَ مَكْفُور دينُهُ، ولاَ مَجْحُود تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وخَلَصَ يَقِينُهُ، وثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، الْمُجْتَبى مِنْ خَلاَئقه، والْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائقه، والْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِه، والْمُصْطَفى لِكَرَائِمِ رِسَالاَتِه، والْمُوضَحَةُ بِه أَشْرَاطُ الْهُدى، والْمَجْلُوبِه غَرْبِيبُ الْعَمى.

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذي إِنْ هَرَبْتُمْ أَدْرَكَكُمْ، وإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّه مِفْتَاحُ سَدَاد، وذَخِيرَةُ مَعَاد، وعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَة، ونَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَة، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، ويَنْجُو الْهَارِبُ، وتُنَالُ الرَّغَائِبُ.

فَاعْمَلُوا والْعَمَلُ يُرْفَعُ، والتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، والدُّعَاءُ يُسْمَعُ، والْحَالُ هَادِئَةٌ، والأَقْلاَمُ جَارِيَةٌ.

وبَادِرُوا بالأَعْمَال عُمُراً نَاكِساً، أومَرَضاً حَابِساً، أومَوْتاً خَالِساً، فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، ومُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، ومُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ، ومُفَرِّقُ جَمَاعَاتِكُمْ.

زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوب، وقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوب، ووَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوب، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ، وأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ، وعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ، وقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِه، واحْتِدَامُ عِلَلِه، وحَنَادِسُ غَمَرَاتِه، وغَوَاشِي سَكَرَاتِه، وأَلِيمُ إِرْهَاقِه، ودُجُوُّ أَطْبَاقِه، وجُشُوبَةُ مَذَاقِه.

فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ، وفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ، وعَفَّى آثَارَكُمْ، وعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ: بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ.

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ والاجْتِهَاد، والتَّأَهُّب والاسْتِعْدَاد، والتَّزَوُّد فِي مَنْزِل الزَّاد، لِيَوْمٍ تَقْدُمُونَ عَلَيْه عَلَى مَا تُقَدِّمُونَ، وتَنْدَمُونَ عَلَى مَا تُخَلِّفُونَ، وتُجْزَوْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُسْلِفُونَ.

ولاَ تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، مِنَ الأُمَمِ الْمَاضِيَة، والْقُرُونِ الْخَالِيَة، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا.

أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً، وأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً.

لاَ يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، ولاَ يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، ولاَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ.

فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لاَ يَدُومُ رَخَاؤُهَا،

ولاَ يَنْقَضي عَنَاؤُهَا، ولاَ يَرْكَدُ بَلاَؤُهَا.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا، والْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، ولاَ تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فيهَا، وتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا.

وأَيْمُ اللَّه إِنَّهَا سَتُورِثُ غَداً أَقْوَاماً النَّدَامَةَ والْحَسْرَةَ، بِإِقْبَالِهِمْ عَلَيْهَا، وتَنَافُسِهِمْ فيهَا، وحَسَدِهِمْ وبَغْيِهِمْ عَلى أَهْلِ الدِّينِ والْفَضْلِ فيهَا ظُلْماً وعُدْوَاناً وبَغْياً وأَشراً وبَطَراً.

وأَيْمُ اللَّه، إِنَّهُ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ في غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلاَّ بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، مِنْ بَعْدِ تَغْيِيرٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وتَحْوِيلٍ عَنْ طَاعَةِ اللَّه، وقِلَّةِ مُحَافَظَةٍ، وتَرْكِ مُرَاقَبَةِ الله - جَل وعَزَّ -، وتَهَاوُنٍ بِشُكْرِ نِعَمِ اللَّه.

لأَنَّ الله - عَزَّ وجل - يَقُولُ في مُحْكَمِ كِتَابِه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ**﴾.

لأَنَّ الله - تعالى - لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيد.

ولَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، أَيْقَنُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الله (جَلَّ ذِكْرُهُ) بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، فَأَقْلَعُوا وتَابُوا، وفَزِعُوا إِلَى اللَّه رَبِّهِمْ - جَلَّ ذِكْرُهُ - بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، ووَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وإِخْلاَصٍ مِنْ سَرَائِرِهِمْ، وإِقْرَارٍ مِنْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وإِسَاءَتِهِمْ، لَصَفَحَ لَهُمْ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وإِذاً لأَقَالَهُمْ كُلَّ عَثْرَةٍ، ولَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِد.

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، والتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ، مَا لي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّه ذَاهِبِينَ، وإِلى غَيْرِه رَاغِبِينَ.

كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلى مَرْعًى وَبِيٍّ، ومَشْرَبٍ دَوِيٍّ، وإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لاَ تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا، إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وشِبَعَهَا أَمْرَهَا.

عِبَادَ اللَّه، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا،

وتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضيقِ الْخنَاقِ، وانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ.

واعْلَمُوا أَنَّ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلى نَفْسِه حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وزَاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ ولاَ وَاعِظٌ، ومَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ بِغَيْرِ الدُّنْيَا وصُرُوفِهَا لَمْ تَنْجَعْ فيه الْمَوَاعِظُ، ومَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِه زَاجِرٌ كَانَ عَلَيْه مِنَ الله - سُبْحَانَهُ - حَافِظٌ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، أَيُّهَا النَّاسُ، حَقَّ تُقَاتِه، واسْتَشْعِرُوا خَوْفَ الله - جَلَّ ذِكْرُهُ -، وأَخْلِصُوا النَّفْسَ، وتُوبُوا إِلَيْه مِنْ قَبِيحِ مَا اسْتَفَزَّكُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ قِتَالِ وَلِيِّ الأَمْرِ وأَهْلِ الْعِلْمِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، ومَا تَعَاوَنْتُمْ عَلَيْه مِنْ تَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ، وتَشْتِيتِ الأَمْرِ، وفَسَادِ صَلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِه ويَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ ويَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

خطبة له عليه السلام (١١)

المعروفة بالقاصعة

في ذمّ إبليس على استكباره والتحذير من التعزّز والتكبّر

بِسْمِ اللَّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي لَبِسَ الْعزَّ والْكبْرِيَاءَ واخْتَارَهُمَا لنَفْسه دُونَ خَلْقه، وجَعَلَهُمَا حمىً وحَرَماً عَلى غَيْره، واصْطَفَاهُمَا لجَلاَله، وجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلى مَنْ نَازَعَهُ فيهمَا منْ عبَاده. ثُمَّ اخْتَبَرَ بذَلكَ مَلاَئكَتَهُ الْمُقَرَّبينَ، ليَميزَ الْمُتَوَاضعينَ منْهُمْ منَ الْمُتَكَبّرينَ، فَقَالَ- سُبْحَانَهُ - وهُوالْعَالمُ بمُضْمَرَات الْقُلُوب ومَحْجُوبَات الْغُيُوب: إنّي خالقٌ بَشَراً منْ طين فَإذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فيه منْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجدينَ فَسَجَدَ الْمَلائكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إلاَّ إبْليسَ، اعْتَرَضَتْهُ الْحَميَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلى آدَمَ بخَلْقه، وتَعَصَّبَ عَلَيْه لأَصْله.

فَعَدُواللَّه إمَامُ الْمُتَعَصّبينَ، وسَلَفُ الْمُسْتَكْبرينَ، الَّذي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبيَّة، ونَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْريَّة، وادَّرَعَ لبَاسَ التَّعَزُّز، وخَلَعَ قنَاعَ التَّذَلُّل.

ألاَ تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بتَكَبُّره، ووَضَعَهُ بتَرَفُّعه، فَجَعَلَهُ في الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وأَعَدَّ لَهُ في الآخرَة سَعيراً.

ولَوأَرَادَ الله - سُبْحَانَهُ - أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ منْ نُور يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضيَاؤُهُ، ويَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ، وطيب يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ، لَفَعَلَ، ولَوفَعَلَ لَظَلَّت الأَعْنَاقُ لَهُ خَاضعَةً، ولَخَفَّت الْبَلْوى فيه عَلَى الْمَلاَئكَة.

ولكنَّ الله - سُبْحَانَهُ - يَبْتَلي خَلْقَهُ ببَعْض مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْييزاً بالاخْتبَار لَهُمْ،

ونَفْياً للاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وإبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإبْلِيسَ، إذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وجُهْدَهُ الْجَهِيدَ الْجَمِيلَ، وكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - سِتَّةَ آلاَفِ سَنَةٍ، لاَ يُدْرى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الآخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَمَنْ ذَا بَعْدَ إبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ.

كَلاَّ، مَا كَانَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً.

إنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ، ومَا بَيْنَ اللَّهِ وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاحْذَرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، عَدُوَّ اللَّهِ إبْلِيسَ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ، وأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ.

فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وأَغْرَقَ إلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، ورَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وقَالَ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ولأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، ورَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وإخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ.

حَتَّى إذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، واسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتْ فِيهِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إلَى الأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، ودَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ ولَجَاتِ الذُّلِّ، وأَحَلُّوكُمْ ورَطَاتِ الْقَتْلِ، وأَوْطَؤُوكُمْ إثْخَانَ الْجِرَاحَةِ، طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ، وحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ، ودَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً، وأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ.

فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، ولَهُ جِدَّكُمْ، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، ووَقَعَ فِي

حَسَبِكُمْ، ودَفَعَ في نَسَبِكُمْ، وأجْلَبَ بخَيْلِه عَلَيْكُمْ، وقَصَدَ برَجِله سَبيلَكُمْ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بكُلِّ مَكَانٍ، ويَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، ولاَ تَمْتَنِعُونَ بحِيلَةٍ، ولاَ تَدْفَعُونَ بعَزِيمَةٍ في حَوْمَةِ ذُلٍّ، وحَلْقَةِ ضِيقٍ، وعَرْصَةِ مَوْتٍ، وجَوْلَةِ بَلاَءٍ.

فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ في قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ في الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِه، ونَزَغَاتِه ونَفَثَاتِه، واعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ.

واتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وجُنُودِه، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وأَعْوَاناً، ورَجْلًا وفُرْسَاناً.

ولاَ تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّه مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فيه، سوى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بنَفْسِه مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ والْحَسَبِ، وقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ في قَلْبِه مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، ونَفَخَ الشَّيْطَانُ في أَنْفِه مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ، الَّذي أَعْقَبَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - بِه النَّدَامَةَ، وأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَلاَ وقَدْ أَمْعَنْتُمْ في الْغَيِّ، وأَفْسَدْتُمْ في الأَرْضِ، مُصَارَحَةً للَّه بالْمُنَاصَبَةِ، ومُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بالْمُحَارَبَةِ.

فَاللَّهَ اللَّهَ في كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَآنِ، ومَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا في حَنَادِسِ جَهَالَتِه، ومَهَاوِي ضَلاَلَتِه، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِه، سُلُساً في قِيَادِه، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فيه، وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْه، وكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ به.

أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمُ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَلَى حَسَبِهِمْ، وتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِه، ومُغَالَبَةً لآلاَئِه، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، ودَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ.

فَاتَّقُوا اللهَ - سُبْحَانَهُ - ولاَ تَكُونُوا لِنعَمه عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، ولاَ لِفَضْله عِنْدَكُمْ حُسَّاداً، ولاَ تُطيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وأَدْخَلْتُمْ في حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوق، وأَحْلاَسُ الْعُقُوق.

إِتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَل، وجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاس، وتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ، ودُخُولًا في عُيُونِكُمْ، ونَفْثاً في أَسْمَاعِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمى نَبْلِه، ومَوْطِئَ قَدَمِه، ومَأْخَذَ يَدِه.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّه وصَوْلاَتِه، ووَقَائِعِه ومَثُلاَتِه، واتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ، ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ.

واسْتَعِيذُوا بِاللَّه مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، واسْتَعِدُّوا لِمُجَاهَدَتِه حَسَبَ الطَّاقَة.

فَلَوْرَخَّصَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - في الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِه لَرَخَّصَ فيه لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِه وأَوْلِيَائِه، ولكِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - كَرِّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، ورَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وعَفَّرُوا في التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ.

قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، ومَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِه.

فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَا والسَّخَطَ بِالْمَالِ والْوَلَدِ، جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ والاخْتِبَارِ، في مَوَاضِعِ الْغِنى والاقْتِدَارِ، فَقَدْ قَالَ - سُبْحَانَهُ وتعالى -: ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وبَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ**﴾.

فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ في أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِه الْمُسْتَضْعَفِينَ في أَعْيُنِهِمْ.

ولَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ومَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ عَلى فِرْعَوْنَ

وعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوف، وبأيْديهِمَا الْعصيُّ، فَشَرَطَا لَهُ، إنْ أسْلَمَ، بَقَاءَ مُلْكه ودَوَامَ عزِّه.

فَقَالَ: ألاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هذَيْنِ، يَشْرِطَانِ لي دَوَامَ الْعِزِّ وبَقَاءَ الْمُلْك، وهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ والذُّلِّ.

فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَب. إعْظَاماً للذَّهَبِ وجَمْعِه، واحْتِقَاراً للصُّوف ولُبْسِه.

ولَوأرَادَ الله - سُبْحَانَهُ- بأنْبِيَائه، حَيْثُ بَعَثَهُمْ، أنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهْبَان، ومَعَادِنَ الْعِقْيَان، ومَغَارِسَ الْجِنَان، وأنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاء، ووُحُوشَ الأَرَضِينَ، لَفَعَلَ.

ولَوفَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ، وبَطَلَ الْجَزَاءُ، واضْمَحَلَّت الأَنْبَاءُ، ولَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ، ولاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، ولاَ لَزِمَت الأَسْمَاءُ أَهَالِيهَا عَلى مَعَانِيهَا.

وكَذَلِكَ لَوأنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماء آيَةً فَظَلَّتْ أعْنَاقُهُمْ لَها خاضِعِينَ، ولَوفَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلْوى عَنِ النَّاسِ أجْمَعِينَ.

ولكِنَّ الله - سُبْحَانَهُ- جَعَلَ رُسُلَهُ أُولي قُوَّةٍ في عَزَائِمِ نِيَّاتِهِمْ، وَضَعَفَةً فيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ والْعُيُونَ غِنىً، وخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ والأَسْمَاعَ أذىً.

ولَوكَانَت الأَنْبِيَاءُ أهْلَ قُوَّةٍ لاَ تُرَامُ، وعِزَّةٍ لاَ تُضَامُ، ومُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أعْنَاقُ الرِّجَال، وتُشَدُّ إلَيْه عُقَدُ الرِّحَال، لَكَانَ ذَلِكَ أهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ في الاعْتِبَار، وأبْعَدَ لَهُمْ في الاسْتِكْبَار، ولآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أورَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، والْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً.

ولكِنَّ الله - سُبْحَانَهُ- أرَادَ أنْ يَكُونَ الاتِّبَاعُ لِرُسُلِه، والتَّصْدِيقُ بِكُتُبِه، والْخُشُوعُ لِوَجْهِه، والاسْتِكَانَةُ لأمْرِه، والاسْتِسْلاَمُ لِطَاعَتِه، أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً، لاَ تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ.

وكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوى والاخْتِبَارُ أعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ والْجَزَاءُ أجْزَلَ.

أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ الله - سُبْحَانَهُ- اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلاَ تُبْصِرُ وَلاَ تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْنَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً.

ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وَأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، وَأَغْلَظِ مَحَالِّ الْمُسْلِمِينَ مِيَاهاً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَقُرىً مُنْقَطِعَةٍ، وَأَثَرٍ مِنْ مَوَاضِعِ قَطْرِ السَّمَاءِ دَائِرٍ، لاَ يَزْكُوبِهَا خُفٌّ وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ.

ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ.

تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا، يُهَلِّلُونَ لِلَّه حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ، قَدْ نَبَذُوا الْقُنَعَ وَالسَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلاَءً عَظِيماً، وَامْتِحَاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً.

جَعَلَهُ الله - تعالى- سَبَباً لِرَحْمَتِه، وَعِلَّةً لِمَغْفِرَتِه، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِه.

وَلَوْ أَرَادَ- سُبْحَانَهُ - أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمِّ الأَشْجَارِ، دَانِي الثِّمَارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَى، مُتَّصِلِ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَزُرُوعٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، وَحَدَائِقَ كَثِيرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ.

وَلَوْ كَانَ الإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ.

وَلَكِنَّ الله - سُبْحَانَهُ - يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَلْوَانِ الْمَجَاهِدِ،

ويَبْتَليهِمْ بضُرُوب الْمَكَارِه، إخْرَاجاً للتَّكَبُّر منْ قُلُوبهِمْ، وإسْكَاناً للتَّذَلُّل في نُفُوسهِمْ، ولِيَجْعَلَ ذَلكَ أبْوَاباً فُتَحاً إلى فَضْله، وأسْبَاباً ذُلُلًا لعَفْوه كَمَا قَالَ: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ ولَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾.

فَاللَّهَ اللَّهَ في عَاجِلِ الْبَغْي، وآجِلِ وخَامَة الظُّلْم، وسُوء عَاقبَة الْكبْر، فَإنَّهَا مَصْيَدَةُ إبْليسَ الْعُظْمى، ومَكيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَال مُسَاوَرَةَ السُّمُوم الْقَاتلَة، فَمَا تُكْدي أبَداً، ولاَ تُشْوي أحَداً، لاَ عَالماً لعلْمه، ولاَ مُقلًا في طمْره.

وعَنْ ذَلكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عبَادَهُ الْمُؤْمنينَ بالصَّلاَة والزَّكَاة، ومُجَاهَدَة الصِّيَام في الأيَّام الْمَفْرُوضَات، تَسْكيناً لأطْرَافهِمْ، وتَخْشيعاً لأبْصَارهِمْ، وتَذْليلًا لنُفُوسهِمْ، وتَخْفيضاً لقُلُوبهِمْ، وإذْهَاباً للْخُيَلاَء عَنْهُمْ، لمَا في ذَلكَ منْ تَعْفير عتَاق الْوُجُوه بالتُّرَاب تَوَاضُعاً، وإلْصَاق كَرَائم الْجَوَارح بالأرْض تَصَاغُراً، ولُحُوق الْبُطُون بالْمُتُون منَ الصِّيَام تَذَلُّلًا، مَعَ مَا في الزَّكَاة منْ صَرْف ثَمَرَات الأرْض وغَيْر ذَلكَ إلى أهْل الْمَسْكَنَة والْفَقْر.

أنْظُرُوا إلى مَا في هذه الأفْعَال منْ قَمْع نَوَاجم الْفَخْر، وقَدْع طَوَالع الْكبْر.

ولَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أحَداً منَ الْعَالَمينَ يَتَعَصَّبُ لشَيْء منَ الأشْيَاء إلاَّ عَنْ علَّة تَحْتَملُ تَمْويهَ الْجُهَلاَء، أوحُجَّة تَليطُ بعُقُول السُّفَهَاء، غَيْرَكُمْ، فَإنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لأمْر مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ ولاَ علَّةٌ.

أمَّا إبْليسُ فَتَعَصَّبَ عَلى آدَمَ لأصْله، وطَعَنَ عَلَيْه في خلْقَته، فَقَالَ: أنَا نَاريٌّ وأنْتَ طينيٌّ.

وأمَّا الأغْنيَاءُ منْ مُتْرَفَة الأمَم، فَتَعَصَّبُوا لآثَار مَوَاقع النِّعَم، فَقَالُوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وأَوْلاداً وما نَحْنُ بمُعَذَّبينَ﴾.

فَإنْ كَانَ لاَ بُدَّ منَ الْعَصَبيَّة، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لمَكَارم الأخْلاق، ومَحَامد الأفْعَال، ومَحَاسن الأمُور، الَّتي تَفَاضَلَتْ فيهَا الْمُجْدَاءُ والنُّجَدَاءُ، منْ بُيُوتَات الْعَرَب، ويَعَاسيب

الْقَبَائِلِ، بِالأَخْلاَقِ الرَّغِيبَةِ، والأَحْلاَمِ الْعَظِيمَةِ، والأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، والآثَارِ الْمَحْمُودَةِ.

فَتَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ الْحَمْدِ، مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، والْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، والطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، والْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، والأَخْذِ بِالْفَضْلِ، والْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، والإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، والإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، والْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، واجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ.

واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلاَتِ، بِسُوءِ الأَفْعَالِ، وذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ والشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، واحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ.

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ حَالَهُمْ، وزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، ومُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، ووَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ، مِنَ الاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، واللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ، والتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، والتَّوَاصِي بِهَا، واجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وتَخَاذُلِ الأَيْدِي.

وتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ والْبَلاَءِ.

أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلاَئِقِ أَعْبَاءً، وأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاَءً، وأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً.

إِتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً، فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وقَهْرِ الْغَلَبَةِ، لاَ يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، ولاَ سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ.

حَتَّى إِذَا رَأَى اللهُ - سُبْحَانَهُ - جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، والاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاَءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، والأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وأَئِمَّةً أَعْلاَماً، وبَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلاَءُ مُجْتَمِعَةً، والأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، والْقُلُوبُ

مُعْتَدِلَةً، والأَيْدي مُتَرَادِفَةً، والسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، والْبَصَائِرُ نَافِذَةً، والْعَزَائِمُ وَاحِدَةً.

أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً في أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، ومُلُوكاً عَلى رِقَابِ الْعَالَمِينَ.

وانْظُرُوا إلى مَا صَارُوا إِلَيْهِ في آخِرِ أُمُورِهِمْ، حينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ، واخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ والأَفْئِدَةُ، وتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وبَقِّيَ قَصَصَ أَخْبَارِهِمْ فيكُمْ، عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ، وبَنِي إِسْحَاقَ، وبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ، وأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ.

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ في حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ والْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ، وبَحْرِ الْعِرَاقِ، وخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلى مَنَابِتِ الشِّيحِ، ومَهَافِي الرِّيحِ، ونَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ، إِخْوَانَ دَبِرٍ ووَبَرٍ.

أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً، وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لاَ يَأْوُونَ إِلى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، ولاَ إِلى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلى عِزِّهَا.

فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدي مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، في بَلاَءِ أَزْلٍ، وأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتِ مَوْؤُدَةٍ، وأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ.

فَانْظُرُوا إِلى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وجَمَعَ عَلى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، والْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ في عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا في نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وفي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ.

قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ في ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ في ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، ومُلُوكٌ في أَطْرَافِ الأَرَضِينَ، يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، ويُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ

كَانَ يُمْضيهَا فيهِمْ. لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، ولاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ.

أَلاَ وإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ- قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هذِهِ الأُمَّةِ، فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هذِهِ الأُلْفَةِ الَّتِي يَتَنَقَّلُونَ فِي ظِلِّهَا، ويَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

واعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وبَعْدَ الْمُوَالاَةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ بِاسْمِهِ، ولاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلاَّ رَسْمَهُ.

تَقُولُونَ: النَّارَ ولاَ الْعَارَ.

كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، ونَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ.

وإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لاَ جِبْرَائِيلَ ولاَ مِيكَائِيلَ، ولاَ مُهَاجِرِينَ ولاَ أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلاَّ الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ - تعالى- وقَوَارِعِهِ، وأَيَّامِهِ ووَقَائِعِهِ، فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ، وتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، ويَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى- لَمْ يَلْعَنِ الْقَرُونَ الْمَاضِيَةَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلاَّ لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، والْحُكَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي.

أَلاَ وقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلاَمِ، وعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ.

أَلاَ وقَدْ أَمَرَنِيَ اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ والنَّكْثِ والْفَسَادِ فِي الأَرْضِ.

فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ.

وأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ.

وأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ.

وأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ، ورَجَّةُ صَدْرِهِ.

وبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، ولَئِنْ أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ، إِلاَّ مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ تَشَذُّراً.

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاَكِلِ الْعَرَبِ، وكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ ومُضَرَ.

وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ.

وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وأَنَا وَلَدٌ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، ويُمِسُّنِي جَسَدَهُ، ويُشِمُّنِي عَرْفَهُ.

وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه.

ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، ولاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ.

ولَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِه، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، ومَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ ونَهَارَهُ.

ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَماً مِنْ أَخْلاَقِهِ، ويَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ.

ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ ولاَ يَرَاهُ غَيْرِي.

ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ، وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ.

فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ.

ولَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً، لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ ولاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، ونَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ

أنتَ أجَبْتَنا إلَيْه وأرَيْتَناهُ عَلِمْنا أنَّكَ نَبيٌّ ورَسُولٌ، وإنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنا أنَّكَ ساحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ: ومَا تَسْألُونَ.

قَالُوا: تَدْعُولَنا هذه الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ: إنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، فَإنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ، أتُؤْمِنُونَ وتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ.

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَإنّي سَأُريكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإنّي لأَعْلَمُ أنَّكُمْ لاَ تَفيئُونَ إلى خَيْرٍ، وأنَّ فيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ في الْقَليب، ومَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ.

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ: يَا أيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إنْ كُنْتِ تُؤْمنينَ باللَّه والْيَوْمِ الآخِرِ، وتَعْلَمينَ أنّي رَسُولُ اللَّه فَانْقَلعي بِعُرُوقك حَتَّى تَقفي بَيْنَ يَدَيَّ بِإذْنِ اللَّه.

فَوالَّذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيّاً، لانْقَلَعَتِ الشَّجَرَةُ بِعُرُوقِهَا، وجَاءَتْ ولَهَا دَوِيٌّ شَديدٌ، وقَصْفٌ كَقَصْف أجْنحَة الطَّيْر، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ مُرَفْرِفَةً، وألْقَتْ بِغُصْنِهَا الأعْلى عَلى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، وبِبَعْضِ أغْصَانِهَا عَلى مَنْكِبي، وكُنْتُ عَنْ يَمينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إلى ذَلكَ قَالُوا، عُلُوّاً واسْتِكْباراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتكَ نِصْفُهَا، ويَبْقى نِصْفُهَا.

فَأمَرَهَا بِذَلكَ.

فَأقْبَلَ إلَيْه نِصْفُهَا كَأعْجَبِ إقْبَالٍ وأشَدِّه دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

فَقَالُوا، كُفْراً وعُتُوّاً: فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إلى نِصْفِه كَمَا كَانَ.

فَأمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ فَرَجَعَ.

فَقُلْتُ أنَا: لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ، إنّي أوَّلُ مُؤْمنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّه، وأوَّلُ مَنْ أقَرَّ بِأنَّ

الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ الله - تعالى - تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ، وإِجْلاَلًا لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ.

وهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هذَا. يَعْنُونَنِي.

وإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ.

سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ الأَبْرَارِ.

عُمَّارُ اللَّيْلِ، ومَنَارُ النَّهَارِ.

مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وسُنَنَ رَسُولِهِ.

لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ولاَ يَعْلُونَ، ولاَ يَغُلُّونَ ولاَ يُفْسِدُونَ.

قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

خطبة له عليه السلام (١٢)

وهي المعروفة بالوسيلة

ويذكر فيها فضل الإسلام ويصف مقامه عليه السّلام يوم القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي مَنَعَ الأَوْهَامَ أنْ تَنَالَ وُجُودَهُ، وحَجَبَ الْعُقُولَ أنْ تَتَخَيَّلَ ذَاتَهُ، لامْتِنَاعِهَا مِنَ الشَّبَهِ والْمُشَاكِلِ، والنَّظيرِ والمُمَاثِلِ، بَلْ هُوالَّذي لَمْ يَتَفَاوَتْ في ذَاتِه، ولَمْ يَتَبَعَّضْ بِتَجْزِئَةِ الْعَدَدِ في كَمَالِه.

فَارَقَ الأَشْيَاءَ لاَ عَلَى اخْتِلاَفِ الأَمَاكِنِ، وتَمَكَّنَ مِنْهَا لاَ عَلى وَجْهِ الْحُلُولِ والْمُمَازَجَةِ، وعَلِمَهَا لاَ بِأَدَاةٍ لاَ يَكُونُ الْعِلْمُ إلاَّ بِهَا، ولَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَعْلُومِه عِلْمٌ غَيْرُهُ.

إنْ قِيلَ: (كَانَ) فَعَلَى تَأْوِيلِ أزَلِيَّةِ الْوُجُودِ، وإنْ قِيلَ: «لَمْ يَزَلْ» فَعَلَى تَأْوِيلِ نَفْيِ الْعَدَمِ.

فَسُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَنْ قَوْلِ مَنْ عَبَدَ سِوَاهُ واتَّخَذَ إلهاً غَيْرَهُ عُلُوّاً كَبِيراً.

أَحْمَدُهُ بِالْحَمْدِ الَّذي ارْتَضَاهُ مِنْ خَلْقِه، وأَوْجَبَ قَبُولَهُ عَلى نَفْسِه، وأَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، شَهَادَتَانِ تَرْفَعَانِ الْقَوْلَ وتُضَاعِفَانِ الْعَمَلَ.

خَفَّ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ مِنْهُ، وثَقُلَ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيه.

وبِهِمَا الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ، والنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، والْجَوَازُ عَلَى الصِّرَاطِ.

وبِالشَّهَادَتَيْنِ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وبِالصَّلاَةِ تَنَالُونَ الرَّحْمَةَ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلى

نَبِيِّكُمْ وآلِهِ، إِنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

لأَنْسِبَنَّ الإِسْلاَمَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسِبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي، ولاَ يَنْسِبُهَا أَحَدٌ بَعْدِي إِلاَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ: إِنَّ الإِسْلاَمَ هُوَالتَّسْلِيمُ، والتَّسْلِيمَ هُوَالْيَقِينُ، والْيَقِينَ هُوَالتَّصْدِيقُ، والتَّصْدِيقَ هُوَالاِقْرَارُ، والاِقْرَارَ هُوَالأَدَاءُ، والأَدَاءَ هُوَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ دِينَهُ عَنْ رَبِّهِ ولَمْ يَأْخُذْهُ عَنْ رَأْيِهِ.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُرى يَقِينُهُ فِي عَمَلِهِ، وإِنَّ الْمُنَافِقَ يُرى شَكُّهُ فِي عَمَلِهِ، وإِنَّ الْكَافِرَ يُرى إِنْكَارُهُ فِي عَمَلِهِ، فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَرَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ فَاعْتَبَرُوا إِنْكَارَ الْكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، دِينَكُمْ، دِينَكُمْ، تَمَسَّكُوا بِهِ، لاَ يُزِيلَنَّكُمْ ولاَ يَرُدَّنَّكُمْ أَحَدٌ عَنْهُ، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْحَسَنَةِ فِي غَيْرِهِ، لأَنَّ السَّيِّئَةَ فِيهِ تُغْفَرُ، والْحَسَنَةَ فِي غَيْرِهِ لاَ تُقْبَلُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لاَ شَرَفَ أَعْلى مِنَ الإِسْلاَمِ، ولاَ عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوى، ولاَ مَعْقِلَ أَحْصَنُ مِنَ الْوَرَعِ، ولاَ شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، ولاَ لِبَاسَ أَجْمَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ، ولاَ وِقَايَةَ أَمْنَعُ مِنَ السَّلاَمَةِ، ولاَ كَنْزَ أَغْنى مِنَ الْقَنَاعَةِ، ولاَ مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضى بِالْقُوتِ.

ومَنِ اقْتَصَرَ عَلى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَةَ، وتَبَوَّءَ خَفْضَ الدَّعَةِ.

[وَ] مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلاَوَةُ الآخِرَةِ، وحَلاَوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ.

[وَ] أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لاَ كَنْزَ أَنْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ، ولاَ عِزَّ أَرْفَعُ مِنَ الْحِلْمِ، ولاَ حَسَبَ أَبْلَغُ مِنَ الأَدَبِ، ولاَ نَصَبَ أَوْجَعُ مِنَ الْغَضَبِ، ولاَ جَمَالَ أَزْيَنُ مِنَ الْعَقْلِ، ولاَ قَرِينَ أَشَرُّ مِنَ الْجَهْلِ، ولاَ سَوْءَةَ أَسْوَأُ مِنَ الْكَذِبِ، ولاَ حَافِظَ أَحْفَظُ مِنَ الصَّمْتِ، ولاَ غَائِبَ أَقْرَبُ مِنَ الْمَوْتِ.

لَنْ يَنْجُوَ مِنَ الْمَوْتِ غَنِيٌّ بِمَالِهِ، ولَنْ يَسْلَمَ مِنْهُ فَقِيرٌ لإِقْلاَلِهِ.

ألاَ وإنَّ الرَّغْبَةَ مفْتَاحُ النَّصَبِ، والاحْتِكَارَ مَطِيَّةُ التَّعَبِ، والْغِيبَةَ جُهْدُ الْعَاجِزِ، والْحِرْصَ والْكِبْرَ والْحَسَدَ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، والشَّرَّ جَامِعُ مَسَاوِئِ الْعُيُوبِ، وهُوزِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلى كُلِّ سُوءٍ، والنِّفَاقَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْمَيْنِ، والْبَغْيَ سَائِقٌ إِلَى الْحَيْنِ، [وَ] التُّقى رَئِيسُ الأَخْلاَقِ.

رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فيه، ورُبَّ طَمَعٍ خَائِبٍ لأَمَلٍ كَاذِبٍ، ورُبَّ رَجَاءٍ يُؤَدِّي إِلَى الْحِرْمَانِ، ورُبَّ تِجَارَةٍ تَؤُولُ إِلَى الْخُسْرَانِ.

الْوِلاَيَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ، وكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوى أَمِيرٍ.

ألاَ ومَنْ تَوَرَّطَ فِي الأُمُورِ غَيْرَ نَاظِرٍ فِي الْعَوَاقِبِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمُفْظِعَاتِ النَّوَائِبِ.

[وَ] مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ، ومَنْ تَتَبَّعَ مَسَاوِئَ الْعِبَادِ فَقَدْ نَحَلَهُمْ عِرْضَهُ.

ومَنْ سَعى بِالنَّمِيمَةِ حَذِرَهُ الْبَعِيدُ ومَقَتَهُ الْقَرِيبُ. وبِئْسَتِ الْقِلاَدَةُ قِلاَدَةُ الذَّنْبِ لِلْمُؤْمِنِ، [وَ] أَشَدُّ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ -سُبْحَانَهُ- مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ، ومَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلى مَا فَاتَهُ، ومَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللهُ -تعالى- لَهُ لَمْ يَأْسَفْ عَلى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ، ومَنْ ضَعُفَ عَنْ حِفْظِ سِرِّهِ لَمْ يَقْوَلِسِرِّ غَيْرِهِ.

مَنْ عَامَلَ بِالْبَغْيِ كُوفِئَ بِهِ، ومَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، ومَنْ حَفَرَ لأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ قَلِيباً وَقَعَ فِيهَا قَرِيباً، ومَنْ هَتَكَ حِجَابَ عَوْرَةِ أَخِيهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ، ومَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ، ومَنِ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ غَيْرِهِ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ نَفْسِهِ، ومَنْ سَفِهَ عَلَى النَّاسِ شُتِمَ، ومَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، ومَنِ اسْتَغْنى بِعَقْلِهِ زَلَّ، ومَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ، ومَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وُقِّرَ، ومَنْ دَاخَلَ السُّفَهَاءَ حُقِّرَ، ومَنْ حَمَّلَ نَفْسَهُ مَا لاَ يُطِيقُ عَجَزَ، ومَنْ كَابَدَ الأُمُورَ عَطِبَ، ومَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْغَضَبُ لَمْ يَأْمَنِ الْعَطَبَ، ومَنْ كَثُرَ لَهْوُهُ اسْتُحْمِقَ، ومَنِ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ، ومَنْ آخى فِي اللَّهِ غَنِمَ، ومَنْ آخى لِلدُّنْيَا حُرِمَ، ومَنْ

دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ، ومَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، ومَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، ومَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، ومَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ.

ومَنْ أَطَالَ الأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ، ومَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِه، فَذَلِكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِه. ومَنْ أَزْرَى عَلَى غَيْرِه بِمَا يَأْتِيه فَذَلِكَ الأَخْرَقُ [بِعَيْنِه].

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاخِطاً، ومَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِه فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ.

ومَنْ أَتَى غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِه، ومَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً.

ومَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلاَثٍ: هَمٍّ لاَ يَغِبُّهُ.

وحِرْصٍ لاَ يَتْرُكُهُ.

وأَمَلٍ لاَ يُدْرِكُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لاَ غِنَى كَالْعَقْلِ، ولاَ فَقْرَ كَالْجَهْلِ، ولاَ مِيرَاثَ كَالأَدَبِ، ولاَ جَمَالَ كَالْحَسَبِ، ولاَ ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ.

مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ، و[مِنْ] أَقْبَحِ أَفْعَالِ الْكَرِيمِ مَنْعُ عَطَاهُ، ومِنْ أَحْسَنِ أَفْعَالِ الْقَادِرِ أَنْ يَغْضَبَ فَيَحْلُمَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي الإِنْسَانِ عَشْرُ خِصَالٍ يُظْهِرُهَا لِسَانُهُ: شَاهِدٌ يُخْبِرُ عَنِ الضَّمِيرِ. وحَاكِمٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخِطَابِ. ونَاطِقٌ يُرَدُّ بِهِ الْجَوَابُ. وشَافِعٌ تُدْرَكُ بِهِ الْحَاجَةُ. ووَاصِفٌ تُعْرَفُ بِهِ الأَشْيَاءُ.

وأَمِيرٌ يَأْمُرُ بِالْحَسَنِ. ووَاعِظٌ يَنْهَى عَنِ الْقَبِيحِ. ومُعَزٍّ تُسَكَّنُ بِهِ الأَحْزَانُ. وحَاضِرٌ تُجْلَى بِهِ الضَّغَائِنُ. ومُونِقٌ تَلْتَذُّ بِهِ الأَسْمَاعُ.

تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِه، [و] لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ عَقْلِه، [و] قَلْبُ الأَحْمَقِ فِي فِيه، ولِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِه.

أَيُّهَا النَّاسُ، أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الإِبِلِ حَتَّى يَنْصِبْنَ لَكَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلاً.

لاَ يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ رَبَّهُ- عَزَّ وجل-.

ولاَ يَخَافَنَّ إِلاَّ ذَنْبَهُ.

ولاَ يَسْتَحْيِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لاَ يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لاَ أَعْلَمُ.

ولاَ يَسْتَحْيِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، فَإِنَّ قِيمَةَ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَعْلَمُ، فَتَكَلَّمُوا فِي الْعِلْمِ تَتَبَيَّنْ أَقْدَارُكُمْ.

وعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ.

ولاَ خَيْرَ فِي جَسَدٍ لاَ رَأْسَ مَعَهُ، ولاَ فِي إِيمَانٍ لاَ صَبْرَ مَعَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِعَاقِلٍ مَنِ انْزَعَجَ مِنْ قَوْلِ الزُّورِ فِيهِ، ولاَ بِحَكِيمٍ مَنْ رَضِيَ بِثَنَاءِ الْجَاهِلِ عَلَيْهِ.

النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ، وقِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ.

بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وبِعَدْلِ الْمَنْطِقِ تَجِبُ الْجَلاَلَةُ، وبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ، وبِالإِفْضَالِ تَعْظُمُ الأَقْدَارُ، وبِصَالِحِ الأَخْلاَقِ تَزْكُو الأَعْمَالُ، وبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وبِاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدَدُ، وبِالسِّيرَةِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُنَاوِئُ، وبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ يَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ، وبِالرِّفْقِ والتُّؤَدَةِ تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْكَرَمِ، وبِتَرْكِ مَا لاَ يَعْنِيكَ يَتِمُّ لَكَ الْعَقْلُ.

أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى خَصْمِهِ الْجَاهِلِ.

الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، والْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ.

الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْهَا. والْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ.

قُرِنَتِ الْحِكْمَةُ بِالْعِصْمَةِ، وقُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ، وقُرِنَ الْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ، وقُرِنَ الاِجْتِهَادُ بِالْوِجْدَانِ.

الْعَيْنُ رَائِدُ الْقَلْبِ، والْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ.

الْخِلاَفُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ.

إِذَا قَلَّ الْخِطَابُ كَثُرَ الصَّوَابُ، [وَ] إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ، [وَ] إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ.

إِذَا فَسَدَ الزَّمَانُ سَادَ اللِّئَامُ، [وَ] إِذَا اسْتَوْلَى اللِّئَامُ اضْطُهِدَ الْكِرَامُ.

آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ.

الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ.

والْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ مَا أَمْكَنَتْ، وإِلاَّ عَادَتْ نَدَماً.

ولاَ تَطْلُبُوا أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

إِعْلَمُوا، أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ، ومَنْ لاَ يَتَعَلَّمْ يَجْهَلْ، ومَنْ لاَ يَتَحَلَّمْ لاَ يَحْلُمْ، ومَنْ لاَ يَرْتَدِعْ لاَ يَعْقِلْ، ومَنْ لاَ يَعْقِلْ يَهُنْ، ومَنْ يَهُنْ لاَ يُوَقَّرْ، ومَنْ لاَ يُوَقَّرْ يُتَوَبَّخْ، ومَنْ يَتَّقِ يَنْجُ، ومَنْ يَكْتَسِبْ مَالًا مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ يَصْرِفْهُ فِي غَيْرِ أَجْرِهِ، ومَنْ لاَ يَدَعْ وهُوَ مَحْمُودٌ يَدَعْ وهُوَ مَذْمُومٌ.

مَا أَفْحَشَ كَرِيمٌ قَطُّ، ومَا زَنَى غَيُورٌ قَطُّ، ومَا أَدْرَكَ النَّمَّامُ ثَاراً، ولاَ مَحَى عَاراً.

ومَا مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَةً إِلاَّ مَجَّ اللَّهُ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً، ومَا الْتَذَّ أَحَدٌ مِنَ الدُّنْيَا لَذَّةً إِلاَّ كَانَتْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُصَّةً. ومَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ.

[وَ] مَا الْمُجَاهِدُ والشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمَ أَجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ، [وَ] لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ.

مَا اسْتَوْدَعَ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - امْرَءاً عَقْلًا إِلاَّ اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً.

والْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا.

صَاحِبُ الْمَالِ مَتْعُوبٌ، والْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ.

ومَنْ يَطْلُبِ الْعِزَّ بِغَيْرِ حَقٍّ يُذَلَّ، ومَنْ يَطْلُبِ الْهِدَايَةَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا يَضِلَّ، ومَنْ عَانَدَ الْحَقَّ لَزِمَهُ الْوَهْنُ، ومَنِ اسْتَدَامَ الْهَمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ.

ومَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ، ومَنْ خَادَعَ اللَّهَ خَدَعَهُ.

ومَنْ تَفَقَّهَ وُقِّرَ، ومَنْ تَكَبَّرَ حُقِّرَ، ومَنْ لاَ يُحْسِنُ لاَ يُحْمَدُ.

[وَ] مَنْ تَرَكَ قَوْلَ: لاَ أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْمَنِيَّةَ قَبْلَ الدَّنِيَّةِ، والتَّجَلُّدَ قَبْلَ التَّبَلُّدِ، والْحِسَابَ قَبْلَ الْعِقَابِ.

الرِّضَا بِالْكَفَافِ خَيْرٌ مِنَ السَّعْيِ فِي الإِسْرَافِ، والتَّقَلُّلُ ولاَ التَّوَسُّلُ، ومَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً. [وَ] الْغِنى والْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ-.

كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ الانْظَارَ، وكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ.

قَدِّمُوا قَوَادِمَ النِّعَمِ بِالشُّكْرِ، واحْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ [بِالْكُفْرِ]، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ، والْقَبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ، وعَمَى الْبَصَرِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّظَرِ.

لَوْرَأَى الْعَبْدُ الأَجَلَ ومَصِيرَهُ لأَبْغَضَ الأَمَلَ وغُرُورَهُ.

إِفْعَلُوا الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَفَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ. واجْتَنِبُوا الشَّرَّ فَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ.

الْجُودُ حَارِسُ الأَعْرَاضِ، والْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ، والْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ، والسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ.

والاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ. [وَ] الصِّدْقُ أَفْضَلُ رِوَايَةٍ.

[وَ] الْخِيَرَةُ فِي تَرْكِ الطِّيَرَةِ. [وَ] الأَيَّامُ تُفِيدُ التَّجَارِبَ. [وَ] الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ.

مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلاَهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ- بِكِبَارِهَا. والصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ، والْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ.

التَّلَطُّفُ فِي الْحِيلَةِ أَجْدَى مِنَ الْوَسِيلَةِ، [وَ] الاهْتِمَامُ بِالأَمْرِ يُثِيرُ لَطِيفَ الْحِيلَةِ، [وَ] الرِّضَا بِالْمَقْدُورِ امْتِثَالُ الْمَأْمُورِ.

مَا قَدَّمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلِنَفْسِكَ، ومَا أَخَّرْتَ مِنْهَا فَلِلْعَدُوِّ.

ومَا قَالَ النَّاسُ لشَيْءٍ: طُوبى لَهُ، إلاَّ وقَدْ خَبَّأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ بُؤْسٍ.

مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إلاَّ كَانَتْ إحْدَاهَا ضَلاَلَةً.

مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، ومِنْ أَفْضَلِ الْمَكَارِمِ التَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ، وإقْرَاءُ الضُّيُوفِ، ومِنْ أَفْضَلِ الْفَضَائِلِ اصْطِنَاعُ الصَّنَائِعِ، وبَثُّ الْمَعْرُوفِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اعْجَبُوا لِهَذَا الإِنْسَانِ: يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، ويَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، ويَسْمَعُ بِعَظْمٍ، ويَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّهُ مَنْ أَكْثَرَ هَجَرَ، ومَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ، ومَنْ عَجِلَ زَلَّ، ومَنْ قَلَّ ذَلَّ، ومَنْ جَادَ سَادَ، ومَنْ كَثُرَ مَالُهُ رَؤُسَ، ومَنْ كَثُرَ حِلْمُهُ نَبُلَ.

ومَنْ تَفَكَّرَ فِي آلاَءِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - وُفِّقَ، ومَنْ فَكَّرَ فِي ذَاتِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - تَزَنْدَقَ، ومَنْ عَيَّرَ بِشَيْءٍ بُلِيَ بِهِ، ومَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، ومَنْ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ سُخِرَ بِهِ، ومَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ حَازَ التَّوْفِيقَ.

ومَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ، ومَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ.

ومَنْ عَجِزَ طَلَبَ مَا فَاتَ مِمَّا لاَ يُمْكِنُ اسْتِدْرَاكُهُ، وتَرَكَ مَا أَمْكَنَ مِمَّا تُحْمَدُ عَوَاقِبُهُ.

ومَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ اسْتُخِفَّ بِهِ، ومَنْ كَثُرَ ضِحْكُهُ ذَهَبَتْ هَيْبَتُهُ.

[وَ] مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ.

إنَّ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ - أَنَّهُ لاَ يُعْصَى إلاَّ فِيهَا، ومِنْ ذِمَامَةِ الدُّنْيَا عِنْدَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - أَنَّهُ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إلاَّ بِتَرْكِهَا.

ولاَ حَاجَةَ للَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِيمَنْ لَيْسَ للَّهِ فِي مَالِهِ ونَفْسِهِ نَصِيبٌ.

إنَّ كَلاَمَ الْحُكَمَاءِ إذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً، وإذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً.

التَّوَانِي مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ، وبِالْعَجْزِ والْكَسَلِ تَوَلَّدَتِ الْفَاقَةُ ونَتَجَتِ الْهَلَكَةُ.

فَسَدَ حَسَبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَدَبٌ، [وَ] مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ، ومَنْ وَضَعَتْهُ

دَنَاءَةُ أَدَبِه لَمْ يَرْفَعْهُ شَرَفُ نَسَبِه، ومَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِه لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ آبَائِه.

مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلاَ يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِهِ. ومَنْ كَتَمَ سِرَّهُ مَلَكَ أَمْرَهُ وكَانَت الْخِيَرَةُ بِيَدِه، وكُلُّ حديثٍ جَاوَزَ اثْنَيْنِ فَشى.

كُلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ، وكُلُّ مَا زَادَ عَلَى الاقْتِصَادِ إِسْرَافٌ، وأَفْضَلُ الْفِعَالِ صِيَانَةُ الْعِرْضِ بِالْمَالِ.

لَيْسَ مَنْ خَالَطَ الأَشْرَارَ بِذي مَعْقُولٍ، ولَيْسَ مَنْ أَسَاءَ إِلى نَفْسِه بِذي مَأْمُولٍ، ومَنْ أَمْسَكَ عَنِ الْفُضُولِ عَدَلَتْ رَأْيُهُ الْعُقُولَ، [وَ] مَنْ أَمْسَكَ عَنْ فُضُولِ الْمَقَالِ شَهِدَتْ بِعَقْلِه الرِّجَالُ، ومَنْ جَالَسَ الْجَاهِلَ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْقِيلِ والْقَالِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوأَنَّ الْمَوْتَ يُشْتَرى لاشْتَرَاهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا الْكَرِيمُ الأَبْلَجُ، واللَّئِيمُ الْمُلَهْوَجُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَوَاهِدَ تُجْرِي الأَنْفُسَ عَنْ مَدْرَجَةِ أَهْلِ التَّفْرِيطِ، وفِطْنَةُ الْفَهْمِ لِلْمَوَاعِظِ مِمَّا يَدْعُوالنَّفْسَ إِلَى الْحَذَرِ مِنَ الْخَطَرِ، ولِلْقُلُوبِ خَوَاطِرُ الْهَوى، والْعُقُولُ تَزْجُرُ وتَنْهى. وعِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ الْفُرْجَةُ، وعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ الْبَلاَءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ، ومَعَ الْعُسْرِ يَكُونُ الْيُسْرُ. [وَ] فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ، ومِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ، والاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ يَقُودُ إِلَى الرَّشَادِ، مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وأَقَلَّ الاعْتِبَارَ، فَالْعِبَرُ قَدْ بَلَغَتْ فِي الْكَثْرَةِ الْغَايَةَ، والاعْتِبَارُ قَدْ بَلَغَ فِي الْقِلَّةِ النِّهَايَةَ.

كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سَبِيلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ، [وَ] كَفَاكَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ أَنْ تَعْرِفَ مَا لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ، وكَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ، وعَلَيْكَ لأَخِيكَ الْمُؤْمِنِ مِثْلُ الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ، ولَقَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِه مَنِ اسْتَغْنى بِرَأْيِه.

لَيْسَ النَّجَاحُ مَعَ الأَخَفِّ الأَعْجَلِ، والتَّدَبُّرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤَمِّنُكَ مِنَ النَّدَمِ.

إِذَا أَمْكَنَتْكَ الْفُرْصَةُ فَانْتَهِزْهَا، فَإِنَّ إِضَاعَةَ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ.

مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلاَقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ، ومُنَاقَشَةُ الْعُلَمَاءِ تُنْتِجُ فَوَائِدَهُمْ،

وتُكْسِبُ فَضَائِلَهُمْ.

مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ، ومَنْ جَهِلَ وُجُوهَ الآرَاءِ أَعْيَتْهُ الْحِيَلُ.

الْهَوى عَدُوالْعَقْلِ، واللَّهْومِنْ ثِمَارِ الْجَهْلِ.

مَنْ مَلَكَ شَهْوَتَهُ كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ، وحَسُنَتْ عَاقِبَتُهُ، ومَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ، ومَنْ حَصَّنَ شَهْوَتَهُ فَقَدْ صَانَ قَدْرَهُ، ومَنْ أَمْسَكَ لِسَانَهُ أَمِنَهُ قَوْمُهُ، ونَالَ حَاجَتَهُ، ومَنْ قَضى حَقَّ مَنْ لاَ يَقْضي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَّدَهُ.

[وَ] مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ.

مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِه فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ.

وفي تَقَلُّبِ الأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ، وفي غُرُورِ الآمَالِ انْقِضَاءُ الآجَالِ، والأَيَّامُ تُوضِحُ لَكَ السَّرَائِرَ الْكَامِنَةَ.

مَنْ لاَنَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ، ومَنْ حَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ طَابَتْ عِشْرَتُهُ، ومَنْ حَسُنَتْ عِشْرَتُهُ كَثُرَ إِخْوَانُهُ، ومَنِ اسْتَطَالَ عَلَى الاِخْوَانِ لَمْ يُخْلِصْ لَهُ إِنْسَانٌ، ومَنْ مَنَعَ الاِنْصَافَ سَلَبَهُ الاِمْكَانُ.

ومَنْ عُرِفَ بِالْحِكْمَةِ لَحَظَتْهُ الْعُيُونُ بِالْهَيْبَةِ والْوَقَارِ، ومَنْ تَعَرَّى عَنِ الْوَرَعِ ادَّرَعَ جِلْبَابَ الْعَارِ.

عِزُّ الْمُؤْمِنِ غِنَاهُ عَنِ النَّاسِ، والْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، والشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنى، والصَّبْرُ زِينَةُ الْبَلْوى، والتَّوَاضُعُ زِينَةُ الْحَسَبِ، والْفَصَاحَةُ زِينَةُ اللِّسَانِ، والْعَدْلُ زِينَةُ الإِيمَانِ، والسَّكِينَةُ زِينَةُ الْعِبَادَةِ، والْحِفْظُ زِينَةُ الرِّوَايَةِ، وخَفْضُ الْجَنَاحِ زِينَةُ الْعِلْمِ، وحُسْنُ الأَدَبِ زِينَةُ الْعَقْلِ، وبَسْطُ الْوَجْهِ زِينَةُ الْحِلْمِ، والايثَارُ زِينَةُ الزُّهْدِ، وبَذْلُ الْمَجْهُودِ زِينَةُ النَّفْسِ، وكَثْرَةُ الْبُكَاءِ زِينَةُ الْخَوْفِ، والتَّقَلُّلُ زِينَةُ الْقَنَاعَةِ، وتَرْكُ الْمَنِّ زِينَةُ الْمَعْرُوفِ، والْخُشُوعُ زِينَةُ الصَّلاَةِ، وتَرْكُ مَا لاَ يَعْنِي زِينَةُ الْوَرَعِ.

وأَشْرَفُ الْغِنى تَرْكُ الْمُنى، [وَ] الْغِنَى الأَكْبَرُ الْيَأْسُ عَمَّا في أَيْدِي النَّاسِ، والْقَنَاعَةُ

مَالٌ لاَ يَنْفَدُ.

الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ، والدُّنْيَا مَحَلُّ الآفَاتِ، والصَّبْرُ جُنَّةٌ مِنَ الْفَاقَةِ، والْحِرْصُ عَلاَمَةُ الْفَقْرِ، والْبُخْلُ جِلْبَابُ الْمَسْكَنَةِ.

الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلاَمَةِ الأَجْسَادِ، [وَ] لِغَفْلَةِ ذَوِي الأَلْبَابِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ، والاسْتِعْدَادِ لِلْمَعَادِ.

فَقْدُ الأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ، والْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، ووَصُولٌ مُعْدَمٌ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ مُكْثِرٍ، ووَجْهٌ مُسْتَبْشِرٌ خَيْرٌ مِنْ قُطُوبٍ مُوسِرٍ، [وَ] الرَّدُّ الْجَمِيلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَطَلِ الطَّوِيلِ، والْمَوْعِظَةُ كَهْفٌ لِمَنْ وَعَاهَا، والأَمَانَةُ فَوْزٌ لِمَنْ رَعَاهَا.

مَنْ أَطْلَقَ غَضَبَهُ تَعَجَّلَ حَتْفَهُ، ومَنْ أَطْلَقَ طَرْفَهُ كَثُرَ أَسَفُهُ، ومَنْ غَلَبَ شَهْوَتَهُ ظَهَرَ عَقْلُهُ، ومَنْ غَلَبَ لِسَانَهُ أَمَّرَهُ قَوْمُهُ، ومَنْ ضَاقَ خُلُقُهُ مَلَّهُ أَهْلُهُ، وفي سِعَةِ الأَخْلاَقِ كُنُوزُ الأَرْزَاقِ.

مَنْ لَمْ يَطْلُبْ لَمْ يَجِدْ وأَفْضَى إِلَى الْفَسَادِ، ومَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوبَعْضَهُ، ومَنْ نَالَ اسْتَطَالَ، ومَنْ عَقَلَ اسْتَقَالَ، وقَدْ أَوْجَبَ الدَّهْرُ شُكْرَهُ عَلى مَنْ نَالَ سُؤْلَهُ.

وقَلَّ مَا يُنْصِفُكَ لِسَانٌ فِي نَشْرِ قَبِيحٍ أَوإِحْسَانٍ، وقَلَّ مَا تَدُومُ مَوَدَّةُ الْمُلُوكِ والْخُوَّانِ، وقَلَّ مَا تَصْدُقُكَ الأُمْنِيَّةُ، والتَّوَاضُعُ يَكْسُوكَ الْمَهَابَةَ.

كَمْ مِنْ عَاكِفٍ عَلى ذَنْبِهِ تَابَ فِي آخِرِ أَيَّامِ عُمُرِهِ.

ومَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ، ومَنْ قَارَنَ ضِدَّهُ كَشَفَ عَيْبَهُ، وعَذَّبَ قَلْبَهُ، وتَحَرَّ الْقَصْدَ مِنَ الأُمُورِ، فَإِنَّهُ مَنْ تَحَرَّى الْقَصْدَ خَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَؤُونُ، وفي خِلاَفِ النَّفْسِ رُشْدُكَ.

مَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ لَمْ يَغْفَلْ عَنِ الاسْتِعْدَادِ، ومَنِ اسْتَصْلَحَ الأَضْدَادَ بَلَغَ الْمُرَادَ.

أَلاَ وإِنَّ مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقاً، وإِنَّ لِكُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصاً، [وَ] كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلاَتٍ.

لاَ يَنْبَغي لِلْعَبْد أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْن: الْعَافِيَة، والْغنى.

بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافى إِذْ سَقِمَ، وبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذِ افْتَقَرَ.

ولاَ تُنَالُ نِعْمَةٌ إِلاَّ بِزَوَال أُخْرى.

ولِكُلِّ ذي رَمَقٍ قُوتٌ، ولِكُلِّ حَبَّةٍ آكِلٌ، وأَنْتُمْ قُوتُ الْمَوْتِ.

لِكُلِّ امْرِئٍ في مَالِه شَرِيكَان: الْوَارِثُ، والْحَوَادِثُ.

وبِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَاد.

إِعْلَمُوا، أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَّهُ مَنْ مَشى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلى بَطْنِهَا، وأَنَّ اللَّيْلَ والنَّهَارَ يَتَسَارَعَانِ في هَدْمِ الأَعْمَار.

مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ، ومَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَاف، ومَنْ قَنِعَتْ نَفْسُهُ أَعَانَتْهُ عَلَى النَّزَاهَةِ والْعَفَاف، ومَنْ كَرُمَتْ نَفْسُهُ اسْتَهَانَ بِالْبَذْلِ والاسْعَاف.

ومَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِه قَلَّ كَلاَمُهُ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيه.

ولَولَمْ يُرَغِّبِ الله - سُبْحَانَهُ - في طَاعَتِه لَوَجَبَ أَنْ يُطَاعَ رَجَاءَ رَحْمَتِه، [وَ] لَولَمْ يَتَوَعَّدِ الله - سُبْحَانَهُ - عَلَى مَعْصِيَتِه لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لاَ يُعْصى شُكْراً لِنِعْمَتِه، ولَولَمْ يَنْهَ الله - سُبْحَانَهُ - عَنْ مَحَارِمِه لَوَجَبَ أَنْ يَجْتَنِبَهَا الْعَاقِلُ.

لاَ يَغُشُّ الْعَاقِلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ.

شَفِيعُ الْمُذْنِبِ إِقْرَارُهُ، وتَوْبَتُهُ اعْتِذَارُهُ.

الْعَجَبُ مِمَّنْ يَخَافُ الْعِقَابَ فَلاَ يَكُفُّ، ويَرْجُو الثَّوَابَ ولاَ يَتُوبُ.

بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّة، وعَمَلُ الْفِكْرِ يُورِثُ نُوراً.

قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ. وإِنَّ الْغَفْلَةَ ظُلْمَةٌ، والْجَهَالَةَ ضَلاَلَةٌ.

لَيْسَ مَعَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ نَمَاءٌ، ولاَ مَعَ الْفُجُورِ غَنَاءٌ، ولاَ مَعَ الْعَدْلِ ظُلْمٌ، ولاَ مَعَ الْقَتْلِ عَدْلٌ.

الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاء، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ إِلاَّ عَنْ ذِكْرِ الله - عَزَّ وجل -، وَوَاحِدَةٌ فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ.

رَأْسُ الْعِلْمِ الرِّفْقُ، وآفَتُهُ الْخُرْقُ.

وَمِنْ كُنُوزِ الإِيمَانِ الصَّبْرُ عَلَى الرَّزَايَا وكِتْمَانُ الْمَصَائِبِ، [وَ] مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي.

كَثْرَةُ الزِّيَارَةِ تُورِثُ الْمَلاَلَةَ، وكَثْرَةُ الْوِفَاقِ نِفَاقٌ، وكَثْرَةُ الْخِلاَفِ شِقَاقٌ.

والطُّمَأْنِينَةُ قَبْلَ الْخُبْرَةِ ضِدُّ الْحَزْمِ.

وعُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِه أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِه.

لاَ تُؤْيِسْ مُذْنِباً، فَكَمْ مِنْ عَاكِفٍ عَلَى ذَنْبِهِ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ، وكَمْ مِنْ مُقْبِلٍ عَلَى عَمَلِهِ مُفْسِدٌ لَهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ صَائِرٌ إِلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنَ الْكَرَمِ لِينَ الْكَلاَمِ، ومِنَ الْعِبَادَةِ إِظْهَارَ اللِّسَانِ وإِفْشَاءَ السَّلاَمِ.

إِحْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، وأَشَرَ اللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ.

كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً، وبِالشَّرِّ هَلْكاً، وبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً.

النِّفَاقُ مِنْ أَثَافِيِّ الذُّلِّ، والطَّامِعُ أَبَداً فِي وِثَاقِ الذُّلِّ.

مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، ومَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، ومَنْ خَافَ أَمِنَ، ومَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، ومَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، ومَنْ فَهِمَ عَلِمَ، ومَنْ تَفَكَّرَ اعْتَبَرَ، ومَنِ اعْتَبَرَ اعْتَزَلَ، ومَنِ اعْتَزَلَ سَلِمَ، ومَنْ تَرَكَ الشَّهَوَاتِ كَانَ حُرّاً، ومَنْ تَرَكَ الْحَسَدَ كَانَتْ لَهُ الْمَحَبَّةُ عِنْدَ النَّاسِ.

أَلاَ ومَنْ أَسْرَعَ فِي الْمَسِيرِ أَدْرَكَهُ الْمَقِيلُ.

عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ.

واسْتُرْ عَوْرَةَ أَخِيكَ لِمَا تَعْلَمُهُ فِيكَ، واغْتَفِرْ زَلَّةَ صَدِيقِكَ لِيَوْمٍ يَرْكَبُكَ عَدُوُّكَ.

وإِيَّاكَ والْخَدِيعَةَ فَإِنَّهَا مِنْ خُلُقِ اللِّئَامِ.

ولاَ تَرْغَبْ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ.

ولاَ تَأْمَنَنَّ مَلُولًا وإنْ تحلَّى بالصِّلَة، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْبَرْقِ الْخَاطِفِ مُسْتَمْتَعٌ لِمَنْ يَخُوضُ فِي الظُّلْمَة.

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّنِّ.

شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ، وخَيْرُهُمْ مَنْ أَحْدَثَتْ رُؤْيَتُهُ ثِقَةً بِهِ، وأَهْدَتْ إِلَيْكَ غَيْبَتُهُ طُمَأْنِينَةً إِلَيْه.

حُسْنُ الْعِشْرَةِ يَسْتَدِيمُ الْمَوَدَّةَ، وحَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّة.

مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لاَ يَقْدِرُ عَلَى ضَرِّهِ طَالَ حُزْنُهُ وعَذَّبَ نَفْسَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ خَافَ رَبَّهُ كَفَّ ظُلْمَهُ، ومَنْ لَمْ يَرْعَ فِي كَلاَمِهِ أَظْهَرَ هَجْرَهُ. ومَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَهُوبِمَنْزِلَةِ الْبَهِيمَة.

مَا أَصْغَرَ الْمُصِيبَةَ مَعَ عِظَمِ الْفَاقَةِ غَداً.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، مَا تَنَاكَرْتُمْ إِلاَّ لِمَا فِيكُمْ مِنَ الْمَعَاصِي والذُّنُوب.

فَمَا أَقْرَبَ الرَّاحَةَ مِنَ التَّعَب، ومَا أَقْرَبَ الْبُؤْسَ مِنَ النَّعِيمِ.

ومَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، ومَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ.

وكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّة مَحْقُورٌ، وكُلُّ بَلاَءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ.

أَلاَ وإِنَّ مِنَ الْبَلاَءِ الْفَاقَةُ، وأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ، وأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ.

أَلاَ وإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةُ الْمَالِ، وأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ، وأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْب.

وعِنْدَ تَصْحِيحِ الضَّمَائِرِ تَبْدُوالْكَبَائِرُ. وتَصْفِيَةُ الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ، وتَخْلِيصُ النِّيَّةِ مِنَ الْفَسَادِ أَشَدُّ عَلَى الْعَامِلِينَ مِنْ طُولِ الْجِهَاد.

هَيْهَاتَ، هَيْهَاتَ، لَولاَ الدِّينُ والتُّقَى لَكُنْتُ أَدْهَى الْعَرَب.

[أَيُّهَا النَّاسُ،] عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى الله - تعالى - فِي الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ، وبِكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي

الرِّضَا والْغَضَبِ، وبِالْقَصْدِ فِي الْغِنى والْفَقْرِ، وبِالْعَدْلِ عَلَى الصَّدِيقِ والْعَدُوِّ، وبِالْعَمَلِ فِي النَّشَاطِ والْكَسَلِ، وبِالرِّضَا عَنِ اللهِ - عَزَّ وجل - فِي الشِّدَّةِ والرَّخَاءِ.

تَجَنَّبُوا الأَمَانِيَّ، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ بَهْجَةَ مَا خُوِّلْتُمْ، وتُصَغِّرُ مَوَاهِبُ اللَّهِ عِنْدَكُمْ، وتُعْقِبُكُمُ الْحَسَرَاتِ عَلى مَا أَوْهَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ.

طُوبى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عِلْمَهُ وعَمَلَهُ، وحُبَّهُ وبُغْضَهُ، وأَخْذَهُ وتَرْكَهُ، وكَلاَمَهُ وصَمْتَهُ، وفِعْلَهُ وقَوْلَهُ.

وبَخٍ بَخٍ لِعَالِمٍ عَلِمَ فَكَفَّ، وعَمِلَ فَجَدَّ، وخَافَ الْبَيَاتَ فَاسْتَعَدَّ، إِنْ سُئِلَ نَصَحَ، وإِنْ تُرِكَ صَمَتَ.

كَلاَمُهُ صَوَابٌ، وسُكُوتُهُ عَنْ غَيْرِ عَيٍّ فِي الْجَوَابِ.

والْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ بُلِيَ بِحِرْمَانٍ وخِذْلاَنٍ وعِصْيَانٍ، فَاسْتَحْسَنَ لِنَفْسِهِ مَا يَكْرَهُهُ لِغَيْرِهِ، وأَزْرى عَلَى النَّاسِ بِمِثْلِ مَا يَأْتِي.

ولاَ يَكُونُ الْمُسْلِمُ مُسْلِماً حَتَّى يَكُونَ وَرِعاً، ولَنْ يَكُونَ وَرِعاً حَتَّى يَكُونَ زَاهِداً، ولَنْ يَكُونَ زَاهِداً حَتَّى يَكُونَ حَازِماً، ولَنْ يَكُونَ حَازِماً حَتَّى يَكُونَ عَاقِلًا.

ومَا الْعَاقِلُ إِلاَّ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ وعَمِلَ لِلدَّارِ الأَخِرَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، كَانَ فِي الأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وتعالى -، وقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُورَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

وأَمَّا الأَمَانُ الْبَاقِي فَهُوالاسْتِغْفَارُ. قَالَ اللهُ - عَزَّ وجل -: ﴿**وما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ وما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ - تعالى - وَعَدَ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ الْوَسِيلَةَ، ووَعْدُهُ الْحَقُّ، ولَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ.

أَلاَ وإِنَّ الْوَسِيلَةَ أَعْلى دَرَجِ الْجَنَّةِ، وذِرْوَةُ ذَوَائِبِ الزُّلْفَةِ، ونِهَايَةُ غَايَةِ الأُمْنِيَّةِ.

لَهَا أَلْفُ مِرْقَاة، مَا بَيْنَ الْمِرْقَاة والْمِرْقَاة حَضَرُ الْفَرَسِ الْجَوَاد مِائَةَ عَامٍ.

وهِيَ مَا بَيْنَ مِرْقَاة دُرَّة، إِلى مِرْقَاة جَوْهَرَة، إِلى مِرْقَاة زَبَرْجَدَة، إِلى مِرْقَاة لُؤْلُؤَة، إِلى مِرْقَاة يَاقُوتَة، إِلى مِرْقَاة زُمُرُّدَة، إِلى مِرْقَاة مَرْجَانَة، إِلى مِرْقَاة كَافُور، إِلى مِرْقَاة عَنْبَر، إِلى مِرْقَاة يَلَنْجُوجَ، إِلى مِرْقَاة ذَهَب، إِلى مِرْقَاة غَمَام، إِلى مِرْقَاة هَوَاء، إِلى مِرْقَاة نُور، قَدْ أَنَافَتْ عَلى كُلِّ الْجِنَان، ورَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله يَوْمَئِذ قَاعِدٌ عَلَيْهَا، مُرْتَد بِرِيطَتَيْن: رِيطَة مِنْ رَحْمَة اللَّه، ورِيطَة مِنْ نُور اللَّه، عَلَيْه تَاجُ النُّبُوَّة، وإِكْلِيلُ الرِّسَالَة، قَدْ أَشْرَقَ بِنُورِه الْمَوْقفُ.

وأَنَا يَوْمَئِذ عَلَى الدَّرَجَة الرَّفِيعَة وهِيَ دُونَ دَرَجَته، وعَلَيَّ رِيطَتَان: رِيطَةٌ مِنْ أَرْجُوَان النُّور، ورِيطَةٌ مِنْ كَافُور.

والرُّسُلُ والأَنْبِيَاءُ قَدْ وَقَفُوا عَلَى الْمَرَاقي، وأَعْلَامُ الأَزْمِنَة وحُجَجُ الدُّهُور عَنْ أَيْمَانِنَا، وقَدْ تَجَلَّلَتْهُمْ حُلَلُ النُّور والْكَرَامَة.

لاَ يَرَانَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلاَّ بُهِتَ بِأَنْوَارِنَا، وعَجِبَ مِنْ ضِيَائِنَا وجَلاَلَتِنَا.

وعَنْ يَمِين الْوَسِيلَة عَنْ يَمِين الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله غَمَامَةٌ بَسْطَةَ الْبَصَر، يَأْتي مِنْهَا النِّدَاءُ: يَا أَهْلَ الْمَوْقف، طُوبى لِمَنْ أَحَبَّ الْوَصِيَّ، وآمَنَ بِالنَّبِيِّ الأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ، ومَنْ كَفَرَ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ.

وعَنْ يَسَار الْوَسِيلَة عَنْ يَسَار الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، ظُلَّةٌ يَأْتي مِنْهَا النِّدَاءُ: يَا أَهْلَ الْمَوْقف، طُوبى لِمَنْ أَحَبَّ الْوَصِيَّ، وآمَنَ بِالنَّبِيِّ الأُمِّيِّ.

والَّذي لَهُ الْمُلْكُ الأَعْلى، لاَ فَازَ أَحَدٌ، ولاَ نَالَ الرَّوْحَ والْجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ لَقِيَ خَالِقَهُ بِالاخْلاَص لَهُمَا، والاقْتِدَاء بِنُجُومِهِمَا.

فَأَيْقِنُوا، يَا أَهْلَ وِلاَيَة اللَّه، بِبَيَاض وُجُوهِكُمْ، وشَرَف مَقْعَدِكُمْ، وكَرَم مَآبِكُمْ، وبِفَوْزِكُمُ الْيَوْمَ عَلى سُرُر مُتَقَابِلِينَ.

يَا أَهْلَ الانْحِرَاف والصُّدُود عَنِ الله - عَزَّ ذِكْرُهُ - ورَسُولِه وصِرَاطِه وأَعْلاَمِ

الأَزْمِنَة، أَيْقِنُوا بِسَوَادِ وُجُوهِكُمْ، وغَضَبِ رَبِّكُمْ، جَزَاءً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

ومَا مِنْ رَسُولٍ سَلَفَ، ولاَ نَبِيٍّ مَضى، إلاَّ وقَدْ كَانَ مُخْبِراً أُمَّتَهُ بِالْمُرْسَلِ الْوَارِدِ مِنْ بَعْدِه، ومُبَشِّراً بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، ومُوصِياً قَوْمَهُ بِاتِّبَاعِه، ومُحَلِّيه عِنْدَ قَوْمِه، لِيَعْرِفُوهُ بِصِفَتِه، ولِيَتَّبِعُوهُ عَلى شَرِيعَتِه، ولِئَلاَّ يَضِلُّوا فِيه مِنْ بَعْدِه، فَيَكُونَ مَنْ هَلَكَ أَوضَلَّ بَعْدَ وُقُوعِ الاعْذَارِ والاِنْذَارِ عَنْ بَيِّنَةٍ وتَعْيِينِ حُجَّةٍ.

فَكَانَتِ الأُمَمُ فِي رَجَاءِ مِنَ الرُّسُلِ، ووُرُودِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ.

ولَئِنْ أُصِيبَتْ بِفَقْدِ نَبِيٍّ بَعْدَ نَبِيٍّ عَلى عِظَمِ مَصَائِبِهِمْ وفَجَائِعِهَا بِهِمْ، فَقَدْ كَانَتْ عَلى سِعَةٍ مِنَ الأَمَلِ.

ولاَ مُصِيبَةَ عَظُمَتْ ولاَ رَزِيَّةَ جَلَّتْ كَالْمُصِيبَةِ بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، لأَنَّ اللَّهَ خَتَمَ بِه الاِنْذَارَ والاعْذَارَ، وقَطَعَ بِه الاحْتِجَاجَ والْعُذْرَ بَيْنَهُ وبَيْنَ خَلْقِه، وجَعَلَهُ بَابَهُ الَّذِي بَيْنَهُ وبَيْنَ عِبَادِه، ومُهَيْمِنَهُ الَّذِي لاَ يَقْبَلُ إلاَّ بِه، ولاَ قُرْبَةَ إلَيْه إلاَّ بِطَاعَتِه، وقَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِه: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ومَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً.

فَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِه، ومَعْصِيَتَهُ بِمَعْصِيَتِه، فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلى مَا فَوَّضَ إلَيْه، وشَاهِداً لَهُ عَلى مَنِ اتَّبَعَهُ وعَصَاهُ.

وبَيَّنَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ - تَبَارَكَ وتعالى - فِي التَّحْرِيضِ عَلَى اتِّبَاعِه، والتَّرْغِيبِ فِي تَصْدِيقِه، والْقَبُولِ لِدَعْوَتِه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

فَاتِّبَاعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآلِه، مَحَبَّةُ اللَّه، ورِضَاهُ غُفْرَانُ الذُّنُوبِ، وكَمَالُ الْفَوْزِ، ووُجُوبُ الْجَنَّةِ.

وفِي التَّوَلِّي عَنْهُ والاعْرَاضِ مُحَادَّةُ اللَّه وغَضَبُهُ وسَخَطُهُ، والْبُعْدُ مِنْهُ مَسْكَنُ النَّارِ، وذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ومَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾. يَعْنِي الْجُحُودَ بِه والْعِصْيَانَ لَهُ.

[أَيُّهَا النَّاسُ،] إنَّ الله - تَبَارَكَ اسْمُهُ - امْتَحَنَ بي عِبَادَهُ، وقَتَلَ بِيَدي أَضْدَادَهُ، وأَفْنى بِسَيْفي جُحَّادَهُ، وجَعَلَني زُلْفَةً لِلْمُؤْمنينَ، وحِيَاضَ مَوْتٍ عَلَى الْجَبَّارينَ، وسَيْفَهُ عَلَى الْمُجْرِمينَ، وشَدَّ بي أَزْرَ رَسُولِه، وأَكْرَمَني بِنَصْرِه، وشَرَّفَني بِعِلْمِه، وحَبَاني بِأَحْكَامِه، واخْتَصَّني بِوَصِيَّتِه، واصْطَفَاني بِخِلاَفَتِه في أُمَّتِه.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه، وقَدْ حَشَدَهُ الْمُهَاجِرُونَ والأَنْصَارُ، وانْغَصَّتْ بِهِمُ الْمَحَافِلُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ عَلِيّاً مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسى إلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدي.

فَعَقِلَ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ اللَّه نُطْقَ الرَّسُولُ، إذْ عَرَفُوني أَنِّي لَسْتُ بِأَخِيهِ لأَبِيهِ وأُمِّه كَمَا كَانَ هَارُونَ أَخَا مُوسى لأَبِيهِ وأُمِّه، ولاَ كُنْتُ نَبِيّاً فَأَقْتَضِي نُبُوَّةً.

ولكِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِخْلاَفاً لي كَمَا اسْتَخْلَفَ مُوسى هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَيْثُ يَقُولُ: وواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ.

وقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه حِينَ تَكَلَّمَتْ طَائِفَةٌ فَقَالَتْ: نَحْنُ مَوَالي رَسُولِ اللَّه، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه، إلى حَجَّةِ الْوِدَاعِ، ثُمَّ صَارَ إلى غَدِيرِ خُمٍّ، فَأَمَرَ فَأُصْلِحَ لَهُ شِبْهُ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ عَلاَهُ وأَخَذَ بِعَضُدي حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، رَافِعاً صَوْتَهُ، قَائِلاً في مَحْفِلِه: (مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ، اللَّهُمَّ والِ مَنْ وَالاَهُ، وعَادِ مَنْ عَادَاهُ).

فَكَانَتْ عَلى وِلاَيَتي وِلاَيَةُ اللَّه، وعَلى عَدَاوَتي عَدَاوَةُ اللَّه.

وأَنْزَلَ الله - عَزَّ وجل - في ذَلِكَ الْيَوْمِ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾. فَكَانَتْ وِلاَيَتي كَمَالَ الدِّينِ، ورِضَا الرَّبِّ - جَلَّ ذِكْرُهُ -.

وأَنْزَلَ الله - تَبَارَكَ وتعالى - اخْتِصَاصاً لي، وتَكْرِيماً نَحْلَنِيه، وإِعْظَاماً وتَفْضِيلاً مِنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه مَنَحَنِيه، وهُوَ قَوْلُهُ - تعالى -: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

في مَنَاقِبَ لَوْ ذَكَرْتُهَا لَعَظُمَ بِهَا الارْتِفَاعُ، فَطَالَ لَهَا الاسْتِمَاعُ.

ولَئِنْ تَقَمَّصَهَا دُونِيَ الأَشْقَيَانِ، ونَازَعَانِي فيمَا لَيْسَ لَهُمَا بِحَقٍّ، ورَكِبَاهَا ضَلاَلَةً، واعْتَقَدَاهَا جَهَالَةً، فَلْيَبْسَ مَا عَلَيْهِ وَرَدَا، ولْيَبْسَ مَا لأَنْفُسِهِمَا مَهَّدَا.

يَتَلاَعَنَانِ فِي دُورِهِمَا، ويَبْرَأُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، يَقُولُ لِقَرِينِهِ إِذَا الْتَقَيَا: يَا لَيْتَ بَيْنِي وبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ.

فَيُجِيبُهُ الأَشْقَى عَلَى وُثُوبِهِ: يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا.

فَأَمَّا الذِّكْرُ الَّذِي عَنْهُ ضَلَّ، والسَّبِيلُ الَّذِي عَنْهُ مَالَ، والإِيمَانُ الَّذِي بِهِ كَفَرَ، والْقُرْآنُ الَّذِي إِيَّاهُ هَجَرَ، والدِّينُ الَّذِي بِهِ كَذَّبَ، والصِّرَاطُ الَّذِي عَنْهُ نَكَبَ.

ولَئِنْ رَتَعَا فِي الْحُطَامِ الْمُنْصَرِمِ، والْغُرُورِ الْمُنْقَطِعِ، وكَانَا مِنْهُ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ لَهُمَا عَلَى شَرِّ وُرُودٍ، فِي أَخْيَبِ وُفُودٍ، وأَلْعَنِ مَوْرُودٍ، يَتَصَارَخَانِ بِاللَّعْنَةِ، ويَتَنَاعَقَانِ بِالْحَسْرَةِ، مَا لَهُمَا مِنْ رَاحَةٍ، ولاَ عَنْ عَذَابِهِمَا مِنْ مَنْدُوحَةٍ.

إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَزَالُوا عُبَّادَ أَصْنَامٍ، وسَدَنَةَ أَوْثَانٍ، يُقِيمُونَ لَهَا الْمَنَاسِكَ، ويَنْصِبُونَ لَهَا الْعَتَائِرَ، ويَتَّخِذُونَ لَهَا الْقُرْبَانَ، ويَجْعَلُونَ لَهَا الْبَحِيرَةَ والْوَصِيلَةَ والسَّائِبَةَ والْحَامَ، ويَسْتَقْسِمُونَ بِالأَزْلاَمِ، عَامِهِينَ عَنِ اللهِ - عَزَّ ذِكْرُهُ -، حَائِرِينَ عَنِ الرَّشَادِ، مُهْطِعِينَ إِلَى الْبِعَادِ.

قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، وغَمَرَتْهُمْ سَوْدَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ، ورَضَعُوا جَهَالَةً، وانْفَطَمُوا ضَلاَلَةً، فَأَخْرَجَنَا اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَحْمَةً، وأَطْلَعَنَا عَلَيْهِمْ رَأْفَةً، وأَسْفَرَ بِنَا عَنِ الْحُجُبِ نُوراً لِمَنِ اقْتَبَسَهُ، وفَضْلًا لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وتَأْيِيداً لِمَنْ صَدَّقَهُ، فَتَبَوَّؤُوا الْعِزَّ بَعْدَ الذِّلَّةِ، والْكَثْرَةَ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وهَابَتْهُمُ الْقُلُوبُ والأَبْصَارُ، وأَذْعَنَتْ لَهُمُ الْجَبَابِرَةُ وطَوَاغِيتُهَا، وصَارُوا أَهْلَ نِعْمَةٍ مَذْكُورَةٍ، وكَرَامَةٍ مَيْسُورَةٍ، وأَمْنٍ بَعْدَ خَوْفٍ، وجَمْعٍ بَعْدَ كَوْفٍ.

وأَضَاءَتْ بِنَا مَفَاخِرُ مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ، وأَوْلَجْنَاهُمْ بَابَ الْهُدَى، وأَدْخَلْنَاهُمْ دَارَ السَّلاَمِ، وأَشْمَلْنَاهُمْ ثَوْبَ الإِيمَانِ، وفَلَجُوا بِنَا فِي الْعَالَمِينَ.

وأبْدَتْ لَهُمْ أيَامُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ آثَارَ الصَّالِحِينَ، مِنْ حَامِ مُجَاهِدٍ، ومُصَلٍ فَانِتٍ، ومُعْتَكِفٍ زَاهِدٍ، يُظْهِرُونَ الأَمَانَةَ، ويَأْتُونَ الْمَثَابَةَ.

حَتَّى إذَا دَعَا الله - عَزَّ وجل - نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ ورَفَعَهُ إلَيْهِ، لَمْ يَكُ ذَلِكَ بَعْدَهُ إلاَّ كَلَمْحَةٍ مِنْ خَفْقَةٍ، أوومَيضٍ مِنْ بَرْقَةٍ، إلَى أنْ رَجَعُوا عَلَى الأَعْقَابِ، وَانْتَكَصُوا عَلَى الأَدْبَارِ، وطَلَبُوا بالأَوْتَارِ، وأظْهَرُوا الْكَتَائِبَ، ورَدَمُوا الْبَابَ، وفَلُّوا الدَّارَ، وغَيَّرُوا آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، ورَغِبُوا عَنْ أحْكَامِهِ، وبَعُدُوا مِنْ أنْوَارِهِ، واسْتَبْدَلُوا بِمُسْتَخْلَفِهِ بَدِيلًا اتَّخَذُوهُ وكَانُوا ظَالِمِينَ.

وزَعَمُوا أنَّ مَنِ اخْتَارُوا مِنْ آلِ أبِي قُحَافَةَ أوْلَى بِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ مِمَّنِ اخْتَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ لِمَقَامِهِ، وأنَّ مُهَاجِرَ آلِ أبِي قُحَافَةَ خَيْرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيِّ الرَّبَّانِيِّ نَامُوسِ بَنِي هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مُنَافٍ.

ألاَ وإنَّ أوَّلَ شَهَادَةِ زُورٍ وَقَعَتْ فِي الإِسْلامِ شَهَادَتُهُمْ أنَّ صَاحِبَهُمْ مُسْتَخْلَفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ.

فَلَمَّا كَانَ مِنْ أمْرِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ مَا كَانَ، رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ وقَالُوا: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ مَضَى ولَمْ يَسْتَخْلِفْ.

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ أوَّلَ مَشْهُودٍ عَلَيْهِ بِالزُّورِ فِي الإِسْلامِ.

وعَنْ قَلِيلٍ يَجِدُونَ غِبَّ مَا يَعْمَلُونَ، وسَيَجِدُ التَّالُونَ غِبَّ مَا أسَّسَهُ الأَوَّلُونَ.

ولَوْ كَانُوا فِي مَنْدُوحَةٍ مِنَ الْمَهَلِ، وشِفَاءٍ مِنَ الأَجَلِ، وسَعَةٍ مِنَ الْمُنْقَلَبِ، واسْتِدْرَاجٍ مِنَ الْغُرُورِ، وسُكُونٍ مِنَ الْحَالِ، وإدْرَاكٍ مِنَ الأَمَلِ، فَقَدْ أمْهَلَ الله - عَزَّ وَجل - شَدَّادَ بْنَ عَادٍ، وثَمُودَ بْنَ عَبُودٍ، وبَلْعَمَ بْنَ بَاعُورٍ، وأسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وبَاطِنَةً، وأمَدَّهُمْ بِالأَمْوَالِ والأَعْمَارِ، وأتَتْهُمُ الأَرْضُ بِبَرَكَاتِهَا، لِيَذَّكَّرُوا آلاءَ اللَّهِ، ولِيَعْرِفُوا الاهَابَةَ لَهُ والإِنَابَةَ إلَيْهِ، ولِيَنْتَهُوا عَنِ الاسْتِكْبَارِ.

فَلَمَّا بَلَغُوا الْمُدَّةَ، واسْتَتَمُّوا الأُكْلَةَ، أَخَذَهُمُ الله - عَزَّ وجل - واصْطَلَمَهُمْ.

فَمِنْهُمْ مَنْ حُصِبَ.

ومِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ.

ومِنْهُمْ مَنْ أَحْرَقَتْهُ الظُّلَّةُ.

ومِنْهُمْ مَنْ أَوْدَتْهُ الرَّجْفَةُ.

ومِنْهُمْ مَنْ أَرْدَتْهُ الْخَسْفَةُ.

وما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

أَلاَ وإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً، فَإِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، لَوكُشِفَ لَكَ عَمَّا هَوى عَلَيْهِ الظَّالِمُونَ، وآلَ إِلَيْهِ الأَخْسَرُونَ، لَهَرَبْتَ إِلَى الله - عَزَّ وجل - مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ، وَإِلَيْهِ صَائِرُونَ.

أَلاَ وإِنِّي فِيكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، كَهَارُونَ فِي قَوْمِ مُوسى، وكَبَابِ حِطَّةَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وكَسَفِينَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ.

وَيْلٌ لِمَنْ جَهِلَ مَعْرِفَتِي، ولَمْ يَعْرِفْ حَقِّي.

أَلاَ إِنَّ حَقِّي هُوحَقُّ اللَّه.

أَلاَ إِنَّ حَقِّي هُوحَقُّ اللَّه.

مَنْ عَرَفَنِي وعَرَفَ حَقِّي فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ، لأَنِّي وَصِيُّ نَبِيِّهِ فِي أَرْضِهِ، وحُجَّتُهُ عَلى خَلْقِهِ، لاَ يُنْكِرُ هذَا إِلاَّ رَادٌّ عَلَى اللَّه ورَسُولِه.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي عَنْهُ تُعْرِضُونَ، وعَنْهُ تَسْأَلُونَ، وفِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

أَنَا كَسَرْتُ الأَصْنَامَ.

أَنَا رَفَعْتُ الأَعْلاَمَ.

أَنَا بَنَيْتُ الإِسْلاَمَ.

أَنَا الهَادِي، والْمُهْتَدِي.

أنا أبُوالْيَتَامى والْمَسَاكينَ، وزَوْجُ الأَرَامِلِ.

أنا مَلْجأُ كُلِّ ضَعيف، ومَأمَنُ كُلِّ خَائِف.

أنا قَائدُ الْمُؤْمنينَ إِلَى الْجَنَّة.

أنا شَجَرَةُ النَّدى، وحِجَابُ الْوَرى، وصَاحِبُ الدُّنْيَا، وحُجَّةُ الأَنْبِيَاءِ، واللِّسَانُ الْمُبينُ، وحَبْلُ اللَّه الْمَتينُ.

أنا عُرْوَةُ اللَّه الْوُثْقى، وكَلِمَةُ التَّقْوى.

أنا صِرَاطُ اللَّه.

أنا بَابُ اللَّه.

أنا عِلْمُ اللَّه.

أنا قَلْبُ اللَّه الْوَاعي.

أنا عَيْنُ اللَّه النَّاظِرَةُ في بَرِيَّته.

أنا لِسَانُ اللَّه النَّاطِقُ، وأَمينُهُ عَلى سِرِّه، وحُجَّتُهُ عَلى خَلْقه، وخَليفَتُهُ عَلى عِبَاده.

أنا يَدُ اللَّه الْمَبْسُوطَةُ عَلى عِبَاده بَالرَّحْمَة والْمَغْفِرَة.

أنا سَيْفُ اللَّه عَلى أَعْدَائه، ورَحْمَتُهُ عَلى أَوْلِيَائه.

أنا جَنْبُ اللَّه الَّذي يَقُولُ: ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّه**﴾.

لاَ يُصَدِّقُني إِلاَّ مَنْ مَحَضَ الإِيمَانَ مَحْضاً، ولاَ يُكَذِّبُني إِلاَّ مَنْ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً.

وعَنْ قَليلٍ سَتَعْلَمُونَ مَا تُوعَدُونَ.

وهَلْ هِيَ إِلاَّ كَلَعْقَة الآكِلِ، ومُذْقَة الشَّارِبِ، وخَفْقَة الْوَسْنَانِ، ثُمَّ تُلْزِمُهُمُ الْمَعَرَّاتُ خِزْياً فِي الدُّنْيَا ويَوْمَ الْقِيامَة يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذَابِ ومَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

فَمَا جَزَاءُ مَنْ تَنَكَّبَ مَحَجَّتَهُ، وأَنْكَرَ حُجَّتَهُ، وخَالَفَ هُدَاتَهُ، وحَادَ عَنْ نُورِهِ،

واقْتَحَمَ في ظُلَمِه، واسْتَبْدَلَ بالْمَاء السَّرَابَ، وبالنَّعيمِ الْعَذَابَ، وبالْفَوْزِ الشَّقَاءَ، وبالسَّرَّاءِ الضَّرَّاءَ، وبالسَّعَةِ الضَّنْكَ، إلاَّ جَزَاءَ اقْتِرَافِه، وسُوءَ خِلاَفِه.

فَلْيُوقِنُوا بالْوَعْدِ عَلى حَقِيقَتِه، ولْيَسْتَيْقِنُوا بِمَا يُوعَدُونَ، ﴿يَوْمَ تَأْتِي الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ذلكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ونُمِيتُ وإِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً ذلكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ وما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ﴾.

وصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وعَلى آلِ بَيْتِه الطَّاهِرِينَ.

خطبة له عليه السلام (١٣)

لما سأله رجل أن يعرّفه صفة الإسلام والإيمان والكفر والنفاق

فقال عليه السلام:

إِذَا كَانَ غَدٌ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ. فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالشَّارِدَةِ، يَثْقُفُهَا هٰذَا، وَيُخْطِئُهَا هٰذَا.

[ولمّا كان الغد خطب عليه السلام فقال:]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ الأُمُورَ بِعِلْمِهِ فِيهَا، فَاصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْهَا مَا شَاءَ، وَاسْتَخْلَصَ مِنْهَا مَا أَحَبَّ، فَكَانَ مِمَّا أَحَبَّ أَنَّهُ ارْتَضَى الإِيمَانَ وَاشْتَقَّهُ مِنِ اسْمِهِ، فَنَحَلَهُ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ شَرَعَ اللهُ - سُبْحَانَهُ- لَكُمُ الإِسْلَامَ، فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ عِزّاً لِمَنْ وَالَاهُ، وَأَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَعُدَّةً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَهُدىً لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَزِينَةً لِمَنْ تَحَلَّى بِهِ، وَعُرْوَةً لِمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ، وَحَبْلًا وَثِيقاً لِمَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلَجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَشَرَفاً لِمَنْ عَرَفَهُ، وَعَوْناً لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ، وَنَجَاةً لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَحِكْمَةً لِمَنْ نَطَقَ بِهِ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى بِهِ، وَعِلْماً لِمَنْ وَعَاهُ، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَاهُ، وَحِلْماً لِمَنْ حَرِبَ، وَفَهْماً لِمَنْ تَفَطَّنَ، وَيَقِيناً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَكَرَامَةً مِنَ اللَّهِ لِمَنْ أَصْلَحَ، وَزُلْفَى لِمَنِ

اقْتَرَبَ، وَثِقَةٌ لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةٌ لِمَنْ فَوَّضَ، وَسَبْقَةٌ لِمَنْ أَحْسَنَ، وَخَيْراً لِمَنْ سَارَعَ، وَجُنَّةٌ لِمَنْ صَبَرَ، وَلِبَاساً لِمَنِ اتَّقَى، وَظَهِيراً لِمَنْ رَشَدَ، وَكَهْفاً لِمَنْ آمَنَ، وَأَمَنَةً لِمَنْ أَسْلَمَ، وَغِنىً لِمَنْ قَنِعَ، وَرَوْحاً لِلصَّادِقِينَ، وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ، وَنَجَاةً لِلْفَائِزِينَ.

فَذَلِكَ الْحَقُّ، سَبِيلُهُ الْهُدَى، وَصِفَتُهُ الْحُسْنَى، وَمَأْثَرَتُهُ الْمَجْدُ.

فَالإِيمَانُ أَصْلُ الْحَقِّ وَالْحَقُّ سَبِيلُ الْهُدَى وَسَيْفُهُ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلائِجِ، أَنْوَرُ السِّرَاجِ، مُشْرَفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ، مُتَنَافَسُ السَّبْقَةِ، أَلِيمُ النَّقْمَةِ، كَامِلُ الْعُدَّةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ، وَاضِحُ الْبَيَانِ، عَظِيمُ الشَّأْنِ، بَشِيرٌ لِمَنْ سَلَكَ قَصْدَ السَّالِكِينَ.

فَالتَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْفِقْهُ مِصْبَاحُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سَبْقَتُهُ، وَالنَّارُ نَقْمَتُهُ، وَالتَّقْوَى عُدَّتُهُ، وَالْمُحْسِنُونَ فُرْسَانُهُ.

فَبِالإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الإِيمَانِ، وَبِالإِيمَانِ يَعْمُرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الآخِرَةُ، وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَتُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، وَبِالْجَنَّةِ تَكُونُ حَسْرَةُ أَهْلِ النَّارِ، وَفِي ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ مَوْعِظَةُ أَهْلِ التَّقْوَى، وَالتَّقْوَى سِنْخُ الإِيمَانِ.

فَمُعْتَصَمُ السُّعَدَاءِ بِالإِيمَانِ، وَخِذْلاَنُ الأَشْقِيَاءِ بِالْعِصْيَانِ، مِنْ بَعْدِ إِتْمَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِالْبَيَانِ، إِذْ وَضَحَ لَهُمْ مَنَارُ الْحَقِّ وَسَبِيلُ الْهُدَى.

فَتَارِكُ الْحَقِّ مَشُوَّهٌ يَوْمَ التَّغَابُنِ خِلْقَتُهُ، دَاحِضَةٌ حُجَّتُهُ عِنْدَ فَوْزِ السُّعَدَاءِ بِالْجَنَّةِ.

وَالتَّقْوَى غَايَةٌ لا يَهْلِكُ مَنِ اتَّبَعَهَا، وَلا يَنْدَمُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لأَنَّ بِالتَّقْوَى فَازَ الْفَائِزُونَ، وَبِالْمَعْصِيَةِ خَسِرَ الْخَاسِرُونَ.

فَلْيَزْدَجِرْ أُولُوا النُّهَى، وَلْيَتَذَكَّرْ أَهْلُ التَّقْوَى، فَإِنَّ الْخَلْقَ لا مَقْصَرَ لَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ دُونَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا، نَحْوَ الْقَصَبَةِ الْعُلْيَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى، مُهْطِعِينَ بِأَعْنَاقِهِمْ نَحْوَ دَاعِيهَا.

قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الأَجْدَاثِ، وصَارُوا إِلى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ، وأُقيمَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَجُ.

لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا، ولا يُنْقَلُونَ عَنْهَا.

قَدِ انْقَطَعَتْ بِالأَشْقِيَاءِ الأَسْبَابُ، وأَفْضَوْا إِلى عَذَابٍ شَدِيدِ الْعِقَابِ، فَلا كَرَّةَ لَهُمْ إِلى دَارِ الدُّنْيَا فَيَتَبَرَّؤُوا مِنَ الَّذِينَ آثَرُوا طَاعَتَهُمْ عَلى طَاعَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وفَازَ السُّعَدَاءُ بِوَلايَةِ الإِيمَانِ.

أَلا فَإِنَّ الإِيمَانَ بُنِيَ عَلى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الصَّبْرِ، والْيَقِينِ، والْعَدْلِ، والْجِهَادِ.

فَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشَّوْقِ، والشَّفَقِ، والزُّهْدِ، والتَّرَقُّبِ.

فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلا عَنِ الشَّهَوَاتِ.

ومَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ.

ومَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ.

ومَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ.

والْيَقِينُ مِنْهَا عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلى تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ، وتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ، ومَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ، واتِّبَاعِ سُنَّةِ الأَوَّلِينَ.

فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ.

ومَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ.

ومَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ عَرَفَ السُّنَّةَ.

ومَنْ اتَّبَعَ السُّنَّةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الأَوَّلِينَ.

والْعَدْلُ مِنْهَا عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلى غَائِصِ الْفَهْمِ، وغَوْرِ الْعِلْمِ، وزَهْرَةِ الْحُكْمِ، ورَسَاخَةِ الْحِلْمِ.

فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ.

ومَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ.

ومَنْ عَرَفَ شَرَائِعَ الْحُكْمِ لَمْ يَضِلَّ.

ومَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ في أَمْرِهِ، فَاهْتَدى إِلَى الَّتي هِيَ أَقْوَمُ، وعَاشَ فِي النَّاسِ حَميداً.

والْجِهَادُ مِنْهَا عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، والصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ والْغَضَبِ للَّهِ.

فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ.

ومَنْ نَهى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْمُنَافِقِينَ ومَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضى مَا عَلَيْهِ، وأَحْرَزَ دِينَهُ.

ومَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِينَ وغَضِبَ للَّهِ، غَضِبَ اللهُ - تعالى - لَهُ وأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَذلِكَ الإِيمَانُ ودَعَائِمُهُ وشُعَبُهُ.

والْكُفْرُ عَلى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى التَّعَمُّقِ فِي الرَّأْيِ، والتَّنَازُعِ فيه، والزَّيْغِ، وَالشِّقَاقِ.

فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَى الْحَقِّ، ولَمْ يَزْدَدْ إِلاَّ غَرَقاً فِي الْغَمَرَاتِ، فَلَمْ تَحْتَبِسْ عَنْهُ فِتْنَةٌ إِلاَّ غَشِيَتْهُ أُخْرى، وانْخَرَقَ دِينُهُ، فَهُوَ يَهِيمُ في أَمْرٍ مَرِيجٍ.

ومَنْ نَازَعَ فِي الرَّأْيِ وخَاصَمَ شَهَرَ بِالْعَتَلِ، [وَ] قَطَعَ بَيْنَهُمُ الْفَشَلُ، وبَلى أَمْرُهُمْ مِنْ طُولِ اللَّجَاجِ.

ومَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ.

ومَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ، وحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ، وسَكِرَ سُكْرَ الضَّلالَةِ.

ومَنْ شَاقَّ وعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ، وأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وضَاقَ مَخْرَجُهُ، وحَرِيٌّ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ، ويَتَّبِعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ.

والْفِسْقُ عَلى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الْجَفَاءِ، والْعَمى، والْغَفْلَةِ، والْعُتُوِّ.

فَمَنْ جَفَا حَقَّرَ الْحَقَّ، وجَهَرَ بِالْبَاطِلِ، ومَقَتَ الْفُقَهَاءَ، وأَصَرَّ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ.

ومَنْ عَمِيَ نَسِيَ الذِّكْرَ، واتَّبَعَ الظَّنَّ، وبَارَزَ خَالِقَهُ، وأَلَحَّ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وطَلَبَ

الْمَغْفِرَةَ بِلا تَوْبَة ولاَ اسْتِكَانَة.

ومَنْ غَفَلَ حَادَ عَنِ الرُّشْد، [وَ] جَنى عَلى نَفْسه، وأَثْقَلَ ظَهْرَهُ، وحَسبَ غَيَّهُ رُشْداً، وغَرَّتْهُ الأَمَانيُّ، وأَخَذَتْهُ الْحَسْرَةُ والنَّدَامَةُ، إِذَا انْقَضَى الأَمْرُ وانْكَشَفَ عَنْهُ الْغِطَاءُ، وبَدَا لَهُ مِنَ اللَّه مَا لَمْ يَكُنْ يَحْتَسبُ.

ومَنْ عَتَا عَنْ أَمْرِ اللَّه شَكَّ، ومَنْ شَكَّ تَعَالَى اللَّهُ عَلَيْه، ثُمَّ أَذَلَّهُ بِسُلْطَانه، وصَغَّرَهُ بِجَلاله، كَمَا فَرَّطَ في جَنْبه، وعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّه الْكَريم.

والشَّكُّ عَلى أَرْبَعِ شُعَب: عَلَى التَّمَاري، والْهَوْل مِنَ الْحَقِّ، والتَّرَدُّد، والاسْتِسْلامِ لِلْجَهْلِ وأَهْله. وهُوقَوْلُ الله - تعالى -: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارى﴾.

فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلَهُ.

ومَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْه نَكَصَ عَلى عَقِبَيْه.

ومَنْ تَرَدَّدَ في الرَّيْب، سَبَقَهُ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ، وأَدْرَكَهُ الآخِرُونَ، ووطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطين.

ومَن اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَة الدُّنْيَا والآخِرَة هَلَكَ فيهِمَا، ومَنْ نَجَا مِنْ ذَلكَ فَبِفَضْلِ الْيَقين.

والشُّبْهَةُ عَلى أَرْبَعِ شُعَب: عَلَى الاعْجَاب بِالزِّينَة، وتَسْويلِ النَّفْسِ، وتَأَوُّلِ الْعِوَجِ، ولَبْسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ.

وذَلكَ لأَنَّ الزِّينَةَ تَصْدِفُ عَنِ الْبَيِّنَة.

وتَسْويلَ النَّفْسِ يُقَحِّمُ عَلَى الشَّهْوَة.

والْعِوَجَ يَميلُ بِصَاحِبه مَيْلًا عَظيماً.

واللَّبْسَ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

فَذَلكَ الْكُفْرُ ودَعَائِمُهُ وشُعَبُهُ.

والنِّفَاقُ عَلى أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَى الْهَوى، والْهُوَيْنَا، والْحَفيظَة، والطَّمَعِ.

والْهَوى مِنْ ذَلكَ عَلى أَرْبَعِ شُعَب: عَلَى الْبَغْي، والْعُدْوَانِ، والشَّهْوَة، والطُّغْيَانِ.

فَمَنْ بَغى كَثُرَتْ غَوَائِلُهُ وعِلاَّتُهُ، وتَخَلَّى [اللَّهُ] عَنْهُ، ونَصَرَ عَلَيْه.

ومَنِ اعْتَدى لَمْ تُؤْمَنْ بَوَائِقُهُ، ولَمْ يَسْلَمْ قَلْبُهُ.

ومَنْ لَمْ يَعْزِلْ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ خَاضَ فِي الْخَبِيثَاتِ، وسيحَ فِي الْحَسَرَاتِ.

ومَنْ طَغى ضَلَّ عَلى غَيْرِ يَقينٍ، ولا عُذْرَ ولا حُجَّةَ لَهُ.

وأَمَّا شُعَبُ الْهَوَيْنَا فـ:

الْهَيْبَةُ، والْغِرَّةُ، والْمُمَاطَلَةُ، والأَمَلُ.

وذَلِكَ لأَنَّ الْهَيْبَةَ تَرُدُّ عَنْ دينِ الْحَقِّ.

والْغِرَّةَ بِالْعَاجِلِ تُقَصِّرُ بِالْمَرْءِ عَنِ الْعَمَلِ.

والْمُمَاطَلَةَ تُوَرِّطُ فِي الْعَمى حَتَّى يُقْدِمَ عَلَيْهِ الأَجَلُ.

ولَولاَ الأَمَلُ عَلِمَ الإِنْسَانُ حِسَابَ مَا هُوفِيهِ، ولَوعَلِمَ حِسَابَ مَا هُوفِيهِ مَاتَ خُفَاتاً مِنَ الْهَوْلِ والْوَجَلِ.

وأَمَّا شُعَبُ الْحَفِيظَةِ فَـ: الْكِبْرُ، والْفَخْرُ، والْحَمِيَّةُ، والْعَصَبِيَّةُ.

فَمَنِ اسْتَكْبَرَ أَدْبَرَ.

ومَنْ فَخَرَ فَجَرَ.

ومَنْ حَمى أَصَرَّ.

ومَنْ أَخَذَتْهُ الْعَصَبِيَّةُ جَارَ.

فَبِئْسَ الأَمْرُ أَمْرٌ بَيْنَ إِدْبَارٍ وفُجُورٍ، وبَيْنَ إِصْرَارٍ وجَوْرٍ.

وشُعَبُ الطَّمَعِ أَرْبَعٌ: الْفَرَحُ، والْمَرَحُ، واللَّجَاجَةُ، والتَّكَاثُرُ.

فَالْفَرَحُ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الله - عَزَّ وجل -.

والْمَرَحُ خُيَلاءُ.

واللَّجَاجَةُ بَلاءٌ لِمَنِ اضْطَرَّتْهُ إِلى حَمْلِ الآثَامِ.

والتَّكَاثُرُ لَهْوولَعِبٌ وشُغْلٌ، واسْتِبْدَالُ الَّذي هُوأَدْنى بِالَّذي هُوخَيْرٌ.

فَذَلِكَ النِّفَاقُ ودَعَائِمُهُ وشُعَبُهُ.

واللَّهُ قَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِه، تَعَالى جَدُّهُ، واسْتَوَتْ بِه مِرَّتُهُ، واشْتَدَّتْ قُوَّتُهُ، وجَلَّ وَجْهُهُ، وأَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وانْبَسَطَتْ يَدُهُ، ووَسِعَتْ حُجَّتُهُ، وظَهَرَ أَمْرُهُ، وأَشْرَقَ نُورُهُ، وفَاضَتْ بَرَكَتُهُ، واسْتَضَاءَتْ حِكْمَتُهُ، وفَلَجَتْ حُجَّتُهُ، وخَلُصَ دِينُهُ، وحَقَّتْ كَلِمَتُهُ، وسَبَقَتْ حَسَنَاتُهُ، وصَفَتْ نِسْبَتُهُ، وأَقْسَطَتْ مَوَازِينُهُ، وبَلَّغَتْ رُسُلُهُ، وحَضَرَتْ حَفَظَتُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ السَّيِّئَةَ ذَنْباً، والذَّنْبَ فِتْنَةً، والْفِتْنَةَ دَنَساً.

وجَعَلَ الْحُسْنى عُتْبى، والْعُتْبى تَوْبَةً، والتَّوْبَةَ طَهُوراً.

فَمَنْ تَابَ اهْتَدى، ومَنِ افْتُتِنَ غَوى، مَا لَمْ يَتُبْ إِلَى اللَّهِ، ويَعْتَرِفْ بِذَنْبِهِ، ويُصَدِّقْ بِالْحُسْنى.

ولا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ هَالِكٌ.

فَاللَّهَ اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، مَا أَوْسَعَ مَا لَدَيْهِ مِنَ التَّوْبَةِ والرَّحْمَةِ، والْبُشْرى والْحِلْمِ الْعَظِيمِ.

ومَا أَنْكَلَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الأَنْكَالِ والْجَحِيمِ، والْعِزَّةِ والْقُدْرَةِ والْبَطْشِ الشَّدِيدِ.

فَمَنْ ظَفِرَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَجْلَبَ كَرَامَتَهُ.

ومَنْ لَمْ يَزَلْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ذَاقَ وبِيلَ نَقْمَتِهِ.

هُنَالِكَ عُقْبَى الدَّارِ، لاَ يَخْشى أَهْلُهَا غَيْرَهَا.

وهُنَالِكَ خَيْبَةٌ لَيْسَ لأَهْلِهَا اخْتِيَارٌ، وجَنَّاتٌ لاَ جَنَّاتٌ بَعْدَهَا.

نَسْأَلُ اللَّهَ ذَا السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ، والْوَجْهِ الْكَرِيمِ، والْحِلْمِ الْعَظِيمِ، خَيْرَ عَاقِبَةِ الْمُتَّقِينَ، وخَيْرَ مَرَدِّ يَوْمِ الدِّينِ.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، حدّثنا عن ميّت الأحياء.

فقال عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ، فَصَدَّقَهُمْ مُصَدِّقُونَ، وكَذَّبَهُمْ مُكَذِّبُونَ. فَيُقَاتِلُونَ مَنْ كَذَّبَهُمْ بِمَنْ صَدَّقَهُمْ، فَيُظْهِرُهُمُ اللَّهُ.

ثُمَّ يَمُوتُ الرُّسُلُ، فَتَخَلَّفُ خُلُوفٌ، فَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ ولِسَانِهِ وقَلْبِهِ،

فَذَلكَ الْمُسْتَكْملُ لخصَال الْخَيْر.

ومنْهُمُ الْمُنْكرُ للْمُنْكَر بلسَانه وقَلْبه والتَّاركُ بيَده، فَذَلكَ مُتَمَسِّكٌ بخَصْلَتَيْن منْ خصَال الْخَيْر، ومُضَيِّعٌ خَصْلَةً وَاحدَةً وهي أَشْرَفُهَا.

ومنْهُمُ الْمُنْكرُ للْمُنْكَر بقَلْبه والتَّاركُ بيَده ولسَانه، فَذَلكَ الَّذي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْن منَ الثَّلاث وتَمَسَّكَ بوَاحدَة.

ومنْهُمْ تَاركٌ لإنْكَار الْمُنْكَر بلسَانه وقَلْبه ويَده، فَذَلكَ مَيِّتُ الأَحْيَاء.

فقام إليه رجل فـ[قطع عليه كلامه و] قال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا، علام قاتلت طلحة والزبير.

فقال عليه السلام: قَاتَلْتُهُمْ عَلى نَقْضهمْ بَيْعَتي، وقَتْلهمْ شيعَتي منَ الْمُؤْمنينَ حُكَيْمَ بْن جَبَلَةَ الْعَبْديِّ منْ عَبْد الْقَيْس، والسَّبَابَجَةَ، والأَسَاوِرَةَ، بلاَ حَدَثٍ اسْتَوْجَبُوهُ منْهُمَا، ولاَ كَانَ ذَلكَ لَهُمَا دُونَ الإمَام.

ولَوأَنَّهُمَا فَعَلاَ ذَلكَ بأبي بَكْر وعُمَرَ لَقَاتَلاَهُمَا.

ولَقَدْ عَلمَ مَنْ هَا هُنَا منْ أَصْحَاب النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ أَنَّ أَبَا بَكْر وعُمَرَ لَمْ يَرْضَيَا ممَّنِ امْتَنَعَ منْ بَيْعَة أبي بَكْر حَتَّى بَايَعَ وهُوكَارهٌ، ولَمْ يَكُونُوا بَايَعُوهُ بَعْدُ الأَنصَارُ، فَمَا بَالي وقَدْ بَايَعَاني طَائعَيْن غَيْرَ مُكْرَهَيْن.

ولكنَّهُمَا طَمعَا منِّي في وِلاَيَة الْبَصْرَة والْيَمَن، فَلَمَّا لَمْ أُوَلِّهمَا، وجَاءَهُمَا الَّذي غَلَبَ منْ حُبِّهمَا الدُّنْيَا وحرْصهمَا عَلَيْهَا، لمَا خفْتُ أَنْ يَتَّخذَا عبَادَ اللَّه خَوَلًا، ومَالَ الْمُسْلمينَ لأَنْفُسهمَا دُوَلًا.

فَلَمَّا زَوَيْتُ ذَلكَ عَنْهُمَا، وذَلكَ بَعْدَ أَنْ جَرَّبْتُهُمَا واحْتَجَجْتُ عَلَيْهمَا.

فقام إليه رجل ف[قطع عليه كلامه و] قال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرأواجب هو.

فقام عليه السلام: نَعَمْ، سَمعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يَقُولُ: إنَّمَا

أَهْلَكَ اللَّهُ الأُمَمَ السَّالِفَةَ قَبْلَكُمْ بِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

يَقُولُ الله - عَزَّ وجل -: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وإِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ الله - سُبْحَانَهُ -، فَمَنْ نَصَرَهُمَا نَصَرَهُ اللَّهُ، ومَنْ خَذَلَهُمَا خَذَلَهُ اللَّهُ.

فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنَّهُمَا لا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، ولاَ يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ.

ومَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلِّهَا والْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلاَّ كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ.

وأَفْضَلُ ذَلِكَ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ.

خطبة له عليه السلام (١٤)

في وصف المتّقين والمؤمنين

روي أن صاحبا لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام بن عباد كان رجلا عابدا. فقال يوما: يا أمير المؤمنين، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم.

فتثاقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال: يَا هَمَّامُ، اتَّقِ اللَّهَ وأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

فلم يقنع همّام بهذا القول حتى عزم عليه.

فقال عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي لاَ تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، ولاَ تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، ولاَ تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، ولاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ.

الدَّالِّ عَلى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلى وُجُودِهِ، وبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلى أَنْ لاَ شَبِيهَ لَهُ.

الَّذي صَدَقَ في مِيعَادِهِ، وارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وقَامَ بِالْقِسْطِ في خَلْقِهِ، وعَدَلَ عَلَيْهِمْ في حُكْمِهِ، وأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ في قَسْمِهِ.

لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي لاَ مِنْ شَيْءٍ كَانَ وُجُودُهُ في قِدَمِهِ، ودَيْمُومِ أَزَلِهِ، ولاَ مِنْ شَيْءٍ كَوَّنَ مَا قَدْ كَانَ، مِنْ إِحْدَاثِ فَطْرِهِ، واخْتِرَاعِ إِبْدَاعِهِ.

دَلاَلَـةً مِـنْهُ عَلَـيْه بِإتْقَـانِ صُـنْعِه ودَلاَئِلِ أَعْمَالِه، الصَّادِرَة إلى إذْعَانِ الاقْرَارِ به لَدى عَجْزِ أَرْجَائِهَا، وتَأْليفِ أَجْزَائِهَا.

الْمَوْضُوعَة عَلى جِبلَّة الاضْطِرَارِ إلى تَدْبيره، واكْتِنَافِ إمْسَاكه، وسَوْمِ مَسيره، فيمَا قَرَّرَ مِنْ مَسَائِرِ الأَسْبَابِ في صُنْعِ الطِّبَاعِ الْمُتَغَايِرَة بأَقْدَارِه.

وأَسْكَنَ مَعَادِنَ الأَجْنَاسِ مِنْ ذِلَّة إلى حِيَاطَته وإسْفَاقه فيمَا أَوْدَعَهَا مِنْ آثَارِ صُنْعه، غَيْرَ مُسْتَغْنِيَة عَنْ لُطْفه وإقَامَته، إحْوَاجاً مِنْهُ لمَبَالِغِ الْعُقُولِ والأَوْهَامِ إلَى الْعِبَرِ والْفِكَرِ والنَّظَرِ في مَلَكُوته، وسَعَة سُلْطَانه، وكَمَالِ قُدْرَته، ومَا عَلَيْه فيه مِنْ وُجُوده في قِدَمه.

إذْ كَانَ ولاَ مَعَهُ وُجُودُ شَيْءٍ مِنَ الْمُحْدَثَاتِ الَّتي بِهَا دَلَّ عَلى تَوْحيده، وهَدى إلى مَعْرِفَته ومَعْرِفَة غَيْره مِنَ الأَشْيَاء الرَّاجعَة إلى صُنْعه.

ولذَلكَ مِنْهُ مَعْرِفَتَانِ قَضَاهُمَا لخَلْقه: مَعْرِفَةُ اسْتِغْرَاقٍ وإحَاطَة.

ومَعْرِفَةُ هدَايَة ودَلاَلَة.

فَأَمَّا مَعْرِفَةُ الاسْتِغْرَاقِ والإحَاطَة فَغَيْرُ جَائِزَة لَهُ، ولاَ وَاقِعَةٌ عَلَيْه، لِمَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الأَزَلِ، والْخُرُوجِ مِنَ الْحَدَث.

وأَمَّا مَعْرِفَةُ الدَّلاَلَة والْهدَايَة إلَيْه فَغَيْرُ مُدْرَكَة إلاَّ مِنْ طَرِيق مَا أَدْرَكَتْ صَرُورَاتُ الْعُقُولِ والأَوْهَامِ مِنْ شَوَاهد الصُّنْعِ وأَعْلاَمِ التَّدْبيرِ والآيَاتِ الدَّالَّة عَلَيْه.

إذْ لاَ يُمِرُّ النَّاظِرُ الْمُدْرَاكَ مِنْ عَشَرَة أَوْجُه مِنَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ وإدْرَاكِهَا، مِنْ سَمْعٍ ومَسْمُوعٍ.

وبَصَرٍ ومُبْصَرٍ. وشَمٍّ ومَشْمُومٍ. وذَوْقٍ ومَذُوقٍ. ولَمْسٍ ومَلْمُوسٍ.

وكُلُّ ذَلكَ، ممَّا تَدُلُّ عَلَيْه الْعُقُولُ والأَوْهَامُ، أَجْسَامٌ مَنْسُوبَةٌ إلَى التَّأْليف، وأَعْرَاضٌ عَاجِزَةٌ عَنِ الْقيَامِ بذَوَاتِهَا.

وكُلُّ عَاجِزٍ فَمُضْطَرٌّ إلى مُعْجِزِه، وكُلُّ جِسْمٍ دَالٌّ عَلى مُؤَلِّفه، في ضَرُورَة [حَاجَة] الأَعْرَاضِ إلى مُعْرِضِهَا، وذَوَاتِ الأَجْسَامِ إلى مُؤَلِّفِهَا والْمُوجِدِ لتَجْديدِهَا وتَجْسيمِهَا.

دَالَّةٌ عَلى حُدُوثِ فِطْرَتِهَا ونَشْأَةِ صَنْعَتِهَا عَنْ إِيجَادِ مَوْجُودٍ مُتَقَدِّمٍ فِي الأَزَلِ لَهَا.

الَّذي أَعْدَمَهَا قَبْلَ وُجُودِهَا بَعْدَ عَدَمِهَا.

وفي ذَلِكَ دَلاَلَةٌ عَلى أَنَّ وُجُودَهُ وَجُودٌ مُبَايِنٌ لَهَا، خَارِجٌ مِنْ مُلاَمَسَتِهَا ومُشَابَهَتِهَا، لإِحْدَاثِه إِيَّاهَا، وتَقَدُّمِه لَهَا، واسْتِحْقَاقِ الأَزَلِ قَبْلَهَا.

إِذْ هِيَ مَعْدُومَةٌ فِي ذَوَاتِهَا، غَيْرَ مُشَاهِدَةٍ لابْتِدَائِهَا، حَتَّى اضْطَرَّهَا الْحُدُوثُ إِلى وُجُودِهَا بَعْدَ عَدَمِهَا.

وفِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ نَشْأَتِهَا عَنْ غَيْرِ مُخْتَلَقٍ كَانَتْ قَبْلَ حُدُوثِهَا، وظَهَرَتْ أَجْسَاماً مَحْدُودَةً، وأَعْرَاضاً غَيْرَ مُسْتَغْنِيَةٍ عَنْ إِقَامَةِ الأَجْسَامِ إِيَّاهَا.

تَدُلُّ بِحَالاَتِهَا الْخَمْسِ: مِنْ عَدَمِهَا، ووُجُودِهَا، وبَقَائِهَا، وتَقَلُّبِهَا، وفَنَائِهَا، ضَرُورَةً عَلى صَنْعَةِ وَاحِدٍ غَيْرِ مَنْسُوبٍ إِلى عَدَدِهَا، ولاَ مُشَاكِلٍ لَهَا فِي ذَوَاتِهَا.

لاخْتِلاَفِ طُعُومِهَا وأَلْوَانِهَا، دُونَ ثِقْلِهَا وخِفَّتِهَا، وتَصَرُّفِ نُقْصَانِهَا وزِيَادَتِهَا، وتَأْلِيفِ أَشْبَاحِهَا وصُوَرِهَا، وتَغَايُرِ ظُلَمِهَا وأَنْوَارِهَا الْمُتَلاَقِيَةِ فِي أَقْطَارِ جَوِّهَا الْمُحِيطِ بِهَا، وحُدُودِ إِمْكَانِهَا الْمُكَيِّفِ لَهَا.

فَجَلَّ مُوجِدُهَا عَنْ صِفَاتِهَا وتَنَاهِي غَايَاتِهَا، وتَعَالى عُلُوّاً كَبِيراً.

لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ فَيُدْرَكَ بِأَيْنِيَّتِه، ولاَ لَهُ شِبْهٌ ولاَ مِثَالٌ فَيُوصَفَ بِكَيْفِيَّتِه، ولَمْ يَغِبْ عَنْ عِلْمِه شَيْءٌ فَيُنْعَتَ بِحَيْثِيَّتِه.

مُبَايِنٌ لِجَمِيعِ مَا أَحْدَثَ مِنَ الصِّفَاتِ، ومُمْتَنِعٌ عَنِ الادْرَاكِ بِمَا ابْتَدَعَ مِنْ تَصْرِيفِ الذَّوَاتِ، وخَارِجٌ بِالْكِبْرِيَاءِ والْعَظَمَةِ مِنْ جَمِيعِ تَصَرُّفِ الْحَالاَتِ.

مُحَرَّمٌ عَلى بَوَارِعِ ثَاقِبَاتِ الْفِطَنِ تَحْدِيدُهُ، وعَلى عَوَامِقِ نَاقِبَاتِ الْفِكَرِ تَكْيِيفُهُ، وعَلى غَوَائِصِ سَابِحَاتِ الْفِطَرِ تَصْوِيرُهُ.

لاَ تَحْوِيهِ الأَمَاكِنُ لِعَظَمَتِه، ولاَ تَذْرَعُهُ الْمَقَادِيرُ لِجَلاَلِه، ولاَ تَقْطَعُهُ الْمَقَايِيسُ لِكِبْرِيَائِه.

مُمْتَنِعٌ عَنِ الأَوْهَامِ أَنْ تَكْتَنِهَهُ، وعَنِ الأَفْهَامِ أَنْ تَسْتَغْرِقَهُ، وعَنِ الأَذْهَانِ أَنْ تُمَثِّلَهُ.

قَدْ يَئِسَتْ مِن اسْتِنْبَاطِ الاحَاطَةِ بِهِ طَوَامِحُ الْعُقُولِ، ونَضَبَتْ عَنِ الاشَارَةِ إِلَيْهِ بِالاكْتِنَاهِ بِحَارُ الْعُلُومِ، ورَجَعَتْ بِالصَّغَرِ عَنِ السُّمُوِإلى وَصْفِ قُدْرَتِهِ لَطَائِفُ الْخُصُومِ.

وَاحِدٌ لاَ بِعَدَدٍ، ودَائِمٌ لاَ بِأَمَدٍ، وقَائِمٌ لاَ بِعَمَدٍ.

لَيْسَ بِجِنْسٍ فَتُعَادِلَهُ الأَجْنَاسُ، ولاَ بِشَبَحٍ فَتُضَارِعَهُ الأَشْبَاحُ، ولاَ كَالأَشْيَاءِ فَتَقَعَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ.

تَتَلَقَّاهُ الأَذْهَانُ لاَ بِمُشَاعَرَةٍ، وتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لاَ بِمُحَاضَرَةٍ.

لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا، وبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وإِلَيْهَا حَاكَمَهَا.

لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، ولاَ بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً، بَلْ كَبُرَ شَأْناً، وعَظُمَ سُلْطَاناً.

قَدْ ضَلَّتِ الْعُقُولُ فِي أَمْوَاجِ تَيَّارِ إِدْرَاكِهِ، وتَحَيَّرَتِ الأَوْهَامُ عَنْ إِحَاطَةِ ذِكْرِ أَزَلِيَّتِهِ، وحَصِرَتِ الأَفْهَامُ عَنِ اسْتِشْعَارِ وَصْفِ قُدْرَتِهِ، وغَرِقَتِ الأَذْهَانُ فِي لُجَجِ أَفْلاَكِ مَلَكُوتِهِ.

مُقْتَدِرٌ بِالآلاَءِ، ومُمْتَنِعٌ بِالْكِبْرِيَاءِ، ومُتَمَلِّكٌ عَلَى الأَشْيَاءِ، فَلاَ دَهْرَ يَخْلُقُهُ، ولاَ وَصْفَ يُحِيطُ بِهِ.

قَدْ خَضَعَتْ لَهُ رَوَاتِبُ الصِّعَابِ فِي مَحَلِّ تُخُومِ قَرَارِهَا، وأَذْعَنَتْ لَهُ رَوَاصِنُ الأَسْبَابِ فِي مُنْتَهَى شَوَاهِقِ أَقْطَارِهَا.

مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وبِمَا وسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ.

فَلَيْسَ لَهَا مَحِيصٌ عَنْ إِدْرَاكِهِ إِيَّاهَا، ولاَ خُرُوجٌ عَنْ إِحَاطَتِهِ بِهَا، ولاَ احْتِجَابٌ عَنْ إِحْصَائِهِ لَهَا، ولاَ امْتِنَاعٌ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَيْهَا.

كَفَى بِإِتْقَانِ الصُّنْعِ لَهَا آيَةً، وبِمُرَكَّبِ الطَّبْعِ عَلَيْهَا دَلاَلَةً، وبِحُدُوثِ الْفِطَرِ عَلَيْهَا

قدْمَةٌ، وبإحْكَامِ الصَّنْعَة لَهَا عِبْرَةٌ.

فَلَيْسَ إلَيْه حَدٌّ مَنْسُوبٌ، ولاَ لَهُ مَثَلٌ مَضْرُوبٌ، ولاَ شَيْءَ عَنْهُ مَحْجُوبٌ.

تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَة، والصِّفَاتِ الْمَخْلُوقَة عُلُوّاً كَبيراً.

أَلاَ وإنَّ في هدَايَة مَا اضْطَرَّتْ إلَيْه الْعُقُولُ والأَوْهَامُ منْ تَحْقيق وُجُوده، وإخْلاَص تَوْحيده، ونَفْي شَبَهه، دَلاَلَةً عَلى مَنَار عَدْله، وتَأْييد فَطْره، وعُمُوم رَأْفَته، لاكْتفَائه بنَفْسه، واسْتغْنَائه عَنْ غَيْره، وعَدَم الْمُنَازع لَهُ في دَيْمُوميَّته وقدَمه.

فَسُبْحَانَ الْمُتَطَوِّل بنَعْمَائه، الْمُتَفَضِّل بآلاَئه عَلى بَرِيَّته.

وتَبَارَكَ الْعَادلُ في حُكْمه، الْحَكيمُ في قَضَائه، اللَّطيفُ بعبَاده فيمَا أَمَرَهُمْ منْ طَاعَته، وهَدَاهُمْ به منْ دينه، ودَلَّهُمْ عَلَيْه منْ مَعْرفَته، ودَعَاهُمْ إلَيْه منَ الاقْرَار به والاذْعَان لرُبُوبيَّته، عَلى غَيْر إكْرَاه عَلى طَاعَته، ولاَ قَسْر منْهُ عَلى مَعْصيَته بَعْدَ إعْذَاره وإنْذَاره، لِلْخُرُوج منْ تَنَاقُض الأُمُور، والْبَدَاءَات الَّتي لاَ تَليقُ به في كبْرِيَائه وامْتنَاع سُلْطَانه.

لأَنَّ الْبَدَاءَات منْ صفَات الْمَخْلُوقينَ، فَكَيْفَ يَجُوزُ اخْتيَارُ خَلْقه عَمَّا عَنْهُ نَهى منْ عصْيَانه، وهَدْم امُوره بَعْدَ ابْتدَائه بَطَوْله، والدَّعْوَة إلى مَعْرفَته وطَاعَته.

أَمْ كَيْفَ يُمْكنُ في عَدْله وجُوده إيجَابُ عَذَاب الْمَفْسُورينَ منْ عبَاده عَلى جَحْده والْكُفْر به بَعْدَ الَّذي تَقَدَّمَ لَهُ إلَيْهمْ منْ أَمْره ونَهْيه، وتَطَوَّلَ عَلَيْهمْ فيه منْ إشْفَاقه وحيَاطَته، مَعَ سُبُوغ النِّعْمَة، وصحَّة الآلَة، وسَلاَمَة الْجَارحَة، ومُهْلَة الأَجَل، ومَضْمُون الْهدَايَة، وتَرَكُّب الاسْتطَاعَة، وقُوَّة الأَدَوَات بالْحُجَج الْمُبَيِّنَة، والْكُتُب الْمُنيرَة، والرُّسُل الدَّاعيَة، والآيَات الزَّاجرَة.

منْ ذَلكَ قَوْلُهُ- جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وما كُنَّا مُعَذِّبينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، مَعَ قَوْله: ﴿وما ظَلَمْناهُمْ ولكنْ كانُوا هُمُ الظَّالمينَ﴾، وقَوْله: ﴿وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى﴾، وقَوْله: ﴿وقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ﴾، مَعَ قَوْله: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وأَهْلُ الْمَغْفرَة﴾، وقَوْله: ﴿إنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

كُلُّ ذَلكَ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ عَلى سَبيلِ عَدْله، ومَنْهَجِ حُكْمه، وسَعَة رَحْمَته.

جَلَّ الله - تعالى - عَنِ الظُّلْمِ، والْخُرُوجِ مِنَ الْحِكْمَة في حَمْلِ خَلْقه، عَلى شَتْمه والافْتِرَاء عَلَيْه، عُلُوّاً كَبيراً.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ إيمَاناً برُبُوبيَّته، وخلاَفاً عَلى مَنْ أَنْكَرَهُ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُصْطَفى، ورَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وأَمينُهُ الرَّضِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَة، وشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَة، أَغْصَانُهَا مُعْتَدلَةٌ، وثمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ.

مَوْلدُهُ بمَكَّةَ، وهجْرَتُهُ بطَيْبَةَ، عَلاَ بهَا ذكْرُهُ، وامْتَدَّ منْهَا صَوْتُهُ.

إِبْتَعَثَهُ بالنُّور الْمُضيء، والْبُرْهَان الْجَليِّ، والْمنْهَاج الْبَادي، والْكتَاب الْهَادي.

أَرْسَلَهُ بحُجَّة كَافيَة، ومَوْعظَة شَافيَة، ودَعْوَة مُتَلاَفيَة.

أَظْهَرَ به الشَّرَائعَ الْمَجْهُولَةَ، وقَمَعَ به الْبدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وبَيَّنَ به الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ.

أَرْسَلَهُ بوُجُوب الْحُجَج، وظُهُور الْفَلَج، وإِيضَاح الْمَنْهَج، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادعاً بهَا، وحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّة دَالًّا عَلَيْهَا، وأَقَامَ أَعْلاَمَ الاهْتدَاء، ومَنَارَ الضِّيَاء.

وجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلاَم مَتينَةً، وعُرَى الإِيمَان وَثيقَةً.

فَمَنْ يَبْتَغ غَيْرَ الإِسْلاَم ديناً تَتَحَقَّقُ شقْوَتُهُ، وتَنْفَصمُ عُرْوَتُهُ، وتَعْظُمُ كَبْوَتُهُ، ويَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْن الطَّويل، والْعَذَاب الْوَبيل.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - خَلَقَ الْخَلْقَ حينَ خَلَقَهُمْ، فَأَلْزَمَهُمْ عبَادَتَهُ، وكَلَّفَهُمْ طَاعَتَهُ، غَنيّاً عَنْ طَاعَتهمْ، آمناً منْ مَعْصيَتهمْ، لأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصيَةُ مَنْ عَصَاهُ، ولاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ.

فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايشَهُمْ، ووَضَعَهُمْ منَ الدُّنْيَا مَوَاضعَهُمْ، ووَصَفَهُمْ في الدّين حَيْثُ وَصَفَهُمْ.

لكنَّهُ - تعالى - عَلمَ قُصُورَهُمْ عَمَّا يَصْلُحُ عَلَيْه شُؤُونُهُمْ، ويَسْتَقيمُ به دَاءُ أَوَدهمْ،

في عَاجِلِهِمْ وآجِلِهِمْ، فَأَدَّبَهُمْ بِأَدَبِهِ، فِي أَمْرِهِ ونَهْيِهِ، فَأَمَرَهُمْ تَخْيِيراً، وكَلَّفَهُمْ يَسِيراً، وأَثَابَهُمْ كَثِيراً.

وأَمَازَ - سُبْحَانَهُ - بِعَدْلِ حُكْمِهِ وحِكْمَتِهِ، بَيْنَ الْمُوجِفِ مِنْ أَنَامِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ومَحَبَّتِهِ، وبَيْنَ الْمُبْطِئِ عَنْهَا والْمُسْتَظْهِرِ عَلَى نِعْمَتِهِ مِنْهُمْ بِمَعْصِيَتِهِ، وذَلِكَ قَوْلُهُ - عَزَّ وجل -: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ ومَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وإِنَّمَا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ وحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنَ الْجَنَّةِ عُقُوبَةً لِمَا صَنَعَا، حَيْثُ نَهَاهُمَا فَخَالَفَاهُ، وأَمَرَهُمَا فَعَصَيَاهُ.

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، ومَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، ومَأْكَلُهُمُ الْقُوتُ، ومَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ.

خَشَعُوا لِلَّهِ - عَزَّ وجل - بِطَاعَتِهِ، وخَضَعُوا لَهُ بِعِبَادَتِهِ، رَاضِينَ عَنْهُ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ.

غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ - جَلَّ وعَزَّ - عَلَيْهِمْ، ووَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ بِدِينِهِمِ النَّافِعِ لَهُمْ.

نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ مِنْهُمْ فِي الرَّخَاءِ، رِضىً مِنْهُمْ عَنِ اللهِ - تعالى - بِالْقَضَاءِ.

ولَولَا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى جَزِيلِ الثَّوَابِ، وخَوْفاً مِنْ وَبِيلِ الْعِقَابِ.

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ.

فَهُمْ والْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ.

وهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ.

قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، ومَعُونَتُهُمْ لِلإِسْلَامِ عَظِيمَةٌ.

صَبَرُوا أَيَّاماً قَصيرَةً، فَأَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَويلَةً.

تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ.

أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُريدُوهَا، وطَلَبَتْهُمْ فَأَعْجَزُوهَا، وأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلًا، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، ويَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، [وَ] مَا يُهَيِّجُ أَحْزَانَهُمْ، بُكَاءٌ عَلى ذُنُوبِهِمْ وجِرَاحِهِمْ ووَجَعِ كُلُومِهِمْ.

فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ.

وإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، واقْشَعَرَّتْ مِنْهَا جُلُودُهُمْ، ووَجِلَتْ مِنْهَا قُلُوبُهُمْ، وظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وشَهِيقَهَا في أُصُولِ آذَانِهِمْ.

فَهُمْ حَانُونَ عَلى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وأَكُفِّهِمْ ورُكَبِهِمْ وأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى الله - تعالى - في فَكَاكِ رِقَابِهِمْ مِنَ النَّارِ.

تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلى خُدُودِهِمْ، يُمَجِّدُونَ جَبَّاراً عَظِيماً.

قَدْ حَلا في أَفْوَاهِهِمْ وحَلا في قُلُوبِهِمْ طَعْمُ مُنَاجَاتِه، ولَذِيذُ الْخَلْوَةِ بِه.

قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ عَلى نَفْسِه بِجَلَالِ عِزَّتِه لَيُوَرِّثَنَّهُمُ الْمَقَامَ الأَعْلى في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَهُ.

وأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ.

قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ.

يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضى، ومَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ.

أَويَقُولُ: قَدْ خُولِطُوا، ولَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

إِذَا ذَكَرُوا عَظَمَةَ الله - تعالى - رَبِّهِمْ وشِدَّةَ سُلْطَانِه، مَعَ مَا يُخَالِطُهُمْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، أَفْزَعَ ذَلِكَ قُلُوبَهُمْ، وطَاشَتْ لَهُ حُلُومُهُمْ، وذَهِلَتْ مِنْهُ عُقُولُهُمْ.

فَإِذَا اسْتَفَاقُوا مِنْ ذَلِكَ بَادَرُوا إِلَى الله - تعالى - بِالأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ.

لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، ولاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ.

يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَنَّهُمْ شِرَارٌ وإِنَّهُمُ الأَكْيَاسُ الأَبْرَارُ، فَهُمْ لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، ومِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ.

إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وربِّي أَعْلَمُ بي مِنْ نَفْسِي. اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، واجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، واغْفِرْلِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ، فَإِنَّكَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، وسَتَّارُ الْعُيُوبِ.

فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرى لَهُ قُوَّةً في دينٍ، وحَزْماً في لينٍ، وإِيمَاناً في يَقينٍ، وحِرْصاً في عِلْمٍ، وعِلْماً في حِلْمٍ، وكَيْساً في رِفْقٍ، ورِفْقاً في كَسْبٍ، وشَفَقَةً في نَفَقَةٍ، وفَهْماً في فِقْهٍ، وقَصْداً في غِنىً، وخُشُوعاً في عِبَادَةٍ، وتَجَمُّلًا في فَاقَةٍ، وصَبْراً في شِدَّةٍ، ورَحْمَةً لِلْجُمْهُورِ، وإِعْطَاءً في حَقٍّ، وطَلَباً في حَلاَلٍ، ونَشَاطاً في هُدىً، وتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ، واعْتِصَاماً عِنْدَ شَهْوَةٍ، وبِرّاً في اسْتِقَامَةٍ.

لاَ يَغُرُّهُ ثَنَاءُ مَنْ جَهِلَهُ، ولاَ يَدَعُ إِحْصَاءَ مَا عَمِلَهِ، يَسْتَبْطِئُ نَفْسَهُ فِي الْعَمَلِ وهُومِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ عَلى وَجَلٍ.

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وأَمَاتَ شَهْوَتَهُ، وأَطَاعَ رَبَّهُ، وعَصى نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، ولَطُفَ غَلِيظُهُ.

وبَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وتَدَافَعَتْهُ الأَبْوَابُ إِلى بَابِ السَّلاَمَةِ، ودَارِ الإِقَامَةِ، وثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ في قَرَارِ الأَمْنِ والرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وأَرْضى رَبَّهُ.

يُمْسِي وهَمُّهُ الشُّكْرُ، ويُصْبِحُ وهَمُّهُ الذِّكْرُ.

يَبِيتُ حَذِراً، ويُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ والرَّحْمَةِ.

نِيَّتُهُ خَالِصَةٌ، وأَعْمَالُهُ لَيْسَ فِيهَا غِشٌّ وخَدِيعَةٌ.

نَظَرُهُ عِبْرَةٌ، وسُكُوتُهُ فِكْرَةٌ، وكَلاَمُهُ حِكْمَةٌ.

إِن اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ.

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ، وزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَى.

يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، والْعِلْمَ بِالْعَقْلِ، والْعَقْلَ بِالصَّبْرِ، والْقَوْلَ بِالْعَمَلِ.

تَرَاهُ بَعِيداً كَسَلُهُ، قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلَلُهُ، دَائِماً نَشَاطُهُ، مُتَوَقِّعاً أَجَلَهُ، كَثِيراً فِكْرُهُ، مَعْدُوماً كِبْرُهُ، مَتِيناً صَبْرُهُ، ذَاكِراً رَبَّهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، عَازِباً جَهْلُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ بِالَّذِي قُدِّرَ لَهُ.

مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ، صَافِياً خُلُقُهُ، آمِناً مِنْهُ جَارُهُ.

نَاصِحاً فِي السِّرِّ والْعَلاَنِيَةِ، مُنَاصِحاً، مُتَبَاذِلًا، مُتَوَاخِياً.

لاَ يَهْجُرُ أَخَاهُ، ولاَ يَغْتَابُهُ، ولاَ يَمْكُرُ بِهِ.

لاَ يُحَدِّثُ الأَصْدِقَاءَ بِالَّذِي يُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ، ولاَ يَكْتُمُ شَهَادَةَ الأَعْدَاءِ.

ولاَ يَعْمَلُ شَيْئاً مِنَ الْحَقِّ رِئَاءً، ولاَ يَتْرُكُهُ حَيَاءً.

الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، والشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ.

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، ويُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، ويَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ.

لاَ يَعْزُبُ حِلْمُهُ، ولاَ يَعْجَلُ فِيمَا يُرِيبُهُ، ولاَ يَأْسَفُ عَلَى مَا فَاتَهُ، ولاَ يَحْزَنُ عَلَى مَا أَصَابَهُ، ويَصْفَحُ عَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، ولاَ يَرْجُو مَا لاَ يَجُوزُ لَهُ الرَّجَاءُ.

ولاَ يَفْشَلُ فِي الشِّدَّةِ ولاَ يَبْطَرُ فِي الرَّخَاءِ.

بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، صَادِقاً قَوْلُهُ، حَسَناً فِعْلُهُ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ.

حَيَاؤُهُ يَعْلُو شَهْوَتَهُ، ووُدُّهُ يَعْلُو حَسَدَهُ، وعَفْوُهُ يَعْلُو حِقْدَهُ.

هُوفِي الزَّلاَزِلِ وقُورٌ، وفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ.

لاَ يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، ولاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، ولاَ يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ، ولاَ يَجْحَدُ حَقّاً هُوعَلَيْهِ، [وَ] يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ.

هَشَّاشٌ بَشَّاشٌ، لاَ بِعَبَّاسٍ ولاَ بِجَسَّاسٍ.

صَلِيبٌ كَظَّامٌ بَسَّامٌ.

دَقِيقُ النَّظَرِ، عَظِيمُ الْحَذَرِ.

لاَ يَبْخَلُ، وإِنْ بُخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ.

لاَ يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ عَلَيْهِ ولاَ يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، ولاَ يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ، ولاَ يَعْرِفُ الْعَابَ، ولاَ يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ، ولاَ يَهِمُّ بِالْحَسَدِ، ولاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ، ولاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ.

مُؤَدٍّ لِلأَمَانَاتِ، عَامِلٌ بِالطَّاعَاتِ، سَرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ، بَطِيءٌ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ.

يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ويَفْعَلُهُ، ويَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ويَجْتَنِبُهُ.

ولاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، ولاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ.

عَقِلَ فَاسْتَحْيَى، وقَنِعَ فَاسْتَغْنَى.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وإِنْ نَطَقَ لَمْ يَعْلُ لَفْظُهُ، وإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ.

لاَ يَجْمَعُ بِهِ الْغَيْظُ، ولاَ يَغْلِبُهُ الْهَوَى، ولاَ يَقْهَرُهُ الشُّحُّ، ولاَ يَطْمَعُ فِيمَا لَيْسَ لَهُ.

يُخَالِطُ النَّاسَ بِعِلْمٍ، ويُفَارِقُهُمْ بِسِلْمٍ.

يَتَكَلَّمُ لِيَغْنَمَ، ويَصْمُتُ لِيَعْلَمَ، ويَسْأَلُ لِيَفْهَمَ، ويَتَّجِرُ لِيَغْنَمَ.

لاَ يَنْصِتُ لِلْخَيْرِ لِيَفْخَرَ بِهِ، ولاَ يَتَكَلَّمُ لِيَتَجَبَّرَ بِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ، وإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ - جَلَّ ذِكْرُهُ - هُوالْمُنْتَصِرُ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ.

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، والنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ.

أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ، وأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ.

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ ونَزَاهَةٌ، ودُنُوُّهُ ممَّنْ دَنَا منْهُ لينٌ ورَحْمَةٌ.

لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وعَظَمَةٍ، ولاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وخَدِيعَةٍ، بَلْ يَقْتَدِي بِمَنْ سَلَفَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ قَبْلَهُ، وهُوإِمَامٌ لِمَنْ خَلَفَ مِنْ أَهْلِ الْبِرِّ بَعْدَهُ.

يَا هَمَّامُ، الْمُؤْمِنُ هُوالْكَيِّسُ الْفَطِنُ، بِشْرُهُ في وَجْهِهِ، وحُزْنُهُ في قَلْبِهِ، وقُوَّتُهُ في دِينِهِ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً، وأَرْفَعُ [شَيْءٍ] قَدْراً.

زَاجِرٌ عَنْ كُلِّ فَانٍ، حَاضٌّ عَلى كُلِّ حَسَنٍ.

لاَ حَقُودٌ، ولاَ حَسُودٌ، ولاَ وَثَّابٌ، ولاَ سَبَّابٌ، ولاَ عَيَّابٌ، ولاَ مُغْتَابٌ.

يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، ويَشْنَأُ السُّمْعَةَ.

طَوِيلٌ غَمُّهُ، بَعِيدٌ هَمُّهُ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ بِمَا يَنْفَعُهُ.

وقُورٌ، ذَكُورٌ، شَكُورٌ، صَبُورٌ.

مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ.

سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ.

رَصِينُ الْوَفَاءِ، قَلِيلُ الأَذى.

لاَ مُتَأَفِّكٌ ولاَ مُتَهَتِّكٌ.

كَثِيرٌ عِلْمُهُ، عَظِيمٌ حِلْمُهُ.

لاَ يَبْخَلُ ولاَ يَعْجَلُ، ولاَ يَضْجَرُ ولاَ يَبْطَرُ، ولاَ يَحِيفُ في حُكْمِهِ، ولاَ يَجُورُ في عِلْمِهِ.

نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ، وهُوأَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ، ومُكَادَحَتُهُ أَحْلى مِنَ الشَّهْدِ.

لاَ جَشِعٌ، ولاَ هَلِعٌ، ولاَ عَنِفٌ، ولاَ صَلِفٌ، ولاَ مُتَكَلِّفٌ، ولاَ مُتَعَمِّقٌ.

جَمِيلُ الْمُنَازَعَةِ، كَرِيمُ الْمُرَاجَعَةِ.

عَدْلٌ إِنْ غَضِبَ، رَفِيقٌ إِنْ طَلَبَ.

لاَ يَتَهَوَّرُ، ولاَ يَتَجَبَّرُ.

خَالصُ الْوُدِّ، وَثيقُ الْعَهْدِ، وَفِيُّ الْعَقْدِ.

شَفيقٌ وَصُولٌ، حَليمٌ حَمُولٌ، قَليلُ الْفُضُولِ.

رَاضٍ عَنِ اللَّهِ، مُخَالِفٌ لِهَوَاهُ.

لاَ يَغْلَظُ عَلى مَنْ يُؤْذِيهِ، ولاَ يَخُوضُ فيمَا لاَ يَعْنِيهِ.

نَاصِرٌ لِلدِّينِ، مُحَامٍ عَنِ الْمُؤْمِنينَ، كَهْفٌ لِلْمُسْلِمينَ.

لاَ يَخْرُقُ الثَّنَاءُ سَمْعَهُ، ولاَ يُنْكِي الطَّمَعُ قَلْبَهُ، ولاَ يَصْرِفُ اللَّعِبُ حُكْمَهُ، ولاَ يُطْلِعُ الْجَاهِلَ عِلْمَهُ.

قَوَّالٌ فَعَّالٌ، عَالِمٌ حَازِمٌ.

لاَ بِفَحَّاشٍ ولاَ بِطَيَّاشٍ.

وَصُولٌ في غَيْرِ عُنْفٍ، بَذُولٌ في غَيْرِ سَرْفٍ.

لاَ بِخَتَّارٍ ولاَ بِغَدَّارٍ، ولاَ يَقْتَفي أَثَراً، ولاَ يَحِيفُ بَشَراً.

رَفِيقٌ بِالْخَلْقِ، سَاعٍ فِي الأَرْضِ.

عَوْنٌ لِلضَّعِيفِ، غَوْثٌ لِلَّهِيفِ.

لاَ يَهْتِكُ سِتْراً، ولاَ يَكْشِفُ سِرّاً.

كَثِيرُ الْبَلْوَى، قَليلُ الشَّكْوَى.

إِنْ رَأَى خَيْراً ذَكَرَهُ، وإِنْ عَايَنَ شَرّاً سَتَرَهُ.

يَسْتُرُ الْعَيْبَ، ويَحْفَظُ الْغَيْبَ، ويُقِيلُ الْعَثَرَةَ، ويَغْفِرُ الزَّلَّةَ.

لاَ يَطَّلِعُ عَلى نُصْحٍ فَيَذَرُهُ، ولاَ يَدَعُ جُنْحَ حَيْفٍ فَيُصْلِحُهُ.

أَمِينٌ، رَصِينٌ، تَقِيٌّ، نَقِيٌّ، زَكِيٌّ، رَضِيٌّ.

يَقْبَلُ الْعُذْرَ، ويُجْمِلُ الذِّكْرَ، ويُحْسِنُ بِالنَّاسِ الظَّنَّ، ويَتَّهِمُ عَلَى الْعَيْبِ نَفْسَهُ.

يُحِبُّ فِي اللَّهِ بِفِقْهٍ وعِلْمٍ، ويَقْطَعُ فِي اللَّهِ بِحَزْمٍ وعَزْمٍ.

لاَ يَخْرُقُ بِهِ فَرَحٌ، ولاَ يَطِيشُ بِهِ مَرَحٌ.

مُذكِّرٌ لِلْعَالِمِ، مُعَلِّمٌ لِلْجَاهِلِ.

لاَ يُتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةٌ، ولاَ يُخَافُ لَهُ غَائِلَةٌ.

كُلُّ سَعْيٍ أَخْلَصُ عِنْدَهُ مِنْ سَعْيِهِ، وكُلُّ نَفْسٍ أَصْلَحُ عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ.

عَالِمٌ بِعَيْبِهِ، شَاغِلٌ بِغَمِّهِ، ولاَ يَثِقُ بِغَيْرِ رَبِّهِ.

غَرِيبٌ، وَحِيدٌ، حَزِينٌ.

يُحِبُّ فِي اللَّهِ ويُجَاهِدُ فِي اللَّهِ لِيَتَّبِعَ رِضَاهُ.

ولاَ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، ولاَ يُوَالِي فِي سَخَطِ رَبِّهِ.

مُجَالِسٌ لأَهْلِ الْفَقْرِ، مُصَادِقٌ لأَهْلِ الصِّدْقِ، مُؤَازِرٌ لأَهْلِ الْحَقِّ.

عَوْنٌ لِلْغَرِيبِ، أَبٌ لِلْيَتِيمِ، بَعْلٌ لِلأَرْمَلَةِ، حَفِيٌّ بِأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ.

مَرْجُوٌ لِكُلِّ كَرِيهَةٍ، مَأْمُولٌ لِكُلِّ شِدَّةٍ.

أُولَئِكَ الآمِنُونَ الْمُطْمَئِنُّونَ الَّذِينَ يُسْقَوْنَ مِنْ كَأْسٍ لاَ لَغْوٍ فِيهَا ولاَ تَأْثِيمٌ.

أُولَئِكَ شِيعَتُنَا وأَحِبَّتُنَا، ومِنَّا ومَعَنَا.

أَلاَ آهِ شَوْقاً إِلَيْهِمْ.

فصعق همّام رحمه اللّه صعقة كانت نفسه فيها.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أَمَا واللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ.

ثم قال: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا.

فقال له قائل: فما بالك أنت يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: وَيْحَكَ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لاَ يَعْدُوهُ، وسَبَباً لاَ يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلًا، لاَ تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ.

خطبة له عليه السلام (١٥)

في التزهيد في الدنيا

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الْخَافِضِ الرَّافِعِ، الضَّارِّ النَّافِعِ، الْجَوَادِ الْوَاسِعِ، الْجَلِيلِ ثَنَاؤُهُ، الصَّادِقَةِ أَسْمَاؤُهُ، الْمُحيط بِالْغُيُوبِ، ومَا يَخْطُرُ عَلَى الْقُلُوبِ.

الَّذي جَعَلَ الْمَوْتَ بَيْنَ خَلْقِه عَدْلًا، وأَنْعَمَ بِالْحَيَاةِ عَلَيْهِمْ فَضْلًا، فَأَحْيَا وأَمَاتَ، وقَدَّرَ الأَقْوَاتَ.

أَحْكَمَهَا بعلْمه تَقْديراً، وأَتْقَنَهَا بحكْمَته تَدْبيراً، إِنَّهُ كَانَ خَبيراً بَصيراً.

هُوالدَّائمُ بِلاَ فَنَاء، والْبَاقي إِلى غَيْرِ انْتهَاء.

يَعْلَمُ مَا فِي الأَرْضِ ومَا فِي السَّمَاء، ومَا بَيْنَهُمَا ومَا تَحْتَ الثَّرى.

أَحْمَدُهُ بِخَالص حَمْده الْمَخْزُون، بِمَا حَمدَهُ بِه الْمَلاَئكَةُ والنَّبِيُّون، حَمْداً لاَ يُحْصى لَهُ عَدَدٌ، ولاَ يَتَقَدَّمُهُ أَمَدٌ، ولاَ يَأْتي بِمثْله أَحَدٌ.

أُؤْمنُ بِه وأَتَوَكَّلُ عَلَيْه، وأَسْتَهْديه وأَسْتَكْفيه، وأَسْتَقْضيه بِخَيْرٍ وأَسْتَرْضيه.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ.

بَعَثَهُ حينَ لاَ عَلَمٌ قَائمٌ، ولاَ مَنَارٌ سَاطعٌ، ولاَ مَنْهَجٌ وَاضحٌ.

أَرْسَلَهُ بِالْهُدى ودِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه ولَوكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله.

أُوصيكُمْ، عِبَادَ اللَّه، بِتَقْوَى اللَّه، وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّ عَيْشَهَا قَصيرٌ، وخَيْرَهَا

يَسيرٌ، وإنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ، ومَحَلَّةُ تَنْغيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وقَاطِنُهَا بَائِنٌ.

تَميدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تُصَفِّقُهَا الْعَوَاصِفُ في لُجَجِ الْبِحَارِ.

فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ.

ومِنْهُمُ النَّاجِي عَلى مُتُونِ الأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وتَحْمِلُهُ عَلى أَهْوَالِهَا.

فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، ومَا نَجَا مِنْهَا فَإِلى مَهْلَكٍ.

عِبَادَ اللَّهِ، الآنَ فَاعْمَلُوا، والأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، والأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ، والْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ، والْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ وحُلُولِ الْمَوْتِ.

فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، ولاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَكُمْ بِدَارٍ، ولاَ مَحَلِّ قَرَارٍ، وإِنَّمَا أَنْتُمْ فِيهَا كَرَكْبٍ عَرَّسُوا فَأَنَاخُوا، ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَغَدَوْا ورَاحُوا، دَخَلُوا خِفَافاً ورَاحُوا خِفَافاً، لَمْ يَجِدُوا عَمَّا مَضى نُزُوعاً، ولاَ إِلى مَا تَرَكُوا رُجُوعاً.

جُدَّ بِهِمْ فَجَدُّوا، ورَكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا فَمَا اسْتَعَدُّوا، حَتَّى أُخِذَ بِكَظْمِهِمْ، وخَلَصُوا إِلى دَارِ قَوْمٍ جَفَّتْ أَقْلاَمُهُمْ، ولَمْ يَبْقَ مِنْ أَكْثَرِهِمْ خَبَرٌ ولاَ أَثَرٌ.

قَلَّ فِي الدُّنْيَا لَبْثُهُمْ، وعُجِّلَ إِلَى الآخِرَةِ بَعْثُهُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ حُلُولًا في دِيَارِهِمْ، ظَاعِنِينَ عَلى آثَارِهِمْ، والْمَطَايَا تَسيرُ بِكُمْ سَيْراً، مَا فِيهِ أَيْنٌ ولاَ تَفْتِيرٌ.

نَهَارُكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ دَؤُوبٌ، ولَيْلُكُمْ بِأَرْوَاحِكُمْ ذَهُوبٌ.

فَأَصْبَحْتُمْ تَحُلُّونَ مِنْ حَالِهِمْ حَالًا، وتَحْتَذُونَ مِنْ مَسْلَكِهِمْ مِثَالًا، فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا ولا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ.

فَإِنَّمَا أَنْتُمْ فِيهَا سَفْرٌ حُلُولٌ، والْمَوْتُ بِكُمْ نُزُولٌ، تَنْتَضِلُ فِيكُمْ مَنَايَاهُ، وتَمْضِي بِأَخْبَارِكُمْ مَطَايَاهُ، إِلى دَارِ الثَّوَابِ والْعِقَابِ، والْجَزَاءِ والْحِسَابِ.

فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْداً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى، ودُعِيَ إِلى رَشَادٍ فَدَنَا، وأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا.

رَاقَبَ رَبَّهُ، وخَافَ ذَنْبَهُ، وقَدَّمَ خَالِصاً، وعَمِلَ صَالِحاً.

إِكْتَسَبَ مَذْخُوراً، واجْتَنَبَ مَحْذُوراً.

رَمى غَرَضاً، وأَحْرَزَ عِوَضاً.

كَابَرَ هَوَاهُ، وكَذَّبَ مُنَاهُ.

حَذِرَ أَجَلًا، ورَتَّبَ عَمَلًا.

ورَحِمَ اللَّهُ امْرَأً زَمَّ نَفْسَهُ مِنَ التَّقْوى بِزِمَامٍ، وأَلْجَمَهَا مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهَا بِلجَامٍ، فَقَادَهَا إِلَى الطَّاعَةِ بِزِمَامِهَا، وكَبَحَهَا عَنِ الْمَعْصِيَةِ بِلجَامِهَا، رَافِعاً إِلَى الْمَعَادِ طَرْفَهُ، مُتَوَقِّعاً فِي كُلِّ آنٍ حَتْفَهُ.

دَائِمَ الْفِكْرِ، طَوِيلَ السَّهَرِ.

عَزُوفاً عَنِ الدُّنْيَا سَئِماً، كَدُوحاً لآخِرَتِه مُتَحَافِظاً.

ورَحِمَ اللَّهُ امْرَءاً جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، والتَّقْوى عُدَّةَ وَفَاتِهِ، ودَوَاءَ أَدْوَائِهِ، فَاعْتَبَرَ وقَاسَ، وتَرَكَ الدُّنْيَا والنَّاسَ.

يَتَعَلَّمُ لِلتَّفَقُّهِ والسَّدَادِ، وقَدْ وَقَّرَ قَلْبَهُ ذِكْرَ الْمَعَادِ.

رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ، ولَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ.

ورَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اغْتَنَمَ الْمَهَلَ، وبَادَرَ الأَجَلَ، وتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ، وطَوى مِهَادَهُ، وهَجَرَ وِسَادَهُ، مُنْتَصِباً عَلى أَطْرَافِهِ، دَاخِلًا فِي أَعْطَافِهِ، خَاشِعاً لِلَّهِ -عَزَّ وجل-، يُرَاوِحُ بَيْنَ الْوَجْهِ والْكَفَّيْنِ.

خَشُوعٌ فِي السِّرِّ لِرَبِّه، لِدَمْعِه صَبِيبٌ، ولِقَلْبِه وَجِيبٌ.

شَدِيدَةٌ أَسْبَالُهُ، وتَرْتَعِدُ مِنْ خَوْفِ اللهِ - عَزَّ وجل - أَوْصَالُهُ.

قَدْ عَظُمَتْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ رَغْبَتُهُ، واشْتَدَّتْ مِنْهُ رَهْبَتُهُ، رَاضِياً بِالْكَفَافِ مِنْ أَمْرِهِ.

يُظْهِرُ دُونَ مَا يَكْتُمُ، ويَكْتَفِي بِأَقَلَّ مِمَّا يَعْلَمُ.

أُولَئِكَ ودَائِعُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ، الْمَدْفُوعُ بِهِمْ عَنْ عِبَادِهِ.

لَوأَقْسَمَ أَحَدُهُمْ عَلَى اللهِ - جَلَّ ذِكْرُهُ - لأَبَرَّهُ، أودَعَا عَلى أَحَدٍ لَنَصَرَهُ.

يَسْمَعُ اللَّهُ مُنَاجَاتَهُ إِذَا نَاجَاهُ، ويَسْتَجِيبُ لَهُ إِذَا دَعَاهُ.

جَعَلَ اللَّهُ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوى والْجَنَّةَ لأَهْلِهَا مَأْوى.

دُعَاؤُهُمْ فِيهَا أَحْسَنُ الدُّعَاءِ: سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ.

دُعَاؤُهُمُ الْمَوْلى عَلى مَا أَتَاهُمْ: وآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ.

خطبة له عليه السلام (١٦)

في الحثّ على الاستعداد للموت

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِه، وسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِه، ودَلِيلًا عَلى آلائِه وعَظَمَتِه.

عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ.

أَحْمَدُهُ عَلى تَظَاهُرِ نِعَمِه شُكْراً لإِنْعَامِه، وأُثْنِي عَلَيْه لِكَرَمِه وجَلَالِه، وأَسْتَعِينُهُ عَلى تَأْدِيَةِ وَظَائِفِ حُقُوقِه، وإِلْهَامِ تَوْفِيقِه، ووَفَاءِ مَوَاثِيقِه.

وأَسْتَغْفِرُهُ مَغْفِرَةً يَغْفِرُ بِهَا ذُنُوبَنَا، ويَسْتُرُ بِهَا عُيُوبَنَا.

وأُؤْمِنُ بِالَّذي مَنْ آمَنَ بِه أَمِنَ عِقَابَهُ، ووَقَى عَذَابَهُ، واسْتَحَقَّ ثَوَابَهُ.

وأَتَوَكَّلُ عَلَيْه تَوَكُّلَ رَاضٍ بِقَضَائِه، صَابِرٍ لِبَلَائِه، شَاكِرٍ لآلَائِه.

وأَسْتَهْدِيه بِهُدَاهُ الَّذي الاقْتِصَارُ عَلَيْه سَلَامَةٌ، والتَّمَسُّكُ بِه اسْتِقَامَةٌ، والتَّرْكُ لَهُ نَدَامَةٌ.

وأَعُوذُ بِاللَّه مِنْ ضَلَالَةٍ بَيِّنٍ تَضْلِيلُهَا، حَذِرٍ تَوْبِيلُهَا.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ رَاغِبٍ، تَائِبٍ، صَادِقٍ، مُوقِنٍ، مُسْتَيْقِنٍ، مُحِقٍّ، مُسْتَحِقٍّ بِشَهَادَتِه مَا اسْتَحَقَّ أَهْلُ طَاعَتِه مِنْ مَذْخُورِ كَرَامَتِه.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِنُورٍ مُبِينٍ سَاطِعٍ، وكِتَابٍ مُحْكَمٍ جَامِعٍ، وحَقٍّ عَنِ الْبَاطِلِ شَاسِعٍ، إِلى أَهْلِ جَاهِلِيَّةٍ جَهْلَاءَ، يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، ويُحِلُّونَ الْحَرَامَ،

ويَسْتَقْسِمُونَ بالأَزْلاَمِ، فَدَعَا إلى طَاعَتِه، وقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِه، لاَ يَثْنِيه عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلى تَكْذِيبِه، والْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِه.

فَبَلَّغَ عَنْهُ حَقَائِقَ الرِّسَالَة، واسْتَنْقَذَ بِه مِنْ بَوَائِقِ الْضَّلاَلَة، ونَكَبَ لَهُ وَثَائِقَ عُرى أَهْلِ الْجَهَالَة، وكَانَ، كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ، بِهِمْ رَؤُوفاً رَحِيماً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّه، بِتَقْوَى اللَّه، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّه نَجَاةٌ مِنْ كُلِّ غَصَبٍ، وقُرْبَةٌ إِلى كُلِّ رَغَبٍ، ومَعْقِلٌ مِنْ كُلِّ هَرَبٍ، وهِيَ وَصِيَّةٌ غِبُّ الْعَمَلِ بِهَا حُبُورٌ، وعَافِيَةٌ وسُرُورٌ، وسَعْيُ الْعَمَلِ بِهَا مَشْكُورٌ.

وأُحَذِّرُكُمْ مَعْصِيَةَ اللَّه، فَإِنَّ لَهَا قَائداً إِلَى الْهَلاك، وذَائداً عَنِ الْفَكَاك، تَذُودُ عَنْهُ كُلَّ مُسْتَهْلَك، [وَ] تَسْلُكُ بِه مِنَ الرَّدى كُلَّ مَسْلَك، تَعْمَدُ بِه عَنْ طَرِيقِ الْهُدى، وتُرْدِيه مِنْ شَوَاهِقِ الرَّدى.

أُوصِيكُم، أَيُّهَا النَّاسُ، بِتَقْوَى اللَّه، وكَثْرَةِ حَمْدِه عَلى آلاَئِه إِلَيْكُمْ، ونَعْمَائِه عَلَيْكُمْ وبَلاَئِه لَدَيْكُمْ.

فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَة، وتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَة.

أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ، وتَعَرَّضْتُمْ لأَخْذِه فَأَمْهَلَكُمْ.

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّه، فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، لاَ يَرُومُ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ نَيْلَ مَرَامِهَا، ولاَ يَهْتَدُونَ لأَعْلاَمِهَا، ولا يُسَدِّدُونَ لإِلْهَامِهَا.

وأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وإِقْلاَلِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ.

وكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يَغْفُلُكُمْ، وطَمَعُكُمْ فِيمَا لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ.

فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً.

أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، واشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا، لاَ عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً، ولاَ فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً.

أنسُوا بالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، ووَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ.

فَسَابِقُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، والَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا، ودُعِيتُمْ إِلَيْهَا.

واسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، والْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ سَيَّارَةُ مَنْهَجٍ مُسَابِقٌ إِلَى الْغَايَةِ، ودَالٌّ ومُرْتَجٍ، ومَسْبُوقٌ مُتَرَدِّدٌ فِي عَيٍّ مُلْجِجٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

وبَادِرُوا الْمَوْتَ وسَكَرَاتِهِ وغَمَرَاتِهِ، وفَوْرَاتِهِ وسَوْرَاتِهِ، وامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ.

واغْتَنِمُوا الصِّحَّةَ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْهَجُ الْعِبَادِ، وإِنَّ الْمَوْتَ هُوَالْجَادُّ، وإِنَّ الْغَايَةَ يَوْمَ التَّنَادِ.

وكَفَى بِالْمَوْتِ سَائِقاً ولا حِقاً ونَاعِقاً، وكَفَى بِالتَّفَكُّرِ بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وحَافِظاً لِمَنْ عَمِلَ، ومُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ.

ومِنْ وَرَاءِ الْمَوْتِ، وقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ، مِنْ ضِيقِ الأَرْمَاسِ، وطُولِ الْيَأْسِ، وشِدَّةِ الْابْلاَسِ، وهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وطُولِ الْجَزَعِ، ورَوْعَاتِ الْفَزَعِ، واخْتِلاَفِ الأَضْلاَعِ، واسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ، وتَعَرُّقِ الأَوْصَالِ، ومُعَايَنَةِ الأَهْوَالِ، وظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وخِيفَةِ الْوَعْدِ، وغَمِّ الضَّرِيحِ، ورَدْمِ الصَّفِيحِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وأَسْرَعَ الأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ، وأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، ولاَ يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ، آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلاَمُهُ.

فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَالزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، ومَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّءَ أَعْمَالِهِ.

فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، والنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ.

إِعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّه، أَنَّ التَّقْوى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، والْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لاَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ، ولاَ يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْه.

أَلاَ وبِالتَّقْوى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا، وبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوى.

فَاللَّهَ اللَّهَ، عِبَادَ اللَّه، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلى سَنَنٍ، وأَنْتُمْ والسَّاعَةُ في قَرَنٍ.

وكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، ووَقَفَتْ بِكُمْ عَلى صِرَاطِهَا.

وكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلاَزِلِهَا، وأَنَاخَتْ بِكَلاَكِلِهَا.

وانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، ومَضَتْ بِهِمْ عَلى مَهْلِهَا، وأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، وكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضى، أَوشَهْرٍ انْقَضى، وصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً، وسَمِينُهَا غَثّاً.

﴿ونُفِخَ في الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

فَحُشِرَ جَمِيعُ الْخَلْقِ، مِنْ غَرْبٍ وشَرْقٍ، فَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ، في يَوْمٍ حَسْرَةٍ وتَأَسُّفٍ، وكَآبَةٍ وتَلَهُّفٍ، وجَزَعٍ وهَلَعٍ، وحُزْنٍ وغَبْنٍ، وعَبْرَةٍ وسَكْرَةٍ، وبُعْدِ رَدَّةٍ وتَتَابُعِ شِدَّةٍ وطُولِ مُدَّةٍ، وهَوْلٍ لَيْسَ كَالأَهْوَالِ، وأَغْلاَلٍ لَيْسَتْ كَالأَغْلاَلِ.

في مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ، ويَوْمٍ لَيْسَ كَالأَيَّامِ، وأُمُورٍ مُشْتَبِهَةِ عِظَامٍ، ونَصَبٍ مَوْكُوسٍ، وحَظٍّ مَنْحُوسٍ.

في نَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا، عَالٍ لَجَبُهَا، سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، مُسْتَطِيرٍ شَرَرُهَا، ذَاكٍ وُقُودُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ قَرَارُهَا، شَدِيدٍ اسْتِعَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا.

شَرَابُهُمْ فِيهَا الصَّدِيدُ، مَعَ الْمُهْلِ ومَقَامِعِ الْحَدِيدِ، وتَبْدِيلِ جُلُودٍ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودٌ، مَعَ أَفْرَاحٍ مِنَ الْعَذَابِ الدَّائِمِ، وأَرْوَاحٍ مِنَ الْعَذَابِ اللاَّزِمِ، ومَعَ حَرِّ السَّمُومِ، وتَصَهُّرِ الزُّقُّومِ، ونَمِيرِ الْحَمِيمِ، وغَلْيِ الْجَحِيمِ.

نَعُوذُ بِالَّذي خَلَقَهَا مِنْ شُرُورِهَا وأليمِ سَعيرِهَا.

﴿وسيقَ الَّذينَ اتَّقَوْا ربَّهُمْ إِلَى الْجَنَّة زُمَراً﴾.

قَدْ أَمِنُوا الْعَذَابَ، وانْقَطَعَ عَنْهُمُ الْعِتَابُ، وفُتِحَتْ لَهُمُ الأَبْوَابُ، وزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، واطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، ورَضُوا الْمَثْوى والْقَرَارَ.

الَّذينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وأَعْيُنُهُمْ مِنْ خَوْفِه بَاكِيَةً.

وكَانَ لَيْلُهُمْ في دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً واسْتِغْفَاراً، وكَانَ نَهَارُهُمْ فيهَا لَيْلًا تَوَحُّشاً وانْقِطَاعاً.

لَمْ يُلْهِهِمُ الأَمَلُ عَنِ التَّأَهُّبِ لانْقِطَاعِ الأَجَلِ.

فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ ثَوَاباً، وكانُوا أَحَقَّ بها وأَهْلَها.

يَقُولُ الله - تعالى -: ﴿سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

تَبْهَجُ الأَنْفُسُ لِخَضْرَتِهَا، وتَسْتَرِيحُ الْقُلُوبُ لِحُسْنِهَا ونَضْرَتِهَا.

ذَاتُ رِيَاضٍ مُونِقَة، وأَزْوَاجٍ [مُطَهَّرَة، وحُورٍ] عِينٍ، وخَدَمٍ كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ.

في قُصُورٍ مِنْ يَاقُوتٍ مُنِيفَة، وغُرَفٍ مُشْرِفَة مَحْفُوفَة، وسُرُرٍ مُتَقَابِلَة مَصْفُوفَة.

في مُلْكٍ دَائِمٍ، ونَعِيمٍ قَائِمٍ، وعَيْشٍ مُلائِمٍ، وشَمْلٍ غَيْرِ مُفَاقِمٍ، وفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ولَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ، وكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْها ولا يُنْزِفُونَ.

عِبَادَ اللَّه، أَلَّهَ اللَّهَ في أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ، وأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لازِمَةٌ، أَوسَعَادَةٌ دَائِمَةٌ.

فَتَزَوَّدُوا في أَيَّامِ الْفَنَاءِ لأَيَّامِ الْبَقَاءِ، فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لا يَدْرُونَ مَتى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ.

أَلا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ، ومَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وتَبْقى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وحِسَابُهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، ولاَ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الأَعْمَالُ، ويَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وتَشِيبُ فِيهِ الأَطْفَالُ.

فَارْعَوْا، عِبَادَ اللَّهِ، مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ.

وبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، ومَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، ومُطَالَبُونَ بِمَا خَلَّفْتُمْ.

وكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ، فَلاَ رَجْعَةَ تَنَالُونَ، ولاَ عَثْرَةَ تُقَالُونَ.

إِعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لاَ تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، ولاَ يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُورِتَاجٍ.

وإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ، يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، ويَجِيءُ الْغَدُ لاَحِقاً بِهِ.

فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، ومَخَطَّ حُفْرَتِهِ.

فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ، ومَنْزِلِ وَحْشَةٍ، ومَفْرَدِ غُرْبَةٍ.

وكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، والسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الأَبَاطِيلُ، واضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، واسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ، وصَدَرَتْ بِكُمُ الأُمُورُ مَصَادِرَهَا.

فَاتَّعِظُوا بِالْغِيَرِ، واعْتَبِرُوا بِالْعِبَرِ، وانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ والْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً أَنْ يُؤْمِنَنَا وإِيَّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ مِنْ مَخُوفِ عَذَابِهِ، إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ، وإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ.

إِسْتَعْمَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وطَاعَةِ رَسُولِهِ، وعَفَا عَنَّا وعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

خطبة له عليه السلام (١٧)

وتسمّى الغرّاء

وهي من الخطب العجيبة ألقاها لمّا شيّع جنازة فلمّا وضعت في لحدها عجّ أهلها وبكوا فقال عليه السلام: أمَا واللَّه لَوعَايَنُوا مَا عَايَنَ مَيِّتُهُمْ لأَذْهَلَتْهُمْ مُعَايَنَتُهُمْ عَنْ مَيِّتِهِمْ. وإِنَّ لَهُ فيهِمْ لَعَوْدَةٌ ثُمَّ عَوْدَةٌ حَتَّى لاَ يَبْقى مِنْهُمْ أَحَدٌ.

ثم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي لاَ يَحْويهِ مَكَانٌ، ولاَ يَحُدُّهُ زَمَانٌ. عَلاَ بِحَوْلِه، ودَنَا بِطَوْلِه. مَانِحُ كُلِّ غَنيمَةٍ وفَضْلٍ، وكَاشِفُ كُلِّ عَظيمَةٍ وأزْلٍ.

أَحْمَدُهُ عَلى عَوَاطِفِ كَرَمِه، وسَوَابِغِ نِعَمِه، وأُؤْمِنُ بِه أوَّلاً بَادِياً، وأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً إيمَاناً، وأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً إيقَاناً.

وأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

الأَوَّلُ لاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، والآخِرُ لاَ غَايَةَ لَهُ.

لاَ تَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ عَلى صِفَةٍ، ولاَ تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلى كَيْفِيَّةٍ، ولاَ تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ والتَّبْعِيضُ، ولاَ تُحِيطُ بِه الأَبْصَارُ والْقُلُوبُ.

رَفَعَ السَّمَاءَ فَبَنَاهَا، وسَطَحَ الأَرْضَ فَطَحَاهَا، وأَخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرْعاها والْجِبالَ أَرْساها، لاَ يَؤُودُهُ خَلْقٌ وهُوالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى

الْمَشْهُورِ، والْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، والدِّينِ الْمَأْثُورِ، لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وإِنْهَاءِ عُذْرِهِ، وتَقْدِيمِ نُذُرِهِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وهَدَى مِنَ الضَّلاَلَةِ، وعَبَدَ رَبَّهُ، حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ. فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كَثِيراً.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ الأَمْثَالَ، ووَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وجَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا، وأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا، وأَفْئِدَةً لِتَفْهَمَ مَا دَهَاهَا، وأَشْلاَءً جَامِعَةً لأَعْضَائِهَا، مُلاَئِمَةً لأَحْنَائِهَا، فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، ومُدَدِ عُمُرِهَا.

وأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ، وأَحَاطَ بِكُمُ الإِحْصَاءَ، وأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، وبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ.

[وَ] امْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ بِدَوَامِ جِهَادِهَا، واعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا.

وتَرَحَّلُوا عَنِ الدُّنْيَا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، واسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ.

وكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا، فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، ولَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، ولَمْ يَضْرِبْ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً، بَلْ آثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، والآلاَءِ السَّوَائِغِ، وأَرْفَدَكُمْ بِالرِّفَدِ الرَّوَافِغِ، وأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ، وأَحْصَاكُمْ عَدَداً، ووَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ، ودَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، ومُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

ومَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِالنَّارِ إِلاَّ الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ.

وإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ، وتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ.

وإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ، اللَّيْلُ والنَّهَارُ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ.

وإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِالشَّقْوَةِ، لَمُسْتَحِقٌّ لأَفْضَلِ الْعُدَّةِ.

فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً، وخُذُوا مِنَ الْفَنَاءِ لِلْبَقَاءِ.

واعْلَمُوا، أيُّهَا النَّاسُ، أنَّكُمْ سَيَّارَةٌ قَدْ حَدَا بِكُمُ الْحَادي، وحَدَا لِخَرَابِ الدُّنْيَا حَادٍ، ونَادَاكُمْ لِلْمَوْتِ مُنَادٍ، فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا ولا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ.

فَلَوْ أنَّ أحَداً يَجِدُ إلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً، أوْلِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ، الَّذي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ والإنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وعَظِيمِ الزُّلْفَةِ.

فَلَمَّا اسْتَوْفى طُعْمَتَهُ، واسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وأصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، والْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وورِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ.

أَلاَ وإنَّ الدُّنْيَا دَارٌ غَرَّارَةٌ خَدَّاعَةٌ، تَنْكِحُ في كُلِّ يَوْمٍ بَعْلًا، وتَقْتُلُ في كُلِّ لَيْلَةٍ أهْلًا، وتُفَرِّقُ في كُلِّ سَاعَةٍ شَمْلًا.

فَكَمْ مِن مُنَافِسٍ فِيهَا ورَاكِنٍ إلَيْهَا مِنَ الأُمَمِ السَّالِفَةِ قَدْ قَذَفَتْهُمْ فِي الْهَاوِيَةِ، ودَمَّرَتْهُمْ تَدْمِيراً، وتَبَّرَتْهُمْ تَتْبِيراً، وأصْلَتْهُمْ سَعِيراً.

فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا في أعْيُنِكُمْ أصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ، وقُرَاضَةِ الْجَلَمِ.

واتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ كَانَ بَعْدَكُمْ، وارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

وإنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً.

أيْنَ مَنْ جَمَعَ فَأوْعى، وشَدَّ فَأوْكى، ومَنَعَ فَأكْدى.

أيْنَ مَنْ سَعى واجْتَهَدَ، وفَرَشَ ومَهَّدَ، وأعَدَّ واحْتَشَدَ.

أيْنَ مَنْ بَنَى الدُّورَ، وشَرَّفَ الْقُصُورَ، وجَمْهَرَ الأُلُوفَ.

أيْنَ الْعَمَالِقَةُ وأبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ.

أيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وأبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ.

أيْنَ الْجَبَابِرَةُ وأبْنَاءُ الْجَبَابِرَةِ.

أيْنَ أصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ، الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وأطْفَؤُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وأحْيَوْا سِيَرَ الْجَبَّارِينَ.

أيْنَ الَّذينَ سَارُوا بالْجُيُوشِ، وهَزَمُوا الأُلُوفَ، وعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، ودَسْكَرَ [وا] الدَّسَاكِرَ، ورَكِبُ [وا] الْمَنَابِرَ.

أيْنَ الَّذينَ شَيَّدُوا الْمَمَالكَ، ومَهَّدُوا الْمَسَالكَ، وأغَاثُوا الْمَلْهُوفَ، وقَرَوُا الضُّيُوفَ.

أيْنَ الَّذينَ قَالُوا مَنْ أشَدُّ منَّا قُوَّةً وأكْثَرُ جَمْعاً.

أيْنَ الَّذينَ كَانُوا أحْسَنَ آثاراً، وأعْدَلَ أفْعَالًا، وأكْنَفَ مُلْكاً.

أيْنَ الَّذينَ مَلَكُوا منَ الدُّنْيَا أقَاصيهَا.

أيْنَ الَّذينَ اسْتَذَلُّوا الأعْدَاءَ، ومَلَكُوا نَوَاصيهَا.

أيْنَ الَّذينَ دَانَتْ لَهُمُ الأُمَمُ.

أيْنَ الَّذينَ بَلَغُوا منَ الدُّنْيَا أقَاصيَ الْهِمَمَ.

قَدْ تَدَاوَلَتْهُمْ أيَاماً، وابْتَلَعَتْهُمْ أعْوَاماً، فَصَارُوا أمْوَاتاً، وفي الْقُبُورِ رُفَاتاً.

قَدْ يَئِسُوا عَمَّا خَلَّفُوا، ووَقَفُوا عَلى مَا أسْلَفُوا، ثُمَّ رُدُّوا إلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ألا لَهُ الْحُكْمُ وهُوَ أسْرَعُ الْحاسبينَ.

وكَأنِّي بهَا وقَدْ أشْرَفَتْ بطَلائعهَا، وعَسْكَرَتْ بفَظَائعهَا، فَأصْبَحَ الْمَرْءُ بَعْدَ صحَّته مَريضاً، وبَعْدَ سَلامَته نَقيصاً، يُعَالجُ كَرَباً، ويُقَاسي تَعَباً، في حَشْرَجَة السِّيَاق، وتَتَابُعِ الْفَوَاق، وتَرَدُّدِ الأنينِ، والذُّهُولِ عَنِ الْبَنَاتِ والْبَنينَ، والْمَرْءُ قَدِ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ شُغْلٌ شَاغلٌ، وهَوْلٌ هَائلٌ.

قَدِ اعْتُقلَ منْهُ اللِّسَانُ، وتَرَدَّدَ منْهُ الْبَنَانُ، فَأجَابَ مَكْرُوباً، وفَارَقَ الدُّنْيَا مَسْلُوباً.

لاَ يَمْلكُونَ لَهُ نَفْعاً، ولاَ لمَا حَلَّ بهِ دَفْعاً، يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وجل - في كتَابه -: ﴿فَلَولا إنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدينينَ تَرْجعُونَها إنْ كُنْتُمْ صادقينَ﴾.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، عبَادَ اللَّه، تَقيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْريداً، وجَدَّ تَشْميراً، وأكْمَشَ في مَهَلٍ، وبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ، ونَظَرَ في كَرَّة الْمَؤْئلِ، وعَاقبَة الْمَصْدَرِ، ومَغَبَّة الْمَرْجعِ.

وجِدُّوا في الطَّلَبِ، ونَجَاة الْمَهْرَبِ، وبَادِرُوا في الْعَمَلِ قَبْلَ مَقْطَعِ النَّهَمَاتِ، وقُدُومِ

هَادِمِ اللَّذَّات، ومُفَرِّقِ الْجَمَاعَات.

فَإِنَّ الدُّنْيَا أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّه، وأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّه، لاَ يَدُومُ نَعِيمُهَا، ولاَ يُؤْمَنُ فَجْعَاتُهَا، ولاَ يُتَوَقَّى سَوْآتُهَا.

رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، ويُوبِقُ مَخْبَرُهَا.

غُرُورٌ حَائِلٌ، وشَبَحٌ فَائِلٌ، وضَوْءٌ آفِلٌ، وظِلٌّ زَائِلٌ، وسِنَادٌ مَائِلٌ.

تَصِلُ الْعَطِيَّةَ بِالرَّزِيَّة، والأُمْنِيَّةَ بِالْمَنِيَّة.

تُضْنِي مُسْتَطْرِفَهَا، وتُرْدِي مُسْتَزِيدَهَا، وتُحَفِّلُ مَصْرَعَهَا، وتُصَرِّمُ حِبَالَهَا.

حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، واطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقُ الْمَنِيَّة، قَائِدَةً لَهُ إِلى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، ووَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، ومُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وثَوَابِ الْعَمَلِ.

وكَذَلِكَ الْخَلَفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ، فَعَلى أَيِّ يَتْبَعُ.

لاَ تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً، ولاَ يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً، يَحْتَذُونَ مِثَالًا، ويَمْضُونَ أَرْسَالًا، إِلى غَايَةِ الانْتِهَاء، وصَيُّورِ الْفَنَاء.

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الأُمُورُ، وتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وأَزِفَ النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ اللَّهُ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ، وأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ، ومَطَارِحِ الْمَهَالِكِ، سِرَاعاً إِلى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلى مَعَادِهِ، رَعِيلًا صُمُوتاً، قِيَاماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، ويُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الاسْتِكَانَة، وضَرْعُ الاسْتِسْلاَمِ والذِّلَّة.

قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وانْقَطَعَ الأَمَلُ، وهَوَتِ الأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً، وخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً، وأَلْجَمَ الْعَرَقُ، وعَظُمَ الشَّفَقُ، وأُرْعِدَتِ الأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلى فَصْلِ الْخِطَاب، ومُقَايَضَةِ الْجَزَاء، ونَكَالِ الْعِقَاب، ونَوَالِ الثَّوَاب، وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ووُضِعَ الْكِتَابُ وجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ والشُّهَدَاء وقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ.

ونَادَى الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ لِنِدَاءِ الْمُنَادِي، وكُشِفَ عَنْ

سَاقٍ، وكَانَ يَوْمُ التَّلاَق.

وكُوِّرَتِ الشَّمْسُ، وحُشِرَتِ الْوُحُوشُ، وزُوِّجَتِ النُّفُوسُ، وبَدَتِ الأَسْرَارُ، وارْتَجَّتِ الأَفْئِدَةُ، ونَزَلَ بِأَهْلِ النَّارِ مِنَ اللَّهِ سَطْوَةٌ مُجِيحَةٌ وعُقُوبَةٌ مُنِيحَةٌ، فَجَثَوْا حَوْلَ جَهَنَّمَ ولَهَا كَلَبٌ ولَجَبٌ، وتَغَيُّظٌ ووَعِيدٌ وزَفِيرٌ ورَعِيدٌ، قَدْ تَأَجَّجَ جَحِيمُهَا، وغَلاَ حَمِيمُهَا، وتَوَقَّدَ سَمُومُهَا.

لاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا، ولاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، ولاَ يُنَفَّسُ عَنْ سَاكِنِهَا، ولاَ يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ حَسَرَاتُهَا، ولاَ تُفْصَمُ كُبُولُهَا.

مَعَهُمْ مَلاَئِكَةُ الزَّجْرِ، يُبَشِّرُونَهُمْ بِنُزُلٍ مِنْ حَمِيمٍ، وتَصْلِيَةِ جَحِيمٍ.

وهُمْ عَنِ اللَّهِ مَحْجُوبُونَ، ولأَوْلِيَائِهِ مُفَارِقُونَ، وإِلَى النَّارِ مُنْطَلِقُونَ.

حَتَّى إِذَا أَتَوْا جَهَنَّمَ قَالُوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْأَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾.

وجَهَنَّمُ تُنَادِيهِمْ، وهِيَ مُشْرِفَةٌ عَلَيْهِمْ: إِلَيَّ بِأَهْلِي، وعِزَّةِ رَبِّي، لأُنْتَقِمَنَّ الْيَوْمَ مِنْ أَعْدَائِهِ.

ثُمَّ يُنَادِيهِمْ مَلَكٌ مِنَ الزَّبَانِيَةِ، ثُمَّ يَسْحَبُهُمْ حَتَّى يُلْقِيَهُمْ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

ثُمَّ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، مُخْضَرَّةً لِلنَّاظِرِينَ، فِيهَا دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ، ومَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ.

لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، ولاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، ولاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا، ولاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا.

أَمِنُوا الْمَوْتَ فَصَفَا لَهُمْ مَا فِيهَا.

فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى.

مَعَ أَزْوَاجٍ مُطَهَّرَةٍ، وحُورٍ عينٍ كَأَنَّهُنَّ الْياقُوتُ والْمَرْجانُ.

ويَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ بِحُلْيَةٍ وآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ولِبَاسِ السُّنْدُسِ الأَخْضَرِ، والْفَوَاكِهِ الدَّائِمَةِ.

وتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ فَتَقُولُ: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

فَلاَ تَزَالُ الْكَرَامَةُ لَهُمْ حينَ وَفَدُوا إِلى خَالِقِهِمْ، وقَعَدُوا في دَارِهِ، ونَالَهُمْ سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ.

فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذينَ خُلِقُوا لَهَا وخُلِقَتْ لَهُمْ.

عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ كَنَعَ فَخَنَعَ، ووَجِلَ فَرَحَلَ، وحَذِرَ فَأَبْصَرَ فَازْدَجَرَ، فَاحْتَثَّ طَلَباً، ونَجَا هَرَباً، وقَدَّمَ لِلْمَعَادِ، واسْتَظْهَرَ مِنَ الزَّادِ.

واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا في مَصَائِبِ الدُّنْيَا، فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، والْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، والرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وقَرِينَ شَيْطَانٍ.

أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ.

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ، الَّذي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الأَعْنَاقِ، ونَشَبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ.

فَاللَّهَ اللَّهَ، مَعَاشِرَ الْعِبَادِ، اغْتَنِمُوا وأَنْتُمْ سَالِمُونَ، أَيَّامَ الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ، وأَيَّامَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وفي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، وبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ النَّدَمِ.

ولاَ يَحْمِلَنَّكُمُ الْمُهْلَةُ عَلَى طُولِ الْغَفْلَةِ، فَإِنَّ الأَجَلَ يَهْدِمُ الأَمَلَ، والأَيَّامُ مُوكَلَةٌ بِتَنْقِيصِ الْمُدَّةِ، وتَفْرِيقِ الأَحِبَّةِ.

فَبَادِرُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ حُضُورِ النَّوْبَةِ، وبُرُوزِ اللُّعْبَةِ، الَّتي لاَ يُنْتَظَرُ مَعَهُ

الأَوْبَةُ، واسْتَعِينُوا عَلى بُعْدِ الْمَسَافَةِ بِطُولِ الْمَخَافَةِ.

فَكَمْ مِنْ غَافِلٍ وَثِقَ لِغَفْلَتِه، وتَعَلَّلَ بِمُهْلَتِه، فَأَمَّلَ بَعِيداً، وبَنى مَشِيداً، فَنَقَصَ بِقُرْبِ أَجَلِه بُعْدُ أَمَلِه، وفَاجَأَتْهُ مَنِيَّتُهُ بِانْقِطَاعِ أُمْنِيَّتِه، فَصَارَ بَعْدَ الْعِزَّةِ والْمَنْعَةِ، والشَّرَفِ والرِّفْعَةِ، مُرْتَهَناً بِمُوبِقَاتِ عَمَلِه.

قَدْ غَابَ فَمَا رَجَعَ، ونَدِمَ فَمَا انْتَفَعَ، وشَقِيَ بِمَا جَمَعَ فِي يَوْمِه، وسَعِدَ بِهِ غَيْرُهُ فِي غَدِه، وبَقِيَ مُرْتَهَناً بِكَسْبِ يَدِه، ذَاهِلًا عَنْ أَهْلِه وولَدِه.

لاَ يُغْنِي عَنْهُ مَا تَرَكَ فَتِيلًا، ولاَ يَجِدُ إِلى مَنَاصٍ سَبِيلًا.

فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا.

أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، واسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلى أَنْفُسِكُمْ، ولاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ**﴾.

وقَالَ - تعالى -: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ ولَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾.

فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، ولَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ.

إِسْتَنْصَرَكُمْ ولَهُ جُنُودُ السَّمواتِ والأَرْضِ وهُوَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، واسْتَقْرَضَكُمْ ولَهُ خَزَائِنُ السَّمواتِ والأَرْضِ وهُوالْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.

وإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.

فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِه، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً، وصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً ونَصَباً، ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشاءُ واللَّهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

فَاتَّعِظُوا، عِبَادَ اللَّهِ، بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، واعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ، وازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ، وانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ والْمَوَاعِظِ، [فَ]إِنَّكُمْ عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، ومَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً،

ومَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً، ومُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً، وكَائِنُونَ رُفَاتاً، ومَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً، ومَدِينُونَ جَزَاءً، ومُمَيَّزُونَ حِسَاباً.

قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتَبِ، وكُشِفَ عَنْهُمْ سُدَفُ الرَّيْبِ، وخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ، ورَوِيَّةِ الارْتِيَادِ، وأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ، فِي مُدَّةِ الأَجَلِ، ومُضْطَرَبِ الْمَهَلِ.

فَيَا لَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً، ومَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوصَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وآرَاءً عَازِمَةً، وأَلْبَاباً حَازِمَةً.

فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، واقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، ووَجِلَ فَعَمِلَ، وحَاذَرَ فَبَادَرَ، وأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وحُذِّرَ فَازْدَجَرَ، وأَجَابَ فَأَنَابَ، وراجَعَ فَتَابَ، واقْتَدى فَاحْتَذى، وأُرِيَ فَرَأى، فَأَسْرَعَ طَالِباً، ونَجَا هَارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وأَطَابَ سَرِيرَةً، وعَمَرَ مَعَاداً، واسْتَظْهَرَ زَاداً، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، ووَجْهِ سَبِيلِهِ، وحَالِ حَاجَتِهِ، ومَوْطِنِ فَاقَتِهِ، وقَدَّمَ أَمَامَهُ، لِدَارِ مُقَامِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، واحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، واخْشَوْهُ خَشْيَةً تَحْجُزُكُمْ عَمَّا يُسْخِطُهُ.

واسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ، والْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ، ومُوجِبَاتِ مِنَنِهِ، وحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ.

وقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ، ومُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ.

أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الآمَالِ، وشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الآجَالِ.

لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الأَبْدَانِ، ولَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الأَوَانِ.

فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِيَ الْهَرَمِ، وأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلاَّ نَوَازِلَ

السَّقَمِ، وأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلاَّ آوِنَةَ الْفَنَاءِ، واقْتِرَابَ الْفَوْتِ، ودُنُوالْمَوْتِ، مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ، وأُزُوفِ

الاِنْتِقَالِ، وإِشْفَاءِ الزَّوَالِ، وحَفْزِ الأَنِينِ، ورَشْحِ الْجَبِينِ، وامْتِدَادِ الْعِرْنِينِ، وعَلَزِ الْقَلَقِ، وفَيْظِ الرَّمَقِ، وأَلَمِ الْمَضَضِ، وغُصَصِ الْجَرَضِ، وتَلَفُّتِ الاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ والأَقْرِبَاءِ، والأَعِزَّةِ والْقُرَنَاءِ.

فَهَلْ دَفَعَتِ الأَقَارِبُ، أَونَفَعَتِ النَّوَاحِبُ.

أَلاَ وإِنَّ الدُّنْيَا [قَدْ] دَارَتْ عَلَيْكُمْ بِصُرُوفِهَا، ورَمَتْكُمْ بِسِهَامِ حُتُوفِهَا، فَهِيَ تَنْزِعُ أَرْوَاحَكُمْ نَزْعاً، وأَنْتُمْ تَجْمَعُونَ لَهَا جَمْعاً.

لِلْمَوْتِ تُولَدُونَ، وإِلَى الْقُبُورِ تُنْقَلُونَ، وعَلَى التُّرَابِ تَتَوَسَّدُونَ، وإِلَى الدُّودِ تُسَلَّمُونَ، وإِلَى الْحِسَابِ تُبْعَثُونَ.

فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّكُمْ ومَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وأَشَدَّ بَطْشاً، وأَعْمَرَ دِيَاراً، وأَبْعَدَ آثَاراً.

أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، ورِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، ودِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وآثَارُهُمْ عَافِيَةً، فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ، والنُّمُرُقِ الْمُنَضَّدَةِ، والنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ والأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ، والْقُبُورَ اللاَّطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا، وشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا.

فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ.

لاَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالأَوْطَانِ، ولاَ يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ، ودُنُوالدَّارِ.

وكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ، وقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى، وأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ والثَّرَى،

فَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْحَيَاةِ أَمْوَاتاً، وبَعْدَ غَضَارَةِ الْعَيْشِ رُفَاتاً.

قَدْ فُجِعَ بِهِمُ الأَحْبَابُ، وأَسْكَنُوا التُّرَابَ، وظَعَنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابٌ، وتَمَنَّوُا الرُّجُوعَ فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوقائِلُها ومِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

وكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ والْبِلى في دَارِ الْمَوْتى، وارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ، وضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ.

فَكَيْفَ بِكُمْ لَوتَنَاهَتْ بِكُمُ الأُمُورُ، وبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ، وحُصِّلَ مَا في الصُّدُورِ، وهُتِكَتْ عَنْكُمُ الْحُجُبُ والأَسْتَارُ، وظَهَرَتْ مِنْكُمُ الْعُيُوبُ والأَسْرَارُ، وزَالَ الشَّكُّ والارْتِيَابُ، وأُوقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ، بَيْنَ يَدَيِ مَلِكٍ جَلِيلٍ، فَطَارَتِ الْقُلُوبُ لإِشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الذُّنُوبِ، هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ ورُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ.

إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ في كِتَابِهِ-: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا ويَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

وقَالَ-: ﴿ووُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ويَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها ووَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً ولاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

أَمْ هذَا الَّذي أَنْشَأَهُ في ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وشُغُفِ الأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِهَاقاً، وعَلَقَةً مُحَاقاً، وجَنِيناً ورَاضِعاً، ووَلِيداً ويَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، ولِسَاناً لاَفِظاً، وبَصَراً لاَحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، ويُقَصِّرَ مُزْدَجِراً.

حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، واسْتَوى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وخَبَطَ سَادِراً، مَاتِحاً في غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ، في لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وبَدَوَاتِ أَرَبِهِ.

لاَ يَتَحَسَّبُ رَزِيَّةً، ولاَ يَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَمَاتَ في فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وعَاشَ في هَفْوَتِهِ أَسِيراً.

لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، ولَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً.

دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ في غُبَّرِ جِمَاحِه، وسَنَنِ مَرَاحِه، فَظَلَّ سَادِراً، وبَاتَ سَاهِراً، في غَمَرَاتِ الآلاَمِ، وطَوَارِقِ الأَوْجَاعِ والأَسْقَامِ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، ووَالِدٍ شَفِيقٍ، ودَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، ولاَدِمَةٍ للصَّدْرِ قَلَقاً.

والْمَرْءُ في سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ، وغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ، وأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ، وسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ.

ثُمَّ أُدْرِجَ في أَكْفَانِه مُبْلساً، وجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً.

ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ، ونِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وحَشَدَةُ الإِخْوَانِ، إِلى دَارِ غُرْبَتِه، ومُنْقَطَعِ زَوْرَتِه، ومُنْفَرَدِ وَحْشَتِه.

حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، ورَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ في حُفْرَتِه نَجِيّاً، لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وعَثْرَةِ الامْتِحَانِ.

وأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُلُ الْحَمِيمِ، وتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ.

لاَ فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، ولاَ دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، ولاَ قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، ولاَ مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، ولاَ سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وعَذَابِ السَّاعَاتِ.

إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ، وإِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ويَوْمِ الْحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ.

يَوْمَ تُنْصَبُ فِيهِ الْمَوَازِينُ، وتُنْشَرُ فِيهِ الدَّوَاوِينُ، لإِحْصَاءِ كُلِّ صَغِيرَةٍ، وإِعْلاَنِ كُلِّ كَبِيرَةٍ.

واعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ ومَزَالِقِ دَحْضِه، وأَهَاوِيلِ زَلَلِه، وتَارَاتِ أَهْوَالِه.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِه، وأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِه، وظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِه، وأَوْجَفَ

الذِّكْرُ بِلِسَانِه، وقَدَّمَ الْخَوْفَ لأَمَانِه، وتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضْحِ السَّبِيلِ، وسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ، ولَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلاَتُ الْغُرُورِ، ولَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ، ظَافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى، ورَاحَةِ النُّعْمَى، فِي أَنْعَمِ نَوْمِه، وآمِنِ يَوْمِه.

قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً، وقَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً، وبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ، ورَغِبَ فِي طَلَبٍ، وذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، ورَقَبَ فِي يَوْمِه غَدَهُ، ونَظَرَ قُدُماً أَمَامَ.

فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً ونَوَالًا، وكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً ووَبَالًا، وكَفَى بِاللَّهِ ظَهِيراً ومُجِيراً، وكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً ونَصِيراً، وكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وخَصِيماً.

عِبَادَ اللَّهِ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وسُلِّمُوا فَنَسُوا، أُمْهِلُوا طَوِيلًا، ومُنِحُوا جَمِيلًا، وحُذِّرُوا أَلِيماً، ووُعِدُوا جَسِيماً، احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُورِطَةَ، والْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ، واعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ، قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وأَسْمَاعُهُمْ، وذَهَبَ شَرَفُهُمْ وعِزُّهُمْ، وانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ ونَعِيمُهُمْ، فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وبِصُحْبَةِ الأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا.

لاَ يَتَفَاخَرُونَ ولاَ يَتَنَاسَلُونَ، ولاَ يَتَزَاوَرُونَ ولاَ يَتَحَاوَرُونَ.

فَاحْذَرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِه، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِه، النَّاظِرِ بِعَقْلِه، فَإِنَّ الأَمْرَ وَاضِحٌ، والْعَلَمَ قَائِمٌ، والطَّرِيقَ جَدَدٌ، والسَّبِيلَ قَصْدٌ.

فَاعْمَلُوا، وأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ، والصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، والتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، والْمُدْبِرُ يُدْعَى، والْمُسِيءُ يُرْجَى، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ، ويَنْقَطِعَ الْمَهَلُ، ويَنْقَضِيَ الأَجَلُ، ويُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وتَصْعَدَ الْمَلاَئِكَةُ.

أَلاَ، عِبَادَ اللَّهِ، بَادِرُوا صَالِحَ الأَعْمَالِ والْخِنَاقُ مُهْمَلٌ، والرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ الارْشَادِ، ورَاحَةِ الأَجْسَادِ، وبَاحَةِ الاحْتِشَادِ، ومَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، وإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ والْمَضِيقِ، والرَّوْعِ والزُّهُوقِ، وقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

اللَّهَ اللَّهَ، عِبَادَ اللَّه، قَبْلَ جُفُوفِ الأَقْلاَمِ، وتَصَرُّمِ الأَيَّامِ، ولُزُومِ الآثَامِ، وقَبْلَ الدَّعْوَةِ بِالْحَسْرَةِ والْوَيْلِ والشَّقْوَةِ، ونُزُولِ عَذَابِ اللَّه بَغْتَةً أوجَهْرَةً.

أَيُّهَا النَّاسُ، الآنَ الآنَ، مَا دَامَ الْوَثَاقُ مُطْلَقاً، والسِّرَاجُ مُنِيراً، وبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحاً، ومِنْ قَبْلِ أنْ تُطْوَى الصَّحِيفَةُ، فَلاَ رِزْقٌ يَنْزِلُ، ولاَ عَمَلٌ يَصْعَدُ.

الْمِضْمَارُ الْيَوْمَ، والسِّبَاقُ غَداً، وإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ إلى جَنَّةٍ أونَارٍ.

الآنَ الآنَ، مِنْ قَبْلِ النَّدَمِ، ومِنْ قَبْلِ أنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّه وإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أوتَقُولَ لَوأنَّ اللَّهَ هَدانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أوتَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذابَ لَوأنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

فَيَرُدُّ عَلَيْهِ الْجَلِيلُ- جَلَّ جَلاَلُهُ-: ﴿**بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها واسْتَكْبَرْتَ وكُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ**﴾.

فَواللَّه مَا يَسْأَلُ الرُّجُوعَ إلاَّ لِيَعْمَلَ صَالِحاً، ولاَ يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّه أحَداً.

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِه لِنَفْسِه، وأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، ومِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، ومِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ.

إِمْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وهُومُعَمَّرٌ إلى أجَلِه، ومَنْظُورٌ إلى عَمَلِه.

إِمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّه، وقَادَهَا بِزِمَامِهَا إلى طَاعَةِ اللَّه.

يَا أُولِي الأَبْصَارِ والأَسْمَاعِ، والْعَافِيَةِ والْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أوخَلاَصٍ، أومَعَاذٍ أومَلاَذٍ، أوفِرَارٍ أومَحَارٍ.

أَمْ لاَ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ.

أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ.

أَمْ بِمَا ذَا تَغْتَرُّونَ.

وإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ والْعَرْضِ قَيْدُ قَدِّه، مُتَعَفِّراً عَلى خَدِّه،

وقَدْ غُودِرَ في مَحَلَّة الأَمْوَات رَهيناً، وفي ضيقِ الْمَضْجَعِ وَحيداً.

قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ، وأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، ومَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ، وصَارَتِ الأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا، والْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، والأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا، مُوقَنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا.

لاَ تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، ولاَ تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِءِ زَلَلِهَا.

أولَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ والآبَاءَ، وإِخْوَانَهُمْ والأَقْرِبَاءَ، تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وتَطَؤُونَ جَادَّتَهُمْ.

فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لاَهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ في غَيْرِ مِضْمَارِهَا، كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا، وكَأَنَّ الرُّشْدَ في إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

فَعَلاَمَ، عِبَادَ اللَّه، التَّعَرُّجُ والدَّلَجُ.

وإِلى أَيْنَ الْمَفَرُّ والْمَهْرَبُ.

وهَذَا الْمَوْتُ في الطَّلَبِ، يَخْتَرِمُ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، لاَ يَتَحَنَّنُ عَلى ضَعِيفٍ، ولاَ يُعَرِّجُ عَلى شَرِيفٍ، والْجَدِيدَانِ يَحُثَّانِ الأَجَلَ تَحْثِيثاً، ويَسُوقَانِهِ سَوْقاً حَثِيثاً.

وكُلٌّ مَا هُوَ آتٍ فَقَرِيبٌ.

ومِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ.

فَأَعِدُّوا الْجَوَابَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ، وأَكْثِرُوا الزَّادَ لِيَوْمِ الْمَعَادِ.

عِبَادَ اللَّه، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ الله - سُبْحَانَهُ- إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللَّهُ عَلى نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ، وتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ، وأَضْمَرَ الْيَقِينَ، وعَرِيَ مِنَ الشَّكِّ في تَوَهُّمِ الزَّوَالِ، فَهُومِنْهُ عَلى بَالٍ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدى في قَلْبِهِ، وأَعَدَّ الْقِرى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وهَوَّنَ الشَّدِيدَ.

نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وارْتَوى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهْلاً، وسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً.

قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلاَّ هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمى، ومُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوى، وصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدى، ومَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدى.

قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وسَلَكَ سَبِيلَهُ، وعَرَفَ مَنَارَهُ، واسْتَفْتَحَ بِمَا فَتَحَ الْعَالِمُ بِهِ أَبْوَابَهُ، وخَاضَ بِحَارَهُ، وقَطَعَ غِمَارَهُ.

واسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرى بِأَوْثَقِهَا، واسْتَعْصَمَ مِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَمِنَ الْيَقِينِ عَلى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ.

قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ للَّه - سُبْحَانَهُ وتعالى - في أَرْفَعِ الأُمُورِ، مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلى أَصْلِهِ.

مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ، خَوَّاضُ غَمَرَاتٍ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلاَتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ.

يَقُولُ فَيُفْهِمُ، ويَسْكُتُ فَيَسْلَمُ.

قَدْ أَخْلَصَ للَّه - سُبْحَانَهُ - فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُومِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وأَوْتَادِ أَرْضِهِ.

قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوى عَنْ نَفْسِهِ.

يَصِفُ الْحَقَّ ويَعْمَلُ بِهِ.

لاَ يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلاَّ أَمَّهَا، ولاَ مَظِنَّةً إِلاَّ قَصَدَهَا.

قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ، فَهُوقَائِدُهُ وإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، ويَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

وإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى الله - تعالى - لَعَبْداً وكَلَهُ اللَّهُ إِلى نَفْسِهِ، جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ.

إِنْ دُعِيَ إِلى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وإِنْ دُعِيَ إِلى حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِلَ.

كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

وآخرَ قَدْ تَسَمَّى عَالماً ولَيْسَ بِه، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، وأضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّلٍ، ونَصَبَ لِلنَّاسِ أشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وقَوْلِ زُورٍ.

قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلى آرَائِه، وعَطَفَ الْحَقَّ عَلى أهْوَائِه.

يُؤَمِّنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ، ويُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ.

يَقُولُ: أقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، وفِيهَا وَقَعَ.

ويَقُولُ: أعْتَزِلُ الْبِدَعَ، وبَيْنَهَا اضْطَجَعَ.

فَالصُّورَةُ صُورَةُ إنْسَانٍ، والْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ.

لاَ يَعْرِفُ بَابَ الْهُدى فَيَتَّبِعَهُ، ولاَ بَابَ الْعَمى فَيَصُدَّ عَنْهُ.

فَذَلِكَ مَيِّتُ الأحْيَاءِ.

جَعَلَنَا اللَّهُ وإيَّاكُمْ عَامِلِينَ بِكِتَابِه، مُتَّبِعِينَ لِسُنَّةِ رَسُولِه [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه]. [وَ] عَصَمَنَا اللَّهُ وإيَّاكُمْ بِطَاعَتِه، وأعَانَنَا وإيَّاكُمْ عَلى مَا يُقَرِّبُ إلَيْه، ويُزْلِفُ لَدَيْه، حَتَّى يُحِلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِه، إنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، فَإنَّمَا نَحْنُ بِه ولَهُ.

أقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى نَفْسِي وأنْفُسِكُمْ، وهُوَ حَسْبُنَا ونِعْمَ الْوَكِيلُ.

وأسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي ولَكُمْ.

خطبة له عليه السلام (١٨)

في فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وفيها إخبار بجملة ما سيصيب المسلمين في القرون المقبلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الأَوَّلِ فَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، والآخِرِ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ، والظَّاهِرِ فَلاَ شَيْءَ فَوْقَهُ، والْبَاطِنِ فَلاَ شَيْءَ دُونَهُ.

مُتَعَالٍ عَنِ الأَنْدَادِ، مُتَفَرِّدٌ بِالْمِنَّةِ عَلَى الْعِبَادِ، مُحْتَجِبٌ بِالْعِزَّةِ والْمَلَكُوتِ، متَوَحِّدٌ بِالْقُوَّةِ والْجَبَرُوتِ.

لاَ تَرَاهُ الْعُيُونُ، ولاَ تَعْزُبُ عَنْهُ حَرَكَةٌ ولاَ سُكُونٌ.

لَيْسَ لَهُ ضِدٌّ ولاَ نِدٌّ، ولاَ عِدْلٌ ولاَ مِثْلٌ.

الَّذِي اطَّلَعَ عَلَى الْغُيُوبِ، وعَفَا عَنِ الذُّنُوبِ.

يُطَاعُ بِإِذْنِه فَيَشْكُرُ، ويُعْصى بِعِلْمِه فَيَغْفِرُ ويَسْتُرُ.

لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ طَلَبَهُ، ولاَ يَمْتَنِعُ مِنْهُ أَحَدٌ أَرَادَهُ.

قَدَرَ فَحَلُمَ، وعَاقَبَ فَلَمْ يَظْلِمْ، وابْتَلى مَنْ يُحِبُّ ومَنْ يُبْغِضُ.

خَلَقَ الْخَلْقَ عَلى غَيْرِ أَصْلٍ، وابْتَدَأَهُمْ عَلى غَيْرِ مِثَالٍ.

ورَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ، وبَسَطَ الأَرْضَ عَلَى الْهَوَاءِ بِغَيْرِ أَرْكَانٍ، فَمَهَّدَهَا وفَرَشَهَا، وأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً ثَجَّاجاً، ونَبَاتاً رَجْرَاجاً، فَسَبَّحَهُ نَبَاتُهَا، وجَرَتْ بِأَمْرِه مِيَاهُهَا.

فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ، وأَحْسَنَ تَقْدِيرَهُ، وأَنْفَذَ أَمْرَهُ.

الْحَمْدُ للَّه الَّذي اسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ لنَفْسه، واسْتَوْجَبَهُ عَلى جَميعِ خَلْقه.

الَّذي نَاصيَةُ كُلِّ شَيْءٍ بيَده، ومَصيرُ كُلِّ شَيْءٍ إلَيْه.

الْقَويِّ في سُلْطَانه، اللَّطيف في جَبَرُوته.

إنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا والآخرَةُ بأزمَّتهَا، وقَذَفَتْ إلَيْه السَّموَاتُ والأرَضُونَ مَقَاليدَهَا، وسَجَدَتْ لَهُ بالْغُدُووالآصَال الأَشْجَارُ النَّاضرَةُ، وقَدَحَتْ لَهُ منْ قُضْبَانهَا النّيرَانَ الْمُضيئَةَ، وآتَتْ أُكُلَهَا بكَلمَاته الثّمَارُ الْيَانعَةُ.

لاَ مَانعَ لمَا أعْطى، ولاَ مُعْطيَ لمَا مَنَعَ.

خَالقُ الْخَلاَئق بقُدْرَته ومُسَخّرُهُمْ بمَشيئَته.

وفيُّ الْعَهْد، صَادقُ الْوَعْد.

شَديدُ الْعقَاب، جَزيلُ الثَّوَاب.

لاَ يَجُورُ في حُكْمه إذَا قَضى، ولاَ يُصْرَفُ مَا أمْضى، ولاَ يُنْسئُ ولاَ يُعَجِّلُ، ولاَ يُسْألُ عَمَّا يَفْعَلُ.

قَريبٌ ممَّنْ دَعَاهُ، مُجيبٌ لمَنْ نَادَاهُ، بَرٌّ بمَنْ لَجَأَ إلى ظلّه واعْتَصَمَ بحَبْله، حَليمٌ عَمَّنْ ألْحَدَ في آيَاته.

أحْمَدُهُ وأسْتَعينُهُ عَلى مَا أنْعَمَ به ممَّا لاَ يَعْرفُ كُنْهَهُ غَيْرُهُ. وأتَوَكَّلُ عَلَيْه تَوَكُّلَ الْمُسْتَسْلم لقُدْرَته، الْمُتَبَرّئ منَ الْحَوْل والْقُوَّة إلَيْه.

وأشْهَدُ شَهَادَةً لاَ يَشُوبُهَا شَكٌّ أنَّهُ لاَ إلَه إلاَّ هُووَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، إلهاً وَاحداً صَمَداً، لَمْ يَتَّخذْ صَاحبَةً ولاَ وَلَداً، ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ في الْمُلْك ولَمْ يَكُنْ لَهُ وَليٌّ منَ الذُّلّ وكَبّرْهُ تَكْبيراً، وهُوعَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ.

قَطَعَ ادّعَاءَ الْمُدَّعي بقَوْله- عَزَّ وجل-: ﴿**وما خَلَقْتُ الْجنَّ والأنْسَ إلاَّ ليَعْبُدُون**﴾.

وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ صَفْوَتُهُ منْ خَلْقه، وأمينُهُ عَلى وَحْيه.

أَرْسَلَهُ بِالْمَعْرُوفِ آمِراً، وعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِياً، وإِلَى الْحَقِّ دَاعِياً، عَلى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وانْبِسَاطٍ مِنَ الْجَهْلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ، وانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ، وتَنَازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ، واعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ، وضَلاَلَةٍ مِنَ النَّاسِ، وعَمىً عَنِ الْحَقِّ، واعْتِسَافٍ مِنَ الْجَوْرِ، وامْتِحَاقٍ مِنَ الدِّينِ، وتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ.

فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، والْعَادِلِينَ بِهِ.

والدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، ويُبْسٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، وإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، واغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا.

قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدى، وظَهَرَتْ أَعْلاَمُ الرَّدى.

فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا مُكْفَهِرَّةٌ، مُدْبِرَةٌ غَيْرُ مُقْبِلَةٍ، وقَدْ أَعْمَتْ عُيُونَ أَهْلِهَا، وأَظْلَمَتْ عَلَيْهِمْ أَيَّامَهَا.

ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وشِعَارُهَا الْخَوْفُ، ودِثَارُهَا السَّيْفُ.

وقَدْ قَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، ودَفَنُوا فِي التُّرَابِ الْمَوْءُدَةَ مِنْ أَوْلاَدِهِمْ.

يُخْتَارُ دُونَهُمْ طِيبُ الْعَيْشِ، ورَفَاهِيَّةُ حُظُوظِ الدُّنْيَا.

لاَ يَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ثَوَاباً، ولاَ يَخَافُونَ، واللَّهِ، مِنْهُ عِقَاباً.

حَيُّهُمْ أَعْمى نَجِسٌ، ومَيِّتُهُمْ فِي النَّارِ مُبْلِسٌ.

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ شَهِيداً وبَشِيراً ونَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وأَنْجَبَهَا كَهْلاً، أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وأَمْطَرَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً، [فَـ]تَمَّمَ بِهِ الْوَحْيَ، وأَنْذَرَ بِهِ أَهْلَ الأَرْضِ.

فَبَالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فِي النَّصِيحَةِ، ومَضى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

بَعَثَهُ والنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ.

قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، واسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاَءُ، حَيَارى

في زِلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وبَلاَءٍ مِنَ الْجَهْلِ.

فَجَاءَهُمْ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ بِنُسْخَةِ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولى، وتَصْدِيقِ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ، والنُّورِ الْمُقْتَدى بِهِ، وتَفْصِيلِ الْحَلاَلِ مِنْ رَيْبِ الْحَرَامِ، ذَلِكَ الْقُرْآنُ، فَاسْتَنْطِقُوهُ، ولَنْ يَنْطِقَ لَكُمْ، ولكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ.

أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، والْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، ودَوَاءَ دَائِكُمْ، ونَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ، وبَيَانَ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

فَلَوسَأَلْتُمُونِي عَنْهُ لَعَلَّمْتُكُمْ، لأَنِّي أَعْلَمُكُمْ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا الْعِصْمَةُ مِنْ كُلِّ ضَلاَلَةٍ، والسَّبِيلُ إِلى كُلِّ نَجَاةٍ.

فَكَأَنَّكُمْ بِالْجُثَثِ قَدْ زَايَلَتْهَا أَرْوَاحُهَا، وتَضَمَّنَتْهَا أَجْدَاثُهَا.

فَلَنْ يَسْتَقْبِلَ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ بِانْتِقَاصِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ.

وإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهى بَصَرِ الأَعْمى لاَ يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، والْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، ويَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا.

فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، والأَعْمى إِلَيْهَا شَاخِصٌ، والْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، والأَعْمى لَهَا مُتَزَوَّدٌ.

أَلاَ وإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إِلاَّ بِالزُّهْدِ فِيهَا، ولاَ يُنْجى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا.

إِبْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وحُوسِبُوا عَلَيْهِ، ومَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وأَقَامُوا فِيهِ.

[فَ]لاَ تَبِيعُوا الآخِرَةَ بِالدُّنْيَا، ولاَ تَسْتَبْدِلُوا الْفَنَاءَ بِالْبَقَاءِ، ولاَ تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً، ويَقِينَكُمْ شَكّاً، إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا، وإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا، فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ، أَوزَادِ الرَّاكِبِ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ، وزَائِداً حَتَّى نَقَصَ.

وقَدْ أَعْذَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - إِلَيْكُمْ فِي النَّهْيِ عَنْهَا، وأَنْذَرَكُمْ وحَذَّرَكُمْ مِنْهَا، فَأَبْلَغَ.

وأُحَذِّرُكُمْ دُعَاءَ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ عَبْدَهُ، يَوْمَ تُعْفى آثَارُهُ، وتُوحَشُ مِنْهُ دِيَارُهُ، ويَيْتَمُ صِغَارُهُ، ثُمَّ يَصِيرُ إلى حَفِيرٍ مِنَ الأَرْضِ مُتَعَفِّراً عَلى خَدِّهِ، غَيْرَ مُوَسَّدٍ ولاَ مُمَهَّدٍ.

واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ ويَكَادُ صَاحِبُهُ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهُ أَوْ يَمَلَّهُ إلاَّ الْحَيَاةَ، فَإِنَّهُ لاَ يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً.

وإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وسَمْعٌ لِلأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ والسَّلاَمَةُ.

أَلاَ وإِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ.

أَلاَ إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وقَبِلَهُ.

فَاعْتَبِرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، واذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ.

ولَعَمْرِي، مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ ولاَ بِهِمُ الْعُهُودُ، ولاَ خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ والْقُرُونُ، ومَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمِ كُنْتُمْ فِي أَصْلاَبِهِمْ بِبَعِيدٍ.

وكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لاَ يَعْيَا لِسَانُهُ، وبَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وعِزٌّ لاَ يُهْزَمُ أَعْوَانُهُ، تُبْصِرُونَ بِهِ، وتَنْطِقُونَ بِهِ، وتَسْمَعُونَ بِهِ، ويَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، ويَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلى بَعْضٍ، ولاَ يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ ولاَ يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ.

واللَّهِ مَا أَسْمَعَهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ شَيْئاً إلاَّ وهَا أَنَا ذَا الْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ. ومَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِالأَمْسِ، ولاَ شُقَّتْ لَهُمُ الأَبْصَارُ، ولاَ جُعِلَتْ لَهُمُ الأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ الأَوَانِ، إلاَّ وقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ.

واللَّهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، ولاَ أُصْفِيتُمْ بِهِ وحُرِمُوهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، واقْبَلُوا نَصِيحَةَ نَاصِحٍ مُتَيَقِّظٍ، وامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ، وامْتَارُوا مِنْ طَوْرِ الْيَاقُوتِ الأَحْمَرِ.

ولَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا، رِخْواً بِطَانُهَا، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ

الْغُرُور.

فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّاتِهَا، ولاَ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلاَفِهَا، إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، قَلِقاً وَضِينُهَا.

قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وحَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ.

وإِنَّمَا صَادَفْتُمُوهَا، واللَّهِ، ظِلًّا مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

إِعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، عَلَى أَعْلاَمٍ بَيِّنَةٍ، فَالأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، [وَ] الطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُوإِلَى دَارِ السَّلاَمِ، وأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ، وأَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وفَرَاغٍ، والصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، والأَقْلاَمُ جَارِيَةٌ، والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، والأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، والتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ، والأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، لاَ تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، ولاَ تَنْقَادُوا لأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لاَ يَلْتَصِقُ، ويُقَرِّبَ مَا لاَ يَتَقَارَبُ.

فَاللَّهَ اللَّهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لاَ يُشْكِي شَجْوَكُمْ، ومَنْ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ.

إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الإِبْلاَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ.

والاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ.

والاحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ.

وإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا.

وإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا.

فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، ومِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَنَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، ومَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَا أَنْفُ الإيمَان. أَنَا أَنْفُ الْهُدى وعَيْنَاهُ.

إِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله قَدْ رَضِيَني لِنَفْسه أَخاً، واخْتَصَّني لَهُ وَزِيراً.

أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَسْتَوْحِشُوا في طَرِيقِ الْهُدى لِقِلَّة أَهْله، فَإِنَّ النَّاسَ قَد اجْتَمَعُوا عَلى مَائِدَة شِبَعُهَا قَصيرٌ، وَجُوعُهَا طَويلٌ، واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

واعْلَمُوا أَنَّ عَلى كُلِّ شَارِعٍ بِدْعَة وِزْرَهُ ووِزْرَ كُلِّ مُقْتَد بِه مِنْ بَعْده إِلى يَوْمِ الْقِيَامَة، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَوْزَارِ الْعَامِلِينَ شَيْئاً، ولَهُمْ بِكُلِّ مَا أَتَوْا وعَمِلُوا مِنْ أَفَارِيقِ الصَّبِرِ الأَدْهَمِ فَوْقَ مَا أَتَوْا وعَمِلُوا.

أَصْفَيْتُمْ بِالأَمْرِ غَيْرَ أَهْله، وأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ وِرْده. وسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ حَذْوَالنَّعْلِ بِالنَّعْلِ، مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ، ومَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، ومَشَارِبِ الصَّبِرِ والْمَقِرِ.

فَلْيَشْرَبُوا الصُّلْبَ مِنَ الرَّاحِ السُّمِّ الْمُدَافِ، ولْيَلْبَسُوا شِعَارَ الْخَوْفِ، ودِثَارَ السَّيْفِ، دَهْراً طَويلًا، وإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ، وزَوَامِلُ الآثَامِ.

لَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى الْحَقِّ فَتَوَلَّيْتُمْ، وضَرَبْتُكُمْ بِالدِّرَّة فَمَا اسْتَقَمْتُمْ.

أَمَا إِنَّهُ سَيَلِيكُمْ مِنْ بَعْدي وُلاَةٌ لاَ يَرْضَوْنَ مِنْكُمْ بِهَذَا حَتَّى يُعَذِّبُونَكُمْ بِالسِّيَاطِ والْحَدِيد.

وسَيَأْتِيكُمْ غُلاَمَا ثَقِيف: أَخْفَشُ، وجَعْبُوبٌ.

يَقْتُلاَنِ ويَظْلِمَانِ، وقَلِيلٌ مَا يَتَمَكَّنَانِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ ولاَ وَبَرٍ إِلاَّ وأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً، وأَوْلَجُوا فِيه نِقْمَةً.

فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، ولاَ فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ.

فَأُقْسِمُ بِاللَّه، يَا بَنِي أُمَيَّةَ، لَتَحْمِلُنَّهَا، وعَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ، وفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ.

فَلاَ يُبْعِدُ اللَّهُ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ [مِنْكُمْ]، وعَلَى الْبَادِئِ مَا سَهَّلَ لَهُمْ مِنْ سَبِيلِ الْخَطَايَا مِثْلَ أَوْزَارِهِمْ، وأَوْزَارِ كُلِّ مَنْ عَمِلَ بِوِزْرِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة ومِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ

بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ.

فَيَا وَيْحَ بَني أُمَيَّةَ مِن ابْنِ أَمَتِهِمْ، يَقْتُلُ زِنْديقَهُمْ، ويُسَيِّرُ خَليفَتَهُمْ فِي الأَسْوَاقِ.

فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ.

والَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لاَ يَزَالُ مُلْكُ بَني أُمَيَّةَ ثَابِتاً لَهُمْ حَتَّى يَمْلِكَ زِنْديقُهُمْ.

فَإِذَا قَتَلُوهُ ومَلَكَ ابْنُ أَمَتِهِمْ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ، أَلْقَى اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَيُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، وتَعَطَّلُ الثُّغُورُ، وتُهْرَاقُ الدِّمَاءُ، وتَقَعُ الشَّحْنَاءُ فِي الْعَالَمِ والْهَرْجُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ.

فَإِذَا قُتِلَ زِنْديقُهُمْ فَالْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

يُسَلَّطُ بَعْضُ بَني هَاشِمٍ عَلى بَعْضٍ، حَتَّى مِنَ الْغَيْرَةِ يَغيرُ خَمْسَةُ نَفَرٍ عَلَى الْمُلْكِ كَمَا يَتَغَايَرُ الْفِتْيَانُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْحَسْنَاءِ.

فَمِنْهُمُ الْهَارِبُ والْمَشْؤُومُ، ومِنْهُمُ السِّنَاطُ الْخَليعُ.

يُبَايِعُهُ جُلُّ أَهْلِ الشَّامِ، ثُمَّ يَسيرُ إِلَيْهِ حِمَارُ الْجَزِيرَةِ مِنْ مَدِينَةِ الأَوْثَانِ، فَيُقَاتِلُهُ الْخَليعُ، ويَغْلِبُ عَلَى الْخَزَائِنِ، فَيُقَاتِلُهُ مِنْ دِمَشْقَ إِلى حَرَّانَ، ويَعْمَلُ عَمَلَ الْجَبَابِرَةِ الأُولى.

فَيَغْضَبُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ لِكُلِّ عَمَلِهِ، فَيَبْعَثُ عَلَيْهِ فَتىً مِنَ الْمَشْرِقِ يَدْعُو إِلى أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

هُمْ أَصْحَابُ الرَّايَاتِ السُّودِ الْمُسْتَضْعَفُونَ.

فَيُعِزُّهُمُ اللَّهُ ويُنَزِّلُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ، فَلا يُقَاتِلُهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ هَزَمُوهُ.

ويَسيرُ الْجَيْشُ الْقَحْطَانِيُّ حَتَّى يَسْتَخْرِجُوا الْخَليفَةَ وهُوَ كَارِهٌ خَائِفٌ، فَيَسيرُ مَعَهُ تِسْعَةُ آلاَفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، مَعَهُ رَايَةُ النَّصْرِ.

وفَتَى الْيَمَنِ فِي نَحْرِ حِمَارِ الْجَزِيرَةِ عَلى شَاطِئِ نَهْرٍ، فَيَلْتَقِي هُوَوسَفَّاحُ بَني هَاشِمٍ،

فَيَهْزِمُونَ الْحِمَارَ، ويَهْزِمُونَ جَيْشَهُ، ويُغْرِقُونَهُمْ فِي النَّهْرِ.

فَيَسيرُ الْحِمَارُ حَتَّى يَبْلُغَ حَرَّانَ، فَيَتْبَعُونَهُ، فَيُهْزَمُ مِنْهُمْ.

فَيَأْخُذُ عَلَى الْمَدَائِنِ الَّتِي بِالشَّامِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ.

ويَسيرُ السَّفَّاحُ وفَتَى الْيَمَنِ حَتَّى يَنْزِلُوا دِمَشْقَ، فَيَفْتَحُونَهَا أَسْرَعَ مِنِ الْتِمَاعِ الْبَرْقِ، ويَهْدِمُونَ سُورَهَا.

ثُمَّ يُبْنَى ويُعَمَّرُ، ويُسَاعِدُهُمْ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ اسْمُهُ اسْمُ نَبِيٍّ.

فَيَفْتَحُونَهَا مِنَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ مِنَ الْيَوْمِ الثَّانِي أَرْبَعُ سَاعَاتٍ، فَيَدْخُلُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ سَيْفٍ مَسْلُولٍ بِأَيْدِي أَصْحَابِ الرَّايَاتِ السُّودِ.

شِعَارُهُمْ: أَمِتْ أَمِتْ.

أَكْثَرُ قَتْلاَهَا فِيمَا يَلِي الْمَشْرِقَ.

والْفَتَى فِي طَلَبِ الْحِمَارِ.

فَيُدْرِكَانِهِ فَيَقْتُلاَنِهِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرَيْنِ مِنَ الْمَعَرَّتَيْنِ والْيَمَنِ، ويُكْمِلُ اللَّهُ لِلْخَلِيفَةِ سُلْطَانَهُ.

ثُمَّ يَثُورُ سَمِيَّانِ: أَحَدُهُمَا بِالشَّامِ، والآخَرُ بِمَكَّةَ، فَيَمْلِكُ صَاحِبُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ويُقْبِلُ حَتَّى تَلْقَى جُمُوعُهُ جُمُوعَ أَهْلِ الشَّامِ، فَيَهْزِمُونَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا والسَّخَطُ، [ف]إياك [م] ومُصَاحَبَةَ أَهْلِ الْفُسُوقِ، فَإِنَّ الرَّاضِيَ بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ مَعَهُمْ فيه.

وعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ: إِثْمُ الْعَمَلِ به. وإِثْمُ الرِّضَا به.

أَلاَ وإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ - تعالى- بِالْعَذَابِ لِمَا عَمُّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ- سُبْحَانَهُ-: ﴿**فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادمينَ**﴾.

وقَالَ-: ﴿**فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها ولا يَخافُ عُقْباها**﴾.

وآيَةُ ذَلِكَ قَوْلُهُ- عَزَّ وجل-: ﴿**فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطى فَعَقَرَ فَكَيْفَ كانَ**

عَذابي ونُذُرِ﴾.

فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الأَرْضِ الْخَوَّارَةِ.

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، أَلاَ فَمَنْ سُئِلَ عَنْ قَاتِلِي فَزَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَقَدْ قَتَلَنِي.

أَلاَ واعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، ولِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وإِنَّ الطَّالِبَ لِحَقِّنَا، وَالثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا، كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وحَقِّ ذَوِي الْقُرْبَى والْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ، وهُوالعَادِلُ الَّذِي لاَ يَحِيفُ، والْحَاكِمُ الَّذِي لاَ يَجُورُ، وهُواللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الَّذِي لاَ يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، ولاَ يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ.

فَيَا مَطَايَا الْخَطَايَا، ويَا زُورَ الزُّورِ، وأَوْزَارَ الآثَامِ مَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، اسْمَعُوا، واعْقِلُوا، وتُوبُوا، وابْكُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ.

أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي وَعَدَنَا عَلَى طَاعَتِهِ جَنَّتَهُ، أَنْ يَقِيَنَا سَخَطَهُ، ويُجَنِّبَنَا نِقْمَتَهُ، ويَهَبَ لَنَا رَحْمَتَهُ.

خطبة له عليه السلام (١٩)

يبيّن فيها مكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وفضائل أهل بيت النبوّة عليهم السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِه، وجَلاَلِ كِبْرِيَائِه، مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِه، ورَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ الْعُقُولِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِه.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وإِيقَانٍ، وإِخْلاَصٍ وإِذْعَانٍ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وأَعْلاَمُ الْهُدى دَارِسَةٌ، ومَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، ونَصَحَ لِلْخَلْقِ، وهَدى إِلَى الرُّشْدِ، وأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ والْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، واعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ، وأَوْطَانِ السَّعَةِ، ومَعَاقِلِ الْحِرْزِ، ومَنَازِلِ الْعِزِّ، فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ، وتُظْلِمُ لَهُ الأَقْطَارُ، وتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، ويُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، والصُّمُّ الرَّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً، ومَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً، فَلاَ شَفِيعٌ يَشْفَعُ، ولاَ حَمِيمٌ يَدْفَعُ، ولاَ مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، ولَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا.

عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ.

فَاسْتَفْتِحُوهُ واسْتَنْجِحُوهُ، واطْلُبُوا إِلَيْهِ واسْتَمْنِحُوهُ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، ولاَ أَغْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ.

وإِنَّهُ لِكُلِّ مَكَانٍ، وفي كُلِّ حِينٍ وأَوَانٍ، ومَعَ كُلِّ إِنْسٍ وجَانّ.

لاَ يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ، ولاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ، ولاَ يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، ولاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ، ولاَ يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، ولاَ يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، ولاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، ولاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، ولاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، ولاَ تُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، ولاَ يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ.

قَرُبَ فَنَأَى، وعَلاَ فَدَنَا، وظَهَرَ فَبَطَنَ، وبَطَنَ فَعَلَنَ، ودَانَ ولَمْ يُدَنْ.

لَمْ يَذْرَأِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ، ولاَ اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا مَقَالَتِي، وعُوا كَلاَمِي، فَإِنَّ الْخُيَلاَءَ مِنَ التَّجَبُّرِ، وإِنَّ النَّخْوَةَ مِنَ التَّكَبُّرِ، وإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌ حَاضِرٌ يَعِدُكُمُ الْبَاطِلَ.

أَلاَ إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ، فَلاَ تَنَابَذُوا ولاَ تَخَاذَلُوا، فَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ، ومَنْ تَرَكَهَا مَرَقَ، ومَنْ فَارَقَهَا مَحِقَ.

لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالْخَائِنِ إِذَا ائْتُمِنَ، ولاَ بِالْمُخْلِفِ إِذَا وَعَدَ، ولاَ بِالْكَاذِبِ إِذَا نَطَقَ.

ونَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ، قَوْلُنَا الْحَقُّ، وفِعْلُنَا الْقِسْطُ، ومِنَّا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وفِينَا قَادَةُ الإِسْلاَمِ، وأُمَنَاءُ الْكِتَابِ، نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ورَسُولِهِ، وإِلَى جِهَادِ عَدُوِّهِ، والشِّدَّةِ فِي أَمْرِهِ، وابْتِغَاءِ رِضْوَانِهِ، وإِلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وحَجِّ الْبَيْتِ، وصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وتَوْفِيرِ الْفَيْءِ لأَهْلِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا ولَيْسَ بِمَيِّتٍ، ويَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبَالٍ.

فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ.

وأَعْذِرُوا مَنْ لاَ حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وأَنَا هُوَ.

أَلَمْ أَعْمَلْ فيكُمْ بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ، وأَتْرُكْ فيكُمُ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ.

قَدْ رَكَزْتُ فيكُمْ رَايَةَ الْحَقِّ [وَ] الإِيمَانِ، ووَقَفْتُكُمْ عَلى حُدُودِ الْحَلاَلِ والْحَرَامِ، وأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلي، وفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلي وفِعْلي، وأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسي.

ولَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وأَحَطْتُ بِجُهْدي مِنْ وَرَائِكُمْ، وأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ، وحَلَقِ الضَّيْمِ، شُكْراً مِنّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ.

فَلاَ تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لاَ يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، ولاَ تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنّي تَقَلَّدْتُ أَمْرَكُمْ هذَا، فَوَاللَّهِ الَّذي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ مَا أَصَبْتُ مِنْ مَالِكُمْ مُنْذُ وَلِيتُ أَمْرَكُمْ قَلِيلًا ولاَ كَثِيراً إِلاَّ قَارُورَةً مِنْ دُهْنِ طِيبٍ أَهْدَاهَا إِلَيَّ دُهْقَانٌ مِنْ بَعْضِ النَّوَاحي.

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وأَنَّى تُؤْفَكُونَ، والأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ، والآيَاتُ وَاضِحَةٌ، والْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ.

فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ.

بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ، وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وأَعْلاَمُ الدِّينِ، وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ.

فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.

أَلاَ وإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبي سُفْيَانَ الأَمَوِيَّ، وعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ السَّهْمِيَّ، أَصْبَحَا يُحَرِّضَانِ النَّاسَ عَلى طَلَبِ الدِّينِ، بِزَعْمِهِمَا.

واللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَنّي لَمْ أُرِدَّ عَلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ - ولاَ عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، ولَمْ أَعْصِهِ فِي أَمْرٍ قَطُّ.

ولَقَدْ بَذَلْتُ فِي طَاعَتِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، جُهْدي، وجَاهَدْتُ أَعْدَاءَهُ بِكُلِّ طَاقَتي.

ولَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ، وتَرْتَعِدُ فِيهَا الْفَرَائِصُ،

وتَتَأَخَّرُ فيهَا الأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِيَ اللَّهُ بِهَا، ولَهُ الْحَمْدُ.

ولَقَدْ أَفْضى إِلَيَّ مِنْ عِلْمِه مَا لَمْ يُفْضِ إِلى أَحَدٍ غَيْرِي، فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ.

ولَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ وإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلى صَدْرِي.

ولَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ في كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلى وَجْهِي.

ولَقَدْ وَلِيتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ وَحْدِي، والْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ والأَفْنِيَةُ، مَلأٌ يَهْبِطُ، ومَلأٌ يَعْرُجُ.

ومَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى وارَيْنَاهُ في ضَرِيحِهِ.

فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِه مِنِّي حَيّاً ومَيِّتاً.

وأَيْمُ اللَّهِ، مَا اخْتَلَفَتْ أُمَّةٌ قَطُّ بَعْدَ نَبِيِّهَا إِلاَّ ظَهَرَ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلى أَهْلِ حَقِّهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ.

فَانْفُذُوا عَلى بَصَائِرِكُمْ، ولْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ في جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَاللَّه الَّذي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوإِنِّي لَعَلى جَادَّةِ الْحَقِّ، وإِنَّهُمْ لَعَلى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا تَفَرَّقَتْ بِكُمُ السُّبُلُ ونَدِمْتُمْ حَيْثُ لاَ تَنْفَعُكُمُ النَّدَامَةُ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لي ولَكُمْ.

خطبة له عليه السلام (٢٠)

المسمّاة بالطالوتية

يذكر فيها رسول الله وأهل بيته عليهم السلام وفيها إخبار بسلطان بني أمية وزواله وظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ.

كَانَ حَيّاً بِلاَ (كَيْفَ)، ولَمْ يَكُنْ لَهُ (كَانَ)، ولاَ كَانَ لكَانه (كَيْفَ)، ولاَ كَانَ لَهُ (أيْنَ)، ولاَ كَانَ في شَيْءٍ، ولاَ كَانَ عَلى شَيْءٍ، ولاَ ابْتَدَعَ لكَانه مَكَاناً، ولاَ قَوِيَ بَعْدَ مَا كَوَّنَ شَيْئاً، ولاَ كَانَ ضَعيفاً قَبْلَ أنْ يُكَوِّنَ شَيْئاً، ولاَ كَانَ مُسْتَوْحِشاً قَبْلَ الابْتِدَاعِ، ولاَ كَانَ خَلْواً عَنِ الْمُلْك قَبْلَ الانْشَاء، ولاَ يَكُونُ خَلْواً منْهُ بَعْدَ الذَّهَاب.

كَانَ إلهاً حَيّاً بِلاَ حَيَاة، ومَالكاً قَبْلَ أنْ يُنْشِئَ شَيْئاً، ومَالكاً بَعْدَ إنْشَائه للْكَوْن.

ولَيْسَ يَكُونُ للَّه (كَيْفَ) ولاَ (أيْنَ)، ولاَ حَدٌّ يُعْرَفُ، ولاَ شَيْءٌ يَشْبَهُهُ.

ولاَ يَهْرَمُ لطُول بَقَائه، ولاَ يَضْعُفُ لذَعْرَة، ولاَ يَخَافُ كَمَا تَخَافُ خَليقَتُهُ منْ شَيْءٍ، ولكنْ سَميعٌ بِغَيْرِ سَمْعٍ، وبَصيرٌ بِغَيْرِ بَصَرٍ، وقَوِيٌّ بِغَيْرِ قُوَّةٍ منْ خَلْقه.

لاَ تُدْرِكُهُ حَدْقُ النَّاظرينَ، ولاَ يُحيطُ به سَمْعُ السَّامعينَ.

إذَا أرَادَ شَيْئاً كَانَ، بِلاَ مَشُورَةٍ ولاَ مُظَاهَرَةٍ ولاَ مُخَابَرَةٍ، ولاَ يَسْألُ أحَداً عَنْ شَيْءٍ منْ خَلْقه أرَادَهُ.

لاَ تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وهُوَيُدْرِكُ الأبْصارَ وهُواللَّطيفُ الْخَبيرُ.

الْحَمْدُ للَّه النَّاشرِ في الْخَلْقِ فَضْلَهُ، والْبَاسطِ فيهِمْ بالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ في جَميعِ أُمُورِه، ونَسْتَعينُهُ عَلى رِعَايَةِ حُقُوقِه.

ونَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ غَيْرُهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بأَمْرِهِ صَادِعاً، وبذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، الرِّسَالَةَ أَميناً، ومَضى رَشيداً.

وخَلَّفَ فينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، ومَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، دَليلُهَا مَكيثُ الْكَلاَمِ، بَطيءُ الْقِيَامِ، سَريعٌ إِذَا قَامَ.

فَإِذَا أَنْتُمْ أَلْنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِه.

حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ، وغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، واتَّكَلُوا عَلَى الْوَلاَئِجِ، ووَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِه، ونَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِه فَبَنَوْهُ في غَيْرِ مَوْضِعِه.

فَلْيَتْمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ حَتَّى يُطْلِعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ، ويَضُمُّ نَشْرَكُمْ.

فَلاَ تَطْمَعُوا في غَيْرِ مُقْبِلٍ، ولاَ تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسى أَنْ تَزِلَّ إِحْدى قَائِمَتَيْه، وتَثْبُتَ الأُخْرى، فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَميعاً.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ - لَمْ يَقْصِمْ جَبَّاري دَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ بَعْدَ تَمْهِيلٍ ورَخَاءٍ، ولَمْ يَجْبُرْ كَسْرَ عَظْمٍ أَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ إِلاَّ بَعْدَ أَزْلٍ وبَلاَءٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، وفي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ خَطْبٍ، واسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَصْبٍ مُعْتَبَرٌ، ومَا كُلُّ ذي قَلْبٍ بلَبيبٍ، ولاَ كُلُّ ذي سَمْعٍ بسَميعٍ، ولاَ كُلُّ ذي نَاظِرٍ ببَصيرٍ.

أَلاَ فَأَحْسِنُوا النَّظَرَ، عِبَادَ اللَّه، فيمَا يَعْنيكُمْ، ثُمَّ انْظُرُوا إِلى عَرَصَاتِ مَنْ قَدْ أَبَادَهُ اللَّهُ بعَمَلِه، كَانُوا عَلى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، أَهْلَ جَنَّاتٍ وعُيُونٍ، وزُرُوعٍ ومَقَامٍ كَريمٍ.

ثُمَّ انْظُرُوا بِمَا خَتَمَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الثُّبُورِ بَعْدَ النَّضْرَةِ والسُّرُورِ، ومَقيلٍ مِنَ الأَمْنِ والْحُبُورِ، والأَمْرِ والنَّهْيِ، فَهَا هِيَ عَرْصَةٌ لِلْمُتَوَسِّمِينَ، وإِنَّها لَبِسَبيلٍ مُقيمٍ.

ولِمَنْ صَبَرَ مِنْكُمُ الْعَاقِبَةُ في الْجِنَانِ، واللَّه، مُخَلَّدُونَ، ولِلَّه عَاقِبَةُ الأُمُورِ.

فَوَاهاً لأَهْلِ الْعُقُول، كَيْفَ أَقَامُوا بِمَدْرَجَةِ السُّيُول، واسْتَضَافُوا غَيْرَ مَأْمُون.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَاز، والآخِرَةُ دَارُ قَرَار، فَخُذُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، ولاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ.

وأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، ولِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ.

إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ السُّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُهُ.

إِنَّ الْمَرْءَ، إِذَا هَلَكَ، قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ، وقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: مَا قَدَّمَ.

لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ، فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ، ولاَ تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ.

فَإِنَّ الْمَحْرُومَ مَنْ حُرِمَ خَيْرَ مَالِه، والْمَغْبُوطَ مَنْ ثَقُلَ بِالصَّدَقَاتِ والْخَيْرَاتِ مَوَازِينُهُ، وأَحْسَنَ فِي الْجَنَّةِ بِهَا مِهَادَهُ، وطَيَّبَ عَلَى الصِّرَاطِ بِهَا مَسْلَكَهُ.

فَإِنَّهُ، واللَّهِ، الْجِدُّ لاَ اللَّعِبُ، والْحَقُّ لاَ الْكَذِبُ.

ومَا هُوَ إِلاَّ الْمَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيه، وأَعْجَلَ حَادِيه.

فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الأَمْوَالَ، وحَذِرَ الاقْلاَلَ، وأَمِنَ الْعَوَاقِبَ، طُولَ أَمَلٍ، واسْتِبْعَادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِه الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِه، وأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِه، مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ، حَمْلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ، وإِمْسَاكاً بِالأَنَامِلِ.

أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمَلُونَ بَعِيداً، ويَبْنُونَ مَشِيداً، ويَجْمَعُونَ كَثِيراً.

أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، ومَا جَمَعُوا بُوراً، وصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، ولاَ مِنْ سَيِّئَةٍ يُسْتَعْتَبُونَ.

فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهَلَهُ، وفَازَ عَمَلُهُ.

فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا، واعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا.

فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمَالَ

الصَّالحَةَ إلى دَارِ الْقَرَارِ.

فَكُونُوا مِنْهَا عَلى أَوْفَازٍ، وقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ، ولاَ تَخْدَ عَنْكُمْ مِنْهَا الْعَاجِلَةُ، ولاَ تَغُرَّنَّكُمْ فيهَا الْفِتْنَةُ.

أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوى مِنْهَا نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ.

فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمَلُونَ.

فَيَا عَجَباً ومَا لِي لاَ أَعْجَبُ مِنْ خَطَأِ هذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلاَفِ حُجَجِهَا في دِينِهَا.

وبُؤْساً لِهذِهِ الأُمَّةِ الْجَائِرَةِ في قَصْدِهَا، الرَّاغِبَةِ عَنْ رُشْدِهَا.

لاَ يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، ولاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، ولاَ يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، ولاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ.

يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، ويَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ.

الْمَعْرُوفُ فيهِمْ مَا عَرَفُوا، والْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا.

مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضَلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ.

كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ.

قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ، وأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

فَلاَ يَزَالُونَ بِجَوْرٍ، لاَ يَأْلُونَ قَصْداً، ولَنْ يَزْدَادُوا إِلاَّ خَطَأً.

لاَ يَنَالُونَ تَقَرُّباً، ولَنْ يَزْدَادُوا إِلاَّ بُعْداً مِنَ الله - عَزَّ وجل -، لِشِدَّةِ أُنْسِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وتَصْدِيقِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ.

كُلُّ ذَلِكَ حِيَاداً مِمَّا وَرَّثَ الرَّسُولُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، ونُفُوراً عَمَّا أَدَّى إِلَيْهِمْ مِنْ أَخْبَارِ فَاطِرِ السَّمواتِ والأَرْضِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ.

فَهُمْ أَهْلُ عَشْوَاتٍ، وكُهُوفُ شُبُهَاتٍ، وقَادَةُ حَيْرَةٍ وضَلاَلَةٍ ورَيْبَةٍ.

مَنْ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ورَأْيِهِ، فَاغْرَوْرَقَ فِي الأَضَالِيلِ، فَهُومَأْمُونٌ عِنْدَ مَنْ يَجْهَلُهُ،

غَيْرُ مُتَّهَمٍ عِنْدَ مَنْ لاَ يَعْرِفُهُ.

فَمَا أَشْبَهَ أُمَّةً صُدَّتْ عَنْ وُلاَتِهَا بِأَنْعَامٍ قَدْ غَابَ عَنْهَا رِعَاؤُهَا.

هـذَا وَقَـدْ ضَـمِنَ اللَّـهُ قَصْـدَ السَّبِيلِ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ.

أَيَّتُهَا الأُمَّةُ الْمُتَحَيِّرَةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا في دِينِهَا، الَّتي خُدِعَتْ فَانْخَدَعَتْ، وعَرَفَتْ خَدِيعَةَ مَنْ خَدَعَهَا فَأَصَرَّتْ عَلى مَا عَرَفَتْ، واتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهَا، وخَبَطَتْ في عَشْوَاءِ غَوَايَتِهَا.

وقَد اسْتَبَانَ لَهَا الْحَقُّ فَصَدَعَتْ عَنْهُ، والطَّرِيقُ الْوَاضِحُ فَتَنَكَّبَتْهُ.

أَمَـا والَّـذي فَلَـقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَو كُنْتُمْ قَدَّمْتُمْ مَنْ قَدَّمَ اللَّهُ، وأَخَّرْتُمْ مَنْ أَخَّرَ اللَّـهُ، وجَعَلْـتُمُ الْولاَيَةَ والْوِرَاثَةَ حَيْثُ جَعَلَهَا اللَّهُ، واقْتَبَسْتُمُ الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِه، وشَرِبْتُمُ الْمَاءَ بِعُذُوبَـتِه، وادَّخَـرْتُمُ الْخَـيْرَ مِـنْ مَوْضِعِه، وأَخَذْتُمُ الطَّرِيقَ مِنْ وَاضِحِه، وسَلَكْتُمُ الْحَقَّ مِنْ نَهْجِه، لَنَهَجَتْ بِكُمُ السُّبُلُ، وبَدَتْ لَكُمُ الأَعْلاَمُ، وأَضَاءَ لَكُمُ الإِسْلاَمُ، فَأَكَلْتُمْ رَغَداً، ومَا عَالَ فِيكُمْ عَائِلٌ، ولاَ ظُلِمَ مِنْكُمْ مُسْلِمٌ ولاَ مُعَاهِدٌ.

ولكِـنَّكُمْ سَـلَكْتُمْ سُبُلَ الظَّـلاَمِ، فَأَظْلَمَـتْ عَلَـيْكُمْ دُنْيَاكُمْ بَرَحْبِهَا، وسُدَّتْ عَلَيْكُمْ أَبْوَابُ الْعِلْمِ، فَقُلْتُمْ بِأَهْوَائِكُمْ، واخْتَلَفْتُمْ في دِينِكُمْ، فَأَفْتَيْتُمْ في دِينِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

واتَّبَعْـتُمُ الْغُـوَاةَ فَـأَغْوَوْكُمْ، وتَرَكْـتُمُ الأَئِمَّـةَ فَـتَرَكُوكُمْ، فَأَصْـبَحْتُمْ تَحْكُمُـونَ بِأَهْوَائِكُمْ.

إِذَا ذُكِـرَ الأَمْـرُ سَـأَلْتُمْ أَهْـلَ الذِّكْـرِ، فَـإِذَا أَفْتَوْكُمْ قُلْتُمْ: هُوَالْعِلْمُ بِعَيْنِه، فَكَيْفَ وقَدْ تَرَكْتُمُوهُ ونَبَذْتُمُوهُ وخَالَفْتُمُوهُ.

فَذُوقُوا وبَالَ أَمْرِكُمْ، ومَا فَرَّطْتُمْ فِيمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ، ومَا اللَّهُ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ.

رُوَيْـداً، عَمَّـا قَلِيلٍ تَحْصُـدُونَ جَمِيعَ مَـا زَرَعْـتُمْ، وتَجِـدُونَ وَخِيمَ مَا اجْتَرَمْتُمْ ومَا اجْتَلَبْتُمْ.

فَوالَّـذي فَلَـقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي صَاحِبُكُمْ، والَّذي بِهِ أُمِرْتُمْ، وأَنِّي

عَالِمُكُمْ، والَّذي بِعِلْمِه نَجَاتُكُمْ، ووَصِيُّ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ، وخِيرَةُ رَبِّكُمْ، ولِسَانُ نُورِكُمْ، والْعَالِمُ بِمَا يُصْلِحُكُمْ.

فَعَنْ قَلِيلٍ، رُوَيْداً، يَنْزِلُ بِكُمْ مَا وُعِدْتُمْ، ومَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ، وسَيَسْأَلُكُمْ اللهُ -عَزَّ وجل- عَنْ أَئِمَّتِكُمْ، فَمَعَهُمْ تُحْشَرُونَ، وإِلَى اللهِ -عَزَّ وجل- غَداً تَصِيرُونَ، وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

ووَا أَسَفاً، أَسَفاً يُكْلِمُ الْقَلْبَ، ويُدْمِنُ الْكَرْبَ، مِنْ فِعْلاَتِ شِيعَتِي بَعْدَ مَهْلِكِي، عَلَى قُرْبِ مَوَدَّتِهَا الْيَوْمَ، وتَأَشُّبِ أُلْفَتِهَا، كَيْفَ يَسْتَذِلُّ بَعْدِي بَعْضُهَا بَعْضاً، وتَحَوَّلُ أُلْفَتُهَا بُغْضاً.

إِفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَكُلُّ حِزْبٍ مِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ، أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ عَلَى أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ولَهُ الْحَمْدُ- سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ.

يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ.

ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَنَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ، سَيْلِ الْعَرِمِ، حَيْثُ بَعَثَ عَلَيْهِ فَارَةً، فَلَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَّةٌ، ولَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، ولَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصٌّ طَوْدٍ، ولاَ حِدَابُ أَرْضٍ.

يُذَعْذِعُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، ويُمَكِّنُ بِهِمْ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ، تَشْرِيداً لِبَنِي أُمَيَّةَ، ولِكَيْلاَ يَغْتَصِبُوا مَا غَصَبُوا.

يُضَعْضِعُ اللَّهُ بِهِمْ رُكْناً، ويَنْقُضُ بِهِمْ عَلَى الْجَنْدَلِ مِنْ إِرَمَ، ويَمْلأُ مِنْهُمْ بُطْنَانَ الزَّيْتُونِ.

فَوالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَيَكُونَنَّ ذَلِكَ، وكَأَنِّي أَسْمَعُ صَهِيلَ خَيْلِهِمْ، وطَمْطَمَةَ رِجَالِهِمْ.

وأيْمُ اللَّه، لَيَذُوبَنَّ مَا في أيْديهِمْ بَعْدَ الْعُلُوعَلَى الْعِبَادِ والتَّمْكينِ فِي الْبِلاَدِ، كَمَا تَذُوبُ الإِلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ ضَالًّا، وإِلَى الله - عَزَّ وجل - يُفْضي مِنْهُمْ مَنْ دَرَجَ، ويَتُوبُ الله - عَزَّ وجل - عَلى مَنْ تَابَ.

ولَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُ شيعَتي بَعْدَ التَّشَتُّتِ لِشَرِّ يَوْمٍ لِهؤُلاَءِ، ولَيْسَ لأَحَدٍ عَلَى الله - عَزَّ ذِكْرُهُ - الْخِيَرَةُ، بَلْ للَّه الْخِيَرَةُ والأَمْرُ جَميعاً.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْمُنْتَحلينَ للإِمَامَة مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا كَثيرٌ.

ولَوْلَمْ تَتَوَاكَلُوا أَمْرَكُمْ، ولَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، ولَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، ولَمْ يَقُومَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، وعَلى هَضْمِ الطَّاعَةِ وإِزْوَائِهَا عَنْ أَهْلِهَا.

لكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَني إِسْرَائيلَ عَلى عَهْدِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ. عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

ولَعَمْري، لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدي بِاضْطِهَادِكُمْ وُلْدي أَضْعَافَ مَا تَاهَتْ بَنُوإِسْرَائيلَ.

أَمَا، واللَّه، لَوكَانَ لي عِدَّةُ أَصْحَابِ طَالُوتَ، أَوعِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ، وهُمْ أَعْدَادُكُمْ، لَضَرَبْتُكُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى تَؤُولُوا إِلَى الْحَقِّ، وتُنيبُوا للصِّدْقِ، فَكَانَ أَرْتَقَ لِلْفَتْقِ، وآخَذَ بِالرِّفْقِ.

اللَّهُمَّ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكمينَ.

ولَعَمْري، أَنْ لَواسْتَكْمَلْتُمْ مِنْ بَعْدي نَهْلًا، وامْتَلأْتُمْ عَلَلًا، مُدَّةَ سُلْطَانِ بَني أُمَيَّةَ، الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ في الْقُرْآنِ، لَقَدِ اجْتَمَعْتُمْ عَلى سُلْطَانِ النَّاعِقِ إِلَى الضَّلاَلَةِ، ولأَجَبْتُمُ الْبَاطِلَ رَكْضاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وقَطَعْتُمُ الأَدْنى مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، ووَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ لِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله.

ولَعَمْري، أَنْ لَوقَدْ ذَابَ مَا في أَيْديهِمْ لَدَنَا التَّمْحيصُ لِلْجَزَاءِ، وكُشِفَ الْغِطَاءُ،

وقَرُبَ الْوَعْدُ، وانْقَضَتِ الْمُدَّةُ، وبَدَا لَكُمُ النَّجْمُ ذُوالذَّنَبِ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، ولاَحَ لَكُمْ قَمَرُكُمْ الْمُنِيرُ كَمِلْءِ شَهْرِهِ وكَلَيْلَة.

فَإِذَا اسْتَبَانَ ذَلِكَ فَرَاجِعُوا التَّوْبَةَ، وخَافُوا الْحَوْبَةَ.

واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ طَالِعَ الْمَشْرِقِ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ، فَتَدَاوَيْتُمْ مِنَ الْعَمى والصَّمَمِ، واسْتَشْفَيْتُمْ مِنَ الْبُكْمِ، وكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ والاعْتِسَافِ، ونَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الأَعْنَاقِ.

ولاَ يُبْعِدُ اللَّهُ إِلاَّ مَنْ أَبَى الرَّحْمَةَ، وفَارَقَ الْعِصْمَةَ، وظَلَمَ واعْتَسَفَ، وأَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ، وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

خطبة له عليه السلام (٢١)

يبيّن فيها فضله وعلمه وتتضمن إخبارا بما سيحدث في العصور المقبلة

خطبها بعد النهروان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي إلَيْه مَصَائرُ الْخَلْق وعَوَاقبُ الأَمْر.

نَحْمَدُهُ عَلى عَظيم إحْسَانه، ونَيِّر بُرْهَانه، ونَوَامي فَضْله وامْتنَانه.

حَمْداً يَكُونُ لحَقّه قَضَاءً، ولشُكْره أدَاءً، وإلى ثَوَابه مُقَرِّباً، ولحُسْن مَزيده مُوجباً.

ونَسْتَعينُ به اسْتعَانَةَ رَاجٍ لفَضْله، مُؤَمِّلٍ لنَفْعه، وَاثقٍ بدَفْعه، مُعْتَرفٍ لَهُ بالطَّوْل، مُذْعنٍ لَهُ بالْعَمَل والْقَوْل.

ونُؤْمنُ به إيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقناً، وأنَابَ إلَيْه مُؤْمناً، وخَنَعَ لَهُ مُذْعناً، وأخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، ولاَذَ به رَاغباً مُجْتَهداً.

وأحْمَدُ اللَّهَ وأسْتَعينُهُ عَلى مَدَاحرِ الشَّيْطَان ومَزَاجرِه، والاعْتصَامِ منْ حَبَائله ومَخَاتله.

وأتَوَكَّلُ عَلَى اللَّه تَوَكُّلَ الإنَابَة إلَيْه، وأسْتَرْشدُهُ السَّبيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إلى جَنَّته، الْقَاصدَةَ إلى مَحَلِّ رَغْبَته.

وأشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ] عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ونَجيبُهُ وصَفْوَتُهُ، لاَ يُوازى فَضْلُهُ، ولاَ يُجْبَرُ فَقْدُهُ.

أضَاءَتْ به الْبلاَدُ بَعْدَ الضَّلاَلَة الْمُظْلمَة، والْجَهَالَة الْغَالبَة، والْجَفْوَة الْجَافيَة، والنَّاسُ

يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَلِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَا الَّذِي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، شَرْقِيَّهَا وَغَرْبِيَّهَا، وَمُنَافِقَهَا وَمَارِقَهَا، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي، بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا.

وَأَيْمُ اللَّهِ، لَوَلَمْ أَكُ فِيكُمْ لَمَا قُوتِلَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ النَّاكِثُونَ، وَلاَ أَهْلُ صِفِّينَ الْقَاسِطُونَ، وَلاَ أَهْلُ النَّهْرَوَانِ الْمَارِقُونَ.

فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَتَلَطَّفْتُ حِينَ تَتَعْتَعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَمَنَّعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلاَهُمْ فَوْتاً، فَطِرْتُ.

بِعِنَانِهَا، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ الرَّاسِخِ، لاَ تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلاَ تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ.

لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ.

الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ.

رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لَهُ أَمْرَهُ.

إِنَّ قُرَيْشاً طَلَبَتِ السَّعَادَةَ فَشَقِيَتْ، وَطَلَبَتِ النَّجَاةَ فَهَلَكَتْ، وَطَلَبَتِ الْهِدَايَةَ فَضَلَّتْ.

إِنَّ قُرَيْشاً قَدْ أَضَلَّتْ أَهْلَ دَهْرِهَا وَمَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهَا مِنَ الْقُرُونِ.

أَلَمْ يَسْمَعُوا، وَيْحَهُمْ، قَوْلَهُ - تعالى -: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾.

فَأَيْنَ الْمَعْدِلُ وَالْمَنْزِعُ عَنْ ذُرِّيَّةِ الرَّسُولِ، الَّذِينَ شَيَّدَ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ فَوْقَ بُنْيَانِهِمْ، وَأَعْلَى رُؤُوسَهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ، وَاخْتَارَهُمْ عَلَيْهِمْ.

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا وَحَسَداً لَنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ - سُبْحَانَهُ - وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ.

بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدى [لاَ بِهِمْ،] وبِنَا يُسْتَجْلَى الْعَمى لاَ بِهِمْ.

إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ، غُرِسُوا في هذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لاَ تَصْلُحُ عَلى سِوَاهُمْ، ولاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

إِنَّ أَمْرَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، خَشِنٌ مُخْشَوْشِنٌ، سِرٌّ مُسْتَسِرٌّ مُقَنَّعٌ، لاَ يَعْرِفُ كُنْهَهُ [وَ] لاَ يَحْتَمِلُهُ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ: مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَونَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوعَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ الله - سُبْحَانَهُ - قَلْبَهُ للإِيمَان.

ولاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ، فَإِذَا انْكَشَفَ لَكُمْ سِرٌّ أَووَضَحَ لَكُمْ أَمْرٌ فَاقْبَلُوهُ، وإِلاَّ فَاسْكُتُوا تَسْلَمُوا، ورُدُّوا عِلْمَهُ إِلَى الله - تعالى -، ولاَ تَكُونُوا مَذَايِيعَ عُجُلًا، فَإِنَّكُمْ في أَوْسَعِ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ.

والْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلى حَدِّهَا الأَوَّلِ، مَا كَانَ للَّهِ - تعالى - في أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الإِمَّةِ ومُعْلِنِهَا.

ولاَ يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلى أَحَدٍ إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ في الأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا، وأَقَرَّ بِهَا، فَهُوَمُهَاجِرٌ، ولاَ يَقَعُ اسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ، ووَعَاهَا قَلْبُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يَقُولُ: يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي حُدَّاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّه لَيِّناً رَطْباً، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، ولاَ صَلاَتُكُمْ إِلى صَلاَتِهِمْ بِشَيْءٍ، ولاَ صِيَامُكُمْ إِلى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وهُوعَلَيْهِمْ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لاَ تَجَاوَزُ صَلاَتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَخْرُجُونَ عَلى خَيْرِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، ويَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ وثَمُودَ.

وأَيْمُ اللَّه، لَولاَ أَخْشَى أَنْ تَتَكَاسَلُوا فَتَدَعُوا الْعَمَلَ لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا قَضَى الله - عَزَّ

وجل - عَلى لِسَانِ نَبِيِّه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ لِمَنْ قَاتَلَ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ مُبْصِراً لِضَلاَلَتِهِمْ، عَارِفاً لِلْهُدَى الَّذي نَحْنُ عَلَيْه.

وآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ لَيْسَ لَهَا ذِرَاعٌ، عَلى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْي، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بيضٌ.

أتُرَاني أكْذِبُ عَلى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

واللَّه لأَنَا أوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلاَ أكُونُ أوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْه.

وأنَا الصِّدّيقُ الأكْبَرُ، آمَنْتُ قَبْلَ أنْ يُؤْمنَ أبُوبَكْر، وأسْلَمْتُ قَبْلَ أنْ يُسْلمَ أبُوبَكْر، وصَلَّيْتُ مَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ قَبْلَ أنْ يُصَلِّيَ مَعَهُ أحَدٌ منَ النَّاس.

أنَا صَفِيُّ رَسُول اللَّه وصَاحِبُهُ، وأنَا وَصِيُّهُ وخَلِيفَتُهُ منْ بَعْده.

أنَا ابْنُ عَمِّ رَسُول اللَّه، وزَوْجُ ابْنَته، وأبُوولْده.

أنَا الْحُجَّةُ الْعُظْمى، والآيَةُ الْكُبْرى، والْمَثَلُ الأعْلى، وبَابُ النَّبيِّ الْمُصْطَفى.

أنَا وَارِثُ علْمِ الأوَّلين، وحُجَّةُ اللَّه عَلَى الْعَالَمينَ بَعْدَ الأنْبيَاء ومُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبيِّينَ.

أهْلُ مُوَالاَتي مَرْحُومُونَ، وأهْلُ عَدَاوَتي مَلْعُونُونَ.

لَقَدْ كَانَ حَبيبي رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ كَثيراً مَّا يَقُولُ: يَا عَليُّ، حُبُّكَ تَقْوى وإيمَانٌ وبُغْضُكَ كُفْرٌ ونفَاقٌ، وأنَا بَيْتُ الْحكْمَة وأنْتَ مفْتَاحُهُ، كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ يُحبُّني ويُبْغضُكَ.

أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ الْعلْمَ يُقْبَضُ قَبْضاً سَريعاً، وإنّي أُوشكُ أنْ تَفْقدُوني، فَاسْألُوني عَمَّا شئْتُمْ.

سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقدُوني، فَإنّي مُفَارقُكُمْ، وإنّي مَيِّتٌ عَنْ قَريبٍ أومَقْتُولٌ، بَلْ مَقْتُولٌ قَتْلًا.

مَا يَنْتَظرُ أشْقَاهَا. عَهدَ إلَيَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ لَتُخَضَّبَنَّ هذه (وضرب بيده على لحيته) بدَم هذَا (وأشار إلى رأسه).

يَا مَعَاشِرَ النَّاسِ، سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقِدُوني، فَإِنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنِّي عِلْمٌ جَمٌّ.

سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقِدُوني، هذَا سَفَطُ الْعِلْمِ.

هذَا لُعَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ.

هذَا مَا زَقَّنِي رَسُولُ اللَّهِ زَقّاً مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ أُوحِيَ إِلَيَّ.

أَمَا واللَّهِ لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ وِسَادَةٌ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، لأَفْتَيْتُ لأَهْلِ التَّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، حَتَّى تَنْطِقَ لِيَ التَّوْرَاةُ فَتَقُولَ: صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ، وأَفْتَيْتُ لأَهْلِ الإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ حَتَّى يَنْطِقَ الإِنْجِيلُ فَيَقُولَ: صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ، وأَفْتَيْتُ لأَهْلِ الْقُرْآنِ بِقُرْآنِهِمْ، حَتَّى يَنْطِقَ الْقُرْآنُ فَيَقُولَ: صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ.

وأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْقُرْآنَ لَيْلًا ونَهَاراً فَهَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْلَمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فيه.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقِدُوني، لاَ يَقُولُهَا بَعْدِي إِلاَّ مُدَّعٍ.

سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقِدُونِي، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ، قَبْلَ أنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ صَمَّاءُ، تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وتَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا، فَيَا لَهَا مِنْ فِتْنَةٍ شَبَتْ نَارُهَا بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ، مُقْبِلَةٍ مِنْ شَرْقِ الأَرْضِ رَافِعَةٍ ذَيْلَهَا، دَاعِيَةٍ وَيْلَهَا، بِدِجْلَةَ أَوْحَوْلَهَا، وسَيَجْمَعُ اللَّهُ لِي أَهْلِي كَمَا جَمَعَ لِيَعْقُوبَ شَمْلَهُ، وذَاكَ إِذَا اسْتَدَارَ الْفَلَكُ، وقُلْتُمْ: ضَلَّ أَوهَلَكَ، وبِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ.

سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقِدُوني، فَإِنِّي لاَ أَسْأَلُ عَنْ شَيءٍ دُونَ الْعَرْشِ إِلاَّ أَخْبَرْتُ عَنْهُ.

أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وأَخُورَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ، لَمْ يَقُلْهَا أَحَدٌ قَبْلِي، ولاَ يَقُولُهَا أَحَدٌ بَعْدِي إِلاَّ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ.

وَرِثْتُ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ، ونَكَحْتُ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وأَنَا سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ، ووَصِيُّ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ.

أَنَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، وقَائِدُ الْمُتَّقِينَ، ووَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ.

وأنـا أميـنُ الله - تَعَالى ذِكْرُهُ - عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وخَازِنُ عِلْمِه وعَيْبَةُ سِرِّه، وحِجَابُهُ، ووَجْهُهُ، وصِرَاطُهُ، وميزَانُهُ.

وأنَا الْحَاشِرُ إلى اللَّه، وأنَا صَاحِبُ النَّشْرِ الأَوَّل والنَّشْرِ الآخِرِ.

وأنَا كَلِمَةُ اللَّه الَّتي يَجْمَعُ بِهَا الْمُفْتَرَقَ، ويُفَرِّقُ بِهَا الْمُجْتَمَعَ.

وأنَا أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنى، وأَمْثَالُهُ الْعُلْيَا، وآيَاتُهُ الْكُبْرى.

أنَـا يَعْسُـوبُ الْمُؤْمِنِـينَ، وأَوَّلُ السَّـابِقِينَ، وآيَةُ النَّاطِقِينَ، وإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِـينَ، وخَـاتَمُ الْوَصِـيِّينَ، ووَارِثُ النَّبِيِّـينَ، وخَلِـيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِـينَ، وصِـرَاطُ رَبِّـيَ الْمُسْتَقِيمُ، وفُسْطَاطُهُ، والْحُجَّةُ عَلى أَهْلِ السَّمواتِ والأَرَضِينَ ومَا فِيهِمَا ومَا بَيْنَهُمَا.

وأنَا الَّذي احْتَجَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ فِي ابْتِدَاءِ خَلْقِكُمْ.

واللَّه إِنِّي لَدَيَّانُ النَّاسِ يَوْمَ الدِّينِ.

أنَـا قَسِيمُ اللَّـهِ بَيْـنَ الْجَنَّةِ والـنَّارِ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُـهُ[مَـا] دَاخِلٌ إِلاَّ عَلى أَحَدِ قَسْمِي.

وإِلَيَّ تَزْوِيجُ أَهْلِ الْجَنَّة، وإِلَيَّ عَذَابُ أَهْلِ النَّار.

وأنَا الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ، والْفَارُوقُ الأَعْظَمُ الَّذي أَفْرِقُ بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ.

وأنَا الإِمَامُ لِمَنْ بَعْدي، والْمُؤَدِّي عَمَّنْ كَانَ قَبْلي.

لاَ يَتَقَدَّمُنـي أَحَـدٌ إِلاَّ أَحْمَـدُ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وآلِـهِ وسَلَّمَ، وإِنِّي وإِيَّاهُ لَعَلى سَبِيلٍ وَاحِدٍ، إِلاَّ أَنَّهُ هُوالْمَدْعُوباسْمِه.

ولَقَـدْ أَقَرَّ لي جَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ والرُّوحُ والأَنْبِيَاءُ والرُّسُلُ والأَوْصِيَاءُ بِمِثْلِ مَا أَقَرُّوا بِهِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ.

ولَقَـدْ حُمِلْـتُ عَلى مِثْلِ حُمُولَـةِ مُحَمَّـدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ، وهِيَ حُمُولَةُ الـرَّبِّ- سُبْحَانَهُ- مَـا يَفُوتُنـي مَا عَمِلَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ ولاَ مَا طَلَبَ، ولاَ يَعْزُبُ عَلَيَّ مَا دَبَّ ودَرَجَ، ومَا هَبَطَ ومَا عَرَجَ، ومَا غَسَقَ و[مَا] انْفَرَجَ.

وإنَّ رَسُولَ اللَّه مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ لَيُدْعى فَيُكْسى، ويُسْتَنْطَقُ فَيُنْطَقُ، ثُمَّ أُدْعى فَأُكْسى، وأُسْتَنْطَقُ فَأَنْطقُ عَلى حَدِّ مَنْطقه.

ولَقَدْ أُعْطيتُ خصالًا لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلي سِوَى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ: بُصِّرْتُ سُبُلَ الْكتَاب، وفُتِحَتْ لِيَ الأَسْبَابُ.

وعُلِّمْتُ الأَنْسَابَ ومَجْرَى الْحِسَاب.

وعُلِّمْتُ عِلْمَ الْمَنَايَا والْبَلاَيَا والْقَضَايَا، وفَصْلَ الْخِطَاب، ومُوَلِّدي الإِسْلاَمِ ومُوَلِّدِي الْكُفْرِ.

واسْتُحْفِظْتُ آيَاتِ النَّبِيِّينَ الْمُسْتَحْفَظِينَ.

وإِنِّي لَصَاحِبُ الْكَرَّاتِ ودَوْلَةُ الدُّوَل.

وإِنِّي لَصَاحِبُ الْعَصَا والْمِيْسَمِ، والدَّابَّةِ الَّتي تُكَلِّمُ النَّاسَ.

وأَنَا الَّذي سُخِّرَتْ لِيَ السَّحَابُ والرَّعْدُ والْبَرْقُ، والظُّلَمُ والأَنْوَارُ، والرِّيَاحُ والْجِبَالُ والْبِحَارُ، والنُّجُومُ والشَّمْسُ والْقَمَرُ.

وأَنَا الَّذي أَحْصَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً بِعِلْمِ اللَّه الَّذي أَوْدَعَنيه، وبِسِرِّهِ الَّذي أَسَرَّهُ إِلى مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وأَسَرَّهُ النَّبِيُّ إِلَيَّ.

وأَنَا أُذَانُ اللَّه فِي الدُّنْيَا ومُؤَذِّنُهُ فِي الآخِرَة.

وأَنَا الَّذي أَنْحَلَني رَبِّي اسْمَهُ وكَلِمَتَهُ وعِلْمَهُ وفَهْمَهُ.

وإِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا أَحَداً مِنْ بَعْدِيْ يُحَدِّثُكُمْ.

يَا مَعْشَرَ النَّاس، سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوني عَنْ كِتَاب الله - عَزَّ وجل -، فَوَاللَّه مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْهُ في لَيْلٍ ولاَ نَهَارٍ، ولاَ مَسيرٍ ولاَ مُقَامٍ، إِلاَّ وقَدْ أَقْرَأَنيهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ، وعَلَّمَني تَأْوِيلَهَا، وإِنَّ رَبِّي وَهَبَ لي قَلْباً عَقُولًا، ولِسَاناً سَؤُولًا.

فقام إليه عبد اللّه ابن الكوّاء فقال: يا أمير المؤمنين، فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه.

فقال عليه السلام: كَانَ يَحْفَظُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ مَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْه مِنَ الْقُرْآنِ وأنَا عَنْهُ غَائِبٌ حَتَّى أقْدُمَ عَلَيْه، فَيُقْرِؤُنيه، ويَقُولُ: يَا عَلِيُّ: أنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَعْدَكَ كَذَا وكَذَا، وتَأْويلُهُ كَذَا وكَذَا، فَيُعَلِّمُني تَأْويلَهُ وتَنْزيلَهُ.

فقال ابن الكوّاء: أين كنت حيث ذكر الله - تعالى- نبيّه وأبا بكر فقال-: ﴿ثانيَ اثْنَيْنِ إذْ هُما في الْغارِ إذْ يَقُولُ لصاحبه لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ مَعَنا﴾.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْكَوَّاء، كُنْتُ عَلى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ وقَدْ طَرَحَ عَلَيَّ رَيْطَتَهُ.

فَأقْبَلَتْ قُرَيْشٌ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ هَرَاوَةٌ فيهَا شَوْكُهَا، فَلَمْ يُبْصِرُوا رَسُولَ اللَّه حَيْثُ خَرَجَ، فَأقْبَلُوا عَلَي يَضْرِبُونَني بِمَا في أيْدِيهِمْ حَتَّى تَنَفَّطَ جَسَدي وصَارَ مِثْلَ الْبَيْضِ.

ثُمَّ انْطَلَقُوا بي يُريدُونَ قَتْلي.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ تَقْتُلُوهُ اللَّيْلَةَ، ولكِنْ أخِّرُوهُ واطْلُبُوا مُحَمَّداً.

فَأوْثَقُوني بالْحَديد، وجَعَلُوني في بَيْت، واسْتَوْثَقُوا مِنّي ومِنَ الْبَاب بِقُفْلٍ.

فَبَيْنَا أنَا كَذلكَ إذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ جَانِب الْبَيْت يَقُولُ: يَا عَلِيُّ.

فَسَكَنَ الْوَجَعُ الَّذي كُنْتُ أجِدُهُ، وذَهَبَ الْوَرَمُ الَّذي كَانَ في جَسَدي.

ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتاً آخَرَ يَقُولُ: يَا عَلِيُّ.

فَإذَا الْحَديدُ الَّذي في رِجْلي قَدْ تَقَطَّعَ.

ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتاً آخَرَ يَقُولُ: يَا عَلِيُّ.

فَإذَا الْبَابُ قَدْ تَسَاقَطَ مَا عَلَيْه وفَتَحَ.

فَقُمْتُ وخَرَجْتُ.

وقَدْ كَانُوا جَاؤُوا بعَجُوزٍ، كَمْهَاءَ، لاَ تُبْصِرُ، ولاَ تَنَامُ، تَحْرُسُ الْبَابَ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا فَإذَا هِيَ لاَ تَعْقِلُ مِنَ النَّوْمِ.

فسأله ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين، ما قول الله: ﴿الذَّارِيات ذَرْواً﴾.

فقال عليه السلام-: الذَّاريات ذَرْواً الرِّيَاحُ.

فقال: فما ﴿فَالْحاملات وقْراً﴾.

فقال عليه السلام: فَالْحامِلات وقْراً السَّحَابُ.

فقال: فما ﴿فَالْجاريات يُسْراً﴾.

فقال عليه السلام: فَالْجاريات يُسْراً السُّفُنُ.

فقال: فما ﴿فَالْمُقَسِّمات أَمْراً﴾.

فقال عليه السلام: فَالْمُقَسِّمات أَمْراً الْمَلاَئِكَةُ.

فقال: فما ﴿السَّماء ذات الْحُبُك﴾.

فقال عليه السلام: ذات الْحُبُك ذَاتُ الْخَلْقِ الْحَسَنِ.

فقال: فما الطارق فقال عليه السلام: هُوَ أَحْسَنُ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ولَيْسَ تَعْرِفُهُ النَّاسُ.

وإِنَّمَا سُمِّيَ (الطَّارِقُ) لأَنَّهُ يَطْرُقُ نُورُهُ سَمَاءً سَمَاءً إِلى سَبْعِ سَموَاتٍ، ثُمَّ يَطْرُقُ رَاجِعاً حَتَّى يَرْجِعَ إِلى مَكَانِه.

فقال: خبِّرني عن الله - عزّ وجل - هل كلّم أحداً من وُلد آدم قبل موسى.

فقال عليه السلام: قَدْ كَلَّمَ اللَّهُ جَمِيعَ خَلْقِهِ، بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ، ورَدُّوا عَلَيْهِ الْجَوَابَ.

فقال: وكيف كان ذلك.

فقال عليه السلام: أَومَا تَقْرَأُ كِتَابَ الله - تعالى - إِذْ يَقُولُ لِنَبِيِّه عَلَيْه السَّلاَمُ: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلى﴾.

فَقَدْ أَسْمَعَهُمْ كَلاَمَهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ الْجَوَابَ كَمَا تَسْمَعُ مِنْ قَوْلِ اللَّه، يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ: قَالُوا بَلى.

وقَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا. وأَنَا الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ﴾.

فَأَقَرُّوا لَهُ بالطَّاعَة والرُّبُوبيَّة.

ومَيَّزَ الرُّسُلَ والأَنْبِيَاءَ والأَوْصِيَاءَ، وأَمَرَ الْخَلْقَ بِطَاعَتِهِمْ.

فَأَقَرُّوا بِذَلِكَ فِي الْمِيثَاق. وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ، وأَشْهَدَ الْمَلاَئِكَةَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافلينَ.

ثم بكى عليه السلام وقال: إِنِّي لأَذْكُرُ الْوَقْتَ الَّذي أَخَذَ اللَّهُ عَلَيَّ فيه الْميثَاقَ.

فقال ابن الكوّاء: أخبرني عن قوله- تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

فقال عليه السلام: وَيْحَكَ يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ، أُولئِكَ نَحْنُ وأَتْبَاعُنَا يَوْمِ الْقِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلينَ، رِوَاءَ مَرْوِيّينَ، يُعْرَفُونَ بِسيمَاهُمْ.

فقال: يا أمير المؤمنين، مَن البيوت في قول الله - عز وجل-: ﴿ولَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها ولكنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾.

فقال عليه السلام: نَحْنُ الْبُيُوتُ الَّتي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُؤْتى مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ تَابَعَنَا وأَقَرَّ بِوِلاَيَتِنَا فَقَدْ أَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا، ومَنْ خَالَفَنَا وفَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَقَدْ أَتَى الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا.

فقال: يا أمير المؤمنين: ﴿وعَلَى الأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسيماهُمْ﴾.

فقال عليه السلام: نَحْنُ أَصْحَابُ الأَعْرَاف، نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسيمَاهُمْ، ونَحْنُ الأَعْرَافُ يَوْمَ الْقِيَامَة عَلَى الصِّرَاط بَيْنَ الْجَنَّة والنَّار، فَلاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَنَا وعَرَفْنَاهُ، ولاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَنَا وأَنْكَرْنَاهُ.

وذَلِكَ لأَنَّ الله - عَزَّ وجل - لَوشَاءَ عَرَّفَ لِلنَّاسِ نَفْسَهُ حَتَّى يَعْرِفُوهُ ويُوَحِّدُوهُ ويَأْتُوهُ مِنْ بَابِه، ولكنَّهُ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وصِرَاطَهُ وسَبِيلَهُ، والْوَجْهَ الَّذي يُؤْتى مِنْهُ، فَقَالَ فيمَنْ عَدَلَ عَنْ وِلاَيَتِنَا، وفَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا: إِنَّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ.

فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن قول الله - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وأُمِّهِ وأَبِيهِ وصاحِبَتِهِ وبَنِيهِ من هم﴾.

فقال عليه السلام: قَابِيلُ يَفِرُّ مِنْ هَابِيلَ، والَّذي يَفِرُّ مِنْ أُمِّهِ مُوسى، والَّذي يَفِرُّ مِنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمُ، والَّذي يَفِرُّ مِنْ صَاحِبَتِهِ لُوطٌ، والَّذي يَفِرُّ مِن ابْنِهِ نُوحٌ يَفِرُّ مِن ابْنِهِ كَنْعَانَ.

فقال: واللّه إن في كتاب اللّه آية اشتدت على قلبي، ولقد شككت في ديني.

فقال عليه السلام: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ وعَدِمَتْكَ، مَا هِيَ.

قال: قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿والطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وتَسْبِيحَهُ﴾.

فما هذا الصف، وما هذه الطيور، وما هذه الصلاة، وما هذا التسبيح.

فقال عليه السلام: وَيْحَكَ، يَا ابنَ الْكَوَّاءِ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَلاَئِكَةَ عَلى صُوَرِ شَتَّى.

أَلاَ وإِنَّ للَّهِ مَلَكاً في صُورَةِ دِيكٍ أَبْيَضَ أَشْهَبَ، بَرَاثِنُهُ في الأَرَضِينَ السُّفْلى، وعُرْفُهُ مُثَنًّى تَحْتَ عَرْشِ الرَّحْمنِ، لَهُ جَنَاحٌ بِالْمَشْرِقِ مِنْ نَارٍ، وجَنَاحٌ بِالْمَغْرِبِ مِنْ ثَلْجٍ.

فَإِذَا حَضَرَ وَقْتُ كُلِّ صَلاَةٍ قَامَ عَلى بَرَاثِنِهِ، ثُمَّ رَفَعَ عُنُقَهُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، ثُمَّ صَفَّقَ بِجَنَاحَيْهِ كَمَا تُصَفِّقُ الدِّيكَةُ في مَنَازِلِكُمْ، فَلاَ الَّذي مِنْ نَارٍ يُذِيبُ الثَّلْجَ، ولاَ الَّذي مِنَ الثَّلْجِ يُطْفِئُ النَّارَ.

ثُمَّ يُنَادي: (أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ سَيِّدُ النَّبِيِّينَ، وأَنَّ وَصِيَّهُ خَيْرُ الْوَصِيِّينَ. سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ والرُّوحِ).

فَتُصَفِّقُ الدِّيكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا في مَنَازِلِكُمْ بِنَحْوِ مِنْ قَوْلِهِ.

وهُوَ قَوْلُهُ - تعالى -: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وتَسْبِيحَهُ﴾ مِنَ الدِّيكَةِ فِي الأَرْضِ.

فقال: فما السواد الذي في القمر.

فقال عليه السلام: اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ.

رَجُلٌ أَعْمى يَسْأَلُ عَنْ عَمْيَاءَ.

أَلاَ سَأَلْتَ عَنْ شَيْءٍ يَنْفَعُكَ فِي أَمْرِ دُنْيَاكَ وآخِرَتِكَ.

وَيْلَكَ، سَلْ تَفَقُّهاً، ولاَ تَسْأَلْ تَعَنُّتاً، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَنِّتَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ.

قَالَ الله - عَزَّ وجل -: ﴿وجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾. فَمَحْوآيَةِ اللَّيْلِ السَّوَادُ الَّذي فِي الْقَمَرِ.

فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن ذي القرنين، أنبياً كان أم ملكاً، وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كان أم من فضة.

فقال عليه السلام: لَمْ يَكُنْ نَبِيّاً ولاَ مَلكاً، ولَمْ يَكُنْ قَرْنَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ولاَ فِضَّةٍ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ قَرْنَانِ كَقَرْنَي الثَّوْرِ، ولكِنَّهُ كَانَ عَبْداً أَحَبَّ اللَّهَ فَأَحَبَّهُ اللَّهُ، ونَصَحَ للَّهِ فَنَصَحَ اللَّهُ لَهُ.

وإِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ لأَنَّهُ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الله - عَزَّ وجل - فَضَرَبُوهُ عَلى قَرْنِهِ الأَيْمَنِ بِالسَّيْفِ، فَغَابَ عَنْهُمْ حِيناً مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى فَضَرَبُوهُ عَلى قَرْنِهِ الأَيْسَرِ بِالسَّيْفِ، فَذَلِكَ قَرْنَاهُ.

وفِيكُمْ مِثْلُهُ.

فقال: يا أمير المؤمنين، لِمَ سُمّي تُبَّعٌ تُبَّعاً.

فقال عليه السلام: لأَنَّهُ كَانَ غُلاَماً كَاتِباً، وكَانَ يَكْتُبُ لِمَلِكٍ كَانَ قَبْلَهُ، فَكَانَ إِذَا كَتَبَ كَتَبَ: بِاسْمِ اللَّهِ الَّذي خَلَقَ صُبْحاً وريحاً.

فَقَالَ الْمَلِكُ: اكْتُبْ وابْدَأْ بِاسْمِ مَلِكِ الرَّعْدِ.

فَقَالَ: لاَ، لاَ أَبْدَأُ إِلاَّ بِاسْمِ إِلهي، ثُمَّ أَعْطِفُ عَلى حَاجَتِكَ.

فَشَكَرَ الله - تعالى - لَهُ ذَلِكَ وأَعْطَاهُ مُلْكَ ذَلِكَ الْمَلِكِ.

فَتَابَعَهُ النَّاسُ عَلى ذَلِكَ، فَسُمِّيَ تُبَّعاً.

فقال: يا أمير المؤمنين، وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً.

فقال عليه السلام: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ، كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، فَسَلْ عَمَّا بَدا لَكَ.

فقال: يا أمير المؤمنين، سمعته يقول-: ﴿بِرَبِّ الْمَشارِقِ والْمَغارِبِ﴾.

وقال في آية أخرى-: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ ورَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾.

وقال في آية أخرى-: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ﴾.

فقال عليه السلام: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ، هذَا الْمَشْرِقُ، وهذَا الْمَغْرِبُ. [وأشار بيده نحوالمشرق والمغرب].

وأَمَّا قَوْلُهُ-: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ ورَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، فَإِنَّ مَشْرِقَ الشِّتَاءِ عَلى حِدَةٍ، ومَشْرِقَ الصَّيْفِ عَلى حِدَةٍ.

أَمَا تَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ قُرْبِ الشَّمْسِ وبُعْدِهَا.

وأَمَّا قَوْلُهُ-: ﴿بِرَبِّ الْمَشارِقِ والْمَغارِبِ﴾، فَإِنَّ لَهَا ثَلاَثَمِائَةَ وسِتِّينَ بُرْجاً، تَطْلُعُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ بُرْجٍ وتَغِيبُ فِي بُرْجٍ آخَرَ، فَلاَ تَعُودُ إِلَيْهِ إِلاَّ مِنْ قَابِلٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

فقال: يا أمير المؤمنين، كم بين المشرق والمغرب.

فقال عليه السلام: مَسِيرَةُ يَوْمٍ مُطَّرِدٍ لِلشَّمْسِ.

فقال: يا أمير المؤمنين، كم بين السماء إلى الأرض.

فقال عليه السلام: مَسِيرَةُ سَاعَةٍ لِدَعْوَةٍ مُسْتَجَابَةٍ.

لاَ أَقُولُ غَيْرَ هذَا.

فقال: يا أمير المؤمنين، فمِمَّ خُلقت السماوات.

فقال عليه السلام: مِنْ بُخَارِ الْمَاءِ.

فقال: فمِمَّ خُلقت الأرض.

فقال عليه السلام: مِنْ زَبَدِ الْمَاءِ.

فقال: فمِمَّ خُلقت الجبال.

فقال عليه السلام: مِنَ الأَمْوَاجِ.

فقال: فلِمَ سُمّيت مكّة أم القرى.

فقال عليه السلام: لأَنَّ الأَرْضَ دُحِيَتْ مِنْ تَحْتِهَا.

فقال: السماء الدنيا مما هي.

فقال عليه السلام: مِنْ مَوْجٍ مَكْفُوفٍ.

فقال: ما ألوان السماوات السبع وأسماؤها.

فقال عليه السلام: إِسْمُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا رَفِيعٌ، وهِيَ مِنْ مَاءٍ ودُخَانٍ.

واسْمُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ قَيْدُومٌ، وهِيَ عَلى لَوْنِ النُّحَاسِ.

والسَّمَاءُ الثَّالِثَةُ اسْمُهَا الْمَادُونُ، وهِيَ عَلى لَوْنِ الشَّبَهِ.

والسَّمَاءُ الرَّابِعَةُ اسْمُهَا أَرْفَلُونُ، وهِيَ عَلى لَوْنِ الْفِضَّةِ.

والسَّمَاءُ الْخَامِسَةُ اسْمُهَا هَيْعُونُ، وهِيَ عَلى لَوْنِ الذَّهَبِ.

والسَّمَاءُ السَّادِسَةُ اسْمُهَا عَرُوسٌ، وهِيَ يَاقُوتَةٌ خَضْرَاءُ.

والسَّمَاءُ السَّابِعَةُ اسْمُهَا عَجْمَاءُ، وهِيَ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ.

فقال: يا أمير المؤمنين، كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك.

فقال عليه السلام: مِنْ مَوْضِعِ قَدَمِي إِلى عَرْشِ رَبِّي أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ مُخْلِصاً: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ.

فقال: وما ثواب من قال: (لا إله إلا الله).

فقال عليه السلام: مَنْ قَالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُخْلِصاً، طُمِسَتْ ذُنُوبُهُ كَمَا يُطْمَسُ الْحَرْفُ الأَسْوَدِ مِنَ الرَّقِّ الأَبْيَضِ.

فَإِنْ قَالَ ثَانِيَةً: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُخْلِصاً، خَرَقَتْ أَبْوَابَ السَّمواتِ وصُفُوفَ الْمَلاَئِكَةِ، حَتَّى تَقُولَ الْمَلاَئِكَةُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: اخْشَعُوا لِعَظَمَةِ اللَّهِ.

فَإِذَا قَالَ ثَالِثَةً: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، مُخْلِصاً، تَنْتَهِ دُونَ الْعَرْشِ، فَيَقُولُ الْجَلِيلُ: «اسْكُنِي،

فَوَعِزَّتي وجَلالي، لأغْفِرَنَّ لِقَاتِلك بِمَا كَانَ فيكَ.

فقال: فما البيت المعمور.

فقال عليه السلام: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَوْقَ سَبْعَ سَمواتِ تَحْتَ الْعَرْشِ، يُقَالُ لَهُ: الصُّرَاخُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فقال: أخبرني عن أول ما خلق الله.

فقال عليه السلام: خَلَقَ النُّورَ.

فقال: وما الروح.

فقال عليه السلام: لَيْسَ هُوجِبْرَئِيلُ.

فقال: جبرئيل من الملائكة، والروح غير جبرئيل.

لقد قلت شيئاً عظيماً، وما أحد من الناس يزعم أن الروح غير جبرئيل.

فقال عليه السلام: إِنَّكَ ضَالٌّ تَرْوي عَنْ أَهْلِ الضَّلاَلِ.

يَقُولُ الله - تَبَارَكَ وتعالى- لنَبِيِّه عَلَيْه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ-: ﴿أَتى أَمْرُ اللَّه فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِه﴾.

فَالرُّوحُ غَيْرُ الْمَلاَئكَة.

وقَالَ-: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ والرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

وقَالَ-: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والْمَلائِكَةُ صَفًّا﴾.

وقَالَ لآدَمَ، وجِبْرَئِيلُ يَوْمَئِذ مَعَ الْمَلاَئكَة-: ﴿إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾.

فَسَجَدَ جِبْرَئِيلُ مَعَ الْمَلاَئكَة للرُّوحِ.

وقَالَ لِمَرْيَمَ-: ﴿فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا﴾.

وقَالَ لمُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ-: ﴿نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمينُ عَلى قَلْبكَ لتَكُونَ منَ الْمُنْذرينَ بلسان عَرَبيٍّ مُبين وإنَّهُ لَفي زُبُر الأَوَّلينَ﴾.

والزُّبُر الذِّكْرُ، والأَوَّلينَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ منْهُمْ.

فقال: وما طعم الماء.

فقال عليه السلام: طَعْمُ الْحَيَاة.

فقال: الجزر والمدّ ما هما.

فقال عليه السلام: مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بالْبحَار يُقَالُ لَهُ: رُومَانُ، فَإذَا وَضَعَ قَدَمَيْه في الْبَحْر فَاضَ، وإذَا أَخْرَجَهُمَا غَاضَ.

فقال: ما اسم أبي الجنّ.

فقال عليه السلام: شُومَانُ، وهُوالَّذي خُلقَ منْ مَارجٍ منْ نَار.

فقال: هل بعث اللّه نبياً إلى الجنّ.

فقال عليه السلام: نَعَمْ، بَعَثَ إلَيْهمْ نَبيّاً يُقَالُ لَهُ: يُوسُفُ، فَدَعَاهُمْ إلَى اللَّه فَقَتَلُوهُ.

فقال: ما كان اسم إبليس في السماء.

فقال عليه السلام: كَانَ اسْمُهُ الْحَارثُ.

فقال: ما كنية البراق.

فقال عليه السلام: يُكَنَّى أَبَا هلاَل.

فقال: لِمَ سُمّي آدم آدم.

فقال عليه السلام: لأَنَّهُ خُلقَ منْ أديمِ الأَرْض.

فقال: كم كان عمر آدم.

فقال عليه السلام: تسْعَ مائَة وثَلاَثينَ سَنَةً.

فقال: كم حج آدم حجة.

فقال عليه السلام: ثَلاَثُونَ حجَّةً، مَاشياً عَلى قَدَمَيْه.

فقال: لِمَ سُمّي نوح نوحاً.

فقال عليه السلام: كَانَ اسْمُهُ السَّكَنُ، وإِنَّمَا سُمِّيَ نُوحاً لأَنَّهُ نَاحَ عَلى قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسينَ عَاماً.

فقال: ما أول بقعة بسطت من الأرض أيام الطوفان.

فقال عليه السلام.

مَوْضِعُ الْكَعْبَةِ، وكَانَتْ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ فقال: من خلق الله - تعالى- من الأنبياء مختوناً.

فقال عليه السلام: خُلِقَ آدَمُ مَخْتُوناً، وولِدَ شيثُ مَخْتُوناً، وإِدْرِيسُ، ونُوحٌ، وإِبْرَاهِيمُ، ولُوطٌ، وإِسْمَاعيلُ، ودَاوُد، وسُلَيْمَانُ، ومُوسى، وعيسى، ومُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعينَ.

فقال: ستة من الأنبياء لهم إسمان.

فقال عليه السلام: يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وهُوذُوالْكِفْلِ، ويَعْقُوبُ، وهُوإِسْرَائيلُ، والْخضْرُ، وهُوإِرْمِيَا، ويُونُسَ، وهُوذُوالنُّونِ، وعيسى، وهُوالْمَسيحُ، ومُحَمَّدٌ، وهُوأَحْمَدُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

فقال: خمسة من الأنبياء تكلموا بالعربية.

فقال عليه السلام: هُودٌ، وشُعَيْبٌ، وصَالِحٌ، وإِسْمَاعيلُ، ومُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

فقال: أربعة لا يشبعن من أربعة.

فقال عليه السلام: أَرْضٌ مِنْ مَطَرٍ، وأُنثى مِنْ ذَكَرٍ، وعَيْنٌ مِنْ نَظَرٍ، وعَالِمٌ مِنْ عِلْمٍ.

فقال: من أول من مات فجأة فقال عليه السلام: دَاوُود عَلَيْهِ السَّلاَمُ، مَاتَ عَلى مِنْبَرِهِ يَوْمَ الأَرْبَعَاءِ.

فقال: من أول من عمل عمل قوم لوط.

فقال عليه السلام: إِبْليسُ، فَإِنَّهُ أَمْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ.

فقال: أول من أمر بالختان.

فقال عليه السلام: إِبْرَاهيمُ.

فقال: أول من لبس النعلين.

فقال عليه السلام: إِبْرَاهيمُ.

فقال: أول من وضع سكك الدنانير والدراهم.

فقال عليه السلام: نَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ بَعْدَ نُوحٍ.

فقال: أول امرأة جرّت ذيلها.

فقال عليه السلام: هَاجَرُ لَمَّا هَرَبَتْ مِنْ سَارَةَ.

فقال: أول من جرّ ذيله من الرجال.

فقال عليه السلام: قَارُونُ.

فقال: من أكرم الناس نسباً.

فقال عليه السلام: صِدّيقُ اللَّهِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ إِسْرَائيلُ اللَّهِ، بنِ إِسْحَاقَ ذَبيحُ اللَّهِ بْنَ إِبْرَاهيمَ خَليلُ اللَّهِ.

فقال: ما أكرم وادٍ على وجه الأرض.

فقال عليه السلام: وَادٍ يُقَالُ لَهُ: سَرَانْديبُ، سَقَطَ فيهِ آدَمُ مِنَ السَّمَاءِ.

فقال: ما شرّ وادٍ على وجه الأرض.

فقال عليه السلام: وَادٍ فِي الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: بَرَهُوتُ، وهُومِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ.

فقال: يا أمير المؤمنين، أي خلق اللّه أشدّ.

فقال عليه السلام: إِنَّ أَشَدَّ خَلْقِ اللَّهِ عَشَرَةٌ: الْجِبَالُ الرَّوَاسي، والْحَديدُ تُنْحَتُ بِهِ الْجِبَالُ، والنَّارُ تَأْكُلُ الْحَديدَ، والْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ.

والسَّحَابُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ يَحْمِلُ الْمَاءَ، والرِّيحُ تُفَرِّقُ السَّحَابَ،

والإنْسَانُ يَغْلِبُ الرِّيحَ، يَتَّقِيهَا بِيَدِهِ فَيَبْلُغُ حَاجَتَهُ، والسُّكْرُ يَغْلِبُ الإِنْسَانَ، والنَّوْمُ يَغْلِبُ السُّكْرَ، والْهَمُّ يَمْنَعُ النَّوْمَ.

فَأَشَدُّ خَلْقِ رَبِّكَ الْهَمُّ.

فقال: ما السجن الذي سار بصاحبه.

فقال عليه السلام: الْحُوتُ سَارَ بِيُونُسَ بْنِ مَتَّى.

فقال: ستة لم يركضوا في رحم.

فقال عليه السلام: آدَمُ، وحَوَّاءُ، وكَبْشُ إِبْرَاهِيمَ، وعَصَا مُوسى، وناقَةُ صَالِحٍ، والْخَفَّاشُ الَّذي عَمِلَهُ عيسَى بنُ مَرْيَمَ وطَارَ بِإِذْنِ الله - تعالى -.

فقال: شيء مكذوب عليه ليس من الجنّ ولا من الإنس.

فقال عليه السلام: ذَلِكَ الذِّئْبُ الَّذي كَذَبَ عَلَيْهِ إِخْوَةُ يُوسُفَ.

فقال: شيء أوحى الله - تعالى - إليه، ليس من الجنّ ولا من الإنس.

فقال عليه السلام: وأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ.

فقال: نذير أنذر قومه ليس من الجنّ ولا من الإنس.

فقال عليه السلام: هِيَ النَّمْلَةُ.

فقال: أي موضع طلعت عليه الشمس ساعة من النهار ولا تطلع عليه أبداً.

فقال عليه السلام: ذَلِكَ الْبَحْرُ حِينَ فَلَقَهُ الله - تعالى - لِمُوسى فَأَصَابَتْ أَرْضَهُ الشَّمْسُ، وأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَلَنْ تُصِيبَهُ الشَّمْسُ.

فقال: أي شيء شرب وهوحيّ، وأكل وهوميت.

فقال عليه السلام: تِلْكَ عَصَا مُوسى، شَرِبَتْ وهِيَ في شَجَرَتِهَا، وأَكَلَتْ لَمَّا الْتَقَفَتْ حِبَالَ السَّحَرَةِ وعُصِيَّهُمْ.

فقال: شيء تنفّس ليس له لحم ودم.

فقال عليه السلام: ذَاكَ الصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ.

فقال: لم صار ميراث الذكر مثل حظّ الأنثيين.

فقال عليه السلام: مِنْ قِبَلِ السُّنْبُلَة، كَانَ عَلَيْهَا ثَلاَثُ حَبَّات، فَبَادَرَتْ إِلَيْهَا حَوَّاءُ فَأَكَلَتْ مِنْهَا حَبَّةً وأَطْعَمَتْ آدَمَ حَبَّتَيْنِ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَرِثَ الذَّكَرُ مِثْلَ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ.

فقال: كلام أهل الجنة.

فقال عليه السلام: كَلاَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعَرَبِيَّةُ.

فقال: كلام أهل النار.

فقال عليه السلام: الْمَجُوسِيَّةُ.

فقال: الأيام وما يجوز فيها من العمل.

فقال عليه السلام: يَوْمُ السَّبْتِ يَوْمُ مَكْرٍ وخَدِيعَةٍ.

ويَوْمُ الأَحَدِ يَوْمُ غَرْسٍ وبِنَاءٍ.

ويَوْمُ الإِثْنَيْنِ يَوْمُ سَفَرٍ وطَلَبٍ.

ويَوْمُ الثَّلاَثَاءِ يَوْمُ حَرْبٍ ودَمٍ.

ويَوْمُ الأَرْبَعَاءِ يَوْمُ شُؤْمٍ فيه يَتَطَيَّرُ النَّاسُ.

ويَوْمُ الْخَمِيسِ يَوْمُ الدُّخُولِ عَلَى الأُمَرَاءِ، وقَضَاءِ الْحَوَائِجِ.

ويَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمَ خِطْبَةٍ ونِكَاحٍ.

فقال ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين، لا أسأل غيرك، ولا أتّبع سواك.

فقال عليه السلام: إِنْ كَانَ الأَمْرُ إِلَيْكَ فَافْعَلْ.

فقام رجل فقال: يا ابن عمّ خير خلق الله، هل للصلاة تأويل غير التعبّد.

فقال عليه السلام: إِعْلَمْ يَا هذَا الرَّجُلُ، أَنَّ الله - تَبَارَكَ وتعالى - مَا بَعَثَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله بِأَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ إِلاَّ ولَهُ مُتَشَابِهٌ وتَأْوِيلٌ وتَنْزِيلٌ، وكُلُّ ذَلِكَ عَلَى التَّعَبُّدِ.

فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ تَأْوِيلَ صَلاَتِهِ فَصَلاَتُهُ كُلُّهَا خِدَاعٌ، نَاقِصَةٌ غَيْرُ تَامَّةٍ.

فقال الرجل: يا ابن عمّ خير خلق الله، ما معنى رفع يديك في التكبيرة الأولى.

فقال عليه السلام: قَوْلُهُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، يَعْني الْوَاحِدُ الأَحَدُ الَّذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لاَ يُقَاسُ بِشَيْءٍ، ولاَ يُلْتَبِسُ بِالأَجْنَاسِ، ولاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ.

فقال الرجل: يا ابن عمّ خير خلق اللّه، ما معنى مدّ عنقك في الركوع.

فقال عليه السلام: تَأْويلُهُ، آمَنْتُ بِوَحْدَانِيَّتِكَ ولَوضَرَبْتَ عُنُقي.

فقال الرجل: يا ابن عمّ خير خلق اللّه، ما معنى السجدة الأولى.

فقال عليه السلام: تَأْويلُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ مِنْهَا خَلَقْتَني، يَعني مِنَ الأَرْضِ.

ورَفْعُ رَأْسِكَ: ومِنْهَا أَخْرَجْتَنَا.

والسُّجْدَةُ الثَّانِيَةُ: وإِلَيْهَا تُعيدُنَا.

ورَفْعُ رَأْسِكَ مِنَ الثَّانِيَةِ: ومِنْهَا تُخْرِجُنَا تَارَةً أُخْرى.

فقال الرجل: يا ابن عمّ خير خلق اللّه، ما معنى رفع رجلك اليمنى وطرحك اليسرى في التشهد فقال عليه السلام: تَأْويلُهُ، اللَّهُمَّ أَمِتِ الْبَاطِلَ وأَحْيِ الْحَقَّ.

فقام إليه رجل وقال: ما معنى-: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وهُدىً لِلْعالَمِينَ﴾، أهوأول بيت بُني في الأرض.

فقال عليه السلام: لاَ، قَدْ كَانَ قَبْلَهُ بُيُوتٌ، ولَكِنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ فيهِ الْبَرَكَةُ لِلنَّاسِ والرَّحْمَةُ والْهُدى، ومَقَامُ إِبْراهِيمَ ومَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً.

وإِنْ شِئْتَ نَبَّأْتُكَ كَيْفَ بِنَاؤُهُ.

إِنَّ الله - تعالى- أَوْحى إِلى إِبْرَاهِيمَ أَنِ ابْنِ لي بَيْتاً في الأَرْضِ، فَضَاقَ بِهِ ذَرْعاً.

فَأَرْسَلَ [اللَّهُ] إِلَيْهِ السَّكِينَةَ، وهِيَ رِيحٌ خَجُوجٌ لَهَا رَأْسٌ، فَاتَّبَعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى انْتَهَتْ، ثُمَّ تَطَوَّقَتْ في مَوْضِعِ الْبَيْتِ تَطَوُّقَ الْحَيَّةِ.

فَبَنى إِبْرَاهِيمُ حَتَّى بَلَغَ مَكَانَ الْحَجَرِ، [فَ]قَالَ لابْنِه: ابْغِني حَجَراً.

فَالْتَمَسَ حَجَراً حَتَّى أَتَاهُ بِه، فَوَجَدَ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ قَدْ رُكِّبَ.

فَقَالَ لأَبِيهِ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هذَا.

قَالَ: جَاءَ بِهِ مَنْ لاَ يَتَّكِلُ عَلى بِنَائِكَ، جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَتَمَّهُ.

فَمَرَّ عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَانْهَدَمَ، فَبَنَتْهُ الْعَمَالِقَةُ.

ثُمَّ انْهَدَمَ فَبَنَتْهُ جُرْهُمُ.

ثُمَّ انْهَدَمَ فَبَنَتْهُ قُرَيْشٌ ورَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ يَوْمَئِذ رَجُلٌ شَابٌ.

فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَرْفَعُوا الْحَجَرَ الأَسْوَدَ اخْتَصَمُوا فيه، فَقَالُوا: نُحَكِّمُ بَيْنَنَا أَوَّلَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنْ هذه السِّكَّة.

فَكَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَقَضى بَيْنَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ في مِرْط، ثُمَّ أَمَرَ كُلَّ فَخذ أَنْ يَأْخُذُوا بِطَائِفَةٍ مِنَ الثَّوْبِ. فَرَفَعُوهُ، وأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ فَوَضَعَهُ.

ثم قال عليه السلام: سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوني، فَوالَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوسَأَلْتُمُوني عَنْ آيَة آيَة في كِتَابِ اللَّه لأَخْبَرْتُكُمْ بِوَقْت نُزُولِهَا، في لَيْلٍ نَزَلَتْ أَوفي نَهَارٍ، وفيمَنْ نَزَلَتْ، أَفي مُؤْمِنٍ أَوفي مُنَافِقٍ، وفي أَيِّ مَكَانٍ نَزَلَتْ، في سَهْلٍ أَوفي جَبَلٍ.

وأَنْبَأْتُكُمْ بِنَاسِخِهَا مِنْ مَنْسُوخِهَا، وخَاصِّهَا مِنْ عَامِّهَا، ومُحْكَمِهَا مِنْ مُتَشَابِهِهَا، ومَكِّيِّهَا مِنْ مَدَنِيِّهَا، وسَفَرِيِّهَا [مِنْ] حَضَرِيِّهَا.

ولَئِنْ فَقَدْتُمُوني لاَ يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ حَديثي.

فقال ابن الكوّاء: أخبرني يا أمير المؤمنين عن قول الله - عزّ وجل -: ﴿**هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾.

فقال عليه السلام: هُمْ أَنْتَ وأَصْحَابُكَ.

ثُم رفع عليه السلام صوته وقال: يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ، ومَا أَهْلُ النَّهْرَوَانِ غَداً مِنْهُمْ بِبَعِيدٍ.

فقال: فمن الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّه كُفْراً.

فقال عليه السلام: هُمُ الأَفْجَرَانِ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ كُفِيتُمُوهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء أنزل فيك.

فقال عليه السلام: لَولاَ أَنَّكَ سَأَلْتَني عَلى رُؤُوسِ الْمَلأ مَا حَدَّثْتُكَ.

أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالى-: ﴿أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَة مِنْ رَبِّه ويَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ﴾.

فَرَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ عَلى بَيِّنَة مِنْ رَبِّه، وأَنَا التَّالي شَاهِدٌ مِنْهُ.

واللَّه لأَنْ تَعْلَمُوا مَا خَصَّنَا الله - عَزَّ وجل - بِه أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ مِنْ ذَهَبَة حَمْرَاءَ أَوفضَّة بَيْضَاءَ.

فسأله عن قول الله - تعالى-: ﴿رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْديلًا﴾.

فقال عليه السلام: اللَّهم اغْفِرْ لي. هذه الآيَةُ نَزَلَتْ فِيَّ وفي عَمّي حَمْزَةَ وفي ابْنِ عَمّي عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارث.

فَأَمَّا عُبَيْدَةُ فَقَضى نَحْبَهُ شَهيداً يَوْمَ بَدْر.

وأَمَّا حَمْزَةُ فَقَضى نَحْبَهُ شَهيداً يَوْمَ أُحُد.

وأَمَّا أَنَا فَأَنْتَظِرُ أَشْقَى الأُمَّة يَخْضِبُ هذه مِنْ هذه [وأشار عليه السلام إلى رأسه ولحيته].

عَهِدَ عَهْداً إِلَيَّ حَبيبي أَبُوالْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

فقال ابن الكوّاء: أخبرني عن بصير بالليل وبصير بالنهار. وعن أعمى بالليل أعمى بالنهار. وعن أعمى بالليل بصير بالنهار. وعن بصير بالليل أعمى بالنهار.

فقال عليه السلام: وَيْلَكَ، سَلْ عَمَّا يَعْنيكَ، ولاَ تَسْأَلْ عَمَّا لاَ يَعْنيكَ.

فقال ابن الكوّاء: واللّه إن ما سألتك عنه ليعنيني.

فقال عليه السلام: وَيْلَكَ، أَمَّا بَصيرٌ باللَّيْلِ وبَصيرٌ بالنَّهار، فَهُورَجُلٌ آمَنَ بالرُّسُلِ والأَوْصِيَاء الَّذينَ مَضَوْا، وبالْكُتُب والنَّبِيّينَ، وآمَنَ باللَّه ونَبِيِّه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، وأَقَرَّ لي بالْوِلاَيَة، فَأَبْصَرَ في لَيْله ونَهَاره.

وأمَّا أعْمى باللَّيْلِ وأعْمى بالنَّهَارِ، فَرَجُلٌ جَحَدَ الأَنْبِيَاءَ والأَوْصِيَاءَ والْكُتُبَ الَّتي مَضَتْ، وأدْرَكَ النَّبيَّ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، ولَمْ يُقِرَّ بِوِلاَيَتي، فَجَحَدَ الله - عَزَّ وجل - ونَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، فَعَمِيَ باللَّيْلِ وعَمِيَ بالنَّهَارِ.

وأمَّا بَصيرٌ باللَّيْلِ وأعْمى بالنَّهَارِ، فَرَجُلٌ آمَنَ بالأَنْبِيَاءِ والْكُتُبِ، وجَحَدَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، وأنْكَرَني حَقّي، فَأبْصَرَ باللَّيْلِ وعَمِيَ بالنَّهَارِ.

وأمَّا أعْمى باللَّيْلِ وبَصيرٌ بالنَّهَارِ، فَرَجُلٌ جَحَدَ الأَنْبِيَاءَ الَّذينَ مَضَوْا والأَوْصِيَاءَ والْكُتُبَ، وأدْرَكَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، فَآمَنَ باللَّه وبرَسُولِه مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، وآمَنَ بإمَامَتي، وقَبِلَ وِلاَيَتي، فَعَمِيَ باللَّيْلِ وأبْصَرَ بالنَّهَارِ.

وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ، فَنَحْنُ بَنُوا أبي طَالِبٍ، بِنَا فَتَحَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ، وبِنَا يَخْتِمُهُ.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنت بالمكان الذي أنزلك الله به وأبوك معذّب في النار.

فقال عليه السلام: مَهْ، فَضَّ اللَّهُ فَاكَ.

والَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً، لَوشَفَعَ أبي في كُلِّ مُذْنِبٍ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ لَشَفَّعَهُ اللَّهُ فيهِمْ.

أبي مُعَذَّبٌ في النَّارِ وابْنُهُ قَسيمُ الْجَنَّةِ والنَّارِ.

والَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً، إنَّ نُورَ أبي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيُطْفِئُ أنْوَارَ الْخَلاَئِقِ كُلِّهِمْ إلاَّ خَمْسَةَ أنْوَارٍ: نُورَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، ونُوري، ونُورَ الْحَسَنِ، ونُورَ الْحُسَيْنِ، ونُورَ تِسْعَةٍ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ.

فَإنَّ نُورَهُ مِنْ نُورِنَا، خَلَقَهُ الله - تعالى - قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِأَلْفَيْ عَامٍ.

فقام إليه رجل آخر فقال: ممّا خلق الله الشعير.

فقال عليه السلام: إنَّ الله - تَبَارَكَ وتعالى - أمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أنِ ازْرَعْ مِمَّا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ.

فَقَبَضَ آدَمُ عَلى قَبْضَة، وقَبضَتْ حَوَّاءُ عَلى أُخْرى.

فَقَالَ آدَمُ لِحَوَّاءَ: لاَ تَزْرَعي أَنْتِ.

فَلَمْ تَقْبَلْ أَمْرَ آدَمَ.

فَكُلَّمَا زَرَعَ آدَمُ جَاءَ حُنْطَةً، وكُلَّمَا زَرَعَتْ حَوَّاءُ جَاءَ شَعيراً.

فقام إليه رجل آخر فقال: ممّا خلق الله - تعالى - الجزر.

فقال عليه السلام: إنَّ إبْرَاهيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ لَهُ يَوْماً ضَيْفٌ، ولَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَمُونُ ضَيْفَهُ. فَقَالَ في نَفْسِهِ: أَقُومُ إِلى سَقْفي فَأَسْتَخْرِجُ مِنْ جُذُوعِهِ، فَأَبيعُهُ مِنَ النَّجَّارِ فَيَعْمَلُ صَنَماً. فَلَمْ يَفْعَلْ.

وخَرَجَ ومَعَهُ إِزَارٌ إِلى مَوْضِعٍ وصَلَّى رَكْعَتَيْنِ. فَجَاءَ مَلَكٌ وأَخَذَ مِنْ ذَلِكَ الرَّمْلِ والْحِجَارَةِ، فَقَبَضَهُ في إِزَارِ إِبْرَاهيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وحَمَلَهُ إِلى بَيْتِهِ كَهَيْئَةِ رَجُلٍ، فَقَالَ لأَهْلِ إِبْرَاهيمَ: هذَا إِزَارُ إِبْرَاهيمَ فَخُذُوهُ.

فَفَتَحُوا الإِزَارَ، فَإِذَا الرَّمْلُ قَدْ صَارَ ذُرَةً، وإِذَا الْحِجَارَةُ الطِّوَالُ قَدْ صَارَتْ جَزَراً، وإِذَا الْحِجَارَةُ الْمُدَوَّرَةُ صَارَتْ لِفْتاً.

فقام إليه سعد بن أبي وقّاص فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر.

فقال عليه السلام: واللّه لَقَدْ أَعْلَمَني خَليلي رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ أَنَّكَ تَسْأَلُني عَنْ هذَا.

فَواللّه مَا في رَأْسِكَ شَعْرَةٌ إِلاَّ وتَحْتَهَا مَلَكٌ يَلْعَنُكَ، ولاَ في جَسَدِكَ شَعْرَةٌ إِلاَّ وفيهَا شَيْطَانٌ يَسْتَفِزُّكَ.

وإِنَّ في بَيْتِكَ لَسَخْلاً يَقْتُلُ الْحُسَيْنَ بْنَ رَسُولِ اللّه. وذَلِكَ مِصْدَاقُ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ.

ولَولاَ أَنَّ الَّذي سَأَلْتَ يَعْسُرُ بُرْهَانُهُ لأَخْبَرْتُكَ بِهِ، ولكِنَّ آيَةَ ذَلِكَ مَا نَبَّأْتُكَ مِنْ لَعْنِكَ وسَخْلِكَ الْمَلْعُونِ.

ثم قال عليه السلام: يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، سَلُوني قَبْلَ أنْ تَفْقِدُوني.

سَلُوني عَمَّا شِئْتُمْ، فَإنَّ عِنْدي عِلْمَ الأوَّلينَ والآخرينَ.

سَلُوني عَمَّا يَكُونُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَة، وعَمَّا كَانَ عَلى عَهْد كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ.

سَلُوني عَنْ أسْرَارِ الْغُيُوب، فَإنِّي وَارِثُ، عُلُومِ الأنْبِيَاءِ والْمُرْسَلينَ.

فَوالَّذي نَفْسي بِيَدِه، لاَ تَسْألُوني عَنْ شَيْءٍ فيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ السَّاعَة، ولاَ عَنْ أرْضٍ مُخْصِبَة ولاَ عَنْ أرْضٍ مُجْدِبَة، ولاَ عَنْ فِئَة تَهْدي مائَةً وتُضِلُّ مائَةً، ولاَ عَنْ فِئَة تَبْلُغُ ثَلاَثَمائَةً فَمَا فَوْقَهَا مِمَّا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ السَّاعَة، إلاَّ ولَوشِئْتُ أنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا، وقَائِدِهَا، وسَائِقِهَا، ومُنَاخِ رِكَابِهَا، ومَحَطِّ رِحَالِهَا، ومَنْ يُقْتَلُ مِنْ أهْلِهَا قَتْلًا، ومَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً، وبِخَرَابِ الْعَرَصَاتِ عَرْصَةً عَرْصَةً، مَتى تَخْرَبُ، ومَتى تَعْمُرُ بَعْدَ خَرَابِهَا إلى يَوْمِ الْقِيَامَة.

واللَّه لَوشِئْتُ أنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِه ومَوْلِجِه وجَمِيعِ شَأنِه لَفَعَلْتُ.

ولَوشِئْتُ لأخْبَرْتُكُمْ بِمَا يَأتي ويَكُونُ مِنْ حَوَادِث دَهْرِكُمْ، ونَوَائِبِ زَمَانِكُمْ، وبَلاَيَا أيَّامِكُمْ، وغَمَرَاتِ سَاعَاتِكُمْ، ولكِنْ أخَافُ أنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ.

ألاَ وإنِّي مُفْضِيهِ إلَى الْخَاصَّة ممَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ، مَخَافَةً عَلَيْكُمْ، ونَظَراً لَكُمْ، عِلْماً مِنِّي بِمَا هُوَ كَائِنٌ، ومَا تَلْقَوْنَ مِنَ الْبَلاَءِ الشَّامِلِ.

والَّذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، واصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أنْطِقُ إلاَّ صَادِقاً.

ولَقَدْ عَهِدَ إلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّه، وبِمَهْلِك مَنْ يَهْلِكُ، ومَنْجى مَنْ يَنْجُو، ومَآلِ هذَا الأمْرِ.

ومَا أبْقى شَيْئاً يَمُرُّ عَلى رَأسي إلاَّ أفْرَغَهُ في أُذُني، وأفْضى بِهِ إلَيَّ.

كَأنِّي بِالْحَجَرِ الأسْوَدِ مَنْصُوباً هَاهُنَا (وأشار إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة).

وَيْحَهُمْ، إنَّ فَضِيلَتَهُ لَيْسَتْ في نَفْسِه، بَلْ في مَوْضِعِه وأُسِّه، يَمْكُثُ هَاهُنَا بُرْهَةً، ثُمَّ

هَاهُنَا بُرْهَةً (وأشار إلى البحرين) ثُمَّ يَعُودُ إِلى مَأْوَاهُ، وأُمِّ مَثْوَاهُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وأَسْتَعْدِي بِكَ عَلَيْهِمْ. ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

والْحَمْدُ للَّهِ مُتَّبِعِينَ أَمْرَهُ.

فقام إليه رجل، فقال: حدّثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء.

فقال عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ في زَمَانٍ إِذَا سَأَلَ سَائِلٌ فَلْيَعْقِلْ، وإِذَا سُئِلَ مَسْؤُولٌ فَلْيَلْبَثْ.

إِنَّ الله - تعالى- قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، ولَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وقَدْ قَالَ- جَلَّ مِنْ قائل-: ﴿إِنَّ في ذلكَ لآيات وإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾.

أَلاَ وإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أُمُوراً جَلَلًا رُدُحاً، وبَلاَءً مُكْلِحاً مُبْلِحاً.

والَّذي نَفْسي بِيَدِه، أَنْ لَوقَدْ فَقَدْتُمُوني، ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأُمُورِ، وحَقَائِقُ الْبَلاَءِ، وحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، لأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْؤُولِينَ.

وذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ، وشَمَّرَتْ عَنْ سَاق، وضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً، تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلاَءِ عَلَيْكُمْ وعَلى أَهْلِ بَيْتِي، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الأَبْرَارِ مِنْكُمْ.

ولَيَكُونَنَّ مَنْ يَخْلُفُني، [مِنْ] أَهْلِ بَيْتِي، رَجُلٌ يَأْمُرُ بِأَمْرِ اللَّهِ، قَوِيٌّ يَحْكُمُ بِحُكْمِ اللَّهِ.

وذَلِكَ بَعْدَ زَمَانٍ مُكْلِحٍ مُفْضِحٍ، يَشْتَدُّ فيهِ الْبَلاَءُ، ويَنْقَطِعُ فيهِ الرَّجَاءُ، ويُقْبَلُ فيهِ الرُّشَاءُ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَبْعَثُ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ شَاطِئِ دِجْلَةَ لأَمْرِ حَزَبَهُ، يَحْمِلُهُ الْحِقْدُ عَلى سَفْكِ الدِّمَاءِ، قَدْ كَانَ في سِتْرٍ وغِطَاءٍ، فَيَقْتُلُ قَوْماً وهُوعَلَيْهِمْ غَضْبَانُ، شَدِيدُ الْحِقْدِ، حَرَّانُ، فِي سُنَّةٍ بَخْتَنْصَرَ.

يَسُومُهُمْ خَسْفاً، ويَسْقِيهِمْ سَوْطَ عَذَابٍ، وسَيْفَ دَمَارٍ.

ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُ هَنَاتٌ وأُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ.

أَلاَ مِنْ شَطِّ الْفُرَاتِ إِلَى النَّجَفَاتِ بَابٌ مِنَ الْقَطْقَطَانِيَّاتِ، فِي آيَاتٍ وآفَاتٍ مَتَوَالِيَاتٍ.

يُحْدِثْنَ شَكّاً بَعْدَ يَقِينٍ.

يَقُومُ بَعْدَ حِينٍ، يَبْنِي الْمَدَائِنَ، وَيَفْتَحُ الْخَزَائِنَ، وَيَجْمَعُ الأُمَمَ.

يَنْفُذُهَا شَخْصَ الْبَصَرِ، وطَمْحَ النَّظَرِ، وعَنَتِ الْوُجُوهُ، وكُشِفَتِ الْبَالُ، حَتَّى يَرى مُقْبِلًا مُدْبِراً.

أَمَا إِنَّهُ لَيَغِيبَنَّ حَتَّى يَقُولَ الْجَاهِلُ: مَا للَّهِ فِي آلِ مُحَمَّدٍ حَاجَةٌ.

فَيَا لَهْفِي عَلَى مَا أَعْلَمُ: رَجَبٌ شَهْرُ ذِكْرٍ، رَمَضَانُ تَمَامُ السِّنِينَ، شَوَّالُ فِيهِ يُشَالُ أَمْرُ الْقَوْمِ، ذُوالْقَعْدَةِ يَقْتَعِدُونَ فِيهِ، ذُوالْحِجَّةِ الْفَتْحُ مِنْ أَوَّلِ الْعَشْرِ.

أَلاَ إِنَّ الْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ بَيْنَ جُمَادَى ورَجَبٍ، مِنْ جَمْعِ أَشْتَاتٍ، وحَصْدِ نَبَاتٍ، ومِنْ أَصْوَاتٍ بَعْدَهَا أَصْوَاتٌ، وبَعْثِ أَمْوَاتٍ، وحَدِيثَاتِ هَوْنَاتٍ هَوْنَاتٍ، بَيْنَهُنَّ مَوْتَاتٌ.

رَافِعَةٌ ذَيْلَهَا، دَاعِيَةٌ عَوْلَهَا، مُعْلِنَةٌ قَوْلَهَا، بِدِجْلَةَ أَوحَوْلَهَا.

ثُمَّ إِنَّكُمْ، مَعْشَرَ الْعَرَبِ، أَغْرَاضُ بَلاَيَا قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، واحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ، وتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعَشْوَةِ، واعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وظُهُورِ كَمِينِهَا، وانْتِصَابِ قُطْبِهَا ومَدَارِ رَحَاهَا.

تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وتَؤُولُ إِلى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ.

شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلاَمِ، وآثَارُهَا كَآثَارِ السَّلاَمِ.

يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ، وآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ.

يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، ويَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ.

وعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، والْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، ويَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ.

ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ، والْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ

اسْتِقَامَةٍ، وتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلاَمَةٍ، وتَخْتَلِفُ الأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وتَلْتَبِسُ الآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا.

مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ، ومَنْ سَعى فِيهَا حَطَمَتْهُ.

يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ.

قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وعَمِيَ وَجْهُ الأَمْرِ.

تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ، وتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وتَدِقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا، وتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا.

يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ، ويَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ.

تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ، وتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ، وتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ.

يَهْرُبُ مِنْهَا الأَكْيَاسُ، ويُدَبِّرُهَا الأَرْجَاسُ.

مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ.

تُقْطَعُ فِيهَا الأَرْحَامُ، ويُفَارَقُ عَلَيْهَا الإِسْلاَمُ.

بَرِيئُهَا سَقِيمٌ، وظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.

ثم قال عليه السلام: سَبَقَ الْقَضَاءُ. سَبَقَ الْقَضَاءُ.

فقام إليه رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الفتن.

فقال عليه السلام: إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ.

يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ، ويُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ.

وإِنَّ الْفِتَنَ لَهَا مَوْجٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، وإِعْصَارٌ كَإِعْصَارِ الرِّيحِ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً، ويُخْطِئْنَ بَلَداً.

أَلاَ وإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ، مُطْبِقَةٌ مُظْلِمَةٌ، عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وأَصَابَ الْبَلاَءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وأَخْطَأَ الْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا.

يَظْهَرُ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقِّهَا حَتَّى يَمْلأُوا الأَرْضَ بِدَعاً وعُدْوَاناً، وظُلْماً وجَوْراً.

أَلاَ وإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَكْسِرُ عَمَدَهَا، ويَضَعُ جَبَرُوتَهَا، ويَنْزِعُ أَوْتَادَهَا، اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وقَاصِمُ الْجَبَّارِينَ.

وذَلِكَ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ كُلُّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ، إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ.

أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وأَعْلاَمُ السُّرَى.

لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ ولاَ الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ، ولاَ بِالْجُفَاةِ الْمُرَائِينَ.

أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، ويَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ، [وَ] يُخَلِّي عَنْهُمْ كُلَّ فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ بِمَا فِيهِ.

حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ، تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، ولاَ يُرْفَعُ عَنْ هذه الأُمَّةِ سَوْطُهَا ولاَ سَيْفُهَا.

وكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، إِنَّمَا هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لاَ تَذُوقُهَا، ولاَ تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ.

أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ إِلاَّ الزَّمْهَرِيرُ مِنْ شِتَائِهِمْ، ومَا لَهُمْ مِنَ الصَّيْفِ إِلاَّ رَقْدَةٌ.

ويَحْبِسُهُمْ ومَا تَوَازَرُوا وجَمَعُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ مِنَ الآثَامِ.

هَلَكَ حَاطِبُ الْحَطَبِ، وحَاصَرَ صَاحِبُ الْقَصَبِ، وبَقِيَتِ الْقُلُوبُ تَتَقَلَّبُ، فَمِنْهَا مُشْعَبٌ، ومِنْهَا مُجْدِبٌ ومُنْصِبٌ، ومِنْهَا مُسَيَّبٌ.

أَمَا والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لاَ تَرَوْنَ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ حَتَّى يَهْلِكَ الْمُتَمَنُّونَ،

ويَضْمَحِلَّ الْمُحِلُّونَ، ويَتَثَبَّتَ الْمُؤْمِنُونَ، وقَليلٌ مَّا يَكُونُونَ، ثَلاَثَمائَة أويَزِيدُونَ.

واللَّه واللَّه، لاَ تَرَوْنَ الَّذي تَنْتَظِرُونَ، حَتَّى لاَ تَدْعُوا اللَّهَ إلاَّ إشَارَةً بأيْدِيكُمْ، وإيمَاضاً بحَوَاجِبِكُمْ، وحَتَّى لاَ تَمْلِكُونَ مِنَ الأَرْضِ إلاَّ مَوَاضِعَ أقْدَامِكُمْ، وحَتَّى يَكُونَ مَوْضِعُ سِلاَحِكُمْ عَلى ظُهُورِكُمْ.

فَيَوْمَئِذ لاَ يَنْصُرُنِي اللَّهُ إلاَّ بمَلاَئِكَتِه ومَنْ كُتِبَ عَلى قَلْبِه الإيمَانُ.

والَّذي نَفْسُ عَلِيٍّ بيَدِه، لاَ تَقُومُ عِصَابَةٌ تَطْلُبُ لِي أولِغَيْرِي حَقّاً، أوتَدْفَعُ عَنَّا ضَيْماً، إلاَّ صَرَعَتْهُمُ الْبَلِيَّةُ، حَتَّى تَقُومَ عِصَابَةٌ شَهِدَتْ مَعَ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ بَدْراً، لاَ يُوارى قَتِيلُهُمْ، ولاَ يُدَارى جَرِيحُهُمْ، ولاَ يُنْعَشُ صَرِيعُهُمْ.

ألاَ وإنَّكُمْ مُدْرِكُوهَا، فَانْظُرُوا أقْوَاماً كَانُوا أصْحَابَ الرَّايَات يَوْمَ بَدْر ويَوْمَ حُنَيْن فَانْصُرُوهُمْ تُنْصَرُوا، وتُؤْجَرُوا، وتُعْذَرُوا، ولاَ تُمَالِئُوا عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَتَصْرَعُكُمُ الْبَلِيَّةُ، ويَحِلُّ بِكُمُ النَّقْمَةُ.

وأيْمُ اللَّه، لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أرْبَابَ سُوء بَعْدي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ، تَعْذِمُ بِفيهَا، وتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وتَزْبِنُ برِجْلِهَا، وتَمْنَعُ دَرَّهَا.

مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَة، وأبْوَابُ كُلِّ ضَارِب في غَمْرَة.

قَدْ مَارُوا في الْحَيْرَة، وذَهَلُوا في السَّكْرَة، عَلى سُنَّة مِنْ آل فِرْعَوْنَ.

مِنْ مُنْقَطِع إلَى الدُّنْيَا رَاكِن، أومُفَارِق للدِّين مُبَايِن.

وأيْمُ اللَّه، لاَ يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لاَ يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إلاَّ نَافِعاً لَهُمْ، أوغَيْرَ ضَائِر بِهِمْ.

ولاَ يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ بِكُمْ حَتَّى لاَ يَكُونَ انْتِصَارُ أحَدِكُمْ مِنْهُمْ إلاَّ مِثْلَ انْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّه، إذَا غَابَ شَتَمَهُ، وإذَا حَضَرَ أطَاعَهُ، و[كَ] الصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِه.

بَيْنَ قَتِيل مَطْلُول، وخَائِف مُسْتَجِير.

يَخْتِلُونَ بعَقْد الأَيْمَان، وبغُرُور الإيمَان.

وطَالَ الأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، ويَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ.

حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الأَجَلُ، واسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ.

لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللَّه بِالصَّبْرِ، ولَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ.

حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلاَءِ، حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، ودَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرٍ وَاعِظِهِمْ.

فَلاَ تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ، وأَعْلاَمَ الْبِدَعِ، والْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ، وبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ.

واقْدَمُوا عَلَى اللَّه مَظْلُومِينَ، ولاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ، [فَإِنَّ] يَوْمَ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ.

واتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، ومَهَابِطَ الْعُدْوَانِ، ولاَ تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ، وسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ.

إِلْزَمُوا الأَرْضَ، واصْبِرُوا عَلَى الْبَلاَءِ، ولاَ تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ.

ولاَ تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ - لَكُمْ.

فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وهُوَعَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ - عَزَّ وجل -، وحَقِّ رَسُولِهِ وأَهْلِ بَيْتِهِ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ، مَاتَ شَهِيداً، ووَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ - واسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلاَتِهِ لِسَيْفِهِ.

فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وأَجَلًا لاَ يَعْدُوهُ.

فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، ولاَ تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ.

ومَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ.

والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ، ولإِزَالَةُ الْجِبَالِ مِنْ مَكَانِهَا أَهْوَنُ مِنْ إِزَالَةِ مُلْكٍ مُرْجَلٍ، فَلَوقَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ.

أَلاَ سَتَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي جَمَاعَةً شَتَّى.

إِنَّ قِبْلَتَكُمْ وَاحِدَةٌ، وحَجَّكُمْ وَاحِدٌ، وعُمْرَتَكُمْ وَاحِدَةٌ، والْقُلُوبَ مُخْتَلِفَةٌ، يَقْتُلُ هذَا هذَا، وهذَا هذَا، هَرْجاً هَرْجاً.

تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وقَطْعَاءَ جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدىً، ولاَ عَلَمٌ يُرى.

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلى سَاقٍ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا.

ونَحْنُ، أَهْلُ الْبَيْتِ، مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ، ولَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ.

فَانْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، واتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً، ولَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدى.

فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فَانْصُرُوهُمْ تُنْصَرُوا وتُعْذَرُوا [وَ] تُؤْجَرُوا.

ولاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، [وَ] يَصْرَعُكُمُ الْبَلاَءُ، ويَشْمَتُ بِكُمُ الأَعْدَاءُ، ولاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ.

واللَّهِ إِنِّي لأَعْرِفُ اسْمَ أَمِيرِهِمْ، ومُنَاخَ رِكَابِهِمْ.

وأَيْمُ اللَّهِ، لَوفَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ.

ثُمَّ يُفَرِّجُهَا الله - تعالى - عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ مِنْ بَيْتِهِ، بِرَجُلٍ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يَعْطِفُ الْهَوى عَلَى الْهُدى إِذَا عَطَفُوا الْهُدى عَلَى الْهَوى، ويَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ.

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا، مِنَ الاِقْبَالِ عَلَيْهَا، والْمَعْرِفَةِ بِهَا،

والتَّفَرُّغِ لَهَا، فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِه ضَالَّتُهُ الَّتي يَطْلُبُهَا، وحَاجَتُهُ الَّتي يَسْأَلُ عَنْهَا.

فَهُومُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الإِسْلاَمُ، وضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِه، وألْصَقَ الأَرْضَ بِجِرَانِه.

بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِه، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلاَئِف أَنْبِيَائِه.

أَلاَ وفي غَدٍ، وسَيَأْتي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ، يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا، وتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا، وتُلْقي إِلَيْه سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، ويُحْيي مَيِّتَ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ.

يَا قَوْمِ، هذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ، ودُنُومِنْ طَلْعَةِ مَا لاَ تَعْرِفُونَ.

والَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلى وَلَدِهَا.

ثم قرأ عليه السلام: ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ونُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ.

أَلاَ وإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، ويَحْذُوفِيهَا عَلى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً، ويُعْتِقَ رِقّاً، ويَصْدَعَ شَعْباً، ويَشْعَبَ صَدْعاً، في سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ، لاَ يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ، ولَوتَابَعَ نَظَرَهُ.

ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجْلى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُم، ويُرْمى بِالتَّفْسِيرِ في مَسَامِعِهِمْ، ويُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ.

أَلاَ إِنَّ مِنَّا قَائِماً عَفِيفَةً أَحْسَابُهُ، سَادَةٌ أَصْحَابُهُ.

يُنَادى عِنْدَ اصْطِلاَمِ أَعْدَاءِ اللَّه بِاسْمِه واسْمِ أَبِيه في شَهْرِ رَمَضَانَ ثَلاَثاً، بَعْدَ هَرْجٍ وقِتَالٍ، وضَنْكٍ وخَبَالٍ، وقِيَامٍ مِنَ الْبَلاَءِ عَلى سَاقٍ.

وإِنِّي لأَعْلَمُ إِلى مَنْ تُخْرِجُ الأَرْضُ وَدَائِعَهَا، وتُسْلِمُ إِلَيْه خَزَائِنَهَا.

ولَوشِئْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِرِجْلي فَأَقُولَ: اخْرُجي مِنْ هَاهُنَا بِيضاً ودُرُوعاً.

كَيْفَ أَنْتُمْ يَا ابْنَ هَنَاتٍ، إِذَا كَانَتْ سُيُوفُكُمْ بِأَيْمَانِكُمْ مُصْلَتَاتٍ، ثُمَّ رَمَلْتُمْ رَمَلاَتٍ

لَيْلَةَ الْبَيَات.

لَيَسْتَخْلِفَنَّ اللَّهُ خَلِيفَةً يَثْبُتُ عَلَى الْهُدى، ولاَ يَأْخُذُ عَلى حُكْمِه الرَّشَا.

إِذَا دَعَا دَعَوَاتٍ بَعِيدَاتِ الْمَدى، دَامِغَاتٍ لِلْمُنَافِقِينَ، فَارِجَاتٍ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ.

فَيَا ابْنَ حُرَّةَ الإِمَاءِ، مَتى تَنْتَظِرُ الْبَشِيرَ بِنَصْرٍ قَرِيبٍ، مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ.

أَلاَ فَوَيْلٌ لِلْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ حَصَادِ الْحَاصِدِينَ، وقَتْلِ الْفَاسِقِينَ، عُصَاةِ ذِي الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

بِأَبِي ابْنُ حُرَّةِ الإِمَاءِ، يَسُومُهُمْ خَسْفاً، ويَسُوقُهُمْ عُنْفاً، ويَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ.

لاَ يُعْطِيهِمْ إِلاَّ السَّيْفَ، ولاَ يُحْلِسُهُمْ إِلاَّ الْخَوْفَ.

يَضَعُ السَّيْفَ عَلى عَاتِقِه ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ فَيَقْتُلُهُمْ هَرْجاً هَرْجاً، حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ.

وحَتَّى تَقُولَ قُرَيْشٌ: واللَّهِ مَا هذَا مِنْ قُرَيْشٍ، لَوكَانَ هذَا مِنْ قُرَيْشٍ ومِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ لَرَحِمَنَا.

فَيُغْرِيه اللَّهُ بِبَنِي أُمَيَّةَ وبَنِي الْعَبَّاسِ فَيَجْعَلُهُمْ تَحْتَ قَدَمَيْه، ويَطْحَنُهُمْ طَحْنَ الرَّحى، حَتَّى يَجْعَلَهُمْ حُطَاماً ورُفَاتاً، مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وقُتِّلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ولَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا.

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا ومَا فِيهَا لَوِيَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً، ولَوقَدْرَ حَلْبِ شَاةٍ، أَوجَزْرِ جَزُورٍ، لأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونَنِيه.

أَلاَ إِنَّ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ، وهُوكَائِنٌ عَلى رَغْمِ الرَّاغِمِينَ.

وأَيْمُ اللَّهِ الأَعَزِّ الأَكْرَمِ، أَنْ لَوحَدَّثْتُكُمْ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُ، لَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ: مَا أَكْذَبَ وأَرْجَمَ.

ولَوانْتَقَيْتُ مِنْكُمْ مِائَةً قُلُوبُهُمْ كَالذَّهَبِ، ثُمَّ انْتَخَبْتُ مِنَ الْمِائَةِ عَشَرَةً، ثُمَّ حَدَّثْتُهُمْ حَدِيثاً لَيِّناً فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ، لاَ أَقُولُ فِيهِ إِلاَّ حَقّاً، ولاَ أَعْتَمِدُ إِلاَّ صِدْقاً، لَخَرَجُوا وهُمْ يَقُولُونَ: عَلِيٌّ مِنْ أَكْذَبِ النَّاسِ.

ولَواخْتَرْتُ مِنْ غَيْرِكُمْ عَشَرَةً فَحَدَّثْتُهُمْ فِي عَدُوِّنَا وأَهْلِ الْبَغْيِ عَلَيْنَا، أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، لَخَرَجُوا وهُمْ يَقُولُونَ: عَلِيٌّ مِنْ أَصْدَقِ النَّاسِ.

والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصَلَوَاتُهُ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وآلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

خطبة له عليه السلام (٢٢)

يخبر فيها أيضا بما يحدث في آخر الزمان خطبها بذي قار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الْعَلِيِّ عَنْ شَبَه الْمَخْلُوقينَ، الْغَالب لمَقَال الْوَاصفينَ، الظَّاهر بعَجَائب تَدْبيره للنَّاظرينَ، والْبَاطن بجَلاَل عزَّته عَنْ فكْر الْمُتَوَهِّمينَ.

الْعَالم بلاَ اكْتسَاب ولاَ ازْديَاد، ولاَ علْم مُسْتَفَاد.

الْمُقَدِّر لجَميع الأُمُور بلاَ رَوِيَّة ولاَ ضَمير.

الَّذي لاَ تَغْشَاهُ الظُّلَمُ ولاَ يَسْتَضيءُ بالأَنْوَار، ولاَ يَرْهَقُهُ لَيْلٌ ولاَ يَجْري عَلَيْه نَهَارٌ.

لَيْسَ إدْرَاكُهُ بالأَبْصَار، ولاَ علْمُهُ بالأَخْبَار.

أَحْمَدُهُ عَلى مَا عَرَّفَ منْ سَبيله، وألْهَمَ منْ طَاعَته، وعَلَّمَ منْ مَكْنُون حكْمَته، فَإنَّهُ مَحْمُودٌ بكُلِّ مَا يُولي، ومَشْكُورٌ بكُلِّ مَا يُبْلي.

وأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وحَكَمٌ فَصَلَ، ولَمْ يَنْطقْ فيه نَاطقٌ بكَانَ إلاَّ كَانَ قَبْلَ كَانَ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله] عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وسَيِّدُ عبَاده، كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فرْقَتَيْن جَعَلَهُ في خَيْرهمَا.

لَمْ يُسْهمْ فيه عَاهرٌ، ولاَ ضَرَبَ فيه فَاجرٌ.

أَرْسَلَهُ بالضِّيَاء، وقَدَّمَهُ في الاصْطفَاء، فَرَتَقَ به الْمَفَاتقَ، وسَاوَرَ به الْمُغَالبَ، وذَلَّلَ به الصُّعُوبَةَ، وسَهَّلَ به الْحُزُونَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلاَلَ، عَنْ يَمين وشمَال.

أَمَّا بَعْدُ، فَإنَّ الله - تَبَارَكَ وتعالى - بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ بالْحَقِّ

بَشيراً ونَذيراً، وداعياً إلى اللّه بإذْنه وسراجاً مُنيراً، عَوْداً وبَدْءاً، وعُذْراً ونُذْراً، ليُخْرِجَ عبادَهُ منْ عبادَة الأَوْثان إلى عبادَته، ومنْ طاعَة الشَّيْطان إلى طاعَته، ومنْ عُهود عباده إلى عُهُوده، ومنْ ولايَة عباده إلى ولايَته، بحُكْمٍ قَدْ فَصَّلَهُ، وتَفْصيلٍ قَدْ أَحْكَمَهُ، وقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ، وفُرْقَانٍ قَدْ فَرَّقَهُ، ليَعْلَمَ العِبادُ رَبَّهُمْ بَعْدَ إذْ جَهِلُوهُ، وليُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إذْ جَحَدُوهُ، وليُثْبِتُوهُ بَعْدَ إذْ أَنْكَرُوهُ.

فَتَجَلَّى - سُبْحَانَهُ - لَهُمْ في كِتَابِهِ منْ غَيْرِ أنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ، بِمَا أَرَاهُمْ منْ حِلْمِه كَيْفَ حَلِمَ، وأَرَاهُمْ منْ عَفْوِهِ كَيْفَ عَفَا، وبِمَا أَرَاهُمْ منْ قُدْرَتِه، وخَوَّفَهُمْ منْ سَطْوَتِه، وكَيْفَ خَلَقَ مَا خَلَقَ منَ الآيَاتِ، وكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بالْمَثُلاَتِ، واحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بالنِّقَمَاتِ، وكَيْفَ رَزَقَ وهَدى، وأَمَاتَ وأَحْيَا، وأَرَاهُمْ حُكْمَهُ كَيْفَ حَكَمَ، وصَبَرَ حَتَّى يَسْمَعَ مَا يَسْمَعُ، ويَرى مَا يَرى.

فَبَعَثَ اللهَ - عَزَّ وجل - مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ بذلكَ.

ثُمَّ إنَّهُ سَيَأْتي عَلَيْكُمْ منْ بَعْدي زَمَانٌ، لَيْسَ فيهِ شَيْءٌ أَخْفى منَ الْحَقِّ، ولاَ أَظْهَرَ منَ الْبَاطِلِ، ولاَ أَكْثَرَ منَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ - تعالى - وعَلى رَسُولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله.

ولَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ منَ الْكِتَابِ إذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِه، ولاَ أَنْفَقَ بَيْعاً ولاَ أَغْلى ثَمَناً مِنْهُ إذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِه، ولاَ في الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ منَ الْمَعْرُوفِ، ولاَ أَعْرَفَ منَ الْمُنْكَرِ، ولَيْسَ فيهَا فَاحِشَةٌ أَنْكَرَ، ولاَ عُقُوبَةٌ أَنْكى، منَ الْهُدى عِنْدَ الضُّلاَّلِ في ذَلكَ الزَّمَانِ.

فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، حَتَّى تَمَالَتْ بِهِمُ الأَهْوَاءُ، وتَوَارَثُوا ذَلكَ منَ الآبَاءِ، وعَمِلُوا بِتَحْرِيفِ الْكِتَابِ كَذِباً وتَكْذِيباً، وبَاعُوهُ بالْبَخْسِ، وكَانُوا فِيهِ منَ الزَّاهِدِينَ.

فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ في طَرِيقٍ وَاحِدٍ، لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ.

فَحَبَّذَا ذَانِكَ الصَّاحِبَانِ، وَاهاً لَهُمَا ولِمَا يَعْمَلاَنِ به.

فَالْكِتَابُ وأَهْلُهُ، فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فِي النَّاسِ ولَيْسَا فيهِمْ، ومَعَهُمْ ولَيْسَا مَعَهُمْ، وذَلِكَ لأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوافِقُ الْهُدى وإِنِ اجْتَمَعَا.

فَقَدِ اجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، قَدْ وَلُّوا أَمْرَهُمْ وأَمْرَ دِينِهِمْ مَنْ يَعْمَلُ فيهِمْ بِالْمُنْكَرِ والْمُنْكَرِ، والرُّشَا والْقَتْلِ، لَمْ يُعْظِمْهُمْ عَلى تَحْرِيفِ الْكِتَابِ تَصْدِيقاً لِمَا يَفْعَلُ، وتَزْكِيَةً لِفَضْلِه، ولَمْ يُوَلُّوا أَمْرَهُمْ مَنْ يَعْلَمُ الْكِتَابَ ويَعْمَلُ بِالْكِتَابِ، ولكِنَّ وَلِيَّهُمْ مَنْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ.

كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ ولَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ.

فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ اسْمُهُ، ولاَ يَعْرِفُونَ مِنَ الْقُرْآنِ إِلاَّ خَطَّهُ وزَبْرَهُ.

يُسَمَّوْنَ بِهِ وهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهُ.

يَدْخُلُ الدَّاخِلُ لَمَّا يَسْمَعُ مِنْ حُكْمِ الْقُرْآنِ، فَلاَ يَطْمَئِنُّ جَالِساً حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدِّينِ.

يَنْتَقِلُ مِنْ دِينِ مَلِكٍ إِلى دِينِ مَلِكٍ، ومِنْ وَلاَيَةِ مَلِكٍ إِلى وِلاَيَةِ مَلِكٍ، ومِنْ طَاعَةِ مَلِكٍ إِلى طَاعَةِ مَلِكٍ، ومِنْ عُهُودِ مَلِكٍ إِلى عُهُودِ مَلِكٍ.

قَدْ دَانُوا بِغَيْرِ دِينِ اللهِ - عَزَّ وجل -، وأَدَانُوا لِغَيْرِ اللَّهِ ضُلاَّلاً تَائِهِينَ، حَتَّى تَوَالَدُوا فِي الْمَعْصِيَةِ، ودَانُوا بِالْجَوْرِ، وبَدَّلُوا سُنَّةَ اللَّهِ، وتَعَدَّوْا حُدُودَهُ، فَاسْتَدْرَجَهُمُ اللهُ - تعالى - مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ بِالأَمَلِ والرَّجَاءِ، وإِنَّ كَيْدَهُ مَتِينٌ.

والْكِتَابُ لَمْ يَضْرِبْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ صَفْحاً.

ويَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبُنى، وقُلُوبُهُمْ خَرِبَةٌ مِنَ الْهُدى، قَدْ بُدِّلَتْ سُنَّةُ اللَّهِ، وتُعُدِّتْ حُدُودُهُ، فَسُكَّانُها وعُمَّارُهَا أَخَائِبُ خَلْقِ اللَّهِ وخَلِيقَتِه.

عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ أَهْلِ الأَرْضِ، لاَ يَدْعُونَ إِلَى الْهُدى، ولاَ يَقْسِمُونَ الْفَيءَ، ولاَ يُوفُونَ

بِذِمَّةٍ، يَدْعُونَ الْقَتِيلَ مِنْهُمْ عَلى ذَلِكَ شَهِيداً.

قَدْ أَتَوُا اللَّهَ بِالافْتِرَاءِ والْجُحُودِ، واسْتَغْنَوْا بِالْجَهْلِ عَنِ الْعِلْمِ.

ومِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً، وجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ.

مِنْ عِنْدِهِمْ جَرَتِ الضَّلاَلَةُ، وإِلَيْهِمْ تَعُودُ، [وَ] مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ.

يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا، ويَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا.

فَحُضُورُ مَسَاجِدِهِمْ والْمَشْيُ إِلَيْهَا كُفْرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، إِلاَّ مَنْ مَشى إِلَيْهَا وهُوعَارِفٌ بِضَلاَلِهِمْ.

يَقُولُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى -: فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلى أُولئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ.

وقَدْ فَعَلَ، ونَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ.

[وَ] يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ، يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ ويَنْسَى الْفَضْلَ، ولَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ. قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى -: ﴿**ولا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾.

ويَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَنْهَدُ فِيهِ الأَشْرَارُ، وتُسْتَذَلُّ فِيهِ الأَخْيَارُ، ويُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ، وقَدْ نَهى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ، وعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ، وعَنْ بَيْعِ الثَّمَرَةِ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَ.

[وَ] يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُقَرَّبُ فِيهِ إِلاَّ الْمَاحِلُ، ولاَ يُظَرَّفُ فِيهِ إِلاَّ الْفَاجِرُ، ولاَ يُضَعَّفُ فِيهِ إِلاَّ الْمُنْصِفُ.

يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ مَغْرَماً، والْفَيْءَ مَغْنَماً، وصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً، والْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ، والْعِلْمَ مَتْجَراً، ويَظْهَرُ عَلَيْهِمُ الْهَوى، ويَخْفى مِنْهُمُ الْهُدى.

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ الإِمَاءِ، وإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ، وتَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللهَ - سُبْحَانَهُ - وُفِّقَ، ومَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، ووَفَّقَهُ لِلرَّشَادِ، وسَدَّدَهُ ويَسَّرَهُ لِلْحُسْنَى.

فَإِنَّ جَارَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - آمِنٌ مَحْفُوظٌ، وعَدُوَّهُ خَائِفٌ مَغْرُورٌ.

فَاحْتَرِسُوا مِنَ اللهِ - عَزَّ وجل - بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ، واخْشَوْا مِنْهُ بِالتُّقَى، وتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، قَالَ اللهُ - عَزَّ وجل -: ﴿**وإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ولْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾.

فَاسْتَجِيبُوا لِلَّهِ، وآمِنُوا بِهِ، ولاَ يُلْهِيَنَّكُمُ الأَمَلُ، ولاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَجَلُ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ، الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ والنَّقْمَةُ.

وقَدْ أَبْلَغَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ، وفَصَّلَ لَكُمُ الْقَوْلَ، وأَعْلَمَكُمُ السُّنَّةَ، وشَرَعَ لَكُمُ الْمَنَاهِجَ، وحَثَّكُمْ عَلَى الذِّكْرِ، ودَلَّكُمْ عَلَى النَّجَاةِ.

أَلاَ وإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وعِزَّ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا جَلاَلُهُ أَنْ يَذِلُّوا لَهُ، وسَلاَمَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ، فَلاَ يُنْكِرُونَ أَنْفُسَهُمْ بَعْدَ حَدِّ الْمَعْرِفَةِ، ولاَ يَضِلُّونَ بَعْدَ الْهُدَى.

هَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، بِهِ أَقْرَرْنَا، ولَهُ أَسْلَمْنَا، وعَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وسِيرَتُهُ فِينَا، لاَ يَجْهَلُ ذَلِكَ إِلاَّ جَاهِلٌ مُخَالِفٌ مُعَانِدٌ عَنِ الْحَقِّ.

فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأَجْرَبِ، والْبَارِي مِنْ ذِي السَّقَمِ.

واعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، ولَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، ولَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ، ولَنْ تَتْلُوهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي حَرَّفَهُ، ولَنْ تَعْرِفُوا الضَّلاَلَةَ حَتَّى تَعْرِفُوا الْهُدَى، ولَنْ تَعْرِفُوا

التَّقْوى حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذي تَعَدَّى.

فَإِذَا عَرَفْتُمْ ذَلِكَ عَرَفْتُمُ الْبِدَعَ والتَكَلُّفَ، ورَأَيْتُمُ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ وعَلى رَسُولِه، والتَّحْرِيفَ لِكِتَابِه، ورَأَيْتُمْ كَيْفَ هَدَى اللَّهُ مَنْ هَدى.

فَلاَ يُجْهِلَنَّكُمُ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ لاَ يَعْلَمُ عِلْمَهُ إِلاَّ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ، فَعَلَّمَ بِالْعِلْمِ جَهْلَهُ، وبَصَّرَ بِهِ عَمَاهُ، وسَمَّعَ بِهِ صَمَمَهُ، وأَدْرَكَ بِهِ عِلْمَ مَا فَاتَ، وحَيَا بِهِ بَعْدَ إِذْ مَاتَ، وأَثْبَتَ عِنْدَ اللهِ - عَزَّ ذِكْرُهُ - بِهِ الْحَسَنَاتِ، ومَحَا بِهِ السَّيِّئَاتِ، فَأَدْرَكَ بِهِ رِضْوَاناً مِنَ اللهِ - تَبَارَكَ وَتعالى -.

فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ خَاصَّةً، فَإِنَّهُمْ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ، وأَئِمَّةٌ يُقْتَدى بِهِمْ، وهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، ومَوْتُ الْجَهْلِ.

هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وصَمْتُهُمْ عَنْ حُكْمِ مَنْطِقِهِمْ، وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ.

فَهُمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمنِ، ومَعَادِنُ الاحْسَانِ.

إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا، وإِنْ حَكَمُوا عَدَلُوا، وإِنْ حَاجُّوا خُصِمُوا.

لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ ولاَ يَخْتَلِفُونَ فِيه، فَهُوبَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ.

وهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلاَمِ، ووَلاَئِجُ الاعْتِصَامِ.

بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلى نِصَابِه، وانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِه، وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِه.

قَدْ خَلَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ سَابِقَةٌ، ومَضى فِيهِمْ مِنَ اللهِ - تعالى - حُكْمٌ صَادِقٌ، وفي ذَلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ.

فَاعْقِلُوا الدِّينَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ وِعَايَةٍ ورِعَايَةٍ، ولاَ تَعْقِلُوهُ عَقْلَ سَمَاعٍ ورِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، ورُعَاتَهُ قَلِيلٌ، [وَ] كَثْرَةُ الْعِلْمِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ مَادَّةُ الذُّنُوبِ.

واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

خطبة له عليه السلام (٢٣)

لمّا ذكرت الخلافة عنده وتقدّم من تقدّم عليه

فتنفّس عليه السّلام الصعداء ثم قال:

أمَا، واللّه، لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أبي قُحَافَةَ، وإنَّهُ لَيَعْلَمُ أنَّ مَحَلّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحى، يَنْحَدِرُ عَنّي السَّيْلُ، ولا يَرْقى إلَيَّ الطَّيْرُ.

فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً.

وطَفِقْتُ بُرْهَةً أرْتَئي بَيْنَ أنْ أصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أوأصْبِرَ عَلى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الْكَبيرُ، ويَشيبُ فيهَا الصَّغيرُ، ويَكْدَحُ فيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ رَبَّهُ.

فَرَأيْتُ أنَّ الصَّبْرَ عَلى هاتَا أحْجى، فَصَبَرْتُ وفي الْعَيْنِ قَذىً، وفي الْحَلْقِ شَجاً، لَمَّا أرى تُرَاثي نَهْباً.

حَتَّى مَضَى الأوَّلُ لسَبيلِه فَأدْلى بِهَا إلى فُلانٍ بَعْدَهُ.

ثم تمثّل عليه السلام بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمي عَلى كُورِهَا ... ويَوْمُ حَيَّانَ أخي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً، بَيْنَا هُوَيَسْتَقيلُهَا في حَيَاتِه، إذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِه.

لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا.

فَصَيَّرَهَا، واللّه، في حَوْزَةِ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، ويَخْشُنُ مَسُّهَا، ويَكْثُرُ الْعِثَارُ فيهَا، ويَقِلُّ الاعْتِذَارُ مِنْهَا.

فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إنْ أشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وإنْ أسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ.

فَمُنِيَ النَّاسُ فيهَا، لَعَمْرُ اللَّه، بِخَبْطٍ وشِمَاسٍ، وتَلَوُّنٍ واعْتِرَاضٍ.

فَصَبَرْتُ عَلى طُولِ الْمُدَّة، وشِدَّة الْمِحْنَة.

حَتَّى إِذَا مَضى لِسَبِيلِه جَعَلَهَا شُورى فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ.

فَيَا لِلَّه لَهُمْ وَلِلشُّورى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ الآنَ أُقْرَنُ إِلى هذه النَّظَائِر.

لكِنِّي أَسْفَفْتُ مَعَ الْقَوْمِ إِذْ أَسَفُّوا، وطِرْتُ مَعَهُمْ إِذْ طَارُوا.

فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه، ومَالَ الآخَرُ لِصِهْرِه، مَعَ هَنٍ وهَنٍ.

إِلى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْه، بَيْنَ نَثِيلِه ومُعْتَلَفِه، وقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيه يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّه - تعالى - خَضْمَ الإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ.

إِلى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْه فَتْلُهُ، وأَجْهَزَ عَلَيْه عَمَلُهُ، وكَبَتْ بِه بِطْنَتُهُ

فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ والنَّاسُ إِرْسَالَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ وَجْه [وَ] جَانِبٍ يَسْأَلُونِيَ الْبَيْعَةَ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وشَقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ.

فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، ومَرَقَتْ أُخْرى، وفَسَقَتْ شِرْذِمَةٌ وقَسَطَ آخَرُونَ.

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - يَقُولُ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ولا فَساداً والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

بَلى، واللَّه، لَقَدْ سَمِعُوهَا، ووَعَوْهَا، ولكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا، وأَعْجَبَهُمْ رَوْنَقُهَا

أَمَا والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَولا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، ومَا أَخَذَ اللهُ - تعالى - عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لا يُقَارُّوا عَلى كِظَّةِ ظَالِمٍ، ولا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلى غَارِبِهَا، ولَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، ولأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ تَيْسٍ.

فلمّا وصل عليه السلام إلى هذا الموضع من مقاله قام إليه رجل من أهل السواد فناوله كتابا، فقطع عليه السلام كلامه وأقبل ينظر فيه.

فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس رحمه اللّه: يا أمير المؤمنين، لواطّردت مقالتك من حيث أفضيت.

فقال عليه السلام: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عبّاسٍ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ.

قال ابن عباس: فواللّه ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على ذلك الكلام، أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

خطبة له عليه السلام (٢٤)

فيمن يتصدّى للحكم بين الأمّة وليس لذلك أهل

وفيها يصف زمان الجور

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه، والصَّلاةُ عَلى نَبِيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله.

أَمَّا بَعْدُ، فَمُتِّي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ، وأَنَا بِه زَعِيمٌ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْه مِنَ الْمَثُلات حَجَزَتْهُ التَّقْوى عَنِ التَّقَحُّمِ فِي الشُّبُهَات، وإِنَّ مَنْ فَارَقَ التَّقْوى أُغْرِيَ بِاللَّذَّات والشَّهَوَات، ووَقَعَ فِي السَّيِّئَات، ولَزِمَهُ كَثِيرُ التَّبِعَات.

وإِنَّهُ يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوى سِنْخُ أَصْلٍ، ولا يَظْمَأُ عَلَى الْهُدى رَعْيُ قَوْمٍ.

فَاتَّقى عَبْدٌ رَبَّهُ، نَصَحَ نَفْسَهُ، وقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، والشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِه، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، ويُمَنِّيه التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْه أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا.

ألا أدلّكم على الفقيه كلّ الفقيه

الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيه مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّه، ولَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّه ولَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّه، ولَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّه ولا يُنْزِلُ الْعَارِفِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْجَنَّةَ، ولا يُنْزِلُ الْعَاصِينَ الْمُوَحِّدِينَ النَّارَ، حَتَّى يَكُونَ الرَّبُّ - عَزَّ وجَلَّ - هُوالَّذي يَقْضِي بَيْنَهُمْ، ويَأْمَنَّ عَلى خَيْرِ هذه الأُمَّة مِنْ عَذَابِ اللَّه لِقَوْلِه - سُبْحَانَهُ وتعالى -: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ

الْخاسِرُونَ﴾ ولاَ يَيْأَسَنَّ لشَرِّ هذه الأُمَّة مِنْ رَوْحِ اللَّه لقَوْله - سُبْحَانَهُ وتعالى -: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾ ولاَ يَدَعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إلى غَيْرِه.

أَلاَ إِنَّهُ لا خَيْرَ في عِبَادَةٍ لا عِلْمَ فِيهَا، ولا خَيْرَ في عِلْمٍ لا فَهْمَ فيه، ولا خَيْرَ في قِرَاءَةٍ لا تَدَبُّرَ فيهَا.

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَة نَادى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاء: أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنَ الله - تعالى - مَجْلِساً أَشَدُّكُمْ لَهُ خَوْفاً، وإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا، وإِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَهُ نَصِيباً أَعْظَمُكُمْ فِيمَا عِنْدَهُ رَغْبَةً.

ثُمَّ يَقُولُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿لا أَجْمَعُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ خِزْيَ الدُّنْيَا وخِزْيَ الآخِرَةِ﴾.

فَيَأْمُرُ لَهُمْ بِكَرَاسِيَ فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، وأَقْبَلَ عَلَيْهِمُ الْجَبَّارُ بِوَجْهِهِ وهُوَرَاضٍ عَنْهُمْ، وقَدْ أَحْسَنَ ثَوَابَهُمْ.

أَلا وإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِيمَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ ذَرَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا في دَهْرٍ عَنُود، وزَمَنٍ كَنُود، يُعَدُّ فيه الْمُحْسِنُ مُسيئاً.

ويَزْدَادُ الظَّالِمُ فيه عُتُوّاً، لا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، ولا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، ولا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحِلَّ بِنَا.

فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَة أَصْنَاف: مِنْهُمْ مَنْ لا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَهَانَةُ نَفْسِه، وكَلالَةُ حَدِّه، ونَضِيضُ وَفْرِه.

ومِنْهُمُ الْمُصْلِتُ بِسَيْفِه، والْمُعْلِنُ بِشَرِّه، والْمُجْلِبُ بِخَيْلِه ورَجِله.

قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وأَوْبَقَ دِينَهُ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أَومِقْنَبٍ يَقُودُهُ، أَومِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ.

ولَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، ومِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّه عِوَضاً.

ومِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَة، ولا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا.

قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِه، وقَارَبَ مِنْ خَطْوِه، وشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِه، وزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِه

لِلأَمَانَة، واتَّخَذَ سِتْرَ الله - تعالى - ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَة.

ومِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِه، وانْقِطَاعُ سَبَبِه، فَقَصَّرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِه، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَة، وتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَة. ولَيْسَ مِنْ ذَلِكَ في مَرَاحٍ ولا مَغْدى.

وبَقِيَ رِجَالٌ غُضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ.

فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ، وخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، ودَاعٍ مُخْلِصٍ، وثَكْلانَ مُوجَعٍ.

قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ، وشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ.

فَهُمْ في بَحْرٍ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ، وقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ.

قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مُلُّوا، وقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا.

واعْلَمُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، أَنَّكُمْ في زَمَانٍ الْقَائِلُ فيه بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، واللِّسَانُ فيه عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، واللاَّزِمُ فيه لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ.

أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَان، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الادْهَان.

فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ، [وجَاهِلُهُمْ] مُسَوِّفٌ مُزْدَادٌ.

لا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، ولا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِه، فَإِنَّ الْعِلْمَ الَّذي هَبَطَ به آدَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّمَاء، وجَمِيعُ مَا فُضِّلَ بِهِ النَّبِيُّونَ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، في عِتْرَةِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله.

فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ، بَلْ أَيْنَ تَذْهَبُونَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ.

يَا مَنْ نُسِخَ مِنْ أَصْلابِ أَصْحَابِ السَّفِينَة، هذه مِثْلُهَا فيكُمْ فَارْكَبُوهَا، فَكَمَا نَجَا في هَاتِيكَ مَنْ نَجَا فَكَذَلِكَ يَنْجُو في هذِهِ مَنْ يَدْخُلُهَا.

والْوَيْلُ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ، ثُمَّ الْوَيْلُ لِمَنْ تَخَلَّفَ.

أنَا رَهينٌ بِذَلِكَ، قَسَماً حَقّاً، ومَا أنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفينَ.

إنّي فيكُمْ كَالْكَهْفِ لأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وإنّي فيكُمْ كَبَابِ حِطَّةٍ، وهُوبَابُ السَّلاَمِ، مَنْ دَخَلَهُ سَلِمَ ونَجَا، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ هَلَكَ.

أمَا بَلَغَكُمْ مَا قَالَ فيهِمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله في حَجَّةِ الْوِدَاعِ: (إنّي تَارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدي: كِتَابَ اللَّهِ وعِتْرَتي أهْلَ بَيْتي، وإنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُوني فيهِمَا).

حُجَّةٌ في ذي الْحِجَّةِ في حَجَّةِ الْوِدَاعِ.

ألا هذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ فَاشْرَبُوا، وهذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ فَاجْتَنِبُوا.

ألا وإنَّ أبْغَضَ الْخَلائِقِ إلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وتعالى - رَجُلاَنِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إلى نَفْسِهِ، فَهُوجَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ولاَ دَلِيلٍ، مَشْغُوفٌ بِكَلاَمِ بِدْعَةٍ، ودُعَاءِ ضَلاَلَةٍ، فَهُوفِتْنَةٌ لِمَنِ افْتُتِنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هُدَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ في حَيَاتِهِ وبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالُ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ.

ورَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا، مُوضِعٌ في جُهَّالِ الأُمَّةِ، غَادٍ في أغْبَاشِ الْفِتْنَةِ، عَمٍ بِمَا في عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ لَهِجَ فيهَا بِالصَّوْمِ والصَّلاَةِ، قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ عَالِماً مُنْسَلِخاً، وقَدْ سَمَّاهُ أشْبَاهُهُ مِنْ رَعَاعِ النَّاسِ عَالِماً ولَيْسَ بِهِ.

بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ ممَّا كَثُرَ.

حَتَّى اذَا مَا ارْتَوى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ، واكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً، ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلى غَيْرِهِ.

فَإنْ نَزَلَتْ بِهِ إحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثّاً مِنْ رَأيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ.

فَهُومِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ في مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ، إذَا مَرَّتْ بِهِ النَّارُ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا.

إنْ خَالَفَ قَاضِياً سَبَقَهُ لَمْ يَأْمَنْ يَنْقُضَ حُكْمَهُ مَنْ يَأْتي بَعْدَهُ، كَفِعْلِهِ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ.

لا يَعْلَمُ إِذَا أَخْطَأَ، لأَنَّهُ لا يَدْري أَنَّهُ أَصَابَ الْحَقَّ أَمْ أَخْطَأَ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ.

فَهُوجَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَلات، عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَات.

لاَ يَعْتَذِرُ مِمَّا لا يَعْلَمُ فَيَسْلَمُ، ولَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ فَيَغْنَمُ.

يَذْرُوالرِّوَايَاتِ ذَرْوالرِّيحِ الْهَشِيمِ.

لا مَلِيٌّ، واللَّه، بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، ولا هُوأَهْلٌ لِمَا قُرِّظَ بِهِ، ولا يَنْدَمُ عَلى مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنِ ادِّعَائِهِ عِلْمَ الْحَقِّ.

لا يَحْسِبُ الْعِلْمَ في شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، ولا يَرى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِنْهُ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ.

وإِنْ قَاسَ شَيْئاً بِشَيْءٍ لَمْ يُكَذِّبْ رَأْيَهُ.

وإِنْ خَالَفَ قَاضِياً سَبَقَهُ لَمْ يَأْمَنْ مِنْ صِحَّتِهِ حِينَ خَالَفَهُ.

وإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، ولِكَيْلا يُقَالَ: إِنَّهُ لا يَعْلَمُ.

ثُمَّ أَقْدَمَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، ثُمَّ جَسَرَ فَقَضى.

تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وتَعِجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ، وتُوَلْوِلُ مِنْهُ الْفُتْيَا.

ويُسْتَحَلُّ بِقَضَائِهِ الْفَرْجُ الْحَرَامُ، ويُحَرَّمُ بِمَرْضَاتِهِ الْفَرْجُ الْحَلالُ، ويُؤْخَذُ الْمَالُ مِنْ أَهْلِهِ، فَيُدْفَعُ إِلى غَيْرِ أَهْلِهِ.

أُولئِكَ الَّذِينَ حَلَّتْ عَلَيْهِمُ النِّيَاحَةُ وهُمْ أَحْيَاءٌ.

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ، إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلامَةً بِهَا يُشْهَدُ لَهُ وعَلَيْهِ.

فَلِلدِّينِ ثَلاثُ عَلامَاتٍ: الإِيمَانُ بِاللهِ - عَزَّ وجَلَّ - وبِكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ.

وِلِلْعَالِمِ ثَلاثُ عَلامَاتٍ: الْعِلْمُ بِاللهِ - عَزَّ وجَلَّ -، وبِمَا يُحِبُّ، وبِمَا يَكْرَهُ.

وِلِلْعَامِلِ ثَلاثُ عَلامَاتٍ: الصَّلاةُ، والزَّكَاةُ، والصَّوْمُ.

وِلِلْمُؤْمِنِ ثَلاثُ عَلامَاتٍ: الصِّدْقُ، والْيَقِينُ، وقِصَرُ الأَمَلِ.

وِلِلْمُتَّقِي ثَلاثُ عَلامَاتٍ: إِخْلاصُ الْعَمَلِ، وقِصَرُ الأَمَلِ، واغْتِنَامِ الْمَهَلِ.

وللظَّالِمِ ثلاثُ علامَات: يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بالْمَعْصِيَةِ، ومَنْ دُونَهُ بالْغَلَبَة، ويُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَة.

وللْمُنَافِقِ ثلاثُ علامَات: يُخَالِفُ لسَانُهُ قَلْبَهُ، وقَوْلُهُ فعْلَهُ، وسَرِيرَتُهُ عَلانِيَتَهُ.

وللْمُرَائِي ثلاثُ علامَات: يَكْسَلُ إذَا كَانَ وَحْدَهُ، ويَنْشَطُ إذَا كَانَ مَعَ غَيْرِهِ، ويَحْرَصُ على كُلِّ أمْرٍ يَعْلَمُ فيه الْمِدْحَةَ.

وللْحَاسِدِ ثلاثُ علامَات: يَغْتَابُ إذَا غَابَ، ويَتَقَرَّبُ إذَا شَهِدَ، ويَشْمَتُ بالْمُصِيبَة.

وللْكَسْلانِ ثلاثُ علامَات: يَتَوَانَى حَتَّى يُفْرِطَ، ويُفْرِطُ حَتَّى يُضَيِّعَ، ويُضَيِّعُ حَتَّى يَأْثَمَ.

وللْغَافِلِ ثلاثُ علامَات: اللَّهْوُ، والسَّهْوُ، والنِّسْيَانُ.

وللْمُسْرِفِ ثلاثُ علامَات: يَأْكُلُ مَا لَيْسَ لَهُ، ويَشْرَبُ مَا لَيْسَ لَهُ، ويَلْبَسُ مَا لَيْسَ لَهُ.

وللْمُتَكَلِّفِ ثلاثُ علامَات: يُنَازِعُ مَنْ فَوْقَهُ بالْغَلَبَة، ويَقُولُ مَا لا يَعْلَمُ، ويَتَعَاطَى مَا لا يُنَالُ.

وإنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ بالتَّكَلُّف، فَلاَ يَتَكَلَّفْ رَجُلٌ مِنْكُمْ أنْ يَتَكَلَّمَ في دِينِ اللَّه بِمَا لاَ يَعْلَمُ، فَإنَّ الله - عَزَّ وجَلَّ - يَعْذُرُ عَلَى الْخَطَأ إنْ أجْهَدْتَ رَأْيَكَ.

إلَى اللَّه أشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا ويَمُوتُونَ ضُلاَّلًا.

لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أبْوَرَ مِنَ كِتَابِ اللَّه إذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِه، ولا سِلْعَةٌ أنْفَقَ بَيْعاً، ولا أغْلَى ثَمَناً، مِنْهُ إذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِه، ولا عِنْدَهُمْ أنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ولا أعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ.

إتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لأمْرِهِمْ مِلاكاً، واتَّخَذَهُمْ لَهُ أشْرَاكاً، فَبَاضَ وفَرَّخَ في صُدُورِهِمْ، ودَبَّ ودَرَجَ في حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بأعْيُنِهِمْ، ونَطَقَ بألْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ في سُلْطَانِه، ونَطَقَ بالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِه.

تَرِدُ عَلى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ في حُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فيهَا بِرَأْيِهِ.

ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فيهَا بِخِلافِهِ.

ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ إِمَامِهِمُ الَّذي اسْتَقْضَاهُمْ، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ، ونَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ، وكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ.

أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى - بِالاخْتِلافِ فَأَطَاعُوهُ، أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ.

أَمْ أَنْزَلَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - ديناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلى إِتْمَامِهِ.

أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وعَلَيْهِ أَنْ يَرْضى.

أَمْ أَنْزَلَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى - ديناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وأَدَائِهِ.

واللهُ - سُبْحَانَهُ - يَقُولُ -: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وقَالَ -: ﴿فيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وأَنَّهُ لا اخْتِلافَ فِيهِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ولَوكانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾.

فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، فمن نسأل بعدك، وعلى من نعتمد.

فقال عليه السّلام: إِسْتَفْتِحُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ مُشْفِقٌ، وهَادٍ مُرْشِدٌ، ووَاعِظٌ نَاصِحٌ، ودَلِيلٌ يُؤَدِّي إِلى جَنَّةِ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ -.

وإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، ذُو حَلاوَةٍ ومَرَارَةٍ.

فَمَنْ طَهُرَ بَاطِنُهُ رَأَى عَجَائِبَ مَنَاظِرِهِ فِي مَوَارِدِهِ ومَصَادِرِهِ.

ومَنْ فَطِنَ لِمَا بَطَنَ، رَأَى مَكْنُونَ الْفِطَنِ، [وَ] مَكْتُومَ الْفِتَنِ، وعَجَائِبَ الأَمْثَالِ والسُّنَنِ.

لا تَفْنى عَجَائِبُهُ، ولا تَنْقَضي غَرَائِبُهُ.

فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، ومَصَابِيحُ الظُّلَمِ.

لا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إلاَّ بِمَفَاتيحِه، ولا تُكْشَفُ الظُّلَمَاتُ إلاَّ بِمَصَابيحِه، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وبَاطِنِ حُكْمٍ.

قَدْ أَحْمى حِمَاهُ، وأَرْعى مَرْعَاهُ.

فيه شِفَاءُ الْمُشْتَفي، وكِفَايَةُ الْمُكْتَفي.

فيه تَفْصيلٌ وتَوْصيلٌ، وبَيَانُ الإِسْمَيْنِ الأَعْلَيَيْنِ، الَّذَيْنِ جُمِعَا فَاجْتَمَعَا، ولا يَصْلُحَانِ إلاَّ مَعاً.

يُسَمَّيَانِ ويُوصَلانِ فَيَجْتَمِعَانِ.

تَمَامُهُمَا في تَمَامِ أَحَدِهِمَا.

حَوَالَيْهِمَا نُجُومٌ، وعَلى نُجُومِهِمَا نُجُومٌ.

وإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ - لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وسَبَبُهُ الأَمِينُ، وفيه رَبِيعُ الْقَلْبِ، ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ، ومَا لِلْقَلْبِ جِلاءٌ غَيْرُهُ.

مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ مِنْكُمُ الْمُتَذَكِّرُونَ، وبَقِيَ النَّاسُونَ والْمُتَنَاسُونَ.

فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ.

أَلا إِنَّ هذِهِ الأُمَّةَ لا بُدَّ مُفْتَرِقَةٌ كَمَا افْتَرَقَتِ الأُمَمُ قَبْلَهَا، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا هُوَ كَائِنٌ.

أَلا وإِنَّ هذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلى ثَلاثٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةً، شَرُّهَا فِرْقَةٌ تَنْتَحِلُنِي ولاَ تَعْمَلُ بِعَمَلِي.

فَقَدْ أَدْرَكْتُمْ ورَأَيْتُمْ، فَالْزَمُوا دِينَكُمْ، واهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، واتَّبِعُوا سُنَّتَهُ، واعْرِضُوا مَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ عَلَى الْقُرْآنِ، فَمَا عَرَفَهُ الْقُرْآنُ فَالْزَمُوهُ، ومَا أَنْكَرَهُ فَرُدُّوهُ.

وارْضُوا بِالله - عَزَّ وجَلَّ - رَبّاً، وبِالإِسْلامِ ديناً، وبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ نَبِيّاً، وبِالْقُرْآنِ حَكَماً وإِمَاماً.

[أَيُّهَا النَّاسُ،] عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، والنُّورُ الْمُبِينُ، والذِّكْرُ الْحَكِيمُ والصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، والشِّفَاءُ النَّافِعُ، والرَّيُّ النَّاقِعُ، والْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، والنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ: لا يَعْوَجُّ فَيُقَامُ، ولا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، ولا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، ووُلُوجُ السَّمْعِ.

مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، ومَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

واعْلَمُوا أَنَّ هذَا الْقُرْآنَ هُوالنَّاصِحُ الَّذي لا يَغُشُّ، والْهَادِي الَّذي لا يُضِلُّ، والْمُحَدِّثُ الَّذي لا يَكْذِبُ.

ومَا جَالَسَ هذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَونُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ في هُدىً، أَونُقْصَانٍ مِنْ عَمىً.

واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، ولا لأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنىً.

فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، واسْتَعِينُوا بِهِ عَلى لأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ الشِّفَاءُ مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وهُوالْكُفْرُ والنِّفَاقُ، والْغَيُّ والضَّلالُ.

فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، ولا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى الله - تعالى - بِمِثْلِه.

واعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وقَائِلٌ مُصَدَّقٌ.

وأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، ومَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ.

فَإِنَّهُ يُنَادي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: (أَلا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلىً في حَرْثِهِ وعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ).

فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وأَتْبَاعِهِ، واسْتَدِلُّوهُ عَلى رَبِّكُمْ، واسْتَنْصِحُوهُ عَلى أَنْفُسِكُمْ، واتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، واسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ، حَدَّ اللَّهُ فيه الْحُدُودَ، وسَنَّ فيه السُّنَنَ، وضَرَبَ فيه الأَمْثَالَ، وشَرَعَ فيه الدِّينَ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَأْتُونَ ومَا يَتَّقُونَ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، ويَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ.

أَعْدَلَهُ أَمْرَ نَفْسه، وجَعَلَهُ حُجَّةَ الله - تعالى - عَلى خَلْقه.

أَخَذَ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ مِيثَاقَهُ، وارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ.

أَتَمَّ بِه نُورَهُ، وأَكْرَمَ بِه دِينَهُ، وقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ وقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدى به.

فَعَظِّمُوا مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسه، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِه، ولَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلاَّ وجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً، وآيَةً مُحْكَمَةً، تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْه، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ.

واعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، ولَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ.

[فَـ] انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّه، واتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّه، واقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّه، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وأَخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ ومَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هذه وتَجْتَنِبُوا هذه.

فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِه، وإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ.

واعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ الله - سُبْحَانَهُ - شَيْءٌ إِلاَّ يَأْتِي فِي كُرْهٍ، ومَا مِنْ مَعْصِيَةِ الله - سُبْحَانَهُ - شَيْءٌ إِلاَّ يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ.

فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِه، وقَمَعَ هَوى نَفْسِه، فَإِنَّ هذه النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً، وإِنَّهَا لا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلى مَعْصِيَةٍ فِي هَوى.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّه، أنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُصْبِحُ ولا يُمْسِي إلاَّ ونَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا ومُسْتَزِيداً لَهَا، فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ، والْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ.

[عِبَادَ اللَّه،] الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، والاسْتِقَامَةَ الاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، والْوَرَعَ الْوَرَعَ.

إنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إلى نِهَايَتِكُمْ، وإنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ.

وإنَّ لِلإِسْلامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إلى غَايَتِه.

واخْرُجُوا إلَى اللَّه مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حُقُوقِه، وبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِه، وأنَا شَهِيدٌ لَكُمْ، وحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

ألا وإنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، والْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ، وإنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللَّه وحُجَّتِه.

قَالَ الله - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا ولا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وقَدْ قُلْتُمْ: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، فَاسْتَقِيمُوا عَلى كِتَابِه، وعَلى مِنْهَاجِ أَمْرِه، وعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِه، ثُمَّ لا تَمْرُقُوا مِنْهَا، ولا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، ولا تُخَالِفُوا عَنْهَا، فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ إيَّاكُمْ وتَهْزِيعَ الأَخْلاقِ وتَصْرِيفَهَا، واجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً.

ولْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِه.

واللَّه مَا أَرى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ.

وإنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِه، وإنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِه.

لأَنَّ الْمُؤْمِنَ إذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِه، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وإنْ كَانَ شَرّاً وارَاهُ، وإنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلى لِسَانِه، لا يَدْرِي مَاذَا لَهُ ومَاذَا عَلَيْه.

ولَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآلِه وسَلَّمَ: (لا يَسْتَقيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقيمَ قَلْبُهُ، ولا يَسْتَقيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقيمَ لِسَانُهُ).

فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - وهُونَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمينَ وأَمْوَالِهِمْ، سَليمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّه، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، ويُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ، وأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، ولكِنَّ الْحَلالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، والْحَرَامَ مَا حَرَّمَ الله - سُبْحَانَهُ -.

فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الأُمُورَ وضَرَّسْتُمُوهَا، ووُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وضُرِبَتْ لَكُمُ الأَمْثَالُ، ودُعِيتُمْ إِلَى الأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلا يَصُمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلاَّ الأَصَمُّ، ولا يَعْمى عَنْهُ إِلاَّ الأَعْمى.

ومَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِالْبَلاءِ والتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وأَتَاهُ التَّقْصيرُ مِنْ أَمَامِه، حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، ويُنْكِرَ مَا عَرَفَ.

وإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلانِ: مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ، ومُبْتَدِعُ بِدْعَةٍ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الله - سُبْحَانَهُ - بُرْهَانُ سُنَّةٍ، ولا ضِيَاءُ حُجَّةٍ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الذُّنُوبَ ثَلاثَةٌ: فَذَنْبٌ مَغْفُورٌ، وذَنْبٌ غَيْرُ مَغْفُورٍ، وذَنْبٌ نَرْجُولِصَاحِبِه ونَخَافُ عَلَيْه.

أَمَّا الذَّنْبُ الْمَغْفُورُ، فَعَبْدٌ عَاقَبَهُ الله - تعالى - عَلى ذَنْبِهِ فِي الدُّنْيَا، فَاللَّهُ أَحْلَمُ وأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعَاقِبَ عَبْدَهُ مَرَّتَيْنِ.

وأَمَّا الذَّنْبُ الذَّي لا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهِمْ لِبَعْضٍ.

إِنَّ الله - تَبَارَكَ وتعالى - إِذَا بَرَزَ لِخَلْقِه أَقْسَمَ قَسَماً عَلى نَفْسِه فَقَالَ: (وعِزَّتي وجَلالي، لا أَجُوزُ فِي ظُلْمِ ظَالِمٍ، ولَوكَفّاً بِكَفٍّ، ولَومَسْحَةً بِمَسْحَةٍ، ولَونَطْحَةَ مَا بَيْنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ والشَّاةِ الْجَمَّاءِ).

فَيَقْتَصُّ اللَّهُ لِلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى لا يَبْقى لأَحَدٍ عَلى أَحَدٍ مَظْلَمَةٌ، ثُمَّ

يَبْعَثُهُمْ إِلَى الْحِسَاب.

وأَمَّا الذَّنْبُ الثَّالِثُ، فَذَنْبٌ سَتَرَهُ الله - تعالى - عَلى عَبْده، ورَزَقَهُ التَّوْبَةَ منْهُ، فَأَصْبَحَ خَائفاً منْ ذَنْبه، رَاجياً لربِّه، فَنَحْنُ نَرْجُولَهُ كَمَا هُولِنَفْسه، نَرْجُولَهُ الرَّحْمَةَ، ونَخَافُ عَلَيْه الْعِقَابَ.

أَلا وإِنَّ الظُّلْمَ ثَلاَثَةٌ: فَظُلْمٌ لا يُغْفَرُ، وظُلْمٌ لا يُتْرَكُ، وظُلْمٌ مَغْفُورٌ لا يُطْلَبُ.

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذي لا يُغْفَرُ، فَالشِّرْكُ باللَّه، والْعِيَاذُ باللَّه.

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى -: ﴿إِنَّ اللَّـهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾.

وقَالَ - تعالى -: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وأَمَّا الظُّلْمُ الَّذي لا يُتْرَكُ، فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، حَتَّى يُدينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

وأَمَّا الظُّلْمُ الْمَغْفُورُ الَّذي لا يُطْلَبُ، فَظُلْمُ الْعَبْد نَفْسَهُ عنْدَ بَعْضِ الْهَنَات.

[أَيُّهَا النَّاسُ،] الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَديدٌ، لَيْسَ هُوجَرْحاً بِالْمُدى، ولا ضَرْباً بِالسِّيَاط، ولَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلكَ مَعَهُ.

فَإِيَّاكُمْ والتَّلَوُّنَ في دينِ اللَّه، فَإِنَّ جَمَاعَةً فيمَا تَكْرَهُونَ منَ الْحَقِّ، خَيْرٌ منْ فُرْقَة فيمَا تُحِبُّونَ منَ الْبَاطِلِ، وإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ - لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً ممَّنْ مَضى، ولا ممَّنْ بَقى.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، طُوبى لمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاس، وتَوَاضَعَ منْ غَيْرِ مَنْقَصَة، وجَالَسَ أَهْلَ الْفقْه والْحكْمَة، وخَالَطَ أَهْلَ الذُّلِّ والْمَسْكَنَة، وأَنْفَقَ مَالًا جَمَعَهُ في غَيْرِ مَعْصيَة.

أَيُّهَا النَّاسُ، طُوبى لمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وأَكَلَ قُوتَهُ، واشْتَغَلَ بِطَاعَة ربِّه، وبَكى عَلى خَطيئَته، فَكَانَ منْ نَفْسه في شُغْل، والنَّاسُ منْهُ في رَاحَة.

أَيُّهَا النَّاسُ، طُوبى لِمَنْ ذَلَّ في نَفْسِه، وطَابَ كَسْبُهُ، وصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ، وحَسُنَتْ عَلاَنِيَتُهُ، وطَهُرَتْ خَلِيقَتُهُ، واسْتَقَامَتْ طَرِيقَتُهُ، وأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِه، وأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِه، وعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، ووَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، ولَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ.

خطبة له عليه السلام (٢٥)

المعروفة بالديباج فيها وصايا شتّى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه فَاطِرِ الْخَلْقِ، وفَالِقِ الإِصْبَاحِ، ونَاشِرِ الْمَوْتى، وبَاعِثِ مَنْ فِي الْقُبُورِ.

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وخَبَرَ الضَّمَائِرَ.

لَهُ الاحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، والْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، والْقُدْرَةُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـه إِلاَّ اللَّـهُ وَحْـدَهُ لاَ شَـرِيكَ لَـهُ، وأَنَّ مُحَمَّـداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، [وَ] أَمِينُ وَحْيِه، وخَاتَمُ رُسُلِه، وبَشِيرُ رَحْمَتِه، ونَذِيرُ نِقْمَتِه.

أَمَّـا بَعْدُ، عِبَادَ اللَّه، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّه، واعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِه الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَـى الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - الإِيمَانُ بِه وبِرَسُولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله، ومَا جَاءَ بِه مِنْ عِنْدِ اللَّـه، والْجِهَادُ في سَبِيلِه، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلاَمِ، وكَلِمَةُ الاخْلاَصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وإِقَامُ الصَّلاَةِ فَإِنَّهَـا الْمِلَّـةُ، وإِيتَـاءُ الـزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وحَجُّ الْبَيْتِ واعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا مِيقَاتٌ لِلدِّينِ، [وَ] يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، ويَرْحَضَانِ الذَّنْبَ، ويُوجِبَانِ الْجَنَّةَ.

وصِلَةُ الـرَّحِمِ فَإِنَّهَـا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، ومَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ، وتَكْثِيرٌ فِي الْعَدَدِ، ومَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ.

وصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ - تَبَارَكَ وتعالى - وصَدَقَةُ الْعَلاَنِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

ألا فَتَصَدَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ مَنْ تَصَدَّقَ، وأفيضُوا في ذِكْرِ الله - جَلَّ ذِكْرُهُ - فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وهُوَ أَمَانٌ مِنَ النِّفَاقِ، وبَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وتَذْكِرَةٌ لِصَاحِبِهِ عِنْدَ كُلِّ خَيْرٍ يَقْسِمُهُ الله - جَلَّ وعَزَّ -، ولَهُ دَوِيٌّ تَحْتَ الْعَرْشِ.

وارْغَبُوا فيمَا وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ، فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وكُلُّ مَا وَعَدَ بِهِ فَهُوآتٍ كَمَا وَعَدَ.

واقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهُدى، واسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ.

وتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ كِتَابَ الله - تَبَارَكَ وتعالى - فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وأَبْلَغُ الْمَوْعِظَةِ، وتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، واسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ، وإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

واتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي لاَ يُطْفى، والْوَجْهَ الَّذِي لاَ يَبْلى، واسْتَسْلِمُوا لأَمْرِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا مَعَ التَّسْلِيمِ.

وإِذَا هُدِيتُمْ لِعِلْمِهِ فَاعْمَلُوا بِمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لاَ يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ.

بَلْ قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وهُوَعِنْدَ الله - تعالى - أَلْوَمُ.

والْحَسْرَةُ أَلْزَمُ عَلى هذَا الْعَالِمِ الْمُنْسَلِخِ مِنْ عِلْمِهِ مِنْهَا عَلى هذَا الْجَاهِلِ الْمُتَحَيِّرِ فِي جَهْلِهِ، وكِلاَهُمَا حَائِرٌ بَائِرٌ، مُضِلٌّ مَفْتُونٌ مَثْبُورٌ، مُتَبَرٌّ مَا هُمْ فِيهِ وبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

فَاللَّهَ اللَّهَ، أَيُّهَا النَّاسُ، فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، واسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ - لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، ولَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، ولَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ ولاَ عَمىً، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ، وعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وكَتَبَ آجَالَكُمْ.

أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً، وعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ ولَكُمْ، فِيمَا أَنْزَلَ

مِنْ كِتَابِه، دِينَهُ الَّذي رَضِيَ لِنَفْسِه، وأنهى إِلَيْكُمْ عَلى لِسَانِه مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ ومَكَارِهَهُ، ونَوَاهِيَه وأَوَامِرَهُ، فَأَلْقى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ، واتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيد.

فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، واصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ في كَثِيرِ الأَيَّامِ الَّتي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ، والتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَة.

عِبَادَ اللَّه، لاَ تَرْتَابُوا فَتَشُكُّوا، ولاَ تَشُكُّوا فَتَكْفُرُوا، ولاَ تَكْفُرُوا فَتَنْدَمُوا، ولاَ تُرَخِّصُوا لأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَة فَتَهْلِكُوا، ولاَ تُدَاهِنُوا فِي الْحَقِّ، إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ وعَرَفْتُمُوهُ، فَيَهْجُمَ بِكُمُ الإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَة، فَتَخْسَرُوا خُسْرَاناً مُبِيناً.

عِبَادَ اللَّه، إِنَّ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ، وإِنَّ مِنَ الْعِصْمَةِ أَنْ لاَ تَغْتَرُّوا بِاللَّه.

عِبَادَ اللَّه، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِه أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّه، وإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِه أَعْصَاهُمْ لِرَبِّه.

عِبَادَ اللَّه، إِنَّ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ يَأْمَنْ ويَسْتَبْشِرْ، ومَنْ يَعْصِه يَخِبْ ويَنْدَمْ ولاَ يَسْلَمْ.

عِبَادَ اللَّه، سَلُوا اللَّهَ الْيَقِينَ، فَإِنَّ الْيَقِينَ رَأْسُ الدِّينِ، وارْغَبُوا إِلَيْه فِي الْعَافِيَة، فَإِنَّ أَعْظَمَ النِّعْمَةِ الْعَافِيَةُ، فَاغْتَنِمُوهَا لِلدُّنْيَا والآخِرَة، وارْغَبُوا إِلَيْه فِي التَّوْفِيقِ، فَإِنَّهُ أَسٌّ وَثِيقٌ.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّه، أَنَّ خَيْرَ مَا لَزِمَ الْقَلْبَ الْيَقِينُ، وأَحْسَنَ الْيَقِينِ التُّقى، وأَفْضَلَ أُمُورِ الْحَقِّ الْحُسْنى، وأَفْضَلَ أُمُورِ الْحُسْنى عَزَائِمُهَا، وشَرَّهَا مُحْدَثَاتُهَا، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ مُحْدِثٍ مُبْتَدِعٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، ومَنِ ابْتَدَعَ فَقَدْ ضَيَّعَ.

ومَا أَحْدَثَ مُحْدِثٌ بِدْعَةً إِلاَّ تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ.

وبِالْبِدَعِ تُهْدَمُ السُّنَنُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ كُلَّ رَاجٍ طَالِبٌ، وكُلَّ خَائِفٍ هَارِبٌ، والْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، والْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وحَسُنَ يَقِينُهُ، وأَنْفَدَ عُمْرَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّه، والسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِه، والشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وغُرُورِه.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّه، أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وأَنَّ إِخْلاَصَ الْعَمَلِ مِنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ،

والْهَوى يَقُودُ إِلَى النَّار.

وإِيَّاكُمْ ومُجَالَسَةَ أهْلِ الْهَوى فَإِنَّ [هَا] مَنْسَأةٌ للإِيمَانِ، ومَحْضَرَةٌ للشَّيْطَانِ، وتَدْعُوإِلى كُلِّ غَيٍّ.

والنَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ.

وأعْمَالُ الْعُصَاةِ تَدْعُوإِلى غَضَبِ الرَّحْمنِ، وسَخَطُ الرَّحْمنِ يَدْعُوإِلَى النَّارِ.

ومُحَادَثَةُ النِّسَاءِ تَدْعُوإِلَى الْبَلاَءِ، وتُزِيغُ الْقُلُوبَ، والرَّمَقُ لَهُنَّ يَخْطَفُ نُورَ أبْصَارِ الْقُلُوبِ، ولَمْحُ الْعُيُونِ إِلَيْهِنَّ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ.

ومُجَالَسَةُ السُّلْطَانِ تُهَيِّجُ النِّيرَانَ.

ألاَ، عِبَادَ اللَّهِ، اصْدُقُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ، وجَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ للإِيمَانِ.

ألاَ وإِنَّ الصَّادِقَ عَلى شَفَا مَنْجَاةٍ وكَرَامَةٍ، والْكَاذِبَ عَلى شُرَفِ مَهْوَاةٍ ومَهَانَةٍ.

ألاَ وقُولُوا الْحَقَّ تُعْرَفُوا بِهِ، واعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أهْلِهِ.

وأدُّوا الأَمَانَةَ إِلى مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَيْهَا.

وصِلُوا الأَرْحَامَ ولَوقَطَعُوكُمْ، وعُودُوا بِالْفَضْلِ عَلى مَنْ حَرَمَكُمْ.

وإِذَا عَاهَدْتُمْ فَأَوْفُوا.

وإِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا.

وإِذَا ظُلِمْتُمْ فَاصْبِرُوا.

وإِذَا أُسِيءَ إِلَيْكُمْ فَاعْفُوا واصْفَحُوا كَمَا تُحِبُّونَ أنْ يُعْفَى عَنْكُمْ.

ولاَ تَفَاخَرُوا بِالآبَاءِ، ولا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الأيمانِ.

ألاَ ولاَ تَمَادَحُوا ولاَ تَمَازَحُوا، ولاَ تَمَارَوْا، ولاَ تَغَاضَبُوا، ولاَ تَبَاذَخُوا، ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتاً.

ولاَ تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ.

ولاَ تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ.

أَفْشُوا السَّلاَمَ فِي الْعَالَمِ، ورُدُّوا التَّحِيَّةَ عَلى أَهْلِهَا بِمِثْلِهَا أوبِأَحْسَنِ مِنْهَا.

وارْحَمُوا الأَرْمَلَةَ والْيَتِيمَ، والضَّعِيفَ والْمِسْكِينَ والْمَظْلُومَ.

وأعِينُوا الْغَارِمِينَ، وفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وابْنَ السَّبِيلِ، والسَّائِلِينَ، وفِي الرِّقَابِ، والْمُكَاتِبِ.

وانْصُرُوا الْمَظْلُومَ، وأَعْطُوا الْمَفْرُوضَ، وجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

واقْرُوا الضَّيْفَ، وأَحْسِنُوا إِلَى الْجَارِ، وعُودُوا الْمَرْضى، وشَيِّعُوا الْجَنَائِزَ، وكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً.

وأَحْسِنُوا الْوُضُوءَ، وحَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي أَوْقَاتِهَا، فَإِنَّهَا مِنَ اللهِ - جَلَّ وعَزَّ - بِمَكَانٍ، ومَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ.

وتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوى ولا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوانِ.

واتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، ويُنْسِي الذِّكْرَ، ويُكْذِبُ الْوَعْدَ، ويَحُثُّ عَلَى الْغَفْلَةِ، ويُورِثُ الْحَسْرَةَ، فَأَكْذِبُوا الأَمَلَ ولاَ تَثِقُوا بِهِ، فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ مُرُوءَةً، [وَ] وَثِيقَةَ دِينٍ، وسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلاَ يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ النَّاسِ، ومَنْ حَسُنَتْ عَلاَنِيَتُهُ فَنَحْنُ لِسَرِيرَتِهِ أَرْجى.

أَلاَ لاَ يَرُدَّنَّ يَقِينَكُمْ شَكّاً، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وتُخْطِئُ السِّهَامُ، ويُحِيلُ الْكَلاَمُ عَلَى طَرِيقِ الشَّنَآنِ، وبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ، واللَّهُ سَمِيعٌ وشَهِيدٌ.

أَمَا وإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فسئل عن معنى قوله هذا.

فجمع عليه السلام بين أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ

سَمِعْتُ بِأُذُني، والْحَقُّ أنْ تَقُولَ رَأَيْتُ بِعَيْني.

[وَ] لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الأَبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا، ولاَ يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ.

[ثم قال:] يَا عَبْدَ اللَّه، لاَ تَعْجَلْ في عَيْبِ أحَدٍ بِذَنْبِه، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ.

ولاَ تَأْمَنْ عَلى نَفْسِكَ صَغيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْه.

فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِه لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِه، ولْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلى مُعَافَاتِه مِمَّا ابْتُلِيَ بِه غَيْرُهُ.

وإِنَّمَا يَنْبَغي لأَهْلِ الْعِصْمَةِ، والْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلاَمَةِ، أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ والْمَعْصِيَةِ، ويَكُونَ الشُّكْرُ عَلى مُعَافَاتِهِمْ هُوَالْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، والْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذي عَابَ أَخَاهُ، وعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ.

أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللَّه عَلَيْه مِنْ ذُنُوبِه مَا هُوَأَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذي عَابَهُ بِه.

وكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِه فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَأَعْظَمُ مِنْهُ.

وأَيْمُ اللَّه، لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجُرْأَتُهُ عَلى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ.

أَقُولُ قَوْلي وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لي ولَكُمْ.

خطبة له عليه السلام (٢٦)

خطبها ارتجالاً خالية من النُقط

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه أهْلِ الْحَمْدِ ومَأْوَاهُ، ولَهُ أوْكَدُ الْحَمْدِ وأحْلاَهُ، وأسْرَعُ الْحَمْدِ وأسْرَاهُ، وأطْهَرُ الْحَمْدِ وأسْمَاهُ، وأكْرَمُ الْحَمْدِ وأوْلاَهُ.

الْوَاحِدِ الأحَدِ الصَّمَدِ، لاَ وَالِدَ لَهُ ولاَ وَلَدَ.

سَلَّطَ الْمُلُوكَ وأعْدَاهَا، وأهْلَكَ الْعُدَاةَ وأدْحَاهَا، وأوْصَلَ الْمَكَارِمَ وأسْرَاهَا.

وسَمَكَ السَّمَاءَ وعَلاَّهَا، وسَطَحَ الْمِهَادَ وطَحَاهَا، ووَطَّدَهَا ودَحَاهَا، ومَدَّهَا وسَوَّاهَا، ومَهَّدَهَا ووَطَّاهَا، وأعْطَاكُمْ مَاءَهَا ومَرْعَاهَا، وأحْكَمَ عَدَّ الأُمَمِ وأحْصَاهَا، وعَدَّلَ الأعْلاَمَ وأرْسَاهَا.

ألاَ لَهُ الأوَّلُ لاَ مُعَادِلَ لَهُ، ولاَ رَادَّ لحُكْمِه.

لاَ إلهَ إلاَّ هُوالْمَلِكُ السَّلاَمُ الْمُصَوِّرُ الْعَلاَّمُ، الْحَاكِمُ، الْوَدُودُ، الْمُطَهِّرُ، الطَّاهِرُ، الْمَحْمُودُ أمْرُهُ، الْمَعْمُورُ حَرَمُهُ، الْمَأمُولُ كَرَمُهُ.

عَلَّمَكُمْ كَلاَمَهُ، وأرَاكُمْ أعْلاَمَهُ، وحَصَّلَ لَكُمْ أحْكَامَهُ، وحَلَّلَ حَلاَلَهُ، وحَرَّمَ حَرَامَهُ.

وحَمَّلَ مُحَمَّداً الرِّسَالَةَ، رَسُولَهُ الْمُكَرَّمَ، الْمُسَوَّدَ الْمُسَدَّد، الطُّهْرَ الْمُطَهَّرَ.

أسْعَدَ اللَّهُ الأُمَّةَ لعُلُومَحَلِّه، وسُمُوسُؤْدَده، وسَدَاد أمْرِه، وكَمَال مُرَادِه.

أطْهَرُ وُلْدِ آدَمَ مَوْلُوداً، وأسْطَعُهُمْ سُعُوداً، وأطْوَلُهُمْ عَمُوداً، وأرْوَاهُمْ عُوداً،

وأصَحُّهُمْ عُهُوداً، وأكْرَمُهُمْ مُرْداً وكُهُولًا.

صَلاَةُ اللَّـه لَهُ ولآله الأطْهَارِ، مُسَلَّمَةً ومُكَرَّرَةً مَعْدُودَةً، ولآلِ وُدِّهِمُ الْكِرَامِ مُحَصَّلَةً مُرَدَّدَةً، مَا دَامَ لِلسَّمَاءِ أمْرٌ مَرْسُومٌ، وحَدٌّ مَعْلُومٌ.

أرْسَلَهُ رَحْمَـةً لَكُمْ، وطَهَارَةً لأعْمَالِكُمْ، وهُدُوءِ دَارِكُمْ، ودُحُورِ عَارِكُمْ، وصَلاَحِ أحْوَالِكُمْ، وطَاعَةً للَّه ورُسُله، وعِصْمَةً لَكُمْ ورَحْمَةً.

إسْمَعُوا لَهُ، ورَاعُوا أمْرَهُ، وحَلِّلُوا مَا حَلَّلَ، وحَرِّمُوا مَا حَرَّمَ.

واعْمَـدُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، لِدَوَامِ الْعَمَلِ، واذْحَرُوا الْحِرْصَ واعْدِمُوا الْكَسَلَ، وأذْرُوا السَّلاَمَةَ، وحِرَاسَةَ الْمُلْك ورَوْعَهَا، وهَلَعَ الصُّدُورِ وحُلُولَ كَلِّهَا وهَمِّهَا.

هَلَكَ، واللَّه، أهْلُ الإصْرَارِ، ومَا وَلَدَ وَالِدٌ للإسْرَارِ.

كَمْ مُؤَمِّلٍ أمَّلَ مَا أهْلَكَهُ، وكَمْ مَالٍ وسِلاَحٍ أُعِدَّ صَارَ لِلأَعْدَاءِ عَدَّهُ وعَمَدَهُ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ودَوَامُهُ، والْمُلْكُ وكَمَالُهُ.

لاَ إِلـهَ إلاَّ هُـوَ، وَسِعَ كُـلَّ حِلْـمٍ حِلْمُـهُ، وسَدَّدَ كُلَّ حُكْمٍ حُكْمُهُ، وحَذَرَ كُلَّ عِلْمٍ عِلْمُهُ.

عَصَـمَكُمْ ولَوَّاكُـمْ، ودَوَامَ السَّلاَمَةِ أوْلاَكُمْ، وللطَّاعَةِ سَدَّدَكُمْ، وِلِلإسْلاَمِ هَدَاكُمْ، ورَحِمَكُمْ وسَمِعَ دُعَاءَكُمْ، وطَهَّرَ أعْمَالَكُمْ، وأصْلَحَ أحْوَالَكُمْ.

وأسْأَلُهُ لَكُمْ دَوَامَ السَّلاَمَةِ، وكَمَالَ السَّعَادَةِ، والآلاَءَ الدَّارَّةِ، والأحْوَالَ السَّارَّةِ.

والْحَمْدُ للَّه وَحْدَهُ.

خطبة له عليه السلام (٢٧)

خطبها ايضا ارتجالا خالية من النقط وهي خطبة نكاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّهِ الْمَلِكِ الْمَحْمُودِ، والْمَالِكِ الْوَدُودِ، مُصَوِّرِ كُلِّ مَوْلُودٍ، ومَآلِ كُلِّ مَطْرُودٍ.

سَاطِحِ الْمِهَادِ، ومُوَطِّدِ الأَوْطَادِ، ومُرْسِلِ الأَمْطَارِ، ومُسَهِّلِ الأَوْطَارِ.

عَالِمِ الأَسْرَارِ ومُدْرِكِهَا، ومُدَمِّرِ الأَمْلاَكِ ومُهْلِكِهَا، ومُكَوِّرِ الدُّهُورِ ومُكَرِّرِهَا، ومُورِدِ الأُمُورِ ومُصْدِرِهَا.

عَمَّ سَمَاحُهُ وكَمُلَ رُكَامُهُ وهَمَلَ، وطَاوَعَ السُّؤَالَ والأَمَلَ، وأَوْسَعَ الرَّمْلَ وأَرْمَلَ.

أَحْمَدُهُ حَمْداً مَمْدُوداً وأُوَحِّدُهُ كَمَا وَحَّدَ الأَوَّاهُ.

وهُواللَّهُ لاَ إِلهَ للأُمَمِ سُوَاهُ، ولاَ صَادِعَ لِمَا عَدَّلَهُ وسَوَّاهُ.

أَرْسَلَ مُحَمَّداً عَلَماً للإِسْلاَمِ، وإِمَاماً لِلْحُكَّامِ، ومُسَدِّداً لِلرَّعَاعِ، ومُعَطِّلَ أَحْكَامِ رَدِّ وسُوَاعٍ، عُلِّمَ وعَلَّمَ، وحَكَمَ وأَحْكَمَ.

أَصَّلَ الأُصُولَ ومَهَّدَ، وأَكَّدَ الْمَوْعُودَ وأَوْعَدَ.

أَوْصَلَ اللَّهُ لَهُ الإِكْرَامَ، وأَوْدَعَ رُوحَهُ [دَارَ] السَّلاَمَ، ورَحِمَ آلَهُ وأَهْلَهُ الْكِرَامَ، مَا لَمَعَ رَائِلٌ، ومَلَعَ دَالٌّ، وطَلَعَ هِلاَلٌ، وسُمِعَ إِهْلاَلٌ.

إِعْمَلُوا، رَعَاكُمُ اللَّهُ، أَصْلَحَ الأَعْمَالَ، واسْلُكُوا مَسَالِكَ الْحَلاَلِ، واطْرَحُوا الْحَرَامَ ودَعُوهُ، واسْمَعُوا أَمْرَ اللَّهِ وعُوهُ.

وصِلُوا الأَرْحَامَ ورَاعُوهَا، واعْصُوا الأَهْوَاءَ وارْدَعُوهَا.

وصَاهِرُوا أَهْلَ الصَّلَاحِ والْوَرَعِ، وصَارِمُوا رَهْطَ اللَّهْوِوالطَّمَعِ.

ومُصَاهِرُكُمْ أَطْهَرُ الأَحْرَارِ مَوْلِداً، وأَسْرَاهُمْ سُؤْدَداً، وأَحْلَاهُمْ مَوْرِداً، وهَا هُوأَمَّكُمْ وحَلَّ حَرَمَكُمْ، مُمْلِكاً عَرُوسَكُمُ المُكَرَّمَةَ، ومَاهِراً لَهَا كَمَا مَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ أُمَّ سَلَمَةَ.

وهُوأَكْرَمُ صِهْرٍ أَوْدَعَ الأَوْلَادَ، ومَلَكَ مَا أَرَادَ.

ومَا سَهَا مُمْلَكَهُ ولاَ وَهَمَ، ولاَ وَكَسَ مَلاَحِمَهُ ولاَ وَصَمَ.

أَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ إِحْمَادَ وِصَالِهِ، ودَوَامَ إِسْعَادِهِ، وأَلْهَمَ كُلًّا إِصْلَاحَ حَالِهِ، والِاعْدَادَ لِمَعَادِهِ ومَآلِهِ.

ولَهُ الْحَمْدُ السَّرْمَدُ، والْمَدْحُ لِرَسُولِهِ أَحْمَدُ.

خطبة له عليه السلام (٢٨)

الموسومة بالمونقة

ارتجلها خالية من حرف الألف من غير سابق فكر ولا تقدّم رويّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

حَمِدْتُ وعَظَّمْتُ مَنْ عَظُمَتْ مِنَّتُهُ، وسَبَغَتْ نِعْمَتُهُ، وتَمَّتْ كَلِمَتُهُ، ونَفَذَتْ مَشِيَّتُهُ، وبَلَغَتْ حُجَّتُهُ، وعَدَلَتْ قَضِيَّتُهُ، وسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ.

حَمِدْتُهُ حَمْدَ عَبْدٍ مُقِرٍّ بِرُبُوبِيَّتِهِ، مُتَخَضِّعٍ لِعُبُودِيَّتِهِ، مُتَنَصِّلٍ مِنْ خَطِيَّتِهِ، مُعْتَرِفٍ بِتَوْحِيدِهِ، مُسْتَعِيذٍ مِنْ وَعِيدِهِ، مُؤَمِّلٍ مِنْ رَبِّهِ مَغْفِرَةً تُنْجِيهِ، يَوْمَ يَشْغَلُ كُلٌّ عَنْ فَصِيلَتِهِ وبَنِيهِ.

ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَرْشِدُهُ ونَسْتَهْدِيهِ، ونُؤْمِنُ بِهِ ونَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ.

وشَهِدْتُ لَهُ شُهُودَ مُخْلِصٍ مُوقِنٍ، وفَرَّدْتُهُ تَفْرِيدَ مُؤْمِنٍ مُتَيَقِّنٍ، ووَحَّدْتُهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ مُذْعِنٍ.

لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فِي صُنْعِهِ.

جَلَّ عَنْ مُشِيرٍ ووَزِيرٍ، وتَنَزَّهَ عَنْ عَوْنِ مُعِينٍ ونَصِيرٍ ونَظِيرٍ.

عَلِمَ فَسَتَرَ، وبَطَنَ فَخَبَرَ، ومَلَكَ فَقَدَرَ، ومَلِكَ فَقَهَرَ، وعُصِيَ فَغَفَرَ، وعُبِدَ فَشَكَرَ، وحَكَمَ فَعَدَلَ، وتَكَرَّمَ فَتَفَضَّلَ.

لَمْ يَزَلْ ولَنْ يَزُولَ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وهُوَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ.

رَبٌّ مُتَفَرِّدٌ بِعِزَّتِهِ، مُتَمَكِّنٌ بِقُوَّتِهِ، مُتَقَدِّسٌ بِعُلُوِّهِ، مُتَكَبِّرٌ بِسُمُوِّهِ.

لَيْسَ يُدْرِكُهُ بَصَرٌ، ولَيْسَ يُحيطُ بِهِ نَظَرٌ.

قَوِيٌّ مَنيعٌ، بَصيرٌ سَميعٌ، عَليٌّ حَكيمٌ، رَؤُوفٌ رَحيمٌ، عَزيزٌ عَليمٌ..

عَجَزَ عَنْ وَصْفِه مَنْ يَصِفُهُ، وضَلَّ في نَعْتِه مَنْ يَعْرِفُهُ.

قَرُبَ فَبَعُدَ، وبَعُدَ فَقَرُبَ.

يُجيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ، ويَرْزُقُ عَبْدَهُ ويَحْبُوهُ.

ذُولُطْفٍ خَفِيٍّ، وبَطْشٍ قَوِيٍّ، ورَحْمَةٍ مُوسَعَةٍ، وعُقُوبَةٍ مُوجِعَةٍ.

رَحْمَتُهُ جَنَّةٌ عَريضَةٌ مُونِقَةٌ، وعُقُوبَتُهُ جَحيمٌ مَمْدُودَةٌ مُوبِقَةٌ.

وشَهِدْتُ بِبَعْثِ مُحَمَّدٍ عَبْدِه ورَسُولِه، وصَفِيِّه ونَبِيِّه، وحَبِيبِه وخَلِيلِه، صَلَّى عَلَيْهِ صَلاَةً تُحْظِيه، وتُزْلِفُهُ وتُعْلِيه، وتُقَرِّبُهُ وتُدْنِيه.

بَعَثَهُ في خَيْرِ عَصْرٍ، وحِينِ فَتْرَةٍ وكُفْرٍ، رَحْمَةً مِنْهُ لِعَبِيدِه، ومِنَّةً لِمَزِيدِه.

خَتَمَ بِهِ نُبُوَّتَهُ، ووَضَّحَ بِهِ حُجَّتَهُ، فَوَعَظَ ونَصَحَ، وبَلَّغَ وكَدَحَ.

رَؤُوفٌ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ رَحِيمٌ، سَخِيٌّ، رَضِيٌّ، وَلِيٌّ، زَكِيٌّ.

عَلَيْهِ رَحْمَةٌ وتَسْلِيمٌ، وبَرَكَةٌ وتَكْرِيمٌ، مِنْ رَبٍّ غَفُورٍ رَحِيمٍ، قَرِيبٍ مُجِيبٍ.

وَصَّيْتُكُمْ مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَنِي بِوَصِيَّةِ رَبِّكُمْ، وذَكَّرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ. فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تَسْكُنْ قُلُوبَكُمْ، وخَشْيَةٍ تُذْرِي دُمُوعَكُمْ، وتَقِيَّةٍ تُنْجِيكُمْ، قَبْلَ يَوْمٍ يُذْهِلُكُمْ ويُبْلِدُكُمْ، يَوْمَ يَفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقُلَ وَزْنُ حَسَنَتِه، وخَفَّ وَزْنُ سَيِّئَتِه.

ولْتَكُنْ مَسْأَلَتُكُمْ وتَمَلُّقُكُمْ مَسْأَلَةَ ذُلٍّ وخُضُوعٍ، وشُكْرٍ وخُشُوعٍ، بِتَوْبَةٍ ونُزُوعٍ، ونَدَمٍ ورُجُوعٍ.

ولْيَغْتَنِمْ كُلُّ مُغْتَنِمٍ مِنْكُمْ صِحَّتَهُ قَبْلَ سَقَمِه، وشَبِيبَتَهُ قَبْلَ هَرَمِه، وسَعَتَهُ قَبْلَ فَقْرِه، وفَرْغَتَهُ قَبْلَ شُغْلِه، وحَضَرَهُ قَبْلَ سَفَرِه، وحَيَاتَهُ قَبْلَ مَوْتِه.

مِنْ قَبْلَ يَكْبُرُ ويَهْرَمُ، ويَمْرَضُ ويَسْقَمُ، ويَمَلُّهُ طَبِيبُهُ، ويُعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ، ويَنْقَطِعُ عُمُرُهُ، ويَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ، ثُمَّ قِيلَ: هُومَوْعُوكٌ، وجِسْمُهُ مَنْهُوكٌ.

ثُمَّ جَدَّ نَزْعٌ شَديد، وحَضَرَهُ كُلُّ حَبيب قَريب وبَعيد، فَشَخَصَ بِبَصَرِه، وطَمَحَ بِنَظَرِه، ورَشَحَ جَبينُهُ، وعَطَفَ عَرينُهُ، وسَكَنَ حَنينُهُ، وحَزَنَتْهُ نَفْسُهُ، وبَكَتْهُ عِرْسُهُ، وحُفِرَ رَمْسُهُ، ويَتِمَ مِنْهُ وَلَدُهُ، وتَفَرَّقَ عَنْهُ عَدَدُهُ، وقُسِمَ جَمْعُهُ، وذَهَبَ بَصَرُهُ وسَمْعُهُ، ومُدِّدَ وجُرِّدَ، وعُرِّيَ وغُسِّلَ، ونُشِّفَ وسُجِّيَ، وبُسِطَ لَهُ وهُيِّءَ، ونُشِرَ عَلَيْهِ كَفَنُهُ، وشُدَّ مِنْهُ ذَقَنُهُ، وقُمِّصَ وعُمِّمَ، ووُدِّعَ وسُلِّمَ، وحُمِلَ فَوْقَ سَرير، وصُلِّيَ عَلَيْهِ بِتَكْبير، بِغَيْرِ سُجُود وتَعْفير.

ونُقِلَ مِنْ دُور مُزَخْرَفَة، وقُصُور مُشَيَّدَة، وحُجُر مُنَجَّدَة، فَجُعِلَ في ضَريح مَلْحُود، وضَيِّق مَوْصُود، بِلَبِن مَنْضُود، مُسَقَّف بِجُلْمُود، وهيلَ عَلَيْهِ عَفَرُهُ، وحُثِيَ عَلَيْهِ مَدَرُهُ.

فَتَحَقَّقَ حَظَرُهُ، ونُسِيَ خَبَرُهُ، ورَجَعَ عَنْهُ وَلِيُّهُ وصَفِيُّهُ، ونَديمُهُ ونَسيبُهُ، وتَبَدَّلَ بِهِ قَرينُهُ وحَبيبُهُ.

فَهُوَ حَشْوُ قَبْرٍ، ورَهينُ قَفْرٍ، يَسْعى بِجِسْمِهِ دُودُ قَبْرِهِ، ويَسيلُ صَديدُهُ عَلى صَدْرِهِ ونَحْرِهِ.

ويَسْحَقُ تُرْبُهُ لَحْمَهُ، ويُنَشِّفُ دَمَهُ، ويَرِمُّ عَظْمَهُ، حَتَّى يَوْمِ حَشْرِهِ.

فَيُنْشَرُ مِنْ قَبْرِهِ حينَ يُنْفَخُ في صُور، ويُدْعى لِحَشْرٍ ونُشُور.

فَثَمَّ بُعْثِرَتْ قُبُورٌ، وحُصِّلَتْ سَريرَةُ صُدُور، وَجيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وصِدّيق وشَهيد ونَطيق، وتَوَحَّدَ لِلْفَصْلِ رَبٌّ قَديرٌ، بِعَبْده خَبيرٌ بَصيرٌ.

فَكَمْ مِنْ زَفْرَةٍ تُضْنيه، وحَسْرَةٍ تُنْضيه، في مَوْقِفٍ مَهُول، ومَشْهَدٍ جَليلٍ، بَيْنَ يَدَيْ مَلِكٍ عَظيمٍ، وبِكُلِّ صَغيرَةٍ وكَبيرَةٍ عَليمٌ.

فَحينَئِذٍ يُلْجِمُهُ عَرَقُهُ، ويُحْصِرُهُ قَلَقُهُ.

عَبْرَتُهُ غَيْرُ مَرْحُومَة، وصَرْخَتُهُ غَيْرُ مَسْمُوعَة، وحُجَّتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَة.

زَلَّتْ جَريدَتُهُ، ونُشِرَتْ صَحيفَتُهُ، وتَبَيَّنَتْ جَريرَتُهُ، حَيْثُ نَظَرَ في سُوءِ عَمَلِه، وشَهِدَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهُ بِنَظَرِه، ويَدُهُ بِبَطْشِه، ورِجْلُهُ بِخَطْوِه، وفَرْجُهُ بِلَمْسِه، وجِلْدُهُ بِمَسِّه، ونَطَقَ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ بِسُوءِ عَمَلِه.

وَيُهَدِّدُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَكُشِفَ لَهُ عَنْ حَيْثُ يَصِيرُ.

فَسُلْسِلَ جِيدُهُ، وَغُلَّتْ يَدُهُ، وَسِيقَ وَحْدَهُ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ وَشِدَّةٍ، فَظَلَّ يُعَذَّبُ فِي جَحِيمٍ، وَيُسْقَى شَرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ، تَشْوِي وَجْهَهُ، وَتَسْلَخُ جِلْدَهُ، وَتَضْرِبُهُ زَبَانِيَةٌ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ كَجِلْدٍ جَدِيدٍ.

يَسْتَغِيثُ فَتُعْرِضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ، وَيَسْتَصْرِخُ فَيَلْبَثُ حُقَبَةً يَنْدَمُ.

نَعُوذُ بِرَبِّ قَدِيرٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ مَصِيرٍ.

وَنَسْأَلُهُ عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ، وَمَغْفِرَةَ مَنْ قَبِلَ مِنْهُ، فَهُوَ وَلِيُّ مَسْأَلَتِي، وَمُنْجِحُ طَلِبَتِي.

فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ تَعْذِيبِ رَبِّهِ سَكَنَ فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ، وَخُلِّدَ فِي قُصُورٍ مُشَيَّدَةٍ، وَمُلِّكَ بِحُورِ عِينٍ وَحَفَدَةٍ، وَطِيفَ عَلَيْهِ بِكُؤُوسٍ، وَأُسْكِنَ فِي حَظِيرَةِ قُدْسٍ فِي فِرْدَوْسٍ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ، وَشَرِبَ مِنْ عَيْنٍ سَلْسَبِيلٍ، مَمْزُوجَةٍ لَهُ بِزَنْجَبِيلٍ، مَخْتُومَةٍ بِمِسْكٍ وَعَبِيرٍ، مُسْتَدِيمٍ لِلْحُبُورِ، مُسْتَشْعِرٍ لِلسُّرُورِ.

وَيَشْرَبُ مِنْ خَمْرٍ مُعْذَوْذَبٍ شِرْبُهُ فِي رَوْضٍ مُغْدِقٍ، لَيْسَ يُصْدَعُ مَنْ شَرِبَهُ، وَلَيْسَ يُنْزِفُ لُبَّهُ.

هَذِهِ مَنْزِلَةُ مَنْ خَشِيَ رَبَّهُ، وَحَذَّرَ نَفْسَهُ مَعْصِيَتَهُ، وَتِلْكَ عُقُوبَةُ مَنْ جَحَدَ مُنْشِيهِ، وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ مَعْصِيَةَ مُبْدِيهِ.

ذَلِكَ قَوْلٌ فَصْلٌ، وَحُكْمٌ عَدْلٌ، وَخَيْرُ قَصَصٍ قُصَّ، وَوَعْظٍ نُصَّ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، نَزَلَ بِهِ رُوحُ قُدُسٍ مُبِينٍ، مِنْ عِنْدِ رَبٍّ كَرِيمٍ عَلَى قَلْبِ نَبِيٍّ مُهَذَّبٍ مُهْتَدٍ رَشِيدٍ، صَلَّتْ عَلَيْهِ رُسُلٌ سَفَرَةٌ، مُكَرَّمُونَ بَرَرَةٌ.

عُذْتُ بِرَبٍّ عَلِيمٍ حَكِيمٍ، قَدِيرٍ كَرِيمٍ، مِنْ شَرِّ كُلِّ عَدُوٍّ لَعِينٍ رَجِيمٍ.

فَلْيَتَضَرَّعْ مُتَضَرِّعُكُمْ، وَلْيَبْتَهِلْ مُبْتَهِلُكُمْ، وَلْيَسْتَغْفِرْ كُلُّ مَرْبُوبٍ مِنْكُمْ لي ولَكُمْ. وحَسْبي رَبّي وَحْدَهُ.

ثم قرأ عليه السلام: تِلْكَ الدَّارُ الأخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ولا فَساداً والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

خطبة له عليه السلام (٢٩)

في أول جمعة بعد بيعته وفيها يحذّر من المنافقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الأَوَّلِ فَلا شَيْءَ قَبْلَهُ، والآخِرِ فَلا شَيْءَ بَعْدَه، والظَّاهِرِ فَلا شَيْءَ فَوْقَهُ، والْبَاطِنِ فَلا شَيْءَ دُونَهُ.

نَحْمَدُهُ عَلى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَة، وذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَة، ونَسْأَلُهُ لِمِنَّتِه تَمَاماً، وبِحَبْلِه اعْتِصَاماً.

ونَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، خَاضَ إِلى رِضْوَانِ اللَّه كُلَّ غَمْرَة، وتَجَرَّعَ فِيه كُلَّ غُصَّة، وقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنَوْن، وتَأَلَّبَ عَلَيْه الأَقْصَوْن، وخَلَعَتْ إِلَيْه الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وضَرَبَتْ إِلى مُحَارَبَتِه بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِه عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّار، وأَسْحَقِ الْمَزَار.

أَمَّا بَعْدُ، أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّه، بِتَقْوَى اللَّه وأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاق، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّون، والزَّالُّونَ الْمُزِلُّون، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، ويَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً، ويَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَاد، ويَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَاد.

قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ.

يَمْشُونَ الْخَفَاءَ، ويَدِبُّونَ الضَّرَّاءَ.

وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ.

حَسَدَةُ الرَّخَاء، ومُؤَكِّدُو الْبَلاء، ومُقْنِطُو الرَّجَاء.

لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وإلى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، ولِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ.

يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، ويَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ.

إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا.

قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، ولِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، ولِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، ولِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، ولِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً.

يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ، لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، ويُنْفِقُوا بِهِ أَعْلاقَهُمْ.

يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، ويَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ.

قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ.

فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ، وحُمَةُ النِّيرَانِ.

أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوهَا، ونَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً، ولكِنْ رَحْمَةً مِنْهُ لَكُمْ، فَاقْبَلُوهَا، ولا تَتَكَلَّفُوهَا.

حَلالٌ بَيِّنٌ، وحَرَامٌ بَيِّنٌ، وشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ.

فَمَنْ تَرَكَ مَا اشْتُبِهَ عَلَيْهِ فَهُوَ لِمَا اسْتَبَانَ عَلَيْهِ أَتْرَكُ.

والْمَعَاصِي حِمَى اللَّهِ، فَمَنْ رَتَعَ حَوْلَهَا يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهَا.

أَلا مَنْ خَافَ حَذِرَ، ومَنْ حَذِرَ جَانَبَ السَّيِّئَاتِ.

أَلا وإِنَّهُ مَنْ جَانَبَ السَّيِّئَاتِ أَدْلَجَ إِلَى الْخَيْرَاتِ فِي السَّرَّاءِ، ومَنْ أَرَادَ السَّفَرَ أَعَدَّ لَهُ زَاداً، فَأَعِدُّوا الزَّادَ لِيَوْمِ الْمَعَادِ.

الْيَوْمَ عَمَلٌ ولا ثَوَابٌ، ولا عَمَلَ كَأَدَاءِ مَفَاتِيحِ الْهُدَى.

فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، ولْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، ولْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ.

فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ، أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ.

فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضى فيه، وإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ.

فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّالِكِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلاَّ بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، والْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ.

فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ.

[أَيُّهَا النَّاسُ،] إِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ والشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، واصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا.

الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ وتعالى - تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هذه الأَزِمَّةَ، الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الأَثْقَالَ، مِنْ أَيْدِيكُمْ، ولا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَدْمُوا غِبَّ فِعَالِكُمْ، ولاَ تَقِيسُوا هذه الأُمُورَ بِآرَائِكُمْ فَتَرْتَدُّوا الْقَهْقَرى عَلَى أَعْقَابِكُمْ، ولا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلَكُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ، وأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا، وخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا، فَقَدْ، لَعَمْرِي، يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، ويَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ.

أَلاَ فَتَمَسَّكُوا مِنْ إِمَامِ الْهُدى بِحُجْزَتِهِ، وخُذُوا مِمَّنْ يَهْدِيكُمْ ولاَ يُضِلُّكُمْ، فَإِنَّ الْعُرْوَةَ الْوُثْقى تَقْوَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلَ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا.

فَاسْمَعُوا، أَيُّهَا النَّاسُ، وعُوا، وأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا، دَاعٍ دَعَا، ورَاعٍ رَعى، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، واتَّبِعُوا الرَّاعِي.

[وَ] لا تَخْتَانُوا وُلاتَكُمْ، ولا تَغُشُّوا هُدَاتَكُمْ، ولا تُجْهِلُوا أَئِمَّتَكُمْ، ولا تَصَدَّعُوا عَنْ حَبْلِكُمْ، فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وعَلى هذا فَلْيَكُنْ تَأْسِيسُ أُمُورِكُمْ.

والْزَمُوا هذه الطَّرِيقَةَ، فَإِنَّكُمْ لَوعَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ مِمَّنْ خَالَفَ مَا قَدْ تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ، لَبَدَرْتُمْ وخَرَجْتُمْ، ولَجَزِعْتُمْ ووَهِلْتُمْ، وسَمِعْتُمْ وأَطَعْتُمْ، ولَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ.

لَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وأُسْمِعْتُمْ إِن اسْتَمَعْتُمْ، وهُدِيتُمْ إِن اهْتَدَيْتُمْ.

بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ، لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ، وزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، ومَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ - سُبْحَانَهُ - بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلاَّ الْبَشَرُ.

ونَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، ويَعْرِفُ غَوْرَهُ ونَجْدَهُ.

إِنَّ اللهَ - تعالى - حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وأَحَلَّ حَلالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ، وفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا، وشَدَّ بِالإِخْلاصِ والتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا.

فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهِ إِلاَّ بِالْحَقِّ.

ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلاَّ بِمَا يَجِبُ.

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ.

تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

إِتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، فِي عِبَادِهِ وبِلادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ والْبَهَائِمِ.

أَطِيعُوا اللهَ - عَزَّ وجَلَّ - ولا تَعْصُوهُ، وإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وأَحَاطَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ، وانْقَطَعَتْ عَنْكُمْ عَلائِقُ الأُمْنِيَّةِ، ودَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ بِنَفْخَةِ الصُّورِ، وبَعْثَرَةِ الْقُبُورِ، والسِّيَاقَةِ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ، فَبَرَزَ الْخَلائِقُ لِلْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ، وجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وشَهِيدٌ: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، واشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، ورَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلالًا، ودَرْكَهُمْ لَهَا فَوْتاً.

فَهُمْ أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ، وسِلْمُ مَا عَادَى النَّاسُ.

خَلُقَتِ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ فَلَيْسَ يَعْمُرُونَهَا، ومَاتَتْ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَيْسَ يُحِبُّونَهَا، ويَهْدِمُونَهَا ويَبْنُونَ بِهَا آخِرَتَهُمْ، ويَبِيعُونَهَا ويَشْتَرُونَ بِهَا مَا يَبْقَى لَهُمْ.

ونَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا صَرْعَى قَدْ خَلَتْ مِنْهُمُ الْمَثُلاَتُ، فَأَحَبُّوا ذِكْرَ اللَّهِ وأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ.

بِهِمْ نَطَقَ الْكِتَابُ وبِهِ نَطَقُوا، وبِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وبِهِ عَلِمُوا، وبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وبِهِ قَامُوا.

لا يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، ولا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ.

واللَّهِ، أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ خَلِيلِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ.

لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ صُفْراً شُعْثاً غُبْراً، وقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وقِيَاماً، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وخُدُودِهِمْ، ويَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ زَفِيرَ النَّارِ فِي آذَانِهِمْ.

كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبُ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ.

إِذَا ذُكِرَ اللهُ - تعالى - هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، ومَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، ورَجَاءً لِلثَّوَابِ.

قَوْمٌ، واللَّهِ، مَيَامِينُ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ.

مَضَوْا قُدُماً عَلَى الطَّرِيقَةِ، وأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، والْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ.

كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي.

وكَانَ يُعَظِّمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ.

وكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلا يَشْتَهِي مَا لا يَجِدُ، ولا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ.

وكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ فَرْجِهِ، فَلاَ يَسْتَخِفُّ لَهُ عَقْلَهُ ولاَ رَأْيَهُ.

وكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ جَهْلِه، فَلاَ يَمُدُّ يَداً إِلاَّ عَلى ثِقَةِ الْمَنْفَعَةِ، ولاَ يَخْطُو خُطْوَةً إِلاَّ لِحَسَنَةٍ.

وكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامتاً، فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائلينَ، ونَقَعَ غَليلَ السَّائلينَ.

وكَانَ ضَعيفاً مُسْتَضْعَفاً، فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ غَادٍ، وصِلُّ وَادٍ.

وكَانَ لا يُدْلي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً.

وكَانَ لا يَلُومُ أَحَداً عَلى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ في مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ.

وكَانَ لاَ يَشْكُو وَجَعاً إِلاَّ عِنْدَ بُرْئِه.

وكَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ، ولا يَقُولُ مَا لا يَفْعَلُ.

وكَانَ إِنْ غُلِبَ عَلَى الْكَلامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ.

وكَانَ عَلى أَنْ يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلى أَنْ يَتَكَلَّمَ.

وكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ لاَ يَدْرِي أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوى فَخَالَفَهُ.

فَعَلَيْكُمْ بِهذِهِ الْخَلائِقِ فَالْزَمُوهَا، وتَنَافَسُوا فيهَا.

فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ، وإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ ووَلَدٍ، عَنْ عَشِيرَتِهِ، وعَنْ مَوَدَّتِهِمْ وكَرَامَتِهِمْ، ودِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وأَلْسِنَتِهِمْ.

وهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ، وأَلَمُّهُمْ لِشَعْثِهِ، وأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ، عِنْدَ نَازِلَةٍ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ.

أَلا لا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ، ولا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ.

ومَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ.

ومَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِه الْمَوَدَّةَ، ومَنْ بَسَطَ عَلَيْهِمْ يَدَهُ بِالْمَعْرُوفِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ - تعالى - يُخْلِفُ اللَّهُ لَهُ مَا أَنْفَقَ فِي دُنْيَاهُ ويُضَاعِفُ لَهُ الأَجْرَ فِي آخِرَتِه.

واعْلَمُوا أَنَّ لِسَانَ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يَأْكُلُهُ ويُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ.

فَلا يَزْدَادَنَّ أَحَدُكُمْ كِبْرِيَاءَ ولاَ عَظَمَةً فِي نَفْسِه، ونَأْياً عَنْ عَشِيرَتِه، أَنْ كَانَ مُوسِراً فِي الْمَالِ، ولا يَزْدَادَنَّ أَحَدُكُمْ فِي أَخِيهِ زُهْداً، ولا مِنْهُ بُعْداً، ولاَ يَجْعَلْ مِنْهُ بَدِيلًا، إِذَا لَمْ يَرَ مِنْهُ مُرُوءَةً.

أَلا فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وآذَنَتْ بِوَدَاعٍ.

أَلا وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وأَشْرَفَتْ بِاطِّلاعٍ.

أَلا وإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ، وغَداً السِّبَاقَ.

أَلا وإِنَّ السَّبَقَةَ الْجَنَّةُ، والْغَايَةَ النَّارُ.

أَفَلا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِه قَبْلَ حُضُورِ مَنِيَّتِه.

أَلا مُسْتَيْقِظٌ مِنْ غَفْلَتِه قَبْلَ نَفَادِ مُدَّتِه.

أَلا عَامِلٌ لِنَفْسِه قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِه.

أَلا مُسْتَعِدٌّ لِلِقَاءِ رَبِّه قَبْلَ زُهُوقِ نَفْسِه.

أَلا مُتَزَوِّدٌ لآخِرَتِه قَبْلَ أُزُوفِ رِحْلَتِه.

أَلا وإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ، مِنْ وَرَائِه أَجَلٌ يَحُثُّهُ عَجَلٌ، فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِه قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِه، وفِي فَرَاغِه قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِه، وفِي مُتَنَفَّسِه قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِه، ولْيُمَهِّدْ لِنَفْسِه وقَدَمِه، ولْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِه لِدَارِ إِقَامَتِه.

فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِه قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِه، فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ولَمْ يَضُرُّهُ أَجَلُهُ، ومَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِه قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِه، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ، وضَرَّهُ أَجَلُهُ.

أَلا فَاعْمَلُوا لِلَّهِ فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ لَهُ فِي الرَّهْبَةِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِكُمْ رَغْبَةٌ

فَاشْكُرُوا اللَّهَ واجْمَعُوا مَعَهَا رَهْبَةً، وإِنْ نَزَلَتْ بِكُمْ رَهْبَةٌ فَاذْكُرُوا اللَّهَ واجْمَعُوا مَعَهَا رَغْبَةً، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَأَذَّنَ لِلْمُحْسِنِينَ بِالْحُسْنى، ولِمَنْ شَكَرَ بِالزِّيَادَةِ.

أَلا وإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، ولا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا.

أَلا وإِنَّهُ مَنْ لا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، ومَنْ لا يَنْفَعُهُ الْيَقِينُ يَضُرُّهُ الشَّكُّ، ومَنْ لا يَنْفَعُهُ حَاضِرُهُ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْوَزُ، وغَائِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، ومَنْ لا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدى يَجُرُّ بِهِ الضَّلالُ إِلَى الرَّدى.

أَلا وإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، ودُلِلْتُمْ عَلى الزَّادِ.

أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ والْفَاجِرُ، وإِنَّ الآخِرَةَ دَارُ حَقٍّ يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ.

أَلاَ وإِنَّ الشَّيْطَانَ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ويَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ واللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وفَضْلًا واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ.

قَدْ كَفَاكُمُ اللهُ - تعالى- مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ، وحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوى، وجَعَلَهَا مُنْتَهى رِضَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، وحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ، ونَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ، إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً، لا يُسْقِطُونَ حَقّاً، ولا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا.

واعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ، ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ، ويُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، ويُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ، ونُورُهَا بَهْجَتُهُ، وزُوَّارُهَا مَلائِكَتُهُ، ورُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ.

فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وسَابِقُوا الآجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ، ويَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ، ويُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَلاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَو كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً.

أَلا وإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوى، وطُولُ الأَمَلِ.

فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوى فَيَضِلُّ عَنِ الْحَقِّ.

وأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ.

عِبَادَ اللَّه، افْزَعُوا إِلى قَوَامِ دِينِكُمْ بِإِقَامِ الصَّلاةِ لِوَقْتِهَا، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ لِحِلِّهَا، والنَّصِيحَةَ لإِمَامِكُمْ. والتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ والْخُشُوعِ لَهُ، وصِلَةِ الرَّحِمِ، وخَوْفِ الْمَعَادِ، وإِعْطَاءِ السَّائِلِ، وإِكْرَامِ الضَّيْفِ.

وتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ واعْمَلُوا بِهِ.

واصْدُقُوا الْحَدِيثَ وآثِرُوهُ.

وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِذَا عَاهَدْتُمْ.

وأَدُّوا الأَمَانَةَ إِذَا ائْتُمِنْتُمْ.

وارْغَبُوا فِي ثَوَابِ اللَّهِ، وارْهَبُوا عِقَابَهُ.

وجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ.

وعَلَيْكُمْ بِالْخُضُوعِ والْخُشُوعِ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعْلِنُونَ.

وتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً مِنَ النَّارِ، واعْمَلُوا خَيْراً تُجْزَوْا خَيْراً يَوْمَ يَفُوزُ بِالْخَيْرِ مَنْ قَدَّمَ الْخَيْرَ.

فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.

وأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ، وأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ.

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ الله - تعالى - فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ ويُعَاقِبُ، ولَهَا يَرْضَى ويَسْخَطُ، أَنَّهُ لا يَنْفَعُ عَبْداً، وإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وأَخْلَصَ فِعْلَهُ، وحَسَّنَ قَوْلَهُ، وزَيَّنَ وَصْفَهُ، وفَضَّلَهُ غَيْرُهُ، أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا: أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ.

أَوِيَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلاكِ نَفْسٍ.

أويُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ، أو يَسُرَّهُ أنْ يَحْمَدَهُ النَّاسُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مِنْ خَيْرٍ.

أويَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ.

أويَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أو يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ، وبِالتَّجَبُّرِ والأُبَّهَةِ.

إِعْقِلْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا.

وإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا.

وإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، والْفَسَادُ فِيهَا.

وإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُحْسِنُونَ.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَجِلُونَ.

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا ورَبَّكُمْ أنْ يَرْزُقَنَا وإِيَّاكُمْ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، ومُعَايَشَةَ السُّعَدَاءِ، ومُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاءِ والأَبْرَارِ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ ولَهُ، وبِيَدِهِ الْخَيْرُ وهُوَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَقُولُ قَوْلِي وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي ولَكُمْ.

خطبة له عليه السلام (٣٠)

يوم الجمعة التي دخل فيها الكوفة

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه، أَحْمَدُهُ وأَسْتَعينُ به، وأَسْتَهْديه وأُؤْمنُ به، وأَتَوَكَّلُ عَلَيْه.

وأَعُوذُ باللَّه منَ الضَّلالَة والرَّدى، مَنْ يَهْدي اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَاديَ لَهُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بالْهُدى ودينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّه ولَوكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

إِنْتَجَبَهُ لأَمْرِه، واخْتَصَّهُ بنُبُوَّته.

أَكْرَمُ خَلْقه عَلَيْه، وأَحَبُّهُمْ إِلَيْه.

فَبَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّه، ونَصَحَ لأُمَّته، وأَدَّى الَّذي عَلَيْه.

أُوصيكُمْ، عبادَ اللَّه، بتَقْوَى اللَّه، فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعبادُ به، وأَقْرَبُهُ منْ رِضْوَانِ اللَّه، وخَيْرُ عَوَاقبِ الأُمُورِ عنْدَ اللَّه، وبتَقْوَى اللَّه أُمِرْتُمْ، وللاحْسَانِ والطَّاعَة خُلِقْتُمْ.

فَاحْذَرُوا منَ اللَّه مَا حَذَّرَكُمْ منْ نَفْسه، فَإِنَّهُ حَذَّرَ بَأْساً شَديداً، واخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بتَعْذير.

واعْمَلُوا للَّه في غَيْرِ رِيَاء ولا سُمْعَة، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لغَيْرِ اللَّه يَكِلْهُ الله - سُبْحَانَهُ- إِلى مَنْ عَمِلَ لَهُ يَوْمَ الْقيَامَة، ومَنْ يَعْمَلْ مُخْلصاً للَّه يَتَوَلَّى اللَّهُ ثَوَابَهُ.

وأَشْفِقُوا منْ عَذَابِ اللَّه، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، ولَمْ يَدَعْ شَيْئاً منْ أَمْرِكُمْ سُدىً.

قَدْ سَمَّى آجَالَكُمْ، وكَتَبَ آثَارَكُمْ، وعَلِمَ أَسْرَارَكُمْ، وأَحْصى أَعْمَالَكُمْ.

فَلا تَغْتَرُّوا بِالدُّنْيَا فَإِنَّهَا تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ، غَرَّارَةٌ لأَهْلِهَا، مَغْرُورٌ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا، وإِلى فَنَاءٍ مَا هُوَ عَلَيْهَا.

إِنَّ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لأَوْلِيَائِه، ولا عِقَاباً لأَعْدَائِه.

وإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا، إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَرَحَلُوا، وإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَكْرَ والْخَدِيعَةَ فِي النَّارِ، فَكُونُوا مِنَ اللَّهِ عَلى وجَلٍ، ومِنْ صَوْلَتِهِ عَلى حَذَرٍ.

إِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى لِعِبَادِهِ بَعْدَ إِعْذَارِهِ وإِنْذَارِهِ اسْتِطْرَاداً واسْتِدْرَاجاً مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ، ولِهذَا يُضِلُّ سَعْيَ الْعَبْدِ حَتَّى يَنْسَى الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ، ويَظُنَّ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ صُنْعاً.

ولا يَزَالُ كَذَلِكَ فِي ظَنٍّ ورَجَاءٍ، وغَفْلَةٍ عَمَّا جَاءَهُ مِنَ النَّبَأِ، يَعْقِدُ عَلى نَفْسِهِ الْعَقْدَ، ويُهْلِكُهَا بِكُلِّ جُهْدٍ، وهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ الله - سُبْحَانَهُ - عَلى عَهْدٍ، يَهْوِي بِهَا مَعَ الْغَافِلِينَ، ويَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ، ويُجَادِلُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ، ويَسْتَحْسِنُ تَمْوِيهَ الْمُتْرَفِينَ.

فَهؤُلاءِ قَوْمٌ شُرِحَتْ صُدُورُهُمْ بِالشُّبْهَةِ، وتَطَاوَلُوا عَلى غَيْرِهِمْ بِالْفِرْيَةِ، وحَسِبُوا أَنَّهَا لِلَّهِ قُرْبَةٌ، وذَلِكَ لأَنَّهُمْ عَمِلُوا بِالْهَوى، وغَيَّرُوا كَلامَ الْحُكَمَاءِ، وحَرَّفُوهُ بِجَهْلٍ وعَمى، وطَلَبُوا بِهِ السُّمْعَةَ والرِّيَاءَ، بِلا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، ولا إِمَامٍ قَائِدٍ، ولا عِلْمٍ مُبِينٍ، ولا دِينٍ مَتِينٍ، ولا أَعْلامٍ جَارِيَةٍ، ولا مَنَارٍ مَعْلُومٍ، إِلى أَمَدِهِمْ، وإِلى مَنْهَلٍ هُمْ وَارِدُوهُ.

حَتَّى إِذَا كَشَفَ اللَّهُ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، واسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلابِيبِ غَفْلَتِهِمْ، اسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، واسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، ولا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ، وصَارَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَبَالًا، فَصَارُوا يَهْرُبُونَ مِمَّا كَانُوا يَطْلُبُونَ.

فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ ونَفْسِيَ هذِهِ الْمَنْزِلَةَ، وآمُرُكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي لا يَنْفَعُ غَيْرُهُ.

فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ إِنْ كَانَ صَادِقاً عَلى مَا يُجِنُّ ضَمِيرُهُ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ

فَتَفَكَّرَ، ونَظَرَ فَأَبْصَرَ، وانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً، يَتَجَنَّبُ فيه الصَّرْعَةَ في الْمَهَاوي، والضَّلالَ في الْمَغَاوي، ولا يُعينُ عَلى نَفْسِه الْغُوَاةَ، بِتَعَسُّفٍ في حَقٍّ، أوتَحْريفٍ في نُطْقٍ، أوتَخَوُّفٍ منْ صِدْقٍ.

ولا قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّه.

قُولُوا مَا قيلَ لَكُمْ، وسَلِّمُوا لِمَا رُوِيَ لَكُمْ، ولا تَكَلَّفُوا مَا لَمْ تُكَلَّفُوا، فَإِنَّمَا تَبِعَتُهُ عَلَيْكُمْ فيمَا كَسَبَتْ أَيْديكُمْ، ولَفَظَتْ أَلْسنَتُكُمْ، أوسَبَقَتْ إِلَيْهِ غَايَاتُكُمْ.

واحْذَرُوا الشُّبْهَةَ، فَإِنَّهَا وُضِعَتْ لِلْفِتْنَة.

واقْصِدُوا السُّهُولَةَ.

واعْمَلُوا فيمَا بَيْنَكُمْ بِالْمَعْرُوف منَ الْقَوْل والْفعْل.

واسْتَعْمِلُوا الْخُضُوعَ، واسْتَشْعِرُوا الْخَوْفَ والاسْتِكَانَةَ للَّه.

واعْمَلُوا فيمَا بَيْنَكُمْ بِالتَّوَاضعِ والتَّنَاصُف، والتَّبَاذُل وكَظْمِ الْغَيْظِ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّه.

وإِيَّاكُمْ والتَّحَاسُدَ والأَحْقَادَ فَإِنَّهُمَا منْ فعْلِ الْجَاهليَّة.

ولْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لغَد واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بما تَعْمَلُونَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ ممَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِرُكُوبِهِمُ الْمَعَاصي، ولَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ عَنْ ذَلكَ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا تَمَادَوْا في الْمَعَاصي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمُ الْعُقُوبَات.

ألا فَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوف وانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ الَّذي نَزَلَ بِهِمْ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِه، ومُنْكَراً يُدْعى إِلَيْه، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِه فَقَدْ سَلِمَ وبَرِئَ.

ومَنْ أَنْكَرَهُ بِلسَانه فَقَدْ أُجِرَ، وهُوأَفْضَلُ منْ صَاحبِه.

ومَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْف لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّه هِيَ الْعُلْيَا وكَلِمَةُ الظَّالمينَ هِيَ السُّفْلى، فَذَلكَ الَّذي أَصَابَ سَبيلَ الْهُدى، وقَامَ عَلَى الطَّريق، ونَوَّرَ اللَّهُ في قَلْبِه الْيَقينَ.

ألا واعْلَمُوا أَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوف والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ منْ خُلُقِ الله -سُبْحَانَهُ-

وأنَّهُمَا لا يُقَرِّبَانِ مِنْ أجَلٍ، ولا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ.

فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ، إِلى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْنُقْصَانٍ، فِي أَهْلٍ أَومَالٍ أَونَفْسٍ.

فَإِذَا رَأى أَحَدُكُمْ لأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَومَالٍ أَونَفْسٍ فَلا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعَ لَهَا، وتُذِلُّهُ إِذَا ذُكِرَتْ لَهُ، ويُغْرى بِهَا لَئَامُ النَّاسِ، كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ، تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ، ويُرْفَعُ عَنْهُ بِهَا الْمَغْرَمُ. وكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ والْكَذِبِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ -، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ.

وإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ، فَإِذَا هُوذُوأَهْلٍ ومَالٍ ومَعَهُ دِينُهُ وحَسَبُهُ.

أَلا وإِنَّ الْمَالَ والْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، والْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - لأَقْوَامٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللهَ - تعالى - لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ، وإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، واشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ، وقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ، وكَثُرَتْ نِكَايَتُهُ، أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

ولَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وقِلَّةِ حِيلَتِهِ، وبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَنْ يَزْدَادَ امْرُؤٌ نَقِيراً بِحَذْقِهِ، ولَنْ يَنْتَقِصَ امْرُؤٌ نَقِيراً بِحُمْقِهِ.

والْعَارِفُ لِهذَا، الْعَامِلُ بِهِ، أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ.

والتَّارِكُ لَهُ، الشَّاكُّ فِيهِ، أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضَرَّةٍ.

ورُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمى، ورُبَّ مُبْتَلىً مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوى.

فَزِدْ، أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، فِي شُكْرِكَ، وأَبْقِ مِنْ سَعْيِكَ، وقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهى رِزْقِكَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وتعالى - فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً مِنَ الشُّكْرِ، فَمَنْ أَدَّاهُ

زَادَهُ اللَّهُ مِنْهَا، ومَنْ قَصَّرَ فيه خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِه.

فَلْيَرَكُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ.

إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِه فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجاً، فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، ومَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِه فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَاراً، فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولاً.

فَأَفِقْ، أَيُّهَا السَّامِعُ، مِنْ سَكْرَتِكَ، واسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، واخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَنِ اللهِ - تَبَارَكَ وتعالى - عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ مِمَّا لا بُدَّ مِنْهُ ولا مَحِيصَ عَنْهُ، وخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِه، ودَعْهُ ومَا رَضِيَ لِنَفْسِه، وضَعْ فَخْرَكَ، واحْطُطْ كِبْرَكَ، واذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وإِلَيْهِ مَصِيرَكَ.

وكَمَا تُدِينُ تُدَانُ، وكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وكَمَا تَصْنَعُ يُصْنَعُ بِكَ.

ومَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ لا مَحَالَةَ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وقَدِّمْ لِيَوْمِكَ.

فَلْيَنْفَعْكَ النَّظَرُ فِيمَا وُعِظْتَ بِه، وَعِ مَا سَمِعْتَ ووُعِدْتَ بِه، فَقَدِ اكْتَنَفَكَ بِذَلِكَ خَصْلَتَانِ، ولا بُدَّ أَنْ تَقُومَ بِإِحْدَاهُمَا:

إِمَّا طَاعَةِ اللَّهِ تَقُومُ لَهَا بِمَا سَمِعْتَ.

وإِمَّا حُجَّةِ اللَّهِ تَقُومُ لَهَا بِمَا عَلِمْتَ.

فَالْحَذَرَ، الْحَذَرَ، أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، والْجِدَّ، الْجِدَّ، أَيُّهَا الْغَافِلُ.

الْحَذَرَ، الْحَذَرَ، أَيُّهَا الْمَغْرُورُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ، ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ.

خطبة له عليه السلام (٣١)

في يوم الجمعة

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه الْوليِّ الْحَميد، الْحَكيمِ الْمَجيد، الْفَعَّال لمَا يُريدُ، عَلاَّمِ الْغُيُوب، وسَتَّارِ الْعُيُوب، وخَالقِ الْخَلْق، ومُنَزِّلِ الْقَطْر، ومُدَبِّر أَمْرِ الدُّنْيَا والآخرَة، ورَبِّ السَّمواتِ، والأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمينَ، وخَيْرِ الْفَاتحينَ.

الَّذي عَظُمَ شَأْنُهُ فَلاَ شَيْءَ مثْلُهُ.

تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لعَظَمَته، وذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لعزَّته، واسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لقُدْرَته، وقَرَّ كُلُّ شَيْءٍ قَرَارَهُ لهَيْبَته، وخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ منْ خَلْقه لمُلْكه وربُوبيَّته.

الَّذي يُمْسكُ السَّمَاءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاَّ بإذْنه، وأنْ تَقُومَ السَّاعَةُ إلاَّ بأمْرِه، وأنْ يَحْدُثَ في السَّموَات والأَرْضِ شَيْءٌ إلاَّ بعلْمه.

والْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ، رَبِّ السَّموَاتِ السَّبْعِ، ورَبِّ الأَرَضينَ السَّبْعِ، ورَبِّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ.

الَّذي يَبْقى ويَفْنى مَا سوَاهُ، وإلَيْه يَؤُولُ الْخَلْقُ ويَرْجعُ الأَمْرُ، وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحمينَ.

نَحْمَدُهُ عَلى مَا كَانَ، ونَسْتَعينُهُ منْ أمْرنَا عَلى مَا يَكُونُ، ونَسْتَغْفرُهُ ونَسْتَهْديه، ونَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ في الأَدْيَان، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ في الأَبْدَان.

ونَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، مَلكُ الْمُلُوك، وسَيِّدُ السَّادَات، وجَبَّارُ الأَرْضِ والسَّموَاتِ، الْوَاحدُ الْقَهَّارُ، الْكَبيرُ الْمُتَعَال، ذُوالْجَلاَلِ والإكْرَامِ، دَيَّانُ يَوْمِ الدِّين،

رَبُّنَا ورَبُّ آبَائنَا الأَوَّلينَ.

ونَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، إمَامُ مَنِ اتَّقى، وبَصَرُ مَنِ اهْتَدى.

أرْسَلَهُ دَاعياً إلَى الْحَقِّ، وشَاهداً عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّه كَمَا أمَرَهُ، غَيْرَ وَانٍ ولاَ مُقَصِّرٍ، وجَاهَدَ فِي اللَّه أعْدَاءَهُ، غَيْرَ وَاهِنٍ ولاَ مُعَذِّرٍ، ونَصَحَ لَهُ في عِبَادِه صَابِراً مُحْتَسِباً.

فَقَبَضَهُ اللَّهُ إلَيْه وقَدْ رَضِيَ عَمَلَهُ، وتَقَبَّلَ سَعْيَهُ، وغَفَرَ ذَنْبَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله.

عِبَادَ اللَّه، أُوصيكُمْ بِتَقْوَى الله - جَلَّ وعَزَّ -، واغْتَنامِ مَا اسْتَطَعْتُمْ عَمَلًا به مِنْ طَاعَته في هذه الأَيَّامِ الْخَاليَةِ الْفَانيَةِ، وإعْدَادِ الْعَمَلِ الصَّالحِ لِجَليلِ مَا يُشْفي عَلَيْكُمْ بِه الْفَوْتُ بَعْدَ الْمَوْتُ.

وآمُرُكُمْ بالرَّفْضِ لهذه الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وإنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، والْمُبْليَةِ لأَجْسَامكُمْ وإنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْديدَهَا.

فَإنَّمَا مَثَلُكُمْ ومَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبيلًا فَكَأنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وأمُّوا عَلَماً فَكَأنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ.

وكَمْ عَسَى الْمُجْري إلَى الْغَايَة أنْ يَجْرِيَ إلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا.

ومَا عَسى أنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لاَ يَعْدُوهُ، وطَالِبٌ حَثيثٌ مِنْ أجَلِه يَحْدُوهُ، ومُزْعِجٌ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْماً.

فَلاَ تَنَافَسُوا في عِزِّ الدُّنْيَا وفَخْرِهَا، ولاَ تُعْجَبُوا بزِينَتِهَا ونَعيمِهَا، ولاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وبُؤْسِهَا، فَإنَّ عِزَّهَا وفَخْرَهَا إلَى انْقطَاعٍ، وزِينَتَهَا ونَعيمَهَا إلى زَوَالٍ، وضَرَّاءَهَا وبُؤْسَهَا إلى نَفَادٍ، وكُلَّ مُدَّة فيهَا إلَى انْتهَاءٍ، وكُلَّ حَيٍّ فيهَا إلى فَنَاءٍ.

أ ولَيْسَ لَكُمْ في آثَارِ الأَوَّلينَ مُزْدَجَرٌ، وفي آبَائكُمُ الْمَاضينَ تَبْصِرَةٌ ومُعْتَبَرٌ، إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ.

أولَمْ تَرَوْا إلَى الْمَاضينَ مِنْكُمْ لاَ يَرْجِعُونَ، وإلَى الْخَلَفِ الْبَاقينَ مِنْكُمْ لاَ يَبْقَوْنَ.

قَالَ الله - تَبَارَكَ وتعالى- والصِّدْقُ قَوْلُهُ-: ﴿وحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾.

وقَالَ- جَلَّ وعَزَّ-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وما الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ﴾.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ ويُمْسُونَ عَلى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيِّتٌ يُبْكى، وآخَرُ يُعَزَّى.

وصَرِيعٌ مُبْتَلى، وآخَرُ يُبَشَّرُ ويُهَنَّأُ.

وعَائِدٌ يَعُودُ، وآخَرُ بِنَفْسِه يَجُودُ.

وطَالِبٌ لِلدُّنْيَا والْمَوْتُ يَطْلُبُهُ.

وغَافِلٌ ولَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ.

وعَلى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي.

قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ، وحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، والْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ.

وإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلى دِينِ اللَّهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلاَّ خُبْثُ السَّرَائِرِ، وسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلاَ تَوَازَرُونَ، ولاَ تَنَاصَحُونَ، ولاَ تَبَاذَلُونَ، ولاَ تَوَادُّونَ.

مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، ولاَ يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، ويُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا حِينَ يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ. كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ.

ومَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلاَّ مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ.

قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلى رَفْضِ الآجِلِ، وحُبِّ الْعَاجِلِ، وصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلى لِسَانِهِ، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، وأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ.

أَلاَ فَاذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، ومُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ، ومُفَرِّقَ الْجَمَاعَاتِ، وَقَاطِعَ الأُمْنِيَّاتِ، ومُدْنِيَ الْمَنِيَّاتِ، ودَاعِيَ الشَّتَاتِ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ.

واسْتَعِينُوا اللهَ - تعالى- عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، ومَا لاَ يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وإِحْسَانِهِ.

أَلاَ وإِنَّ هذَا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ عِيداً، وهُوَسَيِّدُ أَيَّامِكُمْ، وأَفْضَلُ أَعْيَادِكُمْ، وقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِالسَّعْيِ فِيهِ إِلَى ذِكْرِهِ، فَلْتَعْظُمْ فِيهِ رَغْبَتُكُمْ، وَلْتَخْلُصْ فِيهِ نِيَّتُكُمْ، وأَكْثِرُوا فِيهِ التَّضَرُّعَ إِلَى اللَّهِ والدُّعَاءَ، ومَسْأَلَةَ الرَّحْمَةِ والْغُفْرَانِ، فَإِنَّ اللهَ - عَزَّ وجَلَّ- يَسْتَجِيبُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ دَعَاهُ، ويُورِدُ النَّارَ كُلَّ مَنْ عَصَاهُ، وكُلَّ مُسْتَكْبِرٍ عَنْ عِبَادَتِهِ.

قَالَ اللهُ - تعالى-: ﴿وقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي﴾.

واعْلَمُوا أَنَّ فِيهِ سَاعَةً مُبَارَكَةً لاَ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ.

والْجُمُعَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ إِلاَّ عَلَى الصَّبِيِّ، والْمَرْأَةِ، والْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ، والْمَرِيضِ، والْمَجْنُونِ، والشَّيْخِ الْكَبِيرِ، والأَعْمَى، والْمُسَافِرِ، ومَنْ كَانَ عَلَى رَأْسِ فَرْسَخَيْنِ.

غَفَرَ اللَّهُ لَنَا ولَكُمْ سَالِفَ ذُنُوبِنَا، فِيمَا خَلاَ مِنْ أَعْمَارِنَا، وعَصَمَنَا وإِيَّاكُمْ مِنِ اقْتِرَافِ الذُّنُوبِ والآثَامِ بَقِيَّةَ أَيَّامِ دَهْرِنَا.

إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الْكَرِيمِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّ اللَّهَ هُوالْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ-: ﴿قُلْ هُواللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

ثم جلس عليه السلام كلّا ولا، ثم قال فقال: الْحَمْدُ للَّهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ، ونَسْتَهْدِيهِ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونُؤْمِنُ بِهِ ونَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ.

ونَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَالْمُهْتَدِ ومَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وسَلاَمُهُ عَلَيْهِ وآلِهِ ومَغْفِرَتُهُ ورِضْوَانُهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ ونَبِيِّكَ وصَفِيِّكَ صَلاَةً تَامَّةً نَامِيَةً زَاكِيَةً، تَرْفَعُ بِهَا دَرَجَتَهُ، وتُبِينُ بِهَا فَضِيلَتَهُ.

وصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وبَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وبَارَكْتَ وتَرَحَّمْتَ عَلى إِبْرَاهِيمَ وآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ عَذِّبْ كَفَرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ والْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، ويَجْحَدُونَ آيَاتِكَ، ويُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ.

اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وأَلْقِ الرُّعْبَ في قُلُوبِهِمْ، وأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ ونَقْمَتَكَ وبَأْسَكَ الَّذي لاَ تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

اللَّهُمَّ انْصُرْ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ، وسَرَايَاهُمْ، ومُرَابِطِيهِمْ، حَيْثُ كَانُوا في مَشَارِقِ الأَرْضِ ومَغَارِبِهَا، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ، والْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ، ولِمَنْ هُولاَحِقٌ بِهِمْ.

اللَّهُمَّ واجْعَلِ التَّقْوى زَادَهُمْ، والْجَنَّةَ مَآبَهُمْ، والإِيمَانَ والْحِكْمَةَ في قُلُوبِهِمْ، وأَوْزِعْهُمْ أَنْ يَشْكُرُوا نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، وأَنْ يُوفُوا بِعَهْدِكَ الَّذي عَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ، إِلهَ الْحَقِّ وخَالِقَ الْخَلْقِ، آمِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِمَنْ تُوَفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ، والْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ، ولِمَنْ هُولاَحِقٌ بِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُـرُ بِـالْعَدْلِ والأحْسـانِ وإِيـتاءِ ذِي الْقُـرْبى ويَـنْهى عَـنِ الْفَحْشـاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

أُذْكُـرُوا اللَّـهَ يَذْكُـرْكُمْ، فَإِنَّـهُ ذَاكِـرٌ لِمَـنْ ذَكَـرَهُ، وسَـلُوهُ مِـنْ رَحْمَـتِهِ وفَضْـلِهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَخيبُ دَاعٍ مِنَ الْمُؤْمِنينَ دَعَاهُ.

رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الأخِرَةِ حَسَنَةً وقِنا عَذابَ النَّارِ.

خطبة له عليه السلام (٣٢)

في يوم الجمعة أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه أَهْلِ الْحَمْد ووَلِيِّه، ومُنْتَهَى الْحَمْد ومَحَلِّه.

الْبَديءِ الْبَديعِ، الأَجَلِّ الأَعْظَمِ، الأَعَزِّ الأَكْرَمِ.

الْمُتَوَحِّد بالْكبْرِيَاء، والْمُتَفَرِّد بالآلاَء.

الْقَاهرِ بعزِّه، والْمُتَسَلِّط بقَهْرِه، الْمُمْتَنِعِ بقُوَّته، الْمُهَيْمنِ بقُدْرَته، والْمُتَعَالي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بجَبَرُوته، الْمَحْمُود بامْتنَانه وإحْسَانه، الْمُتَفَضِّلِ بعَطَائه وجَزيلِ فَوَائده، الْمُوسعِ برزْقه، الْمُسْبغِ بنعَمه.

نَحْمَدُهُ عَلى تَظَافُرِ آلاَئه، وتَظَاهُرِ نَعْمَائه، حَمْداً يَزِنُ قَدْرَ كبْرِيَائه، وعَظَمَةَ جَلاَله.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ.

الَّذي كَانَ في أَوَّلِيَّته مُتَقَادماً، وفي دَيْمُوميَّته متَسَيْطراً.

خَضَعَ الْخَلاَئقُ لوَحْدانيَّته وربُّوبيَّته وقَديمِ أَزَليَّته، ودَانُوا لدَوَامِ أَبَديَّته.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وخيَرَتُهُ منْ خَلْقه.

إخْتَارَهُ بعلْمه، واصْطَفَاهُ لوَحْيه، وائْتَمَنَهُ عَلى سرِّه، وارْتَضَاهُ لخَلْقه، وانْتَدَبَهُ لعَظيمِ أَمْرِه، وإضَاءَةِ مَعَالمِ دينه، ومَنَاهجِ سَبيله، وجَعَلَهُ مفْتَاحَ وَحْيه، وسَبَباً لرَحْمَته.

إبْتَعَثَهُ عَلى حينِ فَتْرَةٍ منَ الرُّسُلِ، واخْتلاَفٍ منَ الْمللِ، وهَدْأَةٍ منَ الْعلْمِ، وضَلاَلٍ عَنِ الْحَقِّ، وجَهَالَةٍ بالرَّبِّ، وكُفْرٍ بالْبَعْث و[تَكْذيبٍ بـ] الْوَعْد.

أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، [وَ] رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، بِكِتَابٍ كَرِيمٍ قَدْ فَضَّلَهُ وَفَصَّلَهُ، وَبَيَّنَهُ وَأَوْضَحَهُ وَأَعَزَّهُ، وَحَفِظَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ(لا) مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

ضَرَبَ لِلنَّاسِ فِيهِ الأَمْثَالَ، وَصَرَفَ [لَهُمْ] فِيهِ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ.

وَأَحَلَّ فِيهِ الْحَلاَلَ، وَحَرَّمَ فِيهِ الْحَرَامَ، وَشَرَعَ فِيهِ الدِّينَ لِعِبَادِهِ عُذْراً وَنُذْراً، لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَيَكُونَ لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ.

فَبَلَّغَ رِسَالَتَهُ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، وَعَبَدَهُ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ، أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، وَأُوصِي نَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي ابْتَدَأَ الأُمُورَ بِعِلْمِهِ، وَإِلَيْهِ يَصِيرُ غَداً مَعَادُهَا، وَبِيَدِهِ فَنَاؤُهَا، وَتَصَرُّمُ أَيَّامِكُمْ، وَفَنَاءُ آجَالِكُمْ، وَانْقِطَاعُ مُدَّتِكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا وَالاغْتِرَارَ بِهَا، فَكَأَنَّهَا قَدْ زَالَتْ عَنْ قَلِيلٍ عَنْكُمْ كَمَا زَالَتْ عَمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَاجْعَلُوا، عِبَادَ اللَّهِ، اجْتِهَادَكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا التَّزَوُّدَ مِنْ يَوْمِهَا الْقَصِيرِ لِيَوْمِ الآخِرَةِ الطَّوِيلِ، فَإِنَّهَا دَارُ عَمَلٍ وَابْتِلاَءٍ، وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ وَجَزَاءٍ.

تَرَصَّدُوا مَوَاعِيدَ الآجَالِ، وَبَاشِرُوهَا بِمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى ذَخَائِرِ الأَمْوَالِ فَتُحَلِّيكُمْ خَدَائِعُ الآمَالِ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ.

لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلاَ تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، خَدَّاعَةٌ صَرَّاعَةٌ، غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ، مَكَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ.

أَنْهَارُهَا لاَمِعَةٌ، وَثِمَارُهَا يَانِعَةٌ، ظَاهِرُهَا سُرُورٌ، وَبَاطِنُهَا غُرُورٌ.

تَأْكُلُكُمْ بِأَضْرَاسِ الْمَنَايَا، وَتُبِيرُكُمْ بِأَتْلاَفِ الرَّزَايَا.

وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، ولَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وغَرَّتْ بِزِينَتِهَا.

وهِيَ دَارُ مَمَرٍّ لاَ دَارُ مَقَرٍّ.

والنَّاسُ فِيهَا رَجُلاَنِ: رَجُلٌ بَاعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا.

ورَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا.

لَ[قَدْ] هَمَّ بِهَا أَوْلاَدُ الْمَوْتِ، وآثَرُوا زِينَتَهَا، وطَلَبُوا رُتْبَتَهَا.

يَا أَهْلَ الْغُرُورِ، مَا أَبْهَجَكُمْ بِدَارٍ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا، وخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وحُلْوَهَا بِمُرِّهَا.

لَمْ يُصْفِهَا اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعالَى - لأَوْلِيَائِهِ، ولَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ.

خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وشَرُّهَا عَتِيدٌ، وجَمْعُهَا يَنْفَدُ، ومُلْكُهَا يُسْلَبُ، وعَامِرُهَا يَخْرَبُ، ولَذَّتُهَا قَلِيلَةٌ، وحَسْرَتُهَا طَوِيلَةٌ.

تَشُوبُ نَعِيمَهَا بِبُؤْسٍ، وتَقْرَنُ سُعُودَهَا بِنُحُوسٍ، وتَصِلُ نَفْعَهَا بِضُرٍّ، وتَمْزِجُ حُلْوَهَا بِمُرٍّ.

فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وعُمُرٍ يَفْنَى فَنَاءَ الزَّادِ، ومُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ.

لاَ تَعْدُوالدُّنْيَا، إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا، والرِّضَا بِهَا، الْمُحِبِّينَ لَهَا، الْمُطْمَئِنِّينَ إِلَيْهَا، الْمَفْتُونِينَ بِهَا، أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى -: ﴿كَماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾.

لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةٌ، ولَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً إِلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، ولَمْ تَطَّلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ إِلا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ.

وحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ خَاذِلَةً مُتَنَكِّرَةً، وإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ لامْرِئٍ واحْلَوْلَى، أَمَرَّ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى.

لاَ يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً إِلاَّ أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً، ولاَ يُمْسِي امْرُؤٌ مِنْهَا في جَنَاحِ أَمْنٍ إِلاَّ أَصْبَحَ عَلى قَوَادِمِ خَوْفٍ، أَوتَغَيُّرِ نِعْمَةٍ أَوزَوَالِ عَافِيَةٍ.

غَرَّارَةٌ، غُرُورٌ مَّا فيهَا. فَانِيَةٌ، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ في هذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فيكُمُ الْمَنَايَا، ومَا لَكُمْ فيهَا نَهْبٌ لِلْحُتُوفِ وتُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ.

مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ مِنْهَا شَرَقٌ، وفي كُلِّ أَكْلَةٍ مِنْهَا غَصَصٌ.

لاَ تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً تَفْرَحُونَ بِهَا إِلاَ بِفِرَاقِ أُخْرى تَكْرَهُونَهَا، ولاَ يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلاَ بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، ولاَ تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ في أَكْلِهِ إِلاَ بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، ولاَ يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلاَ مَاتَ لَهُ أَثَرٌ، ولاَ يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلاَ بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ، ولاَ تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلاَ وتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ.

لاَ خَيْرَ في شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلاَ التَّقْوى.

فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ، وأَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ، وتَسُوقُنَا إِلَى الْفَنَاءِ.

فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُوالْبَقَاءَ وهذَا اللَّيْلُ والنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً، إِلاَ أَسْرَعَا الْكَرَّةَ في هَدْمِ مَا بَنَيَا، وتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا.

مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، ومَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ.

كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وذي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وذي احْتِيَالٍ فيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ، وذي أُبَّهَةٍ فيهَا قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وذي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا، وذي تَاجٍ قَدْ أَكَبَّتْهُ لِلْيَدَيْنِ وِلِلْفَمِ.

سُلْطَانُهَا دُوَلٌ، وعَيْشُهَا رَنَقٌ، وصَفْوُهَا كَدِرٌ، وعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وحُلْوُهَا صَبِرٌ، وغِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وأَسْبَابُهَا رِمَامٌ، وقِطَافُهَا سَلَعٌ.

حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ، وآمِنُهَا بِعَرَضِ خَوْفٍ، ومَنِيعُهَا

بِعَرَضِ اهْتِضَامٍ.

ومُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وضَيْفُهَا مَثْلُوبٌ، ومَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ، وجَارُهَا مَحْرُوبٌ.

ثُمَّ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وزَفْرَتُهُ، وهَوْلُ الْمُطَّلَعِ، والْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِما عَمِلُوا ويَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.

فَاتَّقُوا اللهَ - عَزَّ ذِكْرُهُ -، وسَارِعُوا إِلَى رِضْوَانِهِ، والْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، [وَ] اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، واسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ.

أَطْلُبُوا الْخَيْرَ وأَهْلَهُ، واعْلَمُوا أَنَّ خَيْراً مِنَ الْخَيْرِ مُعْطِيهِ، وشَرّاً مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ.

وأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ.

وقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ.

أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ وتَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وأَبْقَى آثَاراً، وأَبْعَدَ آمَالًا، وأَعَدَّ عَدِيداً، وأَكْثَفَ جُنُوداً، وأَشَدَّ عُنُوداً.

تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، ونَزَلُوا بِهَا أَيَّ نُزُولٍ، وآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ والصَّغَارِ، بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، ولاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ.

فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ، أَوْأَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَمَّلَتْهُمْ بِخَطْبٍ، أَوْأَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْأَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً.

بَلْ قَدْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ، وأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وعَفَّرَتْهُمْ بِالْمَصَائِبِ، وعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، ووَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ.

فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وأَجَدَّ إِلَيْهَا، وآثَرَهَا وأَخْلَدَ لَهَا، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ إِلَى آخِرِ الْمُسْنَدِ.

وهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ السَّغَبَ، أَوْأَحَلَّتْهُمْ إِلاَّ الضَّنْكَ، أَونَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ الظُّلْمَةَ، أَوْأَعْقَبَتْهُمْ إِلاَّ النَّدَامَةَ.

أفهذه تُؤْثِرُونَ، أمْ إلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ، أمْ فيهَا تَرْغَبُونَ.

يَقُولُ اللهُ - جَلَّ مِنْ قَائِل -: ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، ولَمْ يَكُنْ فيهَا عَلى وجَلٍ مِنْهَا.

فَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّه، وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، بِأَنَّكُمْ لاَ بُدَّ تَارِكُوهَا، وظَاعِنُونَ عَنْهَا، فَإِنَّمَا هِيَ لَهْوولَعِبٌ كَمَا وَصَفَهَا اللهُ - عَزَّ وجَلَّ -، وقَالَ-: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ ولَهْووزِينَةٌ وتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وتَكاثُرٌ فِي الأَمْوالِ والأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وفِي الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾.

واتَّعِظُوا فيهَا بِالَّذِينَ قَالَ [لَهُمُ] اللهُ - تعالى -: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وإِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

واتَّعِظُوا فيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا-: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾.

واتَّعِظُوا بِإِخْوَانِكُمُ الَّذِينَ حُمِلُوا إِلى قُبُورِهِمْ فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وأُنْزِلُوا الأَجْدَاثَ فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، ومِنَ الضَّرِيحِ أَكْنَانٌ، ومِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، ومِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً، ولاَ يَمْنَعُونَ ضَيْماً، ولاَ يُبَالُونَ مَنْدَبَةً.

واعْتَبِرُوا بِمَنْ قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ مَنْ صَارُوا فِي التُّرَابِ رَمِيماً، إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا.

جَمِيعٌ وهُمْ آحَادٌ، وجِيرَةٌ وهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ، وقَرِيبُونَ لاَ يَتَقَارَبُونَ.

حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وجُهَلاَءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ.

لاَ يُخْشَى فَجْعُهُمْ، ولاَ يُرْجَى دَفْعُهُمْ.

فَهُمْ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ، وكَمَا قَالَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ

مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلًا وكُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ﴾.

إِسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْناً، وبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وبِالأَهْلِ وَحْدَةً، وبِالأُنْسِ غُرْبَةً، وبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاةً عُرَاةً فُرَادى.

غَيْرَ أَنَّ [هُمْ] قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، والدَّارِ الْبَاقِيَةِ، وإِلَى خُلُودِ الأَبَدِ، كَمَا قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى -: ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾.

يَا ذَوِي الْحِيَلِ والآرَاءِ، والْفِقْهِ والأَنْبَاءِ، اذْكُرُوا مَصَارِعَ الآبَاءِ، فَكَأَنَّكُمْ بِالنُّفُوسِ قَدْ سُلِبَتْ، وبِالأَبْدَانِ قَدْ عُرِيَتْ، وبِالْمَوَارِيثِ قَدْ قُسِمَتْ، فَتَصِيرُ يَا ذَا الدَّلاَلِ، والْهَيْئَةِ والْجَمَالِ، إِلَى مَنْزِلَةِ شَعْثَاءَ، ومَحَلَّةِ غَبْرَاءَ، فَتَنَوَّمُ عَلَى خَدِّكَ فِي لَحْدِكَ، فِي مَنْزِلٍ قَلَّ زُوَّارُهُ، ومَلَّ عُمَّالُهُ، حَتَّى يُشَقَّ عَنِ الْقُبُورِ، وتُبْعَثَ إِلَى النُّشُورِ.

فَإِنْ خُتِمَ لَكَ بِالسَّعَادَةِ صِرْتَ إِلَى الْحُبُورِ، وأَنْتَ مَلِكٌ مُطَاعٌ، وآمِنٌ لاَ تُرَاعُ، يَطُوفُ عَلَيْكَ وِلْدَانٌ كَأَنَّهُمُ الْجُمَانُ، بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ.

أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا يَتَنَعَّمُونَ، وأَهْلُ النَّارِ فِيهَا يُعَذَّبُونَ.

هؤُلاَءِ فِي السُّنْدُسِ والْحَرِيرِ يَتَبَخْتَرُونَ، وهؤُلاَءِ فِي الْجَحِيمِ والسَّعِيرِ يَتَقَلَّبُونَ.

هؤُلاَءِ تُحْشَى جَمَاجِمُهُمْ بِمِسْكِ الْجِنَانِ، وهؤُلاَءِ يُضْرَبُونَ بِمَقَامِعِ النِّيرَانِ.

هؤُلاَءِ يُعَانِقُونَ الْحُورَ فِي الْحِجَالِ، وهؤُلاَءِ يُطَوَّقُونَ أَطْوَاقاً فِي النَّارِ بِالأَغْلاَلِ.

يَا مَنْ يُسَلَّمُ إِلَى الدُّودِ ويُهْدَى إِلَيْهِ، اعْتَبِرْ بِمَا تَسْمَعُ وتَرَى، وقُلْ لِعَيْنِكَ تَجْفُو لَذَّةَ الْكَرَى، وتُفِيضُ الدُّمُوعَ بَعْدَ الدُّمُوعِ تَتْرَى.

بَيْتُكَ، الْقَبْرُ، بَيْتُ الأَهْوَالِ والْبِلَى، وغَايَتُكَ الْمَوْتُ، يَا قَلِيلَ الْحَيَاءِ.

إِسْمَعْ يَا ذَا الْغَفْلَةِ والتَّصْرِيفِ، مِنْ ذَوِي الْوَعْظِ والتَّعْرِيفِ.

جُعِلَ يَوْمُ الْحَشْرِ يَوْمَ الْعَرْضِ والسُّؤَالِ، والْحَبَاءِ والنَّكَالِ.

يَوْمٌ تُقَلَّبُ فِيهِ أَعْمَالُ الأَنَامِ، وتُحْصَى فِيهِ جَمِيعُ الآثَامِ.

يَـوْمٌ تَذُوبُ مِنَ النُّفُوسِ أَحْدَاقُ عُيُونِهَا، وتَضَعُ الْحَوَامِلُ مَا فِي بُطُونِهَا، وَيُفَرَّقُ بَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ وحَبِيبِهَا، ويَحَارُ فِي تِلْكَ الأَهْوَالِ عَقْلُ لَبِيبِهَا.

إِذْ تَـنَكَّرَتِ الأَرْضُ بَعْـدَ حُسْـنِ عِمَارَتِهَـا، وتَبَدَّلَـتْ بِـالْخَلْقِ بَعْـدَ أَنِـيقِ زَهْـرَتِهَا، وأَخْرَجَتْ مِنْ مَعَادِنِ الْغَيْبِ أَثْقَالَهَا، ونَفَضَتْ إِلَى اللَّهِ أَحْمَالَهَا.

يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الْجِدُّ، إِذَا عَايَنُوا الْهَوْلَ الشَّدِيدَ فَاسْتَكَانُوا، وعُرِفَ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَاسْتَبَانُوا.

فَانْشَقَّتِ الْقُبُورُ بَعْدَ طُولِ انْطِبَاقِهَا، واسْتَسْلَمَتِ النُّفُوسُ إِلَى اللَّهِ بِأَسْبَابِهَا، وكُشِفَ عَنِ الآخِرَةِ غِطَاؤُهَا، وظَهَرَ لِلْخَلْقِ أَنْبَاؤُهَا.

فَدُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً، ومُدَّتْ لأَمْرٍ يُرَادُ بِهَا مَدّاً مَدّاً.

واشْتَدَّ الْمُثَارُونَ إِلَى اللَّهِ شَدّاً شَدّاً.

وتَزَاحَفَتِ الْخَلاَئِقُ إِلَى الْمَحْشَرِ زَحْفاً زَحْفاً.

ورُدَّ الْمُجْرِمُونَ عَلَى الأَعْقَابِ رَدّاً رَدّاً.

وجَدَّ الأَمْرُ، وَيْحَكَ يَا إِنْسَانُ، جَدّاً جَدّاً.

وقُرِّبُوا لِلْحِسَابِ فَرْداً فَرْداً.

وجاءَ رَبُّكَ والْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، يَسْأَلُهُمْ عَمَّا عَمِلُوا حَرْفاً حَرْفاً.

فَجِيءَ بِهِمْ عُرَاةَ الأَبْدَانِ، خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ، أَمَامَهُمُ الْحِسَابُ، ومِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ، يَسْمَعُونَ زَفِيرَهَا، ويَرَوْنَ سَعِيرَهَا.

فَلَمْ يَجِدُوا نَاصِراً ولاَ وَلِيّاً يُجِيرُهُمْ مِنَ الذُّلِّ، فَهُمْ يَعْدُونَ سِرَاعاً إِلَى مَوَاقِفِ الْحَشْرِ يُسَاقُونَ سَوْقاً.

فَالسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ.

والْعِبَادُ عَلَى الصِّرَاطِ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلَمُونَ، ولاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَتَكَلَّمُونَ، ولاَ يُقْبَلُ مِنْهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ، قَدْ خُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، واسْتُنْطِقَتْ أَيْدِيهِمْ

وأرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

يَا لَهَا مِنْ سَاعَةٍ، مَا أَشْجَا مَوَاقِعَهَا مِنَ الْقُلُوبِ، حِينَ مُيِّزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

مِنْ مِثْلِ هذَا فَلْيَهْرَبِ الْهَارِبُونَ.

وإِذَا كَانَتِ الدَّارُ الآخِرَةَ، فَلَهَا [فَلْ]يَعْمَلِ الْعَامِلُونَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، والشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، والْوَرَعُ عَنِ الْمَحَارِمِ.

فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلاَ يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، ولاَ تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ.

فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى - إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ، وكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ. إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وإِنْ ضَحِكُوا، ويَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وإِنْ فَرِحُوا، ويَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وإِن اغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا.

فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ، وانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ، واعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ.

عَصَمَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ، ورَزَقَنَا وإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ.

نَسْأَلُ اللهَ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يَجْعَلَنَا وإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، ولاَ تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، ولاَ تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ ولاَ كَآبَةٌ.

إِنَّهُ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ثُمَّ إِنَّ أَحْسَنَ الْقَصَصِ، وأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ، وأَنْفَعَ التَّذَكُّرِ كِتَابُ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ -، قَالَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: ﴿والْعَصْرِ إِنَّ الأِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلاَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وتَواصَوْا بِالْحَقِّ وتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وبَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وتَحَنَّنْ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وسَلِّمْ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ وبَارَكْتَ وتَرَحَّمْتَ وتَحَنَّنْتَ وسَلَّمْتَ عَلى إِبْرَاهِيمَ وآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ، والشَّرَفَ والْفَضِيلَةَ، والْمَنْزِلَةَ الْكَرِيمَةَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ أَعْظَمَ الْخَلاَئِقِ كُلِّهِمْ شَرَفاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وأَقْرَبَهُمْ مِنْكَ مَقْعَداً، وأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاهاً، وأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ مَنْزِلَةً ونَصِيباً.

اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّداً أَشْرَفَ الْمَقَامِ، وجِبَاءَ السَّلاَمِ.

اللَّهُمَّ وأَلْحِقْنَا بِهِ غَيْرَ خَزَايَا ولاَ نَاكِبِينَ، ولاَ نَاكِثِينَ ولاَ نَادِمِينَ ولاَ مُبَدِّلِينَ، إِلهَ الْحَقِّ آمِينَ.

وصَلَّى اللَّهُ وسَلَّمَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ الأَخْيَارِ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً.

ثم جلس عليه السلام قليلًا. ثم قال فقال: الْحَمْدُ للَّهِ أَحَقَّ مَنْ خُشِيَ وحُمِدَ، وأَفْضَلِ مَنِ اتُّقِيَ وعُبِدَ، وأَوْلى مَنْ عُظِّمَ ومُجِّدَ.

نَحْمَدُهُ لِعَظِيمِ غَنَائِهِ، وجَزِيلِ عَطَائِهِ، وتَظَاهُرِ نَعْمَائِهِ، وحُسْنِ بَلاَئِهِ، ونُؤْمِنُ بِهُدَاهُ الَّذِي لاَ يَخْبُوضِيَاؤُهُ، ولاَ يَتَهَمَّدُ سَنَاؤُهُ، ولاَ يُوهَنُ عُرَاهُ.

ونَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الرَّيْبِ، وظُلَمِ الْفِتَنِ، ونَسْتَغْفِرُهُ مِنْ مَكَاسِبِ الذُّنُوبِ، ونَسْتَعْصِمُهُ مِنْ مَسَاوِئِ الأَعْمَالِ، ومَكَارِهِ الآمَالِ، والْهُجُومِ فِي الأَهْوَالِ، ومُشَارَكَةِ أَهْلِ الرَّيْبِ، والرِّضَا بِمَا يَعْمَلُ الْفُجَّارُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وللْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ، الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمْ عَلى دِينِكَ ومِلَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ حَسَنَاتِهِمْ، وتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وأَدْخِلْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةَ والْمَغْفِرَةَ والرِّضْوَانَ.

واغْفِرْ لِلأَحْيَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ، الَّذِينَ وَحَّدُوكَ وصَدَّقُوا رَسُولَكَ، وتَمَسَّكُوا بِدِينِكَ، وعَمِلُوا بِفَرَائِضِكَ، واقْتَدَوْا بِنَبِيِّكَ، وسَنُّوا سُنَّتَكَ، وأَحَلُّوا حَلاَلَكَ وحَرَّمُوا حَرَامَكَ، وخَافُوا عِقَابَكَ، ورَجَوْا ثَوَابَكَ، ووَالَوْا أَوْلِيَاءَكَ، وعَادَوْا أَعْدَاءَكَ، وأَدْخِلْهُمْ بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، إِلهَ الْحَقِّ آمِينَ.

خطبة له عليه السلام (٣٣)

في عيد الفطر

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والْأَرْضَ وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ ثُمَّ الَّذينَ كَفَرُوا بربِّهِمْ يَعْدلُونَ.

لاَ نُشْركُ باللَّه شَيْئاً، ولاَ نَتَّخذُ منْ دُونه وَليّاً.

والْحَمْدُ للَّه الَّذي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأَرْضِ، ولَهُ الْحَمْدُ في الأخرَة، وهُوالْحَكيمُ الْخَبيرُ يَعْلَمُ ما يَلجُ في الأَرْضِ وما يَخْرُجُ منْها وما يَنْزلُ منَ السَّماءِ وما يَعْرُجُ فيها وهُوالرَّحيمُ الْغَفُورُ.

كَذَلكَ اللَّهُ لاَ إلهَ إلاَ هُوإلَيْه الْمَصيرُ.

والْحَمْدُ للَّه الَّذي يُمْسكُ السَّماءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاَ بإذْنه إنَّ اللَّهَ بالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا برَحْمَتكَ، واعْمُمْنَا بمَغْفرَتكَ، إنَّكَ أنْتَ الْعَليُّ الْكَبيرُ.

وَالْحَمْدُ للَّه غَيْرَ مَقْنُوطٍ منْ رَحْمَته، ولاَ مَخْلُومنْ نعْمَته، ولاَ مَأيُوسٍ منْ مَغْفرَته، ولاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عبَادَته.

الَّذي بكَلمَته قَامَت السَّموَاتُ السَّبْعُ، واسْتَقَرَّت الأَرْضُ الْمهَادُ، وثَبَتَت الْجبَالُ الرَّوَاسي، وجَرَتِ الرِّيَاحُ اللَّواقحُ، وسَارَ في جَوالسَّمَاءِ السَّحَابُ، وقَامَتْ عَلى حُدُودهَا الْبحَارُ.

تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمينَ.

إِلهٌ قاهِرٌ، ذَلَّ لَهُ الْمُتَعَزِّزُونَ، وتَضاءَلَ لَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ودانَ لَهُ طَوْعاً وكَرْهاً الْعالَمُونَ.

نَحْمَدُهُ بِمَا حَمِدَ نَفْسَهُ وكَمَا هُوَ أَهْلُهُ، ونَسْتَعينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَسْتَهْديهِ، ونَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ.

يَعْلَمُ مَا تُخْفي الصُّدُورُ، ومَا تُجِنُّ الْبِحَارُ، ومَا تُوارِي الأَسْرَارُ، ويَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى وما تَغيضُ الأَرْحامُ وما تَزْدادُ وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ.

ومَا تُوَارِي مِنْهُ ظُلْمَةٌ، ولاَ تَغيبُ عَنْهُ غَائِبَةٌ وما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبينٍ.

ويَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ الْعامِلُونَ، وأَيَّ مَجْرىً يَجْرُونَ، وإِلى أَيٍّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

ونَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ونَبِيُّهُ، ورَسُولُهُ إِلى خَلْقِهِ، وأَمِينُهُ عَلى وَحْيِهِ، قَدْ بَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ، وجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ الْعَادِلِينَ بِهِ، وعَبَدَ اللَّهَ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

أُوصِيكُمْ [، عِبَادَ اللَّهِ،] ونَفْسِيَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، ولاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ، ولاَ يَسْتَغْنِي الْعِبَادُ عَنْهُ، ولاَ تَجْزِي أَنْعُمَهُ أَعْمَالُ الْعامِلِينَ.

الَّذي رَغَّبَ فِي التَّقْوى، وزَهَّدَ فِي الدُّنْيا، وحَذَّرَ مِنَ الْمَعاصي، وتَعَزَّزَ بِالْبَقاءِ، وتَفَرَّدَ بِالْعِزِّ والْبَهاءِ، وذَلَّلَ خَلْقَهُ بِالْمَوْتِ والْفَناءِ، وجَعَلَ الْمَوْتَ غَايَةَ الْمَخْلُوقِينَ، وسَبِيلَ الْعَالَمِينَ، ومَعْقُوداً بِنَوَاصِي الْبَاقِينَ.

لاَ يُعْجِزُهُ إِبَاقُ الْهَارِبِينَ، وعِنْدَ حُلُولِهِ يَأْسَرُ أَهْلُ الْهَوى.

يَهْدِمُ كُلَّ لَذَّةٍ، ويُزِيلُ كُلَّ نِعْمَةٍ، ويَقْطَعُ كُلَّ بَهْجَةٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ، ولأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلاَءُ، فَكُلُّ مَا فِيهَا نَافِدٌ، وكُلُّ مَنْ يَسْكُنُهَا بَائِدٌ، وهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ، والْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ.

يَضِنُّ بِهَا ذُوالثَّرْوَةِ الضَّعِيفُ، ويَجْتَوِيهَا الْوَجِلُ الْخَائِفُ.

فَارْتَحِلُوا عَنْهَا، يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، ولاَ تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وارْضَوْا مِنْهَا بِالْيَسِيرِ، ولاَ تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلاَغِ.

وكُونُوا كَسَفْرٍ نَزَلُوا مَنْزِلًا فَتَمَتَّعُوا مِنْهُ بِأَدْنَى ظِلٍّ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا لِشَأْنِهِمْ.

ولاَ تَمُدُّنَّ أَعْيُنَكُمْ فِيهَا إِلَى مَا مُتِّعَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، واسْتَهِينُوا بِهَا ولاَ تُوَطِّنُوهَا.

وأَضِرُّوا بِأَنْفُسِكُمْ فِيهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ أَخَفُّ لِلْحِسَابِ، وأَقْرَبُ مِنَ النَّجَاةِ.

وإِيَّاكُمْ والتَّنَعُّمَ والتَّلَهِّيَ والْفُكَاهَاتِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ غَفْلَةً واغْتِرَاراً.

أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ وأَدْبَرَتْ، واحْلَوْلَتْ وآذَنَتْ بِوَدَاعٍ.

أَلاَ وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ رَحَلَتْ فَأَقْبَلَتْ، وأَظَلَّتْ وآذَنَتْ بِاطِّلاَعٍ.

أَلاَ وإِنَّ الْمِضْمَارَ الْيَوْمَ، والسِّبَاقَ غَداً.

أَلاَ وإِنَّ السَّبَقَةَ الْجَنَّةُ، والْغَايَةَ النَّارُ.

أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ يَوْمِ مَنِيَّتِهِ.

أَولاَ عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ وفَقْرِهِ.

جَعَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَخَافُهُ، ويَرْجُو ثَوَابَهُ.

أَلاَ إِنَّ هذَا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ عِيداً، وجَعَلَكُمْ لَهُ أَهْلًا.

[وَ] إِنَّمَا هُوعِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهِ - سُبْحَانَهُ - صِيَامَهُ، وشَكَرَ قِيَامَهُ.

وكُلُّ يَوْمٍ لاَ يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ فَهُوَيَوْمُ عِيدٍ.

فَاذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ، وادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، واسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ.

وأَدُّوا فِطْرَتَكُمْ، فَإِنَّهَا سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وفَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ.

فَلْيُخْرِجْهَا كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مِنْ طِيبِ كَسْبِهِ، طَيِّبَةً بِذَلِكَ نَفْسُهُ، ولْيُؤَدِّهَا عَنْ نَفْسِهِ وعَنْ عِيَالِهِ كُلِّهِمْ، ذَكَرِهِمْ وأُنْثَاهُمْ، وصَغِيرِهِمْ وكَبِيرِهِمْ، وحُرِّهِمْ ومَمْلُوكِهِمْ، عَنْ كُلِّ

إِنْسَانٍ مِنْهُمْ صَاعاً مِنْ بُرٍّ، أوصَاعاً مِنْ تَمْرٍ، أوصَاعاً مِنْ شَعِيرٍ.

وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوى.

وأَطِيعُوا اللَّهَ فيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ وأَمَرَكُمْ بِه، مِنْ إِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، والأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، والاحْسَانِ إِلَى نِسَائِكُمْ، ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.

واتَّقُوا اللَّهَ فيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، مِنْ قَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وإِتْيَانِ الْفَاحِشَةِ، وشُرْبِ الْخَمْرِ، وبَخْسِ الْمِكْيَالِ، ونَقْصِ الْمِيزَانِ، وشَهَادَةِ الزُّورِ، والْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ يَوْمَكُمْ هذَا يُثَابُ فيهِ الْمُحْسِنُونَ، ويَخْسَرُ فيهِ الْمُبْطِلُونَ، وهُوَ أَشْبَهُ يَوْمٍ بِيَوْمِ قِيَامِكُمْ.

فَاذْكُرُوا بِخُرُوجِكُمْ مِنْ مَنَازِلِكُمْ إِلَى مُصَلاَكُمْ خُرُوجَكُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّكُمْ.

واذْكُرُوا بِوُقُوفِكُمْ فِي مُصَلاَكُمْ وُقُوفَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكُمْ.

واذْكُرُوا بِرُجُوعِكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ رَجُوعَكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ أَوالنَّارِ.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ أَدْنَى مَا لِلصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ، أَنْ يُنَادِيهِمْ مَلَكٌ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: أَبْشِرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَكُونُونَ فيمَا تَسْتَأْنِفُونَ.

عَصَمَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ بِالتَّقْوى، وجَعَلَ الآخِرَةَ خَيْراً لَنَا ولَكُمْ مِنَ الأُولى.

إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وأَبْلَغَ مَوْعِظَةِ الْمُتَّقِينَ، كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ هُوَاللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

ثم جلس عليه السلام جلسة قصيرة ونهض للخطبة الثانية وهي المذكورة في خطبة يوم الجمعة.

خطبة له عليه السلام (٣٤)

في عيد الأضحى

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ.

اللَّهُ أَكْبَرُ وللَّه الْحَمْدُ.

الْحَمْدُ للَّه عَلى مَا هَدَانَا، ولَهُ الشُّكْرُ عَلى مَا أَوْلاَنَا.

والْحَمْدُ للَّه عَلى مَا رَزَقَنَا منْ بَهيمَة الأَنْعَام.

اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، زِنَةَ عَرْشه، ورِضَا نَفْسه، ومِدَادَ كَلمَاته، وعَدَدَ قَطْرِ سَمواته، ونُطَف بُحُوره.

ولَـهُ الأَسْـمَاءُ الْحُسْـنى، ولَـهُ الْحَمْدُ في الآخرَة والأُولى، حَتَّى يَرْضى وبَعْدَ الرِّضَا، إِنَّهُ هُوالْعَليُّ الْكَبيرُ، وهُوالْعَزيزُ الْغَفُورُ.

اللَّـهُ أَكْـبَرُ كَبيراً مُتَكَـبِّراً، وإِلهـاً عَزيزاً مُتَعَزِّزاً، ورَحيماً عَطُوفاً مُتَحَنِّناً، يَقْبَلُ التَّوْبَةَ، ويُقيلُ الْعَثْرَةَ، ويَعْفُوبَعْدَ الْقُدْرَة، لاَ يَقْنَطُ منْ رَحْمَة اللَّه إِلاَ الْقَوْمُ الضَّالُّون.

اللَّهُ أَكْبَرُ كَبيراً، ولاَ إِلهَ إِلاَ اللَّهُ كَثيراً، وسُبْحَانَ اللَّه حَنَّاناً قَديراً.

والْحَمْدُ للَّه نَحْمَدُهُ ونَسْتَعينُهُ ونَسْتَغْفرُهُ ونَسْتَهْديه.

ونَشْـهَدُ أَنْ لا إِلـهَ إِلاَ اللَّـهُ وَحْـدَهُ لاَ شَـريكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله] عَبْدُهُ ورَسُولُهُ.

مَـنْ يُطِـعِ اللَّـهَ ورَسُـولَهُ فَقَـدْ فـازَ فَـوْزاً عَظِـيماً، ومَنْ يَعْصِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلالًا مُبيناً.

أُوصيكُمْ، عِبَادَ اللَّه، بِتَقْوَى اللَّه، وكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْت، والزُّهْدِ في الدُّنْيَا الَّتي لَمْ يَتَمَتَّعْ بِهَا مَنْ كَانَ فيهَا قَبْلَكُمْ، ولَنْ تَبْقى لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِكُمْ، فَسَبِيلُ مَنْ فيهَا سَبِيلُ الْمَاضينَ مِنْ أَهْلِهَا.

أَلاَ وإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وآذَنَتْ بِانْقِضَاء، وتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاء سُكَّانَهَا، وتَحْدُو بِالْمَوْت جِيرَانَهَا.

وقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْواً، وكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ سَمَلَةٌ كَسَمَلَة الإِدَاوَة، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَة الْمُقْلَة، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصِّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ غُلَّتَهُ بِهَا.

فَأَزْمِعُوا، عِبَادَ اللَّه، الرَّحِيلَ عَنْ هذه الدَّار الْمَقْدُور عَلى أَهْلِهَا الزَّوَالُ، الْمَمْنُوعِ أَهْلُهَا مِنْ دَوَام الْحَيَاة، الْمُذَلَّلَة فيهَا أَنْفُسُهُمْ بِالْمَوْت، وأَجْمِعُوا مُتَارَكَتَهَا، فَمَا مِنْ حَيٍّ يَطْمَعُ فِي الْبَقَاء، ولاَنَفْسٌ إِلاَ وقَدْ أَذْعَنَتْ لِلْمَنُون.

ولاَ يَغْلِبَنَّكُمْ فيهَا الأَمَلُ، ولاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ، فَتَقْسُوقُلُوبُكُمْ.

ولاَ تَغْتَرُّوا بِالْمُنى وخُدَعِ الشَّيْطَانِ وتَسْوِيفِه، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ، عَدُوَّكُمْ، حَرِيصٌ عَلى إِهْلاَكِكُمْ.

تَعَبَّدُوا لِلَّه، عِبَادَ اللَّه، أَيَّامَ الْحَيَاة، فَوَاللَّه لَوقَدْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّه الْعِجَال، ودَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ، وجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَان، وخَرَجْتُمْ إِلَى الله - تعالى - مِنَ الأَمْوَالِ والأَوْلاَد، الْتِمَاسَ الْقُرْبَة إِلَيْه فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَة عِنْدَهُ، أَوْغُفْرَانِ سَيِّئَة أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ وحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلًا فيمَا أَرْجُولَكُمْ مِنْ ثَوَابِه، وأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِه.

وتَاللَّه لَوانْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثاً، وسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَة إِلَيْه أَورَهْبَة مِنْهُ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ عَلى أَفْضَلِ اجْتِهَاد وعَمَل، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ، ولَولَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ، مَا قُمْتُمْ بِحَقِّ أَنْعُمِه عَلَيْكُمُ الْعِظَامِ، وهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلإِيمَان، ولاَ اسْتَحْقَقْتُمْ جَنَّتَهُ ولاَ رَحْمَتَهُ، ولكِنْ بِرَحْمَتِه تُرْحَمُونَ، وبِهُدَاهُ تَهْتَدُونَ، وبِهِمَا إِلى

جَنَّتِه يَصيرُ مِنْكُمُ الْمُقْسِطُونَ.

جَعَلَنَا اللَّهُ وإيَّاكُمْ بِرَحْمَتِه مِنَ التَّائِبِينَ الْعَابِدِينَ الأَوَّابِينَ.

أَلاَ وإنَّ هذَا يَوْمٌ حُرْمَتُهُ عَظِيمَةٌ، وبَرَكَتُهُ مَأْمُولَةٌ، والْمَغْفِرَةُ فيه مَرْجُوَّةٌ، فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ الله - تعالى -، وتَعَرَّضُوا لِثَوَابِه بالتَّوْبَةِ، والإنَابَةِ، والْخُضُوعِ، والْخُشُوعِ والتَّضَرُّعِ، فَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِه ويَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وهُوالرَّحِيمُ الْوَدُودُ.

ومَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلْيُضَحِّ بِجِذْعٍ مِنَ الضَّأْنِ، ولاَ يُجْزِي عَنْهُ جِذْعٌ مِنَ الْمَعْزِ.

ومِنْ تَمَامِ الأُضْحِيَةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وسَلامَةُ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الأُذُنُ والْعَيْنُ سَلِمَتِ الأُضْحِيَةُ وتَمَّتْ.

ولَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ أوتَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ فَلاَ تُجْزِي.

وإِذَا ضَحَّيْتُمْ فَكُلُوا مِنْهَا وأَطْعِمُوا، واهْدُوا، وادَّخِرُوا، واحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَكُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ.

وأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكَاةَ، وأَحْسِنُوا الْعِبَادَةَ، وأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ بِالْقِسْطِ، وارْغَبُوا فِيمَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ، وأَدُّوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْجِهَادِ، والْحَجِّ، والصِّيَامِ، والصَّلاَةِ، والزَّكَاةِ، ومَعَالِمِ الإِيمَانِ، فَإِنَّ ثَوَابَ ذَلِكَ عَظِيمٌ لاَ يَنْفَدُ، وخَيْرَهُ جَسِيمٌ، وتَرْكَهُ وَبَالٌ لاَ يَبِيدُ.

وأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وأَعِينُوا الضَّعِيفَ، وأَخِيفُوا الظَّالِمَ، وانْصُرُوا الْمَظْلُومَ، وخُذُوا فَوْقَ يَدِ الْمُرِيبِ.

وأَحْسِنُوا إِلَى نِسَائِكُمْ ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.

واصْدُقُوا الْحَدِيثَ، وأَدُّوا الأَمَانَةَ، وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ، وكُونُوا قَوَّامِينَ بِالْحَقِّ.

وأَوْفُوا الْمِكْيَالَ والْمِيزَانَ.

وجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِه، ولَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ولا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ.

إِنَّ أَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ وأَحْسَنَ الْقَصَصِ كَلاَمُ اللَّه، أَعُوذُ بِاللَّه منَ الشَّيْطَان الرَّجيم، بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيم-: ﴿قُلْ هُواللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

وجلس عليه السلام كالرائد العجلان ثم نهض فخطب الخطبة الثانية المذكورة في ذيل خطبة الجمعة.

خطبة له عليه السلام (٣٥)

في الاستسقاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه سَابِغِ النِّعَمِ، ومُفَرِّجِ الْهَمِّ، وبَارِئِ النَّسَمِ، الَّذي جَعَلَ السَّمواتِ لكُرْسِيِّه عِمَاداً، والْجِبَالَ لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً، والأَرْضَ لِلْعِبَادِ مِهَاداً، وأَقَامَ بِعِزَّتِه أَرْكَانَ الْعَرْشِ، وأَشْرَقَ بِضَوْءِ نُورِه شُعَاعَ الشَّمْسِ، وأَطْفَأَ بِشُعَاعِه ظُلْمَةَ الْغَطَشِ، ومَلائِكَتُهُ عَلى أَرْجَائِهَا، وحَمَلَةَ عَرْشِه عَلى أَمْطَائِهَا.

وفَجَّرَ الأَرْضَ عُيُوناً، والْقَمَرَ نُوراً، والنُّجُومَ بُهُوراً، ثُمَّ تَجَلَّى فَتَمَكَّنَ، وخَلَقَ فَأَتْقَنَ، وأَقَامَ فَتَهَيْمَنَ، فَخَضَعَتْ لَهُ نَخْوَةُ الْمُسْتَكْبِرِ، وطَلَبَتْ إِلَيْه خَلَّةُ الْمُتَمَسْكِنِ.

اللَّهُمَّ فَبِدَرَجَتِكَ الرَّفِيعَةِ، ومَحَلَّتِكَ الْمَنِيعَةِ، وفَضْلِكَ السَّابِغِ، وسَبِيلِكَ الْوَاسِعِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا دَانَ لَكَ ودَعَا إِلى عِبَادَتِكَ، وأَوْفى بِعُهُودِكَ، وأَنْفَذَ أَحْكَامَكَ، واتَّبَعَ أَعْلامَكَ، عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ، وأَمِينِكَ عَلى عَهْدِكَ إِلى عِبَادِكَ، والْقَائِمِ بِأَحْكَامِكَ، ومُؤَيِّدِ مَنْ أَطَاعَكَ، وقَاطِعِ عُذْرِ مَنْ عَصَاكَ.

اللَّهُمَّ فَاجْعَلْ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآلِه أَجْزَلَ مَنْ جَعَلْتَ لَهُ نَصِيباً مِنْ رَحْمَتِكَ، وأَنْضَرَ مَنْ أَشْرَقَ وَجْهُهُ بِسِجَالِ عَطِيَّتِكَ، وأَقْرَبَ الأَنْبِيَاءِ زُلْفَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَكَ، وأَوْفَرَهُمْ حَظّاً مِنْ رِضْوَانِكَ، وأَكْثَرَهُمْ صُفُوفَ أُمَّةٍ فِي جِنَانِكَ، كَمَا لَمْ يَسْجُدْ لِلأَحْجَارِ، ولَمْ يَعْتَكِفْ لِلأَشْجَارِ، ولَمْ يَسْتَحِلَّ السِّبَاءَ، ولَمْ يَشْرَبِ الدِّمَاءَ.

أَلا وإِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ، والسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، ومَا أَصْبَحَتَا

تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، ولاَ زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، ولاَ لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، ولكِنْ أُمِرْتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وأُقِيمَتَا عَلى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا.

إِنَّ الله - تعالى - يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وإِغْلاَقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، ويُقْلِعَ مُقْلِعٌ، ويَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، ويَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ.

وقَدْ جَعَلَ الله - سُبْحَانَهُ - الاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ، ورَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ويُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وبَنِينَ ويَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ويَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً.

فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، واسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وبَادَرَ مَنِيَّتَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الأَسْتَارِ والأَكْنَانِ، وبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ والْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، ورَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ ونِقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَائِقُ الْوَعِرَةُ، وأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وفَاجَأَتْنَا الْمَحَابِسُ الْعَسِرَةُ، وأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وتَلاَحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعَبَةُ، وعَضَّتْنَا عَلاَئِقُ الشَّيْنِ، وتَأَثَّلَتْ عَلَيْنَا لَوَاحِقُ الْمَيْنِ، واعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ، وأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجَوْدِ، واسْتَظْمَأَنَا لِصَوَارِخِ الْقَوْدِ، فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ، والْبَلاَغَ لِلْمُلْتَمِسِ.

نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الأَنَامُ، ومُنِعَ الْغَمَامُ، وهَلَكَ السَّوَامُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، عَدَدَ الشَّجَرِ والنُّجُومِ، والْمَلاَئِكَةِ الصُّفُوفِ، والْعَنَانِ الْمَكْفُوفِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لاَ تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، ولاَ تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ، ولاَ تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا، ولاَ تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا.

اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ، وبَرَكَتَكَ، ورِزْقَكَ، ورَحْمَتَكَ، بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ، والرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ، والنَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَحّاً وَابِلًا، سَرِيعاً عَاجِلًا.

اللَّهُمَّ وَاسْقِنَا سُقْياً مِنْكَ مُحْيِيَةً، مُرْوِيَةً، مُعْشِبَةً، مُحْفِلَةً، مُفْضِلَةً، نَاقِعَةً، تَامَّةً، دَائِمَةً، عَامَّةً، طَيِّبَةً، مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً، مَرِيئَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، وَتُخْرِجَ بِهَا مَا هُوَ آتٍ، وَتُوَسِّعُ لَنَا بِهَا فِي الأَقْوَاتِ، وَامْنُنْ عَلَى عِبَادِكَ بِيُنُوعِ الثَّمَرَةِ، وَأَحْيِ بِلاَدَكَ بِبُلُوغِ الزَّهْرَةِ، وَأَشْهِدْ مَلاَئِكَتَكَ الْكِرَامَ السَّفَرَةَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقْياً تَسِيلُ مِنْهُ الرِّضَابُ، وَتَمْلأُ مِنْهُ الْحِبَابُ، وَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا، مُبَارَكاً غَزْرُهَا، وَاسِعاً دَرُّهَا، زَاكِياً نَبْتُهَا، نَامِياً زَرْعُهَا، ثَامِراً فَرْعُهَا، نَاضِراً أَوْرَاقُهَا، عَامِراً أَرْزَاقُهَا، مُمْرِعَةً آثَارُهَا، جَارِيَةً بِالْخِصْبِ وَالْخَيْرِ عَلَى أَهْلِهَا، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيْتَ مِنْ بِلاَدِكَ، وَتُنْعِمُ بِهَا الْمَبْسُوطَ مِنْ رِزْقِكَ، وَتُخْرِجُ بِهَا الْمَخْزُونَ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَتَعُمُّ بِهَا مَنْ نَأَى مِنْ خَلْقِكَ.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مُمْرِعاً طَبَقاً مُجَلْجِلاً، مُتَتَابِعاً خُفُوقُهُ، مُنْبَجِسَةً بُرُوقُهُ، مُرْتَجِسَةً هُمُوعُهُ، وَسَيْبُهُ مُسْتَدِرٌّ، وَصَوْبُهُ مُسْتَطِرٌّ، تُرْوِي وَتُنْعِشُ بِهِ الْخَلْقَ وَالْبَهَمَ، وَتُجْبِرُ بِهِ النَّهَمَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ، وَتُدِرُّ بِهِ الضَّرْعَ، وَتَزِيدُنَا بِهِ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكَ.

اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ ظِلَّهُ عَلَيْنَا سَمُوماً، وَلاَ تَجْعَلْ بَرْدَهُ عَلَيْنَا حُسُوماً، وَلاَ تَجْعَلْ ضَوْءَهُ عَلَيْنَا رُجُوماً، وَلاَ تَجْعَلْ مَاءَهُ عَلَيْنَا أُجَاجاً، وَنَبَاتَهُ رَمَاداً رَمْدَداً.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ.

اللَّهُمَّ سُقْياً مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا، وَتُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا، وَتَسْتَغْنِي بِهَا ضَوَاحِينَا، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ، وَتُسِيلُ بِهَا الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الأَشْجَارَ، وَتُرَخِّصُ الأَسْعَارَ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ، نَافِعَةَ الْحَيَا، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ، عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ، وَبِلاَدِكَ الْمُغْرِبَةِ، وَبَهَائِمِكَ الْمُعْمِلَةِ، وَوَحْشِكَ الْمُهْمِلَةِ، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّرْكِ وَهَوَادِيهِ، وَالظُّلْمِ وَدَوَاهِيهِ، وَالْفَقْرِ وَدَوَاعِيهِ.

يَا مُعْطِيَ الْخَيْرَاتِ مِنْ أَمَاكِنِهَا، ومُرْسِلَ الْبَرَكَاتِ مِنْ مَعَادِنِهَا، مِنْكَ الْغَيْثُ الْمُغِيثُ، وأَنْتَ الْغِيَاثُ والْمُسْتَغَاثُ، ونَحْنُ الْخَاطِئُونَ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ، وأَنْتَ الْمُسْتَغْفَرُ الْغَفَّارُ.

نَسْتَغْفِرُكَ لِلْجَهَالاَتِ مِنْ ذُنُوبِنَا، ونَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ عَوَامِّ خَطَايَانَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ فَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً، مِدْرَاراً هَاطِلَةً، واسْقِنَا الْغَيْثَ وَاكِفاً مِغْزَاراً، غَيْثاً وَاسِعاً، وبَرَكَةً مِنَ الْوَابِلِ نَافِعَةً، يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ، ويَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ خُلَّبِ بَرْقُهَا، ولاَ مُكَذِّبٍ رَعْدُهَا، ولاَ عَاصِفَةٍ جَنَائِبُهَا، ولاَ جَهَامٍ عَارِضُهَا، ولاَ قَزَعٍ رَبَابُهَا، ولاَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا، بَلْ رَيّاً يَقُصُّ بِالرَّيِّ رَبَابُهُ، وفَاضَ فَانْضَاعَ بِهِ سَحَابُهُ، حَتَّى يَخْصِبَ لإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، ويَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ، وتَتْرَعُ بِالْقِيعَانِ غُدْرَانُهَا، وتُورِقُ بِذُرَى الآَكَامِ زَهَرَاتُهَا، وتَسْتَحِقُّ عَلَيْنَا بَعْدَ الْيَأْسِ شُكْراً، مِنَّةً مِنْ مَنِّكَ مُجَلَّلَةً، ونِعْمَةً مِنْ نِعَمِكَ مُفَضَّلَةً.

اللَّهُمَّ مِنْكَ ارْتِجَاؤُنَا، وإِلَيْكَ مَآبُنَا، فَلاَ تَحْبِسْهُ عَنَّا لِتَبَطُّنِكَ سَرَائِرَنَا.

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ ولاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، ولاَ تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، ولاَ تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ، وأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ثم بكى عليه السلام وقال: اللَّهُمَّ سَيِّدِي، قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، واغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وهَامَتْ دَوَابُّنَا، وقَنَطَ نَاسٌ مِنَّا، وتَاهَتِ الْبَهَائِمُ وتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلاَدِهَا، ومَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، والْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا، حِينَ حَبَسْتَ عَنْهَا قَطْرَ السَّمَاءِ، فَدَقَّ لِذَلِكَ عَظْمُهَا، وذَهَبَ لَحْمُهَا، وذَابَ شَحْمُهَا، وانْقَطَعَ دَرُّهَا.

اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا.

اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الآَنَّةِ، وحَنِينَ الْحَانَّةِ. يَا كَرِيمُ.

خطبة له عليه السلام (٣٦)

لمّا أمره النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أن يخطب لنفسه الزهراء عليها السلام

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَلْهَمَ بِفَوَاتِحِ علْمه النَّاطقينَ، وآنارَ بثَوَاقبِ عَظَمَته قُلُوبَ الْمُتَّقينَ، وأَوْضَحَ بِدَلاَئلِ أَحْكَامه طُرُقَ السَّالكينَ، وأَبْهَجَ بِابْنِ عَمِّي الْمُصْطَفَى الْعَالَمينَ، حَتَّى عَلَتْ دَعْوَتُهُ دَوَاعيَ الْمُلْحدينَ، واسْتَظْهَرَتْ كَلمَتُهُ عَلى بَوَاطنِ الْمُبْطلينَ، وجَعَلَهُ خَاتَمَ النَّبيِّينَ، وسَيِّدَ الْمُرْسَلينَ، فَبَلَّغَ رسَالَةَ ربِّه، وصَدَعَ بِأَمْرِه، وآنارَ منَ اللَّه آيَاته.

وَالْحَمْدُ للَّه الَّذي خَلَقَ الْعبَادَ بقُدْرَته، وأَعَزَّهُمْ بدينه، وأَكْرَمَهُمْ بنَبيِّه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، ورَحمَ، وكَرَّمَ، وشَرَّفَ، وعَظَّمَ.

والْحَمْدُ للَّه الَّذي قَرُبَ منْ حَامديه، ودَنَا منْ سَائليه، ووَعَدَ الْجَنَّةَ مَنْ يَتَّقيه، وأَنْذَرَ بِالنَّارِ مَنْ يَعْصيه.

نَحْمَدُهُ عَلى قَديم إحْسَانه وأَيَاديه، ونَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ خَالقُهُ وبَاريه، ومُصَوِّرُهُ ومُنْشيه، ومُميتُهُ ومُحْييه، ومُعَذِّبُهُ ومُنْجيه، ومُثيبُهُ ومُجَازيه.

ونَشْهَدُ أَنْ لاَ إلهَ إلاَ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ شَهَادَةَ إخْلاَص تَبْلُغُهُ وتُرْضيه، وأَنَّ مُحَمَّداً حَبيبُ اللَّه عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه صَلاَةً تُزْلفُهُ وتُحْظيه، وتُعزُّهُ وتُعْليه، وتُشَرِّفُهُ وتَجْتَبيه، وتَرْفَعُهُ وتَصْطَفيه.

أَمَّا بَعْدُ، فَإنَّ النِّكَاحَ ممَّا أَمَرَ الله - عَزَّ وجَلَّ - به وأَذنَ فيه، وإنَّ مَجْلسَنَا هذَا ممَّا

قَضَاهُ الله - تعالى- ورَضِيَهُ، وهذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ قَدْ زَوَّجَنِي ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ عَلى صِدَاقِ أَرْبَعمائَة دِرْهَمٍ وثَمَانِينَ دِرْهَماً.

وقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ فَاسْأَلُوهُ واشْهَدُوا، وكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم: زوّجتك ابنتي فاطمة على ما زوّجك الرحمن، وقد رضيت بما رضي اللّه لها.

فخرّ علي عليه السلام شكراً للّه- تعالى- وهويقول: رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ.

خطبة له عليه السلام (٣٧)

بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

لما خاطبه العباس وأبوسفيان بن حرب في أن يبايعاه بالخلافة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الصَّبْرُ حِلْمٌ، والْحِلْمُ زَيْنٌ، والتَّقْوى دينٌ، والْحُجَّةُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وسَلَّمَ، والطَّرِيقُ الصِّرَاطُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، شُقُّوا مُتَلاطِمَاتِ أَمْوَاجِ الْفِتَنِ بِمَجَارِي سُفُنِ النَّجَاةِ، وعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ، واسْتَضِيئُوا بِنُورِ الأَنْوَارِ، ولا تَقْتَسِمُوا مَوَارِيثَ الطَّاهِرَاتِ الأَبْرَارِ، فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَواسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ.

هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، ولُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، ومُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.

أَجْدَرُ بِالْعَاقِلِ مِنْ لُقْمَةٍ تُحْشَى بِزُنْبُورٍ، ومِنْ شَرْبَةٍ يَلَذُّ بِهَا شَارِبُهَا، مَعَ تَرْكِ النَّظَرِ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ.

فَكَأَنِّي بِكُمْ تَتَرَدَّدُونَ فِي الْعَمى كَمَا يَتَرَدَّدُ الْبَعِيرُ فِي الطَّاحُونَةِ.

أَمَا واللَّهِ لَوأُذِنَ لِي بِمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، لَحَصَدْتُ رُؤُوسَكُمْ عَنْ أَجْسَادِكُمْ كَحَبِّ الْحَصِيدِ، بِقَوَاضِبَ مِنْ حَدِيدٍ، ولَقَلَعْتُ مِنْ جَمَاجِمِ شُجْعَانِكُمْ مَا أُقَرِّحُ بِهِ آمَاقَكُمْ، وأُوحِشُ بِهِ مَجَالِسَكُمْ.

فَإِنِّي، مُذْ عُرِفْتُ، مُرْدِي الْعَسَاكِرِ، ومُفْنِي الْجَحَافِلِ، ومُبِيدُ خَضْرَائِكُمْ، ومُخْمِدُ

ضَوْضَائِكُمْ، وجَرَّارُ الدَّوَاوِينَ إِذْ أَنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ مُعْتَكِفُونَ.

وإِنِّي لَصَاحِبُكُمُ الْيَوْمَ كَمَا صَاحِبُكُمْ بِالأَمْسِ.

لَعَمْرُ أَبِي وأُمِّي، لَنْ تُحِبُّوا أَنْ تَكُونَ فِينَا الْخِلافَةُ والنُّبُوَّةِ، وأَنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَحْقَادَ بَدْرٍ وثَارَاتِ أُحُدٍ.

فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ وحَسَدَ، وإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْمَوْتِ.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، بَعْدَ اللُّتَيَّا والَّتِي.

إِلَيَّ يُقَالُ هذَا، وأَنَا الْمَوْتُ والْمُمِيتُ، وخَوَّاضُ الْمَنَايَا فِي جَوْفِ لَيْلٍ حَالِكٍ، وأَنَا حَامِلُ السَّيْفَيْنِ الثَّقِيلَيْنِ، والرُّمْحَيْنِ الطَّوِيلَيْنِ، ومُنَكِّسُ الرَّايَاتِ فِي غَطَامِطِ الْغَمَرَاتِ، ومُفَرِّجُ الْكُرُبَاتِ عَنْ وَجْهِ خَيْرِ الْبَرِيَّاتِ.

إِنْتَبِهُوا فَوَاللَّهِ لابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، ومِنَ الرَّجُلِ بِأَخِيهِ وعَمِّهِ.

بَلْ هَبَلَتْكُمُ الْهَوَابِلُ.

لَقَدِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْبُحْتُ بِهِ لاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ، ولَخَرَجْتُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ هَارِبِينَ، وعَلَى وُجُوهِكُمْ هَائِمِينَ. ولكِنِّي أُهَوِّنُ وَجْدِي حَتَّى أَلْقَى رَبِّيَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، صِفْرٍ مِنْ لَذَّاتِكُمْ، خَلْوٍ مِنْ طَحْنَاتِكُمْ.

فَمَا مَثَلُ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي إِلاَّ كَمَثَلِ غَيْمٍ عَلا فَاسْتَعْلَى، ثُمَّ اسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى، ثُمَّ تَمَزَّقَ فَانْجَلَى.

رُوَيْداً، فَعَنْ قَلِيلٍ يَنْجَلِي لَكُمُ الْقَسْطَلُ، فَتَجِدُونَ ثَمَرَةَ فِعْلِكُمْ مُرّاً، وتَحْصُدُونَ غَرْسَ أَيْدِيكُمْ ذُعَاقاً مُمْقِراً، وسُمّاً قَاتِلاً، وكَفَى بِاللَّهِ حَكَماً، وبِرَسُولِهِ خَصْماً، وبِالْقِيَامَةِ مَوْقِفاً.

فَلا أَبْعَدَ اللَّهُ فِيهَا سِوَاكُمْ، ولا أَتْعَسَ فِيهَا غَيْرَكُمْ، والسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

خطبة له عليه السلام (٣٨)

لمّا جيء به ليبايع أبا بكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي اتَّخَذَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله منَّا نَبياً، وبَعَثَهُ إلَيْنَا رَسُولًا.

اللَّهَ اللَّهَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرينَ والأَنْصَار، لاَ تَنْسَوا عَهْدَ نَبِيِّكُمْ إلَيْكُمْ في أمْري.

اللَّـهَ اللَّهَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْش، لاَ تُخْرِجُوا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله في الْعَرَب مِنْ دَارِه وقَعْرِ بَيْته إلى دُورِكُمْ وقُعُورِ بُيُوتِكُمْ، ولاَ تُدَافِعُوا أهْلَ بَيْته عَنْ مَقَامه في النَّاس وحَقِّه.

فَواللَّـه، مَعَاشرَ الْجَمْع، إنَّ اللَّـهَ قَضى وحَكَمَ، ونَبِيُّهُ أعْلَمَ، وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأنَّا أهْلُ بَيْـت النُّبُوَّة، ومَعْدنُ الْحكْمَة، وأمَانُ أهْلِ الأرْض، ونَجَاةُ الأُمَّة مِنَ الْمَشَقَّة والْبَلاَء، وَنَحْنُ أحَقُّ بهذَا الأمْرِ مِنْكُمْ.

أمَـا كَـانَ فينَا الْقَارئُ لكتَاب اللَّه، الْفَقيهُ في دين اللَّه، الْعَالمُ بسُنَن رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّـهُ عَلَـيْه وآلـه وسَلَّمَ، الْمُضْطَلعُ بأمْرِ الرَّعيَّة، الدَّافعُ عَنْهُمُ الأُمُورَ السَّيِّئَةَ، الْقَاسمُ بَيْنَهُمْ بالسَّوِيَّة.

واللَّه إنَّهُ لَفينَا لاَ فيكُمْ، فَلاَ تَتَّبعُوا الْهَوى، فَتَضِلُّوا عَنْ سَبيل اللَّه، فَتَزْدَادُوا منَ الْحَقِّ بُعْداً، وتُفْسدُوا قَديمَكُمْ بحَديثكُمْ.

إنَّ لَنَا حَقّاً، فَإنْ أُعْطينَاهُ أخَذْنَاهُ، وإنْ لاَ رَكبْنَا أعْجَازَ الإبل وإنْ طَالَ السُّرى.

والَّـذي فَلَـقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوعَهدَ إلَيْنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ

عَهْداً لَجَالَدْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَمُوتَ، ولَمْ أتْرُكْ ابْنَ أبي قُحَافَةَ يَرْقَ دَرَجَةً وَاحِدَةً مِنْ مِنْبَرِهِ.

[ثم قال عليه السلام:]

فَإِنْ تَكُ جَاسِمٌ فَعَلَتْ فَإِنِّي ... بِمَا فَعَلَتْ بَنُوعَبْدِ بْنِ ضَخْم

مُطِيعٌ فِي الْهَوَاجِرِ كُلَّ عَيٍّ ... بَصِيرٌ بِالنَّوى مِنْ كُلِّ نَجْمِ

وأسْتَغْفِرُ اللَّهَ لي ولَكُمْ.

خطبة له عليه السلام (٣٩)

بعد ما بويع في المدينة وفيها يخبر الناس بعلمه

بما تؤول إليه أحوالهم

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي عَلا فَاسْتَعْلى، ودَنَا فَتَعَالى، وارْتَفَعَ فَوْقَ كُلِّ مَنْظَرٍ.

الْحَمْدُ للَّه أَحَقَّ مَحْمُودٍ بالْحَمْدِ، وأَوْلاهُ بالْمَجْدِ، إلهاً وَاحِداً صَمَداً.

أَقَامَ أَرْكَانَ الْعَرْشِ فَأَشْرَقَ بضَوْئه شُعَاعُ الشَّمْسِ.

خَلَقَ فَأَتْقَنَ وأَقَامَ فَذَلَّتْ لَهُ وَطْأَةُ الْمُتَمَكِّنِ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وحُجَّةُ اللَّه عَلَى الْعَالَمينَ، مُصَدِّقاً للرُّسُلِ الأَوَّلينَ، أَرْسَلَهُ بالنُّورِ السَّاطعِ، والضِّيَاءِ الْمُنيرِ.

أَكْرَمُ خَلْقِ اللَّه حَسَباً، وأَشْرَفُهُمْ نَسَباً.

لَمْ يَتَعَلَّقْ عَلَيْه مُسْلِمٌ ولا مُعَاهِدٌ بمَظْلَمَة، بَلْ كَانَ يُظْلَمُ، وكَانَ بالْمُؤْمنينَ رَؤُوفاً رَحيماً. فَصَلَّى اللَّهُ ومَلائكَتُهُ عَلَيْه وعَلى آله.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإنَّ الْبَغْيَ يَقُودُ أَصْحَابَهُ إلَى النَّار، وإنَّ أَوَّلَ مَنْ بَغى في الأَرْضِ عَلَى الله - جَلَّ ذكْرُهُ - ، وعَملَ الْفُجُورَ، وجَاهَرَ بالْمَعَاصي، واسْتَخْدَمَ الشَّيَاطينَ، وصَرَفَهُمْ في وُجُوه السِّحْر، عَنَاقُ ابْنَةُ آدَمَ عَلَيْه السَّلامُ، وأَوَّلَ قَتيلٍ قَتَلَهُ اللَّهُ لبَغْيه عَنَاقُ.

وكَانَ مَجْلسُهَا جريباً منَ الأَرْضِ.

وكَانَ لَهَا عشْرُونَ إِصْبَعاً، طُولُ كُلِّ إِصْبَعٍ مِنْهَا ذِرَاعَانِ، فِي كُلِّ إِصْبَعٍ ظُفْرَانِ مُحَدَّدَانِ مِثْلُ الْمِنْجَلَيْنِ الطَّوِيلَيْنِ مِنْ حَدِيد.

وكَانَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - قَدْ أَنْزَلَ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَسْمَاءَ عَظِيمَةً تُطِيعُهُ الشَّيَاطِينُ بِهَا، وأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَى حَوَّاءَ، فَتُعَلِّقَهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَتَكُونَ حِرْزاً لَهَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ.

وكَانَتْ حَوَّاءُ تَصُونُهَا وتَحْتَفِظُ بِهَا. فَاغْتَفَلَتْهَا عَنَاقٌ وهِيَ نَائِمَةٌ، فَأَخَذَتْهَا، واسْتَجْلَبَتِ الشَّيَاطِينَ بِتِلْكَ الأَسْمَاءِ، وعَمِلَتِ السِّحْرَ، وتَكَلَّمَتْ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَهَانَةِ.

فَبَغَتْ فِي الأَرْضِ ثَمَانِينَ سَنَةً، وجَاهَرَتْ بِالْمَعَاصِي، وأَضَلَّتْ خَلْقاً كَثِيراً، فَدَعَا عَلَيْهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ وأَمَّنَتْ حَوَّاءُ.

فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ إِهْلاكَهَا أَرْسَلَ إِلَيْهَا فِي طَرِيقِهَا أَسَداً كَالْفِيلِ، وذِئْباً كَالْبَعِيرِ، ونَسْراً مِثْلَ الْبَغْلِ، وكَانَ ذَلِكَ فِي الْخَلْقِ الأَوَّلِ، فَسَلَّطَهُمْ عَلَيْهَا، فَمَزَّقُوا أَعْضَاءَهَا، وقَتَلُوهَا وأَكَلُوهَا، وأَرَاحَ اللَّهُ آدَمَ وحَوَّاءَ مِنْهَا.

وقَدْ قَتَلَ اللَّهُ الْجَبَابِرَةَ عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِمْ، وآمَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ.

وقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ، وأَمَاتَ هَامَانَ، وخَسَفَ بِقَارُونَ، بِذُنُوبِهِمْ، وقَدْ قُتِلَ عُثْمَانُ.

أَلا وإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، ولَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، ولَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاكُمْ وأَعْلاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، ولَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، ولَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا.

واللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً، ولا كَذَبْتُ كِذْبَةً، ولَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وبِهَذَا الْيَوْمِ.

أَلا وإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ.

أَلا وإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَسَارَتْ بِهِمُ الْهُوَيْنَا

حَتَّى أَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ، وفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا، ووَجَدُوا رِيحَهَا وَطِيبَهَا، وقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ.

فَعَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ فَاسْلُكُوا سَبِيلَهُ، واعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِه.

أَلا وقَدْ كَانَ لي حَقٌّ حَازَهُ مَنْ لَمْ آمَنْهُ عَلَيْهِ، ولَمْ أَهَبْهُ لَهُ، ولَمْ أُشْرِكْهُ فيه، فَهُومِنْهُ عَلى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، لا يَسْتَنْقِذُهُ مِنْهَا إِلاَّ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يَتُوبُ عَلى يَدَيْهِ، أَلا ولا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآلِه وَسَلَّمَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الدُّنْيَا دَارُ حَقٍّ وبَاطِلٍ، ولِكُلٍّ أَهْلٌ، فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ، ولَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ وضَعُفَ صَاحِبُهُ لَرُبَّمَا ولَعَلَّ.

ولَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ.

ولَعَمْري لَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ، ومَا عَلَيَّ إِلاَّ الْجُهْدُ.

وإِنِّي لأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا في فَتْرَةٍ.

وقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ، مِلْتُمْ فيهَا عَنِّي مَيْلَةً كُنْتُمْ عِنْدي فيهَا غَيْرَ مَحْمُودِينَ، ولا مُصِيبِينَ.

أَمَا وإِنِّي لَوأَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ، ولكِنْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ.

سَبَقَ الرَّجُلانِ، وقَامَ الثَّالِثُ كَالْغُرَابِ هَمُّهُ بَطْنُهُ وفَرْجُهُ، يَا وَيْلَهُ، لَوقُصَّ جَنَاحَاهُ، وقُطِعَ رَأْسُهُ، لَكَانَ خَيْراً لَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، كِتَابَ اللَّه وسُنَّةَ نَبِيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآلِه وسَلَّمَ.

أَلا فَلا يُرْعِيَنَّ مُرْعٍ إِلاَ عَلى نَفْسِه، فَإِنَّ مَنْ أَرْعى عَلى غَيْرِ نَفْسِهِ شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ والنَّارُ أَمَامَهُ.

سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا، وطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، ومُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوى: ثَلاثَةٌ.

وإِثْنَان: مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْه، ونَبِيٌّ أَخَذَ اللَّهُ بِضِبْعَيْه.

خَمْسَةٌ لَيْسَ لَهُمْ سَادِسٌ.

هَلَكَ مَنِ ادَّعى، ورَدِيَ مَنْ هَوى، وخَابَ مَنِ افْتَرى.

الْيَمِينَ والشِّمَالَ مَضَلَّةٌ، والطَّرِيقَ الْوُسْطى هِيَ الْجَادَّةُ، عَلَيْهَا يَأْتي بَاقِي الْكِتَابِ وآثَارُ النُّبُوَّة، ومِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّة، وإِلَيْهَا مَصيرُ الْعَاقِبَة.

أَلا وإِنَّ كُلَّ قَطِيعَة أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ، وكُلَّ مَال أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّه، فَهُومَرْدُودٌ عَلى الْمُسْلِمينَ في بَيْتِ مَالِهِمْ، فَإِنَّ الْحَقَّ الْقَديمَ لا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ.

واللَّه لَووَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وتُمُلِّكَ بِهِ الإِمَاءُ، وتُفُرِّقَ فِي الْبُلْدَان، لَرَدَدْتُهُ إِلى حَالِه.

فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، ومَنْ لَمْ يَسَعْهُ الْحَقُّ، [وَ] ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ، فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ.

أَلا إِنَّ الله - تعالى - دَاوى هذِهِ الأُمَّةَ بِدَوَاءَيْنِ: السَّوْطِ، والسَّيْف، ولَيْسَ لأَحَدٍ عِنْدَ الإِمَامِ فيهِمَا هَوَادَةٌ.

فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ، وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، والتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ.

ولا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلاَّ رَبَّهُ، ولا يَلُمْ لائِمٌ إِلاَّ نَفْسَهُ.

مَنْ أَبْدى صَفْحَتَهُ مُعَانداً لِلْحَقِّ هَلَكَ عِنْدَ جَهَلَةِ النَّاس.

أَنْظُرُوا، فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ فَأَنْكِرُوا، وإِنْ عَرَفْتُمْ فَأَقِرُّوا [وَ] آزِرُوا.

الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وكَفى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لا يَعْرِفَ قَدْرَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ قُرَيْشاً أَئِمَّةُ الْعَرَبِ، أَبْرَارُهَا لأَبْرَارِهَا، وفُجَّارُهَا لِفُجَّارِهَا، ولَيْسَ بَعْدَ قُرَيْشٍ إِلاَّ الْجَاهِلِيَّةُ.

أَلا وإِنِّي وأَبْرَارَ عِتْرَتي وأَهْلِ بَيْتي، وأَ طَائِبَ أَرُومَتي، أَعْلَمُ النَّاسِ صِغَاراً، وأَحْلَمُ النَّاسِ كِبَاراً.

أَلا وإِنَّا أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَة، وبِنَا فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْحِكْمَةِ، مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عِلْمُنَا، وبِحُكْمِ اللَّهِ حُكْمُنَا، وبِقَوْلِ صَادِقٍ أَخَذْنَا.

مَعَنَا رَايَةُ الْحَقِّ والْهُدى، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، ومَنْ خَذَلَهَا مُحِقَ، ومَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، ومَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا غَرِقَ.

فَإِنْ تَتَّبِعُوا آثَارَنَا تَهْتَدُوا بِبَصَائِرِنَا، وإِنْ تَتَوَلَّوْا عَنَّا يُهْلِكْكُمُ اللَّهُ بِأَيْدِينَا.

أَلا، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، بِنَا تُدْرَكُ تِرَةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وبِنَا يَنْفِي اللَّهُ الْكَذِبَ، وبِنَا يَعْقِرُ اللَّهُ أَنْيَابَ الذِّئْبِ الْكَلِبِ.

وبِنَا فَكَّ اللَّهُ رِبَقَ الذُّلِّ عَنْ أَعْنَاقِكُمْ.

وبِنَا فَتَحَ اللَّهُ لا بِكُمْ وبِنَا يَخْتِمُ لا بِكُمْ.

وبِنَا يَلْحَقُ التَّالِي، وإِلَيْنَا يَفِيءُ الْغَالِي.

فَلَولا تَسْتَعْجِلُوا وتَسْتَأْخِرُوا الْقَدَرَ، لأَمْرٍ قَدْ سَبَقَ فِي الْبَشَرِ، لَحَدَّثْتُكُمْ بِشَبَابٍ مِنَ الْمَوَالِي وأَبْنَاءِ الْعَرَبِ، ونُبَذٍ مِنَ الشُّيُوخِ كَالْمِلْحِ فِي الزَّادِ، وأَقَلُّ الزَّادِ الْمِلْحُ.

فِينَا مُعْتَبَرٌ، ولِشِيعَتِنَا مُنْتَظَرٌ.

إِنَّا وشِيعَتَنَا نَمْضِي إِلَى اللَّهِ بِالْبَطَنِ والْحُمَّى والسَّيْفِ.

[وَ] إِنَّ عَدُوَّنَا يَهْلِكُ بِالدَّاءِ والدَّبِيلَةِ، وبِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْبَلِيَّةِ والنَّقِمَةِ.

أَقُولُ قَوْلِي هذَا وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي ولَكُمْ.

خطبة له عليه السلام (٤٠)

لمّا أنكروا عليه مساواته في القسم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّهِ وَلِيِّ الْحَمْدِ، ومُنْتَهَى الْكَرَمِ، لاَ تُدْرِكُهُ الصِّفَاتُ، ولاَ يُحَدُّ بِاللُّغَاتِ، ولاَ يُعْرَفُ بِالْغَايَاتِ.

رَبُّنَا وإِلهُنَا ووَلِيُّ النِّعَمِ عَلَيْنَا، الَّذي أَصْبَحَتْ نِعَمُهُ عَلَيْنَا ظَاهِرَةً وبَاطِنَةً بِغَيْرِ حَوْلٍ منَّا ولا قُوَّةٍ، إِلاَّ امْتِنَاناً مِنْهُ عَلَيْنَا وفَضْلًا لِيَبْلُوَنَا أَنَشْكُرُ أَمْ نَكْفُرُ، فَمَنْ شَكَرَ زَادَهُ، ومَنْ كَفَرَ عَذَّبَهُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، أَحَداً صَمَداً.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، نَبِيُّ الْهُدى، ومَوْضِعُ التَّقْوى، ورَسُولُ الرَّبِّ الأَعْلى، بَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ والْبِلاَدِ، والْبَهَائِمِ والأَنْعَامِ، نِعْمَةً أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا ومَنّاً وفَضْلًا.

جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ، لِيُنْذِرَ بِالْقُرْآنِ الْمُنِيرِ، والْبُرْهَانِ الْمُسْتَنِيرِ، فَصَدَعَ بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ، ومَضى عَلى مَا مَضى عَلَيْهِ الرُّسُلُ الأَوَّلُونَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ آدَمَ لَمْ يَلِدْ عَبْداً ولاَ أَمَةً، وإِنَّ النَّاسَ كُلُّهُمْ أَحْرَارٌ، ولكِنَّ اللَّهَ خَوَّلَ بَعْضَكُمْ بَعْضاً، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَلاَءٌ فَصَبَرَ فِي الْخَيْرِ فَلاَ يَمُنَّ بِهِ عَلَى اللهِ - عَزَّ وجَلَّ -.

فَأَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً، وأَقْرَبُهُمْ مِنَ اللَّهِ وَسِيلَةً، أَطْوَعُهُمْ لأَمْرِهِ، وأَعْمَلُهُمْ

بِطَاعَتِه، وأَتْبَعُهُمْ لسُنَّة رَسُوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، وأَحْيَاهُمْ لكتَابه.

فَلَيْسَ لأَحَد مِنْ خَلْق اللَّه عِنْدَنَا فَضْلٌ إلاَّ بطَاعَة اللَّه وطَاعَة الرَّسُول، يَقُولُ الله - تعالى -: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى وجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وقَبائِلَ لتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّه أَتْقاكُمْ﴾.

فَمَنِ اتَّقَى اللَّهَ فَهُوالشَّريفُ الْمُكَرَّمُ الْمُحبُّ، وكَذَلكَ أَهْلُ طَاعَته وطَاعَة رَسُول اللَّه.

قَالَ الله - تَبَارَكَ وتعالى - في كتَابه-: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقَالَ- تَبَارَكَ وتعالى-: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ﴾.

﴿يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَار، ويَا مَعَاشرَ الْمُسْلمينَ، أَتَمُنُّونَ عَلَى اللَّه وعَلى رَسُوله بإِسْلامِكُمْ. بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

أَلا فَلاَ يَقُولَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ غَداً، قَدْ كَانَت الدُّنْيَا غَمَرَتْهُمْ، فَاتَّخَذُوا الْعقَارَ، وفَجَّرُوا الأَنْهَارَ، ورَكِبُوا أَفْرَهَ الدَّوَابِّ، ولَبِسُوا أَلْيَنَ الثِّيَاب، فَصَارَ ذَلكَ عَلَيْهِمْ عَاراً وشَنَاراً إِنْ لَمْ يَغْفِرْ لَهُمُ الْغَفَّارُ، إِذَا مَا مَنَعْتُهُمْ مِمَّا كَانُوا فيه يَخُوضُونَ، وصَيَّرْتُهُمْ إِلى حُقُوقِهِمُ الَّتي يَسْتَوْجِبُونَ، فَيَنْقِمُونَ ذَلكَ ويَسْتَنْكِرُونَ، ويَقُولُونَ: ظَلَمَنَا ابْنُ أَبي طَالِبٍ وحَرَمَنَا، ومَنَعَنَا حُقُوقَنَا. فَاللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمُسْتَعَانُ.

أَلاَ وأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَار مِنْ أَصْحَاب رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله يَرَى أَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلى مَنْ سِوَاهُ لِصُحْبَته، فَإِنَّ لَهُ الْفَضْلَ النَّيِّرَ غَداً عِنْدَ اللَّه، وثَوَابُهُ وأَجْرُهُ عَلَى اللَّه.

وأَيُّمَا رَجُلٌ اسْتَجَابَ للَّه ولِرَسُوله، فَصَدَّقَ مِلَّتَنَا، ودَخَلَ في دِينِنَا، واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا،

وأكَلَ ذَبيحَتَنا، وشَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاَ اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، فَقَد اسْتَوْجَبَ حُقُوقَ الإسْلاَمِ وحُدُودَهُ، وأجْرَيْنَا عَلَيْهِ أحْكَامَ الْقُرْآنِ وأقْسَامَ الإسْلاَمِ، لَيْسَ لأحَدٍ عَلى أحَدٍ فَضْلٌ إلاَ بتَقْوَى اللَّه وطَاعَته.

ألاَ وإنَّ لِلْمُتَّقينَ غَداً عِنْدَ الله - تعالى - أحْسَنَ الْجَزَاءِ والْمَآب، وأفْضَلَ الثَّوَاب.

ولَمْ يَجْعَلِ الله - تَبَارَكَ وتعالى - الدُّنْيَا لِلْمُتَّقينَ جَزَاءً ولاَ ثَوَاباً، وما عِنْدَ اللَّه خَيْرٌ لِلْأبْرار.

ألاَ وإنَّ هذه الدُّنْيَا الَّتي أصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وتَرْغَبُونَ فيهَا، فَأصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وتُرْضيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، ولاَ مَنْزِلكُمُ الَّذي خُلِقْتُمْ لَهُ، ولاَ الَّذي دُعيتُمْ إلَيْه.

ألاَ وإنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقيَة لَكُمْ ولاَ تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا. فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ عَاجِلُهَا فَقَدْ حُذِّرْتُمُوهَا، ووُصِفَتْ لَكُمْ وجَرَّبْتُمُوهَا، فَأصْبَحْتُمْ لاَ تَحْمَدُونَ عَاقِبَتَهَا.

وهِيَ وإنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا، فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذيرِهَا، وأطْمَاعَهَا لِتَخْويفِهَا، وسَابِقُوا فيهَا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، إلَى الدَّارِ الَّتي دُعيتُمْ إلَيْهَا، وانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا، ولاَ يَحْنَّ أحَدُكُمْ حَنينَ الأمَة عَلى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا.

وانْظُرُوا، يَا مَعَاشِرَ الْمُهَاجِرينَ والأنْصَار، وأهْلَ دينِ اللَّه، فيمَا وُصِفْتُمْ بِهِ في كِتَاب اللَّه، ونَزَلْتُمْ بِهِ عِنْدَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، وجَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ في ذَات اللَّه، فَبِمَ فُضِّلْتُمْ، أبِالْحَسَب أمْ بِالنَّسَب، أمْ بِعَمَلٍ، أمْ بِطَاعَة وزَهَادَة.

فَسَارِعُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، إلى مَنَازِلكُمُ الَّتي أُمِرْتُمْ بِعِمَارَتِهَا، فَإنَّهَا الْعَامِرَةُ الَّتي لاَ تَخْرَبُ، والْبَاقِيَةُ الَّتي لاَ تَنْفَدُ، الَّتي دَعَاكُمُ اللَّهُ إلَيْهَا، وحَضَّكُمْ عَلَيْهَا، ورَغَّبَكُمْ فيهَا، وجَعَلَ الثَّوَابَ عِنْدَهُ عَنْهَا.

فَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ الله - عَزَّ ذِكْرُهُ - عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلى طَاعَة اللَّه، والذُّلِّ لِحُكْمِه - جَلَّ ثَنَاؤُهُ -، والْمُحَافَظَة عَلى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِه.

ألاَ وإنَّهُ لاَ يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ.

ألاَ وإنَّهُ لاَ يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ مِمَّا حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ.

فَعَلَيْكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِالتَّسْلِيمِ لأَمْرِهِ، والرِّضَا بِقَضَائِهِ، والصَّبْرِ عَلى بَلاَئِهِ، والشُّكْرِ عَلى نَعْمَائِهِ.

فَأَمَّا هذَا الْفَيْءُ فَلَيْسَ لأَحَدٍ عَلى أَحَدٍ فِيهِ أُثْرَةٌ، فَقَدْ فَرَغَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - مِنْ قِسْمَتِهِ، فَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَّا ولاَ إِلَيْنَا، [وَ] لَيَتَوَلَّ كَيْفَ شَاءَ.

فَإِنَّ الْعَامِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، والْحَاكِمَ بِحُكْمِ اللَّهِ، لاَ خَشْيَةَ ولاَ وَحْشَةَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، أُولئِكَ الَّذِينَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ، وأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

وإِذَا كَانَ غَداً، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَاغْدُوا عَلَيْنَا، فَإِنَّ عِنْدَنَا مَالًا نَقْسِمُهُ فِيكُمْ.

ولاَ يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ، عَرَبِيٌّ ولاَ أَعْجَمِيٌّ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعَطَاءِ أَولَمْ يَكُنْ، إِلاَّ حَضَرَ إِذَا كَانَ مُسْلِماً حُرّاً.

يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِعْلَمُوا، واللَّهِ، أَنِّي لاَ أَرْزَؤُكُمْ مِنْ فَيْئِكُمْ شَيْئاً مَا قَامَ لِي عَذَقٌ بِيَثْرِبَ.

ولأُسَوِّيَنَّ بَيْنَ الأَحْمَرِ والأَسْوَدِ.

أَفْتَرَوْنِي مَانِعاً نَفْسِي ووُلْدِي ومُعْطِيكُمْ.

أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وقُلُوبِكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وأَلْهَمَنَا وإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ونَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا وإِلهَنَا أَنْ يَجْعَلَنَا وإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وأَنْ يَجْعَلَ رَغْبَتَنَا ورَغْبَتَكُمْ فِيمَا عِنْدَهُ.

أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي ولَكُمْ.

فقام إليه أخوه عقيل فقال: لتجعلني وأسوداً من سودان المدينة واحداً.

فقال عليه السلام: إِجْلِسْ رَحِمَكَ الله - تعالى -. أَمَا كَانَ هَاهُنَا مَنْ يَتَكَلَّمُ غَيْرُكَ.

ومَا فَضْلُكَ عَلَيْهِمْ إِلاَّ بِسَابِقَةٍ أَوتَقْوى.

خطبة له عليه السلام (٤١)

في أمر البيعة

وذلك لمّا تخلّف عنها عبد اللّه بن عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقّاص ومحمد بن مسلمة وحسّان بن ثابت وأسامة بن زيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للّه أوّل مَحْمُود، وآخر مَعْبُود، وأقْرَب مَوْجُود.

الْكَائِنِ قَبْلَ الْكَوْنِ بِلاَ كَيَانٍ، والْمَوْجُودِ في كُلِّ مَكَانٍ بِغَيْرِ عَيَانٍ، والْقَرِيبِ مِنْ كُلِّ نَجْوى بِغَيْرِ تَدَانٍ.

عَلَنَتْ عِنْدَهُ الْغُيُوبُ، وضَلَّتْ في عَظَمَتِهِ الْقُلُوبُ، فَلاَ الأَبْصَارُ تُدْرِكُ عَظَمَتَهُ، ولاَ الْقُلُوبُ عَلَى احْتِجَابِهِ تُنْكِرُ مَعْرِفَتَهُ.

تَمَثَّلَ في الْقُلُوبِ بِغَيْرِ مِثَالٍ تَحُدُّهُ الأَوْهَامُ، أوتُدْرِكُهُ الأَحْلاَمُ.

لاَ يَضُرُّهُ بِالْمَعْصِيَةِ الْمُتَكَبِّرُونَ، ولاَ يَنْفَعُهُ بِالطَّاعَةِ الْمُتَعَبِّدُونَ، ولَمْ يَخْلُ مِنْ فَضْلِهِ الْمُقِيمُونَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ولَمْ يُجَازِ أَصْغَرَ نِعَمِهِ الْمُجْتَهِدُونَ في طَاعَتِهِ.

الدَّائِمُ الَّذي لاَ يَزُولُ، والْعَدْلُ الَّذي لاَ يَجُورُ.

خَالِقُ الْخَلْقِ ومُفْنِيهِ، ومُعِيدُهُ ومُبْدِيهِ، ومُعَافِيهِ ومُبْتَلِيهِ.

عَالِمٌ مَا أَكَنَّتْهُ السَّرَائِرُ وأَخْفَتْهُ الضَّمَائِرُ.

الدَّائِمُ في سُلْطَانِهِ بِغَيْرِ أَمَدٍ، والْبَاقي في مُلْكِهِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الأَبَدِ.

أَحْمَدُهُ حَمْداً أَسْتَزِيدُهُ فِي نِعْمَتِهِ، وأَسْتَجِيرُهُ مِنْ نِقْمَتِهِ، وأَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالتَّصْدِيقِ

لنَبيِّه الْمُصْطَفى لوَحْيه، الْمُتَخَيَّر لرسَالَته، الْمُخْتَصّ بشَفَاعَته، الْقَائم بحَقّه، مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وعَلى أَصْحَابه وعَلَى النَّبيّينَ والْمُرْسَلينَ وسَلَّمَ تَسْليماً كَثيراً.

أُوصيكُمْ [، عبَادَ اللَّه،] بتَقْوَى اللَّه الَّذي أَعْذَرَ بمَا أَنْذَرَ، واحْتَجَّ بمَا نَهَجَ.

رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، ورَغَّبَ فَأَسْبَغَ، ووَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وانْقطَاعَهَا، وزَوَالَهَا وانْتقَالَهَا، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجبُكُمْ فيهَا، لقلَّة مَا يَصْحَبُكُمْ منْهَا.

وحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ في الصُّدُور خَفيّاً، ونَفَثَ في الآذَان نَجيّاً، فَأَضَلَّ وأَرْدى، ووَعَدَ فَمَنَّى، وزَيَّنَ سَيِّئَات الْجَرَائم، وهَوَّنَ مُوبقَات الْعَظَائم، حَتَّى إذَا اسْتَدْرَجَ قَرينَتَهُ، واسْتَغْلَقَ رَهينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، واسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

وأَحُثُّكُمْ عَلى طَاعَة اللَّه، فَإنَّهَا كَهْفُ الْعَابدينَ، وفَوْزُ الْفَائزينَ، وأَمَانُ الْمُتَّقينَ.

[أَيُّهَا النَّاسُ،] إنَّ الله - سُبْحَانَهُ- قَدْ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلى طَاعَته، والْعقَابَ عَلى مَعْصيَته، ذيَادَةً لعبَاده عَنْ نقْمَته، وحيَاشَةً لَهُمْ إلى جَنَّته.

[لَقَدْ] فَرَضَ الله - تعالى- الإيمَانَ تَطْهيراً منَ الشّرْك، والصَّلاَةَ تَنْزيهاً عَنِ الْكبْر، والزَّكَاةَ تَسْبيباً للرِّزْق، والصّيَامَ ابْتلاَءً لإخْلاَص الْخَلْق، والْحَجَّ تَقْربَةً للدّين، والْجهَادَ عزّاً للإسْلاَم، والأَمْرَ بالْمَعْرُوف مَصْلَحَةً للْعَوَامّ، والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَر رَدْعاً للسُّفَهَاء، وَصلَةَ الرَّحم مَنْمَاةً للْعَدَد، والْقصَاصَ حَقْناً للدِّمَاء، وإقَامَةَ الْحُدُود إعْظَاماً للْمَحَارم، وتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْر تَحْصيناً للْعَقْل، ومُجَانَبَةَ السَّرقَة إيجَاباً للْعفَّة، وتَرْكَ الزِّنَا تَحْصيناً للنَّسَب، وتَرْكَ اللّوَاط تَكْثيراً للنَّسْل، والشَّهَادَات اسْتظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحَدَات، وتَرْكَ الْكَذب تَشْريفاً للصّدْق، والسَّلاَمَ أَمَاناً منَ الْمَخَاوف، والإمَامَةَ نظَاماً للأُمَّة، والطَّاعَةَ تَعْظيماً للإمَامَة.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّكُمْ بَايَعْتُموني عَلى مَا بُويعَ عَلَيْه مَنْ كَانَ قَبْلي.

وإنَّمَا الْخيَارُ للنَّاس قَبْلَ أَنْ يُبَايعُوا، فَإذَا بَايَعُوا فَلاَ خيَارَ لَهُمْ.

وإنَّ عَلَى الإمَام الاسْتقَامَةُ، وعَلَى الرَّعيَّة التَّسْليمُ.

وهذه بَيْعَةٌ عَامَّةٌ مَنْ رَغِبَ عَنْهَا رَغِبَ عَنْ دينِ الإِسْلاَمِ، واتَّبَعَ غَيْرَ سَبيلِ أَهْلِه.

ولَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، ولَيْسَ أَمْري وأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ للَّهِ، وأَنْتُمْ تُرِيدُونَني لأَنْفُسِكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُوني عَلى أَنْفُسِكُمْ.

وأَيْمُ اللَّهِ، لأَنْصَحَنَّ لِلْخَصْمِ، ولأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ، ولأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِه حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وإِنْ كَانَ كَارِهاً.

وقَدْ بَلَغَني عَنْ سَعْدٍ، وابْنِ مُسْلِمَةٍ، وأُسَامَةَ، وعَبْدِ اللَّهِ، وحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ، أُمُورٌ كَرِهْتُهَا، والْحَقُّ بَيْني وبَيْنَهُمْ.

خطبة له عليه السّلام (٤٢)

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ، الَّذي لا مِنْ شَيْءٍ كَانَ، ولا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ.

قُدْرَتُهُ بَانَ بِهَا مِنَ الأَشْيَاءِ، وبَانَتِ الأَشْيَاءُ بِهَا مِنْهُ، فَلَيْسَتْ لَهُ صِفَةٌ تُنَالُ، ولا حَدٌّ يُضْرَبُ لَهُ فيه الأَمْثَالُ.

كَلَّ دُونَ صِفَاتِهِ تَعْبِيرُ اللُّغَاتِ، وضَلَّتْ هُنَالِكَ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ، وَحَارَتْ دُونَ مَلَكُوتِهِ عَمِيقَاتُ مَذَاهِبِ التَّفْكِيرِ، وانْقَطَعَتْ دُونَ الرُّسُوخِ فِي عِلْمِهِ جَوَامِعُ التَّفْسِيرِ، وحَالَتْ دُونَ غَيْبِهِ الْمَكْنُونِ حُجُبُ الْغُيُوبِ، وتَاهَتْ فِي أَدْنَى أَدَانِيهَا طَامِحَاتُ الْعُقُولِ فِي لَطِيفَاتِ الأُمُورِ.

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذي لا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، ولا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ.

وتَعَالَى اللَّهُ الَّذي لَيْسَ لَهُ نَعْتٌ مَوْجُودٌ، ولا وَصْفٌ مَحْدُودٌ، ولا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، ولا أَجَلٌ مَمْدُودٌ.

وسُبْحَانَ الأَوَّلِ الَّذي لا أَوَّلَ لَهُ فَيَبْتَدِي، ولا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي، ولا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي.

فَسُبْحَانَهُ، هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، والْوَاصِفُونَ لا يَبْلُغُونَ نَعْتَهُ.

حَدَّ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِعِلْمِهِ عِنْدَ خَلْقِهِ إِيَّاهَا إِبَانَةً لَهَا مِنْ شَبَهِهِ، وإِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا.

لَمْ يَحْلُلْ فِي الأَشْيَاءِ فَيُقَالَ: هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، ولَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ، ولَمْ

يَخْلُ مِنْهَا فَيُقَالُ لَهُ: أَيْنَ، ولكِنَّهُ- سُبْحَانَهُ - أَحَاطَ بِهَا عِلْمُهُ، وأَتْقَنَهَا صُنْعُهُ، وذَلَّلَهَا أَمْرُهُ، وأَحْصَاهَا حِفْظُهُ.

لَمْ تَعْزُبْ عَنْهُ خَفِيَّاتُ غُيُوبِ الْمَدى، ولا غَوَامِضُ مَكْنُونِ ظُلَمِ الدُّجى، ولا مَا فِي السَّمواتِ الْعُلى إِلَى الأَرَضِينَ السُّفْلى، لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا حَافِظٌ ورَقِيبٌ، وكُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا بِشَيْءٍ مُحِيطٌ، والْمُحِيطُ بِمَا أَحَاطَ بِهِ مِنْهَا هُوَاللَّهُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ.

هُوالَّذي لا تُغَيِّرُهُ صُرُوفُ الأَزْمَانِ، ولَمْ يَتَكَأَّدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ كَانَ، إِنَّمَا قَالَ لِمَا شَاءَ أَنْ يَكُونَ: كُنْ، فَكَانَ، بِلا ظَهِيرٍ عَلَيْهِ ولا أَعْوَانٍ.

إِبْتَدَعَ مَا خَلَقَ عَلى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، ولا تَعَبٍ ولا نَصَبٍ، ولا عَنَاءٍ ولا لَغَبٍ.

وكُلُّ صَانِعِ شَيْءٍ فَمِنْ شَيْءٍ صَنَعَ، واللَّهُ لاَ مِنْ شَيْءٍ صَنَعَ مَا صَنَعَ.

وكُلُّ عَالِمٍ فَمِنْ بَعْدِ جَهْلٍ تَعَلَّمَ، واللَّهُ لَمْ يَجْهَلْ ولَمْ يَتَعَلَّمْ.

أَحَاطَ بِالأَشْيَاءِ كُلِّهَا قَبْلَ كَوْنِهَا عِلْماً، فَلَمْ يَزْدَدْ بِتَكْوِينِهِ إِيَّاهَا خُبْراً، عِلْمُهُ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُكَوِّنَهَا كَعِلْمِهِ بِهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا.

لَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، ولا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ ولا نُقْصَانٍ، ولاَ اسْتِعَانَةٍ عَلى ضِدٍّ مُنَاوِرٍ، ولا نِدٍّ مُكَاثِرٍ، لكِنْ خَلائِقُ مَرْبُوبُونَ، وعِبَادٌ دَاخِرُونَ.

فَسُبْحَانَ الَّذي لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ، ولا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ، ولا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ.

خَلَقَ مَا عَلِمَ، وعَلِمَ مَا أَرَادَ، لا بِالتَّفْكِيرِ فِي عِلْمٍ حَادِثٍ أَصَابَ مَا خَلَقَ، ولا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضى وقَدَّرَ، بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ، وعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وأَمْرٌ مُبْرَمٌ.

تَوَحَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وخَصَّ نَفْسَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، فَلَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ، واسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ والثَّنَاءَ، واسْتَكْمَلَ الْمَجْدَ والسَّنَاءَ، فَانْفَرَدَ بِالتَّوْحِيدِ، وتَوَحَّدَ بِالتَّمْجِيدِ، وعَظُمَ عَنِ الشَّبِيهِ، فَجَلَّ- سُبْحَانَهُ وتعالى - عَنِ اتِّخَاذِ الأَبْنَاءِ، وتَطَهَّرَ وتَقَدَّسَ عَنْ مُلامَسَةِ النِّسَاءِ، وعَزَّ وجَلَّ عَنْ مُجَاوَرَةِ الشُّرَكَاءِ.

فَلَيْسَ لَهُ فيمَا خَلَقَ نِدٌّ، ولا لَهُ فيمَا مَلَكَ ضِدٌّ، ولَمْ يَشْرَكْ في مُلْكه أحَدٌ.

كَذَلِكَ هُواللَّهُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الْمُبِيدُ للأَبَد، والْوَارِثُ للأَمَد، الَّذي لَمْ يَزَلْ ولا يَزَالُ وَحْدَانِيّاً أزَلِيّاً، قَبْلَ بَدْءِ الدُّهُورِ، وبَعْدَ صَرْفِ الأُمُورِ.

الَّذي لا يَبِيدُ ولا يَنْفَدُ.

الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ، والْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ.

فَتَعَالَى اللَّهُ الْعَلِيُّ الأَعْلَى، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّة، والْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَة، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، ومَا تَخُونُ الْعُيُونُ، لا كَمُشَاهَدَة شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاء.

مَلَكَ السَّمواتِ الْعُلى والأَرَضِينَ السُّفْلى، وأَحَاطَ بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ عِلْماً، فَعَلاَ الَّذي دَنَا، ودَنَا الَّذي عَلا، ولَهُ الْمَثَلُ الأَعْلى، والأَسْمَاءُ الْحُسْنى، تَبَارَكَ وتَعَالى.

بِذَلِكَ أَصِفُ رَبِّي، فَلا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، مِنْ عَظِيمٍ مَا أَعْظَمَهُ، وجَلِيلٍ مَا أَجَلَّهُ، وعَزِيزٍ مَا أَعَزَّهُ، وتَعَالى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

نَحْمَدُهُ عَلى مَا أَخَذَ وأَعْطى، وعَلى مَا أَبْلى وابْتَلى، ونَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ غَيْرُهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه نَجِيبُهُ وبَعِيثُهُ، شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الاعْلانَ، والْقَلْبُ اللِّسَانَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً، بِكِتَابٍ نَاطِقٍ، وأَمْرٍ قَائِمٍ، لا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلاَّ هَالِكٌ.

وإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ والْمُشْتَبِهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ الْمُرْدِيَاتُ إِلاَّ مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا.

وإِنَّ في سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لأَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَة، ولا مُسْتَكْرَه بِهَا.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وأَعْلَمَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ، وأَعْمَلَهُمْ بِهِ، فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبى قُوتِلَ.

ولَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الإِمَامَةُ لا تَنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلى ذَلِكَ سَبِيلٌ، ولَكِنَّ أَهْلَهَا يَحْكُمُونَ عَلى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، ولا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ.

وقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، ولاَ يَحْمِلُ هذَا الْعَلَمَ إِلاَّ أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ والْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ.

أَلاَ وإِنِّي حَامِلُكُمْ عَلى مَنْهَجِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، ومُنَفِّذٌ فِيكُمْ مَا أُمِرْتُ بِهِ مَا اسْتَقَمْتُمْ لِي، واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

أَلاَ إِنَّ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَوْضِعِي مِنْهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، ولَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

[أَلا] إِنَّ آخِرَ هذَا الأَمْرِ لا يَصْلُحُ إِلاَّ بِمَا صَلَحَ [بِهِ] أَوَّلُهُ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ عَوَاقِبَ قَضَاءِ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ - عَلى مَنْ مَضى مِنْكُمْ، فَانْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ، ويُصْلِحْ أَمْرَكُمْ.

واللَّهِ لَتَفْعَلُنَّ، أَولَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الإِسْلامِ، ثُمَّ لا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّى يَأْرِزَ الأَمْرُ إِلى غَيْرِكُمْ.

أَلا وإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا ادَّعى مَا لَيْسَ لَهُ.

وآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ.

إِنَّ اللهَ - عَزَّ وجَلَّ - جَعَلَ لِظَالِمِ هذِهِ الأُمَّةِ الْعَفْوَ والْمَغْفِرَةَ، وجَعَلَ لِمَنْ لَزِمَ الأَمْرَ واسْتَقَامَ الْفَوْزَ والنَّجَاةَ، فَمَنْ لَمْ يَسَعْهُ الْحَقُّ أَخَذَ بِالْبَاطِلِ.

أَلا وإِنَّ هؤُلاءِ قَدْ تَمَالَؤُوا عَلى سَخْطَةِ إِمَارَتِي، ودَعَوُا النَّاسَ إِلى مُخَالَفَتِي، وإِنَّمَا طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدَّ الأُمُورِ عَلى أَدْبَارِهَا، وسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلى جَمَاعَتِكُمْ، وأَكُفُّ إِنْ كَفُّوا، وأَقْتَصِرُ عَلى مَا بَلَغَنِي عَنْهُمْ.

فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلى فَيَالَةِ هذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، ومَا كَانَ عَلَيْهِمْ فِينَا مَؤُونَةٌ.

خطبة له عليه السلام (٤٣)

حين بلغه خلع طلحة والزبير بيعتهما وأنهما قدما البصرة مع عائشة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه عَلى كُلِّ أمْرٍ وحَال، فِي الْغُدُووالآصَالِ. وأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله عَبْدُهُ ورَسُولُهُ.

إبْتَعَثَهُ للنَّاسِ كَافَّةً، رَحْمَةً للْعبَاد، وحَيَاةً للْبلاد، حينَ امْتَلأَت الأَرْضُ فتْنَةً، واضْطَرَبَ حَبْلُهَا، وعُبدَ الشَّيْطَانُ في أكْنَافهَا، واشْتَمَلَ عَدُواللَّه إبْليسُ عَلى عَقَائد أهْلهَا، والنَّاسُ في اخْتلاف، والْعَرَبُ بشَرِّ الْمَنَازل، مُسْتَضيئُونَ للثَّاءَات بَعْضُهُمْ عَلى بَعْض.

فَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْد اللَّه بْنِ عَبْد الْمُطَّلب الَّذي أطْفَأَ اللَّهُ به نيرَانَهَا، وأخْمَدَ به شَرَارَهَا، ونَزَعَ به أوْتَادهَا، وأقَامَ به مَيْلَهَا.

إمَامُ الْهُدى، والنَّبيُّ الْمُصْطَفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله.

فَلَقَدْ صَدَعَ بمَا أُمرَ به، وبَلَّغَ رسَالَة ربِّه، فَلَمَّ اللَّهُ به الصَّدْعَ، ورَتَقَ به الْفَتْقَ، وأصْلَحَ به ذَاتَ الْبَيْن، ورَأبَ به الشَّأْيَ، وآمَنَ به السُّبُلَ، وحَقَنَ به الدِّمَاءَ، وألَّفَ به بَيْنَ ذَوي الأَرْحَام، بَعْدَ الإحَنِ والْعَدَاوَة الْوَاغرَة في الصُّدُور، والضَّغَائن الْقَادحَة في الْقُلُوب، حَتَّى أتَاهُ الْيَقينُ.

ثُمَّ قَبَضَهُ الله - عَزَّ وجَلَّ- إلَيْه حَميداً، مَشْكُوراً سَعْيُهُ، مَرْضيّاً عَمَلُهُ، مَغْفُوراً ذَنْبُهُ، كَريماً عنْدَ اللَّه نُزُلُهُ، لَمْ يُقَصِّرْ في الْغَايَة الَّتي إلَيْهَا أدَّى الرِّسَالَةَ، ولا بَلَّغَ شَيْئاً كَانَ في التَّقْصير عَنْهُ الْقَصْدَ.

فَيَا لَهَا مُصيبَةً عَمَّت الْمُسْلمينَ، وخَصَّت الأَقْرَبينَ.

وكَانَ مِنْ بَعْده مَا كَانَ مِنَ التَّنَازُعِ فِي الإِمْرَة.

ثُمَّ اسْتَخْلَفَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ يَأْلُ جُهْدَهُ، فَسَارَ بسيرَةٍ رَضيَهَا الْمُسْلمُونَ.

ثُمَّ اسْتَخْلَفَ أَبُوبَكْرٍ عُمَرَ، فَعَملَ بطَريقه، ثُمَّ جَعَلَهَا شُورى بَيْنَ سِتَّة.

ثُمَّ تَوَلَّى عُثْمَانُ فَنَالَ مِنْكُمْ ونِلْتُمْ مِنْهُ.

حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِه مَا عَرَفْتُمُوهُ، أَتَيْتُمْ إِلَيْه فَقَتَلْتُمُوهُ فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذ الْمَطَافيلِ عَلى أَوْلادهَا تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ، الْبَيْعَةَ.

فَقُلْتُ: لا أَفْعَلُ، لا حَاجَةَ لي في ذَلكَ.

فَقُلْتُمْ: بَلى، لا بُدَّ مِنْ ذَلكَ.

فَقُلْتُ: لا، ودَخَلْتُ مَنْزِلي.

فَاسْتَخْرَجْتُمُوني، وقَبَضْتُ كَفِّيَ فَبَسَطْتُمُوهَا، ونَازَعْتُكُمْ يَدِيَ فَجَاذَبْتُمُوهَا، وقُلْتُمْ: لا نَرْضى إِلاَّ بكَ، ولا نَجْتَمعُ إِلاَّ عَلَيْكَ.

فَبَايَعْتُمُوني وأَنَا غَيْرُ مَسْرُور بذَلكَ ولا جَذل.

أَلا وإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ - عَالمٌ مِنْ فَوْق سَمَوَاته وعَرْشه أَنِّي كُنْتُ كَارِهاً لِلْحُكُومَة بَيْنَ أُمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله.

ولَقَدْ سَمعْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله يَقُولُ: مَا مِنْ وَال يَلي مِنْ أَمْرِ أُمَّتي مِنْ بَعْدي، إِلاَّ أُتيَ بِه يَوْمَ الْقيَامَة وأُقيمَ عَلى حَدِّ الصِّرَاط مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلى عُنُقه عَلى رُؤُوس الْخَلائق، ثُمَّ يَنْشُرُ الْمَلائكَةُ كتَابَهُ، فَإِنْ كَانَ عَادلًا أَنْجَاهُ اللَّهُ بعَدْله، وإِنْ كَانَ جَائراً انْتَفَضَ بِه الصِّرَاطُ انْتفَاضَةً تُزيلُ مَفَاصلَهُ، حَتَّى يَكُونَ بَيْنَ كُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائه مَسيرَةَ مائَةَ عَام، يَخْرُقُ بِه الصِّرَاطُ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَا يَتَّقيهَا بِه أَنْفُهُ وحُرُّ وَجْهه.

لَكنِّي لَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيَّ مَلأُكُمْ، نَظَرْتُ فَلَمْ يَسَعْني رَدُّكُمْ حَيْثُ اجْتَمَعْتُمْ، فَبَايَعْتُمُوني مُخْتَارينَ، وبَايَعَني في أَوَّلكُمْ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ طَائعَيْنِ غَيْرَ مُكْرَهَيْنِ، وأَنَا أَعْرِفُ

الْغَدْرَ في وَجْهَيْهِمَا، والنَّكْثَ في عَيْنَيْهِمَا.

ثُـمَّ مَـا لَبِـثَا أَنِ اسْتَأْذَنَاني فِي الْعُمْرَةِ. فَأَعْلَمْتُهُمَا أَنْ لَيْسَ الْعُمْرَةَ يُرِيدَانِ، واللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمَا أَرَادَا الْغَدْرَةَ.

فَجَدَّدْتُ عَلَيْهِمَا الْعَهْدَ فِي الطَّاعَةِ، وأَنْ لا يَبْغِيَا لِلأُمَّةِ الْغَوَائِلَ، فَعَاهَدَانِي ثُمَّ لَمْ يَفِيَا لـي، ونَكَثَا بَيْعَتـي، ونَقَضَـا عَهْـدي، فَسَارَا إِلى مَكَّةَ، واسْتَخَفَّا عَائِشَةَ وخَدَعَاهَا، وشَخَصَ مَعَهُمَـا أَبْنَاءُ الطُّلَقَـاءِ، فَقَدِمَـا الْبَصْـرَةَ، وقَد اجْتَمَعَ أَهْلُهَا عَلى طَاعَةِ اللَّهِ وبَيْعَتي، فَدَعَوَاهُمْ إِلى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وخِلافي، فَمَنْ أَطَاعَهُمَا مِنْهُمْ فَتَنُوهُ، ومَنْ عَصَاهُمَا قَتَلُوهُ.

فَيَا عَجَباً لاسْتِقَامَتِهِمَا لأَبي بَكْرٍ وعُمَرَ، وبَغْيِهِمَا عَلَيَّ.

واللَّهِ إِنَّهُمَا لَيَعْلَمَانِ أَنِّي لَسْتُ بِدُونِ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ.

ولَوشِئْتُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْضَبْ عَلَيْهِمَا بِمَا صَنَعَا في حَقِّي، وظَفِّرْنِي بِهِمَا.

وقَدْ كَانَ مِنْ قَتْلِهِمْ حُكَيْمَ بْنَ جَبَلَةَ مَا بَلَغَكُمْ، وقَتْلِهِمُ السَّبَابِجَةَ، وفِعْلِهِمْ بِعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ.

واللَّهِ إِنِّي مُنِيتُ بِأَرْبَعَةٍ لَمْ يُمْنَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

مُنِيتُ بِأَدْهَى النَّاسِ وأَسْخَاهُمْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ.

وأَشْجَعِ النَّاسِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ.

وأَطْوَعِ النَّاسِ فِي النَّاسِ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ.

وأَسْرَعِ النَّاسِ إِلى فِتْنَةٍ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ.

واللَّهِ مَـا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، ولا جَعَلُوا بَيْنِي وبَيْنَهُمْ نَصَفاً، ولاَ اسْتَأْثَرْتُ بِمَالٍ، ولا مِلْتُ بِهَوىً.

وإِنَّهُـمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُـمْ تَرَكُوهُ، ودَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ، كَمَا يَزْعُمُونَ، فَإِنَّ لَهُـمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، ولَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي، فَمَا التَّبِعَةُ إِلاَّ قِبَلَهُمْ، ومَا الطَّلِبَةُ إِلاَّ قِبَلَهُمْ.

وإنَّ أعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلى أنْفُسِهِمْ، وإنَّ أوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلى أنْفُسِهِمْ.

ولَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ كَتَبَ إلَيْهِمَا مِنَ الشَّامِ كِتَاباً يَخْدَعُهُمَا فيه، فَكَتَمَاهُ عَنِّي، وخَرَجَا يُوهِمَانِ الطَّغَامَ والأَعْرَابَ أنَّهُمَا يَطْلُبَانِ بِدَمِ عُثْمَانَ، وإنَّ دَمَ عُثْمَانَ لَمَعْصُوبٌ بِهِمَا، ومَطْلُوبٌ مِنْهُمَا.

واللَّهِ إنَّهُمَا لَعَلى ضَلالَةٍ صَمَّاءَ، وجَهَالَةٍ عَمْيَاءَ.

وَا عَجَباً لِطَلْحَةَ، أَلَّبَ النَّاسَ عَلَى ابْنِ عَفَّانَ، حَتَّى إذَا قُتِلَ أعْطَانِي صَفْقَةَ يَمِينِهِ طَائِعاً، ثُمَّ نَكَثَ بَيْعَتِي، وطَفِقَ يَنْعَى ابْنَ عَفَّانَ ظَالِماً، وجَاءَ يَطْلُبُنِي، يَزْعُمُ، بِدَمِهِ.

واللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إلاَّ خَوْفاً مِنْ أنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ، لأَنَّهُ مَظَنَّتُهُ، ولَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أنْ يُغَالِطَ بِمَا أجْلَبَ فيه، لِيَلْتَبِسَ الأَمْرُ، ويَقَعَ الشَّكُّ.

واللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاثٍ: لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً، كَمَا كَانَ يَزْعُمُ حِينَ حَصَرَهُ وأَلَّبَ عَلَيْهِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ، وأنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ.

ولَئِنْ كَانَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَظْلُوماً، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَنْهِنِينَ عَنْهُ، والْمُعَذِّرِينَ فيه.

ولَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أنْ يَعْتَزِلَهُ ويَرْكُدَ جَانِباً، ويَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ.

فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاثِ، وجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، ولَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ - عَزَّ وجَلَّ - افْتَرَضَ الْجِهَادَ فَعَظَّمَهُ، وجَعَلَهُ نُصْرَتَهُ ونَاصِرَهُ.

واللَّهِ مَا صَلُحَتِ الدُّنْيَا قَطُّ، ولاَ الدِّينُ، إلاَّ بِهِ.

ألا وإنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، واسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ ورَجِلَهُ ومَنْ أطَاعَهُ، لِيَعُودَ لَهُ دِينُهُ وسُنَّتُهُ، وحَثَّ زِينَتَهُ فِي ذَلِكَ وخُدَعَهُ وغُرُورَهُ، ويَنْظُرُ مَا يَأْتِيهِ.

وقَدْ رَأَيْتُ أُمُوراً قَدْ تَحَصْحَصَتْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ عَائِشَةَ سَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمَعَهَا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ.

أَمَّا طَلْحَةُ فَابْنُ عَمِّهَا، وَأَمَّا الزُّبَيْرُ فَخَتَنُهَا.

لا يَمُتَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَلا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ.

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٌّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ.

وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ، وَلَنْ يَنَالُوا ذَلِكَ أَبَداً، لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا.

وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَاكِبَةَ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ مَا تَقْطَعُ عَقَبَةً، وَلا تَحِلُّ عُقْدَةً، وَلا تَنْزِلُ مَنْزِلًا، إِلاَّ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، حَتَّى تُورِدَ نَفْسَهَا وَمَنْ مَعَهَا مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ.

إِي، وَاللَّهِ، لَيُقْتَلَنَّ ثُلُثُهُمْ، وَلَيَهْرُبَنَّ ثُلُثُهُمْ، وَلَيَتُوبَنَّ ثُلُثُهُمْ.

وَإِنَّهَا، وَاللَّهِ، الَّتِي تَنْبَحُهَا كِلابُ الْحَوْأَبِ.

فَهَلْ يَعْتَبِرُ مُعْتَبِرٌ، وَيَتَفَكَّرُ مُتَفَكِّرٌ.

[أَلا] قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ وَفِيهَا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ.

فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ.

أَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ.

فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ.

وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ.

فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى.

وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا إِلَى الضَّلالِ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى.

وَاللَّهِ لا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ، وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ، ثُمَّ لا يَعْتَبِرُ.

وَلَقَدِ اسْتَثْبَتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ.

وأيْمُ اللَّه لأفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أنَا مَاتِحُهُ، لا يَصْدِرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، ولا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ في حَسْيٍ، ولا يَلْقَوْنَ بَعْدَهُ رِيّاً أبَداً.

نَحْنُ أهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّة، وعِتْرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، وأحَقُّ الْخَلْقِ بِسُلْطَانِ الرِّسَالَة، ومَعْدِنِ الْكَرَامَةِ الَّتِي ابْتَدَأ اللَّهُ بِهَا هذه الأُمَّة، وهذَا طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ لَيْسَا مِنْ أهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّة، ولا مِنْ ذُرِّيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، ولَيْسَا مِنْ هذَا الأمْرِ بِسَبِيلٍ، حِينَ رَأيَا أنَّ اللَّهَ قَدْ رَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا بَعْدَ أعْصُرٍ، لَمْ يَصْبِرَا حَوْلًا كَامِلًا، ولا شَهْراً وَاحِداً، حَتَّى وَثَبَا عَلى دَأبَ الْمَاضِينَ قَبْلَهُمَا، لِيَذْهَبَا بِحَقِّي، ويُفَرِّقَا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ عَنِّي.

واللَّه الَّذي لا إلهَ إلاَّ هُوَ، إنَّ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ وعَائِشَةَ بَايَعُوني، ونَكَثُوا بَيْعَتي، ومَا اسْتَأنَوْا فِيَّ حَتَّى يَعْرِفُوا جَوْرِي مِنْ عَدْلي.

وإنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ أنِّي عَلَى الْحَقِّ، وأنَّهُمْ مُبْطِلُونَ.

ورُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وعِلْمُهُ مَعَهُ لا يَنْفَعُهُ.

وحَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الْوَكِيلُ.

لا أعْتَذِرُ مِمَّا فَعَلْتُ، ولا أتَبَرَّأُ مِمَّا صَنَعْتُ، ومَا كَانَ مِنِّي مَا أخَافُ غَداً سُوءَ جَزَائِه.

وإنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي، مَا لَبَسْتُ عَلى نَفْسِي ولا لُبِّسَ عَلَيَّ.

وإنَّهَا لَلْفِئَةُ النَّاكِثَةُ الْبَاغِيَةُ، فِيهَا الْحَمَأُ والْحُمَّةُ، والشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ، وقَدْ طَالَتْ جَلْبَتُهَا، وأمْكَنَتْ مِنْ دِرَّتِهَا، وانْكَفَّتْ جَوْنَتُهَا.

وإنَّ الأمْرَ لَوَاضِحٌ، يَرْتَضِعُونَ أمّاً قَدْ فَطَمَتْ، ويُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إلى قِطَابِه، ويَرْجِعَ الْبَاطِلُ إلى نِصَابِه.

فَيَا خَيْبَةَ الدَّاعي مَنْ دَعَا.

وإلامَ أُجِيبَ.

لَوقيلَ لَهُ: إلى مَنْ دَعْوَتُكَ، وقيلَ لِلْمُجيب: مَنْ أجَبْتَ، ومَنْ إمَامُكَ، وما بَيِّنَتُهُ.

إذَنْ، واللَّه، قَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِه، وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغَبِه.

واللَّه مَا تَابَ إِلَيْهِمْ مَنْ قَتَلُوهُ قَبْلَ مَوْتِه، ولا تَنَصَّلَ مِنْ خَطِيئَتِه، ولاَ اعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ فَعَذَرُوهُ، ولا دَعَاهُمْ فَنَصَرُوهُ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ رَاغَبْتُ هؤُلاءِ الْقَوْمِ وَنَاشَدْتُهُمْ كَيْ يَرْعَوُوا، أَويَرْجِعُوا، فَلَمْ يَفْعَلُوا ولَمْ يَسْتَجِيبُوا.

[ثُمَّ] إِنِّي أَتَيْتُ هؤُلاءِ الْقَوْمِ، ووَبَّخْتُهُمْ بِنَكْثِهِمْ، وعَرَّفْتُهُمْ بَغْيَهُمْ، ودَعَوْتُهُمْ، واحْتَجَجْتُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا.

وقَدْ خَرَجُوا مِنْ هُدىً إِلى ضَلال، ودَعَوْتَاهُمْ إِلَى الرِّضَا ودَعَوْنَا إِلَى السَّخَطِ، فَحَلَّ لَنَا ولَكُمْ رَدُّهُمْ إِلَى الْحَقِّ بِالْقِتَال، وحَلَّ لَهُمْ بِقِصَاصِهِمُ الْقَتْلُ.

وقَدْ كَشَفُوا الآنَ الْقِنَاعَ، وآذَنُوا بِالْحَرْب.

وقَدْ، واللَّه، مَشَوْا إِلَيْكُمْ ضِرَاراً، وأَذَاقُوكُمْ أَمَسَّ مِنَ الْجَمْرِ، وأَرْعَدُوا وأَبْرَقُوا، ومَعَ هذَيْنِ الأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ.

ولَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ، ولا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ.

وقَامَ طَلْحَةُ بِالشَّتْمِ والْقَدْحِ فِي أَدْيَانِكُمْ، ولَسْنَا نُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَلْقُوهُمْ بِظُنُونِ مَا فِي نُفُوسِكُمْ عَلَيْهِمْ، ولا بِمَا تَرَوْنَ فِي أَنْفُسِكُمْ لَنَا.

وإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّه عَلَيْهِمْ، وعِلْمِه فِيهِمْ.

وإِنِّي مَعَ هذَا لَدَاعِيهِمْ، ومُعْذِرٌ إِلَيْهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وقَبِلُوا، وأَجَابُوا وأَنَابُوا، فَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ، والْحَقُّ أَوْلَى مَا انْصَرَفُ إِلَيْه، ولَيْسَ عَلَى اللَّه كُفْرَانٌ، وإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْف، وكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِراً لِلْحَقِّ.

ومِنَ الْعَجَبِ بَعْثَتُهُمْ إِلَيَّ أَنِ ابْرُزْ لِلطِّعَانِ، وأَنِ اصْبِرْ لِلْجِلادِ، وإِنَّمَا تُمَنِّيكَ نَفْسُكَ أَمَانِيَ الْبَاطِلِ، وتَعِدُكَ الْغُرُورَ.

ألا هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ، لَقَدْ كُنْتُ ومَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، ولا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ.

ولَقَدْ أَنْصَفَ الْقَارَّةَ مَنْ رَامَاهَا.

فَلِغَيْرِي فَلْيُرْعِدُوا ولْيُبْرِقُوا، فَقَدْ رَأَوْنِي قَدِيماً، وعَرَفُوا نِكَايَتِي، فَكَيْفَ رَأَوْنِي.

أَنَا أَبُوالْحَسَنِ الَّذي فَلَلْتُ حَدَّ الْمُشْرِكِينَ، وفَرَّقْتُ جَمَاعَتَهُمْ، وبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقى عَدُوِّيَ الْيَوْمَ.

وإِنِّي لَعَلى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ والتَّأْيِيدِ والظَّفَرِ، ولَعَلى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

فَإِذَا لَقِيتُمُ الْقَوْمَ غَداً فَاعْذُرُوا بِالدُّعَاءِ، وأَحْسِنُوا فِي التَّقِيَّةِ، واسْتَعِينُوا اللَّهَ، واصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.

ثم رفع أمير المؤمنين عليه السلام يديه فدعا على طلحة والزبير وقال: اللَّهُمَّ احْكُمْ عَلَيْهِمَا بِمَا صَنَعَا فِي حَقِّي، وصَغَّرَا مِنْ أَمْرِي، وظَفِّرْنِي بِهِمَا.

اللَّهُمَّ خُذْهُمَا بِمَا عَمِلا أَخْذَةً رَابِيَةً، ولا تُنْعِشْ لَهُمَا صَرْعَةً، ولا تُقِلْهُمَا عَثْرَةً، ولا تُمْهِلْهُمَا فَوَاقاً.

اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وظَلَمَانِي، وأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ، ونَكَثَا بَيْعَتِي، فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، ولا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، ولا تَغْفِرْ لَهُمَا أَبَداً، وأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلا وعَمِلا.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْتَضِيكَ وَعْدَكَ، فَإِنَّكَ قُلْتَ وقَوْلُكَ الْحَقُّ: ومَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ.

اللَّهُمَّ فَأَنْجِزْ لِي مَوْعِدِي، ولا تَكِلْنِي إِلى نَفْسِي، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فقام الحارث بن حوط فقال: أتراني أظن أن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة.

فقال عليه السلام: يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ، ولَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ، فَحِرْتَ عَنِ الْحَقِّ.

يَا حَارِثُ، إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ، ولَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ.

إِنَّ الْحَقَّ والْبَاطِلَ لا يُعْرَفَانِ بِأَقْدَارِ الرِّجَالِ، وإِعْمَالِ الظَّنِّ، ولكِنِ اعْرِفِ الْحَقَّ بِاتِّبَاعِ مَنِ اتَّبَعَهُ، والْبَاطِلَ بِاجْتِنَابِ مَنِ اتَّبَعَهُ.

فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر.

فقال عليه السلام: إِنَّ سَعِيداً وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ، ولَمْ يَخْذُلاَ الْبَاطِلَ. مَتى كَانَا إِمَامَيْنِ فِي الْخَيْرِ فَيُتَّبَعَانِ.

خطبة له عليه السّلام (٤٤)

عند خروجه لقتال أهل البصرة

قال عبد اللّه بن عباس رضي الله عنه: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهوخصف نعله، فقلت له: نحن إلى أن تصلح أمرنا أحوج منّا إلى ما تصنع.

فلم يكلّمني حتى فرغ من نعله، ثم ضمّها إلى صاحبتها، فقال عليه السلام لي: مَا قِيمَةُ هذَا النَّعْلِ.

فقلت: لا قيمة لها.

فقال عليه السلام: واللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً، أَوْأَدْفَعَ بَاطِلًا.

ثم خرج أمير المؤمنين عليه السلام فخطب الناس فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّهِ الأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، والآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، وبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لا أَوَّلَ لَهُ، وبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لا آخِرَ لَهُ.

ونَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِكِتَابٍ فَصَّلَهُ، وأَحْكَمَهُ وأَعَزَّهُ، حَفِظَهُ بِعِلْمِهِ، وأَحْكَمَهُ بِنُورِهِ، وأَيَّدَهُ بِسُلْطَانِهِ، وكَلأَهُ مِنْ أَنْ يَبْتَزَّهُ هَوىً، أَوتَمِيلَ بِهِ شَهْوَةٌ، لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

وهُوَالَّذِي لا يُخْلِقُهُ طُولُ الرَّدِّ، ولا تَزِيغُ عَنْهُ الْعُقُولُ، ولا تَلْتَبِسُ مِنْهُ الأَلْسُنُ.

لا تَفْنى عَجَائِبُهُ، ولا تَنْقَضي غَرَائِبُهُ، ولا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلاَّ بِهِ، ولا يُعْلَمُ عِلْمٌ مِثْلُهُ.

فيه شِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ، وكَفَاءٌ لِمُكْتَفٍ.

هُوَالَّذي لَمَّا سَمِعَهُ الْجِنُّ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ.

مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، ومَنْ زَالَ عَنْهُ عَدَا، ومَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، ومَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، ومَنْ خَاصَمَ بِهِ فَلَجَ، ومَنْ قَاتَلَ بِهِ نُصِرَ، ومَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ.

أَنْزَلَهُ بِعِلْمِه، وأَشْهَدَ الْمَلائِكَةَ بِتَصْدِيقِه. قَالَ الله - جَلَّ وَجْهُهُ-: ﴿لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ، أَنْزَلَهُ بِعِلْمِه، والْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾.

فَجَعَلَهُ نُورَ الْهُدَى الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، فَقَالَ-: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ويُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾.

وقَالَ-: ﴿فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾.

وقَالَ-: ﴿اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ولا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ﴾.

وقَالَ-: ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ ومَنْ تابَ مَعَكَ ولا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

هُوالْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ.

هُوالنَّاطِقُ بِالْعَدْلِ، والآمِرُ بِالْفَضْلِ.

مَنْ تَرَكَهُ مِنَ الْجَبَّارِينَ قَصَمَهُ اللَّهُ، ومَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ.

فَفِي اتِّبَاعِ مَا جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وفِي تَرْكِه الْخَطَأُ الْمُبِينُ.

وقَالَ-: ﴿قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً

فَمَنِ﴾.

فَجَعَلَ فِي اتِّبَاعِهِ كُلَّ خَيْرٍ يُرْجى فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ، ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، ولا يَدَّعِي نُبُوَّةً ولا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ.

فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، ويُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ؛ يَحْسِرُ الْحَسِيرَ، ويَقِفُ الْكَسِيرَ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلاَّ هَالِكاً لا خَيْرَ فِيهِ.

فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، واسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، واطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ.

وأَيْمُ اللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، واسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا، مَا عَجَزْتُ، [ولا] ضَعُفْتُ، ولا جُبُنْتُ، ولا وَهَنْتُ، ولا خُنْتُ.

وإِنَّ مَسِيرِي هذَا لِمِثْلِهَا عَنْ عَهْدٍ إِلَيَّ فِيهِ.

وأَيْمُ اللَّهِ لأُبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَقُلْ لِقُرَيْشٍ فَلْتَضِجَّ مِنِّي ضَجِيجاً.

مَا لِي ولِقُرَيْشٍ.

أَمَا واللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ، ولأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ، وإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ.

واللَّهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلاَّ أَنَّا أَهْلُ بَيْتٍ شَيَّدَ اللَّهُ فَوْقَ بُنْيَانِهِمْ بُنْيَانَنَا، وأَعْلَى فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ رُؤُوسَنَا، واخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ، فَنَقَمُوا عَلَى اللَّهِ أَنِ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ، وسَخِطُوا مَا رَضِيَ اللَّهُ، وأَحَبُّوا مَا كَرِهَ اللَّهُ.

فَلَمَّا اخْتَارَنَا اللَّهُ شَرَكْنَاهُمْ فِي حَرِيمِنَا، وأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا، فَعَرَّفْنَاهُمُ الْكِتَابَ والسُّنَّةَ، وعَلَّمْنَاهُمُ الْفَرَائِضَ والسُّنَنَ، ودَيَّنَّاهُمُ الدِّينَ والإِسْلامَ، فَوَثَبُوا عَلَيْنَا، وجَحَدُوا فَضْلَنَا، ومَنَعُونَا حَقَّنَا، فَكَانُوا كَمَا قَالَ الأَوَّلُ:

أَدْمَتْ لَعَمْرِي شُرْبُكَ الْمَحْضَ صَابِحاً ... وأَكْلُكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةَ الْبُجْرَا

خطبة له عليه السلام (٤٥)

قبل حرب الجمل في تعليم أصحابه آداب الحرب وتحديد قواعد القتال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الْفَاشي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ، والْغَالِبِ جُنْدُهُ، والْمُتَعَالي جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلى نعَمِه التَّوَامِّ، وآلائه الْعِظَامِ.

الَّذي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وعَدَلَ في كُلِّ مَا قَضى، وعَلِمَ مَا يَمْضي ومَا مَضى.

مُبْتَدِعِ الْخَلائِقِ بِعِلْمِه، ومُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِه، بِلاَ اقْتِدَاءٍ ولاَ تَعْلِيمٍ، ولاَ احْتِذَاءِ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، ولاَ إِصَابَةِ خَطَأٍ، ولاَ حَضْرَةِ مَلأٍ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، ابْتَعَثَهُ والنَّاسُ يَضْرِبُونَ في غَمْرَةٍ، ويَمُوجُونَ في حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، واسْتَغْلَقَتْ عَلى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّه، بِتَقْوَى اللَّه، فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّه عَلَيْكُمْ، والْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّه حَقَّكُمْ، وأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّه، وتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّه، فَإِنَّ التَّقْوى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ والْجُنَّةِ، وفي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ.

مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وسَالِكُهَا رَابِحٌ، ومُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلى الأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ والْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً، إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدى، وأَخَذَ مَا أَعْطى، وسَأَلَ عَمَّا أَسْدى، فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا، وحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا.

أُولئِكَ الأَقَلُّونَ عَدَداً، وهُمْ أَهْلُ صِفَةِ الله - سُبْحَانَهُ -، إِذْ يَقُولُ -: ﴿وقَلِيلٌ مِنْ

عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾.

فَأهْطِعُوا بِأسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَأَلِظُّوا بِجَدِّكُمْ عَلَيْهَا، واعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً، ومِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوافِقاً.

أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، واقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وأَشْعِرُوا بِهَا قُلُوبَكُمْ، وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ، ودَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ، وبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ.

واعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، ولاَ يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا.

أَلاَ فَصُونُوهَا وتَصَوَّنُوا بِهَا، وكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً، وإِلَى الآخِرَةِ وُلاَّهاً.

ولاَ تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوى، ولاَ تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا.

ولاَ تَشِيمُوا بَارِقَهَا، ولاَ تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، ولاَ تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، ولاَ تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، ولاَ تُفْتَنُوا بِأَعْلاَقِهَا، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، ونُطْقَهَا كَاذِبٌ، وأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ، وأَعْلاَقَهَا مَسْلُوبَةٌ.

أَلاَ وإِنَّ الدُّنْيَا لَهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ، والْجَامِحَةُ الْحَرُونُ، والْمَائِنَةُ الْخَؤُونُ، والْجَحُودُ الْكَنُودُ، والْعَنُودُ الصَّدُودُ، والْحَيُودُ الْمَيُودُ، حَالُهَا انْتِقَالٌ، ووَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ، وعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وعُلْوُهَا سُفْلٌ.

وهِيَ دَارُ حَرَبٍ وسَلَبٍ، ونَهْبٍ وعَطَبٍ.

أَهْلُهَا عَلى سَاقٍ وسِيَاقٍ، ولَحَاقٍ وفِرَاقٍ.

قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ، ولَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ، وأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ.

فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ، ولَحْمٍ مَجْزُورٍ، وسَلِيمٍ مَذْبُوحٍ، ودَمٍ مَسْفُوحٍ، وعَاضٍّ عَلى يَدَيْهِ، وصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ، ومُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ، وزَارٍ عَلى رَأْيِهِ، ورَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ، وقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وأَقْبَلَتِ الْغَيْلَةُ، ولاَتَ حِينَ مَنَاصٍ.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وذَهَبَ مَا ذَهَبَ.

ومَضَت الدُّنْيَا لحَال بَالِهَا، فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والْأَرْضُ وما كانُوا مُنْظَرِينَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ الله - جَلَّ ثَنَاؤُهُ وتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - قَدْ دَلَّكُمْ عَلى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وتُشْفِي بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ الْعَظِيمِ: إِيمَانٍ بِالله - عَزَّ وجَلَّ - وبِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، وجَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ، ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، ورِضْوَاناً مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ.

ثُمَّ أَخْبَرَكُمْ بِالَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ - جَلَّ وعَزَّ -: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾.

أَلاَ فَسَوُّوا صُفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ.

وإِذَا لَقِيتُمْ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ غَداً فَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ الله - عَزَّ وجَلَّ - عَلَى حُجَّةٍ، وتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ.

فَوالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا، ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ [وَ] رَجَعُوا إِلَى عَدَاوَتِهِمْ لَنَا، إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا الصَّلاَةَ.

فَإِذَا بَدَؤُوكُمْ فَانْهَدُوا إِلَيْهِمْ، عِبَادَ اللَّهِ، وعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، وسِيمَا الصَّالِحِينَ، ووِقَارُ الإِسْلاَمِ.

واسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِوُجُوهِكُمْ.

وخُذُوا قَوَائِمَ سُيُوفِكُمْ بِأَيْمَانِكُمْ.

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وأَخِّرُوا الْحَاسِرَ.

وعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ مِنَ الأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ.

والْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلأَسِنَّةِ.

وغُضُّوا الأَبْصَارَ، فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ.

وأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ، وأَذْهَبُ بِالْوَهْلِ، وأَوْلَى بِالْوَقَارِ.

ومُدُّوا جِبَاهَ الْخُيُولِ ووُجُوهَ الرِّجَالِ.

وشُدُّوا شَدَّةَ قَوْمٍ مَوْتُورينَ بآبَائِهِمْ، وبِدِمَاءِ إِخْوَانِهِمْ، حَنِقينَ عَلى عَدُوِّهِمْ.

ووَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْمُبَارَزَة، والْمُنَازَلَة، والْمُنَاضَلَة، والْمُبَالَدَة، والْمُبَالَطَة، والْمُعَانَقَة، والْمُكَادَمَة، والْمُجَاوَلَة والْمُلازَمَة، لكَيْلاَ تَذِلُّوا، ولاَ يَلْزَمُكُمْ فِي الدُّنْيَا عَارٌ.

ويا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً.

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَة، وحَافِظُوا عَلَيْهَا، واسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً.

أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ الْكُفَّارِ حِينَ سُئِلُوا- ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾.

وإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ.

وشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ بِالْحَمَّة تَكُونُ عَلى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَة خَمْسَ مَرَّات، فَمَا عَسى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ.

وقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، ولاَ قُرَّةُ عَيْنٍ، مِنْ وَلَد ولاَ مَال.

يَقُولُ الله - سُبْحَانَهُ-: ﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاة وإِيتاءِ الزَّكاة﴾.

وكَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ نَصِباً بالصَّلاَة بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّة مِنْ رَبِّه، لقَوْل الله - سُبْحَانَهُ- : ﴿وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاة واصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾.

فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ، ويَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَة قُرْبَاناً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ عَلى أَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، ومِنَ النَّارِ حِجَازاً ووِقَايَةً. فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، ولاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مِنَ الثَّمَنِ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّة، مَغْبُونُ الأَجْرِ، ضَالٌّ

الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ، بِتَرْكِ أَمْرِ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ -، والرَّغْبَةِ عَمَّا عَلَيْهِ صَالِحُوا عِبَادِ اللَّهِ، يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾.

ثُمَّ أَدَاءَ الأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ وخَسِرَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا وضَلَّ عَمَلُهُ.

إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمواتِ الْمَبْنِيَّةِ، والأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ، والْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلاَ أَطْوَلَ، ولاَ أَعْرَضَ، ولاَ أَعْلَى، ولاَ أَعْظَمَ، مِنْهَا، ولَوِامْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ، أَوعَرْضٍ، أَوقُوَّةٍ، أَوعِزٍّ، لامْتَنَعْنَ، ولكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوأَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وهُوالإِنْسَانُ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا.

ثُمَّ إِنَّ الْجِهَادَ أَشْرَفُ الأَعْمَالِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، وهُوقِوَامُ الدِّينِ، والأَجْرُ فِيهِ عَظِيمٌ مَعَ الْعِزَّةِ والْمَنْعَةِ، وهُوالْكَرْهُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ والْبُشْرَى بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الشَّهَادَةِ، وبِالرِّزْقِ غَداً عِنْدَ الرَّبِّ والْكَرَامَةِ.

يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

ثُمَّ إِنَّ الرُّعْبَ والْخَوْفَ مِنْ جِهَادِ الْمُسْتَحِقِّ لِلْجِهَادِ، والْمُتَوَازِرِينَ عَلَى الضَّلاَلِ، نَقْضٌ فِي الدِّينِ، وسَلْبٌ لِلدُّنْيَا مَعَ الذُّلِّ والصَّغَارِ، وفِيهِ اسْتِيجَابُ النَّارِ بِالْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ عِنْدَ حَضْرَةِ الْقِتَالِ.

يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبارَ﴾.

فَحَافِظُوا عَلَى أَمْرِ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ - فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الَّتِي الصَّبْرُ عَلَيْهَا كَرَمٌ وسَعَادَةٌ، ونَجَاةٌ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ مِنْ فَظِيعِ الْهَوْلِ والْمَخَافَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ ونَهَارِهِمْ، لَطُفَ بِهِ خُبْراً، وأَحَاطَ بِهِ عِلْماً.

أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وخَلَوَاتُكُمْ عَيَانُهُ، وكُلُّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي ولا يَنْسى.

فَاصْبِرُوا، وصَابِرُوا، واسْأَلُوا [اللَّهَ] النَّصْرَ، ووَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْقِتَالِ، واتَّقُوا الله - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

﴿ولا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ واصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

ورَايَتُكُمْ فَلاَ تُمِيلُوهَا ولاَ تُخِلُّوهَا، ولاَ تُزِيلُوهَا، ولاَ تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، والْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ أَهْلُ الْحِفَاظِ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، ويَكْتَنِفُونَهَا، ويَضْرِبُونَ حِفَافَيْهَا، ووَرَاءَهَا، وأَمَامَهَا، ولاَ يُضَيِّعُونَهَا. لاَ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، ولاَ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا.

عِبَادَ اللَّهِ، انْهَدُوا إِلَى هؤُلاَءِ الْقَوْمِ مُنْشَرِحَةً صُدُورُكُمْ بِقِتَالِهِمْ، فَإِنَّهُمْ نَكَثُوا بَيْعَتِي، وقَتَلُوا شِيعَتِي، ونَكَّلُوا بِابْنِ حُنَيْفٍ عَامِلِي، وأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ آلَمُوهُ بِالضَّرْبِ الْمُبَرِّحِ والْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ، وهُوشَيْخٌ مِنْ وُجُوهِ الأَنْصَارِ والْفُضَلاَءِ، ولَمْ يَرْعَوْا لَهُ حُرْمَةً.

وقَتَلُوا السَّبَابَجَةَ.

ومَثَّلُوا بِحُكَيْمِ بْنِ جَبَلَةَ الْعَبْدِيِّ ظُلْماً وعُدْوَاناً، لِغَضَبِهِ لِلَّهِ - تعالى -.

وقَتَلُوا رِجَالًا صَالِحِينَ [مِنْ] شِيعَتِي بَعْدَمَا ضَرَبُوهُمْ، ثُمَّ تَتَبَّعُوا مَنْ نَجَا مِنْهُمْ، يَأْخُذُونَهُمْ فِي كُلِّ عَابِيَةٍ، وتَحْتَ كُلِّ رَابِيَةٍ، ثُمَّ يَأْتُونَ بِهِمْ فَيَضْرِبُونَ رِقَابَهُمْ صَبْراً.

مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

فَانْهَدُوا إِلَيْهِمْ، عِبَادَ اللَّهِ، وكُونُوا أَشِدَّاءَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ شِرَارٌ، ومُسَاعِدُهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ شِرَارٌ.

فَأَلْقُوهُمْ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ، مُوَطِّنِينَ أَنْفُسَكُمْ أَنَّكُمْ مُنَازِلُوهُمْ ومُقَاتِلُوهُمْ.

وإِذَا حَمَلْتُمْ فَافْعَلُوا فِعْلَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، واعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، ووَطِّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا، وأَذْمِرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ، والضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ،

والْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

وعَلَيْكُمْ بِالتَّحَامي فَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ.

لاَ تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، ولاَ جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ.

ومَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ فَاقْبَلُوا مِنْهُ.

واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاة، والصِّدْقِ في النِّيَّة، فَإِنَّ بَعْدَ الصَّبْرِ يَنْزِلُ النَّصْرُ مِنَ الله - عَزَّ وجَلَّ - إِنَّ الأَرْضَ لِلَّه يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِه وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ، بِإِذْنِ اللَّه، فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً، ولاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً، ولاَ تَتْبَعُوا مُوَلِّياً، ولاَ تَقْتُلُوا أَسِيراً، ولاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، ولاَ تَكْشِفُوا عَوْرَةً، ولاَ تُمَثِّلُوا بِقَتِيلٍ.

وإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِحَالِ الْقَوْمِ فَلاَ تَهْتِكُوا سِتْراً، ولاَ تَدْخُلُوا دَاراً إِلاَّ بِإِذْنِي.

ولاَ تَقْرَبُوا شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مَا أَصَبْتُمُوهُ فِي عَسْكَرِهِمْ مِنْ سِلاَحٍ أَوْ كُرَاعٍ، أَوْعَبْدٍ أَوْأَمَةٍ.

ومَا كَانَ مِنْ مَالٍ فِي أَهْلِيهِمْ فَهُوَ مِيرَاثٌ لِوَرَثَتِهِمْ عَلَى كِتَابِ اللَّه، وعَلَى نِسَائِهِمُ الْعِدَّةُ.

ولاَ تُهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذىً، وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، وَسَفِّهْنَ صُلَحَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوى والأَنْفُسِ والْعُقُول.

ولَقَدْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ.

وإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوالْهَرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِه.

فَلاَ يَبْلُغَنِّي عَنْ أَحَدٍ عَرَّضَ لامْرَأَةٍ فَأَنْكَلُ بِه شِرَارَ النَّاسِ.

وأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِه رِبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ الْفَزَعِ، وشَجَاعَةً، وإِقْدَاماً، وصَبْراً، عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَلاَ يُبْطِرَنَّهُ، ولاَ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ.

وإِنْ رَأى مِنْ أحَدٍ مِنْ إِخْوَانِه فَشَلًا أووَهْناً، فَلْيَذُبَّ عَنْ أخيه بِفَضْلِ نَجْدَتِه الَّتي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْه، كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسه، فَلَوشَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ.

وهلاً اجْزَأَ امْرُؤٌ مُسْلِمٌ مِنْكُمْ قِرْنَهُ، ووَاسى أَخَاهُ بِنَفْسه، ولَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلى أخيه، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْه قِرْنُهُ وقِرْنُ أخيه، فَيَكْتَسِبَ بِذَلِكَ اللأَئمَةَ، وَيَأتي بِدَنَاءَة.

وأَنَّى هذَا، وكَيْفَ لاَ يَكُونُ هكَذَا، وهُوَيُقَابِلُ اثْنَيْنِ، وهذَا مُمْسِكٌ يَدَهُ قَدْ خَلَّى قِرْنَهُ عَلى أخيه هَارِباً مِنْهُ، أوقَائِماً يَنْظُرُ إِلَيْه.

فَمَنْ يَفْعَلْ هذَا يَمْقُتْهُ الله - عَزَّ وجَلَّ -.

فَلاَ تَعَرَّضُوا لِمَقْتِ الله - سُبْحَانَهْ -، ولاَ تَفِرُّوا مِنَ الْمَوْت، فَإِنَّمَا مَرَدُّكُمْ إِلَى اللَّه.

وقَدْ قَالَ الله - عَزَّ وجَلَّ - لِقَوْمٍ عَابَهُمْ-: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوالْقَتْلِ وإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾.

اللَّهُمَّ أَلْهِمْهُمُ الصَّبْرَ، وأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ، وأَعْظِمْ لَهُمُ الأَجْرَ.

خطبة له عليه السلام (٤٦)

حين قتل طلحة وانفضّ أهل البصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الأَوَّل قَبْلَ كُلِّ أَوَّل، والآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ، بِأَوَّلِيَّتِه وَجَبَ أَنْ لا أَوَّلَ لَهُ، وبِآخِرِيَّتِه وَجَبَ أَنْ لا آخِرَ لَهُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً يُوافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلانَ، والْقَلْبُ اللِّسَانَ. [وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ].

مَعَاشِرَ النَّاسِ، اتَّقُوا اللَّهَ، [وَ] اتَّقُوا خِدَاعَ الآمَالِ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لا يَبْلُغُهُ، وبَانٍ مَا لا يَسْكُنُهُ، وجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، ولَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، ومِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ.

أَصَابَهُ حَرَاماً، واحْتَمَلَ بِه آثَاماً، فَبَاءَ بِوِزْرِه، وقَدِمَ عَلى رَبِّه آسِفاً لاهِفاً، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيا والآخِرَةَ، ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ.

قُلْعَتُهَا أَحْظَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا، وبُلْغَتُهَا أَزْكَى مِنْ ثَرْوَتِهَا.

حُكِمَ عَلى مُكْثِرِيهَا بِالْفَاقَة، وأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَة.

مَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْه كَمَهاً، ومَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَاناً.

لَهُنَّ رَقْصٌ عَلى سُوَيْدَاءِ قَلْبِه: هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وغَمٌّ يُحْزِنُهُ، كَذَلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظْمِه، فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ، هَيِّناً عَلَى اللَّه فَنَاؤُهُ، وعَلَى الإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ.

وإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ، ويَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الاضْطِرَارِ، ويَسْمَعُ

فيهَا بِأَذْنِ الْمَقْتِ والإِبْغَاضِ.

إِنْ قيلَ أَثْرى قيلَ أَكْدى، وإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ.

هذَا ولَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فيه يُبْلِسُونَ.

[مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ،] بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وتَسَنَّمْتُمُ الشَّرَفَ [وَ] الْعَلْيَاءَ، وبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ.

وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ.

وكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ.

رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ.

مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ.

سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ.

أَقَمْتُ لَكُمْ عَلى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ ولا دَلِيلٌ، وتَحْتَفِرُونَ ولا تُمِيهُونَ.

الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ، وأُفْصِحُ الْخَرْسَاءَ ذَاتَ الْبُرْهَانِ، لأَنِّي فَتَحْتُ الإِسْلاَمَ، ونَصَرْتُ الدِّينَ، وعَزَّزْتُ الرَّسُولَ، وثَبَّتُّ أَرْكَانَ الإِسْلاَمِ، وبَيَّنْتُ أَعْلاَمَهُ، وأَعْلَيْتُ مَنَارَهُ، وأَعْلَنْتُ أَسْرَارَهُ، وأَظْهَرْتُ آثَارَهُ، وصَفَيْتُ الدَّوْلَةَ، ووَطَّأْتُ لِلْمَاشِي والرَّاكِبِ، فَإِنَّهُ شَارَطَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنْ مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ وصَافَقَنِي عَلى أَنْ أُحَارِبَ لِلَّهِ، وأُحَامِيَ لِلَّهِ، وأَنْصُرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ جَهْدِي وطَاقَتِي وكَدْحِي وكَدِّي، وأُحَامِي عَنْ حَرِيمِ الإِسْلاَمِ، وأَرْفَعَ عَنْ أَطْنَابِ الدِّينِ، وأُعِزَّ الإِسْلاَمَ وأَهْلَهُ، ثُمَّ سَبَقَنِي إِلَيْهِ التَّيْمِيُّ والْعَدَوِيُّ كَسِبَاقِ الْفَرَسِ احْتِيَالًا واغْتِيَالًا وخُدْعَةً وغَلَبَةً.

عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي.

مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ.

[لَقَدْ] كَانَ بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْعُظْمى حَتَّى عَقُّوا أَبَاهُمْ، وبَاعُوا أَخَاهُمْ، وبَعْدَ الاقْرَارِ كَانَتْ تَوْبَتُهُمْ، وباسْتِغْفَارِ أَبِيهِمْ وأَخِيهِمْ غُفِرَ لَهُمْ.

ولَوْ أَنَّ قُرَيْشاً تَابَتْ إِلَيَّ واعْتَذَرَتْ مِنْ فِعْلِهَا لاسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَهَا.

إِنَّهُ لَمْ يُوجِسْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ خِيفَةً عَلى نَفْسِهِ ارْتِيَاباً ولاَ شَكّاً فِيمَا أَتَاهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ، ودُوَلِ الضَّلالِ، وغَلَبَةِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ، و[أَنَا] لَمْ أَشُكَّ فِيمَا أَتَانِي مِنْ حَقِّ اللَّهِ، ولاَ ارْتَبْتُ فِي إِمَامَتِي وخِلاَفَةِ ابْنِ عَمِّي ووَصِيَّةِ الرَّسُولِ.

الْيَوْمَ أَكْشِفُ السَّرِيرَةَ عَنْ حَقِّي، وأُجْلِي الْقَذَى عَنْ ظُلاَمَتِي، حَتَّى يَظْهَرَ لأَهْلِ اللُّبِّ والْمَعْرِفَةِ أَنِّي مُذَلَّلٌ مُضْطَهَدٌ مَظْلُومٌ مَغْصُوبٌ مَقْهُورٌ مَحْقُورٌ، وأَنَّهُمُ ابْتَزُّوا حَقِّي، واسْتَأْثَرُوا بِمِيرَاثِي.

الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلى سَبِيلِ الْحَقِّ والْبَاطِلِ، اللَّهُمَّ افْتَحْ بَيْنَنَا وبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ [وأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ].

هَذَا مَوْقِفُ صِدْقٍ، ومَقَامُ أَنْطِقُ فِيهِ بِحَقِّي، وأَكْشِفُ السِّتْرَ والْغُمَّةَ عَنْ ظُلاَمَتِي، ومَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

خطبة له عليه السّلام (٤٧)

بعد وقعة الجمل في ذمّ أهل البصرة وإخباره بما سيأتي عليها

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا، فَيَكُونَ أوَّلًا قَبْلَ أنْ يَكُونَ آخِراً، ويَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أنْ يَكُونَ بَاطِناً.

كُلُّ مُسَمّىً بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَليلٌ، وكُلُّ عَزيزٍ غَيْرُهُ ذَليلٌ، وكُلُّ قَويٍّ غَيْرُهُ ضَعيفٌ، وكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ، وكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ، وكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ ويَعْجَزُ، وكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطيفِ الأَصْوَاتِ، ويُصِمُّهُ كَبِيرُهَا، ويَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا، وكُلُّ بَصيرٍ غَيْرُهُ يَعْمى عَنْ خَفِيِّ الأَلْوَانِ ولَطيفِ الأَجْسَامِ، وكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرُ بَاطِنٍ، وكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ.

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَ لِتَشْديدِ سُلْطَانٍ، ولا تَخَوُّفِ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، ولا خَوْفِ مِنْ زَوَالٍ ولا نُقْصَانٍ، ولاَ اسْتِعَانَةٍ عَلى نِدٍّ مُنَاوِرٍ، ولا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ، ولا ضِدٍّ مُنَافِرٍ، ولَكِنْ خَلائِقُ مَرْبُوبُونَ، وعِبَادٌ دَاخِرُونَ.

أمَّا بَعْدُ، أيُّهَا النَّاسُ، فَإنَّ اللهَ - عَزَّ وجَلَّ - غَفُورٌ، رَحيمٌ، عَزيزٌ، ذُوانْتِقَامٍ، ذُورَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، ومَغْفِرَةٍ دَائِمَةٍ، وعَفْوٍ جَمٍّ، وعِقَابٍ أليمٍ.

قَضى أنَّ رَحْمَتَهُ ومَغْفِرَتَهُ وعَفْوَهُ لأَهْلِ طَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وقَضى أنَّ نَقْمَتَهُ وسَطْوَتَهُ وعِقَابَهُ عَلى أهْلِ مَعْصِيَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، و[مَنِ] ابْتَدَعَ في دِينِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ.

وبِرَحْمَتِهِ نَالَ الصَّالِحُونَ، وبَعْدَ الْهُدى والْبَيِّنَاتِ ضَلَّ الضَّالُّونَ.

يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ والْبُصَيْرَةِ، يَا أَهْلَ السَّبْخَةِ والْخُرَيْبَةِ وتَدْمُرَ، يَا بَقَايَا ثَمُودَ، يَا أَهْلَ الْمُؤْتَفِكَةِ ائْتَفَكَتْ بِأَهْلِهَا مِنَ الدَّهْرِ ثَلاثاً وعَلَى اللَّهِ تَمَامُ الرَّابِعَةِ، يَا أَهْلَ الدَّاءِ الْعُضَالِ، كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ.

أَخْلاقُكُمْ دِقَاقٌ، وعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، ودِينُكُمْ نِفَاقٌ، ومَاؤُكُمْ زُعَاقٌ.

بِلادُكُمْ أَنْتَنُ بِلادِ اللَّهِ تُرْبَةً.

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ.

بِهَا مَغِيضُ كُلِّ مَاءٍ، ولَهَا شَرُّ أَسْمَاءٍ، وبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ.

وهِيَ مَسْكَنُ الْجِنِّ.

خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، شَهَرْتُمْ عَلَيْنَا سُيُوفَكُمْ، وسَفَكْتُمْ دِمَاءَكُمْ، وخَالَفْتُمْ إِمَامَكُمْ.

أَللَّهُ أَمَرَكُمْ بِجِهَادِي أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ.

يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، قَدْ نَكَثْتُمْ بَيْعَتِي، وظَاهَرْتُمْ عَلَيَّ ذَوِي عَدَاوَتِي، فَمَا ظَنُّكُمُ الآنَ بِي وقَدْ أَمْكَنَنِيَ اللَّهُ مِنْكُمْ وأَسْلَمَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

فقام إليه رجل منهم فقال: نظنّ خيرا يا أمير المؤمنين، ونرى أنك ظفرت وقدرت، فإن عاقبت فقد أجرمنا، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى رب العالمين.

فقال عليه السّلام: قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ. فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهَا.

فَإِنَّكُمْ أَوَّلُ مَنْ نَكَثَ الْبَيْعَةَ، وشَقَّ عَصَا هذِهِ الأُمَّةِ، وشَرَعَ الْقِتَالَ والشِّقَاقَ، وتَرَكَ الْحَقَّ والانْصَافَ.

فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وأُكْلَةٌ لآكِلٍ، وفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

النَّارُ لَكُمْ مُدَّخَرٌ، والْعَارُ لَكُمْ مَفْخَرٌ.

الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، والشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، ومَا اللَّهُ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ.

فَارْجِعُوا عَنِ الْحَوْبَة، وأَخْلِصُوا فيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ اللَّه بالتَّوْبَة.

يَا بَصْرَةُ، أيُّ يَوْمٍ لَكِ لَوتَعْلَمِينَ.

إِنَّ لَكِ مِنَ الْمَاءِ لَيَوْماً عَظِيماً بَلاؤُهُ، وإِنِّي لأَعْرِفُ مَوْضِعَ مُنْفَجَرِهِ مِنْ قَرْيَتِكُمْ هذه.

ثُمَّ أُمُورٌ قَبْلَ ذَلِكَ تَدْهَمُكُمْ أُخْفِيَتْ عَلَيْكُمْ وعُلِّمْنَاهُ.

وأَيْمُ اللَّه، لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ هذه قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرى مِنْهَا إِلاَّ شُرَفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ سَفِينَةٍ في لُجَّةِ بَحْرٍ، أونَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا ومِنْ تَحْتِهَا، وغَرَّقَ مَنْ في ضِمْنِهَا.

فَمَنْ خَرَجَ عِنْدَ ذُنُوغَرَقِهَا فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّه سَبَقَتْ لَهُ، ومَنْ بَقِيَ فيهَا غَيْرَ مُرَابِطٍ بِهَا فَبِذَنْبِه.

فَوَيْلٌ لَكِ، يَا بَصْرَةُ، عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّه لا رَهَجَ لَهُ ولا حَسَّ.

وسَيَبْتَلِي اللَّهُ أَهْلَكِ بِالْمَوْتِ الأَحْمَرِ والْجُوعِ الأَغْبَرِ.

وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ، ودُورِكُمُ الْمُزَخْرَفَةِ، الَّتي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ، وخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولئِكَ الَّذينَ لا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، ولا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ.

فقام إليه الأحنف بن القيس فقال: يا أمير المؤمنين، متى يكون ذلك.

فقال عليه السلام: يَا أَبَا بَحْرٍ، إِنَّكَ لَنْ تُدْرِكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ، وإِنَّ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ لَقُرُوناً. ولكِنْ لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ عَنْكُمْ، لكَي يُبْلِغُوا إِخْوَانَهُمْ إِذَا هُمْ رَأَوُا الْبَصْرَةَ قَدْ تَحَوَّلَتْ أَخْصَاصُهَا دُوراً، وآجَامُهَا قُصُوراً، فَالْهَرَبَ الْهَرَبَ، فَإِنَّهُ لا بَصِيرَةَ لَكُمْ يَوْمَئِذ.

يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذي لا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ ولا لَجَبٌ، ولا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ، ولا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ، يُثِيرُونَ الأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ.

ثم التفت عليه السلام عن يمينه فقال: كَمْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الأُبُلَّة.

فأجابه المنذر بن الجارود: فداك أبي وأمي، أربعة فراسخ.

فقال عليه السلام: صَدَقْتَ. فَوالَّذي بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ وأكْرَمَهُ بالنُّبُوَّة، وخَصَّهُ بالرِّسَالَة، وعَجَّلَ بِرُوحه إلَى الْجَنَّة، لَقَدْ سَمِعْتُ منْهُ كَمَا تَسْمَعُونَ منِّي، أنْ قَالَ لي: يَا عَليُّ، تُفْتَحُ أرْضٌ يُقَالُ لَهَا الْبَصْرَةُ، أقْوَمُ الأرَضينَ قبْلَةً، قبْلَتُهُمْ عَلَى الْمَقَامِ حَيْثُ يَقُومُ الإمَامُ بمَكَّةَ، وقَارِؤُهَا أقْرَأُ النَّاس، وعَابدُهَا أعْبَدُ النَّاس، وزَاهدُهَا أزْهَدُ النَّاس، وعَالمُهَا أعْلَمُ النَّاس، ومُتَصَدِّقُهَا أكْرَمُ النَّاس صَدَقَةً، وتَاجرُهَا أعْظَمُ النَّاس تجَارَةً وأصْدَقُهُمْ في تجَارَته، وغَنيُّهَا أكْثَرُ النَّاس بَذْلًا وتَوَاضُعاً، وشَريفُهَا أحْسَنُ النَّاس خُلُقاً.

وهُمْ أكْرَمُ النَّاس جوَاراً، وأقَلُّهُمْ تَكَلُّفاً لمَا لا يَعْنيهمْ، وأحْرَصُهُمْ عَلَى الصَّلاة في جَمَاعَة.

ثَمَرُهُمْ أكْثَرُ الثِّمَار، وأمْوَالُهُمْ أكْثَرُ الأمْوَال، وصغَارُهُمْ أكْيَسُ الأوْلاد، ونسَاؤُهُمْ أقْنَعُ النِّسَاء وأحْسَنُهُنَّ تَبَعُّلًا.

منْهَا إلى قَرْيَة يُقَالُ لَهَا: الأُبُلَّةُ، أرْبَعَةُ فَرَاسخَ.

ويَسْتَشْهدُ في الَّتي تُسَمَّى الأُبُلَّةُ عنْدَ مَسْجد جَامعهَا ومَوْضعُ عُشُورهَا منْ أُمَّتي أرْبَعُونَ ألْفاً. الشَّهيدُ منْهُمْ يَوْمَئذ كَالشَّهيد مَعيَ يَوْمَ بَدْر.

فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين، ومن يقتلهم، فداك أبي وأمّي فقال عليه السلام: يَقْتُلُهُمْ إخْوَانُ الْجنِّ. وهُمْ قَوْمٌ كَأنَّهُمُ الشَّيَاطينُ، سُودٌ ألْوَانُهُمْ، مُنْتنَةٌ أرْيَاحُهُمْ، شَديدٌ كَلَبُهُمْ، قَليلٌ سَلَبُهُمْ، طُوبى لمَنْ قَتَلَهُمْ، وطُوبى لمَنْ قَتَلُوهُ.

كَأنِّي أرَاهُمْ قَوْماً كَأنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ والدِّيبَاجَ، ويَعْتَقبُونَ الْخَيْلَ الْعتَاقَ.

ويَكُونُ هُنَاكَ اسْتحْرَارُ قَتْلٍ، حَتَّى يَمْشيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُول، ويَكُونَ الْمُفْلتُ أقَلَّ منَ الْمَأسُور.

فتَنٌ كَقطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلمِ، لا تَقُومُ لَهَا قَائمَةٌ، ولا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأتيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً، يَحْفزُهَا قَائدُهَا، ويَجْهَدُهَا رَاكبُهَا، يُجَاهدُهُمْ في اللَّه قَوْمٌ أذلَّةٌ عنْدَ الْمُتَكَبِّرينَ.

ألا بأبي وأمّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ قَليلَةٍ، أسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وفِي الأَرْضِ مَجْهُولَةٌ.

تَبْكِي السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ وسُكَّانُهَا، والأَرْضُ وسُكَّانُهَا.

قَدْ دَنَا حِينَئِذٍ ظُهُورُهُمْ. إِذَا كَثُرَتْ فيكُمُ الأَخْلاطُ، واسْتَوْلَتِ الأَنْبَاطُ، دَنَا خَرَابُ الْعِرَاقِ.

وذَاكَ إِذَا بُنِيَتْ مَدِينَةٌ ذَاتُ أَثْلٍ وأَنْهَارٍ.

فَإِذَا غَلَتْ فِيهَا الأَسْعَارُ، وشُيِّدَ فِيهَا الْبُنْيَانُ، وحَكَمَ فِيهَا الْفُسَّاقُ، واشْتَدَّ الْبَلاءُ، وتَفَاخَرَ الْغَوْغَاءُ، دَنَا خَسْفُ الْبَيْدَاءِ، وطَابَ الْهَرَبُ والْجَلاءُ.

وسَتَكُونُ قَبْلَ الْجَلاءِ أُمُورٌ يَشِيبُ مِنْهَا الصَّغِيرُ، ويَعْطَبُ الْكَبِيرُ، ويَخْرَسُ الْفَصِيحُ، ويُبْهَتُ اللَّبِيبُ، يُعَاجَلُونَ بِالسَّيْفِ صَلْتاً، وقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي غَضَارَةٍ مِنْ عَيْشِهِمْ يَمْرَحُونَ.

فَيَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ حِينَئِذٍ مِنَ الْبَلاءِ الْعَقِيمِ، والْبُكَاءِ الطَّوِيلِ، والْوَيْلِ والْعَوِيلِ، وشِدَّةِ الصَّرِيخِ، وفَنَاءِ مَرِيجٍ.

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ وهُوَ كَائِنٌ.

والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوأَشَاءُ لأَخْبَرْتُكُمْ بِخَرَابِ الْعَرَصَاتِ عَرْصَةً عَرْصَةً، مَتى تَخْرَبُ، ومَتى تَعْمُرُ بَعْدَ خَرَابِهَا إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وإِنَّ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ عِلْماً جَمّاً، وإِنْ تَسْأَلُونِي تَجِدُونِي بِهِ عَالِماً، لا أُخْطِئُ مِنْهُ عَلَماً ولا ذَا فَنَاءٍ.

ولَقَدِ اسْتُودِعْتُ عِلْمَ الْقُرُونِ الأُولى، ومَا هُوَ كَائِنٌ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَافْهَمْ عَنِّي، يَا مُنْذِرُ، مَا نَبَّأْتُكَ بِهِ ولَمْ أَكْتُمْهُ عَنْ غَيْرِكَ، واللَّهُ وَلِيُّ الاحْسَانِ.

فسأله رجل: عن صفة الغوغاء.

فقال عليه السلام: هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا.

فقيل: قد عرفنا مضرّة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم.

فقال عليه السلام: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلى مِهَنِهِمْ فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلى بِنَائِهِ، والنَّسَّاجِ إِلى مَنْسَجِهِ، والْخَبَّازِ إِلى مَخْبَزِهِ.

فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت، يا أمير المؤمنين، علم الغيب.

فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبياً: يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوبِعِلْمِ غَيْبٍ، وإِنَّمَا هُوتَعَلُّمٌ مِنْ ذي عِلْمٍ.

وإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، ومَا عَدَّدَهُ الله - سُبْحَانَهُ - بقَوْله-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا ذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾.

فَيَعْلَمُ الله - سُبْحَانَهُ - مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوأُنْثى، وقَبِيحٍ أَوجَمِيلٍ، وسَخِيٍّ أَوبَخِيلٍ، وشَقِيٍّ أَوسَعِيد، ومَنْ يَكُونُ لِلنَّارِ حَطَباً، أَوفِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً.

فَهذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذي لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ.

ومَا سِوى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ فَعَلَّمَنِيه، ودَعَا لي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحي.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها.

فقال عليه السلام: نَعَمْ، إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - قَوْلَهُ-: ﴿**الم،أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾. عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لا تَنْزِلُ بِنَا ورَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا هذه الْفِتْنَةُ الَّتي أَخْبَرَكَ الله - تعالى - بِهَا.

فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدي.

[و] إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْكَ جِهَادَ الْمَفْتُونِينَ، كَمَا كَتَبَ عَلَيَّ جِهَادَ الْمُشْرِكِينَ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، بِأَبي أَنْتَ وأُمّي، مَا هذه الْفِتْنَةُ الَّتي كُتِبَ عَلَيَّ فِيهَا الْجِهَادُ.

قَالَ: فِتْنَةُ قَوْمٍ يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وأَنِّي رَسُولُ اللَّه وهُمْ مُخَالِفُونَ للسُّنَّة.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، فَعَلامَ أُقَاتِلُهُمْ وهُمْ يَشْهَدُونَ كَمَا أَشْهَدُ.

قَالَ: عَلَى الإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ، ومُخَالَفَةِ الأَمْرِ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، أولَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُد، حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَوَعَدْتَنِي الشَّهَادَةَ وقُلْتَ لِي: أَبْشِرْ، يَا صِدِّيقُ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ.

فَقُلْتُ: فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يُعَجِّلَهَا لِي بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ لِي: فَمَنْ يُقَاتِلُ النَّاكِثِينَ، والْقَاسِطِينَ، والْمَارِقِينَ.

أَمَا إِنِّي وَعَدْتُكَ الشَّهَادَةَ وإِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ.

وسَتُشْهَدُ تُضْرَبُ عَلَى هذَا (وأشار إلى رأسه) فَتُخْضَبُ هذِهِ (وأشار إلى لحيته).

فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ.

فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، يَا رَسُولَ اللَّه، لَيْسَ هذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى والشُّكْرِ.

فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، أَعِدَّ نَفْسَكَ لِلْخُصُومَةِ فَإِنَّكَ بَاقٍ بَعْدِي، ومُبْتَلًى بِأُمَّتِي، ومُخَاصِمٌ بَيْنَ يَدَيِ الله – تعالى –.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، لَوبَيَّنْتَ لِي قَلِيلًا.

فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي، ويَفْتَخِرُونَ بِأَحْسَابِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، ويُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، ويَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ.

ويَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، ويَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، فَيَأْوِّلُونَ الْقُرْآنَ، ويَعْمَلُونَ بِالرَّأْيِ، ويُحَرِّفُونَ الْكِتَابَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، ويَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ والأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، والسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، والرِّبَا بِالْبَيْعِ، ويَمْنَعُونَ الزَّكَاةَ ويَطْلُبُونَ الْبِرَّ، ويَتَّخِذُونَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ أَشْيَاءَ مِنَ الْفِسْقِ لاَ يُوصَفُ صِفَتُهَا.

وتَغْلِبُ كَلِمَةُ الضُّلاَّل، وَيَلِي أَمْرَهُمُ السُّفَهَاءُ، ويَكْثُرُ تَتَبُّعُهُمْ عَلَى الْجَوَرِ والْخَطَأ، فَيَصِيرُ الْحَقُّ عِنْدَهُمْ بَاطِلًا، والْبَاطِلُ حَقّاً، فَيَتَعَاوَنُونَ عَلَيْهِ، وَيَعِيبُونَ الْعُلَمَاءَ ويَتَّخِذُونَهُمْ سُخْرِيّاً.

فَكُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ حَتَّى تَقَلَّدَهَا. فَإِذَا قُلِّدْتَهَا جَاشَتْ عَلَيْكَ الصُّدُورُ، وَقُلِّبَتْ لَكَ الأُمُورُ، فَقَاتِلْ حِينَئِذٍ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ، فَلَيْسَتْ حَالُهُمُ الثَّانِيَةُ دُونَ حَالِهِمُ الأُولَى.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّة، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَة.

فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَة، يَعْمَهُونَ فِيهَا إِلَى أَنْ يُدْرِكَهُمُ الْعَدْلُ، إِلاَّ أَنْ يَدَعُوا الصَّلاَةَ، ويَسْتَحِلُّوا الْحَرَامَ فِي حَرَمِ اللَّه. فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَيُدْرِكُهُمُ الْعَدْلُ مِنَّا أَمْ مِنْ غَيْرِنَا.

قَالَ: بَلْ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يَا عَلِيُّ، بِنَا فَتَحَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ، وبِنَا يَخْتِمُ اللَّهُ.

بِنَا أَهْلَكَ اللَّهُ الأَوْثَانَ ومَنْ يَعْبُدُهَا، وبِنَا يَقْصِمُ كُلَّ جَبَّارٍ وكُلَّ مُنَافِقٍ. حَتَّى إِنَّا لَنَقْتُلُ فِي الْحَقِّ مِثْلَ مَنْ قُتِلَ فِي الْبَاطِلِ.

وبِنَا أَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعْدَ عَدَاوَةِ الشِّرْكِ، وبِنَا يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ فِي الدِّينِ بَعْدَ عَدَاوَةِ الْفِتْنَةِ، وبِنَا يُسْتَنْقَذُونَ مِنْ ضَلاَلَةِ الْفِتْنَةِ كَمَا اسْتُنْقِذُوا مِنْ ضَلاَلَةِ الشِّرْكِ.

يَا عَلِيُّ، إِنَّمَا مَثَلُ هذه الأُمَّةِ مَثَلُ حَدِيقَةٍ أَطْعَمَ مِنْهَا فَوْجٌ عَاماً، ثُمَّ فَوْجٌ عَاماً، ثُمَّ فَوْجٌ عَاماً، فَلَعَلَّ آخِرَهَا فَوْجاً أَنْ يَكُونَ أَثْبَتَهَا أَصْلاً، وأَحْسَنَهَا فَرْعاً، وأَمَدَّهَا ظِلاًّ، وأَحْلاَهَا جَنًى، وأَكْثَرَهَا خَيْراً، وأَوْسَعَهَا عَدْلاً، وأَطْوَلَهَا مُلْكاً.

يَا عَلِيُّ، إِنَّمَا مَثَلُ هذه الأُمَّةِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ، لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ. وبَيْنَ ذَلِكَ نَهْجٌ أَعْوَجُ لَسْتُ مِنْهُ ولَيْسَ مِنِّي فَقُلْتُ: الْحَمْدُ للَّه عَلَى مَا وَهَبَ لَنَا مِنْ فَضْلِه.

فقال له رجل: يا علي، ما السبب الذي دعا عائشة إلى المظاهرة عليك، حتى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت، وهي امرأة من النساء، لم يكتب عليها القتال، ولا

فرض عليها الجهاد، ولا رخّص لها بالخروج من بيتها، ولا التبرّج بين الرجال.

فقال عليه السلام: سَأذْكُرُ لَكَ أشْيَاءَ حَقَدَتْهَا عَلَيَّ، ولَيْسَ لي في وَاحد مِنْهَا ذَنْبٌ إلَيْهَا، ولكِنَّهَا تَجَرَّمَتْ عَلَيَّ: أحَدُهَا تَفْضيلُ رَسُول اللَّه لي عَلى أبيهَا، وتَقْديمُهُ إيَّايَ في مَوَاطِنِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ. فَكَانَتْ تَضْطَغِنُ ذَلكَ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهَا، و[هِيَ] تَعْرِفُهُ مِنْهُ، وتَتَّبِعُ رَأيَهُ فيه.

وثَانيهَا: لَمَّا آخى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ بَيْنَ أصْحَابه، آخى بَيْنَ أبيهَا وعُمَرَ ابْنَ الْخَطَّاب، واخْتَصَّني بأُخُوَّته، فَغَلُظَ ذَلكَ عَلَيْهَا وَحَسَدَتْني لسَعْدي مِنْهُ.

وثَالثُهَا: إنَّهُ لَمَّا أوْصى صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه بسَدِّ أبْوَاب كَانَتْ في الْمَسْجد لجَميع أصْحَابه إلاَّ بَابي، فَلَمَّا سَدَّ بَابَ أبيهَا وصَاحبَهُ، وتَرَكَ بَابيَ مَفْتُوحاً في الْمَسْجد، تَكَلَّمَ في ذَلكَ بَعْضُ أهْله.

فَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْه: مَا أنَا سَدَدْتُ أبْوَابَكُمْ وفَتَحْتُ بَابَ عَليٍّ، بَلِ الله - عَزَّ وجَلَّ - سَدَّ أبْوَابَكُمْ وفَتَحَ بَابَهُ.

فَغَضبَ لذَلكَ أبُوبَكْر وعَظُمَ عَلَيْه، وتَكَلَّمَ في أهْله بشَيْء سَمعَتْهُ منْهُ ابْنَتُهُ، فَاضْطَغَنَتْهُ عَلَيَّ.

وكَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله أعْطى أبَاهَا الرَّايَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَأمَرَهُ أنْ لا يَرْجعَ حَتَّى يَفْتَحَ أويُقْتَلَ. فَلَمْ يَلْبَثْ لذَلكَ وانْهَزَمَ.

فَأعْطَاهَا في الْغَد عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب وأمَرَهُ بمثْل مَا أمَرَ صَاحبَهُ. فَانْهَزَمَ ولَمْ يَلْبَثْ.

فَسَاءَ رَسُولَ اللَّه ذَلكَ، وقَالَ لَهُمْ ظَاهراً مُعْلناً: (لأُعْطيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلًا يُحبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ، ويُحبُّهُ اللَّهُ ورَسُولُهُ، كَرَّاراً غَيْرَ فَرَّار، لا يَرْجعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلى يَده).

فَأعْطَانيَ الرَّايَةَ، فَصَبَرْتُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلى يَدَيَّ.

فَغَمَّ ذَلكَ أبَاهَا وأحْزَنَهُ، فَاضْطَغَنَهُ عَلَيَّ، ومَالي إلَيْه ذَنْبٌ في ذَلكَ، فَحَقَدَتْ لحقْد أبيهَا.

وبَعَثَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله أَبَاهَا لِيُؤَدِّيَ سُورَةَ بَرَاءَةَ، وأَمَرَهُ أَنْ يَنْبِذَ الْعَهْدَ لِلْمُشْرِكِينَ، فَمَضى حَتَّى الْجُرُفِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلى نَبِيِّه أَنْ يَرُدَّهُ ويَأْخُذَ مِنْهُ الآيَاتِ فَيُسَلِّمَهَا إِلَيَّ.

فَعَرَفَ أَبَاهَا بِإِذْنِ الله - عَزَّ وجَلَّ -.

وكَانَ فيمَا أَوْحَى الله - عَزَّ وجَلَّ - إِلَيْه: أَنَّهُ لا يُؤَدِّي عَنْكَ إِلاَّ رَجُلٌ مِنْكَ، وكُنْتُ مِنْ رَسُول اللَّه، وكَانَ مِنِّي.

فَاضْطَغَنَ لِذَلِكَ عَلَيَّ أَيْضاً، واتَّبَعَتْهُ عَائِشَةُ في رَأْيِه.

وكَانَتْ عَائِشَةُ تَمْقُتُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِد، وتَشْنَؤُهَا شَنَآنَ الضَّرَائِرِ، وكَانَتْ تَعْرِفُ مَكَانَهَا مِنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله فَيَثْقُلُ ذَلِكَ عَلَيْهَا.

وتَعَدَّى مَقْتُهَا إِلَى ابْنَتِهَا فَاطِمَةَ، فَتَمْقُتُنِي وتَمْقُتُ فَاطِمَةَ وخَدِيجَةَ، وهَذَا مَعْرُوفٌ في الضَّرَائِرِ.

ولَقَدْ دَخَلْتُ عَلى رَسُول اللَّه ذَاتَ يَوْمٍ وعِنْدَهُ أُنَاسٌ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلى أَزْوَاجِه، وكَانَتْ عَائِشَةُ بِقُرْبٍ مِنْ رَسُول اللَّه، فَلَمَّا رَآني رَحَّبَ بي، وقَالَ: ادْنُ مِنِّي، يَا عَلِيُّ.

ولَمْ يَزَلْ يُدْنِيني حَتى أَجْلَسَني بَيْنَهُ وبَيْنَهَا.

فَغَلُظَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَأَقْبَلَتْ إِلَيَّ وقَالَتْ، بِسُوءِ رَأْيِ النِّسَاءِ، وتَسَرُّعِهِنَّ إِلَى الْخِطَابِ: مَا وَجَدْتَ لإِسْتِكَ، يَا عَلِيُّ، مَوْضِعاً غَيْرَ مَوْضِعي هذَا.

فَزَبَرَهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، وقَالَ لَهَا: (أَ لعَلِيٍّ تَقُولينَ هذَا، إِنَّهُ، واللَّه، أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بي وصَدَّقَني، وأَوَّلُ الْخَلْقِ وُرُوداً عَلَيَّ الْحَوْضَ، وهُوَ آخِرُ النَّاسِ بي عَهْداً. لا يُبْغِضُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلى مِنْخَرِه في النَّار).

فَازْدَادَتْ بِذَلِكَ غَيْظاً عَلَيَّ.

ولَمَّا رُمِيَتْ بِمَا رُمِيَتْ، إِشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ، فَاسْتَشَارَني في أَمْرِهَا. فَقُلْتُ: يَا

رَسُولَ اللَّه، سَلْ جَارِيَتَهَا بَرِيرَة، واسْتَبْرِئ الْحَالَ مِنْهَا، فَإِنْ وَجَدْتَ عَلَيْهَا شَيْئاً فَخَلِّ سَبِيلَهَا، فَالنِّسَاءُ كَثِيرَةٌ.

فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَوَلَّى مَسْأَلَةَ بَرِيرَةَ، وأَنْ أَسْتَبْرِئَ الْحَالَ مِنْهَا، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَحَقَدَتْ عَلَيَّ.

واللَّه مَا أَرَدْتُهَا بِسُوء، لكِنِّي نَصَحْتُ للَّه ولِرَسُولِه.

وأَمْثَالُ مَا ذَكَرْتُ كَثِيرَةٌ.

فَإِنْ شِئْتُمْ فَاسْأَلُوهَا: مَا الَّذي نَقَمَتْ عَلَيَّ حَتَّى خَرَجَتْ مَعَ النَّاكِثِينَ لِبَيْعَتِي، وسَفَكَتْ دِمَاءَ شِيعَتِي، وتَظَاهَرَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِعَدَاوَتِي، هَلْ حَمَلَهَا عَلى ذَلِكَ شَيْءٌ إِلاَّ الْبَغْيُ والشِّقَاقُ، والْمَقْتُ

لي بِغَيْرِ سَبَبٍ يُوجِبُ ذَلِكَ فِي الدِّين، واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

ثم قال عليه السلام: يَا أَهْلَ الْبَصْرَة، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لأَحَدٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ خطَّةَ شَرَف ولا كَرَمٍ إِلاَّ وقَدْ جَعَلَ فيكُمْ أَفْضَلَ ذَلِكَ، وزَادَكُمْ مِنْ فَضْلِه بِمَنِّه مَا لَيْسَ لَهُمْ. سَخَّرَ لَكُمُ الْمَاءَ يَغْدُوعَلَيْكُمْ ويَرُوحُ صَلاحاً لِمَعَاشِكُمْ، والْبَحْرَ سَبَباً لِكَثْرَةِ أَمْوَالِكُمْ.

فَلَوصَبَرْتُمْ واسْتَقَمْتُمْ لَكَانَتْ شَجَرَةُ طُوبى لَكُمْ مَقِيلًا وظِلًّا ظَلِيلًا.

غَيْرَ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ فِيكُمْ مَاضٍ، وقَضَاؤُهُ نَافِذٌ، لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه، وهُوسَرِيعُ الْحِسَاب.

يَقُولُ اللَّهُ: وإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أومُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً.

وأُقْسِمُ لَكُمْ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَة، مَا الَّذي ابْتَدَأْتُكُمْ بِهِ مِنَ التَّوْبِيخِ إِلاَّ تَذْكِيراً ومَوْعِظَةً لِمَا بَعْدُ، لِكَيْلا تُسْرِعُوا إِلَى الْوُثُوبِ فِي مِثْلِ الَّذي وَثَبْتُمْ.

وقَدْ قَالَ الله - تعالى - لِنَبِيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ -: ﴿وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولاَ الَّـذي ذَكَـرْتُ فـيكُمْ مِـنَ الْمَـدْحِ والتَّطْرِيَةِ بَعْـدَ التَّذْكيرِ والْمَوْعظَةِ رَهْبَةً مِنّي لَكُمْ، ولا رَغْبَةً في شَيْءٍ ممَّا قِبَلَكُمْ، فَإِنّي لا أُريدُ الْمُقَامَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَحَتَّى مَتى يَلْحَقُ بِيَ اللَّوَاحِقُ.

لَقَدْ عَلِمْتُ مَا فَوْقَ الْفِرْدَوْسِ الأَعْلى، ومَا تَحْتَ السَّابِعَةِ السُفْلى، ومَا فِي السَّمواتِ الْعُلى، ومَا بَيْنَهُمَا ومَا تَحْتَ الثَّرى، كُلُّ ذَلكَ عَلْمُ إِحَاطَةٍ لاَ عِلْمُ إِخْبَارٍ.

ثـم قـال عليه السلام: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْكَرِيمِ فِي الْحَسَبِ، الرَّفِيعِ فِي النَّسَبِ، سَلِيلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وسَيِّدِ الْعَجَمِ والْعَرَبِ، وسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً.

ثم نزل عليه السلام عن المنبر وأمر أصحابه بالرحيل إلى الكوفة.

خطبة له عليه السلام (٤٨)

بعد دخوله الكوفة آتياً من البصرة

بِسْمِ اللَّهَ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي نَصَرَ وَلِيَّهُ، وخَذَلَ عَدُوَّهُ، وأَعَزَّ الصَّادِقَ الْمُحِقَّ، وَأَذَلَّ الْكَاذِبَ الْمُبْطِلَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله - تعالى- أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ مُحَمَّداً عَبْدَهُ ورَسُولَهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدى ودينِ الْحَقِّ، لِيُزيحَ به عِلَّتَكُمْ، ويُوقظَ به غَفْلَتَكُمْ.

أَمَّا بَعْدُ، عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ هذَا الْمصْرِ، بِتَقْوَى اللَّهِ وطَاعَةِ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ الَّذينَ هُمْ أَوْلى بِطَاعَتِكُمْ مِنَ الْمُنْتَحِلينَ الْمُدَّعينَ الْمُقَابِلينَ إِلَيْنَا، الْقَالينَ لَنَا، الَّذينَ يَتَفَضَّلُونَ بِفَضْلِنَا، وَيُجَاحِدُونَا أَمْرَنَا، ويُنَازِعُونَا حَقَّنَا، ويُدَافِعُونَا عَنْهُ، فَقَدْ ذَاقُوا وَبَالَ مَا اجْتَرَمُوا فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، فَإِنَّ لَكُمْ فِي الإِسْلاَمِ فَضْلًا مَا لَمْ تُبَدِّلُوا وتُغَيِّرُوا، دَعَوْتُكُمْ إِلَى الْحَقِّ فَأَجَبْتُمْ، وبَدَأْتُمْ بِالْمُنْكَرِ فَغَيَّرْتُمْ.

أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، والإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، والْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ. بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وأَرْجُو تَمَامَ طَاعَةِ الْمُقْبِلِ.

فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

كَأَنِّي بِكِ، يَا كُوفَةُ، تُمَدِّينَ مَدَّ الأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ

بِالزَّلاَزِلِ.

وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّه مَا أَرَاد بك جَبَّارٌ سُوءاً إِلاَّ ابْتَلاَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ، أَورَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

أَلاَ إِنَّ فَضْلَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ اللَّهِ، فَأَمَّا فِي الأَحْكَامِ والْقَسْمِ فَأَنْتُمْ أُسْوَةُ غَيْرِكُمْ مِمَّنْ أَجَابَكُمْ ودَخَلَ فِيمَا دَخَلْتُمْ فِيهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ خَلَّتَانِ اثْنَتَانِ: إِتِّبَاعُ الْهَوى، وَطُولُ الأَمَلِ.

فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوى فَيَصُدُّكُمْ عَنِ الْحَقِّ.

وأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِيكُمُ الآخِرَةَ.

أَلاَ وإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا.

أَلاَ وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ صَادِقَةً.

ولِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ، ولاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ولاَ حِسَابٌ، وغَداً حِسَابٌ ولاَ عَمَلٌ.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ ومَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ، ومَوْقُوفُونَ عَلى أَعْمَالِكُمْ، ومَجْزِيُّونَ بِهَا، فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ، وبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، وبِالْعَنَاءِ مَوْصُوفَةٌ، وكُلُّ مَا فِيهَا إِلى زَوَالٍ، وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُوَلٌ وسِجَالٌ.

لاَ تَدُومُ أَحْوَالُهَا، ولاَ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا نُزَّالُهَا.

بَيْنَا أَهْلُهَا مِنْهَا فِي رَخَاءٍ وسُرُورٍ، إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلاَءٍ وغُرُورٍ.

أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ.

الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، والأَمَانُ فِيهَا مَعْدُومٌ، والرَّخَاءُ فِيهَا لاَ يَدُومُ.

وإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا، وكُلُّ حَتْفَةٍ فِيهَا مَقْدُورٌ، وحَظُّهُ مِنْ نَوَائِبِهَا مَوْفُورٌ.

فَغُضُّوا عَنْكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، غُمُومَهَا وأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وتَصَرُّفِ

حَالاَتِهَا. فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، والْمُجِدِّ الْكَادِحِ.

أَلاَ إِنَّهُ قَدْ قَعَدَ عَنْ نُصْرَتِي رِجَالٌ مِنْكُمْ، فَأَنَا عَلَيْهِمْ عَاتِبٌ زَارٍ، فَاهْجُرُوهُمْ وأَسْمِعُوهُمْ مَا يَكْرَهُونَ حَتَّى تُعْتِبُوا، أَوَنَرى مِنْهُمْ مَا نُحِبُّ وَتَرْضى.

ولِيُعْرَفَ بِذَلِكَ حِزْبُ اللَّهِ عِنْدَ الْفُرْقَةِ.

خطبة له عليه السلام (٤٩)

عند المسير إلى الشام بعد صلاته المغرب بالناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وغَسَقَ.

والْحَمْدُ للَّه كُلَّمَا لاَحَ نَجْمٌ وخَفَقَ.

والْحَمْدُ للَّه الَّذي يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ويُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ.

والْحَمْدُ للَّه غَيْرَ مَفْقُودِ الإِنْعَامِ، ولاَ مُكَافَأِ الإِفْضَالِ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَنَحْنُ عَلى ذَلكُمْ مِنَ الشَّاهدينَ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتي، وأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْري.

وقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هذه النُّطْفَةَ إِلى شِرْذِمَة مِنْكُمْ، مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلى عَدُوِّاللَّه [وَ] عَدُوِّكُمْ، وأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّة لَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وقَدْ أَمَّرْتُ عَلَى الْمصْرِ عُقْبَةَ بْنَ عَمْروالأَنْصَارِيَّ، ولَمْ آلُكُمْ ولاَ نَفْسي نُصْحاً.

فَإِيَّاكُمْ والتَّخَلُّفَ والتَّرَبُّصَ، فَإِنِّي قَدْ خَلَّفْتُ مَالِكَ بْنَ حَبِيبٍ الْيَرْبُوعِيَّ، وأَمَرْتُهُ أَنْ لاَ يَتْرُكَ مُتَخَلِّفاً إِلاَّ أَلْحَقَهُ بِكُمْ عَاجِلًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فلما سار أمير المؤمنين عليه السّلام أخذ مالك بن حبيب بعنان فرسه وقال: يا أمير المؤمنين، تخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الرجال.

فقال له علي عليه السلام: إِنَّهُمْ لَنْ يُصيبُوا مِنَ الأَجْرِ شَيْئاً إِلاَّ كُنْتَ شَرِيكَهُمْ فيه.

وأَنْتَ هَاهُنَا أَعْظَمُ غَنَاءً مِنْكَ عَنْهُمْ لَوْ كُنْتَ مَعَهُمْ.

خطبة له عليه السلام (٥٠)

وهوسائر إلى صفّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه الْمُخْتَصِّ بِالتَّوْحِيد، الْمُتَقَدِّمِ بِالْوَعِيد، الْفَعَّال لِمَا يُرِيدُ، الْمُحْتَجِبِ بِالنُّورِ دُونَ خَلْقِه، ذِي الأُفُقِ الطَّامِحِ، والْعِزِّ الشَّامِخِ، والْمُلْكِ الْبَاذِخِ، الْمَعْبُودِ بِالآلاَءِ، رَبِّ الأَرْضِ والسَّمَاءِ.

أَحْمَدُهُ عَلى حُسْنِ الْبَلاَءِ، وفَضْلِ الْعَطَاءِ، وسَوَابِغِ النَّعْمَاءِ، وعَلى مَا يَدْفَعُ مِنَ الْبَلاَءِ، حَمْداً يَسْتَهِلُّ لَهُ الْعِبَادُ، وتَنْمُوبِه الْبِلاَدُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، ولاَ يَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، اصْطَفَاهُ بِالتَّفْضِيلِ، وهَدى بِه مِنَ التَّضْلِيلِ، واخْتَصَّهُ لِنَفْسِه، وبَعَثَهُ إِلى خَلْقِه، يَدْعُوهُمْ إِلى تَوْحِيدِه وعِبَادَتِه، والاقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِه، والتَّصْدِيقِ بِنَبِيِّه، بَعَثَهُ عَلى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وصَدْفٍ عَنِ الْحَقِّ، وجَهَالَةٍ بِالرَّبِّ، وكُفْرٍ بِالْبَعْثِ، فَبَلَّغَ رِسَالاَتِه، وجَاهَدَ فِي سَبِيلِه، ونَصَحَ لأُمَّتِه، وعَبَدَهُ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّه ونَفْسِي، بِتَقْوَى اللَّه الْعَظِيمِ، فَإِنَّ الله - عَزَّ وجَلَّ - قَدْ أَكْرَمَكُمْ بِدِينِه، وخَلَقَكُمْ لِعِبَادَتِه، وقَدْ جَعَلَ لِلْمُتَّقِينَ الْمَخْرَجَ مِمَّا يَكْرَهُونَ، والرِّزْقَ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُونَ، فَانْصِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي أَدَاءِ حَقِّه، وتَنَجَّزُوا مَوْعُودَهُ، واطْلُبُوا مَا عِنْدَهُ بِطَاعَتِه،

والْعَمَلِ بِمَحَابِّه، فَإِنَّهُ لاَ يُدْرَكُ الْخَيْرُ إِلاَّ بِه، ولاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِه، ولاَ تُكْلاَنَ فيمَا هُوَ كَائِنٌ إِلاَّ عَلَيْه، ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِه.

يَا أَسْرَى الرَّغْبَة، أَقْصِرُوا فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا لاَ يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلاَّ صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَان.

أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، واعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا، [ف]الأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، والسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ، وكُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.

والنَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلاَّ مَنْ عَصَمَ الله - سُبْحَانَهُ -، سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، ومُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ.

يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِه الرِّضَا والسُّخْطُ، ويَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ، وتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ.

واعْلَمُوا أَنَّ الله - سُبْحَانَهُ - جَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلاَمِ مَتِينَةً، وعُرَاهُ وَثِيقَةً، ثُمَّ جَعَلَ الطَّاعَةَ حَظَّ الأَنْفُسِ بِرِضَا الرَّبِّ، وغَنِيمَةَ الأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَة.

وقَدْ حُمِّلْتُ أَمْرَ أَسْوَدِهَا وأَحْمَرِهَا، ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه.

ونَحْنُ سَائِرُونَ إِنْ شَاءَ الله - تعالى - إِلَى مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ، وتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ ومَا لاَ يُدْرِكُهُ، مُعَاوِيَةَ وجُنْدِه، الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ الطَّاغِيَة، يَقُودُهُمْ إِبْلِيسُ، ويَبْرُقُ لَهُمْ بِبَارِقِ تَسْوِيفِه، ويُدَلِّيهِمْ بِغُرُورِه.

وأَنْتُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْحَلاَلِ والْحَرَامِ، فَاسْتَغْنُوا بِمَا عَلِمْتُمْ، واحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وارْغَبُوا فِيمَا هَيَّأَ لَكُمْ عِنْدَهُ مِنَ الأَجْرِ والْكَرَامَة.

واعْلَمُوا أَنَّ الْمَسْلُوبَ مَنْ سُلِبَ دِينُهُ وأَمَانَتُهُ، والْمَغْرُورَ مَنْ آثَرَ الضَّلاَلَةَ عَلَى الْهُدَى.

فَلاَ أَعْرِفَنَّ أَحَداً مِنْكُمْ تَقَاعَسَ عَنِّي وقَالَ: في غَيْرِي كِفَايَةٌ، فَإِنَّ الذَّوْدَ إِلَى الذَّوْدِ إِبِلٌ، ومَنْ لاَ يَذُدْ عَنْ حَوْضِه يُتَهَدَّمْ.

ثُمَّ إِنِّي آمُرُكُمْ بِالشِّدَّةِ فِي الأَمْرِ، والْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وأَنْ لاَ تَغْتَابُوا مُسْلِماً.
وانْتَظِرُوا النَّصْرَ الْعَاجِلَ مِنَ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

خطبة له عليه السلام (٥١)

في معركة صفّين يحضّ أصحابه فيها على القتال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه عَلى نعَمه الْفَاضلَة عَلى جَميعِ مَنْ خَلَقَ منَ الْبَرِّ والْفَاجِرِ، وعَلى حُجَجه الْبَالغَة عَلى خَلْقه، مَنْ أَطَاعَهُ منْهُمْ ومَنْ عَصَاهُ، إنْ يَرْحَمْ فَبفَضْلٍ منْهُ، وإنْ يُعَذّبْ فَبمَا كَسَبَتْ أيْديهمْ، ذلكَ بما قَدَّمَتْ أيْديكُمْ وأنَّ.

أَحْمَدُهُ عَلى حُسْنِ الْبَلاَء، وتَظَاهُرِ النَّعْمَاء، وأَسْتَعينُهُ عَلى مَا نَابَنَا منْ أَمْرِ الدُّنْيَا والآخرَة، وأُؤْمنُ به وأَتَوَكَّلُ عَلَيْه، وكَفى باللَّه وَكيلًا.

ثُمَّ إنّي أَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بالْهُدى ودينِ الْحَقِّ، ارْتَضَاهُ لذلكَ وكَانَ أَهْلَهُ، واصْطَفَاهُ عَلى جَميعِ الْعبَاد بتَبْليغِ رسَالَته، وجَعَلَهُ رَحْمَةً منْهُ عَلى خَلْقه، فَكَانَ كَعلْمه فيه رَؤُوفاً رَحيماً.

أَكْرَمُ خَلْقِ اللَّه حَسَباً، وأَجْمَلُهُمْ مَنْظَراً، وأَسْخَاهُمْ نَفْساً، وأَبَرُّهُمْ بوَالد، وأَوْصَلُهُمْ لرَحم، وأَفْضَلُهُمْ علْماً، وأَثْقَلُهُمْ حلْماً، وأَوْفَاهُمْ بعَهْد، وَأَمْنُهُمْ عَلى عَقْد.

لَمْ يَتَعَلَّقْ عَلَيْه مُسْلمٌ ولاَ كَافرٌ بمَظْلَمَة قَطُّ، بَلْ كَانَ يُظْلَمُ فَيَغْفرُ، ويُغْدَرُ فَيَصْفَحُ، ويُقْدرُ فَيَعْفُو.

حَتَّى مَضى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله مُطيعاً للَّه، صَابراً عَلى مَا أَصَابَهُ، مُجَاهداً في اللَّه حَقَّ جهَاده، فَكَانَ ذَهَابُهُ عَلَيْه السَّلاَمُ أَعْظَمَ الْمُصيبَة عَلى جَميعِ أَهْلِ الأَرْضِ، الْبَرِّ والْفَاجرِ.

ثُمَّ تَرَكَ فيكُمْ كِتابَ اللَّه يَأْمُرُكُمْ بِطاعَةِ اللَّه، ويَنْهاكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِه.

وقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه عَهْداً فَلَسْتُ أَحِيدُ عَنْهُ، ولَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ.

وقَدْ حَضَرْتُمْ عَدُوَّكُمْ، وعَلِمْتُمْ أَنَّ رَئِيسَهُمْ، مُنافِقٌ ابْنُ مُنافِقٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ، وابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه مَعَكُمْ وبَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يَدْعُوكُم إِلى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، والْعَمَلِ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه، فَلاَ سَوَاءٌ مَنْ صَلَّى قَبْلَ كُلِّ ذَكَرٍ، لَمْ يَسْبِقْنِي بِالصَّلاَةِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه، وأَنَا، واللَّه، مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، ومُعَاوِيَةُ طَلِيقُ ابْنُ طَلِيقٍ.

وقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه أَبَا سُفْيَانَ ومُعَاوِيَةَ ويَزِيداً.

واللَّه إِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ وإِنَّ الْقَوْمَ لَعَلَى الْبَاطِلِ، فَلاَ يَصْبِرُ الْقَوْمُ عَلَى بَاطِلِهِمْ ويَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ، وتَتَفَرَّقُوا عَنْ حَقِّكُمْ، حَتَّى يَغْلِبَ بَاطِلُهُمْ حَقَّكُمْ.

قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا لَيُعَذِّبَنَّهُمْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ.

فأجابه أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين، انهض بنا إلى عدوّنا وعدوّك إذا شئت.

فواللّه ما نريد بك بدَلًا، بل نموت معك، ونحيا معك.

فقال علي عليه السلام: والَّذي نَفْسي بِيَدِه، لَنَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ وأَنَا أَضْرِبُ قُدَّامَهُ بِسَيْفِي هذَا، فَقَالَ:(لاَ سَيْفَ إِلاَّ ذُوالْفِقَارِ، ولاَ فَتى إِلاَّ عَلِيٌّ).

ثُمَّ قَالَ لِي: (يَا عَلِيُّ، أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسى غَيْرَ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، ومَوْتُكَ وحَيَاتُكَ، يَا عَلِيُّ، مَعِي).

واللَّه مَا كَذَبْتُ ولاَ كُذِّبْتُ، ومَا ظَلَلْتُ ولاَ ضُلَّ بِي، ولاَ نَسِيتُ مَا عَهِدَ إِلَيَّ.

وإنّي لَعَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّي، ويَقينٍ مِنْ أمْري، وعَهْدٍ ومِنْهاجٍ مِنْ نَبِيّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وإنّي لَعَلَى الطَّريقِ الْوَاضِحِ الْقُطْهُ لَقْطاً، تَبِعَني مَنْ تَبِعَني، وتَرَكَني مَنْ تَرَكَني.

خطبة له عليه السلام (٥٢)

في بعض أيام صفّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، فِيمَا النَّخَعُ والْخَنَعُ.

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ، بِمَا تَعْجَبُونَ.

هَلْ هِيَ إِلاَّ أَشْخَاصٌ مَائِلَةٌ، [وَ] جُثَثٌ مَاثِلَةٌ، فِيهَا قُلُوبٌ طَائِرَةٌ، مُزَخْرَفَةٌ بِتَمْوِيهِ الْخَاسِرِينَ، ورِجْلٌ جَرَادٍ زَفَتْ بِهِ رِيحُ صَبَا، ولَفِيفٌ سُدَاهُ الشَّيْطَانُ ولُحْمَتُهُ الضَّلاَلَةُ، وَصَرَخَ بِهِمْ نَاعِقُ الْبِدْعَةِ، وفِيهِمْ خَوَرُ الْبَاطِلِ، وضَحْضَحَةُ الْمُكَاثِرِ.

فَلَوقَدْ مَسَّهَا قُلُوبُ أَهْلِ الْحَقِّ لَرَأَيْتُمُوهَا كَجَرَادٍ بَقِيعَةٍ، سَفَتْهُ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، ولَوقَدمَتْهَا سُيُوفُ أَهْلِ الْحَقِّ لَتَهَافَتَتْ تَهَافُتَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ.

أَلاَ فَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ، وادَّرِعُوا الصَّبْرَ، وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ، وعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمِلُوا اللأَمَةَ، وقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا، والْحَظُوا الْخَزَرَ، وَاطْعَنُوا الشَّزَرَ.

ونَافِحُوا عَنْ دِينِكُمْ بِالظُّبَا، وصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا، والرِّمَاحَ بِالنِّبَالِ، واعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ -، ومَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

وانْتَصِرُوا بِاللَّهِ تَظْفَرُوا وتُنْصَرُوا.

واللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ، ومُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، ومُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ، فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ، واطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ.

لاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ ووَلِيمَةٌ.

مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ.

فَعَاوِدُوا الْكَرَّ، واسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الأَعْقَابِ، ونَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ، وطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً، واطْوُوا عَنِ الْحَيَاةِ كَشْحاً، وامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سَجْحاً.

وعَلَيْكُمْ بِهذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ، والسَّرَادِقِ الأَدْلَمِ، والرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، رَاكِبٌ صَعِيدَيْهِ، نَافِشٌ حِضْنَيْهِ، ومُفْتَرِشٌ ذِرَاعَيْهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً.

فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ، [وَ] يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ، واللَّهُ مَعَكُمْ ولَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ.

وأنشأ عليه السلام يقول:

إِذَا الْمُشْكِلاَتُ تَصَدَّيْنَ لِي ... كَشَفْتُ غَوَامِضَهَا بِالنَّظَرْ

وإِنْ بَرَقَتْ فِي مَخِيلِ الظُّنُونِ ... عَمْيَاءَ لاَ يَجْتَلِيهَا الْفِكَرْ

مُقَنَّعَةً بِغُيُوبِ الأُمُورِ ... وَضَعْتُ عَلَيْهَا حُسَامَ الْعِبَرْ

مَعِي أَصْمَعٌ كَضُبَى الْمُرْهِفَاتِ ... أُفْرِي بِهِ عَنْ بَنَاتِ السِّتَرْ

لِسَانٌ كَشُقْشُقَةِ الأَرْحَبِيِّ ... كَالْحُسَامِ الْيَمَانِي الذَّكَرْ

ولَكِنَّنِي مُدْرِهُ الأَصْغَرَيْنِ ... أَقِيسُ بِمَا قَدْ مَضَى مِنْ غَبَرْ

ولَسْتُ بِإِمَّعَةٍ فِي الرِّجَالِ ... أُسَائِلُ هَذَا وذَا مَا الْخَبَرْ

ثم قال عليه السلام: أَلاَ إِنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْحِنَّاءُ وخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ.

أَلاَ إِنَّهَا إِحَنٌ بَدْرِيَّةٌ، وضَغَائِنُ أُحُدِيَّةٌ، وأَحْقَادٌ جَاهِلِيَّةٌ، وثَبَ بِهَا مُعَاوِيَةُ حِينَ الْغَفْلَةِ لِيَذْكُرَ بِهَا ثَارَاتِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ

لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ.

هـؤُلاَءِ الْقَـوْمُ هُـمْ ورَبُّ الْكَعْـبَةِ، قـاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُـمُ اللَّـهُ بِـأَيْدِيكُمْ ويُخْـزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ويَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ.

أَلا فَسَـوُّوا بَيْـنَ الرُّكَـبِ، وعَضُّـوا عَلَـى الـنَّوَاجِذِ، واضْـرِبُوا الْقَوَانِـصَ بِالصَّوَارِمِ، وأَشْرِعُوا الرِّمَاحَ فِي الْجَوَانِحِ.

هَا أَنَا شَادٌّ فَشُدُّوا، بِسْمِ اللَّه، حم، لاَ يُنْصَرُونَ.

خطبة له عليه السلام (٥٣)

بصفّين لمّا غلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات

ومنعوا أصحابه عليه السّلام من الماء

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ بَدَؤُوكُمْ بِالظُّلْمِ، وفَاتَحُوكُمْ بِالْبَغْيِ، وَاسْتَقْبَلُوكُمْ بِالْعُدْوَانِ.

وقَد اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ حِينَ مَنَعُوكُمُ الْمَاءَ، فَأَقِرُّوا عَلى مَذَلَّةٍ، وتَأْخيرِ مَحَلَّةٍ، أورَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ.

فَالْمَوْتُ في حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، والْحَيَاةُ في مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ.

أَلاَ وإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ، وعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ.

ولمّا ملك عليه السلام الشريعة قسراً قال له جنوده: امنع الماء عن معاوية وجنده كما منعوك منه.

فقال عليه السلام: لاَ، واللَّهِ لاَ أُكَافِئُهُمْ بِمِثْلِ فِعْلِهِمْ، إِفْسَحُوا لَهُمْ عَنْ بَعْضِ الشَّرِيعَةِ.

سَنَعْرِضُ عَلَيْهِمْ كِتَابَ اللَّهِ، ونَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى، فَإِنْ أَجَابُوا، وإِلاَّ فَفِي حَدِّ السَّيْفِ مَا يُغْني عَنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

خطبة له عليه السلام (٥٤)

في بعض أيام صفّين أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ الْحَمْد والصَّلاَة.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هذَا مَوْقِفٌ مَنْ نَطِفَ فيه نَطِفَ يَوْمَ الْقِيَامَة، ومَنْ فَلَجَ فيه فَلَجَ يَوْمَ الْقِيَامَة.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ، لاَ يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ، ولاَ يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ، فَأَقْدِمُوا ولاَ تَنْكُلُوا، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَنِ الْمَوْتِ مَحِيدٌ ولاَ مَحِيصٌ، وإِنَّ مَنْ لَمْ يُقْتَلْ يَمُتْ، وإِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ.

والَّذي نَفْسُ عَلِيٍّ بْنِ أبي طَالِبٍ بِيَدِهِ لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ عَلَى الرَّأْسِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ ميتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ في غَيْرِ طَاعَةِ اللَّه.

وأَيْمُ اللَّه، لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ.

وأَنْتُمْ لَهَاميمُ الْعَرَبِ، والسَّنَامُ الأَعْظَمِ.

إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ الله - سُبْحَانَهُ - والذُّلَّ اللاَّزِمَ والْعَارَ الْبَاقِي، وإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ في عُمْرِهِ، ولاَ مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ يَوْمِهِ.

وإِنَّ هذِهِ الأَصْوَاتِ الَّتِي تَسْمَعُونَهَا مِنْ عَدُوِّكُمْ فَشَلٌ واخْتِلاَفٌ. إِنَّا كُنَّا نُؤْمَرُ فِي الْحَرْبِ بِالصَّمْتِ.

فَعَضُّوا عَلَى النَّاجِذِ، واصْبِرُوا لِوَقْعِ السُّيُوفِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ

طَعْنٍ دِرَاكٍ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ، وضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ، ويُطِيحُ الأُنُوفَ والْعِظَامَ، ويُنْدِرُ السَّوَاعِدَ والأَقْدَامَ، وتَسْقُطُ مِنْهُ الْمَعَاصِمُ وَالأَكُفُّ، وحَتَّى تُشْدَخَ جِبَاهُهُمْ بِعُمُدِ الْحَدِيدِ، وتُنْتَثَرَ حَوَاجِبُهُمْ عَلَى الصُّدُورِ والأَذْقَانِ والنُّحُورِ، فَقَاتِلُوهُمْ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ، فَإِنَّ الْكِتَابَ مَعَكُمْ، والسُّنَّةَ مَعَكُمْ، ومَنْ كَانَا مَعَهُ فَهُوَ الْقَوِيُّ.

أَيْنَ أَهْلُ الدِّينِ، وطُلاَّبُ الأَجْرِ.

أَيْنَ أَهْلُ الصَّبْرِ، وطُلاَّبُ الْخَيْرِ.

أَيْنَ مَنْ يَشْرِي وَجْهَهُ للَّهِ - عَزَّ وجَلَّ -.

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ، والْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ.

مَنِ الرَّائِحُ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ.

الْعَارُ وَرَاءَكُمْ، والْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ.

الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي.

الْيَوْمَ تُبْلَى الأَخْبَارُ.

واللَّهِ لأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ.

واللَّهِ، يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، مَا أَظُنُّ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ إِلاَّ ظَاهِرِينَ عَلَيْكُمْ.

والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنِّي أَرَى أُمُورَهُمْ قَدْ عَلَتْ، وأَرَى نِيرَانَكُمْ قَدْ خَبَتْ، وأَرَاهُمْ جَادِّينَ فِي بَاطِلِهِمْ، وأَرَاكُمْ وَانِينَ فِي حَقِّكُمْ، وَأَرَاهُمْ مُجْتَمِعِينَ، وأَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ، وأَرَاهُمْ لِصَاحِبِهِمْ مُطِيعِينَ وأَرَاكُمْ لِي عَاصِينَ.

وأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ لَتَجِدُنَّهُمْ أَرْبَابَ سَوْءٍ مِنْ بَعْدِي لَكُمْ.

لَكَأَنِّي، واللَّهِ، أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وقَدْ شَارَكُوكُمْ فِي بِلاَدِكُمْ، وحَمَلُوا إِلَى بِلاَدِهِمْ فَيْئَكُمْ.

وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ، لاَ تَأْخُذُونَ حَقّاً، ولاَ تَمْنَعُونَ ضَيْماً.

قَدْ خُلِّيتُمْ والطَّرِيقَ.

وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَقْتُلُونَ صُلَحَاءَكُمْ، ويُخِيفُونَ عُلَمَاءَكُمْ، ويَحِيفُونَ قُرَّاءَكُمْ.

وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَحْرِمُونَكُمْ، ويَحْجُبُونَكُمْ، ويَدَّثُونَ النَّاسَ دُونَكُمْ.

فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْحِرْمَانَ، ولَقِيتُمُ الذُّلَّ والْهَوَانَ، ووَقْعَ السَّيْفِ، ونُزُولَ الْخَوْفِ، لَتَنَدَّمْتُمْ، وتَحَسَّرْتُمْ عَلَى تَفَرُّقِكُمْ، وتَذَاكَرْتُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ الْيَوْمَ مِنَ الْخَفْضِ والْعَافِيَةِ حِينَ لاَ يَنْفَعُكُمُ التَّذْكَارُ.

واللَّهِ لأَقْرَبُ قَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ - عَزَّ وجَلَّ -، والْجُرْأَةِ عَلَيْهِ، والاغْتِرَارِ، قَوْمٌ قَائِدُهُمْ.

مُعَاوِيَةُ بْنُ آكِلَةِ الأَكْبَادِ، ومُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ، وأَبُوالأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ، وَابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ شَارِبُ الْخَمْرِ والْمَجْلُودُ حَدّاً فِي الإِسْلاَمِ، والطَّرِيدُ مَرْوَانُ.

وهُمْ أُولاَءِ يَقُومُونَ فَيَنْقُصُونَنِي ويَشْتِمُونَنِي، وقَبْلَ الْيَوْمِ قَاتَلُونِي وَشَتَمُونِي، وأَنَا إِذْ ذَاكَ أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وهُمْ يَدْعُونَ إِلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ.

فَالْحَمْدُ للَّهِ ولاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وقَدِيماً مَا عَادَانِيَ الْفَاسِقُونَ فَعَادَاهُمُ اللَّهُ.

أَلَمْ تَعْجَبُوا، إِنَّ هَذَا لَهُوالْخَطْبُ الْجَلِيلُ، إِنَّ فُسَّاقاً مُنَافِقِينَ كَانُوا عِنْدَنَا غَيْرَ مُؤْتَمَنِينَ، وعَنِ الإِسْلاَمِ وأَهْلِهِ مُنْحَرِفِينَ، أَصْبَحُوا وقَدْ خَدَعُوا شَطْرَ هذه الأُمَّةِ، فَأَشْرَبُوا قُلُوبَهُمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ، واسْتَمَالُوا أَهْوَاءَهُمْ إِلَى الْبَاطِلِ بِالإِفْكِ والْبُهْتَانِ، حَتَّى نَصَبُوا لَنَا الْحَرْبَ، وَجَدُّوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ -، واللَّهُ مُتِمٌّ نُورِهِ ولَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

اللَّهُمَّ فَإِنَّهُمْ قَدْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ، فَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ والَيْتَ، ولاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ.

خطبة له عليه السلام (٥٥)

في إحدى أيام صفّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَ بِكُمُ الأَمْرُ وبِعَدُوِّكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلاَّ آخِرُ نَفَسٍ.

وإِنَّ الأُمُورَ إِذَا أَقْبَلَتْ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا.

وقَدْ صَبَرَ لَكُمُ الْقَوْمُ عَلى غَيْرِ دِينٍ، حَتَّى بَلَغْنَا مِنْهُمْ مَا بَلَغْنَا وبَلَغُوا مِنْكُمْ مَا بَلَغُوا، وأَنَا غَادٍ عَلَيْهِمْ بِالْغَدَاةِ بِنَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ومُحَاكِمُهُمْ بِسَيْفِي هذَا إِلَى اللهِ - عَزَّ وجَلَّ -

خطبة له عليه السلام (٥٦)

بعد استشهاد محمّد بن أبي بكر رضوان اللّه عليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلى مَا قَضى مِنْ أَمْرٍ، وقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وعَلَى ابْتِلاَئي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتي إِذَا أَمرْتُ لَمْ تُطِعْ، وإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ.

أَلاَ وإِنَّ مِصْرَ أَصْبَحَتْ قَد افْتَتَحَهَا الْفَجَرَةُ أُولُوالْجَوْرِ والظُّلْمِ، الَّذينَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وبَغَوْا الإِسْلاَمَ عِوَجاً، وقَدْ سَارَ إِلَيْهِمُ ابْنُ النَّابِغَةِ، عَدُواللَّهِ وعَدُومَنْ وَالَى اللَّهَ، ووَلِيُّ مَنْ عَادَى اللَّهَ.

أَلاَ وإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبي بَكْرٍ قَد اسْتُشْهِدَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ.

أَمَا واللَّهِ لَقَدْ كَانَ، مَا عَلِمْتُ، يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ، ويَعْمَلُ لِلْجَزَاءِ، ويُبْغِضُ شَكْلَ الْفَاجِرِ، ويُحِبُّ سَمْتَ الْمُؤْمِنِ.

ولَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وكَانَ لي رَبِيباً، وكَانَ بي بَرّاً، وكُنْتُ أَعُدُّهُ وَلَداً.

فَرَحِمَ اللَّهُ مُحَمَّداً، فَقَدْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وقَضى مَا عَلَيْهِ.

أَمَا واللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ الْمرْقَالَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ، ولَوولَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ، ولاَ أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ، ولَمَا قُتِلَ إِلاَّ وَسَيْفُهُ بِيَدِهِ، بِلاَ ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبي بَكْرٍ.

وإِنّي، واللَّهِ، مَا أَلُومُ نَفْسي عَلى تَقْصيرٍ ولاَ عَجْزٍ.

وإِنّي لِمُقَاسَاةِ الْحَرْبِ لَجِدُّ عَالِمٍ بَصيرٍ.

وإنّي لأُقْدِمُ عَلَى الْحَرْبِ، فَأَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ، وأَقُومُ فيه بالرَّأْيِ الْمُصيبِ، فَأَقُومُ فيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وأُنادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً، فَلاَ تَسْمَعُونَ لي قَوْلًا، ولاَ تُطيعُونَ لي أَمْراً، حَتَّى تَكَشَّفَ الأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ.

فَأَنْتُمُ الْقَوْمُ مَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، ولاَ يُنْقَضُ بِكُمُ الأَوْتَارُ، ولاَ يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ، ولاَ يُشْفَى بِكُمُ الْغَلِيلُ.

دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ مُنْذُ بِضْعٍ وخَمْسِينَ يَوْماً فَجَرْجَرْتُمْ عَلَيَّ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الأَسَرِّ، وتَثَاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ تَثَاقُلَ النَّضْوِ الأَدْبَرِ، [وَ] مَنْ لاَ نِيَّةَ لَهُ في جِهَادِ عَدُوٍّ، ولاَ رَأْيَ لَهُ فِي اكْتِسَابِ أَجْرٍ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّما يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وهُمْ يَنْظُرُونَ.

أُفٌّ لَكُمْ، إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ، وإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وإِنْ أُجِئْتُمْ إِلى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ.

لاَ أَبَاً لِغَيْرِكُمْ، مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ، والْجِهَادِ عَلى حَقِّكُمْ.

الْمَوْتَ أَوِالذُّلَّ لَكُمْ في هذه الدُّنْيَا عَلى غَيْرِ الْحَقِّ.

فَواللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي، ولَيَأْتِيَنِّي، لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ وأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ، وبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ.

لِلَّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، ولاَ مَحْمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ.

أَلاَ تَسْمَعُونَ بِعَدُوِّكُمْ يَنْتَقِصُ بِلاَدَكُمْ، ويَشُنُّ الْغَارَةَ عَلَيْكُمْ.

أَوَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُوالْجُفَاةَ الطَّغَامَ، فَيَتَّبِعُونَهُ عَلى غَيْرِ مَعُونَةٍ ولاَ عَطَاءٍ، ويُجِيبُونَهُ فِي السَّنَةِ الْمَرَّةَ والْمَرَّتَيْنِ والثَّلاَثَ إِلى أَيِّ وَجْهٍ شَاءَ، ثُمَّ أَنَا أَدْعُوكُمْ، وأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الإِسْلاَمِ، [وَ] أُولُوا النُّهى، وبَقِيَّةُ النَّاسِ، إِلَى الْمَعُونَةِ أَوطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ، فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ، وتَعْصُونَنِي.

إِنَّـهُ لاَ يَخْـرُجُ إِلَـيْكُمْ مِـنْ أَمْـرِي رِضـىً فَتَرْضَـوْنَهُ، ولاَ سُـخْطٌ فَتَجْـتَمِعُونَ مَعِـيَ عَلَيْهِ، وإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ.

وقَـدْ دَارَسْـتُكُمْ الْكِـتَابَ، وفَاتَحْـتُكُمُ الْحِجَـاجَ، وعَرَّفْـتُكُمْ مَـا أَنْكَـرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ، لَو كَانَ الأَعْمى يَلْحَظُ، أوالنَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ.

ثم نزل عليه السلام فدخل رحله.

خطبة له عليه السلام (٥٧)

بعد ما بلغه غدر عمروبن العاص بأبي موسى الأشعري في التحكيم

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه وإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ والْحَدَثِ الْجَلِيلِ، فَإِنَّهُ مَا يَنْجُومِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، ولاَ يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ، ومَنْ جَرى في عِنَانِ أَمَلِه عَثَرَ بِأَجَلِه.

وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، لَيْسَ مَعهُ إِلهٌ غَيْرُهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، ولاَ أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ، ولاَ يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ.

ولَقَدْ أَصْبَحْنَا في زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِه الْغَدْرَ كَيْساً، ونَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلى حُسْنِ الْحِيلَةِ.

مَا لَهُمْ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ، ودُونَهَا مَانِعٌ مِنَ اللَّه، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، ويَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لَهُ في الدِّينِ.

أَلاَ وَإِنَّ مَعْصِيَةَ الشَّيْخِ، النَّاصِحِ، الشَّفِيقِ، الْعَالِمِ، الْمُجَرِّبِ، تُورِثُ الْحَسْرَةَ، وتُعْقِبُ النَّدَامَةَ.

وقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ في هذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وفي هذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي، وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوكَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ أَمْرٍ.

ولكِنَّكُمْ وهَنْتُمْ وتَفَرَّقْتُمْ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ، والْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ،

حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِه، وضَنَّ الزَّنْدُ بقَدْحِه، فَكُنْتُ أنَا وإيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أخُو هَوَازِنَ:

أَمَرْتُكُمُ أمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلاَّ ضُحَى الْغَدِ فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ فيهِمْ وقَدْ أرى غَوَايَتَهُمْ أوأنَّني غَيْرُ مُهْتَدِ ألاَ وإنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لأَنْفُسِهِمْ أقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ، وَإنَّكُمُ اخْتَرْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ أقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ.

وإنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بالأَمْسِ وهُوَيَقُولُ: إنَّهَا فِتْنَةٌ، فَقَطِّعُوا أوْتَارَكُمْ، وشِيمُوا سُيُوفَكُمْ، فَإنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وإنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهْمَةُ.

فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِوبْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وخُذُوا مَهَلَ الأَيَّامِ، وحُوطُوا قَوَاصِيَ الإسْلاَمِ.

وخَاصَمَنِي الْقَوْمُ بالْقُرْآنِ، ودَعَوْنَا إلَيْهِ، وهُمْ جُفَاةٌ طَغَامٌ، وعَبِيدٌ أقْزَامٌ، جُمِّعُوا مِنْ كُلِّ أوْبٍ، وتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، ويُعَلَّمَ ويُدَرَّبَ، ويُوَلَّى عَلَيْهِ، ويُؤْخَذَ عَلى يَدَيْهِ.

لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، ولاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإيمَانَ، وَلاَ التَّابِعِينَ بِإحْسَانٍ.

فَخَشِيتُ إنْ أبَيْتُ الَّذِي دَعَوْا إلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ والْحُكْمِ أنْ تَتَأَوَّلُوا عَلَيَّ قَوْلَ اللَّهِ-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

وتَتَأَوَّلُوا عَلَيَّ قَوْلَهُ-: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنْتُمْ حُرُمٌ ومَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ﴾.

وأنْ تَتَأَوَّلُوا عَلَيَّ قَوْلَهُ-: ﴿وإنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وحَكَماً مِنْ أَهْلِها إنْ يُرِيدا إصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما﴾.

وخَشيتُ أنْ تَقُولُوا: فَرَضَ اللَّهُ في كِتَابِهِ الْحُكُومَةَ في أصْغَرِ الأُمُورِ، فَكَيْفَ بِالأَمْرِ الَّذي فيهِ سَفْكُ الدِّمَاءِ، وقَطْعُ الأَرْحَامِ، وانْهِتَاكُ الْحَرِيمِ.

فَلَمْ آبَ عَلَيْهِمُ التَّحَاكُمَ.

واللَّهِ إنِّي لأَعْرِفُ مَنْ حَمَلَكُمْ عَلى خِلاَفِي، والتَّرْكِ لأَمْرِي، ولَوْ أَشَاءُ أَخْذَهُ لَفَعَلْتُ، ولكِنَّ اللَّهَ مِنْ وَرَائِهِ.

خطبة له عليه السلام (٥٨)

في تخويف أهل النهروان

ألقاها على الخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

فقال عليه السلام لهم: أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ.

فقالوا: منّا من شهد ومنّا من لم يشهد.

فقال عليه السلام: إمْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ.

فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، ومَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا، فِرْقَةً، حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلاَمه.

ونادى عليه السلام الناس، فقال: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلاَمِ، وأَنْصِتُوا لِقَوْلي، وأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمه بِهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّ هذَا مَقَامٌ مَنْ فَلَجَ فيه كَانَ أَوْلى بِالْفَلَجِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ومَنْ نَطَفَ فيه أَوعَنِتَ فَهُوفي الآخرَة أَعْمى وأَضَلُّ سَبِيلًا.

أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ الَّتي أَخْرَجَهَا الْمِرَاءُ واللَّجَاجُ، وصَدَّهَا عَنِ الْحَقِّ الْهَوى والزَّيْغُ، وطَمَحَ بِهَا النَّزَقُ إِلَى الْبَاطِلِ، وأَصْبَحَتْ فِي اللَّبْسِ والْخَطْبِ الْعَظِيمِ.

يَا هؤُلاَءِ، إِنَّ أَنْفُسَكُمُ الأَمَّارَةُ قَدْ سَوَّلَتْ لَكُمْ فِرَاقَ هذِهِ الْحُكُومَةِ الَّتي أَنْتُمْ ابْتَدَأْتُمُوهَا، وسَأَلْتُمُوهَا، وأَنَا لَهَا كَارِهٌ.

أَنْشِدُكُمْ بِاللهِ - تعالى -، أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً، ومَكْراً

وخَديعَةٌ: إخْوَانُنَا، وأهْلُ دَعْوَتِنَا اسْتَقَالُونَا، واسْتَرَاحُوا إلى كِتَابِ الله - سُبْحَانَهُ -، فَالرَّأيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، والتَّنْفيسُ عَنْهُمْ.

فَقُلْتُ لَكُمْ: عِبَادَ اللَّه، إنّي أحَقُّ مَنْ أجَابَ إلى كِتَابِ اللَّه، ولكِنَّ هذَا أمْرٌ ظَاهِرُهُ إيمَانٌ، وبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وأوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وآخِرُهُ نَدَامَةٌ.

وأخْبَرْتُكُمْ أنَّ طَلَبَ الْقَوْمِ إيَّاهَا مِنْكُمْ خَديعَةٌ ودَهْنٌ ومَكيدَةٌ لَكُمْ.

ونَبَّأْتُكُمْ أنَّ مُعَاوِيَةَ، وعَمْروبْنَ الْعَاصِ، وابْنَ أبي مُعَيْطٍ، وابْنَ مَسْلَمَةَ، وابْنَ أبي سَرْحٍ، والضَّحَّاكَ، لَيْسُوا بأصْحَابِ دِينٍ ولاَ قُرْآنٍ.

وقُلْتُ لَكُمْ: إنّي أعْرَفُ بِهِمْ مِنْكُمْ. إنّي قَدْ صَحِبْتُهُمْ أطْفَالًا وعَرَفْتُهُم رِجَالًا، فَكَانُوا شَرَّ أطْفَالٍ وشَرَّ رِجَالٍ، وهُمْ أهْلُ الْمَكْرِ والْغَدْرِ.

وقُلْتُ لَكُمْ: وَيْحَكُمْ، إنَّهَا كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، إنَّهُمْ، واللَّه، مَا رَفَعُوهَا وإنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ولاَ يَعْمَلُونَ بِهَا. وإنَّكُمْ إنْ فَارَقْتُمْ رَأْيي جَانَبْتُمُ الْخَيْرَ والْحَزْمَ.

ويْحَكُمْ، إنّي إنَّمَا أقَاتِلُهُمْ لِيَدِينُوا بِحُكْمِ الْقُرْآنِ، لأنَّهُمْ قَدْ كَانُوا عَصَوُا اللَّهَ فيمَا أمَرَهُمْ بِهِ ونَهَاهُمْ عَنْهُ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ونَقَضُوا عَهْدَهُ، ونَبَذُوا كِتَابَهُ، فَأقِيمُوا عَلى شَأنِكُمْ، وألْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وامْضُوا عَلى حَقِّكُمْ وصِدْقِكُمْ، وعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ ولاَ تَلْتَفِتُوا إلى نَاعِقٍ نَعَقَ، إنْ أُجِيبَ أضَلَّ، وإنْ تُرِكَ ذَلَّ.

أعيرُونِي، أعيرُونِي سَوَاعِدَكُم وجَمَاجِمَكُمْ سَاعَةً وَاحِدَةً، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، ولَمْ يَبْقَ إلاَّ أنْ يُقْطَعَ دَابِرُ الظَّالِمِينَ. فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا تَفَرَّقَتْ بِكُمُ السُّبُلُ، ونَدِمْتُمْ حَيْثُ لاَ تَنْفَعُكُمُ النَّدَامَةُ.

فَرَدَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيي، وقُلْتُمْ: لاَ، بَلْ نَقْبَلُ مِنْهُمْ.

فَقُلْتُ لَكُمْ: اذْكُرُوا قَوْلي لَكُمْ، ومَعْصِيَتَكُمْ إيَّايَ.

وقَدْ كَانَتْ هذه الْفِعْلَةُ، وقَدْ رَأيْتُكُمْ أعْطَيْتُمُوهَا.

واللَّه لَئِنْ أبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا، ولاَ حَمَّلَنِيَ اللَّهُ ذَنْبَهَا.

ووالله إنْ جئتُهَا إنّي لَلْمُحقُّ الَّذي يُتَّبَعُ، وإنَّ الْكتَابَ لَمَعِيَ مَا فَارَقْتُهُ مُنْذُ صَحِبْتُهُ.

فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وإنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الآبَاءِ والأَبْنَاءِ، والإِخْوَانِ والْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إلاَّ إيمَاناً ومُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ، وتَسْلِيماً للأَمْرِ، وصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ.

ولكِنَّا إنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الإِسْلاَمِ، عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ والاعْوِجَاجِ، والشُّبْهَةِ والتَّأْوِيلِ.

فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعَثَنَا، ونَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، ورَغِبْنَا فِيهَا، وأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

أَيُّهَا الْقَوْمُ، فَإِنَّا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا غَداً، صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هذَا النَّهْرِ، وبِأَهْضَامِ هذَا الْغَائِطِ، عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، ولاَ بُرْهَانٍ بَيِّنٍ ولاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ، واحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ.

وقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هذِهِ الْحُكُومَةِ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، وعَدَلْتُمْ عَنِّي عُدُولَ النُّكَدَاءِ الْعَاصِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ.

وأَنْتُمْ، واللَّهِ، مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ.

فَلَمْ آتِ، لاَ أَباً لَكُمْ، بُجْراً، ولاَ أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرّاً، ولاَ خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ، ولا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ، ولاَ أَخْفَيْتُ شَيْئاً مِنْ هذَا الأَمْرِ عَنْكُمْ، ولاَ أَوْطَأْتُكُمْ عُشْوَةً، ولاَ دَنَيْتُ لَكُمُ الضَّرَّاءَ، وإِنْ كَانَ أَمْرُنَا لأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ظَاهِراً.

وإِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ ولاَ يُجَاوِزَاهُ، وتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ، وقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ.

فَإِنْ حَكَمَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَ حَكَماً يَحْكُمُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ، وكُنْتُ أَوْلَى بِالأَمْرِ فِي حُكْمِهِمَا، وإِنْ حَكَمَا بِغَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا عَلَيَّ وعَلَيْكُمْ حُكْمٌ.

فَاخْتَلَفَا، فَتَاهَا عَنْهُ، وتَرَكَا الْحَقَّ وهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، والاعْوِجَاجُ

دَأْبَهُمَا، والصَّدُّ عَنِ الْحَقِّ رَأْيَهُمَا.

فَمَضَيا عَلَيْهِ، وخَالَفَا حُكْمَ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ، وعَمِلاَ بِالْهَوى، فَنَبَذْنَا أَمْرَهُمَا، ونَحْنُ عَلى أَمْرِنَا الأَوَّلِ الَّذي كُنَّا عَلَيْهِ.

وقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ، والصَّمْدِ لِلْحَقِّ، سُوءَ رَأْيِهِمَا، وجَوْرَ حُكْمِهِمَا.

والثِّقَةُ في أَيْدِينَا لأَنْفُسِنَا حينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وأَتَيَا بِمَا لاَ يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ.

فَمَا الَّذي بِكُمْ.

ومِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمْ.

بَيِّنُوا لَنَا بِمَاذَا تَسْتَحِلُّونَ قِتَالَنَا، والْخُرُوجَ عَنْ جَمَاعَتِنَا، تَضَعُونَ أَسْيَافَكُمْ عَلى عَوَاتِقِكُمْ، ثُمَّ تَسْتَعْرِضُونَ النَّاسَ، تَضْرِبُونَ رِقَابَهُمْ، وتَسْفِكُونَ دِمَاءَهُمْ. إِنَّ هذَا لَهُوَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

واللَّهِ لَوقَتَلْتُمْ عَلى هذَا دَجَاجَةً لَعَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ قَتْلُهَا، فَكَيْفَ بِالنَّفْسِ الَّتي قَتْلُهَا عِنْدَ اللَّهِ حَرَامٌ.

فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وارْجِعُوا عَلى أَثَرِ الأَعْقَابِ.

خطبة له عليه السلام (٥٩)

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد

وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عُبيد الله بن العباس وسعيد بن نُمران، لمّا غلب عليها بُسر بن أبي أرطاة.

فقام عليه السلام إلى المنبر ضَجِراً بِتَثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي، فقال:

بِسْمِ اللَّهِالرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ للَّه الَّذي لا تُوَاري عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، ولا أَرْضٌ أَرْضاً، وجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، ولِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا، ولِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً، ولِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَاباً، ولِكُلِّ شَيْءٍ حِسَاباً.

وهُوالَّذي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ والإِنْسِ رُسُلَهُ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، ولِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، ولِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، ولِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا، ولِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَائِحِهَا وَأَسْقَامِهَا، وحَلالِهَا وحَرَامِهَا، ومَا أَعَدَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى - لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ والْعُصَاةِ، مِنْ جَنَّةٍ ونَارٍ، وكَرَامَةٍ وهَوَانٍ.

[وَ] هُوالَّذي اشْتَدَّتْ نَقْمَتُهُ عَلى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، واتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نَقْمَتِهِ.

قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ، ومُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ، ومُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ، وغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ.

مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، ومَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، ومَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، ومَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

لا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، ولا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، ولا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، ولا يَصِفُهُ لِسَانٌ، ولاَ يَعْزُبُ عَنْهُ

عَـدَدُ قَطْـرِ الْمَـاءِ، ولاَ نُجُـومُ السَّـمَاءِ، ولاَ سَـوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، ولاَ دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، ولا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ.

يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الأَوْرَاقِ، وخَفِيَّ طَرْفِ الأَحْدَاقِ.

[والصَّلاَةُ والسَّلامُ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ ورَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ].

أَيُّهَـا النَّـاسُ، إِنِّـي اسْـتَنْفَرْتُكُمْ لِجِهَـادِ هـؤُلاءِ الْقَـوْمِ فَلَـمْ تَـنْفِرُوا، وأَسْـمَعْتُكُمْ فَلَمْ تُجِيبُوا، ونَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا.

ثـم ضـرب عليـه السـلام بإصبعيه علـى راحتـه فقـال: مَـا هِـيَ إِلاَّ الْكُوفَـةُ أَقْبِضُهَا وأَبْسُطُهَا.

إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلاَّ أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ، فَقَبَّحَكِ اللَّهُ.

وتمثّل [بقول الشاعر:]

لَعَمْـرُ أَبِـيكَ الْخَـيْرِ يَـا عَمْرُوإِنَّنِـي عَلَـى وضَـرٍ مِـنْ ذَا الإِنَـاءِ قَلِـيلُ

أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْبِئْتُ بُسْراً عَدُواللَّه قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَةَ.

وقَـدْ سَلَكَ طَرِيقَ الْحِجَازِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ والْعُدْوَانِ، وَهذَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ، وسَعِيدُ بْنُ نمرَانَ، قَدِمَا عَلَيَّ هَارِبَيْنِ.

وإِنِّـي، واللَّـهِ، لأَظُـنُّ أَنَّ هـؤُلاءِ الْقَـوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ، ومَا ذَلِكَ بِحَقٍّ فِي أَيْدِيهِمْ، ولكِـنْ بِاجْـتِمَاعِهِمْ عَلَـى بَـاطِلِهِمْ وتَفَـرُّقِكُمْ عَـنْ حَقِّكُـمْ، وبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وطَاعَـتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وبِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وخِيَانَتِكُمْ إِيَّايَ، وبِتَنَاصُرِهِمْ وتَخَاذُلِكُمْ، وبِصَلاحِهِمْ فِي بِلادِهِمْ وإِفْسَادِكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، حَتَّى يَمْلِكُوا الزَّمَانَ الطَّوِيلَ فَيَسْتَحِلُّوا الدَّمَ الْحَرَامَ، والْفَرْجَ الْحَرَامَ، والْخَمْرَ الْحَرَامَ، والْمَالَ الْحَرَامَ، فَلا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ دَخَلَتْ عَلَيْهِ مَظْلَمَتُهُمْ.

لَقَدِ اسْتَعْمَلْتُ مِنْكُمْ رِجَالًا فَخَانُوا وغَدَرُوا.

إِنِّي وَلَّيْتُ فُلاناً فَغَلَّ وغَدَرَ واحْتَمَلَ الْمَالَ إِلى مُعَاوِيَةَ.

واسْتَعْمَلْتُ فُلاناً فَخَانَ فَجَمَعَ فَيْءَ الْمُسْلِمينَ وحَمَلَهُ إِلى مَنْزِلِهِ تَهَاوُناً بِالْقُرْآنِ وجُرْأَةً عَلَى الرَّحْمنِ.

فَصِرْتُ لَوِائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلى قُعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعلاقَتِهِ.

واللَّهِ، يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي صَرَفْتُكُمْ صَرْفَ الدَّنَانِيرِ الْعَشَرَةِ بِوَاحِدٍ.

أَمَا، واللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنَّ لي بِكُمْ وأَنْتُمْ مِائَةَ أَلْفِ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَني فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ [وتمثل بقول الشاعر:]

أَلاَ يَا أُمَّ زِبْنَاعٍ أَقِيمِي صُدُورَ الْعِيسِ نَحْوَ بَنِي تَمِيمِ

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتِ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

ثم وضع عليه السلام المصحف على رأسه ورفع يديه فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي سَأَلْتُهُمْ مَا فيهِ فَمَنَعُوني ذَلِكَ، فَأَعْطِني مَا فيهِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ ومَلُّوني، وسَئِمْتُهُمْ وسَئِمُوني، وكَرِهْتُهُمْ وكَرِهُوني، وأَبْغَضْتُهُمْ وأَبْغَضُوني، وحَمَلُوني عَلى غَيْرِ خُلُقي وطَبِيعَتِي، اللَّهُمَّ فَأَرِحْني مِنْهُمْ وأَرِحْهُمْ مِنّي، وأَبْدِلْني بِهِمْ خَيْراً لي مِنْهُمْ، وأَبْدِلْهُمْ بي شَرّاً لَهُمْ مِنّي.

اللَّهُمَّ إِنِّي سَئِمْتُ الْحَيَاةَ بَيْنَ ظَهْرَانِيِّ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ وتَبَرَّمْتُ الأَمَلَ، فَأَتِحْ لي صَاحِبِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي ائْتَمَنْتُهُمْ فَخَانُوني، ونَصَحْتُهُمْ فَغَشُّوني، اللَّهُمَّ فَسَلِّطْ عَلَيْهِمُ الْغُلامَ الثَّقَفِيَّ الذَّيَّالَ الْمَيَّالَ، يَأْكُلُ خَضِرَتَهَا، ويَلْبَسُ فَرْوَتَهَا، ويَحْكُمُ في دِمَائِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ، لا يَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِهَا، ولا يَتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئِهَا، يَشْتَدُّ مِنْهُ الْفَرَقُ، ويَكْثُرُ مِنْهُ الأَرَقُ.

اللَّهُمَّ لا تُرْضِ عَنْهُمْ أميراً ولا تُرْضِهِمْ عَنْ أميرٍ، ومِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ المِلْحُ فِي المَاءِ.

ثم نزل عليه السلام عن المنبر.

خطبة له عليه السلام (٦٠)

في الحضّ على الجهاد

لمّا بلغه أن أصحاب معاوية قد أغاروا على الأنبار

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه الْمُتَجَلّي لخَلْقه بخَلْقه، والظَّاهر لقُلُوبهمْ بحُجَّته.

خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّة، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لا تَليقُ إِلاَّ بِذَوِي الضَّمَائِرِ، ولَيْسَ بِذِي ضَميرٍ في نَفْسه.

خَرَقَ عِلْمُهُ- سُبْحَانَهُ - بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَات، وأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِد السَّرِيرَات.

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَات، ومَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَات، وَاخْتِلافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَات، وتَلاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَات.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآلـه نَجيبُ اللَّه، وسَفيرُ وَحْيه، ورَسُولُ رَحْمَته، اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاء، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاء، وذُؤَابَةِ الْعَلْيَاء، وسُرَّةِ الْبَطْحَاء، ومَصَابِيحِ الظُّلْمَة، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَة.

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّه، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وأَحْمى مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْه، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وآذَانٍ صُمٍّ، وأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ.

مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِه مَوَاضِعَ الْغَفْلَة، ومَوَاطِنَ الْحَيْرَة.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّه، بِتَقْوَى اللَّه الَّذي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْه يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وبِه نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وإِلَيْه مُنْتَهى رَغْبَتِكُمْ، ونَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وإِلَيْه مَرَامي

مَفْزَعِكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّه دَوَاءُ دَاء قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمى أَفْئِدَتِكُمْ، وشِفَاءُ مَرَض أَجْسَادِكُمْ، وصَلاحُ فَسَاد صُدُورِكُمْ، وطُهُورُ دَنَس أَنْفُسِكُمْ، وجَلاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَاد ظُلْمَتِكُمْ.

فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّه شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ، ودَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ، ولَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاعِكُمْ، وأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، ومَنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وشَفِيعاً لِدَرْكِ طَلِبَتِكُمْ، وجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، ومَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، ونَفَساً لِكُرَبِ مَوَاطِنِكُمْ.

فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّه حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَة، ومَخَارِفَ مُتَوَقَّعَة، وأَوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَة.

فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا، واحْلَوْلَتْ لَهُ الأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وانْفَرَجَتْ عَنْهُ الأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا، وهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا، وتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، ووَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِه، ووَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِه، وامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِه، فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِه، واخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِه.

ثُمَّ إِنَّ هذَا الإِسْلامَ دِينُ اللَّه الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِه، واصْطَنَعَهُ عَلى عَيْنِه، وأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِه، وأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلى مَحَبَّتِه، أَذَلَّ الأَدْيَانِ بِعِزِّه، ووَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِه، وأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِه، وخَذَلَ مُحَادِّيه بِنَصْرِه، وهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلالَةِ بِرُكْنِه، وسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِه، وأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِه.

ثُمَّ جَعَلَهُ لا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِه، ولا فَكَّ لِحَلْقَتِه، ولا انْهِدَامَ لأَسَاسِه، ولا زَوَالَ لِدَعَائِمِه، ولا انْقِلاعَ لِشَجَرَتِه، ولا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِه، ولا عَفَاءَ لِشَرَائِعِه، ولا جَذَّ لِفُرُوعِه، ولا ضَنْكَ لِطُرُقِه، ولا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِه، ولا سَوَادَ لِوَضَحِه، ولا عِوَجَ لانْتِصَابِه، ولا عَصَلَ فِي عُودِه، ولا وَعَثَ لِفَجِّه، ولا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِه، ولا مَرَارَةَ لِحَلاوَتِه.

فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا، ويَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا،

ومَصَابيحٌ شَبَّتْ نيرَانُهَا، ومَنَارٌ اقْتَدى بِهَا سُفَّارُهَا، وَأَعْلامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، ومَنَاهِلُ رُوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا.

جَعَلَ اللَّهُ فيه مُنْتَهى رِضْوَانه، وذِرْوَةَ دَعَائمه، وسَنَامَ طَاعَته، فَهُوعِنْدَ اللَّه وَثِيقُ الأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعْوِذُ الْمَنَارِ.

فَشَرِّفُوهُ واتَّبِعُوهُ، وأَدُّوا إِلَيْه حَقَّهُ، وضَعُوهُ في مَوَاضعه.

ثُمَّ إِنَّ الله - سُبْحَانَهُ - بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ بِالْحَقِّ حينَ دَنَا منَ الدُّنْيَا الانْقِطَاعُ، وأَقْبَلَ منَ الآخرَة الاطِّلاعُ، وأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاق، وقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلى سَاق، وخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، واقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وعَفَاءٍ مِنْ أَعْلامِهَا، وتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا.

جَعَلَهُ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - بَلاغاً لِرِسَالَته، وكَرَامَةً لأُمَّته، ورَبِيعاً لأَهْلِ زَمَانه، ورِفْعَةً لأَعْوَانه، وشَرَفاً لأَنْصَاره.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْه الْكِتَابَ نُوراً لا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وسِرَاجاً لا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وبَحْراً لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، ومِنْهَاجاً لا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وشُعَاعاً لا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَاناً لا يَخْمُدُ بُرْهَانُهُ، وبُنْيَاناً لا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وشِفَاءً لا تُخْشى أَسْقَامُهُ، وعِزّاً لا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وحَقّاً لا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.

فَهُومَعْدِنُ الإِيمَان وبُحْبُوحَتُهُ، ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ وبُحُورُهُ، ورِيَاضُ الْعَدْلِ وغُدْرَانُهُ، وأَثَافِيُّ الإِسْلامِ وبُنْيَانُهُ، وأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وغِيطَانُهُ، وبَحْرٌ لا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وعُيُونٌ لا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، ومَنَاهِلُ لا يُغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، ومَنَازِلُ لا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وأَعْلامٌ لا يَعْمى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وإِكَامٌ لا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ الله - تعالى - رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، ومَحَاجَّ لِطُرُقِ

الصُّلَحَاء، ودَوَاءٌ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، ونُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وهُدىً لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وفَلَجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، ومَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ، وعِلْماً لِمَنْ وَعى، وحَدِيثاً لِمَنْ رَوى، وحُكْماً لِمَنْ قَضى.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلى عَدُوفي جِهَادِهِ الْقُرْبَةُ مِنَ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ- ودَرَكُ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ.

إِسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلى قَوْمٍ حَيَارى عَنِ الْحَقِّ لا يُبْصِرُونَهُ، ومُوزَعِينَ بِالْكُفْرِ والْجَوْرِ لا يَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ، نُكَّبٍ عَنِ الطَّرِيقِ، يَعْمَهُونَ فِي الطُّغْيَانِ، ويَعْكِسُونَ فِي غَمْرَةِ الضَّلَالِ، وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِباطِ الْخَيْلِ، وتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ، وكَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا وكَفى بِاللَّهِ نَصِيراً.

[ثم رفع عليه السلام يديه بالدعاء فقال:] اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، والْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ والدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فَأَبى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلاَّ النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، والابْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، ونَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وسَمَوَاتِكَ.

ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، والآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

ثم تركهم عليه السلام أياماً حتى أيس من أن يعملوا شيئاً، فخطب فيهم فقال:

خطبة له عليه السلام (٦١)

قبل أيام من استشهاده

وذكر فيها حق الوالي والرعية وفضل الجهاد موبّخاً أهل الكوفة لتوانيهم عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ، وسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، ولاَ شَرِيكَ للَّه الأَحَدِ الْقَيُّومِ، وصَلَوَاتُ اللَّه عَلى مُحَمَّد والسَّلاَمُ عَلَيْه في الْعَالَمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَقَدْ جَعَلَ الله - سُبْحَانَهُ - لي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَتي أَمْرَكُمْ، ومَنْزِلَتِيَ الَّتي أَنْزَلَنِي الله - عَزَّ ذِكْرُهُ - بِهَا مِنْ بَيْنِكُمْ، ولَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذي لي عَلَيْكُمْ.

والْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاء في التَّوَاصُف، وأَضْيَقُهَا في التَّنَاصُف.

وإِنَّ الْحَقَّ لاَ يَجْري لأَحَد إِلاَّ جَرى عَلَيْه، ولاَ يَجْري عَلَيْه إِلاَّ جَرى لَهُ.

ولَوْ كَانَ لأَحَد أَنْ يَجْرِيَ لَهُ ولاَ يَجْرِي عَلَيْه، لَكَانَ ذلِكَ خَالصاً للَّه - سُبْحَانَهُ وتعالى - دُونَ خَلْقه، لِقُدْرَته عَلى عبَاده، ولعَدْله في كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْه صُرُوفُ قَضَائه.

ولكِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَاد أَنْ يُطيعُوهُ، وجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْه مُضَاعَفَةَ الثَّوَاب، تَفَضُّلًا منْهُ، وتَطَوُّلًا بِكَرَمه، وتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيد أَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقه حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْض النَّاس عَلى بَعْض، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ في وُجُوهِهَا، ويُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، ولاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْض.

وأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ الله - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالي عَلَى الرَّعِيَّة، وحَقُّ

الصُّلَحَاء، ودَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، ونُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، ومَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وهُدىً لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وفَلَجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، ومَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلأَمَ، وعِلْماً لِمَنْ وَعى، وحَدِيثاً لِمَنْ رَوى، وحُكْماً لِمَنْ قَضى.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلى عَدُوفي جِهَادِهِ الْقُرْبَةُ مِنَ الله - عَزَّ وجَلَّ- ودَرَكُ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ.

إِسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلى قَوْمٍ حَيَارى عَنِ الْحَقِّ لا يُبْصِرُونَهُ، ومُوزَعِينَ بِالْكُفْرِ والْجَوْرِ لا يَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاةً عَنِ الْكِتَابِ، نُكَّبٍ عَنِ الطَّرِيقِ، يَعْمَهُونَ فِي الطُّغْيَانِ، ويَعْكِسُونَ فِي غَمْرَةِ الضَّلَالِ، وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِباطِ الْخَيْلِ، وتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ، وكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً.

[ثم رفع عليه السلام يديه بالدعاء فقال:] اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، والْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ والدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ، فَأَبى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلاَّ النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، والابْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، ونَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وسَمَوَاتِكَ.

ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، والآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

ثم تركهم عليه السلام أياماً حتى أيس من أن يعملوا شيئاً، فخطب فيهم فقال:

خطبة له عليه السلام (٦١)

قبل أيام من استشهاده

وذكر فيها حق الوالي والرعية وفضل الجهاد موبّخاً أهل الكوفة لتوانيهم عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ، وسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، ولاَ شَرِيكَ للَّه الأَحَدِ الْقَيُّومِ، وصَلَوَاتُ اللَّه عَلَى مُحَمَّد والسَّلاَمُ عَلَيْه فِي الْعَالَمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَقَدْ جَعَلَ الله - سُبْحَانَهُ - لي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَتي أَمْرَكُمْ، ومَنْزِلَتِيَ الَّتي أَنْزَلَنِي الله - عَزَّ ذِكْرُهُ - بِهَا مِنْ بَيْنِكُمْ، ولَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذي لي عَلَيْكُمْ.

والْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ.

وإِنَّ الْحَقَّ لاَ يَجْرِي لأَحَد إِلاَّ جَرَى عَلَيْه، ولاَ يَجْرِي عَلَيْه إِلاَّ جَرَى لَهُ.

ولَوْ كَانَ لأَحَد أَنْ يَجْرِيَ لَهُ ولاَ يَجْرِي عَلَيْه، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً للَّه - سُبْحَانَهُ وتعالى - دُونَ خَلْقه، لِقُدْرَته عَلَى عِبَاده، ولِعَدْله فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْه صُرُوفُ قَضَائه.

ولَكِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَاد أَنْ يُطِيعُوهُ، وجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْه مُضَاعَفَةَ الثَّوَاب، تَفَضُّلاً منْهُ، وتَطَوُّلاً بِكَرَمه، وتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيد أَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقه حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْض النَّاس عَلَى بَعْض، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، ويُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، ولاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْض.

وأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ الله - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّة، وحَقُّ

الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالي.

فَريضَـةٌ فَرَضَـهَا الله - سُبْحَانَهُ - لِكُلٍّ عَلى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لأُلْفَتِهِمْ، وعِزّاً وقِوَاماً لِسُنَنِ دِينِهِمْ.

فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، ولاَ يَصْلُحُ الْوُلاَةُ إلاَّ باسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالي حَقَّهُ، وأَدَّى الْوَالي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، واعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْحَقِّ، وجَرَتْ عَلى أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ، فَصَلُحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وطَابَ بِهِ الْعَيْشُ، وطُمِعَ في بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، ويَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ.

وإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوأَجْحَفَ الْوَالي بِرَعِيَّتِه، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وكَثُرَ الادْغَالُ في الدِّينِ، وتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوى، وعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، ولاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ. فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وتَخْرَبُ الْبِلاَدُ، وتَعْظُمُ تَبِعَاتُ الله- سُبْحَانَهُ - عِنْدَ الْعِبَادِ.

فَعَلَيْكُم، أَيُّهَا النَّاسُ، بِالتَّعَاوُنِ عَلى طَاعَةِ الله - عَزَّ وجَلَّ- ، والْقِيَامِ بِعَدْلِه، والْوَفَاءِ بِعَهْدِه، والانْصَافِ لَهُ في جَمِيعِ حَقِّه، فَإِنَّهُ لَيْسَ الْعِبَادُ إِلى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى التَّنَاصُحِ في ذلِكَ، وحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ.

فَلَيْسَ أَحَدٌ، وإِن اشْتَدَّ عَلى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ وطَالَ في الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ، بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا الله - سُبْحَانَهُ - أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، ولَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ الله - عَزَّ وجَلَّ- عَلى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ لَهُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، والتَّعَاوُنُ عَلى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ.

ولَيْسَ امْرُؤٌ، وإِنْ عَظُمَتْ في الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وتَقَدَّمَتْ في الدِّينِ فَضِيلَتُهُ، بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلى مَا حَمَّلَهُ الله - عَزَّ وجَلَّ - مِنْ حَقِّه.

ولاَ امْرُؤٌ، وإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، واقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ، وخَسَأَتْ بِهِ الأُمُورُ، بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلى ذلِكَ أَويُعَانَ عَلَيْهِ.

وأَهْلُ الْفَضيلَةِ فِي الْحَالِ، وأَهْلُ النِّعَمِ الْعِظَامِ، أَكْثَرُ فِي ذَلِكَ حَاجَةً، وكُلٌّ فِي الْحَاجَةِ إِلَى اللهِ - عَزَّ وجَلَّ - شَرْعٌ سَوَاءٌ.

فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالنَّصيحَةُ لَكُمْ مَا صَحِبْتُكُمْ، والْعَدْلُ، وتَوْفيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ، وتَعْليمُكُمْ كَيْلاَ تَجْهَلُوا، وتَأْديبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا.

وأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، والنَّصيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ والْمَغيبِ، والاجَابَةُ حينَ أَدْعُوكُمْ، والطَّاعَةُ حينَ آمُرُكُمْ.

فَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِكُمْ خَيْراً تَنْزِعُوا عَمَّا أَكْرَهُ، وتَرْجِعُوا إِلى ما أُحِبُّ، تَنَالُوا بِذَلِكَ مَا تُحِبُّونَ، وتُدْرِكُوا مَا تَأْمَلُونَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللهُ - تعالى - لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِه، وهُوَ لِبَاسُ التَّقْوى، ودِرْعُ اللَّهِ الْحَصينَةُ، وجُنَّتُهُ الْوَثيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ، ودَاهَنَ فِي أَمْرِ اللَّهِ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وشَمِلَهُ الْبَلاَءُ، ودُيِّثَ بِالصَّغَارِ والْقَمَاءِ، وضُرِبَ عَلى قَلْبِه بِالأَسْدَادِ، وأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وسِيمَ الْخَسْفَ، ومُنِعَ النَّصَفَ، [وَ] كَانَ عَلى شَفَا هَلَكَةٍ، إِلاَّ أَنْ يَتَدَارَكَهُ رَبُّهُ بِرَحْمَتِه.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَوَّلَ رَفَثِكُمْ [وَ] فُرْقَتِكُمْ، وبَدْءَ نَقْصِكُمْ، ذَهَابُ أُولِي النُّهى وأَهْلِ الرَّأْيِ مِنْكُمُ، الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ فَيَفْعَلُونَ، ويُدْعَوْنَ فَيُجِيبُونَ، ويَلْقَوْنَ عَدُوَّهُمْ فَيَصْدُقُونَ.

أَلاَ، يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلى قِتَالِ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ لَيْلًا ونَهَاراً، وسِرّاً وإِعْلاَناً، وقُلْتُ لَكُمْ: وَيْحَكُمُ، اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا.

فَتَوَاكَلْتُمْ وتَخَاذَلْتُمْ، واسْتَصْعَبَ عَلَيْكُمْ أَمْرِي، وثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي، فَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً، حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ، ومُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطَانُ، وظَهَرَتْ فِيكُمُ الْفَوَاحِشُ والْمُنْكَرَاتِ، تُمْسِيكُمْ وتُصْبِحُكُمْ، كَمَا فُعِلَ بِأَهْلِ الْمَثُلاَتِ مِنْ قَبْلِكُمْ، حَيْثُ

أَخْبَرَ الله - عَزَّ وجَلَّ- عَنِ الْجَبَابِرَةِ الْعُتَاة، والْمُسْتَضْعَفينَ الْغُواة، في قَوْله- تعالى-: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ ويَسْتَحْيُونَ نساءَكُمْ وفي ذلكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

أَمَا والَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَسَمَةَ، لَقَدْ حَلَّ بِكُمُ الَّذي تُوعَدُونَ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَة، والَّذي نَفْسي بِيَده لَقَدْ أَتَاني الصَّريخُ يُخْبِرُ أَنَّ هذَا أَخُوغَامد قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبَارَ لَيْلًا في أَرْبَعَة آلاَف، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ كَمَا يُغَارُ عَلَى الرُّومِ والْخَزَرِ، وأَنَّهُ أَبَاحَهَا لَهُمْ، وقَتَلَ رِجَالًا مِنْهُمْ كَثيراً ونِساءً، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا.

وقَدْ قَتَلَ عَامِلي عَلَيْهَا حَسَّانَ الْبَكْريَّ، وقَتَلَ مَعَهُ رِجَالًا صَالِحينَ ذَوِي فَضْلٍ وعِبَادَةٍ ونَجْدَة.

بَوَّأَ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتِ النَّعيمِ.

والَّذي نَفْسي بِيَده لَقَدْ بَلَغَني أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَة الْمُسْلِمَة والأُخْرَى الْمُعَاهِدَة، فَيَهْتِكُ سِتْرَهَا، ويَأْخُذُ الْقِنَاعَ مِنْ رَأْسِهَا، وَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وقُلْبَهَا وقَلاَئِدَهَا ورُعُثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالاسْتِرْجَاعِ والاسْتِرْحَامِ والنِّدَاء: يَا لَلْمُسْلِمينَ، فَلا يُغيثُهَا مُغيثٌ، ولاَ يَنْصُرُهَا نَاصِرٌ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرينَ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ، ولاَ أُرِيقَ لَهُ دَمٌ.

فَلَوأَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هذَا أَسَفاً، مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بَارّاً مُحْسِناً، [وَ] بِهِ عِنْدي جَدِيراً.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَاد فَلَمْ تَنْفِرُوا، وأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، ودَعَوْتُكُمْ عَوْداً وبَدْءاً، وَسِرّاً وجَهْراً، وفِي اللَّيْلِ والنَّهَارِ، والْغُدُووالآصَالِ، فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، ونَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا، شُهُودٌ كَغُيَّاب، وعَبِيدٌ كَأَرْبَاب، وأَحْيَاءٌ كَأَمْوَات.

أَمَا تَنْفَعُكُمُ الْعِظَةُ والدُّعَاءُ إِلَى الْهُدى والْحِكْمَة.

كَأَنَّكُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَة، أَتْلُوعَلَيْكُمُ الْحِكْمَةَ فَتُعْرِضُونَ عَنْهَا، وأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الشَّافِيَةِ الْكَافِيَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا. مَا يَزِيدُكُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً

وإدْباراً، وأحُثُّكُمْ عَلى جِهَادِ أهْلِ الْبَغْيِ، فَمَا آتي عَلى آخِرِ قَوْلي حَتَّى أرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أيَادي سَبَا.

تَرْجِعُونَ إلى مَجَالِسِكُمْ، وتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ، تَتَرَبَّعُونَ حَلَقاً شَتَّى، تَضْرِبُونَ الأَمْثَالَ، وتَنَاشَدُونَ الأَشْعَارَ، وتَجَسَّسُونَ الأَخْبَارَ، حَتَّى إذَا تَفَرَّقْتُمْ تَسْأَلُونَ عَنِ الأَسْعَارِ.

جَهَلَةٌ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، وغَفَلَةٌ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ، وتَنَبُّطاً مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ.

وقَدْ نَسِيتُمُ الْحَرْبَ والاسْتِعْدَادَ لَهَا، فَأَصْبَحَتْ قُلُوبُكُمْ فَارِغَةً مِنْ ذِكْرِهَا، شَغَلْتُمُوهَا بِأَضَالِيلَ أعَالِيلَ، وأقْوَالٍ أبَاطِيلَ.

أقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً، وتَرْجِعُونَ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ.

عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وأعْضَلَ الْمُقَوَّمُ.

قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، ونَبَتَ الْمَرْعى عَلى دِمَنِكُمْ، وتَصَافَيْتُمْ عَلى حُبِّ الآمَالِ، وتَعَادَيْتُمْ في كَسْبِ الأَمْوَالِ.

لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ، وتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى نَفْسِي وأنْفُسِكُمْ.

أمَا واللَّهِ، إنَّ اللَّهَ لَذُو أنَاةٍ وحِلْمٍ عَظِيمٍ، لَقَدْ حَلُمَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ فَرَاعِنَةِ الأَوَّلِينَ، وعَاقَبَ فَرَاعِنَةَ.

ولَئِنْ أمْهَلَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أخْذُهُ، وهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلى مَجَازِ طَرِيقِهِ، وبِمَوْضِعِ الشَّجى مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ.

أمَا، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ هؤُلاَءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لأَنَّهُمْ أوْلى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، ولكِنْ لإِسْرَاعِهِمْ إلى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وإبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي.

ولَقَدْ أصْبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وأصْبَحْتُ أخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي.

يَا أهْلَ الْعِرَاقِ، إنَّمَا أنْتُمْ كَالْمَرْأةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ، فَلَمَّا أتَمَّتْ أمْلَصَتْ، ومَاتَ قَيِّمُهَا، وطَالَ تَأَيُّمُهَا، ووَرِثَهَا أبْعَدُهَا.

أمَا، واللَّهِ، مَا أتَيْتُكُمُ اخْتِيَاراً، ولاَ جِئْتُكُمْ شَوْقاً، ولكِنِّي جِئْتُ إلَيْكُمْ سَوْقاً.

أَمْهِلُونِي قَلِيلًا، فَكَأَنَّكُمْ، واللَّه، بِامْرِئٍ قَدْ جَاءَكُمْ يَحْرِمُكُمْ وَيُعَذِّبُكُمْ، فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ كَمَا يُعَذِّبُكُمْ، ثُمَّ لاَ يُبْعِدُ اللَّهُ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ مِنْكُمْ. ومَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ.

أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا، وسَيْفاً قَاطِعاً، وأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً، تُفَرِّقُ جَمْعَكُمْ، وتُبْكِي عُيُونَكُمْ، وتُدْخِلُ الْفَقْرَ بُيُوتَكُمْ.

فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ، أَوْنُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ، تَعْرِكُكُمْ عَرْكَ الأَدِيمِ، وتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ، وتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلاَصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ، فَتَتَمَنَّوْنَ، واللَّهِ، عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّكُمْ لَورَأَيْتُمُونِي فَنَصَرْتُمُونِي، وقَاتَلْتُمْ مَعِي، وقُتِلْتُمْ دُونِي.

وسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ.

والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَتَصِيرُنَّ بَعْدِي سَبَايَا، يُغِيرُونَكُمْ وَيُتَغَايَرُ بِكُمْ.

أَمَا، واللَّهِ، إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمُ الأَعْوَرَ الأَغْبَرَ الأَدْبَرَ، جَهَنَّمُ الدُّنْيَا، لاَ يُبْقِي وَلاَ يَذَرُ، ومِنْ بَعْدِهِ النَّهَّاسُ الْفَرَّاسُ الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ، ثُمَّ لَيَتَوَارَثَنَّكُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ عِدَّةٌ يَقْتُلُونَ أَخْيَارَكُمْ، ويَسْتَعْبِدُونَ أَرَاذِلَكُمْ، ويَسْتَخْرِجُونَ كُنُوزَكُمْ وذَخَائِرَكُمْ مِنْ جَوْفِ حِجَالِكُمْ. لَيْسَ الآخِرُ مِنْهُمْ بِأَرْأَفَ بِكُمْ مِنَ الأَوَّلِ، مَا خَلاَ رَجُلًا وَاحِداً.

لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، ولَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، والصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ.

وأَخَذُوا يَمِيناً وشِمَالًا، ظَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ.

ثُمَّ يَهْلِكَ بَيْنَكُمْ دِينُكُمْ ودُنْيَاكُمْ.

بَلاَءٌ قَضَاهُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ لاَ مَحَالَةَ كَائِنٌ، نَقْمَةً بِمَا ضَيَّعْتُمْ مِنْ أُمُورِكُمْ وصَلاَحِ أَنْفُسِكُمْ ودِينِكُمْ.

واللَّهِ لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا لِلَّهِ مُحَرَّماً إِلاَّ اسْتَحَلُّوهُ، ولاَ عَقْداً إِلاَّ حَلُّوهُ.

وحَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ ولاَ وَبَرٍ إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ، ونَزَلَ بِهِ عَيْثُهُمْ، ونَبَا بِهِ سُوءُ

رَعْيِهِمْ.

وحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَان مِنْكُمْ يَبْكِيَان: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِه، وبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ.

وحَتَّى لاَ يَكُونَ أَحَدُكُمْ إِلاَّ نَافِعاً لَهُمْ أَوْغَيْرَ ضَارٍّ بِهِمْ.

وحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِه، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ.

وحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللَّه ظَنّاً.

فَلاَ تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلاَمِهَا.

فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، والآثَارَ الْبَيِّنَةَ، والْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْه بَاقِي النُّبُوَّة، فَإِنْ أَتَاكُمُ اللَّهُ بِعَافِيَة فَاقْبَلُوا، وإِن ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

[أَيُّهَا النَّاسُ،] إِنَّ أَوَّلَ مَا تَغْلَبُونَ عَلَيْه مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِه مَعْرُوفاً، ولَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ، وأَسْفَلُهُ أَعْلاَهُ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَة، أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، لِتَكُونُوا مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، ولِتُنْذِرُوا به مَنِ اتَّعَظَ واعْتَبَرَ.

ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ، كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ لِنَبِيِّهَا وسَيِّدِهَا نَبِيِّ الرَّحْمَة مُحَمَّد بْنِ عَبْد اللَّه حَبِيبِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

قَاتَلَكُمُ اللَّهُ. فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ.

أَعَلَى اللَّه أَكْذِبُ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ به ووَحَّدَهُ.

أَمْ عَلَى نَبِيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ به وصَدَّقَهُ ونَصَرَهُ.

كَلاَّ، واللَّه، ولكِنَّهَا لَهْجَةٌ خُدِعْتُمْ عَنْهَا، ولَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا.

وَيْلُ أُمِّه، كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ.

والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ، وذَلِكَ إِذَا صَيَّرَكُمْ إِلَيْهَا

جَهْلُكُمْ، ولاَ يَنْفَعُكُمْ عِنْدَهَا عِلْمُكُمْ.

أَمَا واللَّه لَوتَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَات، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، ولَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لاَ حَارِسَ لَهَا، ولاَ خَالِفَ عَلَيْهَا، ولَهَمَّتْ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا.

ولكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهُ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي، ولاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي، ولاَ تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي، فَوالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّ الَّذِي أَنْبَئْتُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الْقُرَشِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ، واللَّه مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ، ولاَ جَهِلَ السَّامِعُ.

لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ، وفَرَشَ الأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ، بَعِيدَ الْجَوْلَة، عَظِيمَ الصَّوْلَة.

واللَّه لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ، كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ، وكَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ.

فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، واشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ، وثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، ومَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وبَدَا مِنَ الأَيَّامِ كُلُوحُهَا، ومِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا.

فَإِذَا يَنَعَ زَرْعُهُ، وقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ لَهُ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَة، وأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، والْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ.

هذَا، وكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ، ويَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ.

وعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ، ويُحْصَدُ الْقَائِمُ، ويُحْطَمُ الْمَحْمُودُ.

أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ وخِطَابَكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا لَكُمْ إِذَا أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّه اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ، وسَأَلْتُمُونِيَ التَّطْوِيلَ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ، أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ عِوَضاً،

وبالذُّلّ والْهَوَان منَ الْعزّ والْكَرَامَة خَلَفاً.

إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ منَ الْمَوْتِ في غَمْرَة، ومنَ الذُّهُولِ في سَكْرَة، يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حِوَاري فَتَعْمَهُونَ، وكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونَ، وكَأَنَّ أَبْصَارَكُمْ كُمْهٌ فَأَنْتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ.

فَبَيِّنُوا لي مَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ.

للَّهِ أَنْتُمْ، مَا أَنْتُمْ إِلاَّ أُسُودُ الشَّرى في الدَّعَة، وثَعَالِبُ رَوَاغَةٌ حينَ تُدْعَوْنَ إِلَى الْبَأْسِ.

مَا أَنْتُمْ لي بِوَثِيقَة يُعْلَقُ بِهَا، ولاَ زَوَافِرِ عِزّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا، ومَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، [وَ] لاَ بِرَكْبٍ يُصَالُ بِكُمْ.

فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ، ومِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ.

تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ، مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِلٍ جَمَّة ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ.

لَبِئْسَ، لَعَمْرُ اللَّه، سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ.

إِنَّكُمْ تُكَادُونَ ولاَ تَكِيدُونَ، وتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ، ولاَ يُنَامُ عَنْكُمْ وأَنْتُمْ في غَفْلَة سَاهُونَ.

إِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْيَقْظَانُ.

أَوْدى مَنْ غَفَلَ، ويَأْتي الذُّلُّ مَنْ وَادَعَ.

غُلِبَ، واللَّه، الْمُتَخَاذِلُونَ، والْمَغْلُوبُ مَقْهُورٌ ومَسْلُوبٌ.

وأَيْمُ اللَّه، إِنِّي لأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغى، وحَمِيَ الضِّرَابُ، واسْتَحَرَّ الْمَوْتُ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ، وانْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا لاَ تَمْنَعُ يَدَ لاَمِسٍ.

مَا لي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ، وأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ، ونُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ، وتُجَّاراً

بِلاَ أَرْبَاحٍ، وأَيْقَاظاً نُوَّماً، وشُهُوداً غُيَّباً، ونَاظِرَةً عُمْياً، وسَامِعَةً صُمّاً، ونَاطِقَةً بُكْماً.

رَايَةُ ضَلاَلَةٍ قَدْ قَامَتْ عَلى قُطْبِهَا، وتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ.

مَا بَالُكُم، مَا دَوَاؤُكُمْ، مَا طِبُّكُمْ.

الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، لاَ يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَقَوْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ، وطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ.

يَا مَعْشَرَ أَهْلَ الْكُوفَةِ، واللَّه لَتَصْبِرُنَّ عَلى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، أَولَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَوْماً أَنْتُمْ أَوْلى بِالْحَقِّ مِنْهُمْ، فَيُعَذِّبَنَّكُمْ بِهِمْ، ثُمَّ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْ عِنْدِهِ.

واللَّه لَتَفْعَلُنَّ مَا تُؤْمَرُونَ أَولَيَرْكَبَنَّ أَعْنَاقَكُمُ الْيَهُودُ والنَّصَارى.

أَفَمِنْ قِتْلَةٍ بِالسَّيْفِ تَحِيدُونَ إِلى مَوْتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ.

فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: لَمَوْتَةٌ عَلَى الْفِرَاشِ أَشَدُّ مِنْ ضَرْبَةِ أَلْفِ سَيْفٍ. أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرَئِيلُ.

فَهذَا جِبْرَئِيلُ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ بِمَا تَسْمَعُونَ.

أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُبْتَلى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ، وَا عَجَباً مِنْكُمْ ومِنْ أَهْلِ الشَّامِ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وهُمْ يُطِيعُونَهُ.

لَوَدِدْتُ، واللَّه، أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخُذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلاَثٍ واثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وبُكْمٌ ذَوُو كَلاَمٍ، وعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، [فـ]إِنَّا لِلَّه وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَيْحَكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحاً.

يَوْماً أُنَادِيكُمْ، ويَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ولاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ

الْبَلاَء.

فَقُبْحاً لَكُمْ.

أَمَا واللَّه، أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلاَمُكُمْ يُوهِي الصُّمَ الصِّلاَبَ، وفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ عَدُوَّكُمُ الْمُرْتَابَ.

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، والْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزى مِنْ وَعْوَعَةِ الأَسَدِ.

وَيْحَكُمْ، اخْرُجُوا مَعِي ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنِّي إِنْ بَدَا لَكُمْ.

هَيْهَاتَ أَنْ أُطْلِعَ بِكُمْ سِرَارَ الْعَدْلِ، أَوأُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ.

مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، ولاَ اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، ولاَ قَرَّتْ عَيْنُ مَنْ آوَاكُمْ.

تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيْدِي حِيَاد.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، لاَ يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ، ولاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلاَّ بِالْجِدِّ والصَّبْرِ.

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ، والثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ، كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ عَلى صَاحِبِهَا.

مَا لَكُمْ، يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ، أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَلَيْهِ بَابَهُ، وانْجَحَرَ فِي بَيْتِهِ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا، والضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا.

فَيَا عَجَباً عَجَباً. وكَيْفَ لاَ أَعْجَبُ كُلَّ الْعَجَبِ.

واللَّه يُمِيتُ الْقَلْبَ، ويَجْلِبُ الْهَمَّ، ويُشْعِلُ الأَحْزَانَ، اجْتِمَاعُ هؤُلاَءِ الْقَوْمِ عَلى بَاطِلِهِمْ، وتَفَرُّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ.

[أَيُّهَا النَّاسُ] إِنَّ مِثْلَ مُعَاوِيَةَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمِيناً عَلى الدِّمَاءِ والأَحْكَامِ والْفُرُوجِ والْمَغَانِمِ والصَّدَقَةِ، [فَهُوَ] الْمُتَّهَمُ فِي نَفْسِهِ ودِينِهِ، الْمُجَرَّبُ بِالْخِيَانَةِ للأَمَانَةِ، النَّاقِضُ لِلسُّنَّةِ، الْمُسْتَأْصِلُ لِلذِّمَّةِ، التَّارِكُ لِلْكِتَابِ، اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ، لَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ في عَشَرَةِ مَوَاطِنَ، ولَعَنَ أَبَاهُ وأَخَاهُ.

وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ والدِّمَاءِ والْمَغَانِمِ والأَحْكَامِ وأَمَانَةِ الْمُسْلِمِينَ وأُمُورِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ في أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، ولاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ جَهْلِه، ولاَ الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِه، ولاَ الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، ولاَ الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ، ويَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، ولاَ الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ، ولاَ الْبَاغِي فَيَدْحَضَ الْحَقَّ، ولاَ الْفَاسِقُ فَيَشِينَ الشَّرْعَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي، واللَّهِ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاَّ وأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، ولاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

وإِنَّ مِنْ ذُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وهَلاَكِ هَذَا الدِّينِ، أَنَّ بَنِيَّ أَبِي سُفْيَانَ يَدْعُوالأَرْذَالَ والأَشْرَارَ فَيُجِيبُونَ، وأَنَا أَدْعُوكُمْ وأَنْتُمُ الأَفْضَلُونَ والأَخْيَارُ فَتَرَاوِغُونَ وتُدَافِعُونَ، مَا هَذَا بِفِعْلِ الْمُتَّقِينَ.

أَ أَجْلاَفُ أَهْلِ الشَّامِ وأَعْرَابُهَا أَصْبَرُ عَلَى نُصْرَةِ الضَّلاَلِ مِنْكُمْ عَلَى هُدَاكُمْ وحَقِّكُمْ.

فَقُبْحاً لَكُمْ وتَرَحاً، حِينَ قَدْ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ ولاَ تُغِيرُونَ، وتُغْزَوْنَ ولاَ تَغْزُونَ، ويُفْضَى إِلَيْكُمْ فَلاَ تَأْنَفُونَ، ويُعْصَى اللَّهُ وتَرْضَوْنَ.

فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الصَّيْفِ، قُلْتُمْ: هذه حَمَارَّةُ الْقَيْظِ، أَمْهِلْنَا حَتَّى يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ، وإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ، قُلْتُمْ: هذه صَبَارَّةُ الْقُرِّ، أَمْهِلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ. كُلُّ هذَا فِراراً مِنَ الْحَرِّ والْقُرِّ.

فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ والْقُرِّ تَفِرُّونَ، فَأَنْتُمْ، واللَّهِ، مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ، فَإِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

أَفَتَرَوْنَ عَدُوَّكُمْ لاَ يَجِدُ الْقُرَّ كَمَا تَجِدونَهُ، ولكِنَّكُمْ أَشْبَهْتُمْ قَوْماً قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ: انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ كُبَرَاؤُهُمْ: لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ،

فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّه-: ﴿قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوكانُوا يَفْقَهُونَ﴾.

يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، وجَمَاعَةَ مَنْ سَمِعَ كَلامي،أومَا أَوْجَبْتُمْ لي عَلى أَنْفُسِكُمُ الطَّاعَةَ.

أَ مَا بَايَعْتُمُوني عَلَى الرَّغْبَة.

أَلَمْ آخُذْ عَلَيْكُمُ الْعَهْدَ بِالْقَبُولِ لِقَوْلي.

أَمَا كَانَتْ بَيْعَتي لَكُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْكَدُ مِنْ بَيْعَةِ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ، فَمَا بَالُ مَنْ خَالَفَني لَمْ يَنْقُضْ عَلَيْهِمَا حَتَّى مَضَيَا، ونَقَضَ عَلَيَّ ولَمْ يَفِ لي.

أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ بَيْعَتي تَلْزَمُ الشَّاهِدَ مِنْكُمْ والْغَائِبَ، فَمَا بَالُ مُعَاوِيَةَ وأَصْحَابُهُ طَاعِنينَ في بَيْعَتي، ولِمَ لَمْ يَفُوا بِهَا لي وأَنَا في قَرَابَتي وسَابِقَتي وصِهْري أَوْلى بِالأَمْرِ مِمَّنْ تَقَدَّمَني.

أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَوْمَ الْغَدِيرِ في وِلايَتي ومُوَالاتي.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وتَحَاثُّوا عَلى جِهَادِ مُعَاوِيَةَ النَّاكِثِ الْقَاسِطِ وأَصْحَابِهِ الْقَاسِطِينَ.

إِسْمَعُوا مَا أَتْلُوعَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ عَلى نَبِيِّهِ الْمُرْسَلِ لِتَتَّعِظُوا بِهِ، فَإِنَّهُ، واللَّهِ، عِظَةٌ لَكُمْ، فَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وازْدَجِرُوا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، فَقَدْ وَعَظَكُمُ اللَّهُ بِغَيْرِكُمْ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ في سَبِيلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلاَّ تُقاتِلُوا قالُوا وما لَنا أَلاَّ نُقاتِلَ في سَبِيلِ اللَّهِ وقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وأَبْنائِنا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلًا مِنْهُمْ واللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا ونَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ولَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ

اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ والْجِسْمِ واللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لَكُمْ في هذه الآيات عِبْرَةً لَتَعْلَمُوا أَنَّ الله - تعالى - جَعَلَ الْخلافَةَ والإِمْرَةَ مِنْ عَهْدِ الأَنْبِيَاءِ في أَعْقَابِهِمْ، وأَنَّهُ فَضَّلَ طَالُوتَ وقَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِاصْطِفَائِهِ إِيَّاهُ وزِيَادَتِهِ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ والْجِسْمِ، فَهَلْ تَجِدُونَ الله - عَزَّ وجَلَّ - اصْطَفَى بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، وزَادَ مُعَاوِيَةَ عَلَيَّ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ والْجِسْمِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، وجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَالَكُمْ سَخَطُهُ بِعِصْيَانِكُمْ لَهُ.

قَالَ الله - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسانِ داوُدَ وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدُونَ كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وقَالَ - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

وقَالَ - تعالى -: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ ومَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

إِتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، وتَحَاثُّوا عَلَى الْجِهَادِ مَعَ إِمَامِكُمْ، فَلَوْ كَانَ لِي مِنْكُمْ عِصَابَةٌ بِعَدَدِ أَهْلِ بَدْرٍ، إِذَا أَمَرْتُهُمْ أَطَاعُونِي، وإِذَا اسْتَنْهَضْتُهُمْ نَهَضُوا مَعِي، لاسْتَغْنَيْتُ بِهِمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْكُمْ، وأَسْرَعْتُ النُّهُوضَ إِلَى حَرْبِ مُعَاوِيَةَ وأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُ الْجِهَادُ الْمَفْرُوضُ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ، وأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، [وَ] عَاتَبْتُكُمْ بِمَوَاعِظِ الْقُرْآنِ فَلَمْ تَنْتَفِعْ بِكُمْ، وأَدَّبْتُكُمْ بِالدِّرَّةِ الَّتِي أَعِظُ بِهَا السُّفَهَاءَ فَلَمْ تَرْعَوُوا، وعَاقَبْتُكُمْ بِسَوْطِيَ الَّذِي أُقِيمُ بِهِ حُدُودَ رَبِّي فَلَمْ

تَسْتَقيمُوا، وحَدَوْتُكُمْ بالزَّواجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا.

لِلَّه أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، ويُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ.

أَمَا واللَّه إِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، ويُقِيمُ أَوَدَكُمْ بِإِذْنِ اللَّه، ولكِنِّي لاَ أَرى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي.

ولكِنْ سَيُسَلَّطُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي سُلْطَانٌ صَعْبٌ، لاَ يُوَقِّرُ كَبِيرَكُمْ، ولاَ يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ، ولاَ يُكْرِمُ عَالِمَكُمْ، ولاَ يَقْسِمُ الْفَيْءَ بالسَّوِيَّةِ بَيْنَكُمْ، ولَيَضْرِبَنَّكُمْ، ولَيُذِلَنَّكُمْ، ولَيُجَهِّزَنَّكُمْ فِي الْمَغَازِي، ولَيَقْطَعَنَّ سُبُلَكُمْ، ولَيَحْجُبَنَّكُمْ عَلى بَابِه، حَتَّى يَأْكُلَ قَوِيُّكُمْ ضَعِيفَكُمْ، فَيَنْتَقِمُ لِي مِنْكُمْ، فَلاَ دُنْيَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا، ولاَ آخِرَةَ صِرْتُمْ إِلَيْهَا، فَبُعْداً وسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ.

أَمَا، واللَّه، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيفٍ، الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، ويُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ.

إِيه أَبَا وَذَحَةَ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، ورَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ، وصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ، وهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ، وتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ، وتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً، والْمَطَرُ قَيْظاً، ويَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، ويَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً، وكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً، وأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً، وفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، قَدْ ظَهَرَ أَهْلُ الشَّرِّ، وبَطَنَ أَهْلُ الْخَيْرِ، وغَارَ الصِّدْقُ، وفَاضَ الْكَذِبُ، واسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، والْعَفَافُ عَجَباً، ولُبِسَ الإِسْلاَمُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً.

أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ، وأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ، وجَعَلَ دَائِرَةَ السَّوْءِ عَلَيْكُمْ، لاَ تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، ولاَ تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ.

يَا وَيْحَكُمْ، أيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، ومَعَ أيِّ إمَامٍ بَعْدي تُقَاتِلُونَ.

الذَّلِيلُ، واللَّه، مَنْ نَصَرْتُمُوهُ، [وَ] الْمَغْرُورُ، واللَّه، مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، ومَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ، واللَّه، بالسَّهْمِ الأَخْيَب، ومَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ.

أَصْبَحْتُ، واللَّه، لاَ أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، ولاَ أَطْمَعُ في نَصْرِكُمْ، ولاَ أُوعِدُ الْعَدُوَ بِكُمْ.

إنَّكُمْ، واللَّه، لَكَثِيرٌ في السَّاحَات، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَات.

ولَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ، وأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ، وأَعْقَبَكُمْ بَعْدِي مَنْ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ مِنِّي.

أَمَا واللَّه، لَوَأَجِدُ بُدّاً مِنْ كَلاَمِكُمْ، ومُرَاسَلَتِكُمْ، وخِطَابِكُمْ، والْعِتَابِ إلَيْكُمْ، مَا فَعَلْتُ.

ولَقَدْ عَاتَبْتُكُمْ في رُشْدِكُمْ حَتَّى سَئِمْتُ، وأَنْتُمْ في كُلِّ ذَلِكَ تُرَاجِعُونِي بِالْهُزْءِ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى بَرِمْتُ، هُزْءٍ مِنَ الْقَوْلِ لاَ يُعَادُ بِه، وخَطَلٍ لاَ يُعَزُّ أَهْلُهُ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وإِخْلاَداً إِلَى الْبَاطِلِ. وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ.

يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ ولاَ رِجَالَ، ويَا طَغَامَ الأَحْلاَمِ، يَا حُلُومَ الأَطْفَالِ، ويَا عُقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، واللَّه لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ، ولَمْ أَعْرِفْكُمْ، فَإِنَّهَا مَعْرِفَةٌ، واللَّه، جَرَّتْ نَدَماً، وأَعْقَبَتْ سَدَماً.

قَاتَلَكُمُ اللَّهُ. لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ والْخِذْلاَنِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ ولكِنْ لاَ عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ.

لِلَّه أَبُوهُمْ وهَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَعْلَمُ بِهَا، وأَشَدُّ لَهَا مِرَاساً، وأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي.

واللَّه لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا ومَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وهَا أَنَا قَدْ ذَرَّفْتُ الْيَوْمَ عَلَى السِّتِّينَ، ولكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ، لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ، لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، واللَّه مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، ولكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ، ولَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ

لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، ولكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ.

أَلاَ وإِنَّ الْغَدْرَ والْفُجُورَ والْخِيَانَةَ فِي النَّارِ.

أَلاَ وإِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

واللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، ولاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ.

عَجَباً لاِبْنِ النَّابِغَةِ، يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وإِنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ، أُعَافِسُ وأُمَارِسُ.

لَقَدْ قَالَ، واللَّهِ، بَاطِلًا، ونَطَقَ، قَبَّحَهُ اللَّهُ وتَرَّحَهُ، آثِماً.

أَمَا، وشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، ويَعِدُ فَيُخْلِفُ، ويَحْلِفُ فَيَحْنَثُ، ويُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، ويَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، ويَخُونُ الْعَهْدَ، ويَقْطَعُ الإِلَّ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وآمِرٍ هُوَ مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا مِنْ هَامِ الرِّجَالِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يُبَرْقِطَ ويَمْنَحَ الْقَوْمَ سُبَّتَهُ.

أَمَا واللَّهِ إِنَّنِي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ والْعِفَاسِ والْمِرَاسِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وخَوْفُ الْبَعْثِ والْحِسَابِ، ومَنْ كَانَ ذَا قَلْبٍ فَفِي هَذَا عَنْ هَذَا لَهُ وَاعِظٌ وزَاجِرٌ.

وإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ.

إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتِيَّةً، ويَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ دِينِهِ رَضِيخَةً.

أَمَا، واللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنَّ رَبِّي قَدْ أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ إِلَى رِضْوَانِهِ.

وإِنَّ الْمَنِيَّةَ لَتَرْصُدُنِي، فَمَا يَمْنَعُ أَشْقَاهَا أَنْ يَخْضِبَهَا [وترك عليه السلام يده على رأسه ولحيته] خِضَابَ دَمٍ لاَ خِضَابَ عِطْرٍ ولاَ عَبِيرٍ.

فَواللَّهِ إِنَّ ذَلِكَ لَفِي عَهْدٍ عَهِدَهُ إِلَيَّ النَّبِيُّ الأُمِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى، ونَجَا مَنِ اتَّقَى، وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى.

[ثم رفع عليه السلام يديه بالدعاء فقال:] اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ

مِنَّا مُنَافَسَةٌ فِي سُلْطَانٍ، ولاَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، ولكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، ونُظْهِرَ الإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وسَمِعَ وأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلاَّ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ بِالصَّلاَةِ.

[ثم قال عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ،] أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، ويَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، ولَنْ تَقْتُلُوهُ.

أَلاَ وإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي والْبَرَاءَةِ مِنِّي، وسَتُذْبَحُونَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا إِنْ عَرَضَ عَلَيْكُمُ السَّبَّ، وخِفْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، ولَكُمْ نَجَاةٌ، وأَمَّا إِنْ عَرَضَ عَلَيْكُمُ الْبَرَاءَةَ فَمُدُّوا الرِّقَابَ ولاَ تَتَبَرَّؤُوا مِنِّي، فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ والْهِجْرَةِ، وإِنِّي عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، فَمَنْ تَبَرَّأَ مِنِّي فَلاَ دُنْيَا لَهُ ولاَ آخِرَةَ.

أَلاَ وإِنَّهُ لاَ يَزَالُ الْبَلاَءُ بِكُمْ مِنْ بَعْدِي، حَتَّى يَكُونَ الْمُحِبُّ لِي والْمُتَّبِعُ، أَذَلَّ فِي أَهْلِ زَمَانِهِ مِنْ فَرْخِ الأَمَةِ، ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ بِرِضَاكُمْ بِالدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ.

أَلاَ وإِنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ رَحىً تَطْحَنُ عَلَى ضَلاَلَةٍ وتَدُورُ، فَإِذَا قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا طَحَنَتْ بِحِدَّتِهَا.

أَلاَ إِنَّ لِطَحْنَتِهَا رَوْقاً، ورَوْقُهَا حِدَّتُهَا، وقُلُّهَا عَلَى اللهِ - تعالى -.

أَلاَ فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ، وتَشَتُّتِ أُلْفَتِكُمْ، واسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ، وإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ تَمَرُّدِ الأَشْرَارِ، وطَاعَةِ أُولِي الْخَسَارِ.

ذَلِكَ أَوَانُ الْحَتْفِ والدَّمَارِ.

ذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِ الْعِصْيَانِ، وانْتِشَارِ الْفُسُوقِ، حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنِ اكْتِسَابِ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ.

ذَاكَ حِينَ لاَ تُنَالُ الْمَعِيشَةُ إِلاَّ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فِي سَمَائِهِ، حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي.

ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ والنَّعِيمِ، وتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وتَظْلِمُونَ مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ، وتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ، تَتَفَكَّهُونَ بِالْفُسُوقِ، وتَتَبَادَرُونَ بِالْمَعْصِيَةِ، قَوْلُكُمُ الْبُهْتَانُ، وحَدِيثُكُمُ الزُّورُ، وأَعْمَالُكُمُ الْغُرُورُ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ لاَ تَأْمَنُونَ الْبَيَاتَ.

فَيَا لَهُ مِنْ بَيَاتٍ مَا أَشَدَّ ظُلْمَتَهُ، ومِنْ صَائِحٍ مَا أَفْظَعَ صَوْتَهُ.

ذَلِكَ بَيَاتٌ لاَ يَتَمَنَّى صَاحِبُهُ صَبَاحَةً.

فَعِنْدَ ذَلِكَ تُقْتَلُونَ، وبِأَنْوَاعِ الْبَلاَءِ تُضْرَبُونَ، وبِالسَّيْفِ تُحْصَدُونَ، وإِلَى النَّارِ تَصِيرُونَ.

ذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلاَءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ.

مَا أَطْوَلَ هذَا الْعَنَاءَ، وأَبْعَدَ هذَا الرَّجَاءَ.

وأَيْمُ اللَّهِ مَا أَرَاكُمْ تَفْعَلُونَ حَتَّى يُفْعَلَ بِكُمْ.

ولَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُهُمْ فَلَقِيتُ اللَّهَ عَلى نِيَّتِي وبَصِيرَتِي ويَقِينِي، فَاسْتَرَحْتُ مِنْ مُقَاسَاتِكُمْ ومُدَارَاتِكُمْ، وفِي ذَلِكَ رَوْحٌ لِي عَظِيمٌ.

فَلَوأَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا ظَهَرَ الْجَوْرُ مِنْ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ بَاعَ نَفْسَهُ مِنْ رَبِّهِ، وأَخَذَ حَقَّهُ مِنَ الْجِهَادِ، لَقَامَ دِينُ اللَّهِ عَلى قُطْبِهِ، وهَنَأَتْكُمُ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، ولَرَضِيتُمْ رَبَّكُمْ فَنَصَرَكُمْ عَلى عَدُوِّكُمْ.

أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ، وأَيْنَ تَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ، وتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ.

أَيْنَ تَتِيهُونَ، ومِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وأَنَّى تُؤْفَكُونَ. وعَلاَمَ تَعْمَهُونَ.

أَيْنَ تَضِلُّ عُقُولُكُمْ، وتَزِيغُ قُلُوبُكُمْ، وفِيكُمْ أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، وهُمْ أَزِمَّةُ الصِّدْقِ، وأَئِمَّةُ الْحَقِّ.

أَتَسْتَبْدِلُونَ الْكَذِبَ بِالصِّدْقِ، وتَعْتَاضُونَ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ.

فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، ولِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ.

فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ، واسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ، ولْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، ولْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، ولْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ، وقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ.

واعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

فقال له الأشعث بن قيس: فهلّا فعلت كفعل ابن عفّان فقال عليه السلام: أَنَا عَائِذٌ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا تَقُولُ، يَا ابْنَ قَيْسٍ.

يَا عُرْفَ النَّارِ، وَيْلَكَ، إِنَّ الَّذِي فَعَلَ عُثْمَانُ لَمَخْزَاةٌ لِمَنْ لاَ دِينَ لَهُ، [وَ] مَجْزَاةٌ لِمَنْ لاَ نُصْرَةَ لَهُ ولاَ حُجَّةَ مَعَهُ، فَكَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ وأَنَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، والْحُجَّةُ فِي يَدِي، والْحَقُّ مَعِي.

واللَّهِ، إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، يَعْرُقُ لَحْمَهُ، ويَهْشِمُ عَظْمَهُ، ويَفْرِي جِلْدَهُ، ويَسْفِكُ دَمَهُ، وهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَهُ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ.

أَنْتَ، يَا ابْنَ قَيْسٍ، فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ بِيَدِي، ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ، وتَطِيحُ مِنْهُ السَّوَاعِدُ والأَقْدَامُ، [وَ] الأَكُفُّ والْمَعَاصِمُ، ويَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ.

وَيْلَكَ، يَا ابْنَ قَيْسٍ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَمُوتُ بِكُلِّ مِيتَةٍ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَقْتُلُ نَفْسَهُ، فَمَنْ قَدِرَ عَلَى حَقْنِ دَمِهِ ثُمَّ خَلَّى عَمَّنْ يَقْتُلُهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسِهِ.

إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ ولاَ لِلْوَصِيِّ إِذَا لَبِسَ لاَمَتَهُ، وبَرَزَ لِعَدُوِّهِ، أَنْ يَرْجِعَ أَوْ يَثْنِي حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ.

وَيْلَكَ، يَا ابْنَ قَيْسٍ، إِيَّايَ تُعَيِّرُ، وأَنَا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فِي جَمِيعِ مَوَاطِنِهِ ومَشَاهِدِهِ، والْمُتَقَدِّمُ إِلَى الشَّدَائِدِ بَيْنَ يَدَيْهِ، لاَ أَفِرُّ ولاَ أَلُوذُ، ولاَ

أعْتَلُّ ولاَ أنْحَازُ، ولاَ أمْنَحُ العَدُوَّ دُبُري.

يَا ابْنَ قَيْسٍ، إنَّ هذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلى ثَلاَثٍ وسَبْعينَ فِرْقَةٍ، فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، واثْنَتَانِ وسَبْعُونَ فِي النَّارِ.

وشَرُّهَا، وأبْغَضُهَا إلَى اللَّهِ وأبْعَدُهَا مِنْهُ، السَّامِرَةُ، الَّذينَ يَقُولُونَ: لاَ قِتَالَ.

وكَذَبُوا. قَدْ أمَرَ اللَّهُ بِقِتَالِ الْبَاغِينَ فِي كِتَابِهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وكَذَلِكَ الْمَارِقَةِ.

فقال له الأشعث: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أي الأمرين أرشد.

فصفّق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال: هذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ.

أمَا، واللَّهِ، لَوَانِّي حِينَ أمَرْتُكُمْ بِمَا أمَرْتُكُمْ بِهِ، ونَهَيْتُكُمْ عَمَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً، فَإنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وإنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وإنِ أبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى.

ولكِنْ بِمَنْ، وإلَى مَنْ.

أُرِيدُ أنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وأنْتُمْ دَائِي.

إنِّي، واللَّهِ، بِكُمْ كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وهُوَ يَعْلَمُ أنَّ ضِلْعَهَا مَعَهَا.

اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أطِبَّاءُ هذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ، وكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأشْطَانِ الرَّكِيِّ.

اللَّهُمَّ إنَّ الْفُرَاتَ ودَجْلَةَ نَهْرَانِ أعْجَمَانِ أصَمَّانِ أعْمَيَانِ أبْكَمَانِ، اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِمَا مَاءَ بَحْرِكَ، وانْزَعْ مِنْهُمْ مَاءَ نَصْرِكَ.

(ثم قال عليه السلام:) أيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إلَى الإسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ، وقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأحْكَمُوهُ، وهِيجُوا إلَى الْقِتَالِ فَوَلِهُوا ولَهَ اللِّقَاحِ إلى أوْلاَدِهَا، وسَلَبُوا السُّيُوفَ أغْمَادَهَا، وأخَذُوا بِأطْرَافِ الأرْضِ زَحْفاً زَحْفاً، وصَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ وبَعْضٌ نَجَا، لاَ يُبَشَّرُونَ بِالأحْيَاءِ، ولاَ يُعَزَّوْنَ عَنِ الْقَتْلَى.

مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ، رُهْبَانٌ فِي اللَّيْلِ، أُسْدٌ فِي النَّهَارِ.

أُولئكَ إِخْوَانِيَ الذَّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ، ونَعَضَّ الأَيْدي عَلى فِرَاقِهِمْ.

ثم دمعت عيناه عليه السلام وقال: إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْمَ الْوَكِيلِ.

ثم قال: إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، ويُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، ويُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ ونَفَثَاتِهِ، واقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، واعْقِلُوهَا عَلى أَنْفُسِكُمْ.

فقال الأشعث بن قيس: هذه عليك لا لك.

فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال: مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لي.

عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ولَعْنَةُ اللاَّعِنِينَ.

حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ، مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ.

واللَّهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً، والإِسْلاَمُ أُخْرى، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ ولاَ حَسَبُكَ.

وإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الأَقْرَبُ، ولاَ يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ.

ثم قال عليه السلام: أَلاَ إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وأَزْمَعَ التِّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الأَخْيَارُ، وبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لاَ يَبْقى، بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لاَ يَفْنى.

مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ بِصِفِّينَ أَنْ لاَ يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ، يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، ويَشْرَبُونَ الرَّنَقَ.

قَدْ، واللَّهِ، لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وأَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، ومَضَوْا عَلَى الْحَقِّ.

أَيْنَ عَمَّارٌ.

وأيْنَ ابْنُ التَّيِّهَان.

وأيْنَ ذُوالشَّهَادَتَيْن.

وأيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إخْوَانِهِمُ الَّذينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إلَى الْفَجَرَةِ.

ثم ضرب عليه السلام بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال: أوْهِ عَلَى إخْوَانِيَ الَّذينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أحْيَوُا السُّنَّةَ، وأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا إلَى الْجِهَادِ فَأَجَابُوا، ووَثِقُوا بالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوا.

كَانُوا قَوْماً مِنْ أهْلِ الدُّنْيَا ولَيْسُوا مِنْ أهْلِهَا، فَكَانُوا فيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وبَادَرُوا فيهَا مَا يَحْذَرُونَ.

تَقَلَّبُ أبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيَّ أهْلِ الآخِرَةِ، ويَرَوْنَ أهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أجْسَادِهِمْ وهُمْ أشَدُّ إعْظَاماً لمَوْتِ قُلُوبِ أحْيَائِهِمْ.

ثم نادى عليه السلام بأعلى صوته: ألاَ حُرٌّ يَدَعُ هذه اللُّمَاظَةَ لأَهْلِهَا.

ألاَ إنَّهُ لَيْسَ لأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إلاَّ الْجَنَّةَ، فَلاَ تَبِيعُوهَا إلاَّ بِهَا.

الْجِهَادَ، الْجِهَادَ، عِبَادَ اللَّه.

ألاَ وإنِّي مُعَسْكِرٌ في يَوْمِي هذَا، فَمَنْ أرَادَ الرَّوَاحَ إلَى اللَّه فَلْيَخْرُجْ.

والْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فقام إليه شاب فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ عَلى نَاقَتِه الْغَضْبَاءِ ونَحْنُ قَافِلُونَ مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، فَسَأَلْتُهُ عَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ.

فَقَالَ: إنَّ الْغُزَاةَ إذَا هَمُّوا بالْغَزْوِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ.

فَإذَا تَجَهَّزُوا لغَزْوِهِمْ بَاهَى اللَّهُ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ.

فَإذَا وَدَّعَهُمْ أهْلُوهُمْ بَكَتْ عَلَيْهِمُ الْحِيطَانُ والْبُيُوتُ، ويَخْرُجُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ كَمَا

تَخْرُجُ الْحَيَّةُ مِنْ سَلْخِهَا، ويُوكِلُ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - بِهِمْ، بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، أَرْبَعِينَ مَلَكاً يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ وعَنْ يَمِينِهِ وعَنْ شِمَالِهِ، ولاَ يَعْمَلُ حَسَنَةً إِلاَّ ضُعِّفَتْ لَهُ، ويُكْتَبُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ عِبَادَةَ أَلْفِ رَجُلٍ يَعْبُدُ اللَّهَ أَلْفَ سَنَةٍ، كُلُّ سَنَةٍ ثَلاَثُمِائَةٍ وسِتُّونَ يَوْماً، الْيَوْمُ مِثْلَ عُمُرِ الدُّنْيَا.

فَإِذَا صَارُوا بِحَضْرَةِ عَدُوِّهِمُ انْقَطَعَ عِلْمُ أَهْلِ الدُّنْيَا عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ.

فَإِذَا بَرَزُوا لِعَدُوِّهِمْ، وأَشْرَعَتِ الأَسِنَّةُ، وفُوِّقَتِ السِّهَامُ، وتَقَدَّمَ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ، حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، ويَدْعُونَ اللهَ - تعالى - لَهُمْ بِالنَّصْرِ والتَّثْبِيتِ، ونَادى مُنَادٍ: الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ.

فَتَكُونُ الضَّرْبَةُ والطَّعْنَةُ عَلَى الشَّهِيدِ أَهْوَنَ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ فِي الْيَوْمِ الصَّائِفِ.

فَإِذَا أُزِيلَ الشَّهِيدُ عَنْ فَرَسِهِ بِطَعْنَةٍ أَوبِضَرْبَةٍ لَمْ يَصِلْ إِلَى الأَرْضِ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - زَوْجَتَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَتُبَشِّرُهُ بِمَا أَعَدَّ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ.

فَإِذَا وَصَلَ إِلَى الأَرْضِ تَقُولُ لَهُ: مَرْحَباً بِالرُّوحِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الْبَدَنِ الطَّيِّبِ. أَبْشِرْ فَإِنَّ لَكَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، ولاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

ويَقُولُ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ -: أَنَا خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ، ومَنْ أَرْضَاهُمْ فَقَدْ أَرْضَانِي، ومَنْ أَسْخَطَهُمْ فَقَدْ أَسْخَطَنِي.

ويَجْعَلُ اللَّهُ رُوحَهُ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ تَشَاءُ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ.

ويُعْطَى الرَّجُلُ مِنْهُمْ سَبْعِينَ غُرْفَةً مِنْ غُرَفِ الْفِرْدَوْسِ، سُلُوكُ كُلِّ غُرْفَةٍ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ والشَّامِ، يَمْلأُ نُورُهَا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ.

فِي كُلِّ غُرْفَةٍ سَبْعُونَ بَاباً، عَلَى كُلِّ بَابٍ سُتُورٌ مُسْبَلَةٌ.

فِي كُلِّ غُرْفَةٍ سَبْعُونَ خَيْمَةً.

فـي كُلِّ خَيْمَةٍ سَبْعُونَ سَرِيراً مِنْ ذَهَبٍ، قَوَائِمُهَا الدُّرُّ والزَّبَرْجَدُ مَرْصُوصَةٌ بِقُضْبَانِ الزُّمُرُّدِ.

عَلى كُلِّ سَرِيرٍ أَرْبَعُونَ فِرَاشاً.

عَلى كُلِّ فِرَاشٍ زَوْجَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ عُرُباً أَتْرَاباً.

قال الشاب: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن العربة التربة.

فقال عليه السلام: هِيَ الزَّوْجَةُ الْغَنجَةُ الرَّضِيَّةُ الْمَرْضِيَّةُ الشَّهِيَّةُ.

لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ وَصِيفٍ، وسَبْعُونَ أَلْفَ وَصِيفَةٍ، صُفْرُ الْحُلِيِّ، بِيضُ الْوُجُوهِ، عَلَيْهِمْ تِيجَانُ اللُّؤْلُؤِ، عَلى رِقَابِهِمُ الْمَنَادِيلُ، بِأَيْدِيهِمُ الأَكْوِبَةُ والأَبَارِيقُ.

وإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ شَاهِراً سَيْفَهُ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دَماً، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، والرَّائِحَةُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ، يَحْضُرُ فِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ.

فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوكَانَ الأَنْبِيَاءُ فِي طَرِيقِهِمْ لَتَرَجَّلُوا لَهُمْ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ بَهَائِهِمْ.

حَتَّى يَأْتُوا عَلى مَوَائِدَ مِنَ الْجَوْهَرِ فَيَقْعُدُونَ عَلَيْهَا.

ويُشَفَّعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وجِيرَتِهِ، حَتَّى أَنَّ الْجَارَيْنِ يَتَخَاصَمَانِ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ جِوَاراً.

فَيَقْعُدُونَ مَعِي ومَعَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلى مَائِدَةِ الْخُلْدِ، فَيَنْظُرُونَ إِلى اللهِ - تعالى- فِي كُلِّ يَوْمٍ بُكْرَةً وعَشِيّاً.

قال نوف: وعقد [علي عليه السلام بعد هذه الخطبة] للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد رحمه الله في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أُخر، وهويريد الرجعة إلى صفين.

فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم، فتراجعت العساكر، فكنّا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كل مكان.

خطبة له عليه السلام (٦٢)

قبيل موته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للَّه حَقَّ قَدْرِه مُتَّبِعينَ أمْرَهُ، وأحْمَدُهُ كَمَا أحَبَّ، ولاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ كَمَا انْتَسَبَ.

أيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُو، ولاَ تُرِكَ سُدىً فَيَلْغُو.

ومَا دُنْيَاهُ الَّتي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ منَ الآخِرَةِ الَّتي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ.

ومَا الْمَغْرُورُ الْخَسِيسُ الَّذي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأعْلَى هِمَّتِه كَالآخَرِ الَّذي ظَفِرَ مِنَ الآخِرَةِ بِأدْنَى سُهْمَتِه.

أيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِئٍ لاَقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ في فِرَارِه، والأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ إلَيْه، والْهَرَبُ مِنْهُ مُوافَاتُهُ.

كَمِ اطَّرَدْتُ الأيَّامَ أبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هذَا الأَمْرِ، فَأبَى الله - عَزَّ ذِكْرُهُ- إلاَّ إخْفَاءَهُ.

هَيْهَاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ.

واللَّه مَا فَجَأني منَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، ولاَ طَالِعٌ أنْكَرْتُهُ، ومَا كُنْتُ إلاَّ كَقَارِبٍ وَرَدَ، وطَالِبٍ وَجَدَ، وما عِنْدَ اللَّه خَيْرٌ لِلأبْرَارِ.

أمَّا وَصِيَّتي لَكُمْ: فَالله - جَلَّ ثَنَاؤُهُ- لاَ تُشْرِكُوا بِه، ومُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وأوْقِدُوا هذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وخَلاَكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا.

حَمَّلَ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وخَفَّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ، ودِينٌ قَوِيمٌ، وإِمَامٌ عَلِيمٌ.

أَنَا كُنْتُ بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وغَداً مُفَارِقُكُمْ.

إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ الْمُرَادُ، وإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، ومَهَابِّ رِيَاحٍ، وتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا، وعَفَا فِي الأَرْضِ مَخَطُّهَا، لَنْ يُحَابِيَنِي اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - إِلاَّ أَنْ أَتَزَلَّفَهُ بِتَقْوىً فَيَعْفُوعَنْ فَرَطِ مَوْعُودٍ.

وإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً تِبَاعاً، ولَيَالِيَ دِرَاكاً، وسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلاَءً، سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ، لِيَعِظَكُمْ هُدُوِّي، وخُفُوتُ إِطْرَاقِي، وسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ، مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ، والْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ.

ودَاعِي لَكُمْ وَدَاعَ امْرِئٍ مُرْصَدٍ لِلتَّلاَقِي.

غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، ويُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وتَعْرِفُونِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي، وقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا واصْفَحُوا، عَفَا اللهُ عَنَّا وعَنْكُمْ.

ألا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ.

ثم قال عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَدَّعِي قِبَلِي جَوْراً فِي حُكْمٍ، أَوظُلْماً فِي مَالٍ، فَلْيَقُمْ أَنْصِفْهُ مِنْ ذَلِكَ.

فقام رجل من القوم فأثنى عليه وأطراه وذكر مناقبه.

فقال علي عليه السلام: أَيُّهَا الْعَبْدُ، لَيْسَ هذَا حِينُ إِطْرَاءٍ، ومَا أُحِبُّ أَنْ يَحْضُرَنِي أَحَدٌ فِي هذَا الْمَحْضَرِ فِي غَيْرِ نَصِيحَةٍ.

واللهُ الشَّاهِدُ عَلَى مَنْ رَأَى شَيْئاً كَرِهَهُ فَلَمْ يُعْلِمْنِيهِ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْتَعْتِبَ مِنْ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ تَفُوتَ نَفْسِي.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ شَهِيدٌ، وكَفَى بِكَ شَهِيداً، أَنِّي بَايَعْتُ رَسُولَكَ وحُجَّتَكَ فِي أَرْضِكَ

مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، أنَا وثَلاثَةٌ مِنْ أهْلِ بَيْتي، عَلى أنْ لاَ نَدَعَ للَّه أمْراً إلاَّ عَمِلْنَاهُ، ولاَ نَدَعَ نَهْياً إلاَّ رَفَضْنَاهُ، ولاَ وَلِيّاً إلاَّ أحْبَبْنَاهُ، ولاَ عَدُوّاً إلاَّ عَادَيْنَاهُ، ولاَ نُوَلِّيَ ظُهُورَنَا عَدُوّاً، ولاَ نَملَّ عَنْ فَريضَة، ولاَ نَزْدَادَ للَّه ولرَسُوله إلاَّ نَصيحَةً.

فَقُتِلَ أصْحَابي، رَحْمَةُ اللَّه ورضْوَانُهُ عَلَيْهِمْ، وكُلُّهُمْ مِنْ أهْلِ بَيْتي: عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِث، قُتِلَ ببَدْر شَهيداً، رَحْمَةُ اللَّه عَلَيْه.

وعَمّي حَمْزَةُ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُد شَهيداً، رَحْمَةُ اللَّه ورضْوَانُهُ عَلَيْه.

وأخي جَعْفَرُ، قُتِلَ يَوْمَ مُؤْتَةَ شَهيداً، رَحْمَةُ اللَّه عَلَيْه.

فَأنْزَلَ اللَّهُ فيَّ وفي أصْحَابي-: ﴿**رجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْديلًا**﴾.

ثُمَّ وَعَدَنَا بفَضْله الْجَزَاءَ فَقَالَ-: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وبِرَحْمَتِه فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَخَيْرٌ ممَّا يَجْمَعُونَ**﴾.

وقَدْ آنَ لي فيمَا نَزَلَ بي أنْ أفْرَحَ بِنِعْمَةِ رَبّي.

فأثنى الناس عليه وضجّوا بالبكاء.

ثم قال عليه السلام: أيُّهَا النَّاسُ، أنَا أُحِبُّ أنْ أُشْهِدَ عَلَيْكُمْ أنْ لاَ يَقُومَ أحَدٌ فَيَقُولَ: أرَدْتُ أنْ أقُولَ فَخفْتُ، فَقَدْ أعْذَرْتُ بَيْني وبَيْنَكُمْ.

اللَّهُمَّ إلاَّ أنْ يَكُونَ أحَدٌ يُريدُ ظُلْمي والدَّعْوى عَلَيَّ بِمَا لَمْ أجْنِ.

أمَا إنّي لَمْ أسْتَحلَّ مِنْ أحَد مَالًا، ولَمْ أسْتَحلَّ مِنْ أحَد دَماً بِغَيْرِ حلّه.

جَاهَدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ بِأمْرِ اللَّه وأمْرِ رَسُوله، فَلَمَّا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ، جَاهَدْتُ مَنْ أمَرَني بِجِهَادِه مِنْ أهْلِ الْبَغْي، وسَمَّاهُمْ لي رَجُلًا رَجُلًا، وحَضَّني عَلى جِهَادِهِمْ.

وقَالَ: يَا عَليُّ، تُقَاتِلُ النَّاكثينَ، وسَمَّاهُمْ لي.

والْقَاسطينَ، وسَمَّاهُمْ لي.

والْمَارِقينَ، وسَمَّاهُمْ لي.

فَلاَ تَكْثُرْ مِنْكُمُ الأَقْوَالُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ مَا يَكُونُ الْمَرْءُ عِنْدَ هَذَا الْحَالِ.

فقال الناس خيراً وأثنوا عليه وبكوا.

فقال عليه السلام: غَفَرَ اللَّهُ لي ولَكُمْ.

عَلَيْكُمُ السَّلاَمُ إِلَى الْيَوْمِ اللِّزَامِ.

الباب الأول

فصل الكلمات

كلام له عليه السلام (١)

لذعلب اليماني

لما سأله: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: أَفَأَعْبُدُ مَا لاَ أرى.

فقال: وكيف تراه.

فقال عليه السلام: وَيْحَكَ يَا ذِعْلِبُ، لاَ تَرَاهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، ولكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ.

مَعْرُوفٌ بِالدَّلاَلاَتِ، مَنْعُوتٌ بِالْعَلاَمَاتِ.

لاَ يُقَاسُ بِالنَّاسِ، ولاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ.

يَا ذِعْلِبُ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلاَمِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ.

مُتَكَلِّمٌ لاَ بِرَوِيَّةٍ، ظَاهِرٌ لاَ بِتَأْوِيلِ الْمُبَاشَرَةِ، مُتَجَلٍّ لاَ بِاسْتِهْلاَلِ رُؤْيَةٍ، بَائِنٌ لاَ بِمَسَافَةٍ، قَرِيبٌ لاَ بِمُدَانَاةٍ، مُرِيدٌ لاَ بِهِمَّةٍ، صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَةٍ، دَرَّاكٌ لاَ بِمَحَسَّةٍ.

لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، عَظِيمُ الْعَظَمَةِ لاَ يُوصَفُ بِالْعِظَمِ، جَلِيلُ الْجَلاَلَةِ لاَ يُوصَفُ بِالْغِلَظِ، سَمِيعٌ لاَ [يُوصَفُ] بِـ[الْ]آلَةِ، بَصِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ.

قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فَلاَ يُقَالُ: (شَيْءٌ قَبْلَهُ)، وبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ فَلاَ يُقَالُ: (لَهُ بَعْدَهُ)، وفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ فَلاَ يُقَالُ: (شَيْءٌ فَوْقَهُ)، وأَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ فَلاَ يُقَالُ: (لَهُ أَمَامٌ).

هُوَ فِي الأَشْيَاءِ كُلِّهَا غَيْرُ مُتَمَازِجٍ بِهَا، وخَارِجٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ عَنْهَا.

مَوْجُودٌ لاَ بَعْدَ عَدَمٍ، فَاعِلٌ لاَ بِاضْطِرَارٍ، مُقَدِّرٌ لاَ بِحَرَكَةٍ.

لاَ تَحْوِيهِ الأَمَاكِنُ، ولاَ تَضْمُنُهُ الأَوْقَاتُ، ولاَ تَحُدُّهُ الصِّفَاتُ، ولاَ تَأْخُذُهُ السِّنَاتُ.

سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، والْعَدَمَ وُجُودُهُ، والابْتِدَاءَ أَزَلُهُ.

كَانَ رَبّاً إِذْ لاَ مَرْبُوبٌ، وإِلهاً إِذْ لاَ مَأْلُوهٌ، وعَالِماً إِذْ لاَ مَعْلُومٌ، وسَمِيعاً إِذْ لاَ مَسْمُوعٌ.

تَعْنُوالْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ، وتَتَهَالَكُ النُّفُوسُ عَلى مَرَاضِيهِ.

كلام له عليه السلام (٢)

لما قال له رجل: بماذا عرفت ربك؟

فقال عليه السلام: عَرَفْتُ الله - سُبْحَانَهُ - بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وحَلِّ الْعُقُودِ، ونَقْضِ الْهِمَمِ.

لَمَّا هَمَمْتُ فَحِيلَ بَيْنِي وبَيْنَ هَمِّي، وعَزَمْتُ فَخَالَفَ الْقَضَاءُ عَزْمِي، عَلِمْتُ أَنَّ الْمُدَبِّرَ لي غَيْرِي.

فقال له الرجل: فبما ذا شكرتَ نعماءه.

فقال عليه السلام: نَظَرْتُ إِلَى الْبَلاَءِ قَدْ صَرَفَهُ عَنِّي، وأَبْلى بِهِ غَيْرِي، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيَّ وأَنْعَمَ عَلَيَّ، فَشَكَرْتُهُ.

فقال له الرجل: فلما ذا أحببتَ لقاءه.

فقال عليه السلام: لَمَّا رَأَيْتُهُ قَد اخْتَارَ لي دِينَ مَلاَئِكَتِهِ ورُسُلِهِ وأَنْبِيَائِهِ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذي أَكْرَمَنِي بِهذَا لَيْسَ يَنْسَانِي فَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ.

كلام له عليه السلام (٣)

لما سئل عن التوحيد والعدل

فقال عليه السلام: التَّوْحِيدُ أَنْ لاَ تَتَوَهَّمَهُ، والْعَدْلُ أَنْ لاَ تَتَّهِمَهُ.

كلام له عليه السلام (٤)

لمّا سئل عن القدر

فقال عليه السلام: طَريقٌ مُظْلِمٌ فَلاَ تَسْلُكُوهُ، وبَحْرٌ عَميقٌ فَلاَ تَلجُوهُ، وسِرُّ اللَّه - سُبْحَانَهُ - فَلاَ تَتَكَلَّفُوهُ.

أَلاَ إِنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ منْ سِرِّ اللَّه، وسِتْرٌ منْ سِتْرِ اللَّه، وحِرْزٌ منْ حِرْزِ اللَّه، مَرْفُوعٌ في حِجَابِ اللَّه، مَطْوِيٌّ عَنْ خَلْقِ اللَّه، مَخْتُومٌ بِخَاتَمِ اللَّه، سَابِقٌ في عِلْمِ اللَّه، وَضَعَ اللَّهُ عَنِ الْعِبَادِ عِلْمَه، ورَفَعَهُ فَوْقَ شَهَادَاتِهِمْ ومَبْلَغِ عُقُولِهِمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَنَالُونَهُ بِحَقِيقَةِ الرَّبَّانِيَّة، ولاَ بِقُدْرَةِ الصَّمَدَانِيَّة، ولاَ بِعَظَمَةِ النُّورَانِيَّة، ولاَ بِعِزَّةِ الْوَحْدَانِيَّة، لأَنَّهُ بَحْرٌ زَاخِرٌ مَوَّاجٌ خَالِصٌ لِلَّه - عَزَّ وجَلَّ -، عُمْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، عَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ، أَسْوَدُ كَاللَّيْلِ الدَّامِسِ، كَثِيرُ الْحَيَّاتِ والْحِيتَانِ، يَعْلُومَرَّةً ويَسْفُلُ أُخْرى، في قَعْرِهِ شَمْسٌ تُضِيءُ، لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَطَّلِعَ إِلَيْهَا إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ. فَمَنْ تَطَلَّعَ إِلَيْهَا فَقَدْ ضَادَّ الله - عَزَّ وجَلَّ - في حُكْمِه، ونَازَعَهُ في سُلْطَانِه، وكَشَفَ عَنْ سِتْرِهِ وسِرِّه، وباءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّه ومَأْواهُ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمَصِيرُ.

وقيل له: أنبئنا عن القدر.

فقال عليه السلام: ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِه.

فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنما سألناك عن حدّ المشيئة التي نقوم بها ونقعد.

فقال عليه السلام: مشيئَةٌ تَمْلِكُونَهَا مَعَ اللَّه، أَمْ دُونَ اللَّه.

فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنَّكُمْ تَمْلِكُونَهَا مَعَ اللَّه فَقَدِ ادَّعَيْتُمْ مَعَ اللَّه شِرْكاً في مَشِيئَتِه [فَ]قَتَلْتُكُمْ.

وإِنْ قُلْتُمْ: دُونَ اللَّه فَقَدِ اكْتَفَيْتُمْ بِهَا عَنْ مَشِيئَةِ اللَّه [فَ]قَتَلْتُكُمْ.

فقالوا: كيف نقول يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: تَمْلِكُونَهَا بِاللَّه الَّذي يَمْلِكُهَا دُونَكُمْ، فَإِنْ أَمَدَّكُمْ بِهَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ عَطَائِه، وإِنْ سَلَبَهَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ بَلاَئِه. إِنَّمَا هُوالْمَالِكُ لِمَا مَلَّكَكُمْ، والْقَادِرُ لِمَا عَلَيْه أَقْدَرَكُمْ.

أَمَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ الْعِبَادُ، ويَسْأَلُونَهُ الْحَوْلَ والْقُوَّةَ، حَيْثُ يَقُولُونَ: لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

فسئل عن تفسيرها.

فقال عليه السلام: لاَ حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ إِلاَّ بِعِصْمَةِ الله - تعالى- ، ولاَ قُوَّةَ عَلى طَاعَتِه إِلاَّ بِعَوْنِه.

كلام له عليه السلام (٥)

في معنى قضاء اللّه وقدره

لمّا سأله رجل: أكان مسيرنا إلى أهل الشام وقتالنا إياهم بقضاء وقدر من اللّه.

فقال عليه السلام: نَعَمْ، يَا أَخَا أَهْلِ الشَّامِ.

والَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا عَلَوْنَا تَلْعَةً، ولاَ هَبَطْنَا بَطْنَ وَادٍ، ومَا وَطِئْنَا مَوْطِئاً، إِلاَّ وللَّه فيه قَضَاءٌ وقَدَرٌ.

فقال الرجل: فعند اللّه أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين. ما أرى أن لي من الأجر شيئاً في سعيي إذا كان اللّه قضاه عليّ وقدّره لي.

فقال عليه السلام: مَهْ، يَا شَيْخُ، فَواللَّه لَقَدْ أَعْظَمَ اللَّهُ لَكُمُ الأَجْرَ عَلى مَسيرِكُمْ وأَنْتُمْ سَائِرُونَ، وعَلى مُقَامِكُمْ وأَنْتُمْ مُقيمُونَ، وفي مُنْحَدَرِكُمْ وأَنْتُمْ مُنْحَدِرُونَ، وفي مُنْصَرَفِكُمْ وأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ، ولَمْ تَكُونُوا في شَيْءٍ مِنْ حَالاَتِكُمْ مُكْرَهِينَ ولاَ إِلَيْهَا مُضْطَرِّينَ.

فقال الرجل: وكيف لم نكن مُكرهين ولا مضطرّين وكان بالقضاء والقدَر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا.

فقال عليه السلام: وَيْحَكَ، يَا أَخَا أَهْلِ الشَّامِ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لاَزِماً، وقَدَراً حَاتِماً

ولَو كَانَ ذَلكَ كَذَلكَ لَبَطَلَ الأَمْرُ والنَّهْيُ مِنَ الله - عز وجل -، وَالثَّوَابُ والْعِقَابُ، وسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ والْوَعيدِ فَلَمْ يَكُنْ لمُسيءٍ لاَئمَةٌ مِنَ اللَّه، ولاَ لمُحْسنٍ مِنْهُ مَحْمَدَةٌ ولَمَا كَانَ الْمُحْسنُ أَوْلى بِثَوَابِ الاحْسَانِ مِنَ الْمُسيءِ، ولاَ كَانَ الْمُسيءُ أَوْلى بِعُقُوبَةِ الْمُذْنبِ مِنَ الْمُحْسنِ.

لاَ تَظُنَّ ذَلكَ، فَإِنَّ الْقَوْلَ بِهِ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ، وحِزْبِ الشَّيْطَانِ، وخُصَمَاءِ الرَّحْمنِ، وشُهُودِ الزُّورِ، وأَهْلِ الْعَمى عَنِ الصَّوَابِ، وهُمْ قَدَرِيَّةُ هذه الأُمَّةِ ومَجُوسُهَا.

يَا شَيْخُ إِنَّ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - أَمَرَ عِبَادَهُ بِالْخَيْرِ تَخْييراً، ونَهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ تَحْذيراً، وكَلَّفَ يَسيراً ولَمْ يُكَلِّفْ عَسيراً، وأَعْطى عَلَى الْقَليلِ كَثيراً ولَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، ولَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، ولَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً، ولَمْ يُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ إِلى خَلْقِه مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ لَعِباً، ولَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، ولاَ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ذلكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

فسأله الرجل: فما القضاء والقدَر عندك اللذان ما سرنا إلا بهما.

فقال عليه السلام: هُوالأَمْرُ مِنَ اللَّه - تعالى - بِالطَّاعَةِ، والنَّهْيُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، والتَّمْكِينُ مِنْ فِعْلِ الْحَسَنَةِ وتَرْكِ السَّيِّئَةِ، والْمَعُونَةُ عَلَى الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ، والْخِذْلاَنُ لِمَنْ عَصَاهُ، والْوَعْدُ والْوَعيدُ، والتَّرْغيبُ والتَّرْهيب.

كُلُّ ذَلكَ قَضَاءُ اللَّه في أَفْعَالنَا وقَدَرُهُ لأَعْمَالنَا.

[ثم تلا عليه السلام قوله تعالى:] ﴿وقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾. وقوله تعالى -: ﴿وكانَ أَمْرُ اللَّه قَدَراً مَقْدُوراً﴾.

[ثمّ قال عليه السلام:] فَأَمَّا غَيْرَ ذَلكَ فَلاَ تَظُنَّهُ، فَإِنَّ الظَّنَّ لَهُ مُحْبِطٌ لِلأَعْمَالِ.

كلام له عليه السلام (٦)

لمن سأله عن الإيمان والنفاق

قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ مُسْلِماً ولاَ يَكُونُ مُؤْمِناً، ولاَ يَكُونُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ مُسْلِماً.

والإِسْلاَمُ والإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ.

إِنَّ الإِيمَانَ يَبْدُولُمْظَةً فِي الْقَلْبِ فَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ الصَّالِحَاتِ نَمَا وزَادَ.

[وَ] كُلَّمَا ازْدَادَ الإِيمَانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ عِظَماً، فَإِذَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانُ ابْيَضَّ الْقَلْبُ كُلُّهُ.

فَمِنَ الإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ، ومِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ الْقُلُوبِ والصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ.

[وَ] عَلاَمَةُ الإِيمَانِ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وأَنْ لاَ يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ، وأَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ.

فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

وإِنَّ النِّفَاقَ يَبْدُونُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي الْقَلْبِ، فَإِذَا انْتَهَكْتَ الْحُرُمَاتِ نَمَتْ وزَادَتْ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ النِّفَاقُ اسْوَدَّ الْقَلْبُ كُلُّهُ، فَيُطْبَعُ بِذَلِكَ الْخَتْمُ.

ثم تلا عليه السلام: كَلاَّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ.

كلام له عليه السلام (٧)

لكميل بن زياد رحمه الله في قواعد الإسلام ومعنى الاستغفار

قَوَاعِدُ الإِسْلاَمِ سَبْعَةٌ: فَأَوَّلُهَا، الْعَقْلُ، وعَلَيْهِ بُنِيَ الصَّبْرُ.

والثَّانِيَةُ، صَوْنُ الْعِرْضِ، وصِدْقُ اللَّهْجَةِ.

والثَّالِثَةُ، تِلاَوَةُ الْقُرْآنِ عَلَى جِهَتِهِ.

والرَّابِعَةُ، الْحُبُّ فِي اللَّهِ والْبُغْضُ فِي اللَّهِ.

والْخَامِسَةُ، حَقُّ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ ومَعْرِفَةُ ولاَيَتِهِمْ.

والسَّادِسَةُ، حَقُّ الإِخْوَانِ والْمُحَامَاةُ عَنْهُمْ.

والسَّابِعَةُ، مُجَاوَرَةُ النَّاسِ بِالْحُسْنَى.

قلت: يا أمير المؤمنين، العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه، فما حدّ الاستغفار.

فقال عليه السلام: يَا ابْنَ زِيَادٍ، حَدُّ الاسْتِغْفَارِ التَّوْبَةُ.

قلت: بس.

قال عليه السلام: لاَ.

قلت: فكيف.

قال عليه السلام: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَصَابَ ذَنْباً يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، بِالتَّحْرِيكِ.

قلت: وما التحريك.

قال عليه السلام: الشَّفَتَانِ واللِّسَانُ، يُرِيدُ أَنْ يُتْبِعَ ذَلِكَ بِالْحَقِيقَةِ.

قلت: وما الحقيقة.

قال عليه السلام: تَصْدِيقٌ فِي الْقَلْبِ، وإِضْمَارُ أَنْ لاَ يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ الَّذِي اسْتَغْفَرَ مِنْهُ.

قلت: فإذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين.

قال عليه السلام: لاَ.

قلت: فكيف ذلك.

قال عليه السلام: لأَنَّكَ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى الأَصْلِ بَعْدُ.

قلت: فأصل الاستغفار ما هو.

قال عليه السلام: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ، أَتَدْرِي مَا حَدُّ الاسْتِغْفَارُ.

إِنَّ الاسْتِغْفَارَ [هُوَ] التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي اسْتَغْفَرْتَ مِنْهُ، وهِيَ أَوَّلُ دَرَجَةِ الْعَابِدِينَ الْعِلِّيِّينَ. والاسْتِغْفَارُ هُواسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا، النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى.

والثَّانِي، الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً.

والثَّالِثُ، أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمُ الَّتِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ - عَزَّ وجَلَّ - أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ.

والرَّابِعُ، أَنْ تَعْمَدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّي حَقَّهَا.

والْخَامِسُ، أَنْ تَعْمَدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ والْحَرَامِ والْمَعَاصِي فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ، حَتَّى يَلْصَقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، ويَنْشَأَ فِيمَا بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ.

والسَّادسُ، أنْ تُذيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ الْمَعْصِيَةِ.
فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

كلام له عليه السلام (٨)

قاله بعد تلاوته: ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر

يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ، وزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ، وخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ، وحُطَاماً مَا أَفْزَعَهُ.
لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكَرٍ، وتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.
أَ فَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ.
أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ.
يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ، وحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ.
ولأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً، ولأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ، أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ.
لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ، وضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ.
ولَوِاسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، والرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا فِي الأَرْضِ ضُلاَّلًا، وذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا، تَطَؤُونَ فِي هَامِهِمْ، وتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ، وتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا، وتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا، وإِنَّمَا الأَيَّامُ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ ونَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.
أُولَئِكَ سَلَفُ غَايَتِكُمْ، وفَرَطُ مَنَاهِلِكُمْ.
الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ، وحَلَبَاتُ الْفَخْرِ، مُلُوكاً وسُوَقاً، سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا، سُلِطَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لاَ يَنْمُونَ، وضِمَاراً لاَ يُوجَدُونَ، لاَ يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ

الأَهْوَال، ولاَ يَحْزنُهُمْ تَنكُّرُ الأَحْوَال، ولاَ يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ، ولاَ يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ، غُيَّباً لاَ يُنْتَظَرُونَ، وشُهُوداً لاَ يَحْضُرُونَ.

وإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وأُلَّافاً فَافْتَرَقُوا ومَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، ولاَ بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وصَمَّتْ دِيَارُهُمْ، ولكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وبِالسَّمْعِ صَمَماً، وبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَات.

جِيرَانٌ لاَ يَتَأَنَّسُونَ، وأَحِبَّاءُ لاَ يَتَزَاوَرُونَ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ، وانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الإِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وهُمْ جَمِيعٌ، وبِجَانِبِ الْهَجْرِ وهُمْ أَخِلاَّءُ.

لاَ يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً، ولاَ لِنَهَارٍ مَسَاءً، أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً.

شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا، ورَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكَلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ والرَّجَاءِ. فَلَو كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا ومَا عَايَنُوا.

ولَئِنْ دَرَسَتْ آثَارُهُمْ، وانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ، وسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وخَوَتِ الأَجْسَادُ النَّوَاعِمُ، ولَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وتَكَاءَدْنَا ضِيقَ الْمَضْجَعِ، وتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، ولَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، ولاَ مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً.

فَلَو مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَو كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ، واكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وتَقَطَّعَتِ الأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا، وهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا، وعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلَىً سَمَّجَهَا، وسَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٌ فَلاَ أَيْدٍ تَدْفَعُ، ولاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ،

لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوب، وأَقْذَاءَ عُيُون.

لَهُمْ في كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ، وغَمْرَةٌ لاَ تَنْجَلي.

فَكَمْ أَكَلَت الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَد، وأَنِيقِ لَوْن، كَانَ في الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَف، ورَبِيبَ شَرَف، يَتَعَلَّلُ بالسُّرُور في سَاعَةِ حُزْنِه، ويَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِه، ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِه، وشَحَاحَةً بِلَهْوِه ولَعِبه، فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وتَضْحَكُ إِلَيْه في ظِلِّ عَيْشٍ غَفُول، إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِه حَسَكَهُ، ونَقَضَت الأَيَّامُ قُوَاهُ، ونَظَرَتْ إِلَيْه الْحُتُوفُ مِنْ كَثَب، فَخَالَطَهُ بَتٌّ لاَ يَعْرِفُهُ، ونَجِيٌّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وتَوَلَّدَتْ فيه فَتَرَاتُ عِلَلٍ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِه، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلاَّ ثَوَّرَ حَرَارَةً، ولاَ حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلاَّ هَيَّجَ بُرُودَةً، ولاَ اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلاَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاء.

حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِه، وخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُوَ لِمَا بِه، ومُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِه، ومُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِه، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِه.

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وتَرْكِ الأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِه، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِه، ويَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِه، فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِه عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّه، ودُعَاءٍ مُؤْلِمٍ لِقَلْبِه سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ.

وإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

كلام له عليه السلام (٩)

عند تلاوته: يسبِّح له فيها بالغدووالآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه

إِنَّ اللَّـهَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاَءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ.

ومَا بَرِحَ للَّهِ، عَزَّتْ آلاَؤُهُ، فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الأَبْصَارِ والأَسْمَاعِ والأَفْئِدَةِ.

يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، ويُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ.

مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، ومَنْ أَخَذَ يَميناً وشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ. وكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلَمَاتِ، وأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

وإِنَّ لِلذِّكْرِ لأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ ولاَ بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، ويَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، ويَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ ويَأْتَمِرُونَ بِهِ، ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ويَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ.

فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ وهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، وكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الاقَامَةِ فِيهِ، وحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى النَّاسُ، ويَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ.

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ، ومَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ، عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْنَهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وحَمَّلُوا ثِقْلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلاَلِ

بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجاً.

وتَجَاوَبُوا نَحِيباً، يَعِجُّونَ إِلى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ واعْتِرَافٍ عَجِيجاً، لَرَأَيْتَ أَعْلاَمَ هُدىً، ومَصَابِيحَ دُجَىً.

قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ، وتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقْعَدٍ اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ، وحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلى فَضْلِهِ، وأُسَارى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ.

جَرَحَ طُولُ الأَسى قُلُوبَهُمْ، وطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ.

لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، ولاَ يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ.

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

كلام له عليه السلام (١٠)

قاله عند تلاوته: يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً، وأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً.

لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلى ذَنْبِكَ، ومَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، ومَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ.

أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقْظَةٌ.

أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ.

فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتَظِلُّهُ، أَوتَرَى الْمُبْتَلى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ، فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبَّرَكَ، أَيُّهَا الْمُبْتَلى، عَلى دَائِكَ، وجَلَّدَكَ عَلى مُصَابِكَ، وعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلى نَفْسِكَ، وهِيَ أَعَزُّ الأَنْفُسِ عَلَيْكَ.

وكَيْفَ لاَ تُوقِظُكَ آيَاتُ نِعَمِ اللَّهِ خَوْفَ بَيَاتِ نِقَمِهِ، وقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ.

فَتَدَاوَمِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، ومِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقْظَةٍ، وكُنْ للَّهِ - سُبْحَانَهُ - مُطِيعاً، وبِذِكْرِهِ أنِيساً.

وتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلى عَفْوِهِ، ويَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ، وأَنْتَ مُتَوَلٍ عَنْهُ إِلى غَيْرِهِ.

فَتَعَالَى اللَّهُ مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ، وتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، وأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، ولَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ.

بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرِفَ عَيْنٍ، فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوسَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوبَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ. فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوأَطَعْتَهُ.

وأَيْمُ اللَّهِ، لَوأَنَّ هذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الأَخْلاَقِ، ومَسَاوِئِ الأَعْمَالِ.

وحَقّاً أَقُولُ: مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، ولكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، ومَا الْعَاجِلَةُ خَدَعَتْكَ، ولكِنْ بِهَا انْخَدَعْتَ.

ولَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتُ، وآذَنَتْكَ عَلى سَوَاءٍ، ولَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلاَءِ بِجِسْمِكَ، والنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وأَوْفى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوتَغُرَّكَ.

ولَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ.

ولَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، والرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وبَلاَغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، والشَّحِيحِ بِكَ.

ولَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً، ومَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلّاً.

وإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وحَقَّتْ بِجَلاَئِلِهَا الْقِيَامَةُ، ولَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ، وبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِه، فَلَمْ يُجْرَ فِي عَدْلِه وقِسْطِه يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، ولاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِي الأَرْضِ، إِلاَّ بِحَقِّه، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وعَلاَئِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ.

فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِه عُذْرُكَ، وتَثْبُتُ بِه حُجَّتُكَ، وخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لاَ تَبْقَى لَهُ، وتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ، وشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ، وارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

كلام له عليه السلام (١١)

في قوله تعالى: ثم لتُسئلُنّ يومئذ عن النعيم

هُوالأَمْنُ والصِّحَّةُ والْقُوَّةُ والْعَافِيَةُ.

كلام له عليه السلام (١٢)

في قوله تعالى: فاصفح الصفح الجميل

الصَّفْحُ بِلاَ عِتَابٍ.

كلام له عليه السلام (١٣)

في قوله تعالى: أكّالون للسُّحت

هُوالرَّجُلُ يَقْضِي لأَخِيهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ يَقْبَلُ هَدِيَّتَهُ.

كلام له عليه السلام (١٤)

في قوله تعالى: فلنُحيينَّه حياة طيبة

هِيَ الْقَنَاعَةُ.

كلام له عليه السلام (١٥)

في قوله تعالى: إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان

الْعَدْلُ: الِانْصَافُ، والِاحْسَانُ: التَّفَضُّلُ.

كلام له عليه السلام (١٦)

في قوله تعالى: له مُعقِّبات من بين يديه ومن خلفه

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِه مِنْ أَنْ يُصيبَهُ حَجَرٌ، أَويَخِرَّ مِنْ جَبَلٍ، أَوتُصيبَهُ آفَةٌ، [أَوْ] يَتَرَدَّى فِي بِئْرٍ، أَويَقَعَ عَلَيْهِ حَائِطٌ، أَويَأْكُلَهُ سَبُعٌ، مَا لَمْ يَأْتِ الْقَدَرُ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وبَيْنَهُ.

كلام له عليه السلام (١٧)

لما سئل عن سبب عدم استجابة الدعوات مع قول الله تعالى:

ادعوني أستجب لكم

إِنَّ قُلُوبَكُمْ جَاءَتْ بِثَمَانِ خِصَالٍ:

أَوَّلُهَا، أَنَّكُمْ عَرَفْتُمُ اللَّهَ فَلَمْ تُؤَدُّوا حَقَّهُ كَمَا أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْكُمْ مَعْرِفَتُكُمْ شَيْئاً.

والثَّانِيَةُ، أَنَّكُمْ آمَنْتُمْ بِرَسُولِهِ ثُمَّ خَالَفْتُمْ سُنَّتَهُ، وأَمَتُّمْ شَرِيعَتَهُ، فَأَيْنَ ثَمَرَةُ إِيمَانِكُمْ.

والثَّالِثَةُ، أَنَّكُمْ قَرَأْتُمْ كِتَابَهُ الْمُنْزَلَ عَلَيْكُمْ فَلَمْ تَعْمَلُوا بِهِ، وقُلْتُمْ: سَمِعْنَا وأَطَعْنَا، ثُمَّ خَالَفْتُمْ.

والرَّابِعَةُ، أَنَّكُمْ قُلْتُمْ: إِنَّكُمْ تَخَافُونَ مِنَ النَّارِ، وأَنْتُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ تَقْدُمُونَ عَلَيْهَا بِمَعَاصِيكُمْ، فَأَيْنَ خَوْفُكُمْ.

والْخَامِسَةُ، أَنَّكُمْ قُلْتُمْ: إِنَّكُمْ تَرْغَبُونَ فِي الْجَنَّةِ، وأَنْتُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ تَفْعَلُونَ مَا يُبَاعِدُكُمْ مِنْهَا، فَأَيْنَ رَغْبَتُكُمْ فِيهَا.

والسَّادِسَةُ، أَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ نِعَمَ اللَّهِ ولَمْ تَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا.

والسَّابِعَةُ، أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِعَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ وقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، فَعَادَيْتُمُوهُ بِالْقَوْلِ، ووَالَيْتُمُوهُ بِالْمُخَالَفَةِ.

والثَّامِنَةُ، أَنَّكُمْ جَعَلْتُمْ عُيُوبَ النَّاسِ نَصْبَ أَعْيُنِكُمْ، وعُيُوبَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، تَلُومُونَ مَنْ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِاللَّوْمِ مِنْهُ.

فَأَيُّ دُعَاءٍ يُسْتَجَابُ لَكُمْ مَعَ هذَا، وقَدْ سَدَدْتُمْ أَبْوَابَهَا وطُرُقَهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، وأَصْلِحُوا أَعْمَالَكُمْ، وأَخْلِصُوا سَرَائِرَكُمْ، وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ لَكُمْ دُعَاءَكُمْ.

كلام له عليه السلام (١٨)

لسلمان الفارسي رحمه اللّه

لمّا سأله: كيف يحاسب اللّه الخلق يوم القيامة على كثرتهم.

فقال عليه السلام: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلى كَثْرَتِهِمْ.

فقيل: كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال عليه السلام: كَمَا يَرْزُقُهُمْ ولاَ يَرَوْنَهُ.

كلام له عليه السلام (١٩)

لما قيل له: لوسُدّ على رجل باب بيته، وتُرك فيه، من أين يأتيه رزقه

فقال عليه السلام: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ.

كلام له عليه السلام (٢٠)

لمّا سأله الحسن عليه السّلام عن حب الناس للدنيا

النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا، ولاَ يُلاَمُ الْمَرْءُ عَلى حُبِّ أُمِّهِ.

كلام له عليه السلام (٢١)

لرجل سأله أن يعظه

لاَ تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُوالآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ، ويُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ.

يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، ويَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ.

يُظْهِرُ فِيهَا شِيمَةَ الْمُحْسِنِينَ، ويُبْطِنُ فِيهَا عَمَلَ الْمُسِيئِينَ.

إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ.

يَقُولُ: لاَ أَعْمَلُ فَأَتَعَنَّى، بَلْ أَجْلِسُ فَأَتَمَنَّى.

يُبَادِرُ أَبَداً مَا يَفْنَى، ويَدَعُ أَبَداً مَا يَبْقَى.

لاَ يَقْنَعُ مِنَ الرِّزْقِ بِمَا قُسِمَ لَهُ، ولاَ يَثِقُ مِنْهُ بِمَا ضُمِنَ لَهُ، ولاَ يَعْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا فُرِضَ عَلَيْهِ.

يَعْجَزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، ويَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ.

يَنْهَى النَّاسَ ولاَ يَنْتَهِي، ويَأْمُرُهُمْ بِمَا لاَ يَأْتِي.

يَتَكَلَّفُ مِنَ النَّاسِ مَا لَمْ يُؤْمَرْ، ويُضَيِّعُ مِنْ نَفْسِهِ مَا هُوَ أَكْثَرُ.

يَرْجُو ثَوَابَ مَا لَمْ يَعْمَلْ، ويَأْمَنُ عِقَابَ جُرْمٍ مُتَيَقَّنٍ.

يَتَمَنَّى الْمَغْفِرَةَ ويَدْأَبُ فِي الْمَعْصِيَةِ.

يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولاَ يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، ويُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وهُوَ أَحَدُهُمْ.

يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، ويُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ.

إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً، وإِنْ صَحَّ أَمِنَ لاَهِياً.

يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، ويَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ.

إِنْ أَصَابَهُ بَلاَءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً.

تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلى مَا يَظُنُّ، ولاَ يَغْلِبُهَا عَلى مَا يَسْتَيْقِنُ.

يَسْتَمِيلُ وُجُوهَ النَّاسِ بِتَدَيُّنِه، ويُبْطِنُ ضِدَّ مَا يُعْلِنُهُ.

يَتَعَوَّذُ بِاللَّه مِمَّنْ هُودُونَهُ، ولاَ يَتَعَوَّذُ مِمَّنْ هُوفَوْقَهُ.

يَخَافُ عَلى غَيْرِه بِأَدْنى مِنْ ذَنْبِه، ويَرْجُولِنَفْسِه بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِه.

إِنِ اسْتَغْنى بَطِرَ وَفُتِنَ، وإِنِ افْتَقَرَ قَنَطَ ووَهَنَ، وإِنْ مَرِضَ حَزِنَ، فَهُوبَيْنَ الذَّنْبِ والنِّعْمَةِ يَرْتَعُ.

يُعَافى فَلاَ يَشْكُرُ، ويُبْتَلى فَلاَ يَصْبِرُ.

يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، ويُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ.

إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ وسَوَّفَ التَّوْبَةَ، وإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ.

يَصِفُ الْعِبْرَةَ ولاَ يَعْتَبِرُ، ويُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ولاَ يَتَّعِظُ، فَهُوبِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، ومِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ.

يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنى، ويُسَامِحُ فِيمَا يَبْقى.

يَرَى الْمَغْنَمَ مَغْرَماً، والْمَغْرَمَ مَغْنَماً.

يَخْشَى الْمَوْتَ ولاَ يُبَادِرُ الْفَوْتَ.

يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِه مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِه، ويَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِه مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِه، فَهُوعَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ، ولِنَفْسِه مُدَاهِنٌ.

اللَّهْومَعَ الأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْه مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ.

يَحْكُمُ عَلى غَيْرِه لِنَفْسِه، ولاَ يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِه.

يُرْشِدُ غَيْرَهُ ويُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُويُطَاعُ ويَعْصِي، ويَسْتَوْفِي ولاَ يُوفِي.

ويَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّه، ولاَ يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِه.

كَأَنَّ الْمُحَذَّرَ مِنَ الْمَوْتِ سِوَاهُ، وكَأَنَّ مَنْ وُعِدَ وزُجِرَ غَيْرُهُ.

[ثم قال عليه السلام:] يَا أَغْرَاضَ الْمَنَايَا، يَا رَهَائِنَ الْمَوْتِ، يَا وِعَاءَ الأَسْقَامِ، يَا نُهْبَةَ الأَيَّامِ، ويَا نَقَلَةَ الدَّهْرِ، ويَا فَاكِهَةَ الزَّمَانِ، ويَا نُورَ الْحَدَثَانِ، ويَا خُرْسَ عِنْدَ الْحُجَجِ، ويَا مَنْ غَمَرَتْهُ الْفِتَنُ وَحِيلَ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَعْرِفَةِ الْعِبَرِ، بِحَقٍّ أَقُولُ: مَا نَجَا مَنْ نَجَا إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ نَفْسِهِ، ومَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ إِلاَّ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ.

قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ ناراً﴾.

جَعَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَمِعَ الْوَعْظَ فَقَبِلَ، ودُعِيَ إِلَى الْعَمَلِ فَعَمِلَ.

كلام له عليه السلام (٢٢)

كان كثيراً ينادي أصحابه به بعد صلاة العشاء

أَيُّهَا النَّاسُ، تَجَهَّزُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا.

تَزَوَّدُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، وانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً، ومَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لاَ بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، والْوُقُوفِ عِنْدَهَا.

فَإِمَّا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ نَجَوْتُمْ مِنْ هَوْلِهَا، وعِظَمِ خَطَرِهَا، وفَظَاعَةِ مَنْظَرِهَا، وشِدَّةِ مُخْتَبَرِهَا، وإِمَّا بِهَلَكَةٍ لَيْسَ بَعْدَهَا نَجَاةٌ.

فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشِّقْوَةِ.

واعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، ومُعْضِلاَتُ الْمَحْذُورِ، فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا، واسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

كلام له عليه السلام (٢٣)

لمّا شكى إليه رجلٌ الحاجة

يَا ابْنَ آدَمَ، اعْلَمْ أنَّ مَا كَسَبْتَ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ قُوتِكَ فَإنَّمَا أنْتَ فيه خَازِنٌ لغَيْرِكَ، يَكْثُرُ فِي الدُّنْيَا فيه تَعَبُكَ، ويَحْظَى بِه وَارِثُكَ، فَاسْعَدْ بِمَالِكَ في حَيَاتِكَ، وقَدِّمْ لِيَوْمِ مَعَادِكَ زَاداً يَكُونُ لَكَ أمَامَكَ، فَإنَّ السَّفَرَ بَعِيدٌ، والْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ، والْمَوْرِدُ الْجَنَّةُ أوالنَّارُ.

يَا ابْنَ آدَمَ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، واعْمَلْ فيه مَا تُؤْثِرُ أنْ يُعْمَلَ فيه مِنْ بَعْدِكَ.

يَا ابْنَ آدَمَ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ، ومَطْلُوبٌ.

فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يَأْخُذَ بِعُنُقِه [وَ] يُخْرِجَهُ مِنْهَا، ولاَ يُدْرِكُ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ مَا قُسِمَ لَهُ، ومَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا.

يَا ابْنَ آدَمَ، لاَ تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذي لَمْ يَأْتِكَ عَلى يَوْمِكَ الَّذي قَدْ أتَاكَ، فَإنَّهُ إنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - فيه بِرِزْقِكَ، وإنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا هَمُّكَ بِمَا لَيْسَ مِنْ أجَلِكَ.

يَا ابْنَ آدَمَ، إذَا رَأيْتَ رَبَّكَ - سُبْحَانَهُ - يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وأنْتَ تَعْصِيه فَاحْذَرْهُ.

وإذَا رَأيْتَ رَبَّكَ يُوَالِي عَلَيْكَ الْبَلاَءَ فَاشْكُرْهُ.

مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ، مَكْتُومُ الأجَلِ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ، وتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ، وتُمِيتُهُ الْغَرْقَةُ.

مَا لابْنِ آدَمَ والْفَخْرِ، أوَّلُهُ نُطْفَةٌ قَذِرَةٌ، وآخِرُهُ جِيفَةٌ مَذِرَةٌ، وهُوبَيْنَ ذَلِكَ يَحْمِلُ عَذِرَةً، ولاَ يَرْزُقُ نَفْسَهُ، ولاَ يَدْفَعُ حَتْفَهُ.

كلام له عليه السلام (٢٤)

لمّا رُئي عليه إزار خلَق مرقوع، فقيل له في ذلك

فقال عليه السلام: يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، ويَقْتَدي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، [وهُوَ] أَشْبَهُ بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ.

ثم قال عليه السلام: إنَّ الدُّنْيَا والآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وسَبِيلاَنِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وتَوَلاَّهَا أَبْغَضَ الآخِرَةَ وعَادَاهَا.

وهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ ومَاشٍ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ عَنِ الآخَرِ، وهُمَا بَعْدُ ضُرَّتَانِ.

كلام له عليه السلام (٢٥)

وقد مرّ مع أصحابه بقذر على مزبلة

فقال عليه السلام: هذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ.

هذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالأَمْسِ.

كلام له عليه السلام (٢٦)

لمن أسف على مال فقده

لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ، وحَازَ لَكَ الشُّكْرُ.

ولَنْ يَضِيعَ مِنْ سَعْيِكَ مَا أَصْلَحَكَ وأَكْسَبَكَ الأَجْرَ.

كلام له عليه السلام (٢٧)

لنوف البكالي

قال نوف البكالي: كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، فرأيته وقد خرج من فراشه، ونظر في النجوم ثم قرأ آيات آل عمران إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ والْأَرْضِ ثم قال لي: يَا نَوْفُ، أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ.

فَقلت: بل رامق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: يَا نَوْفُ، طُوبى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ، أُولئِكَ قَوْمٌ وُعِظُوا فَاتَّعَظُوا، وخُوِّفُوا فَحَذِرُوا، وعَلِمُوا فَعَمِلُوا.

إِنْ أَصَابَهُمْ يُسْرٌ شَكَرُوا، وإِنْ أَصَابَهُمْ عُسْرٌ صَبَرُوا.

إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ اتَّزَرُوا عَلَى الأَوْسَاطِ، وارْتَدَوْا عَلَى الأَطْرَافِ، وصَفُّوا الأَقْدَامَ، وافْتَرَشُوا الْجِبَاهَ، وإِذَا تَجَلَّى النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، إِنْ شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا، وإِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا.

إِتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً، وتُرَابَهَا فِرَاشاً، ومَاءَهَا طِيباً، والْقُرْآنَ شِعَاراً، والدُّعَاءَ دِثَاراً، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

لاَ يَهِرُّونَ هَرِيرَ الْكِلاَبِ، ولاَ يَطْمَعُونَ طَمَعَ الْغُرَابِ.

إِنْ رَأَوْا مُؤْمِناً أَكْرَمُوهُ، وإِنْ رَأَوْا فَاسِقاً هَجَرُوهُ.

شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ، وأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ.

إِخْتَلَفَتْ مِنْهُمُ الأَبْدَانُ، ولَمْ تَخْتَلِفْ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ.

يَا نَوْفُ، إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وجَلَّ - أَوْحى إِلى عَبْدِهِ عِيسَى الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنْ مُرْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ لاَ يَدْخُلُوا بَيْتاً مِنْ بُيُوتِي إِلاَّ بِقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ وَجِلَةٍ، وأَبْصَارٍ خَاشِعَةٍ،

وأكُفّ نَقِيَّة، وأعْلمْهُمْ أنّي لاَ أسْتَجيبُ لأحَد منْهُمْ دَعْوَةً ولأحَد منْ خَلْقي عنْدَهُ مَظْلَمَةٌ.

يَا نَوْفُ، إنَّ نَبيَّ اللَّه دَاوُدَ عَلَيْه السَّلاَمُ قَامَ ذَاتَ لَيْلَة في مثْل هذه السَّاعَة منَ اللَّيْل فَنَظَرَ إلَى السَّمَاء فَقَالَ: إنَّهَا لَسَاعَةٌ لاَ يَدْعُوفيهَا عَبْدٌ إلاَّ اسْتُجيبَ لَهُ، إلاَّ أنْ يَكُونَ عَشَّاراً، أوعَريفاً، أوشُرْطيّاً، أوجَابياً، أوصَاحبَ عَرْطَبَة، أوصَاحبَ كُوبَة.

يَا نَوْفُ، إنْ سَرَّكَ أنْ تَكُونَ مَعيَ يَوْمَ الْقيَامَة فَلاَ تَكُنْ للظَّالمينَ مُعيناً.

يَا نَوْفُ، إيَّاكَ أنْ تَتَزَيَّنَ للنَّاس، وتُبَارزَ اللَّهَ بالْمَعَاصي، فَيَفْضَحُكَ اللَّهُ يَوْمَ تَلْقَاهُ.

يَا نَوْفُ، أحْسنْ يُحْسنِ اللَّهُ إلَيْكَ.

يَا نَوْفُ، صلْ رَحمَكَ كُلَّ يَوْم ولَيْلَة يَزِد اللَّهَ في عُمُرِكَ، وحَسِّنْ خُلُقَكَ يُخَفِّف اللَّهُ حسَابَكَ.

يَا نَوْفُ، ارْحَمْ تُرْحَمْ.

يَا نَوْفُ، قُلْ خَيْراً تُذْكَرْ بخَيْر.

يَا نَوْفُ، اجْتَنب الْغيبَةَ فَإنَّهَا إدَامُ كلاَب النَّار.

يَا نَوْفُ، كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ وُلدَ منْ حَلاَل وهُويَأكُلُ منْ لُحُوم النَّاس بالْغيبَة، وكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ وُلدَ منْ حَلاَل وهُويُحبُّ الزِّنَا، وكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ وُلدَ منْ حَلاَل وهُويُبْغضُني ويُبْغضُ الأئمَّةَ منْ وُلْدي، وكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ يَعْرفُ اللَّهَ - عَزَّ وجل - وهُومُجْتَرئٌ عَلى مَعَاصي اللَّه في كُلّ يَوْم ولَيْلَة.

يَا نَوْفُ، مَنْ أحَبَّنَا كَانَ مَعَنَا يَوْمَ الْقيَامَة، ولَوأنَّ رَجُلًا أحَبَّ حَجَراً لَحَشَرَهُ اللَّهُ مَعَهُ.

يَا نَوْفُ، خُلقْنَا منْ طينَة طَيّبَة وخُلقَ شيعَتُنَا منْ طينَتنَا، فَإذَا كَانَ يَوْمُ الْقيَامَة أُلْحقُوا بنَا.

إنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - رَغْبَةً فَتلْكَ عبَادَةُ التُّجَّار.

وإنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتلْكَ عبَادَةُ الْعَبيد.

وإنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْراً فَتلْكَ عبَادَةُ الأحْرَار.

يَا نَوْفُ، إِنْ طَالَ بُكَاؤُكَ مَخَافَةً مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وجَلَّ - قَرَّتْ عَيْنَاكَ غَداً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ - عَزَّ وجل -.

يَا نَوْفُ، إِنَّهُ لَيْسَ مَنْ قَطْرَةٍ قَطَرَتْ مِنْ عَيْنِ رَجُلٍ إِلاَّ أَطْفَأَتْ بِحَاراً مِنَ النِّيرَانِ.

يَا نَوْفُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ أَعْظَمُ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رَجُلٍ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وأَحَبَّ فِي اللَّهِ، [وأَبْغَضَ فِي اللَّهِ].

يَا نَوْفُ، إِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ لَمْ يَسْتَأْثِرْ عَلى مَحَبَّتِهِ، ومَنْ أَبْغَضَ فِي اللَّهِ لَمْ يُنِلْ مُبْغِضَهُ خَيْراً.

يَا نَوْفُ، احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ تَنَلْ خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

كلام له عليه السلام (٢٨)

لمّا سأله رجل أن يصف الدنيا

مَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وآخِرُهَا فَنَاءٌ. فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ، وفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ، ومَنْ مَرِضَ فِيهَا نَدِمَ، ومَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، ومَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، ومَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، ومَنْ قَعَدَ عَنْهَا واتَتْهُ، ومَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، ومَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ.

كلام له عليه السلام (٢٩)

من خبر ضرار بن ضمرة الضبائي أنه دخل على معاوية وهوبالموسم فقال له معاوية: صف لي علياً.

فقال ضرار: اعفني من ذلك.

فقال معاوية: أقسمت عليك لتفعلن.

فقال ضرار: إذن فاسمع.

إنه كان واللّه أول من لبّى وكبّر، وأفضل من تقمّص واعتجر، وأكرم من ناجى ربه وسهر، وأعلم من قرّب ونحر، وأجود من تصدّق بأبيض وأصفر، وخير من أقبل وأدبر بعد محمد سيد البشر.

قال معاوية: زدني يا ضرار.

فقال ضرار: كان واللّه بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلًا، ويحكم عدلًا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من نواحيه.

وكان واللّه معنا كأحدنا، يُدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ويلبّينا إذا دعوناه.

وكنا واللّه مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نبتدؤه لعظمته، ولا نكلمه لهيبته.

فإن تبسم فعن غير أشر ولا اختيال، وإن نطق فعن الحكمة وفصل الخطاب [كان] يقسم بالسويّة، ويعدل في الرعية، ولا يُطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

كان يعظّم أهل الدين، ويفضّل المساكين، ويُطعم في المَسغَبة يتيماً ذا مقربة، أومسكيناً ذا متربة، ويكسوالعريان، وينصر اللهفان، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس إلى الليل وظلمته.

كان واللّه غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه، ويعاتب نفسه. يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

فأشهد باللّه لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهوقائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، يناجي ربه.

فكأني أسمعه الآن وهويقول: يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه، ويخاطب الدنيا فيقول:

يَا دُنْيَا، يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي.

أَبِي تَعَرَّضْتِ، أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ.

لاَ حَانَ حِيْنُكِ.

غُرِّي، يَا دُنْيَا، مَنْ جَهِلَ حِيَلَكِ، وخَفِيَ عَلَيْهِ حَبَائِلُ كَيْدِكِ.

هَيْهَاتَ، هَيْهَاتَ، غُرِّي غَيْرِي، لاَ حَاجَةَ لِي فِيكِ.

لَقَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاَثاً لاَ رَجْعَةَ فِيهَا، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وأَمَلُكِ حَقِيرٌ، وخُسْرَانُكِ كَبِيرٌ، وحَظُّكِ قَلِيلٌ، وأَهْلُكِ ذَلِيلٌ، وبَهْجَتُكِ زُورٌ، ومَوَاهِبُكِ غُرُورٌ.

آه آه مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وطُولِ الطَّرِيقِ، وبُعْدِ السَّفَرِ، وعَظِيمِ الْمَوْرِدِ، وخُشُونَةِ الْمَضْجَعِ.

فوكفت دموع معاوية ما يملكها وهويقول: رحم الله أبا حسن، فقد كان والله كذلك، واختنق القوم من حوله بالبكاء.

ثم قال معاوية: زدني يا ضرار شيئاً من كلامه.

فقال ضرار: لقد كان يقول [أمير المؤمنين عليه السلام]: لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ الإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ، وذَلِكَ الْقَلْبُ وذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ وأَضْدَاداً مِنْ خِلاَفِهَا.

فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ.

وإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ.

وإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ.

وإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ.

وإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ.

وإِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ.

وإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ.

وإنْ جُدِّدَتْ لَهُ نِعْمَةٌ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ.

وإنْ أَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنى.

وإنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلاءُ [وَ] جَهَدَهُ الْبُكَاءُ.

وإنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ.

وإنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ.

وإنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ.

فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.

فقال معاوية: زدني كل ما وعيته من كلامه.

فقال ضرار: هيهات أن آتي على جميع ما سمعته منه.

ثم قال: سمعته ذات يوم يقول: إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلى قَوْمٍ أَعَارَتْهُمْ مَحَاسِنَ غَيْرِهِمْ، وإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُمْ سَلَبَتْهُمْ مَحَاسِنَ أَنْفُسِهِمْ.

فقال معاوية: فكيف كان حبك له.

قال ضرار: كحب أم موسى له، وأعتذر إلى اللّه من التقصير.

فقال معاوية: وكيف حزنك عليه.

قال ضرار: حزني واللّه حزن من ذُبح واحدها في حجرها فلا ترقأ دمعتها، ولا تسكن حرارتها إلى يوم القيامة.

فقال معاوية: لكن أصحابي لوسئلوا عني بعد موتي ما أخبروا بشيء مثل هذا.

كلام له عليه السلام (٣٠)

لمن سأله عن الخير ما هو

لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ ولكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ، وإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ.

ولاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إلاَّ لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَيَتَدَارَكُهَا بالتَّوْبَة.

ورَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ ويُجَاهِدُ نَفْسَهُ في طَاعَةِ اللَّه - سُبْحَانَهُ -.

[ثم قال عليه السلام لمن حوله:] كُونُوا بِقَبُولِ الْعَمَلِ أشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكُمْ فِي الْعَمَلِ، فَإِنَّهُ لاَ يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوى وكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ.

كلام له عليه السلام (٣١)

لمّا قال له عبد اللّه بن جعفر: كيف تجدك يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: يَا بُنَيَّ، كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنى بِبَقَائِه، ويَسْقَمُ بِصِحَّتِه، ويُؤْتى مِنْ مَأْمَنِه.

كلام له عليه السلام (٣٢)

لمّا سمع رجلًا يذمّ الدنيا مُطنباً

مَا بَالُ أقْوَامٍ يَذُمُّونَ الدُّنْيَا وقَد انْتَحَلُوا الزُّهْدَ فيهَا.

إنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، ودَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، ودَارُ غِنىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، ودَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا.

الدُّنْيَا مَسْجِدُ أحِبَّاءِ اللَّه، ومُصَلَّى مَلاَئِكَةِ اللَّه، ومَهْبَطُ وَحْيِ اللَّه، ومَتْجَرُ أوْلِيَاءِ اللَّه، اكْتَسَبُوا فيهَا الرَّحْمَةَ، ورَبِحُوا فيهَا الْجَنَّةَ.

فَمَنْ ذَا يَذُمُّ الدُّنْيَا، وقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا، ونَادَتْ بِفِرَاقِهَا، ونَعَتْ نَفْسَهَا وأهْلَهَا، فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلاَئِهَا الْبَلاَءَ، وشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إلَى السُّرُورِ، وذَكَّرَتْهُمْ بِنَعِيمِهَا طِيبَ الْحُبُورِ.

رَاحَتْ بِعَافِيَة، وابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَة، تَرْغِيباً وتَرْهِيباً، وتَخْوِيفاً وتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَة، وحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَة.

ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا تَصَارِيفَهَا، وحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا حَدِيثَهَا، ووَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا، وخَوَّفَتْهُمْ فَخَافُوا، وشَوَّقَتْهُمْ فَاشْتَاقُوا.

فَيَا أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا، أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا.

أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ.

لَيْتَ شِعْرِي، مَتَى خَدَعَتْكَ الدُّنْيَا، أَمْ مَتَى اسْتَدَامَتْ لَكَ.

مَتَى اسْتَهْوَتْكَ، أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ.

أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى.

كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ، وكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ، تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الدَّوَاءَ، وتَطْلُبُ لَهُمُ الأَطِبَّاءَ، غَدَاةَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، ولاَ يُجْدِي عَنْهُمْ بُكَاؤُكَ، لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ، ولَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطَلِبَتِكَ، ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ.

وقَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وبِحَالِهِ حَالَكَ، وبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ، وبِمَضْجَعِهِ مَضْجَعَكَ، غَدَاةَ لاَ يَنْفَعُكَ أَحِبَّاؤُكَ، ولاَ يُغْنِي عَنْكَ نِدَاؤُكَ.

حِينَ يَشْتَدُّ مِنَ الْمَوْتِ أَعَالِينُ الْمَرَضِ، وأَلِيمُ لَوْعَاتِ الْمَضَضِ.

حِينَ لاَ يَنْفَعُ الأَلِيلُ، ولاَ يَدْفَعُ الْعَوِيلُ.

حِينَ يُحْفَزُ بِهَا الْحَيْزُومُ، ويَغُصُّ بِهَا الْحُلْقُومُ.

حِينَ لاَ يُسْمِعُهُ النِّدَاءُ، ولاَ يَرُوعُهُ الدُّعَاءُ.

فَيَا طُولَ الْحُزْنِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الأَجَلِ.

ثُمَّ يُرَاحُ بِهِ عَلَى شِرْجَعٍ تُقِلُّهُ أَكُفُّ أَرْبَعٍ، فَيُضْجَعُ فِي قَبْرِهِ فِي لَبِثٍ، وضِيقِ جَدَثٍ.

فَذَهَبَتِ الْجِدَّةُ، وانْقَطَعَتِ الْمُدَّةُ، ورَفَضَتْهُ الْعَطَفَةُ، وقَطَعَتْهُ اللَّطَفَةُ.

لاَ تَقَارَبُهُ الأَخِلاَّءُ، ولاَ يُلِمُّ بِهِ الزُّوَّارُ، ولاَ اتَّسَقَتْ بِهِ الدَّارُ.

إِنْقَطَعَ دُونَهُ الأَثَرُ، واسْتَعْجَمَ دُونَهُ الْخَبَرُ.

وبَكَّرَتْ وَرَثَتُهُ، فَأَقْسَمَتْ تَرِكَتَهُ.

ولَحِقَهُ الْحُوبُ، وأَحَاطَتْ بِهِ الذُّنُوبُ.

فَإِنْ يَكُنْ قَدَّمَ خَيْراً طَابَ مَكْسَبُهُ، وإِنْ يَكُنْ قَدَّمَ شَرّاً تَبَّ مُنْقَلَبُهُ.

وكَيْفَ يَنْفَعُ نَفْساً قَرَارُهَا، والْمَوْتُ قُصَارُهَا، والْقَبْرُ مَزَارُهَا.

فَكَفَى بِهذَا وَاعِظاً كَفَى. ولاَ تَسْمَعُ فِي مَدْحِ الدُّنْيَا أَحْسَنَ مِنْ هذَا.

ثم التفت عليه السّلام إلى أصحابه، فقال: أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا غِبْطَةُ الطَّالِبِ الرَّاجِي، وثِقَةُ الْهَارِبِ اللاَّجِي.

واسْتَشْعِرُوا التَّقْوَى شِعَاراً بَاطِناً، واذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً خَالِصاً، تَحْيَوْا بِهِ أَفْضَلَ الْحَيَاةِ، وتَسْلُكُوا بِهِ طَرِيقَ النَّجَاةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا، فَإِنَّهَا، واللَّهِ، عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ، [وَ] تُشْخِصُ الْوَادِعَ السَّاكِنَ، وتُفْجِعُ الْمُتْرَفَ الْمُغْتَبِطَ الآمِنَ.

لاَ يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَر، ولاَ يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ.

أَمَانِيُّهَا كَاذِبَةٌ، وآمَالُهَا بَاطِلَةٌ.

صَفْوُهَا كَدَرٌ، وابْنُ آدَمَ فِيهَا عَلَى خَطَرٍ.

إِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ، وإِمَّا بَلِيَّةٌ نَازِلَةٌ، وإِمَّا مُعْظَمَةٌ جَائِحَةٌ، وإِمَّا مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ.

وَصَلَ الْبَلاَءُ مِنْهَا بِالرَّخَاءِ، والْبَقَاءُ فِيهَا بِالْفَنَاءِ.

فَسُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ، وآخِرُ الْحَيَاةِ فِيهَا إِلَى الْوَهْنِ.

فَهِيَ كَرَوْضَةٍ اغْتَمَّ مَرْعَاهَا، وأَعْجَبَتْ مَنْ يَرَاهَا، عَذْبٌ شُرْبُهَا، طَيِّبٌ تُرْبُهَا، تَمُجُّ عُرُوقُهَا الثَّرَى، وتَنْطِفُ فُرُوعُهَا النَّدَى.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْعُشْبُ إِبَّانَهُ، واسْتَوَى بَنَانُهُ، هَاجَتْ رِيحٌ تَحُتُّ الْوَرَقَ، وتُفَرِّقُ مَا

اتَّسَقَ، فَأَصْبَحَتْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - تَعَالى -: ﴿هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾.

فَلاَ تَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فيهَا لقلَّة مَا يَصْحَبُكُمْ منْهَا.

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، واعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، وأَبْصَرَ فَازْدَجَرَ، وعَايَنَ إِدْبَارَ مَا قَدْ أَدْبَرَ، وحُضُورَ مَا قَدْ حَضَرَ.

فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزُلْ.

وكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَصٍ، وكُلُّ سُرُورٍ مُنْقَضٍ، وكُلُّ جَمْعٍ إِلى شَتَاتٍ، وكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، وكُلُّ قَرِيبٍ دَانٍ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ ومَا تَأْمُلُونَ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ، ومَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وعَمَلٌ مَحْفُوظٌ.

فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ، ورُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ.

وقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لاَ يَزْدَادُ الْخَيْرُ فيهِ إِلاَّ إِدْبَاراً، والشَّرُّ فيهِ إِلاَّ إِقْبَالاً، والشَّيْطَانُ فِي هَلاَكِ النَّاسِ إِلاَّ طَمَعاً.

فَهذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ.

إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلاَّ فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوغَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً، أَوبَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْراً، أَومُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً.

أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وصُلَحَاؤُكُمْ.

وأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وسُمَحَاؤُكُمْ.

وأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، والْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ.

أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هذِهِ الدَّنِيَّةِ، والْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ.

وهَـلْ خُلِّفْـتُمْ إلاَّ في حُثَالَةٍ لاَ تَلْتَقي إلاَّ بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ، اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ.

فَإِنَّا للَّه وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ.

ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلاَ مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، ولاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ.

أَفَبِهذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ في دَارِ قُدْسِه، وتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِه عِنْدَهُ.

هَيْهَاتَ، لاَ يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِه، ولاَ تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إلاَّ بِطَاعَتِه.

[ثـم قـال عليـه السلام:] لَعَـنَ اللَّـهُ الآمِريـنَ بِالْمَعْـرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، والنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

كلام له عليه السلام (٣٣)

لمن سأله عن الزهد

الـزُّهْدُ كُلُّـهُ بَيْـنَ كَلِمَتَيْـنِ مِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالى -: ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ**﴾.

ومَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي، ولَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي، فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْه.

كلام له عليه السلام (٣٤)

وقد تبع جنازة فسمع رجلًا يضحك

أَيُّهَا النَّاسُ، كَأَنَّ الْمَوْتَ عَلى غَيْرِنَا كُتِبَ، وكَأَنَّ الْحَقَّ عَلى غَيْرِنَا وَجَبَ.

وكَـأَنَّ الَّـذي نَـرى مِـنَ الأَمْـوَاتِ سَـفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ، ونَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ ووَاعِظَةٍ، ورُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ ودَاهِيَةٍ مُسْتَأْصِلَةٍ.

كلام له عليه السلام (٣٥)

وقد سمع رجلًا يقول: أللهم إني أعوذ بك من الفتنة

فقال عليه السلام: لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلاَّ وهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلى فِتْنَةٍ، ولكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلاَّتِ الْفِتَنِ. فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - يَقُولُ: ﴿واعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

ومَعْنى ذَلِكَ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِالأَمْوَالِ والأَوْلاَدِ، لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ، والرَّاضِي بِقَسْمِهِ، وإِنْ كَانَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ولكِنْ لِتَظْهَرَ الأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ والْعِقَابُ.

لأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ، ويَكْرَهُ الإِنَاثَ، وبَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ، ويَكْرَهُ انْثِلاَمَ الْحَالِ.

كلام له عليه السلام (٣٦)

لبعض أصحابه في أهله

لاَ تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ ووَلَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ ووَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ، وإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ، فَمَا هَمُّكَ وشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ.

كلام له عليه السلام (٣٧)

لمّا سئل عن فساد أحوال العامّة

إِنَّمَا هِيَ مِنْ فَسَادِ أَحْوَالِ الْخَاصَّةِ.

وإِنَّمَا الْخَاصَّةُ لَيُقَسَّمُونَ عَلى خَمْسٍ: الْعُلَمَاءُ، وهُمُ الأَدِلاَّءُ عَلَى اللَّهِ.

والزُّهَّادُ، وهُمُ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ.

والتُّجَّارُ، وهُمْ أُمَنَاءُ اللَّهِ.

والْغُزَاةُ، وهُمْ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ.

والْحُكَّامُ، وهُمْ رُعَاةُ خَلْقِ اللَّهِ.

فَإِذَا كَانَ الْعَالِمُ طَمَّاعاً، وَلِلْمَالِ جَمَّاعاً، فَبِمَنْ يُسْتَدَلُّ.

وإِذَا كَانَ الزَّاهِدُ رَاغِباً، ولِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ طَالِباً، فَبِمَنْ يُقْتَدى.

وإِذَا كَانَ التَّاجِرُ خَائِناً، وَلِلزَّكَاةِ مَانِعاً، فَبِمَنْ يُسْتَوْثَقُ.

وإِذَا كَانَ الْغَازِي مُرَائِياً، وَلِلْكَسْبِ نَاظِراً، فَبِمَنْ يُذَبُّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ.

وإِذَا كَانَ الْحَاكِمُ ظَالِماً، وفِي الأَحْكَامِ جَائِراً، فَبِمَنْ يُنْصَرُ الْمَظْلُومُ عَلَى الظَّالِمِ.

فَوَاللَّهِ مَا أَتْلَفَ النَّاسَ إِلاَّ الْعُلَمَاءُ الطَّمَّاعُونَ، والزُّهَّادُ الرَّاغِبُونَ، والتُّجَّارُ الْخَائِنُونَ، والْغُزَاةُ الْمُرَاؤُونَ، والْحُكَّامُ الْجَائِرُونَ، وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

كلام له عليه السلام (٣٨)

روى الثقفي في الغارات أن عقبة بن علقمة قال: دخلت على علي عليه السلام فإذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته وكسرة خبز يابسة. فقلت: يا أمير المؤمنين،أتأكل مثل هذا.

فقال عليه السلام: يَا أَبَا الْجَنُوب، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يَأْكُلُ أَيْبَسَ مِنْ هذَا، ويَلْبَسُ أَخْشَنَ مِنْ هذَا [وأشار إلى ثيابه]، فَإِنْ أَنَا لَمْ آخُذْ بِمَا أَخَذَ بِهِ خِفْتُ أَنْ لاَ أَلْحَقَ بِه.

كلام له عليه السلام (٣٩)

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر

فقال عليه السلام: إنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وبَاطِلًا، وصِدْقاً وكَذِباً، ونَاسِخاً ومَنْسُوخاً، وعَامّاً وخَاصّاً، ومُحْكَماً ومُتَشَابِهاً، وحِفْظاً ووَهْماً.

ولَقَدْ كُذِبَ عَلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ عَلى عَهْدِه، حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار.

ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْه مِنْ بَعْدِه حِينَ تُوُفِّيَ، رَحْمَةُ اللَّه عَلى نَبِيِّ الرَّحْمَة، وصَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله.

وإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيث أَرْبَعَةُ رِجَال لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَان، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلاَم بِاللِّسَان، لاَ يَتَأَثَّمُ ولاَ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ عَلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ مُتَعَمِّداً.

فَلَوعَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، ولكِنَّهُمْ قَالُوا: هذَا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ قَدْ رَآهُ وسَمِعَ مِنْهُ، ولَقِفَ عَنْهُ، وهُولاَ يَكْذِبُ، ولاَ يَسْتَحِلُّ الْكَذِبَ عَلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ. فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِه وهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ حَالَهُ.

وقَدْ أخْبَرَكَ اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ - عَنِ الْمُنَافقينَ بِمَا أخْبَرَكَ، ووَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، فَقَالَ-: ﴿وإذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ وإنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لقَوْلِهِمْ﴾.

ثُمَّ إنَّهُمْ بَقُوا بَعْدَهُ - عَلَيْهِ وآلِهِ السَّلامُ -، وتَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا، فَتَقَرَّبُوا إلى أئمَّةِ الضَّلالَةِ، والدُّعَاةِ إلَى النَّارِ، بالزُّورِ والْكَذِبِ والْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الأعْمَالَ، وجَعَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا.

وإنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ والدُّنْيَا، وهِيَ غَايَتُهُمُ الَّتي يَطْلُبُونَ، إلاَّ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ -.

فَهذَا أحَدُ الأرْبَعَةِ.

والثَّاني: رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فيهِ، ولَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ في يَدَيْهِ يَرْوِيهِ ويَعْمَلُ بِهِ، ويَقُولُ: أنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ. فَلَوعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أنَّهُ وَهِمَ فيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، ولَوعَلِمَ هُوأنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ، ومَا عَمِلَ بِهِ.

ورَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ شَيْئاً يَأمُرُ بِهِ. ثُمَّ إنَّهُ نَهى عَنْهُ وهُولاَ يَعْلَمُ، أوسَمِعَهُ يَنْهى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أمَرَ بِهِ وهُولاَ يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ ولَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوعَلِمَ أنَّهُ مَنْسُوخٌ مَا حَدَّثَ بِهِ لَرَفَضَهُ، ولَوعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ، إذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ، أنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ، [وَ] مَا نَقَلُوا عَنْهُ.

ورَجُلٌ آخَرَ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ ولاَ عَلى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وجل -، وتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، ولَمْ يَهِمْ، ولَمْ يَغِبْ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فيهِ، ولَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، وحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وعَرَفَ الْخَاصَّ والْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وعَرَفَ الْمُحْكَمَ ومُتَشَابِهَهُ.

وإنَّ أمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ ونَهْيَهُ مِثْلُ الْقُرْآنِ نَاسِخٌ ومَنْسُوخٌ،

وخَاصٌّ وَعَامٌّ، ومُحْكَمٌ ومُتَشَابِهٌ.

وقَدْ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ - في كِتَابِهِ-: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

وقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ الْكَلاَمُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلاَمٌ خَاصٌّ، وكَلاَمٌ عَامٌّ.

فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِهِ، ولاَ مَا عَنى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ ويُوَجِّهُهُ على غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، ومَا قُصِدَ بِهِ، ومَا خَرَجَ مِنْ أجْلِهِ.

ولَيْسَ كُلُّ أصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ ويَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ أوالطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَتَّى يَسْمَعُوا.

وكَانَ لاَ يَمُرُّ بي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إلاَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ وحَفِظْتُهُ.

فَهذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ في اخْتِلاَفِهِمْ، وعِلَلِهِمْ في رِوَايَاتِهِمْ.

ولَقَدْ كُنْتُ أدْخُلُ أتَى عَلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كُلَّ يَوْمٍ دَخْلَةً، وكُلَّ لَيْلَةٍ دَخْلَةً، فَيُخْلِينِي فِيهَا خَلْوَةً أدُورُ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ.

وقَدْ عَلِمَ أصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِأحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي.

وربَّمَا كَانَ ذَلِكَ في شَيْءٍ يَأْتِينِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أكْثَرَ ذَلِكَ في مَنْزِلِي.

وكُنْتُ إذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَنَازِلِهِ خَلاَ بي، وأقَامَ نِسَاءَهُ حَتَّى لاَ يَبْقَى عِنْدَهُ غَيْرِي، وإذَا أتَانِي لِلْخَلْوَةِ مَعِي في بَيْتِي لَمْ تَقُمْ فَاطِمَةُ ولاَ أحَدٌ مِنْ بَنِيَّ.

وكُنْتُ إذَا سَأَلْتُهُ أجَابَنِي، وإذَا سَكَتُّ عَنْهُ أوْنَفِدَتْ مَسَائِلِي ابْتَدَأنِي.

فَمَا نَزَلَتْ عَلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ في لَيْلٍ ولاَ نَهَارٍ، ولاَ سَهْلٍ ولاَ جَبَلٍ، ولاَ سَمَاءٍ ولاَ أَرْضٍ، ولاَ دُنْيَا ولاَ آخِرَةٍ، ولاَ جَنَّةٍ ولاَ نَارٍ، ولاَ ضِيَاءٍ ولاَ ظُلْمَةٍ، إلاَّ أَقْرَأَنِيهَا وأَمْلاَهَا عَلَيَّ، فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي، وعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وتَفْسِيرَهَا، وَنَاسِخَهَا ومَنْسُوخَهَا، ومُحْكَمَهَا ومُتَشَابِهَهَا، وخَاصَّهَا وعَامَّهَا، وكَيْفَ نَزَلَتْ، وأَيْنَ نَزَلَتْ، وفِيمَنْ نَزَلَتْ، إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ودَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يُعْطِيَنِي فَهْمَهَا وحِفْظَهَا، فَمَا نَسِيتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مُنْذُ حَفِظْتُهَا، ولاَ عِلْماً أَمْلاَهُ عَلَيَّ، مُنْذُ دَعَا اللَّهَ لِي بِمَا دَعَاهُ.

ومَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلاَلٍ ولاَ حَرَامٍ، ولاَ أَمْرٍ ولاَ نَهْيٍ، أوطَاعَةٍ أومَعْصِيَةٍ، كَانَ أويَكُونُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ولاَ كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلى أَحَدٍ قَبْلَهُ في أَمْرِ بِطَاعَةٍ، أونَهْيٍ عَنْ مَعْصِيَةٍ، إلاَّ عَلَّمَنِيهِ وحَفِظْتُهُ، فَلَمْ أَنْسَ مِنْهُ حَرْفاً وَاحِداً.

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلى صَدْرِي، ودَعَا اللَّهَ أَنْ يَمْلأَ قَلْبِي عِلْماً وفَهْماً وفِقْهاً وحُكْماً ونُوراً، وأَنْ يُعَلِّمَنِي فَلاَ أَجْهَلُ، وأَنْ يُحَفِّظَنِي فَلاَ أَنْسى.

وإِنِّي قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، إِنِّي مُنْذُ يَوْمِ دَعَوْتَ اللَّهَ - عَزَّ وجَلَّ - لِي بِمَا دَعَوْتَ لَمْ أَنْسَ شَيْئاً مِمَّا عَلَّمْتَنِي، ولَمْ يَفُتْنِي شَيْءٌ لَمْ أَكْتُبْهُ مِمَّا عَلَّمْتَنِي ولَمْ تَأْمُرْنِي بِكِتَابَتِهِ،أَفَتَخَوَّفُ عَلَيَّ النِّسْيَانَ فِيمَا بَعْدُ.

فَقَالَ: يَا أَخِي، لاَ، لَسْتُ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ النِّسْيَانَ ولاَ الْجَهْلَ.

وقَدْ أَخْبَرَنِي اللَّهُ - عَزَّ وجل - أَنَّهُ قَدِ اسْتَجَابَ لِي فِيكَ وفِي شُرَكَائِكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكَ.

وإِنَّمَا تَكْتُبُهُ لَهُمْ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ومَنْ شُرَكَائِي.

قَالَ: الَّذِينَ قَرَنَهُمُ اللَّهُ بِنَفْسِهِ وبِي فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُول ﴾.

قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّه، ومَنْ هُمُ الأَوْصِيَاءُ.

قَالَ: الأَوْصِيَاءُ، إِلى أَنْ يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضي، كُلُّهُمْ هَادٍ مُهْتَدٍ، لاَ يَضُرُّهُمْ كَيْدُ مَنْ كَادَهُمْ، ولاَ خِذْلاَنُ مَنْ خَذَلَهُمْ.

هُمْ مَعَ الْقُرْآنِ، والْقُرْآنُ مَعَهُمْ، لاَ يُفَارِقُونَهُ ولاَ يُفَارِقُهُمْ.

بِهِمْ يَنْصُرُ اللَّهُ أُمَّتي وبِهِمْ يَسْقي[هِمُ] الْغَيْثَ، وبِهِمْ يُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُمْ، وبِهِمْ يُصْرَفُ الْبَلاَءُ عَنْهُمْ، وبِهِمْ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ مِنَ السَّمَاءِ.

قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّه، سَمِّهِمْ لي.

فَسَمَّاهُمْ رَجُلًا رَجُلًا، مِنْهُمْ، واللَّه، يَا أَخَابَني هِلاَلٍ، مَهْدِيُّ هذِهِ الأُمَّةِ الَّذي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وجَوْراً.

واللَّه إِنِّي لأَعْرِفُ جَمِيعَ مَنْ يُبَايِعُهُ بَيْنَ الرُّكْنِ والْمَقَامِ، وأَعْرِفُ أَسْمَاءَ الْجَمِيعِ وقَبَائِلِهِمْ.

كلام له عليه السلام (٤٠)

روى ذعلب اليماني عن أحمد بن قتيبة، عن عبد الله بن يزيد، عن مالك بن دحية، قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ذكر عنده اختلاف الناس، فقال:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وعَذْبِهَا، وحَزْنِ تُرْبَةٍ وسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وعَلَى قَدْرِ اخْتِلاَفِهَا يَتَفَاوَتُونَ.

فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ.

ومَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ.

وزَاكِي الْعَمَلِ قَبيحُ الْمَنْظَرِ.

وقَريبُ الْقَعْرِ بَعيدُ السَّبْرِ.

ومَعْرُوفُ الضَّريبَةِ مُنْكَرُ الْجَليبَةِ.

وتَائهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ.

وطَليقُ اللِّسَانِ حَديدُ الْجَنَانِ.

كلام له عليه السلام (٤١)

في أصناف الناس وفضيلة العلم وجملة وصايا

قال كُميل بن زياد النخعي: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخرجني إلى ناحية الجبّان لا يكلّمني بكلمة، فلما أصحر تنفّس الصعداء، ثم قال: يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَاد، إنَّ هذه الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا.

فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلاَثَةٌ:

فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ.

ومُتَعَلِّمٌ عَلى سَبيلِ النَّجَاة.

وهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَميلُونَ مَعَ كُلِّ ريحٍ.

لَمْ يَسْتَضيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ فَيَهْتَدُوا، ولَمْ يَلْجَؤُوا إلى رُكْنٍ وَثيقٍ فَيَنْجُوا.

يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَاد، الْعِلْمُ خَيْرٌ منَ الْمَال، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، والْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، والْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الانْفَاقِ، وصَنيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِه.

يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَاد، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دينٌ يُدَانُ اللَّهُ بِه، بِه يَكْسِبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ لِرَبِّه في حَيَاتِه، وجَميلَ الأُحْدُوثَة بَعْدَ وَفَاتِه.

والْعِلْمُ حَاكِمٌ، والْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْه.

يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَاد، هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وهُمْ أَحْيَاءٌ، والْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ،

أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ.

ثم قال عليه السلام: هَاه هَاه إِنَّ هَاهُنَا [وأشار إلى صدره بيده] لَعِلْماً جَمّاً عَلَّمَنيه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ، لَوأَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً يَرْعَوْنَهُ حَقَّ رِعَايَتِه، ويَرْوُونَهُ كَمَا يَسْمَعُونَهُ.

اللَّهُمَّ بَلى لَقَدْ أَصَبْتُ لَقناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْه، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدّين للدُّنْيَا، ومُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللَّه - عَزَّ وجل - عَلى عِبَاده، وبِحُجَجِه عَلى أَوْلِيَائِه، لِيَتَّخِذَهُ الضُّعَفَاءُ وَلِيجَةً دُونَ وَلِيِّ الْحَقِّ.

أَومُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لاَ بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِه، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِه لأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَة.

أَلاَ مَهْ، لاَ ذَا ولاَ ذَاكَ.

أَومَنْهُوماً بِاللَّذَّة، سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَة.

أَومُغْرَماً بِالْجَمْعِ والادِّخَار.

لَيْسَا مِنْ رُعَاة الدّين فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الأَنْعَامُ السَّائِمَةُ.

كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيه.

اللَّهُمَّ بَلى، لاَ تَخْلُوالأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّه بِحُجَجِه، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّه وبَيِّنَاتُهُ.

وكَمْ ذَا، وأَيْنَ أُولئِكَ.

أُولئِكَ، واللَّه، الأَقَلُّونَ عَدَداً، والأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّه - جَلَّ ذِكْرُهُ - قَدْراً، بِهِمْ يَحْفَظُ اللَّهُ حُجَجَهُ وبَيِّنَاتِه، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، ويَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ.

هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَة، وبَاشَرُوا رَوْحَ الْيَقِين، واسْتَلاَنُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وآنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلى.

[قَدْ] دَانُوا بالتَّقيَّة عَنْ دينهمْ، والْخَوْف مِنْ عَدُوِّهمْ.

خُرْسٌ صُمْتٌ في دَوْلَة الْبَاطِل، يَنْتَظِرُونَ دَوْلَةَ الْحَقِّ.

وسَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بكَلِمَاته ويَمْحَقُ الْكَافِرينَ.

يَا كُمَيْلُ، أُولئكَ أُمَنَاءُ اللَّه في خَلْقه، وخُلَفَاؤُهُ في أَرْضه، وسُرُجُهُ في بِلاَده، والدُّعَاةُ إلى دينه.

هَاه هَاه طُوبى لَهُمْ عَلى صَبْرِهِمْ عَلى دينهمْ في حَال هُدْنَتِهِمْ.

وَآه آه شَوْقاً إلى رُؤْيَتِهِمْ في حَال ظُهُور دَوْلَتِهِمْ.

وسَيَجْمَعُنَا اللَّهُ وإيَّاهُمْ في جَنَّات عَدْن ومَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائهمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ.

يَا كُمَيْلُ، سَمِّ كُلَّ يَوْم باسْم اللَّه، وقُلْ: لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه.

وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه، واذْكُرْنَا، وسَمِّ بأَسْمَائنَا، وصَلِّ عَلَيْنَا، واسْتَعذْ باللَّه وبنَا، واذْرأْ بذَلكَ عَنْ نَفْسكَ ومَا تَحُوطُهُ عنَايَتُكَ، تُكْفَ شَرَّ ذَلكَ الْيَوْم إنْ شَاءَ اللَّهُ.

يَا كُمَيْلُ، إنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ أَدَّبَهُ اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ -، وهُوعَلَيْه السَّلاَمُ أَدَّبَني، وأَنَا أُؤَدِّبُ الْمُؤْمنينَ، وأُوَرِّثُ الأَدَبَ الْمُكْرَمينَ.

يَا كُمَيْلُ، مَا مِنْ عِلْم إلاَّ وأَنَا افْتَحُهُ، ومَا مِنْ سرّ إلاَّ والْقَائمُ عَلَيْه السَّلاَمُ يَخْتمُهُ.

يَا كُمَيْلُ، ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْض واللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ تَأْخُذْ إلاَّ عَنَّا تَكُنْ مِنَّا.

يَا كُمَيْلُ، مَا مِنْ حَرَكَة إلاَّ وأَنْتَ مُحْتَاجٌ فيهَا إلى مَعْرفَة.

يَا كُمَيْلُ، إذَا أَكَلْتَ الطَّعَامَ فَسَمِّ باسْم اللَّه الَّذي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمه دَاءٌ، وفيه شفَاءٌ مِنْ كُلِّ الأَدْوَاء.

يَا كُمَيْلُ، إذَا أَكَلْتَ الطَّعَامَ فَوَاكلِ الطَّعَامَ ولاَ تَبْخَلْ عَلَيْه، فَإنَّكَ لَنْ تَرْزُقَ النَّاسَ شَيْئاً، واللَّهُ يُجْزلُ لَكَ الثَّوَابَ بذَلكَ.

يَا كُمَيْلُ، إذَا أَنْتَ أَكَلْتَ فَطَوِّلْ أَكْلَكَ لِيَسْتَوْفيَ مَنْ مَعَكَ، ويُرْزَقَ مِنْهُ غَيْرُكَ.

يَا كُمَيْلُ، إِذَا اسْتَوْفَيْتَ طَعَامَكَ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى مَا رَزَقَكَ، وارْفَعْ بِذَلِكَ صَوْتَكَ يَحْمَدْهُ سِوَاكَ، فَيَعْظُمَ بِذَلِكَ أَجْرُكَ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ تُوقِرَنَّ مِعْدَتَكَ طَعَاماً، وَدَعْ فِيهَا لِلْمَاءِ مَوْضِعاً، وَلِلرِّيحِ مَجَالًا.

يَا كُمَيْلُ، لاَ تُنْفِدْ طَعَامَكَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله لَمْ يُنْفِدْهُ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ تَرْفَعَنَّ يَدَكَ عَنِ الطَّعَامِ إِلاَّ وأَنْتَ تَشْتَهِيهِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ تَسْتَمْرِئُهُ.

يَا كُمَيْلُ، صِحَّةُ الْجِسْمِ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ وقِلَّةِ الْمَاءِ.

يَا كُمَيْلُ، أَحْسِنْ خُلُقَكَ، وابْسِطْ جَلِيسَكَ، ولاَ تَنْهَرَنَّ خَادِمَكَ.

يَا كُمَيْلُ، الْبَرَكَةُ فِي الْمَالِ مِنْ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ، ومُوَاسَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، وصِلَةِ الأَقْرَبِينَ، وهُمُ الأَقْرَبُونَ لَنَا.

يَا كُمَيْلُ، زِدْ قَرَابَتَكَ الْمُؤْمِنَ عَلَى مَا تُعْطِي سِوَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وكُنْ بِهِمْ أَرْأَفَ، وعَلَيْهِمْ أَعْطَفَ، وتَصَدَّقْ عَلَى الْمَسَاكِينِ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ تَرُدَّنَّ سَائِلًا ولَوْ مِنْ شَطْرِ حَبَّةِ عِنَبٍ أَوشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَنْمُو عِنْدَ اللَّهِ.

يَا كُمَيْلُ، أَحْسَنُ حِلْيَةِ الْمُؤْمِنِ التَّوَاضُعُ، وجَمَالُهُ التَّعَفُّفُ، وشَرَفُهُ التَّفَقُّهُ، وعِزُّهُ تَرْكُ الْقَالِ والْقِيلِ.

يَا كُمَيْلُ، إِيَّاكَ والْمِرَاءَ، فَإِنَّكَ تُغْرِي بِنَفْسِكَ السُّفَهَاءَ، وإِذَا فَعَلْتَ تُفْسِدُ الإِخَاءَ.

يَا كُمَيْلُ، إِذَا جَادَلْتَ فِي اللَّهِ - تعالى - فَلاَ تُخَاطِبْ إِلاَّ مَنْ يُشْبِهُ الْعُقَلاَءَ، وهذَا ضَرُورَةٌ.

يَا كُمَيْلُ، هُمْ عَلَى كُلِّ سُفَهَاءُ كَمَا قَالَ اللَّهُ - تعالى -: ﴿**أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ولكِنْ لا يَعْلَمُونَ**﴾.

يَا كُمَيْلُ، فِي كُلِّ صِنْفٍ قَوْمٌ أَرْفَعُ مِنْ قَوْمٍ، فَإِيَّاكَ ومُنَاظَرَةَ الْخَسِيسِ مِنْهُمْ.

فَإِنْ أَسْمَعُوكَ فَاحْتَمِلْ، وكُنْ مِنَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ - تعالى - بِقَوْلِه -: ﴿وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾.

يَا كُمَيْلُ، قُلِ الْحَقَّ عَلى كُلِّ حَالٍ، ووَادَّ الْمُتَّقِينَ، واهْجُرِ الْفَاسِقِينَ، وجَانِبِ الْمُنَافِقِينَ، ولاَ تُصَاحِبِ الْخَائِنِينَ.

يَا كُمَيْلُ، إِيَّاكَ وتَطَرُّقَ أَبْوَابِ الظَّالِمِينَ والاخْتِلاَطَ بِهِمْ، والاكْتِسَابَ مَعَهُمْ، وإِيَّاكَ أَنْ تُطِيعَهُمْ [وَ] تُعَظِّمَهُمْ، أوأَنْ تَشْهَدَ في مَجَالِسِهِمْ بِمَا يُسْخِطُ اللَّهَ عَلَيْكَ.

وإِنِ اضْطُرِرْتَ إِلَى حُضُورِهِمْ فَدَاوِمْ ذِكْرَ اللَّهِ - تعالى - والتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، واسْتَعِذْ باللَّهِ مِنْ شُرُورِهِمْ، وأَطْرِقْ عَنْهُمْ، وأَنْكِرْ بِقَلْبِكَ فِعْلَهُمْ، واجْهَرْ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ - تعالى - لِتُسْمِعَهُمْ، فَإِنَّهُمْ بِهَا يَهَابُونَكَ وتُكْفَى شَرَّهُمْ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّ أَحَبَّ مَا امْتَثَلَهُ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ - تعالى - بَعْدَ الاقْرَارِ بِهِ وبِأَوْلِيَائِهِ، عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، التَّجَمُّلُ والتَّعَفُّفُ والاصْطِبَارُ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ تُرِيَنَّ النَّاسَ افْتِقَارَكَ، واصْبِرْ عَلَيْهِ احْتِسَاباً بِعِزٍّ وتَسَتُّرٍ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ بَأْسَ بِأَنْ تُعْلِمَ أَخَاكَ سِرَّكَ.

ومَنْ أَخُوكَ. أَخُوكَ الَّذِي لاَ يَخْذُلُكَ عِنْدَ الشَّدِيدَةِ، ولاَ يَقْعُدُ عَنْكَ عِنْدَ الْجَرِيرَةِ، ولاَ يَخْدَعُكَ حِينَ تَسْأَلُهُ، ولاَ يَدَعُكَ حَتَّى تَسْأَلَهُ، ولاَ يَذَرُكَ وأَمْرَكَ حَتَّى تُعْلِمَهُ، فَإِنْ كَانَ مُمِيلًا أَصْلَحَهُ.

يَا كُمَيْلُ، الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، لأَنَّهُ يَتَأَمَّلُهُ فَيَسُدُّ فَاقَتَهُ، ويُجَمِّلُ حَالَتَهُ.

يَا كُمَيْلُ، الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، ولاَ شَيْءَ آثَرُ عِنْدَ كُلِّ أَخٍ مِنْ أَخِيهِ.

يَا كُمَيْلُ، إِنْ لَمْ تُحِبَّ أَخَاكَ فَلَسْتَ أَخَاهُ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنَ مَنْ قَالَ بِقَوْلِنَا، فَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ قَصَّرَ عَنَّا، ومَنْ قَصَّرَ عَنَّا لَمْ يَلْحَقْ بِنَا، ومَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا فـ[هُوَ] فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

يَا كُمَيْلُ، كُلُّ مَصْدُورٍ يَنْفُثُ، فَمَنْ نَفَثَ إِلَيْكَ مِنَّا بِأَمْرٍ وأَمَرَكَ بِسَتْرِهِ فَاسْتُرْهُ،

وإيَّاكَ أنْ تُبْديَهُ، فَلَيْسَ لَكَ مِنْ إبْدَائِه تَوْبَةٌ، وإذَا لَمْ يَكُنْ تَوْبَةٌ فَالْمَصيرُ إلى لَظى.

يَا كُمَيْلُ، إذَاعَةُ سرِّ آلِ مُحَمَّد صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْهِمْ لاَ يُقيلُ الله - تعالى - مِنْهَا، ولاَ يَحْتَملُ أحَداً عَلَيْهَا، ومَا قَالُوهُ لَكَ مُطْلَقاً فَلاَ تُعْلمْهُ إلاَّ مُؤْمناً مُوافقاً.

يَا كُمَيْلُ، لاَ تُعْلمُوا الْكَافرينَ مِنْ أخْبَارنَا فَيَزيدُوا عَلَيْهَا فَيُبْدُوكُمْ بِهَا إلى يَوْمِ يُعَاقبُونَ عَلَيْهَا.

يَا كُمَيْلُ، لاَ بُدَّ لمَاضيكُمْ مِنْ أوْبَة، ولاَ بُدَّ لَنَا فيكُمْ مِنْ غَلَبَة.

يَا كُمَيْلُ، سَيَجْمَعُ اللَّهُ - تعالى - لَكُمْ خَيْرَ الْبَدْء والْعَاقبَة.

يَا كُمَيْلُ، أنْتُمْ مُمَتَّعُونَ بِأعْدَائكُمْ، تَطْرُبُونَ بِطَرَبِهِمْ، وتَشْرَبُونَ بِشُرْبِهِمْ، وتَأكُلُونَ بِأكْلِهِمْ، وتَدْخُلُونَ مَدَاخلَهُمْ.

وربَّمَا غَلَبْتُمْ عَلى نِعْمَتِهِمْ، إي واللَّه، عَلى إكْرَاه مِنْهُمْ لذَلكَ، ولكنَّ اللَّهَ - عَزَّ وجَلَّ - نَاصرُكُمْ وخَاذلُهُمْ.

فَإذَا كَانَ، واللَّه، يَوْمُكُمْ، وظَهَرَ صَاحبُكُمْ، لَمْ يَأكُلُوا، واللَّه، مَعَكُمْ، ولَمْ يَرِدُوا مَوَارِدَكُمْ، ولَمْ يَقْرَعُوا أبْوَابَكُمْ، ولَمْ يَنَالُوا نِعْمَتَكُمْ، أذلَّةً خَائبينَ، مَلْعُونينَ أيْنَما ثُقفُوا أُخذُوا وقُتِّلُوا تَقْتيلًا.

يَا كُمَيْلُ، احْمَد اللَّهَ - تعالى - والْمُؤْمنينَ عَلى ذَلكَ، وعَلى كُلِّ نِعْمَة.

يَا كُمَيْلُ، قُلْ عنْدَ كُلِّ شدَّة: لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّه الْعَليِّ الْعَظيمِ تُكْفَهَا، وقُلْ عنْدَ كُلِّ نعْمَة: الْحَمْدُ للَّه تُزْدَدْ مِنْهَا.

وإذَا أبْطَأتِ الأرْزَاقُ عَلَيْكَ فَاسْتَغْفرِ اللَّهَ يُوَسِّعْ عَلَيْكَ فيهَا.

يَا كُمَيْلُ، إذَا وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ في صَدْرِكَ فَقُلْ: أعُوذُ باللَّه الْقَويِّ منَ الشَّيْطَانِ الْغَويِّ، وأعُوذُ بمُحَمَّد الرَّضيِّ مِنْ شَرِّ مَا قُدِّرَ وقُضيَ، وأعُوذُ بإله النَّاس مِنْ شَرِّ الْجنَّة والنَّاس أجْمَعينَ، تُكْفَ مَؤُونَةَ إبْليسَ والشَّيَاطينَ مَعَهُ، ولَوأنَّهُمْ كُلَّهُمْ أبَالسَةٌ مثْلُهُ.

يَا كُمَيْلُ، إنَّ لَهُمْ خُدَعاً وشَقَاشقَ وزَخَارفَ ووَسَاوسَ وخُيَلاَءَ عَلى كُلِّ أحَد قَدْرَ

مَنْزِلَته فِي الطَّاعَة والْمَعْصِيَة، فَبِحَسَب ذَلكَ يَسْتَوْلُونَ عَلَيْه بالْغَلَبَة.

يَا كُمَيْلُ، لاَ عَدُوأعْدى مِنْهُمْ، ولاَ ضَارَّ أضَرُّ بكَ مِنْهُمْ، أُمْنِيَتُهُمْ أنْ تَكُونَ مَعَهُمْ غَداً إذَا جَثَوْا فِي الْعَذَاب الأليمِ، لاَ يَفْتُرُ عَنْهُمْ بشَرَره، ولاَ يَقْصُرُ عَنْهُمْ، خالدينَ فيها أبَداً.

يَا كُمَيْلُ، سَخَطُ اللَّه - تعالى - مُحيطٌ بِمَنْ لَمْ يَحْتَرزْ مِنْهُمْ بِاسْمه وبنَبيِّه وجَميع عَزَائمه - جَلَّ وعَزَّ -.

يَا كُمَيْلُ، إنَّهُمْ يَخْدَعُونَكَ بأنْفُسهمْ، فَإذَا لَمْ تُجبْهُمْ مَكَرُوا بكَ وبنَفْسكَ بتَحْبيبهمْ إلَيْكَ شَهَوَاتكَ، وإعْطَائكَ أمَانيَّكَ وإرَادَتَكَ، ويُسَوِّلُونَ لَكَ، ويُنْسُونَكَ، ويَنْهَوْنَكَ ويَأمُرُونَكَ، ويُحْسنُونَ ظَنَّكَ باللَّه - عز وجَلَّ - حَتَّى تَرْجُوَهُ فَتَغْتَرَّ بذَلكَ فَتَعْصيه، وجَزَاءُ الْعَاصي لَظى.

يَا كُمَيْلُ، احْفَظْ قَوْلَ اللَّه - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأَمْلى لَهُمْ﴾.

والْمُسَوِّلُ الشَّيْطَانُ، والْمُمْلي اللَّهُ -تعالى-.

يَا كُمَيْلُ، اذْكُرْ قَوْلَ اللَّه - تعالى - لإبْليسَ - لَعَنَهُ اللَّهُ -: ﴿واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ وشارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ والْأَوْلادِ وعِدْهُمْ﴾.

يَا كُمَيْلُ، إنَّ إبْليسَ لاَ يَعدُ عَنْ نَفْسه، وإنَّمَا يَعدُهُمْ عَنْ رَبِّه، لِيَحْملَهُمْ عَلى مَعْصيَته فَيُورِّطَهُمْ.

يَا كُمَيْلُ، إنَّهُ يَأتيكَ بلُطْف كَيْده، فَيَأمُرُكَ بمَا يَعْلَمُ أنَّكَ قَدْ أَلفْتَهُ منْ طَاعَة لاَ تَدَعُهَا، فَتَحْسَبُ أنَّ ذَلكَ مَلَكٌ كَريمٌ، وإنَّمَا هُوشَيْطَانٌ رَجيمٌ، فَإذَا سَكَنْتَ إلَيْه واطْمَأنَنْتَ، حَمَلَكَ عَلَى الْعَظَائم الْمُهْلكَة الَّتي لاَ نَجَاةَ مَعَهَا.

يَا كُمَيْلُ، إنَّ لَهُ فخَاخاً يَنْصبُهَا، فَاحْذَرْ أنْ يُوقعَكَ فيهَا.

يَا كُمَيْلُ، إنَّ الأَرْضَ مَمْلُوءَةٌ منْ فخَاخهمْ، فَلَنْ يَنْجُومنْهَا إلاَّ مَنْ تَشَبَّثَ بنَا، وقَدْ أعْلَمَكَ اللَّهُ أنَّهُ لَنْ يَنْجُومنْهَا إلاَّ عبَادُهُ، وعبَادُهُ أوْليَاؤُنَا. وهُوقَوْلُ اللَّه - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿إنَّ

عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ﴾.

وقَوْلُهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ والَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.

يَا كُمَيْلُ، إِنْجُ بِوِلاَيَتِنَا مِنْ أَنْ يَشْرَكَكَ الشَّيْطَانُ في مَالِكَ وَوَلَدِكَ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ تَغْتَرَّ بِأَقْوَامٍ يُصَلُّونَ قَيْطِيلُونَ، ويَصُومُونَ فَيُدَاوِمُونَ، ويَتَصَدَّقُونَ فَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُوَفَّقُونَ.

[فَـ]كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِه إِلاَّ الْجُوعُ والظَّمَأُ.

وكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِه إِلاَّ السَّهَرُ والْعَنَاءُ.

حَبَّذَا صَوْمُ الأَكْيَاسِ وإِفْطَارُهُمْ.

واللَّه لَنَوْمٌ عَلى يَقِينٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ أَهْلِ الأَرْضِ مِنَ الْمُغْتَرِّينَ.

يَا كُمَيْلُ، أُقْسِمُ بِاللَّه، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا حَمَلَ قَوْماً عَلَى الْفَوَاحِشِ مِثْلَ الزِّنَا وشُرْبِ الْخَمْرِ والرِّبَا ومَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْخَنَا والْمَآثِمِ، حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْعِبَادَةَ الشَّدِيدَةَ، والْخُشُوعَ، والرُّكُوعَ، والْخُضُوعَ، والسُّجُودَ، ثُمَّ حَمَلَهُمْ عَلى وِلاَيَةِ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، ويَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّهُ مُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ، فَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُسْتَوْدَعِينَ، وإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقَراً إِذَا لَزِمْتَ الْجَادَّةَ الْوَاضِحَةَ الَّتي لاَ تُخْرِجُكَ إِلى عِوَجٍ، ولاَ تُزِيلُكَ عَنْ مَنْهَجٍ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ رُخْصَةَ في فَرْضٍ، ولاَ شِدَّةَ في نَافِلَةٍ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وجَلَّ - لاَ يَسْأَلُكَ إِلاَّ عَمَّا فَرَضَ، وإِنَّمَا قَدَّمْنَا عَمَلَ النَّوَافِلِ بَيْنَ أَيْدِينَا لِلأَهْوَالِ الْعِظَامِ، والطَّامَّةِ يَوْمَ الْمُقَامِ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّ الْوَاجِبَ لِلَّه أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُزِيلَهُ الْفَرَائِضُ والنَّوَافِلُ وجَمِيعُ الأَعْمَالِ وصَالِحُ الأَمْوَالِ، ولكِنْ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّ ذُنُوبَكَ أَكْثَرُ مِنْ حَسَنَاتِكَ، وغَفْلَتَكَ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِكَ، ونِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكَ أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ عَمَلِكَ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّكَ لاَ تَخْلُومِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ - عَزَّ وجَلَّ - عِنْدَكَ وعَافِيَتِهِ إِيَّاكَ، فَلاَ تَخْلُ مِنْ تَحْمِيدِهِ وتَمْجِيدِهِ، وتَسْبِيحِهِ وتَقْدِيسِهِ، وشُكْرِهِ وذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ قَالَ [عَنْهُمُ] اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ، ونَسَبَهُمْ إِلَى الْفِسْقِ فَقَالَ: فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ﴾.

يَا كُمَيْلُ، لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُصَلِّيَ وتَصُومَ وتَتَصَدَّقَ، وإِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تَكُونَ الصَّلاَةُ بِقَلْبٍ نَقِيٍّ، وعَمَلٍ عِنْدَ اللَّهِ مَرْضِيٍّ، وخُشُوعٍ سَوِيٍّ، وإِبْقَاءٍ لِلْجِدِّ فِيهَا.

يَا كُمَيْلُ، عِنْدَ الرُّكُوعِ والسُّجُودِ ومَا بَيْنَهُمَا تَبَتَّلُ الْعُرُوقُ والْمَفَاصِلُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ وَلاَءً إِلَى مَا تَأْتِي بِهِ مِنْ جَمِيعِ صَلَوَاتِكَ.

يَا كُمَيْلُ، انْظُرْ فِيمَ تُصَلِّي، وعَلاَمَ تُصَلِّي، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ وَجْهِهِ وحِلِّهِ فَلاَ قَبُولَ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّ اللِّسَانَ يَنْزَحُ مِنَ الْقَلْبِ، والْقَلْبَ يَقُومُ بِالْغِذَاءِ، فَانْظُرْ فِيمَا تُغَذِّي قَلْبَكَ وجِسْمَكَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ حَلاَلًا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ - تعالى - تَسْبِيحَكَ ولاَ شُكْرَكَ.

يَا كُمَيْلُ، افْهَمْ واعْلَمْ أَنَّا لاَ نُرَخِّصُ فِي تَرْكِ أَدَاءِ الأَمَانَاتِ لأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، فَمَنْ رَوَى عَنِّي فِي ذَلِكَ رُخْصَةً فَقَدْ أَبْطَلَ وأَثِمَ، وجَزَاؤُهُ النَّارُ بِمَا كَذَبَ.

أُقْسِمُ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ لِي قَبْلَ وَفَاتِهِ بِسَاعَةٍ مِرَاراً ثَلاَثَةً: يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى الْبَرِّ والْفَاجِرِ فِيمَا جَلَّ وقَلَّ حَتَّى الْخَيْطَ والْمِخْيَطَ.

يَا كُمَيْلُ، لاَ غَزْوإِلاَّ مَعَ إِمَامٍ عَادِلٍ، ولاَ نَفَلَ إِلاَّ مِنْ إِمَامٍ فَاضِلٍ.

يَا كُمَيْلُ،أَرَأَيْتَ لَوأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُظْهِرْ نَبِيّاً وكَانَ فِي الأَرْضِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ كَانَ فِي دُعَائِهِ إِلَى اللَّهِ مُخْطِئاً أومُصِيباً. بَلى، واللَّهِ، مُخْطِئاً حَتَّى يَنْصِبَهُ اللهُ - عز وجل - لِذَلِكَ ويُؤَهِّلَهُ لَهُ.

يَا كُمَيْلُ، الدِّينُ للَّه، فَلاَ تَغْتَرَّنَّ بِأَقْوَالِ الأُمَّةِ الْمَخْدُوعَةِ، الَّتِي قَدْ ضَلَّتْ بَعْدَ مَا اهْتَدَتْ، وجَحَدَتْ بَعْدَ مَا قَبِلَتْ.

يَا كُمَيْلُ، الدِّينُ للَّه، فَلاَ يَقْبَلُ الله - تعالى - مِنْ أَحَدٍ الْقِيَامَ بِهِ إِلاَّ رَسُولًا أَونَبِيّاً أَووَصِيّاً.

يَا كُمَيْلُ، هِيَ نُبُوَّةٌ ورِسَالَةٌ وإِمَامَةٌ، ولَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلاَّ مُوالِينَ مُتَّبِعِينَ، أَوعَامِهِينَ مُبْتَدِعِينَ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّ النَّصَارى لَمْ تُعَطِّلْ [أَحْكَامَ] الله - تعالى - ولاَ الْيَهُودُ، ولاَ جَحَدَتْ مُوسى ولاَ عيسى، ولكِنَّهُمْ زَادُوا ونَقَصُوا، وحَرَّفُوا وألْحَدُوا، فَلُعِنُوا ومُقِتُوا ولَمْ يَتُوبُوا.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّ أَبَانَا آدَمَ لَمْ يَلِدْ يَهُودِيّاً ولاَ نَصْرَانِيّاً، ولاَ كَانَ ابْنُهُ إِلاَّ حَنِيفاً مُسْلِماً، فَلَمْ يَقُمْ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ، فَأَدَّاهُ إِلى أَنْ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ قُرْبَانَهُ، بَلْ قَبِلَ مِنْ أَخِيهِ فَحَسَدَهُ فَقَتَلَهُ، وهُومِنَ الْمَسْجُونِينَ فِي الْفَلَقِ الَّذِينَ عِدَّتُهُمُ اثْنَا عَشَرَ، سِتَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ، وسِتَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ.

والْفَلَقُ أَسْفَلُ مِنَ النَّارِ، ومِنْ بُخَارِهِ حَرُّ جَهَنَّمَ، وحَسْبُكَ فِيمَا حَرُّ جَهَنَّمَ مِنْ بُخَارِهِ.

يَا كُمَيْلُ، نَحْنُ، واللَّه، الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّ الله - عز وجل - كَرِيمٌ حَلِيمٌ، عَظِيمٌ رَحِيمٌ، دَلَّنَا عَلى أَخْلاَقِهِ، وأَمَرَنَا بِالأَخْذِ بِهَا وحَمْلِ النَّاسِ عَلَيْهَا، فَقَدْ أَدَّيْنَاهَا غَيْرَ مُتَخَلِّفِينَ، وأَرْسَلْنَاهَا غَيْرَ مُنَافِقِينَ، وصَدَّقْنَاهَا غَيْرَ مُكَذِّبِينَ، وقَبِلْنَاهَا غَيْرَ مُرْتَابِينَ.

لَمْ يَكُنْ لَنَا، واللَّه، شَيَاطِينُ نُوحِي إِلَيْهَا وتُوحِي إِلَيْنَا، كَمَا وَصَفَ الله - عز وجل - قَوْماً ذَكَرَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فِي كِتَابِهِ، لَوقُرِئَ كَمَا أُنْزِلَ: ﴿شَيَاطِينَ الأِنْسِ والْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾.

يَا كُمَيْلُ، الْوَيْلُ لَهُمْ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً.

يَا كُمَيْلُ، لَسْتُ، واللَّه، مُتَمَلِّقاً حَتَّى أُطَاعَ، ولاَ مُمِنّاً حَتَّى أُعْصى، ولاَ مَائِلًا لِطُغَامِ الأَعْرَابِ حَتَّى أُنْتَحِلَ إِمْرَةَ الْمُؤْمِنِينَ وأُدْعى بِهَا.

يَا كُمَيْلُ، نَحْنُ الثِّقْلُ الأَصْغَرُ، والْقُرْآنُ الثِّقْلُ الأَكْبَرُ، وقَدْ أَسْمَعَهُمْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه، وقَدْ جَمَعَهُمْ، فَنَادى فِيهِمْ: الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ أَيَّاماً سَبْعَةً، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ. فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنى عَلَيْهِ، وقَالَ: مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنِّي مُؤَدٍّ عَنْ رَبِّي - عز وجل - ولاَ مُخْبِرٌ عَنْ نَفْسِي، فَمَنْ صَدَّقَنِي فَللَّه صَدَّقَ، ومَنْ صَدَّقَ اللَّهَ أَثَابَهُ الْجِنَانَ، ومَنْ كَذَّبَنِي فَقَدْ كَذَّبَ الله - عز وجل -، ومَنْ كَذَّبَ اللَّهَ أَعْقَبَهُ النِّيرَانَ.

ثُمَّ نَادَانِي، فَصَعِدْتُ، فَأَقَامَنِي دُونَهُ، ورَأْسِي إِلى صَدْرِهِ، والْحَسَنُ والْحُسَيْنُ عَنْ يَمِينِهِ وشِمَالِه، ثُمَّ قَالَ: مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، أَمَرَنِي جِبْرِيلُ عَنِ الله - عز وجل - رَبِّي ورَبُّكُمْ أَنْ أُعْلِمَكُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوالثِّقْلُ الأَكْبَرُ، وأَنَّ وَصِيِّي هذَا وابْنَايَ ومَنْ خَلَفَهُمْ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ حَامِلًا وَصَايَاهُمْ هُمُ الثِّقْلُ الأَصْغَرُ.

يَشْهَدُ الثِّقْلُ الأَصْغَرُ لِلثِّقْلِ الأَكْبَرِ، ويَشْهَدُ الثِّقْلُ الأَكْبَرُ لِلثِّقْلِ الأَصْغَرِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُلاَزِمٌ لِصَاحِبِهِ غَيْرُ مُفَارِقٍ لَهُ حَتَّى يَرِدَا عَلَى اللَّه فَيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا وبَيْنَ الْعِبَادِ.

يَا كُمَيْلُ، فَإِذَا كُنَّا كَذَلِكَ فَعَلاَمَ تَقَدَّمَنَا مَنْ تَقَدَّمَ، وتَأَخَّرَ عَنَّا مَنْ تَأَخَّرَ.

يَا كُمَيْلُ، قَدْ أَبْلَغَهُمْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه رِسَالَةَ رَبِّه، ونَصَحَ لَهُمْ، ولكِنْ لاَ يُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ.

يَا كُمَيْلُ، قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه قَوْلًا أَعْلَنَهُ، والْمُهَاجِرُونَ والأَنْصَارُ مُتَوَافِرُونَ، يَوْماً بَعْدَ الْعَصْرِ، يَوْمَ النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، قَائِماً عَلى قَدَمَيْهِ مِنْ فَوْقِ مِنْبَرِهِ: عَلِيٌّ مِنِّي، وابْنَايَ مِنْهُ، والطَّيِّبُونَ مِنِّي ومِنْهُمْ، وهُمُ الطَّيِّبُونَ بَعْدَ أُمِّهِمْ، وهُمْ سَفِينَةُ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَوى، النَّاجِي فِي الْجَنَّةِ، والْهَاوِي فِي لَظى.

يَا كُمَيْلُ، لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّه.

يَا كُمَيْلُ، عَلاَمَ يَحْسُدُونَنَا، واللَّهُ شَاءَنَا قَبْلَ أَنْ يَعْرِفُونَا، أَتَرَاهُمْ بِحَسَدِهِمْ إِيَّانَا عَنْ

رَبَّنَا يُزَيِّلُونَنَا.

يَا كُمَيْلُ، إِنَّمَا حَظِيَ مَنْ حَظِيَ بِدُنْيَا زَائِلَةٍ مُدْبِرَةٍ، فَافْهَمْ تَحْظَ بِآخِرَةٍ بَاقِيَةٍ ثَابِتَةٍ.

يَا كُمَيْلُ، كُلٌّ يَصِيرُ إِلَى الآخِرَةِ، والَّذِي نَرْغَبُ فيه مِنْهَا رِضَى الله - عز وجل - والدَّرَجَات الْعُلى مِنَ الْجَنَّةِ الَّتِي لاَ يُورِثُهَا إِلاَّ مَنْ كَانَ نَقِيّاً.

يَا كُمَيْلُ، مَنْ لاَ يَسْكُنُ الْجَنَّةَ فَبِشَرِّهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، وخِزْيٍ مُقِيمٍ، ومَقَاطِعَ وأَكْبَالٍ، وسَلاَسِلَ طِوَالٍ، ومُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ، ومُقَارَنَةِ الشَّيْطَانِ.

الشَّرَابُ صَدِيدٌ، واللِّبَاسُ حَدِيدٌ، والْخَزَنَةُ فَظَظَةٌ، والنَّارُ مُلْتَهِبَةٌ، والأَبْوَابُ مُوثَقَةٌ مُطْبَقَةٌ.

يُنَادُونَ فَلاَ يُجَابُونَ، ويَسْتَغِيثُونَ فَلاَ يُرْحَمُونَ، نِدَاؤُهُمْ: يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قالَ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ ولكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ.

يَا كُمَيْلُ، نَحْنُ، واللَّه، الْحَقُّ الَّذِي قَالَ الله - عز وجل -: ﴿ولَواتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والْأَرْضُ ومَنْ فِيهِنَّ﴾.

يَا كُمَيْلُ، ثُمَّ يُنَادُونَ الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - بَعْدَ أَنْ يَمْكُثُوا أَحْقَاباً: اجْعَلْنَا عَلَى الرِّضَا، فَيُجِيبُهُمْ: اخْسَؤُا فِيها ولا تُكَلِّمُونِ.

فَعِنْدَهَا يَئِسُوا مِنَ الْكَرَّةِ، واشْتَدَّتِ الْحَسْرَةُ، وأَيْقَنُوا بِالْمَكْثِ والْهَلَكَةِ، جَزَاءً بِمَا كَسَبُوا.

يَا كُمَيْلُ، مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، ويُسَارِعُوا إِلَى تَحَمُّلِ الْمَغَانِمِ، ويُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَنَائِمٌ، فَوالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلاَّ وخَلَقَ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الإِبِلِ.

يَا كُمَيْلُ، أَنَا أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى تَوْفِيقِهِ إِيَّايَ والْمُؤْمِنِينَ، وعَلَى كُلِّ حَالٍ، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي ولَكَ.

إِنْصَرِفْ، يَا كُمَيْلُ، إِذَا شِئْتَ.

كلام له عليه السلام (٤٢)

لمّا اجتمع عنده جماعة فتذاكروا المعروف

فقال عليه السلام: الْمَعْرُوفُ كَنْزٌ مِنْ أَفْضَلِ الْكُنُوزِ، وزَرْعٌ مِنْ أَنْمَى الزُّرُوعِ، وحِصْنٌ مِنْ أَحْصَنِ الْحُصُون.

فَلاَ يُزْهِدَنَّكَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوف كُفْرُ مَنْ كَفَرَهُ، وجَحْدُ مَنْ جَحَدَهُ، ولاَ قِلَّةُ مَنْ يَشْكُرُهُ لَكَ. فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْه مَنْ لاَ يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْجَحُودُ الْكَافِرُ، واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

فَلاَ تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِكَ مَا أَسْدَيْتَ إِلى نَفْسِكَ.

[ثم قال عليه السلام:] لاَ يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ مَعْرُوفِ الْحَوَائِجِ إِلاَّ بِثَلاَثٍ: بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ.

وبِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ.

وبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنَأَ.

كلام له عليه السلام (٤٣)

لبعض أصحابه في علّة اعتلّها

جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطّاً لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لاَ أَجْرَ فِيهِ، ولكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، وَيَحُتُّهَا حَتَّ الأَوْرَاقِ، وإِنَّمَا الأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، والْعَمَلِ بِالأَيْدِي والأَقْدَامِ.

وإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - بِكَرَمِهِ وفَضْلِهِ لَيُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ والسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ.

كلام له عليه السلام (٤٤)

معزّياً قوماً عن ميت مات لهم

إِنَّ هذَا الأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَاً، ولاَ إِلَيْكُمُ انْتَهى.

وقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هـذَا يُسَافِرُ، فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وإِلاَّ قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ.

كلام له عليه السلام (٤٥)

وقد عزّى الأشعث بن قيس في ابن له

يَا أَشْعَثُ، إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ ذَلِكَ مِنْكَ الرَّحِمُ، وإِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ.

وإِنَّ أَعْظَمَ مُصِيبَةٍ أُصِيبَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وعَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ.

يَا أَشْعَثُ، إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وأَنْتَ مَأْجُورٌ، وإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وأَنْتَ مَأْزُورٌ.

وإِنْ صَبَرْتَ أَدْرَكْتَ بِصَبْرِكَ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ، وإِنْ جَزِعْتَ أَوْرَدَكَ جَزَعُكَ عَذَابَ النَّارِ.

[وَ] إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الأَحْرَارِ الأَكَارِمِ، وإِلاَّ سَلَوْتَ سُلُوَّ الأَغْمَارِ الْبَهَائِمِ.

يَا أَشْعَثُ، ابْنُكَ سَرَّكَ وهُوَ بَلاَءٌ وفِتْنَةٌ، وحَزَنَكَ وهُوَ ثَوَابٌ ورَحْمَةٌ.

كلام له عليه السلام (٤٦)

وقد عزّى رجلًا مات له ولد ورُزق بولد

عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ فيمَا أَبَادَ، وبَارَكَ لَكَ فيمَا أَفَادَ.

كلام له عليه السلام (٤٧)

لمّا هنّأ بحضرته رجل رجلًا بغلامٍ وُلد له

فقال له: ليهنئكَ الفارس فقال عليه السلام: لاَ تَقُلْ ذَلِكَ، ولكِنْ قُلْ: شَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ، وبَلَغَ أَشُدَّهُ، ورُزِقْتَ بِرَّهُ.

إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقّاً، وإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقّاً.

فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ - سبحانه -.

وحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ، ويُحْسِنَ أَدَبَهُ، ويُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ.

كلام له عليه السلام (٤٨)

لمّا سئل: كيف كان حبّكم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ

كَانَ، واللَّهِ، أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وأَوْلاَدِنَا وأُمَّهَاتِنَا وآبَائِنَا، ومِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَأِ.

كلام له عليه السلام (٤٩)

في بيان شجاعة النبي صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسلّمَ

كُنَّا إذَا اشْتَدَّ الْحَرْبُ واحْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا برَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ، فَكَانَ مِنْ أشَدِّ النَّاسِ بَأساً، وَلَمْ يَكُنْ أحَدٌ مِنَّا أقْرَبَ إلَى الْعَدُوِ مِنْهُ.

كلام له عليه السلام (٥٠)

لمّا سئل عن قُريش

فقال عليه السلام: أمَّا بَنُومَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ، تُحِبُّ حَديثَ رِجَالِهِمْ، والنِّكَاحَ في نِسَائِهِمْ.

وأمَّا بَنُوعَبْد شَمْسٍ فَأبْعَدُهَا رَأياً، وأمْنَعُهَا لمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا.

وأمَّا نَحْنُ فَأبْذَلُ لمَا في أيْدِينَا، وأسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بنُفُوسِنَا.

وهُمْ أكْثَرُ، وأمْكَرُ، وأنْكَرُ، وأفْجَرُ، ونَحْنُ أمْجَدُ، وأنْجَدُ، وأجْوَدُ، وَأفْصَحُ، وأنْصَحُ، وَأصْبَحُ.

كلام له عليه السلام (٥١)

لمّا سئل: أيهما أفضل: العدل، أوالجود

فقال عليه السلام: الْعَدْلُ يَضَعُ الأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، والْجُودُ يُخْرِجُهَا عَنْ جِهَتِهَا.

والْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ، والْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ.

فَالْعَدْلُ أشْرَفُهُمَا وأفْضَلُهُمَا.

كلام له عليه السلام (٥٢)

لمّا قيل له: ما السخاء

فقال عليه السلام: السَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً.

فَأَمَّا إِذَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَة، فَحَيَاءٌ وتَذَمُّمٌ.

كلام له عليه السلام (٥٣)

لمّا قيل له: صِف لنا العاقل

فقال عليه السلام: هُوالَّذي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ.

فقيل له: صِف لنا الجاهل.

فقال عليه السلام: قَدْ فَعَلْتُ.

كلام له عليه السلام (٥٤)

لمّا سئل: من أشعر الشعراء

فقال عليه السلام: إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا في حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا، فَإِنْ كَانَ ولاَ بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ ذُوالْقُرُوحِ.

كلام له عليه السلام (٥٥)

لابن أخته جعدة بن هبيرة

لمّا أمره أن يخطب الناس يوماً فصعد المنبر فحُصر ولم يستطع الكلام فقال عليه السلام: أَلاَ إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ، فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، ولاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ. وإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلاَمِ، وفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ.

كلام له عليه السلام (٥٦)

وهويحلف اليمين

لاَ والَّذي أَمْسَيْنَا مِنْهُ في غُبْرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ، تَكْشِرُ عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ، مَا كَانَ كَذَا وكَذَا.

كلام له عليه السلام (٥٧)

وقد أُتِي بجانٍ ومعه غوغاء الناس

فقال عليه السلام: لاَ مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لاَ تُرى إِلاَّ عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ.

كلام له عليه السلام (٥٨)

لمّا قيل له: بأي شيء غلبت الأقران

فقال عليه السلام: مَا لَقيتُ رَجُلًا إِلاَّ أَعَانَني عَلى نَفْسه.
لأَنّي كُنْتُ أَلْقَى الرَّجُلَ فَأُقَدِّرُ أَنّي أَقْتُلُهُ، ويُقَدِّرُ أَنّي أَقْتُلُهُ، فَأَكُونُ أَنَا ونَفْسُهُ عَوْنَيْنِ عَلَيْهِ.

كلام له عليه السلام (٥٩)

لمّا قيل له: أنت محروب، فلواتّخذت طِرْفاً

فقال عليه السلام: أَنَا لاَ أَفِرُّ مِمَّنْ كَرَّ، ولاَ أَكِرُّ عَلى مَنْ فَرَّ، فَالْبَغْلَةُ تَكْفيني.

كلام له عليه السلام (٦٠)

في خطورة موقع صاحب السلطان

صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأَسَدِ، يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ، وهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ.

كلام له عليه السلام (٦١)

عن حال الغضب

مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ.

أَحِينَ أَعْجَزُ عَنِ الانْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي: لَوصَبَرْتَ، أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي: لَوعَفَوْتَ.

كلام له عليه السلام (٦٢)

لعبد الله بن جعفر حين وكّله في الخصومة عنه وهوشاهد

إِنَّ لِلْخُصُومَةِ لَقُحْماً، وإِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُهَا.

كلام له عليه السلام (٦٣)

لبعض مخاطبيه وقد تكلم بكلمة يستصغر مثله عن قول مثلها

فقال عليه السلام: لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً، وهَدَرْتَ سَقْباً.

كلام له عليه السلام (٦٤)

وقد سمع رجلًا يغتاب آخر عند ابنه الحسن عَلَيه السَّلام

فقال عليه السلام: يَا بُنَيَّ، نَزِّهْ سَمْعَكَ عَنِ اسْتِمَاعِ الْخَنَا كَمَا تُنَزِّهُ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلاَمِ بِهِ، فَإِنَّ السَّامِعَ شَرِيكُ الْقَائِلِ.

وإِنَّهُ عَمَدَ إِلى أَخْبَثِ مَا فِي وِعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وِعَائِكَ.

ولَورُدَّتْ كَلِمَةُ جَاهِلٍ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَادُّهَا كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا.

كلام له عليه السلام (٦٥)

في أهمية النوافل

مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وأَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

كلام له عليه السلام (٦٦)

وقد قال يوماً: ما أحسنتُ إلى أحد. فرفع الناس رؤوسهم تعجّباً

فقال عليه السلام: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها.

كلام له عليه السلام (٦٧)

لرجل من أصحابه أكثر الثناء عليه، وذكر له سمعه وطاعته له

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ الله - سبحانه - في نَفْسِه، وجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِه، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ، لِعِظَمِ ذَلِكَ، كُلُّ مَا سِوَاهُ.

وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّه عَلَيْه، ولَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْه.

فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ الله - تعالى - عَلى أَحَدٍ إِلاَّ ازْدَادَ حَقُّ اللَّه عَلَيْه عِظَماً.

وإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، ويُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ.

وقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ في ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ، واسْتِمَاعَ الثَّنَاء.

ولَسْتُ بِحَمْدِ اللَّه، كَذَلِكَ، ولَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ فِيَّ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلَّه - سبحانه - عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِه مِنَ الْعَظَمَةِ والْكِبْرِيَاء.

ورُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاَء.

فَلاَ تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاء، لإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى الله - سبحانه - وإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ في حُقُوقٍ لَمْ أَفْرَغْ مِنْ أَدَائِهَا، وفَرَائِضَ لاَبُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا.

فَلاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا يُكَلَّمُ بِه الْجَبَابِرَةُ، ولاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِه عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، ولاَ تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَة، ولاَ تَظُنُّوا بِيَ اسْتِثْقَالاً في حَقٍّ قِيلَ لِي، ولاَ الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي لِمَا لاَ يَصْلُحُ لِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوِالْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْه، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْه.

فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَومَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ في نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، ولاَ آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلاَّ أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِه مِنِّي.

فَإِنَّمَا أَنَا وأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلى مَا صَلُحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدى، وأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمى.

كلام له عليه السلام (٦٨)

لقوم مدحوه في وجهه

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ، واغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ، ولاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ.

كلام له عليه السلام (٦٩)

لرجل أفرط في الثناء عليه وكان له متّهماً

فقال عليه السلام: أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ.

كلام له عليه السلام (٧٠)

في آداب الكتابة

وما كان الفقهاء والعلماء يتكاتبون فيما بينهم أَحْمَقُ النَّاسِ مَنْ حَشى كِتَابَهُ بِالتَّرَّهَاتِ.
إِنَّمَا كَانَ الْفُقَهَاءُ والْعُلَمَاءُ والْحُكَمَاءُ والأَتْقِيَاءُ إِذَا كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ، كَتَبُوا

بِثَلاَثٍ لَيْسَ مَعَهُنَّ رَابِعَةٌ: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ عَلاَنِيَتَهُ.

وَمَنْ أَصْلَحَ أَمر آخِرَتِه أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ.

كلام له عليه السلام (٧١)

في آداب الكتابة

قاله لكاتبه عبيد اللّه بن أبي رافع أَلِقْ دَوَاتَكَ. وأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ. وفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ. وقَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ. فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ.

كلام له عليه السلام (٧٢)

أراد به بعض أصحابه

لِلَّهِ بَلاَءُ فُلاَنٍ، فَلَقَدْ قَوَّمَ الأَوَدَ، ودَاوَى الْعَمَدَ، وأَقَامَ السُّنَّةَ، وخَلَّفَ الْفِتْنَةَ، ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا، وسَبَقَ شَرَّهَا.

أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ، واتَّقَاهُ بِحَقِّهِ.

رَحَلَ وتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ، لاَ يَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ، ولاَ يَسْتَيْقِنُ فِيهَا الْمُهْتَدِي.

كلام له عليه السلام (٧٣)

لمّا رُفع إليه رجلان سرقا من مال اللّه أحدهما عبد من مال اللّه والآخر من عرض الناس

فقال عليه السلام: أمَّا هذَا فَهُومِنْ مَالِ اللَّهِ ولاَ حَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ اللَّهِ أكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وأمَّا الآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّديدُ.

فقطع يده، ثم أمر أن يُطعَم السمن واللحم حتى برأت منه.

كلام له عليه السلام (٧٤)

لأصحابه لمّا كان جالساً يوماً فيهم فمرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم

فقال عليه السلام: إنَّ أبْصَارَ هذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وإنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا.

فَإِذَا نَظَرَ أحَدُكُمْ إلَى امْرَأةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلاَمِسْ أهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأةٌ كَامْرَأتِهِ.

فقال رجل من الخوارج: قاتله اللّه كافراً ما أفقهه.

فوثب القوم ليقتلوه.

فقال عليه السلام: رُوَيْداً. إنَّمَا هُوسَبٌّ بِسَبٍّ، أوعَفْوعَنْ ذَنْبٍ. وقَدْ عَفَوْتُ.

كلام له عليه السلام (٧٥)

لمّا شيّع جيشاً بغزية

إِعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ.

إِمْنَعُوا أَنْفُسَكُمْ عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ، وشُغْلِ الْقَلْبِ بِهِنَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكْسِرُكُمْ عَنِ الْغَزْوِ.

كلام له عليه السلام (٧٦)

لرجل من عمّاله بنى بناءً فخماً

فقال عليه السلام: أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُؤُوسَهَا.

إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنى.

كلام له عليه السلام (٧٧)

لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق لمّا دخل عليه وهوشيخ كبير

فقال عليه السلام: مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ الْكَثِيرَةُ.

قال: ذعذعتها الحقوق، وأذهبتها الحمالات والنوائب يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: ذَاكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا.

ثم قال عليه السلام: يَا أَبَا الأَخْطَلِ، مَنْ هذَا الْغُلاَمُ الَّذي مَعَكَ.

قال غالب: هوابني همّام، رويته الشعر، يا أمير المؤمنين، وكلام العرب، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً، وإن شئت أنشدك.

فقال عليه السلام: عَلِّمْهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَخَيْرٌ لَهُ مِنَ الشِّعْرِ.

كلام له عليه السلام (٧٨)

وهويلي غسل رسول الله صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسلّمَ وتجهيزه

بأبي أنْتَ وأُمّي يَا رَسُولَ اللّه، طِبْتَ حَيّاً وطِبْتَ مَيّتاً.

لَقَد انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوّة والأَنْبَاء وأَخْبَار السَّمَاء.

خَصَصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وعَمَمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءٌ.

ولَولاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بالصَّبْرِ، ونَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُون، ولَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا، والْكَمَدُ مُحَالِفاً، وقَلاً لَكَ، ولكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ، ولاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ.

بِأبي أَنْتَ وأُمّي، أُذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، واجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

كلام له عليه السلام (٧٩)

على قبر رسول الله صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسلّمَ ساعة دفنه

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلاَّ عَنْكَ، وإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلاَّ عَلَيْكَ، وإِنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ، وإِنَّهُ قَبْلَكَ وبَعْدَكَ لَقَلِيلٌ.

مَا فَاضَ دَمْعِيَ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِلاَّ جَعَلْتُكَ لِلْبُكَا سَبَباً

وإِذَا ذَكَرْتُكَ مَيِّتاً سَفَحَتْ مِنِّي الْجُفُونُ فَفَاضَ وانْسَكَبَا

إِنِّي أُجِلُّ ثَرىً حَلَلْتَ بِهِ أَنْ لاَ أُرى بِثَرَاهُ مُكْتَئِباً

كلام له عليه السلام (٨٠)

بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عَلَيْهِ وآلِهِ وسلّمَ لمّا انتهت إليه أنباء السقيفة

فسأل عليه السلام: مَا قَالَت الأَنْصَارُ.

قالوا: قالت منّا أمير ومنكم أمير.

فقال عليه السّلام: فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلى مُحْسِنِهِمْ، ويُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ.

قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم.

فقال عليه السلام: لَو كَانَت الإِمَارَةُ فيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ.

ثم سأل عليه السلام: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ.

قالوا: احتجّت بأنها شجرة الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلّم.

فقال عليه السلام: إِحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ.

كلام له عليه السلام (٨١)

لمّا قال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه

كَذِبْتَ، وَيْلَكَ، إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فيه.

ولكِنَّكُمْ أَتَيْتُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمُ: اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ.

كلام له عليه السلام (٨٢)

لولده الحسن عَليه السَّلام لمّا وقف عليه سائل

فقال عليه السلام لولده: قُلْ لأُمِّكَ تَرَكْتُ عِنْدَكِ سِتَّةَ دَرَاهِمَ، فَهَاتِ مِنْهَا دِرْهَماً.

فَذَهب الحسن عليه السلام ثم رجع. وقال: قالت: إنما تركت ستة دراهم للدقيق.

فقال علي عليه السلام: لاَ يَصْدُقُ إيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا في يَدِ الله - سبحانه- أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا في يَدِه.

قُلْ لَهَا: ابْعَثِي بِالسِّتَّةِ دَرَاهِمَ كُلِّهَا.

فبعثت الزهراء عليها السلام بها إليه، فدفعها إلى السائل.

فما برح علي عليه السلام حتى مرّ به رجل يقود بعيراً يبيعه.

فقال علي عليه السلام: بِكَمِ الْجَمَلُ.

قال: بمائة وأربعين درهماً.

فاشتراه علي عليه السلام منه، وأنسأ أجله ثمانية أيام.

فلم يحلّ حبله حتى مرّ به رجل والبعير معقول، فقال: بكم هذا.

فقال علي عليه السلام: مِائَتَيْ دِرْهَمٍ.

فقال: قد أخذته.

فوزن له الثمن، فدفع علي عليه السلام منه ماية واربعين درهماً للذي ابتاعه منه، ودخل بالستّين الباقي على فاطمة عليها السلام.

فسألته: من أين هو.

فقال عليه السلام: هذَا تَصْدِيقٌ لِمَا جَاءَ بِهِ أَبُوكِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها.

كلام له عليه السلام (٨٣)

لعمه العباس بن عبد المطلب لمّا طلب منه جمع المهاجرين والأنصار المشاركة في الصلاة على فاطمة الزهراء ودفنها

فقال عليه السلام: إنَّ فَاطِمَةَ بِنْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله لَمْ تَزَلْ مَظْلُومَةً، ومِنْ حَقِّهَا مَحْرُومَةً، وعَنْ ميرَاثِهَا مَدْفُوعَةً، لَمْ تُحْفَظْ فيهَا وَصيَّةُ رَسُول اللَّه، ولاَ رُوعِيَ فيهَا حَقُّهُ ولاَ حَقُّ الله - عز وجل -. وكَفى بِاللَّه حَاكماً، ومنَ الظَّالمينَ مُنْتَقماً.

وإنّي أسْألُكَ، يَا عَمِّ، أنْ تَسْمَحَ لي بِتَرْكِ مَا أشَرْتَ بِه، فَإنَّهَا وَصَّتْني بِسَتْرِ أمْرِهَا.

كلام له عليه السلام (٨٤)

عند دفنه سيدة النساء فاطمة عليها السلام مناجياً

رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّه، عَنّي، وعَنِ ابْنَتكَ، وحَبيبَتكَ، وقُرَّة عَيْنكَ، النَّازلَة في جوَارِكَ، وزَائرَتكَ والْبَائتَة اللَّيْلَةَ في الثَّرى بِبُقْعَتكَ، والسَّريعَة اللّحَاق بِكَ.

قَلَّ، يَا رَسُولَ اللَّه، عَنْ صَفيَّتكَ صَبْري، ورَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدي.

إلاَّ أنَّ لي في التَّأسّي بِسُنَّتكَ وَعَظيمِ فُرْقَتكَ، وفَادحِ مُصيبَتكَ، مَوْضعَ تَعَزٍّ.

فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ في مَلْحُودَة قَبْرِكَ، وفَاضَتْ بَيْنَ نَحْري وصَدْري نَفْسُكَ، وغَمَّضْتُكَ بِيَدي، وتَوَلَّيْتُ أمْرَكَ بِنَفْسي.

بَلى وفي كِتَابِ اللَّه لي أنْعَمُ الْقَبُول: إنَّا لِلَّه وإنَّا إلَيْه راجِعُونَ.

فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، فَمَا أَقْبَحَ الْخَضْرَاءَ والْغَبْرَاءَ، يَا رَسُولَ اللَّه.

أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، وهَمٌّ لاَ يَبْرَحُ مِنْ قَلْبِي إِلى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لي دَارَكَ الَّتي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ.

كَمَدٌ مُقَيِّحٌ، وهَمٌّ مُهَيِّجٌ، سُرْعَانَ مَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَنَا، فَإِلَى اللَّه أَشْكُو.

وسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَيَّ وَعَلى هَضْمِهَا حَقَّهَا، فَاحْفِهَا السُّؤَالَ، واسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا لَمْ تَجِدْ إِلى بَثِّهِ سَبِيلًا.

وسَتَقُولُ، ويَحْكُمُ اللَّهُ وهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

هذَا ولَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، ولَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ.

والسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ، لاَ قَالٍ ولاَ سَئِمٍ.

فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ، وإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ.

وَاه وَاه، والصَّبْرُ أَيْمَنُ وأَجْمَلُ.

ولَوْلاَ غَلَبَةُ الْمُسْتَوْلِينَ عَلَيْنَا لَجَعَلْتُ الْمُقَامَ عِنْدَ قَبْرِكَ لِزَاماً، واللُّبْثَ عِنْدَهُ عُكُوفاً، ولأَعْوَلْتُ إِعْوَالَ الثَّكْلى عَلى جَلِيلِ الرَّزِيَّةِ.

فَبِعَيْنِ اللَّهِ تُدْفَنُ ابْنَتُكَ سِرّاً، ويُهْضَمُ حَقُّهَا قَهْراً، ويُمْنَعُ إِرْثُهَا جَهْراً، فَإِلَى اللَّه، يَا رَسُولَ اللَّه، الْمُشْتَكى، وفِيكَ، يَا رَسُولَ اللَّه، أَحْسَنُ الْعَزَاءِ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وعَلَيْهَا السَّلاَمُ والرِّضْوَانُ ورَحْمَةُ اللَّه وبَرَكَاتُهُ.

كلام له عليه السلام (٨٦)

عن حليّ الكعبة

ذُكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حليّ الكعبة وكثرته.

فقال قوم: لوأخذته وجهّزت به جيوش المسلمين كان أعظم أجراً، وما تصنع

الكعبة بالحليّ.

فهمّ عمر بذلك، وسأل عنه أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ والأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ، فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ.

والْفَيْءُ، فَقَسَّمَهُ عَلى مُسْتَحقِّيه.

والْخُمْسُ، فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ.

والصَّدَقَاتُ، فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا.

وكَانَ حُلِيُّ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلى حَالِه، ولَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، ولَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً.

فَأَقرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ الله - تعالى - ورَسُولُهُ.

فقال له عمر: لولاك لافتضحنا، وترك الحليّ بحاله.

كلام له عليه السلام (٨٧)

لعمر بن الخطّاب وقد شاوره في الخروج إلى غزوالروم بنفسه

لمّا خرج قيصر الروم في جماهير أهلها، وذلك بعد انزواء خالد بن الوليد واستصعاب باقي أمراء سرايا المسلمين فقال عليه السلام: إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الله - تَبَارَكَ وتَعَالى - بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ ولَيْسَ مَعَهُ ثَانٍ، ولاَ لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ نَاصِرٍ، ولاَ لَهُ مِنْ عَدُوِّه مَانِعٌ، ثُمَّ لَطَفَ - تَبَارَكَ وتَعَالى - بِحَوْلِه وقُوَّتِه وطَوْلِه فَجَعَلَ لَهُ أَعْوَاناً أَعَزَّ بِهِمْ دِينَهُ، وشَدَّ بِهِمْ أَزْرَهُ، وشَيَّدَ بِهِمْ أَمْرَهُ، وقَصَمَ بِهِمْ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وشَيْطَانٍ مَرِيدٍ، وأَرى مُؤَازِرِيه ونَاصِرِيه مِنَ الْفُتُوحِ والظُّهُورِ عَلَى الأَعْدَاءِ مَادَامَ بِهِ سُرُورُهُمْ، وقَرَّتْ بِهِ أَعْيُنُهُمْ.

وقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ - تعالى - لأَهْلِ هذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ، وسَتْرِ الْعَوْرَةِ، والَّذي نَصَرَهُمْ وهُمْ قَليلٌ لاَ يَنْتَصِرُونَ، ومَنَعَهُمْ وهُمْ قَليلٌ لاَ يَمْتَنِعُونَ، حَيٌّ لاَ يَمُوتُ.

إِنَّكَ مَتى تَسِرْ إِلى هذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ، فَتُنْكَبْ، لاَ تَكُنْ لِلْمُسْلِمينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصى بِلاَدِهِمْ، ولَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ.

فَأَقِمْ بِالْمَدِينَةِ ولاَ تَبْرَحْهَا، فَإِنَّهُ أَهْيَبُ لَكَ في عَدُوِّكَ وأَرْعَبُ لِقُلُوبِهِمْ، وَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَباً، واحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلاَءِ والنَّصيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَهُ اللَّهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وإِنْ تَكُنِ الأُخْرى، كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ، ومَثَابَةً لِلْمُسْلِمينَ.

كلام له عليه السلام (٨٨)

لعمر بن الخطّاب لمّا استشاره في قتال الفُرس بنفسه

إِنَّ هذَا الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ ولاَ خِذْلاَنُهُ بِكَثْرَةٍ ولاَ بِقِلَّةٍ، وإِنَّمَا هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذي أَظْهَرَهُ، وجُنْدُهُ الَّذي أَعَدَّهُ وأَمَدَّهُ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وطَلَعَ حَيْثُمَا طَلَعَ.

ونَحْنُ عَلى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ، واللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، وناصِرٌ جُنْدَهُ.

ومَكَانُ الْقَيِّمِ بِالأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ ويَضُمُّهُ، فَإِذَا انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وذَهَبَ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً.

والْعَرَبُ الْيَوْمَ وإِنْ كَانُوا قَليلًا، فَهُمْ كَثيرُونَ بِالإِسْلاَمِ، وعَزيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ.

فَكُنْ قُطْباً، واسْتَدِرِ الرَّحى بِالْعَرَبِ، وأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ.

فَإِنَّكَ إِنْ أَشْخَصْتَ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ شَامِهِمْ سَارَتِ الرُّومُ إِلى ذَرَارِيهِمْ.

وإِنْ أَشْخَصْتَ أَهْلَ الْيَمَنِ مِنْ يَمَنِهِمْ سَارَتِ الْحَبَشَةُ إِلى دِيَارِهِمْ.

وإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هذِهِ الأَرْضِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ والْمَدِينَةِ إِلى أَهْلِ الْبَصْرَةِ والْكُوفَةِ ثُمَّ قَصَدْتَ بِهِمْ عَدُوَّكَ انْتَفَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الْعِيَالاَتِ.

ولكنّي أرى أنْ تُقرَّ هؤلاء في أمْصارِهِمْ، وتكْتُبْ إلى أهْلِ البَصْرَةِ فَلْيَتَفرَّقُوا فيها ثلاثَ فِرَق: فَلْتَقُمْ فِرْقَةٌ منْهُمْ في حَرَمِهِمْ وذَرَاريهِمْ حَرَساً لَهُمْ.

ولْتَقُمْ فِرْقَةٌ في أهْلِ عَهْدِهِمْ لئلاَّ يَنْتَفِضُوا عَلَيْهِمْ.

ولْتَسِرْ فِرْقَةٌ منْهُمْ إلى إخْوَانِهِمْ مَدَداً لَهُمْ.

واكْتُبْ إلى أهْلِ الكُوفَة، فَلْيَذْهَبْ منْهُمُ الثُّلُثَان ويُقيمُ الثُّلُثُ.

واكْتُبْ إلى أهْلِ الشَّامِ أنْ يُقيمَ منْهُمْ بِشَامِهِمُ الثُّلُثَانِ ويَشْخَصَ الثُّلُثُ، وكَذَلكَ إلى عُمَانَ، وكَذَلكَ إلى سَائرِ الأمْصَارِ والكُوَرِ.

إنَّ الأعَاجِمَ إنْ يَنْظُرُوا إلَيْكَ غَداً يَقُولُوا: هذَا أصْلُ العَرَبِ، فَإذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ منْهُمْ، فَيَكُونُ ذَلكَ أشَدَّ لكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ، وطَمَعِهِمْ فيكَ.

فَأمَّا مَا ذَكَرْتَ منْ مَسيرِ الْقَوْمِ إلى قِتَالِ الْمُسْلمينَ، فَإنَّ الله - سبحانه - هُوَ أكْرَهُ لمَسيرِهِمْ منْكَ، وهُوَ أقْدَرُ عَلى تَغْييرِ مَا يَكْرَهُ.

فَثِقْ باللَّه، ولاَ تَيْأسْ منْ رَوْحِ اللَّه، إنَّهُ لا يَيْأسُ منْ رَوْحِ اللَّه إلاَّ الْقَوْمُ الْكافرُونَ.

وأمَّا مَا ذَكَرْتَ منْ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، فَإنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتلُ فيمَا مَضى عَلى عَهْدِ نَبيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ ولاَ بَعْدَهُ بالْكَثْرَة، وإنَّمَا كُنَّا نُقَاتلُ بالنَّصْرِ والْمَعُونَة.

فَأقِمْ بِمَكَانِكَ الَّذي أنْتَ فيه، وابْعَثْ مَنْ يَكْفيكَ هَذَا الأمْر. والسَّلاَمُ.

كلام له عليه السلام (٨٩)

لبنت كسرى وقد سألها لمّا أُسرت:

مَا حَفِظْتِ عَنْ أبيك بَعْدَ وَقْعَةِ الْفيلِ.

قالت: حفظنا عنه أنه كان يقول: إذا غلب اللّه على أمر ذلّت المطامع دونه. وإذا انقضت المدّة كان الحتف في الحيلة.

فقال عليه السلام: مَا أحْسَنَ مَا قَالَ أبُوك، تَذِلُّ الأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبيرِ.

كلام له عليه السلام (٩٠)

يوم الشورى قبل البيعة لعثمان

إِنَّكُمْ قَد اجْتَمَعْتُمْ لِمَا اجْتَمَعْتُمْ لَهُ، فَانْصتُوا فَأَتَكَلَّمُ.

فَإِنْ قُلْتُ حَقّاً فَصَدِّقُوني، وإِنْ قُلْتُ بَاطِلًا رُدُّوا عَلَيَّ ولاَ تَهَابُوني، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ كَأَحَدِكُمْ.

نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ الَّذي يَعْلَمُ صِدْقَكُمْ إِنْ صَدَقْتُمْ، ويَعْلَمُ كَذِبَكُمْ إِنْ كَذَبْتُمْ، أَيُّهَا النَّفَرُ جَميعاً، أَلاَ تَعْلَمُونَ أَنّي أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلاَماً.

قالوا: اللهم نعم.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ وَحَّدَ اللَّهَ وصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ قَبْلي.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ مَنْ بَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ، بَيْعَةَ الْفَتْحِ، وبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَفيكُمْ أَحَدٌ كَانَ أَعْظَمَ غَنَاءً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ مِنّي، حينَ اضْطَجَعْتُ عَلى فِرَاشِهِ، ووَقَيْتُهُ بِنَفْسي مِنَ الْمُشْرِكينَ حينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ، وبَذَلْتُ لَهُ مُهْجَةَ دَمي.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أفيكُمْ أحَدٌ كَانَ أقْتَلَ لِمُشْرِكي قُرَيْشٍ والْعَرَبِ عِنْدَ كُلِّ شَدِيدَةٍ تَنْزِلُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ مِنِّي.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أفيكُمْ أحَدٌ أعْظَمُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ مَكَاناً مِنِّي، حَيْثُ آخى بَيْني وبَيْنَ نَفْسِهِ، وآخى بَيْنَ بَعْضِ الْمُسْلِمينَ وبَعْضٍ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ اضْطَجَعَ هُو ورَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ] في لَحَافٍ وَاحِدٍ إذْ كَفِلَهُ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: النَّاسُ مِنْ أشْجَارٍ شَتَّى وأنَا وأنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ أرَادَ أنْ يُبَاهِلَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ نَصَارى أهْلِ نَجْرَانَ وجَعَلَ الله - عز وجل - نَفْسَهُ نَفْسَ رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ] غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري قَالَ فيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ لِوَفْدِ بَني رَبيعَةَ: لَتُؤْمِنُنَّ أولأَبْعَثَنَّ إلَيْكُمْ رَجُلًا امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالإيمَانِ، نَفْسُهُ كَنَفْسي، وطَاعَتُهُ كَطَاعَتي، ومَعْصِيَتُهُ كَمَعْصِيَتي، يَقْتُلُكُمْ بِالسَّيْفِ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ مَنْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَوْمَ الطَّائِرِ الْمَشْوِيِّ: اللَّهُمَّ ائْتني بِأحَبِّ خَلْقِكَ إلَيْكَ وإلَيَّ وأشَدِّهِمْ حُبّاً لَكَ ولي يَأكُلُ مَعي

مِنْ هذَا الطَّيْرِ، فَأَتَيْتُ أَنَا وأَكَلْتُ مَعَهُ، هَلْ أَتَاهُ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: مَا سَأَلْتُ الله - عز وجل - شَيْئاً إِلاَّ سَأَلْتُ لَكَ مِثْلَهُ، غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَنْشدُكُمُ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ رُفِعْتُ إِلى رَفَارِفَ مِنْ نُورٍ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلى حُجُبٍ مِنْ نُورٍ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَشْيَاءَ، فَلَمَّا رَجَعْتُ مِنْ عِنْدِهِ نَادى مُنَادٍ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُبِ: يَا مُحَمَّدُ، نِعْمَ الأَبُ أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، ونِعْمَ الأَخُ أَخُوكَ عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ، فَاسْتَوْصِ بِهِ.

أَتَعْلَمُونَ، يَا مَعَاشِرَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، كَانَ هذَا.

قال عبد الرحمن بن عوف من بينهم: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهاتين (وأشار بيده إلى أذنيه) و إلاَّ فصمّتا.

فقال عليه السلام: أَلاَ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ فَرُّوا عَنْهُ في مَأْقِطِ الْحَرْبِ في غَيْرِ مَوْطِنٍ ومَا فَرَرْتُ قَطُّ.

قالوا: اللهم بلى.

فقال عليه السلام: أَنْشدُكُمُ اللَّهَ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ بَارَزَ عَمْرَوبْنَ عَبْدِ وُدٍّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، حَيْثُ دَعَاكُمْ لِلْبِرَازِ، وقَتَلَهُ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ باللَّهِ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ غَيْري وَقَفَتِ الْمَلاَئِكَةُ مَعَهُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى ذَهَبَ النَّاسُ. فَقَالَ جِبْرَئِيلُ: هذِهِ هِيَ الْمُوَاسَاةُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: ومَا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ مِنِّي وأَنَا مِنْهُ. فَقَالَ جِبْرَئِيلُ: وأَنَا مِنْكُمَا.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ تَعْلَمُونَ أَنّي كُنْتُ إِذَا قَاتَلْتُ عَنْ يَمينِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ قَاتَلَتِ الْمَلاَئِكَةُ عَنْ يَسَارِهِ.

قالوا: اللهم نعم.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ مَنْ قَاتَلَ وجِبْريلُ عَنْ يَمينِهِ وميكَائيلُ عَنْ شِمَالِهِ ومَلَكُ الْمَوْتِ أَمَامَهُ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَنْشِدُكُمُ اللَّهَ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ رُدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ في وَقْتِها غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ سَلَّمَ عَلَيْهِ في سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ثَلاَثَةُ آلافٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مِنْهُمْ جِبْرَئيلُ وميكَائيلُ وإِسْرَافيلُ حَيْثُ جِئْتُ بِالْمَاءِ إِلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ مِنَ الْقَليبِ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ في حَقِّهِ يَوْمَ خَيْبَرَ، إِذْ رَجِعَ غَيْري مُنْهَزِماً: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورَسُولُهُ كَرَّارٌ غَيْرُ فَرَّارٍ، لاَ يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ بِالنَّصْرِ،أَفَأَعْطَاهَا أَحَداً فَفَتَحَ اللَّهُ عَلى يَدَيْهِ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ غَيْري احْتَمَلَ بَابَ خَيْبَرَ حينَ فَتَحَهَا، فَمَشى بِهِ مائَةَ ذِرَاعٍ ثُمَّ أَلْقَاهُ، فَعَالَجَهُ بَعْدَهُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا فَلَمْ يُطيقُوا.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَنَاشِدُكُمُ اللَّهَ، إِنَّ جِبْريلَ نَزَلَ عَلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وآلـه وسَلَّمَ مِنَ السَّمَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: لاَ فَتى إِلاَّ عَلِيٌّ ولاَ سَيْفَ إِلاَّ ذُوالْفِقَارِ، فَهَلْ تَعْلَمُونَ هذَا كَانَ لِغَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّه هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ حَمَلَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ عَلى كَتِفِهِ حَتَّى كَسَرَ الأَصْنَامَ الَّتي كَانَتْ عَلى بَابِ الْكَعْبَةِ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَنْشدُكُمُ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جبْريلَ نَزَلَ عَلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُحِبَّ عَلِيّاً وتُحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ، فَإِنَّ الله - تعالى- يُحِبُّ عَلِيّاً ويُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ.

قالوا: اللهم نعم.

فقال عليه السلام: أَنْشدُكُمُ اللَّهَ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ قَالَ فيهِ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّني ويُبْغِضُ هذَا، غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَنْشدُكُمُ اللَّـهَ هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: لاَ يُحِبُّكَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ ولاَ يُبْغِضُكَ إِلاَّ كَافِرٌ، غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام:

نَشَدْتُكُمْ بِاللَّـه هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أَنْتَ أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وأَقْوَلُهُمْ بِالْحَقِّ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّه هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أَنْتَ الْفَارُوقُ تَفْرِقُ بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أنْتَ صَاحِبُ رَايَتي فِي الدُّنْيَا وصَاحِبُ لِوَائي فَي الآخِرَةِ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أنْتَ أوَّلُ مَنْ آمَنَ بي وصَدَّقَني وأوَّلُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أنْتَ أقْرَبُ الْخَلْقِ مِنّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَدْخُلُ بِشَفَاعَتِكَ الْجَنَّةَ أكْثَرُ مِنْ عَدَدِ رَبِيعَةَ ومُضَرٍ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أنْتَ قَسيمُ النَّارِ تُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ آمَنَ وأقَرَّ وتَذَرُ فيهَا مَنْ كَفَرَ واغْتَرَّ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أنْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمينِ الْعَرْشِ، والله - عز وجل - يَكْسُوكَ ثَوْبَيْنِ: أحَدُهُمَا أخْضَرُ، والآخَرُ وَرْدِيٌّ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أنْتَ مَعي في قَصْري، ومَنْزِلي مُوَاجِهُ مَنْزِلِكَ فِي الْجَنَّةِ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّه هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وأَنْتَ سَيِّدُ الْعَرَبِ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّه هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: أَوَّلُ طَالِعٍ عَلَيْكُمْ مِنْ هذَا الْبَابِ، يَا أَنَسُ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَنَسٌ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنَ الأَنْصَارِ، فَكُنْتُ أَنَا الطَّالِعُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ لأَنَسٍ: مَا أَنْتَ بِأَوَّلِ رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمَهُ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّه هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: أَنْتَ أَقْدَمُهُمْ سِلْماً وأَفْضَلُهُمْ عِلْماً وأَكْثَرُهُمْ حِلْماً.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّه هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: فَضْلُكَ عَلى هذِهِ الأُمَّةِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ عَلَى الْقَمَرِ، وكَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى النُّجُومِ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّه هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: أَنْتَ كَنَفْسي، وحُبُّكَ حُبّي، وبُغْضُكَ بُغْضي.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أفيكُمْ أَحَدٌ اؤْتُمِنَ عَلى سُورَةِ بَرَاءَةَ، أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ أَنْ يَأْخُذَ[هَا] مِنْ أبي بَكْرٍ. فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّه، نَزَلَ فِيَّ شَيْءٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله: إِنَّهُ لاَ يُؤَدّي عَنّي إِلاَّ أَنَا أَوعَلِيٌّ، غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: فَهَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ قَالَ لي في غَزَاةِ تَبوك: أَنتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدي.

قالوا: اللهم نعم.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ أَخَذَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ بِيَدِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ وقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهذَا عَلِيٌّ مَوْلاَهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ، وعَادِ مَنْ عَادَاهُ، فَلْيُبَلِّغِ الْحَاضِرُ الْغَائِبَ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَنْشدُكُمُ اللَّهَ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ قَالَ: الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ وعَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ يَدُورُ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ كَيْفَ مَا دَارَ.

قالوا: اللهم نعم.

فقال عليه السلام: أَنْشدُكُمْ بِاللَّه هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله سَهْمَيْنِ: سَهْماً فِي الْحَاضِرِ، وسَهْماً فِي الْغَائِبِ، غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أفيكُمْ أَحَدٌ كَانَ يَأْخُذُ الْخُمْسَ غَيْري وغَيْرَ زَوْجَتي فَاطِمَةَ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام:

أفيكُمْ أَحَدٌ نَاجى رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ اثْنى عَشْرَةَ مَرَّةً وقَدَّمَ بَيْنَ نَجْوَاهُ صَدَقَةً باثْنَيْ عَشَرَ تَمْرَةَ غَيْري. [وذَلِكَ] حينَ قَالَ الله - تعالى -: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً**﴾.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أَحَدٌ كَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ وآخِرَ خَارِجٍ مِنْ عِنْدِهِ لاَ يُحْجَبُ عَنْهُ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري كَانَ إذَا دَخَلَ عَلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ حَيَّاهُ وأدْنَاهُ ورَحَّبَ بِهِ، وتَهَلَّلَ وَجْهُهُ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أتَعْلَمُونَ أنَّ أحَداً كَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ جُنُباً يَحِلُّ لَهُ مَا يَحِلُّ لِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ ويَحْرُمُ عَلَيْهِ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ مُطَهَّرٌ منَ الرِّجْسِ في كِتَابِ اللَّه غَيْري، حَيْثُ جَاءَ جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ولَيْسَ فِي الْبَيْتِ إلاَّ أنَا والْحَسَنُ والْحُسَيْنُ وفَاطِمَةُ. فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللَّه وبَرَكَاتُهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، رَبُّكَ يُقْرِؤُكَ السَّلاَمَ ويَقُولُ لَكَ: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ بَابَهُ مَعَ أبْوَابِهِ مَفْتُوحاً منْ قِبَلِ الْمَسْجِدِ وسَدَّ أبْوَابَ جَميعَ أصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ لَمَّا أمَرَ اللَّهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّه، أخْرَجْتَنَا وأدْخَلْتَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: مَا أنَا فَتَحْتُ بَابَهُ ولاَ سَدَدْتُ أبْوَابَكُمْ، بَلِ الله - عز وجل - فَتَحَ بَابَهُ وسَدَّ أبْوَابَكُمْ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أنْشدُكُمْ باللَّه أتَعْلَمُونَ أنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ نَاجَانِي يَوْمَ الطَّائِفِ دُونَ النَّاسِ فَأطَالَ ذَلِكَ، فَقَالَ أبُوبَكْرٍ وعُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّه، نَاجَيْتَ عَلِيّاً دُونَنَا. فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: مَا أنَا انْتَجَيْتُهُ، بَلِ اللَّهُ انْتَجَاهُ.

قالوا: اللهم نعم.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ سَمَّاهُ اللَّهُ في عَشْرِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ مُؤْمِناً غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري أدَّى الزَّكَاةَ وهُوَ رَاكِعٌ فَنَزَلَتْ فيه-: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ وهُمْ راكِعُونَ﴾.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ مَنْ أمَرَ الله - عز وجل - بِمَوَدَّتِه فِي الْقُرْآنِ حَيْثُ يَقُولُ-: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾، غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أفيكُمْ أحَدٌ تَمَّمَ اللَّهُ نُورَهُ مِنَ السَّمَاءِ غَيْري، حينَ قَال: وآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمُ اللَّهَ هَلْ فيكُمْ مَنْ زَوَّجَهُ اللَّهُ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وسَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وأُمُّهَا أوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ورَسُولِه، غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أفيكُمْ أحَدٌ لَهُ سِبْطَانِ مِثْلُ وَلَدَيَّ الْحَسَنِ والْحُسَيْنِ سَيِّدَيْ شَبَابِ أهْلِ الْجَنَّة. [هَلْ] هُمَا ابْنَا أحَدٍ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ تَعْلَمُونَ أنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ كَانَ آخى بَيْنَ الْحَسَنِ والْحُسَيْنِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: هَيْ يَا حَسَنُ

مَرَّتَيْنِ. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ الْحُسَيْنَ لأَصْغَرُ مِنْهُ وأَضْعَفُ رُكْناً مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَقُولَ أَنَا: هَيٌّ يَا حَسَنُ، ويَقُولَ جِبْرِيلُ: هَيٌّ يَا حُسَيْنُ.

قالوا: اللهم نعم.

فقال عليه السلام: أَنْشدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ لَهُ مِثْلُ ابْنِ عَمِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ رَحِماً مِنِّي.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: فَأَنْشدُكُمْ بِاللَّهِ أَفِيكُمْ أَحَدٌ لَهُ عَمٌّ مِثْلَ عَمِّي حَمْزَةَ أَسَدُ اللَّهِ وأَسَدُ رَسُولِهِ وسَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّه.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: فَأَنْشدُكُمْ بِاللَّه أَفِيكُمْ أَحَدٌ لَهُ أَخٌ مِثْلَ أَخِي جَعْفَرٍ ذِي الْجَنَاحَيْنِ الْمُوَشَّى بِالْجَوْهَرِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ حَيْثُ يَشَاءُ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: فَهَلْ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مِثْلُ مَنْزِلَتِنَا عِنْدَ اللَّهِ وعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ].

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: فَأَنْشدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فِي أَهْلِهِ ومَالِهِ، وجَعَلَ طَلاَقَ نِسَائِهِ بِيَدِهِ، غَيْرِي.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أَفِيكُمْ أَحَدٌ تَوَلَّى غَمْضَ عَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ غَيْرِي.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَسَلَ مَعَ الْمَلائِكَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وكَفَّنَهُ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أفيكُمْ أحَدٌ آخِرُ عَهْدِهِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ حينَ وَضَعَهُ في حُفْرَتِهِ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ وَرِثَ سِلاحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ ورَايَتَهُ ودَوَابَّهُ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ قَضى دَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أنْشِدُكُمْ اللَّهَ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ يُقاتِلُ النَّاكِثينَ والْقاسِطينَ والْمارِقينَ عَلى لِسانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أنْشِدُكُمُ اللَّهَ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: إنِّي قَاتَلْتُ عَلى تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ وسَتُقَاتِلُ أنْتَ عَلى تَأْوِيلِهِ. غَيْري.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أَلْفَ كَلِمَةٍ كُلُّ كَلِمَةٍ مِفْتَاحُ أَلْفِ كَلِمَةٍ.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ فيكُمْ أحَدٌ أعْلَمُ بِناسِخِ الْقُرْآنِ ومَنْسُوخِهِ

والسُّنَّة مِنّي.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: هَلْ فيكُمْ أحَدٌ غَيْري قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ: إنّي لأَرْحَمُكَ مِنْ ضَغَائِنَ في صُدُورِ أقْوَامٍ عَلَيْكَ لاَ يُظْهِرُونَهَا حَتَّى يَفْقِدُوني، فَإِذَا فَقَدُوني خَالَفُوا فيهَا.

قالوا: اللهم لا.

فقال عليه السلام: أمَا إذْ أقْرَرْتُمْ عَلى أنْفُسِكُمْ، واسْتَبَانَ لَكُمْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ نَبِيِّكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّه وَحْدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، وأنْهَاكُمْ عَنْ سَخَطه.

ورُدُّوا الْحَقَّ إلى أهْلِه، واتَّبِعُوا سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، فَإِنَّكُمْ إنْ خَالَفْتُمْ خَالَفْتُمُ اللَّهَ.

فَادْفَعُوهَا إلى مَنْ هُوَ أهْلُهَا وهِيَ لَهُ.

فلمّا عزموا على بيعة عثمان بن عفّان قال عليه السلام: لَمْ يُسْرِعْ أحَدٌ قَبْلي إلى دَعْوَةِ حَقٍّ، وصِلَةِ رَحِمٍ، وعَائِدَةِ كَرَمٍ.

ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه الْعَليِّ الْعَظيمِ.

فَاسْمَعُوا قَوْلي، وعُوا مَنْطقي، عَسى أنْ تَرَوْا هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هذَا الْيَوْمِ تُنْتَضى فيه السُّيُوفُ، وتُخَانُ فيه الْعُهُودُ، حَتَّى لاَ يَكُونَ لَكُمْ جَمَاعَةٌ، ويَكُونَ بَعْضُكُمْ أئِمَّةً لأَهْلِ الضَّلاَلَة، وشيعةً لأَهْلِ الْجَهَالَة.

ولمّا تمّت البيعة لعثمان قال عليه السلام: لَقَدْ عَلِمْتُمْ أنّي أحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْري.

واللَّه لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمينَ، ولَمْ يَكُنْ فيهَا جَوْرٌ إلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِه، وزُهْداً فيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِه وزِبْرِجِه.

كلام له عليه السلام (٩١)

لأبي ذر رحمه اللّه

لمّا أخرجه عثمان بن عفان من مدينة الرسول عَليه السَّلام إلى الربَذَة

يَا أَبَا ذَرَّ، إِنَّكَ إِنَّمَا غَضِبْتَ للَّه- سبحانه - فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ.

إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلى دُنْيَاهُمْ، وخِفْتَهُمْ عَلى دِينِكَ، فَأَرْحَلُوكَ عَنِ الْفِنَاءِ، وامْتَحَنُوكَ بِالْبَلاَءِ.

فَاتْرُكَ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، واهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلى مَا مَنَعْتَهُمْ عَنْهُ، ومَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ. وسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، والأَكْثَرُ حُسَّداً.

واللَّهِ لَوأَنَّ السَّمواتِ والأَرْضينَ كَانَتَا عَلى عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ اتَّقَى اللهَ - تعالى- لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً.

يَا أَبَا ذَرَّ، فَلاَ يُؤْنِسَنَّكَ إِلاَّ الْحَقُّ، ولاَ يُوحِشَنَّكَ إِلاَّ الْبَاطِلُ.

فَلَوقَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لأَحَبُّوكَ، ولَوقَرَضْتَ مِنْهَا لأَمِنُوكَ.

كلام له عليه السلام (٩٢)

لمّا أراد عثمان أن يسفّر عمّار بن ياسر رضوان اللّه عليه من المدينة بعد موت أبي ذر

يَا عُثْمَانُ، اتَّقِ اللَّهَ وكُفَّ عَنْ عَمَّارٍ وغَيْرِ عَمَّارٍ مِنَ الصَّحَابَةِ. فَإِنَّكَ قَدْ سَيَّرْتَ رَجُلًا مِنْ صُلَحَاءِ الْمُسْلِمِينَ وخِيَارِ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَهَلَكَ فِي تَسْيِيرِكَ إِيَّاهُ غَرِيباً، ثُمَّ أَنْتَ الآنَ تُرِيدُ أَنْ تَنْفِيَ نَظِيرَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

كلام له عليه السلام (٩٣)

وقد وقعت مشاجرة بينه عليه السَّلام وبين عثمان

فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يَا ابْنَ اللَّعينِ الأَبْتَرِ، والشَّجَرَةِ الَّتي لاَ أَصْلَ لَهَا ولاَ فَرْعَ، يَا ابْنَ الْعَبْدِ الآبِقِ، أَنْتَ تَكْفيني.

فَواللَّه مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، ولاَ قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ.

أُخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جُهْدَكَ، فَلاَ أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ ولاَ عَلى أَصْحَابِكَ إِنْ أَبْقَيْتَ عَلَيَّ.

كلام له عليه السلام (٩٤)

لسعيد بن العاص

حين منعه حقه في الفيء وهويومئذ أمير على الكوفة من قبل عثمان

فقال عليه السلام: إِنَّ بَني أُمَيَّةَ لَيُفَوَّقُونَني تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ تَفْويقاً.

أَمَا واللَّهِ لَئِنْ بَقيتُ لَهُمْ لأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ.

كلام له عليه السلام (٩٥)

لعثمان بن عفان

لمّا اضطرب أمره فدعا إليه ولاته لاستشارتهم في استكشاف طريق لحل العويصة.

وكان عليه السلام حاضراً فقال عليه السلام: يَا عُثْمَانُ، إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وبِيءٌ.

وإِنَّكَ مَتى تُصْدَقْ تَسْخَطْ، ومَتى تُكْذَبْ تَرْضَ.

وقَدْ بَلَغَ النَّاسَ عَنْكَ أُمُورٌ تَرْكُهَا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الاقَامَةِ عَلَيْهَا.

فَاتَّقِ اللَّهَ، يَا عُثْمَانَ، وتُبْ إِلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ النَّاسُ مِنْكَ.

كلام له عليه السلام (٩٦)

لمّا سمع قوماً يذمّون عثمان بن عفّان بما يضرّون به أنفسهم

إِنَّمَا أَنْتُمْ ومَا تُعَيِّرُونَ بِهِ عُثْمَانَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ.

كلام له عليه السلام (٩٧)

لعثمان بن عفان لمّا اجتمع الناس إليه وشكَوا ما نقموه على عثمان

وسألوه مخاطبته عنهم، واستعتابه لهم فدخل عليه السلام عليه فقال: إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وقَدْ كَلَّمُونِي فِي أَمْرِكَ، واسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ.

ووَاللَّه مَا أدْري مَا أقُولُ لَكَ.

مَا أعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، ولاَ أدُلُّكَ عَلى أمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ.

إنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إلى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، ولاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ، ومَا خُصِّصْنَا بِأمْرٍ دُونَكَ.

وقَدْ رَأيْتَ كَمَا رَأيْنَا، وسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كَمَا صَحِبْنَا.

ومَا ابْنُ أبي قُحَافَةَ بِأوْلى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، ولاَ ابْنُ الْخَطَّابِ بِأوْلى بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ مِنْكَ.

وأنْتَ أقْرَبُ إلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وشيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا، وقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ.

فَاللَّهَ اللَّهَ في نَفْسِكَ، فَإنَّكَ، واللَّه، مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، ولاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ.

وإنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وإنَّ أعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ.

فَاعْلَمْ، يَا عُثْمَانُ، أنَّ أفْضَلَ عِبَادِ اللَّه عِنْدَ اللَّه إمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وهَدى، فَأقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وأمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، فَواللَّه إنَّ كُلًّا لَبَيِّنٌ.

وإنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أعْلاَمٌ، وإنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أعْلاَمٌ.

وإنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّه إمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وضُلَّ بِهِ، فَأمَاتَ سُنَّةً مَأخُوذَةً، وأحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً.

وإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: يُؤْتى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإمَامِ الْجَائِرِ ولَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ ولاَ عَاذِرٌ، فَيُلْقى في جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحى، ثُمَّ يُرْتَبَطُ في قَعْرِهَا.

وإنِّي أحَذِّرُكَ اللَّهَ، وأحَذِّرُكَ سَطْوَتَهُ ونَقْمَتَهُ، فَإنَّ عَذَابَهُ شَدِيدٌ أليمٌ، وأنْشُدُكَ اللَّهَ أنْ تَكُونَ إمَامَ هَذِهِ الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ.

فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ في هذه الأُمَّة إِمَامٌ فَيَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ والْقِتَالَ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَة، ويَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، ويَبُثُّ الْفِتَنَ فيهَا، ويَتْرُكُهُمْ شِيَعاً، فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلَ لِعُلُوِّ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فيهَا مَوْجاً، ويَمْرُجُونَ فيهَا مَرْجاً.

فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً، يَسُوقُكَ حَيْثُ يَشَاءُ، بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ، وتَقَضِّي الْعُمُرِ، وصُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

فقال له عثمان: كلّم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم فإنّي لا أقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد.

فقال عليه السلام: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فيه، ومَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

كلام له عليه السلام (٩٨)

لعبد اللّه بن عباس

وقد جاءه برسالة من عثمان وهومحصور،يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة، بعد ان كان سأله مثل ذلك من قبل فقال عليه السلام: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلاَّ أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ، أُقْبِلُ وأُدْبِرُ.

بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ.

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ.

ثُمَّ هُوالآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ.

واللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً.

كلام له عليه السلام (٩٩)

لمّا اريد على البيعة بعد مقتل عثمان

دَعُوني والْتَمِسُوا غَيْري، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ، لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، ولاَ تَثْبُتُ عَلَيْه الْعُقُولُ.

وإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، والْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ.

فقالوا له: ننشدك اللّه، ألا ترى الإسلام. ألا ترى الفتنة.

فقال عليه السلام: إِعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، ولَمْ أُصْغِ إِلى قَوْلِ الْقَائِلِ، وعَتْبِ الْعَاتِبِ.

وإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ، ولَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، فَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَميراً.

كلام له عليه السلام (١٠٠)

بعد ما بويع في المدينة

وقد قال له قوم من الصحابة: لوعاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان فقال عليه السلام: يَا إِخْوَتَاهُ، إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ.

ولكِنْ كَيْفَ لي بِقُوَّةٍ والْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا ولاَ نَمْلِكُهُمْ.

وهَا هُمْ هؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عَبْدَانُكُمْ، والْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا.

وهَلْ تَرَوْنَ مَوْضعاً لِقُدْرَةٍ عَلى شَيْءٍ مِمَّا تُريدُونَهُ.

إِنَّ هـذَا الأَمْـرَ أَمْـرٌ جَاهلِيَّة، وإِنَّ لِهـؤُلاَءِ الْقَـوْمِ مَادَّةً، وذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يُشَرِّعْ شَرِيعَةً قَطُّ فَيَبْرَحُ الأَرْضَ مَنْ أَخَذَ بِهَا أَبَداً.

إِنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الأَمْرِ، إِذَا حُرِّكَ، عَلى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرى مَا تَرَوْنَ.

وفِرْقَةٌ تَرى مَا لاَ تَرَوْنَ.

وفِرْقَةٌ لاَ تَرى هذَا ولاَ ذَاكَ.

فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً.

فَـاهْدَؤُوا عَنِّـي، وانْظُـرُوا مَـاذَا يَأْتِـيكُمْ بِـهِ أَمْـرِي، ولاَ تَفْعَلُـوا فَعْلَـةً تُضَعْضِـعُ قُـوَّةً، وتُسْقِطُ مُنَّةً، وتُورِثُ وَهْناً وذِلَّةً.

وسَأُمْسِكُ الأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ.

كلام له عليه السلام (١٠١)

لعبد اللّه بن عباس

وقـد أشار عليه أن يثبت معاوية في عمله حتى يبايع، ثم يقلعه من منزله فقال عليه السـلام: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، إِنَّ هذَا لَهُوالرَّأْيُ الْعَاجِلُ، فَأَمَّا فِيمَا بَيْنِي وبَيْنَ الله - عز وجل - فَمَا أَجِدُ لِنَفْسِي فِي ذَلِكَ عُذْراً. وما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً.

واللّه لاَ كَانَ هذَا أَبَداً، لاَ أُفْسِدُ دِينِي بِدُنْيَا غَيْرِي.

وإِنَّ لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وأَرى، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي.

فقـال عـبد اللّـه بـن عـباس: أفعـلُ، إن أيسر ما لك عندي الطاعة، وإني باذلها لك.

واللّه ولي التوفيق.

كلام له عليه السلام (١٠٢)

لعبد الله بن زمَعة وهومن شيعته

وذلك بعد أن قدم عليه في خلافته يطلب منه مالًا فقال عليه السلام: إِنَّ هذَا الْمَالَ لَيْسَ لي ولاَ لَكَ، وإِنَّمَا هُوفَيْءٌ لِلْمُسْلمينَ، وجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ.

فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ في حَرْبِهِمْ شَرِكْتَهُمْ فيهِ، [وَ] كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وإِلاَّ فَجَنَاةُ أَيْديهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

كلام له عليه السلام (١٠٣)

لطلحة والزبير

والمناقشة التي دارت بينه وبينهما بسبب مساواتهما مع سائر المسلمين في قسمة الفيء وعتبهما عليه لترك مشورتهما في الأحكام.

قالا له: إنّا أتينا عمّالك على قسمة الفيء، فأعطوا كل واحد منّا مثل ما أعطوا سائر الناس.

فقال عليه السلام: ومَا تُريدَانِ.

فقالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر.

فقال عليه السلام: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ عِنْدَكُمَا، أَبُوبَكْرٍ أوعُمَرُ.

قالا: أبوبكر أفضل.

فقال عليه السلام: هذَا قَسْمُ أبي بَكْرٍ.

وإِلاَّ فَدَعُوا أَبَا بَكْرٍ وغَيْرَهُ، فَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ

يُعْطيكُمَا.

فسكتا.

فقال عليه السلام: أَلَيْسَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يُقَسِّمُ بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ.

قالا: نعَم.

فقال عليه السلام: أَفَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أَوْلى بِالاتِّبَاعِ عِنْدَكُمَا أَمْ سُنَّةُ عُمَرَ.

قالا: بل سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن، يا أمير المؤمنين، لنا سابقة وغناء وقرابة، فإن رأيت أن لا تسوّينا بالناس فافعل.

فقال عليه السلام: سَابِقَتُكُمَا أَسْبَقُ أَم سَابِقَتي.

قالا: سابقتك.

فقال عليه السلام: فَغَنَاؤُكُمَا أَعْظَمُ أَمْ غَنَائي.

قالا: بل أنت يا أمير المؤمنين أعظم غناءً.

فقال عليه السلام: فَقَرَابَتُكُمَا إِلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وأَقْرَبُ أَمْ قَرَابَتي.

قالا: قرابتك.

فقال عليه السلام: فَواللَّهِ مَا أَنَا وأَجيري هذَا (وأومى بيده إلى أجير كان يعمل بين يديه) في هذَا الْمَالِ إِلاَّ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، عَلى مَا عَهِدْتُ وعَهِدْتُمَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وسُنَّتُهُ أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعُ مِنْ أَنْ يُتَّبَعَ مَنْ خَالَفَهَا بَعْدَهُ.

ثم قال عليه السلام مخاطباً إيّاهما بعد ما اتهماه بالاستئثار بالحكم والقسم: لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسيراً، وأَرْجَأْتُمَا كَثيراً، فَاسْتَغْفِرَا اللَّهَ يَغْفِرْ لَكُمَا.

أَلاَ تُخْبِرَاني، أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فيه حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ.

أَمْ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ لِنَفْسي عَلَيْكُمَا بِهِ.

أَمْ أيُّ حُكْمٍ أوحَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أوجَهِلْتُهُ أوأخْطَأْتُ بَابَهُ.

أمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنَ الاسْتِئْثَارِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ لي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ، ولاَ فِي الْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ، ولكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُوني إِلَيْهَا وحَمَلْتُمُوني عَلَيْهَا فَخِفْتُ أنْ أرُدَّكُمْ فَتَخْتَلِفَ الأُمَّةُ.

فَلَمَّا أفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلى كِتَابِ اللَّهِ ومَا وَضَعَ لَنَا وأمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، ومَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلى رَأْيِكُمَا ولاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا، ولاَ وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ بَيَانُهُ، ولاَ فِي السُّنَّةِ بُرْهَانُهُ، فَأسْتَشِيرَكُمَا وإِخْوَانِيَ مِنَ الْمُسْلِمينَ، ولَوكَانَ ذَلِكَ لَمْ أرْغَبْ عَنْكُمَا ولاَ عَنْ غَيْرِكُمَا.

وأمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أمْرِ الْقَسْمِ والأُسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أمْرٌ لَمْ أحْكُمْ أنَا فِيهِ بِرَأْيِي، ولاَ وَلِيتُهُ هَوىً مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أنَا وأنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللهُ - تعالى - مِنْ قَسْمِهِ، وأمْضى فِيهِ حُكْمَهُ، وكِتَابُ اللَّهِ نَاطِقٌ بِهِ، وهُوالْكِتَابُ الَّذِي لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

فَلَيْسَ لَكُمَا، واللَّهِ، عِنْدِي ولاَ لِغَيْرِكُمَا فِي هذَا عُتْبى.

وأمَّا قَوْلُكُمَا: جَعَلْتَ فَيْئَنَا ومَا أفَاءَتْهُ سُيُوفُنَا ورِمَاحُنَا سَوَاءً بَيْنَنَا وبَيْنَ غَيْرِنَا، فَقَدِيماً سَبَقَ إِلَى الإِسْلاَمِ قَوْمٌ ونَصَرُوهُ بِسُيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ، فَلاَ فَضَّلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله فِي الْقَسْمِ، ولاَ آثَرَهُمْ بِالسَّبْقِ.

واللهُ - سبحانه - مُوَفِّ السَّابِقَ والْمُجَاهِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أعْمَالَهُ.

ولَيْسَ لَكُمَا، واللَّهِ، عِنْدِي ولاَ لِغَيْرِكُمَا إِلاَّ ذَلِكَ.

أخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وأَلْهَمَنَا وإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأى حَقّاً فَأعَانَ عَلَيْهِ، أورَأى جَوْراً فَرَدَّهُ، وكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلى صَاحِبِهِ.

كلام له عليه السلام (١٠٤)

لمّا بلغه اتهام بني أميّةَ له بالمشاركة في دَم عثمان

أولَمْ يَنْهَ بَني أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بي عَنْ قَرْفي.

أومَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتي عَنْ تُهْمَتي.

ولَمَا وعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَاني.

أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ، وخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ، وعَلى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الأَمْثَالُ، وبِمَا فِي الصُّدُورِ يُجَازَى الْعِبَادُ.

لَوأَعْلَمُ أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَذْهَبُ مَا في نُفُوسِهَا، لَحَلَفْتُ لَهُمْ خَمْسِينَ يَميناً مُرَدَّدَةً بَيْنَ الرُّكْنِ والْمَقَامِ مَا نَدَيْتُ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ بِشَيْءٍ.

كلام له عليه السلام (١٠٥)

لمّا بلغه تثاقل سعد بن أبي وقّاص، وأسامة بن زيد،

وعبد اللّه بن عمر، عن حرب الجمل

فقال عليه السلام لهم: بَلَغَني عَنْكُمْ هَنَاتٌ كَرِهْتُهَا، وأَنَا لاَ أُكْرِهُكُمْ عَلَى الْمَسيرِ مَعي.

أَ لَسْتُمْ عَلَى بَيْعَتي.

قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: فَمَا الَّذي يُقْعِدُكُمْ عَنْ صُحْبَتي.

قال سعد: إني أكره الخروج في هذه الحرب فأصيب مؤمناً، فإن أعطيتني سيفاً

يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك.

وقال أسامة: أنت أعز الخلق عليّ ولكنّي عاهدت الله أن لا أقاتل أهل لا إله إلاّ الله.

وقال عبد الله بن عمر: لست أعرف في هذه الحرب شيئاً، أسألك أن لا تحملني على ما لا أعرف.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لَيْسَ كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ.

أَلَسْتُمْ عَلى بَيْعَتي.

قالوا: بلى.

فقال عليه السلام: إِنْصَرِفُوا، فَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ.

كلام له عليه السلام (١٠٦)

رداً على زَعم الزّبير أنه بايع تَورِيةً

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ ولَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ، وادَّعَى الْوَلِيجَةَ.

فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وإِلاَّ فَلْيَدْخُلْ فيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

كلام له عليه السلام (١٠٧)

لعمّار بن ياسر رحمه اللّه

وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً قبيل خروجه إلى البصرة فقال عليه السلام: دَعْهُ، يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ، واللَّهِ، لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلاَّ مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وعَلى عَمْدٍ لَبَسَ عَلى نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ.

ثم خاطب عليه السلام المغيرة وقال: وَيْحَكَ، يَا مُغَيْرَةُ، إِنَّهَا دَعْوَةٌ تَسُوقُ مَنْ يَدْخُلُ فيهَا إِلَى الْجَنَّة.

كلام له عليه السلام (١٠٨)

لابن عباس رحمه الله لمّا أرسله إلى الزبير يستفيئه

إلى طاعته قبل حرب الجمل

لاَ تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ، ويَقُولُ: هُوالذَّلُولُ.

ولكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَاقْرَأْهُ السَّلاَمَ، وقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ، وأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا.

كلام له عليه السلام (١٠٩)

يصِف فيه الزبير بن العوّام

مَا زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْؤُومُ عَبْدُ اللَّهِ فَنَفَاهُ عَنْ رَأْيِهِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا.

كلام له عليه السلام (١١٠)

لولده الحسن عَلَيه السَّلام

لمّا قال له: يا أمير المؤمنين، إن القوم حصروا عثمان يطلبون ما يطلبونه إمّا ظالمين أومظلومين.

ثم أشار عليه بأن يعزل الناس ويلحق بمكة، «حتى تؤوب العرب وتعود إليها أحلامها، وتأتيك وفودها.

وأن لا تتبع طلحة والزبير، وتدَعهما، فإن اجتمعت الأمة عليك فذاك، وإن اختلفت رضيتَ بما قضى الله».

وأذكّرك بالله ان لا تُقتل غداً بمضيَعة لا ناصر لك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إجْلِسْ، يَا بُنَيَّ، ولاَ تَحْزنْ عَلَيَّ خَنينَ الْجَارِيَة.

ثم قال عليه السلام: الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي يَبْتَلي مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ، ويُعَافي مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ.

أيْ بُنَيَّ، أمَّا قَوْلُكَ: إنَّ عُثْمَانَ حُصِرَ، فَمَا ذَنْبي إنْ كَانَ بَيْنَ النَّاسِ وبَيْنَ عُثْمَانَ مَا كَانَ، ولَقَدْ أُحيطَ بنَا كَمَا أُحيطَ به، وقَدْ كُنْتُ بمَعْزِلٍ عَنْ حَصْرِهْ.

وأمَّا قَوْلُكَ: انْت مَكَّةَ، فَواللَّه مَا كُنْتُ لأَكُونَ الرَّجُلَ الَّذي تُسْتَحَلُّ به مَكَّةُ.

وأمَّا قَوْلُكَ: لاَ تُبَايِعْ حَتَّى تَأْتِيَ بَيْعَةُ الأَمْصَارِ، فَإنَّ الأَمْرُ أمْرُ أهْلِ الْمَدينَة، وكَرِهْتُ أنْ يَضيعَ هذَا الأَمْرُ.

وأمَّا قَوْلُكَ: اعْتَزِلِ الْعِرَاقَ، ودَعْ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ، فَإنَّ ذلكَ كَانَ وَهْناً عَلى أهْلِ الإِسْلاَمِ.

وأمَّا قَوْلُكَ: اجْلِسْ في بَيْتكَ، فَكَيْفَ لي بمَا قَدْ لَزِمَني.

واللَّه، يَا بُنَيَّ، مَا كُنْتُ لأَكُونَ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، وتَنْتَظِرُ حَتَّى يَصِلَ إلَيْهَا طَالِبُهَا، ويَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا، فَيَضَعَ الْحَبْلَ في رِجْلِهَا حَتَّى يَقْطَعَ عُرْقُوبَهَا، ثُمَّ يُخْرِجُهَا فَيُمَزِّقُهَا إرْباً إرْباً.

أومَنْ تُريدُني.

ولكنّي، يَا بُنَيَّ، أضْرِبُ بالْمُقْبِلِ إلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وبالسَّامِعِ الْمُطيعِ الْعَاصِيَ الْمُريبَ، أبَداً حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمي.

إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ قُبِضَ وما أرى أحَداً أحَقَّ بِهذَا الأمْرِ مِنّي، فَبَايَعَ النَّاسُ أبَا بَكْرٍ. فَبَايَعْتُ كَمَا بَايَعُوا.

ثُمَّ إنَّ أبَا بَكْرٍ هَلَكَ ومَا أرى أحَداً أحَقَّ بِهذَا الأمْرِ مِنّي، فَبَايَعَ النَّاسُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب، فَبَايَعْتُ كَمَا بَايَعُوا.

ثُمَّ إنَّ عُمَرَ هَلَكَ ومَا أرى أحَداً أحَقَّ بِهذَا الأمْرِ مِنّي، فَجَعَلَني سَهْماً مِنْ سِتَّةِ أسْهُمٍ، فَبَايَعَ النَّاسُ عُثْمَانَ، فَبَايَعْتُ كَمَا بَايَعُوا.

ثُمَّ سَارَ النَّاسُ إلى عُثْمَانَ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أتَوْني فَبَايَعُوني طَائِعينَ غَيْرَ مُكْرَهينَ.

فَواللَّه، يَا بُنَيَّ، مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ الله - تعالى - نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هذَا. ﴿وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

وقَدْ قَلَّبْتُ هذَا الأمْرَ بَطْنَهُ وظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَني النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُني يَسَعُني إلاَّ جِهَادُ الْقَوْمِ وَقِتَالُهُمْ أوالْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ. فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، ومَوْتَاتُ الدُّنْيَا أهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ.

فَأنَا مُقَاتِلٌ مَنْ خَالَفَني بِمَنِ اتَّبَعَني، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْني وبَيْنَهُمْ وهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمينَ.

كلام له عليه السلام (١١١)

لكُليب الجَرَمي في وجوب اتّباع الحق عند قيام الحجة

وكان قد أرسله قوم من أهل البصرة لمّا قرب أمير المؤمنين عليه السلام منها ليعلم لهم حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم، فبيّن له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق، ثم قال له: بَايِعْني.

فقال: إني رسول قوم، ولا أُحدث حدثاً حتى أرجع إليهم.

فقال عليه السلام: أرَأَيْتَ لَوأنَّ الَّذينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلاَءِ والْمَاءِ، فَخَالَفُوكَ إِلَى الْمَعَاطِشِ والْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً.

قال: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلاء والماء.

فقال عليه السلام: فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ.

فقال الرجل: فوالله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليّ، فبسطتُ يدي وبايعته عليه السلام.

وقال: عليّ من أدهى العرب.

كلام له عليه السلام (١١٢)

لابنه محمّد بن الحنفية رضي الله عنه لمّا أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ ولاَ تَزُلْ.

عَضَّ عَلى نَاجِذِكَ.

أعرِ اللَّهَ جُمْجُمَتَكَ.

تِدْ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ.

إِرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وغُضَّ بَصَرَكَ.

واعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - مَعَ الصَّبْرِ.

كلام له عليه السلام (١١٣)

لمروان بن الحكم لمّا أسر يوم الجمل

واستشفع له الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين وكلّماه فيه،

فاستجاب عليه السلام لهما.

ثم قالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: أَلَمْ يُبَايِعْني بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ.

لاَ حَاجَةَ لي في بَيْعَته، إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ.

لَوبَايَعَني بِكَفِّه عِشْرِينَ مَرَّةً لَغَدَرَ بِسُبَّته.

ثم خاطب عليه السلام مروان وقال: هيه، يَا ابْنَ الْحَكَمِ، خِفْتَ عَلى رَأْسِكَ أَنْ يَقَعَ في هذِه الْمَعْمَعَة.

ثم قال عليه السلام: أَمَا إِنَّهُ لَيَحْمِلَنَّ رَايَةَ ضَلاَلَة بَعْدَ مَا يَشيبُ صَدْغَاهُ.

لَهُ إِمْرَةٌ كَلَعْقَة الْكَلْب أَنْفَهُ.

وهُوأَبُوالأَكْبُشِ الأَرْبَعَة، يَسُومُونَ هذه الأُمَّة خَسْفاً وظُلْماً، ويَسْقُونَهَا كَأْساً مُصَبَّرَةً.

وسَتَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ ومِنْ وَلَده يَوْماً أَحْمَرَ.

كلام له عليه السلام (١١٤)

لمّا مرّ بطلحة بن عبيد اللّه وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد

وهما قتيلان يوم الجمل

فقال عليه السلام: إِنَّا للَّه وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ.

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُومُحَمَّد بهذَا الْمَكَانِ غَريباً.

أَمَا، واللَّه، لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ.

أَدْرَكْتُ وَتْري مِنْ بَني عَبْد مَنَاف، وَفَلَتَتْني أَعْيَانُ بَني جُمَحٍ.

لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ.

ولكِنَّهُ الْحَيْنُ ومَصْرَعُ السُّوءِ، أَعُوذُ بِاللَّه مِنْ مَصْرَعِ السُّوءِ.

كلام له عليه السلام (١١٥)

لمّا أظفره الله تعالى بأصحاب الجمل

وقد قال له بعض أصحابه: وددتُ أن أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال له عليه السلام: أهَوى أخيكَ كَانَ مَعَنَا.

قال: نعم.

فقال عليه السلام: فَقَدْ شَهِدَنَا واللَّه.

لَقَدْ شَهِدَنَا في عَسْكَرِنَا هذَا في هذَا الْمَوْقِفِ أَقْوَامٌ في أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وأَرْحَامِ النِّسَاءِ، [وَ] أَنَاسٌ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ آبَاءَهُمْ ولاَ أَجْدَادَهُمْ بَعْدُ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، ويَقْوى بِهِمُ الإِيمَانُ.

فقال الرجل: وكيف شهِدَنا قوم لم يُخلقوا.

فقال عليه السلام: بَلى، قَوْمٌ يَكُونُونَ في آخِرِ الزَّمَانِ، يَشْرَكُونَنَا فيمَا نَحْنُ فيهِ، وهُمْ يُسَلِّمُونَ لَنَا.

فَأُولئِكَ شُرَكَاؤُنَا فيمَا نَحْنُ فيهِ حَقّاً حَقّاً.

كلام له عليه السلام (١١٦)

لعبّاد بن قيس

فيما غنم عسكره من أهل البصرة لمّا قال له: قسمت ما في العسكر وتركت الأموال والنساء والذرية فقال عليه السلام: يَا أَخَا بَكْرٍ، أَنْتَ امْرُؤٌ ضَعِيفُ الرَّأْيِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لاَ نَأْخُذُ الصَّغِيرَ بِذَنْبِ الْكَبِيرِ، وأَنَّ الأَمْوَالَ كَانَتْ لَهُمْ قَبْلَ الْفُرْقَةِ، وتَزَوَّجُوا

عَلى رِشْدَة، ووَلَدُوا عَلى فِطْرَة.

وإِنَّمَا لَكُمْ مَا حَوى عَسْكَرُهُمْ، ومَا كَانَ في دُورِهِمْ فَهُومِيرَاثٌ عَلى فَرَائِضِ الله - تعالى- لِذُرِّيَّتِهِمْ، وعَلى نِسَائِهِمُ الْعِدَّةُ. ولَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ ولاَ عَلَى الذُّرِّيَّة مِنْ سَبِيلٍ.

فَإِنْ عَدَا عَلَيْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ أَخَذْنَاهُ بِذَنْبِه، وإِنْ كَفَّ عَنَّا لَمْ نَحْمِلْ عَلَيْهِ ذَنْبَ غَيْرِه.

يَا أَخَا بَكْرٍ، لَقَدْ حَكَمْتُ فِيهِمْ بِحُكْمِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ في أَهْلِ مَكَّةَ، قَسَمَ مَا حَوَى الْعَسْكَرَ، ولَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا سِوى ذَلِكَ، وإِنَّمَا اتَّبَعْتُ أَثَرَهُ حَذْوالنَّعْلِ بِالنَّعْلِ.

يَا أَخَا بَكْرٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ دَارَ الْحَرْبِ يَحِلُّ مَا فِيهَا، وأَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ يَحْرُمُ مَا فِيهَا إِلاَّ بِالْحَقِّ.

فَمَهْلًا مَهْلًا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تُصَدِّقُوني، وأَكْثَرْتُمْ عَلَيَّ، هَاتُوا سِهَامَكُمْ، فَأَيُّكُمْ يَأْخُذُ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ في سَهْمِه، فَهِيَ رَأْسُ الأَمْرِ.

فتنادى الناس من كل جانب: أصبت، يا أمير المؤمنين، وأخطأنا، وعلمت وجهلنا، فنحن نستغفر الله - تعالى- .

فقال عليه السلام: أَنْظِرُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، مَا تُؤْمَرُونَ بِهِ فَامْضُوا لَهُ، فَإِنَّ الْعَالِمَ أَعْلَمُ بِمَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْجَاهِلِ الْخَسِيسِ الأَخَسِّ.

فَإِنْ أَطَعْتُمُوني فَإِنِّي حَامِلُكُمْ، إِنْ شَاءَ الله - تعالى- عَلى سَبِيلِ الْجَنَّة وإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّة شَدِيدَة، ومَذَاقَة مَرِيرَة.

ثُمَّ إِنِّي أُخْبِرُكُمْ أَنَّ خَيْلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَمَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ أَنْ لاَ يَشْرَبُوا مِنَ النَّهْرِ، فَلَجُّوا في تَرْكِ أَمْرِه، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ. فَكُونُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، مِنْ أُولئِكَ الَّذِينَ أَطَاعُوا نَبِيَّهُمْ، ولَمْ يَعْصُوا رَبَّهُمْ.

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى الله - عز وجل - فَلْيَفْعَلْ.

وأَمَّا فُلاَنَةُ فَأَدْرَكَهَا ضَعْفُ رَأْيِ النِّسَاءِ، وضِغْنٌ عَلَيَّ غَلاَ في صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ.

ولَودُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ.

ولَهَا بَعْدَ ذَلِكَ حُرْمَتُهَا الأُولى، والْحِسَابُ عَلَى الله - تعالى -، يَعْفُوعَمَّنْ يَشَاءُ، ويُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ.

كلام له عليه السلام (١١٧)

للعلاء بن زياد الحارثي وهومن أصحابه

وقد دخل عليه بالبصرة، يعوده

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام سعة داره قال: مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، وأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ أَحْوَجُ.

وبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ، تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ.

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكوإليك أخي عاصم.

فقال عليه السلام: ومَا بَالُهُ.

قال العلاء: لبس العباء، وترك الملاء، وغمّ أهله، وحزن ولده، وتخلى عن الدنيا.

فقال عليه السلام: عَلَيَّ به.

فلما جاء وقد ائتزر بعباءة وارتدى بأخرى عبس عليه السلام في وجهه وقال له: يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ، لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ.

أمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وولَدَكَ.

أَلَمْ تَسْمَعْ إلى قَوْلِه- تَعالى-: ﴿ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبات﴾.

أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَات وهُوَيَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا.

أَ ولَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ-: ﴿والأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ فِيها فاكِهَةٌ والنَّخْلُ ذاتُ الأَكْمامِ﴾.

أَومَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ-: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ-ثُمَّ قَالَ-: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ والْمَرْجانُ﴾.

وقَالَ-: ﴿ومِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها﴾.

أَمَا واللَّه، [إنّ] ابْتِذَالَ نِعَمِ اللَّه بِالْفِعَالِ أَحَبُّ إِلَيْه مِن ابْتِذَالِهَا بِالْمَقَالِ.

وقَدْ سَمِعْتُمُ الله - عز وجل - يَقُولُ-: ﴿وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وقَوْلَهُ-: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّه مِنْ ذَلِكَ.

إِنَّ اللَّهَ خَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا خَاطَبَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ-: ﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

وقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ لِبَعْضِ نِسَائِه: مَا لِي أَرَاكِ شَعْثَاءَ مَرْهَاءَ سَلْتَاءَ.

قال عاصم: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك، وجشوبة مأكلك.

فقال عليه السلام: وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ.

إِنَّ الله - تعالى- فَرَضَ عَلى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، [وَ] يَتَأَسَّوْا بِأَضْعَفِ رَعِيَّتِهِمْ حَالًا فِي الأَكْلِ واللِّبَاسِ، ولاَ يَتَمَيَّزُوا عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ لاَ يَقْدِرُونَ عَلَيْه، كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ، فَيَرْضى عَنِ الله - تعالى- بِمَا هُوفِيه، ويَرَاهُمُ الْغَنِيُّ فَيَزْدَادَ شُكْراً وتَوَاضُعاً.

فَلأُعْلَمَنَّ مَا لَبِسْتَ إِلاَّ مِنْ أَحْسَنِ زِيِّ قَوْمِك، فَالْعَمَلُ بِالنِّعْمَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْهَا.

كلام له عليه السلام (١١٨)

بعد وقعة الجمل لمّا أتاه قوم من قيس شباب فخطب خطيبهم

فقال عليه السلام: أَيْنَ أُمَرَاؤُكُمْ.

فقال الخطيب: أصيبوا تحت نظار الجمل، ثم أخذ في خطبته.

فقال عليه السلام: أَمَا إِنَّ هذَا لَهُوالْخَطِيبُ الْمِسْلَقُ الشَّحْشَحُ.

وقيل: قال أمير المؤمنين عليه السلام هذه الكلمة لصعصعة بن صوحان العبدي رحمه اللّه.

كلام له عليه السلام (١١٩)

لعمروبن العاص نصحه بها

إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ الله - عز وجل - مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وإِنْ نَقَصَهُ وكَرِثَهُ، وإِنَّ أَبْعَدَ الْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْبَاطِلِ أَحَبَّ إِلَيْهِ وإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وزَادَهُ.

يَا عَمْرُو، واللَّه إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَيْنَ مَوْضِعُ الْحَقِّ، فَلِمَ تَتَجَاهَلُ.

أَ بِأَنْ أُوتِيتَ طَمَعاً يَسِيراً صِرْتَ للَّه ولأَوْلِيَائِه عَدُوّاً.

فَكَأَنَّ، واللَّه، مَا أُوتِيتَ قَدْ زَالَ عَنْكَ.

وَيْحَكَ، فَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً، ولاَ لِلظَّالِمِينَ ظَهِيراً.

أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ بِيَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ نَادِمٌ، وهُوَيَوْمُ وَفَاتِكَ، وسَوْفَ تَتَمَنَّى أَنَّكَ لَمْ تُظْهِرْ لِي عَدَاوَةً، ولَمْ تَأْخُذْ عَلى حُكْمِ اللَّهِ رَشْوَةً.

كلام له عليه السلام (١٢٠)

للأشتر وعليّ بن حاتم وشُريح بن هانئ وهاني بن عُروة

وقد أشاروا عليه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جَرير بن عبد الله البَجَلي إلى معاوية فقال عليه السلام لهم: إنَّ اسْتِعْدَادي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وجَريرٌ عِنْدَهُمْ، إِغْلاَقٌ لِلشَّامِ، وصَرْفٌ لأَهْله عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ.

ولكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لجَرِيرٍ وَقْتاً لاَ يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَخْدُوعاً أوعَاصِياً.

والرَّأْيُ عِنْدي مَعَ الأَنَاةِ، فَأَرْوِدُوا، ولاَ أَكْرَهُ لَكُمُ الإِعْدَادَ.

كلام له عليه السلام (١٢١)

لدهاقين الأنبار

لمّا لقوه عند مسيره إلى الشام فترجّلوا له واشتدّوا بين يديه ومعهم براذين

فقال عليه السلام لهم: مَا هذَا الَّذي صَنَعْتُمُوهُ.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، هذا خُلق منّا نعظّم به أمراءنا.

فقال عليه السلام: أَمَّا هذَا الَّذي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ فيكُمْ خُلُقٌ تُعَظَّمُونَ به الأُمَرَاءَ، فَواللَّه مَا يَنْتَفِعُ بِهذَا أُمَرَاؤُكُمْ، وإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ به عَلى أَنْفُسِكُمْ وأَبْدَانِكُمْ في دُنْيَاكُمْ، وتَشْقَوْنَ بِهِ في آخِرَتِكُمْ، ومَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الأَمَانُ مِنَ النَّارِ.

فَلاَ تَعُودُوا لَهُ.

وأَمَّا دَوَابُّكُمْ هذِهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ نَأْخُذَهَا مِنْكُمْ فَنَحْسِبَهَا مِنْ خَرَاجِكُمْ، أَخَذْنَاهَا مِنْكُمْ.

وأمَّا طَعَامُكُمُ الَّذي صَنَعْتُمْ لَنَا، فَإِنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئاً إِلاَّ بِثَمَنٍ.

قالوا: يا أمير المؤمنين، نحن نقوّمه ثم نقبل ثمنه.

فقال عليه السلام: إِذاً لاَ تُقَوِّمُونَهُ قِيمَتَهُ، نَحْنُ نَكْتَفي بِمَا هُودُونَهُ.

قالوا: يا أمير المؤمنين، فإن لنا في أصحابك معارف،أتمنعنا أن نهدي لهم، وتمنعهم أن يقبلوا منّا.

فقال عليه السلام: كُلُّ الْعَرَبِ لَكُمْ مَوَالٍ، ولَيْسَ لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ أَنْ يَقْبَلَ هَدِيَّتَكُمْ، وإِنْ غَضِبَكُمْ أَحَدٌ فَأَعْلِمُونَا.

قالوا: يا أمير المؤمنين، إنّا نحب أن تقبل هديتنا وكرامتنا.

فقال عليه السلام: وَيْحَكُمْ، نَحْنُ أَغْنى مِنْكُمْ، وأَحَقُّ بِأَنْ نُفيضَ عَلَيْكُمْ.

وتركهم وسار.

كلام له عليه السلام (١٢٢)

قبل بدء القتال في صفّين

لمّا قيل له: إن الناس يظنون إنك تكره الحرب كراهية الموت، أوإنك في شكّ من قتال أهل الشام فقال عليه السلام: أَمَّا قَوْلُكُمْ: كُلُّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ، فَمَتى كُنْتُ كَارِهاً لِلْحَرْبِ قَطُّ.

إِنَّ مِنَ الْعَجَبِ حُبّي لَهَا غُلاَماً ويَافَعاً، وكَرَاهِيَتي لَهَا شَيْخاً بَعْدَ نَفَادِ الْعُمْرِ وقُرْبِ الْوَقْتِ.

واللَّه مَا أُبَالي، دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أوخَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ.

وأَمَّا قَوْلُكُمْ: شَكّاً في أَهْلِ الشَّامِ، فَلَوشَكَكْتُ فيهِمْ لَشَكَكْتُ في أَهْلِ الْبَصْرَةِ.

ولَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هذَا الأَمْرِ وعَيْنَهُ، وقَلَبْتُ ظَهْرَهُ وبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ فيهِ لي إِلاَّ الْقِتَالَ أوالْكُفْرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ.

واللّه مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إلاَّ وأنا أطْمَعُ أنْ تَلْحَقَ بي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بي، وتَعْشُوإلى ضَوْئي، وذَلكَ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ أقْتُلَهَا عَلى ضَلالَهَا، وإنْ كَانَتْ تَبُوءُ بآثامهَا.

فَإنَّ رَسُولَ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ قَالَ لي يَوْمَ خَيْبَرَ: لأنْ يَهْدِيَ اللّهُ بكَ رَجُلًا وَاحداً خَيْرٌ لَكَ ممَّا طَلَعَتْ عَلَيْه الشَّمْسُ.

ولَعَمْري مَا عَلَيَّ مِنْ قتَال مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ، وخَابَطَ الْغَيَّ، مِنْ إدْهَان ولاَ إيهَان.

فَاتَّقُوا اللّهَ، عبَادَ اللّه، وفرُّوا إلَى اللّه منَ اللّه، وامْضُوا في الَّذي نَهَجَهُ لَكُمْ، وقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ، فَعَليَّ ضَامنٌ لفَلَجِكُمْ آجِلًا، إنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا.

كلام له عليه السلام (١٢٣)

في حرب صفين لمّا طُلب منه الاحتراس

كَفى بالأَجَلِ حَارِساً.

إنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصينَةٌ، فَإذَا جَاءَ يَوْمي انْفَرَجَتْ عَنّي وأسْلَمَتْني، [وَ] انْبَعَثَ أشْقَاهَا فَخَضَّبَ هذه (وأشار إلى لحيته) منْ هذَا (وأشار إلى رأسه).

فَحينَئذٍ لاَ يَطيشُ السَّهْمُ، ولاَ يَبْرَأُ الْكَلْمُ.

عَهْدٌ مَعْهُودٌ، ووَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوب.

كلام له عليه السلام (١٢٤)

في حرب صفّين محرّضاً عسكره على الاقتحام

إنّي قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وانْحيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ، وأعْرَابُ أهْلِ الشَّامِ، وأنْتُمْ لَهَاميمُ الْعَرَب، ويَآفيخُ الشَّرَف، والأَنَفُ الأَقْدَمُ، والسَّنَامُ الأَعْظَمُ، وعُمَّارُ اللَّيْلِ بتِلاَوَةِ الْقُرْآن، وأهْلُ دَعْوَةِ الْحَقِّ إذْ ضَلَّ الْخَاطِئُون.

فَلَولاَ إقْبالُكُمْ بَعْدَ إدْبارِكُمْ، وكَرُّكُمْ بَعْدَ انْحِيازِكُمْ، لَوَجَبَ عَلَيْكُمْ مَا وَجَبَ عَلَى الْمُوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ دُبُرَهُ، وكُنْتُمْ مِنَ الْهَالِكِينَ.

ولَقَدْ هَوَّنَ عَلَيَّ بَعْضَ وَجْدي، وشَفى بَعْضَ وحَاوِحِ صَدْري، أنْ رَأيْتُكُمْ بِأخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ بالسُّيُوفِ كَمَا حَازُوكُمْ، وتُزيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أزَالُوكُمْ، حَسّاً بالنِّضَالِ، وشَجْراً بالرِّمَاحِ، تَرْكَبُ أُولاَهُمْ أُخْرَاهُمْ، كَالإبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ تُرْمى عَنْ حِيَاضِهَا، وتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

فَالآنَ فَاصْبِرُوا، أُنْزِلَتْ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، وثَبَّتَكُمُ الله - عز وجل - بِالْيَقِينِ.

ولِيَعْلَمَ الْمُنْهَزِمُ أنَّهُ مُسْخِطٌ رَبَّهُ، ومُوبِقٌ نَفْسَهُ.

وإنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ الله - عز وجل - عَلَيْهِ، والذُّلَّ اللاَّزِمَ لَهُ، والْعَارَ الْبَاقِي، واعْتِصَارُ الْفَيءِ مِنْ يَدِهِ، وفَسَادُ الْعَيْشِ عَلَيْهِ.

وإنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، ولاَ مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وبَيْنَ يَوْمِهِ، ولاَ يُرْضِي رَبَّهُ.

فَمَوْتُ الرَّجُلِ مُحِقّاً قَبْلَ إتْيَانِ هذِهِ الْخِصَالِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الرِّضَا بِالتَّلَبُّسِ بِهَا، والاصْرَارِ عَلَيْهَا.

كلام له عليه السلام (١٢٥)

أيام حرب صفّين

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام فأرسل إليهم أن كفّوا عمّا يبلغني عنكم.

فأتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين، ألسنا محقّين.

فقال عليه السلام: بَلى.

قالُوا: أليسوا مبطلين.

فقال عليه السلام: بَلى.

قالوا: فلِمَ منعتنا من شتمهم.

فقال عليه السلام: إِنّي أكْرَهُ لَكُمْ أنْ تَكُونُوا سَبَّابينَ شَتَّامينَ لَعَّانينَ تَشْتُمُونَ وتَتَبَرَّؤُونَ.

ولكِنَّكُمْ لَوَوَصَفْتُمْ مَساوِئَ أعْمَالِهِمْ، وذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ وسيرَتَهُمْ، كَانَ أصْوَبَ في الْقَوْلِ، وأبْلَغَ فِي الْعُذْرِ.

ولَوقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ ولَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ، وبَرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا ودِمَاءَهُمْ، وأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وبَيْنِهِمْ، واهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ مَنْ جَهِلَهُ، ويَرْعَوِي عَنِ الْغَيِّ والْعُدْوَانِ مِنْهُمْ مَنْ لَهِجَ بِهِ، لَكَانَ هذَا أحَبَّ إِلَيَّ وخَيْراً لَكُمْ.

كلام له عليه السلام (١٢٦)

في بعض أيام صفّين

وقد رأى ابنه الحسن عليه السلام يتسرّع إلى الحرب فقال عليه السلام: إِمْلِكُوا عَنّي هذَا الْغُلاَمَ لاَ يَهُدُّنِي.

فَإِنَّنِي أنْفَسُ بِهذَيْنِ عَلَى الْمَوْتِ، لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ.

كلام له عليه السلام (١٢٧)

مخاطباً القوم بعد اضطرابهم عنه في الحكومة

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلى مَا أُحِبُّ، حَتَّى نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ.

وقَدْ، واللَّه، أخَذَتْ مِنْكُمْ وتَرَكَتْ، وأخَذَتْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ولَمْ تَتْرُكْ، وهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أنْهَكُ، وفِيهِمْ أنْكى.

إلاَّ أنِّي قَدْ كُنْتُ أمْسِ أميراً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَأصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً، وقَدْ كُنْتُ أمْسِ نَاهِياً، فَأصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً.

وقَدْ أحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، ولَيْسَ لي أنْ أحْمِلَكُمْ عَلى مَا تَكْرَهُونَ.

كلام له عليه السلام (١٢٨)

في وقعة صفّين للمتخاذلين من أصحابه بعد إقرار الصلح

إنَّ هؤُلاَءِ الْقَوْمَ لَمْ يَكُونُوا لِيَفِيئُوا إلَى الْحَقِّ، ولاَ لِيُجِيبُوا إلى كَلِمَةِ السَّوَاءِ بَيْنَنَا وبَيْنَهُمْ، حَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ.

وحَتَّى يُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلاَئِبُ.

وحَتَّى يُجَرَّ بِبِلاَدِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ.

وحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ في نَوَاحِرِ أرْضِهِمْ، وبِأعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ ومَسَارِحِهِمْ.

وحَتَّى تُشَنَّ الْغَارَاتُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، وتَخْفِقَ عَلَيْهِمُ الرَّايَاتُ.

وحَتَّى يَلْقَاهُمْ قَوْمٌ صُدُقٌ صُبُرٌ، لاَ يَزِيدُهُمْ هَلاَكُ مَنْ هَلَكَ مِنْ قَتْلاَهُمْ ومَوْتَاهُمْ في سَبِيلِ اللَّه، إلاَّ جِدّاً في طَاعَةِ اللَّه، وحِرْصاً عَلى لِقَاءِ اللَّه.

واللَّه لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وأبْنَاءَنَا وإخْوَانَنَا وأخْوَالَنَا وأعْمَامَنَا، وأهْلَ بُيُوتَاتِنَا، ثُمَّ مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إلاَّ إيمَاناً وتَسْلِيماً، ومُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ، وصَبْراً عَلى مَضَضِ الأَلَمِ، وجِدّاً في جِهَادِ الْعَدُوِّ، واسْتِقْلاَلاً بِمُبَارَزَةِ الأَقْرَانِ.

ولَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا والآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلاَنِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أنْفُسَهُمَا أيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ.

فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، ومَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا.

فَلَمَّا رَأَى اللهُ - عز وجل - صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلاَمُ مُلْقِياً جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ.

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ - تعالى - لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ، فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا.

تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلاَ تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ.

وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا، حِينَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتُصِيبُنَا الشَّدَائِدُ وَالأَذَى وَالْبَأْسُ، نَأْتِي مِثْلَ مَا أَتَيْتُمُ الْيَوْمَ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلاَ اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ، وَلاَ عَزَّ الإِسْلاَمُ.

وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ.

وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ.

وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً، وَلَتُتْبِعُنَّهَا حَسْرَةً وَنَدَماً، فَاحْفَظُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ وَاذْكُرُوهُ.

ثم خاطب عليه السلام القلّة الذين لم يرضوا بالصلح قائلًا: يَا قَوْمِ، قَدْ تَرَوْنَ خِلاَفَ أَصْحَابِكُمْ، وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ فِي كَثِيرٍ.

وَلَئِنْ عُدْتُمْ إِلَى الْحَرْبِ لَيَكُونُنَّ هؤُلاَءِ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا وَاهْلِ الشَّامِ عَلَيْكُمْ أَفْنَوْكُمْ.

وَاللَّهِ مَا رَضِيتُ مَا كَانَ وَلاَ هَوَيْتُهُ، وَلاَ أَحْبَبْتُ أَنْ تَرْضَوْا، وَلكِنِّي مِلْتُ إِلَى الْجُمْهُورِ مِنْكُمْ خَوْفاً عَلَيْكُمْ.

وَمَا أَنَا إِلاَّ مِنْ غَزِيَّةَ، إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ وَاللَّهِ مَا حَكَّمْتُ

مَخْلُوقاً، وإِنَّمَا حَكَّمْتُ الْقُرْآنَ.

ولَولاَ أَنـي غُلِبْتُ عَلى أَمْري، وخُولِفْتُ في رَأْيي، لَمَا رَضيتُ أَنْ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا بَيْني وبَيْنَ أَهْلِ حَرْبِ اللَّهِ حَتَّى أُعْلِيَ كَلِمَةَ اللَّهِ، وأَنصرَ دينَ اللَّهِ، ولَو كَرِهَ الْجَاهِلُونَ والْكَافِرُونَ.

كلام له عليه السلام (١٢٩)

لمّا مرّ وهوعائد من صفّين على عدّة قبور فيها قبر خبّاب بن الأرَتّ

رَحِمَ اللَّهُ خَبَّاباً، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وهَاجَرَ طَائِعاً، وعَاشَ مُجَاهِداً، وابْتُلِيَ في جِسْمِه آخِراً، وقَنِعَ بِالْكَفَافِ، ورَضِيَ عَنِ الله - تعالى - ، ولَنْ يُضيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

ثم جاء عليه السلام حتى وقف على القبور فقال: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، والْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ، والْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ، والْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ. يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ والْمُسْتَأْخِرِينَ مِنَّا.

يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ وفَرَطٌ سَابِقٌ، ونَحْنُ عَمَّا قَلِيلٍ لَكُمْ تَبَعٌ لاَحِقٌ.

أَمَّا الدُّورُ بَعْدَكُمْ فَقَدْ سُكِنَتْ.

وأَمَّا الأَزْوَاجُ بَعْدَكُمْ فَقَدْ نُكِحَتْ.

وأَمَّا الأَمْوَالُ بَعْدَكُمْ فَقَدْ قُسِمَتْ.

هذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا، فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ.

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أَمَا، واللَّهِ، لَوأُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلاَمِ لأَخْبَرُوكُمْ: أَمَّا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا، فَقَدْ وَجَدْنَا مَا عَمِلْنَا، ورَبِحْنَا مَا قَدَّمْنَا، وخَسِرْنَا مَا خَلَّفْنَا، وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى.

ثم بكى عليه السلام وقال: طُوبى لِمَنْ خَافَ الْعِقَابَ، وعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وصَاحَبَ الْعِفَافَ، وقَنِعَ بِالْكَفَافِ، ورَضِيَ عَنِ الله - عز وجل - بِذَلِكَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ولَهُمْ، وتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وعَنْهُمْ.

ثم قال عليه السلام: الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي جَعَلَ لَنَا الأَرْضَ كِفَاتاً، أَحْيَاءً وأَمْوَاتاً.

والْحَمْدُ للَّهِ الَّذي مِنْهَا خَلَقَنَا، وفِيهَا يُعِيدُنَا، ومِنْهَا يُخْرِجُنَا، وعَلَيْهَا يَحْشُرُنَا.

كلام له عليه السلام (١٣٠)

لمّا ورد الكوفة قادماً من صفّين

وقد مرّ بالشباميين، فسمع بكاء النساء على قتلى صفّين، وخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامي، وكان من وجوه قومه، فقال له عليه السلام: أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلى مَا أَسْمَعُ.

ألاَ تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هذَا الرَّنِينِ.

ثم أقبل حرب يمشي معه وهوراكب.

فقال له عليه السلام: إِرْجِعْ، فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي، ومَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ.

كلام له عليه السلام (١٣١)

بعد مرجعه من صفّين

وقد تُوفي سهل بن حُنيف الأنصاري بالكوفة وكان من أحبّ الناس إليه

فقال عليه السلام: لَوأَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ.

كلام له عليه السلام (١٣٢)

بعد وقعة صفّين لمّا قيل له لوغيّرت شيبك يا أمير المؤمنين

فقال عليه السلام: الْخِضَابُ زِينَةٌ، ونَحْنُ قَوْمٌ في مُصيبَةٍ.

كلام له عليه السلام (١٣٣)

لمّا سئل عن قتلاه وقتلى معاوية

فقال عليه السلام: يُوْتى بي وبِمُعَاوِيَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنَخْتَصِمُ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ، فَأَيُّنَا فَلَجَ فَلَجَ أَصْحَابُهُ.

كلام له عليه السلام (١٣٤)

عن نيّته في إزالة البِدَع المُحْدَثة

لَوقَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هذِهِ الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ.

كلام له عليه السلام (١٣٥)

لمّا هرب مَصْقَلَة بن هُبَيرة الشيباني إلى معاوية

وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم. فلمّا طالبه بالمال خاسَ به وهرب إلى الشام.

فقال عليه السلام: قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ، فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ، وخَانَ خِيَانَةَ [الْفُجَّارِ]، وفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ.

فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، ولاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ.

أَمَا واللَّهِ لَوأَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ، وانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ مَوْفُورَهُ.

كلام له عليه السلام (١٣٦)

في الرحبة بالكوفة

لمّا ناشد رهطاً من أصحاب رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ أمام الناس منهم أبوهريرة، وأبوسعيد، وأنس بن مالك، وهم حول المنبر.

فقال عليه السلام لهم: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ رَجُلًا سَمِعَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ يَقُولُ لي وهُومُنْصَرِفٌ مِنْ حَجَّةِ الْوِدَاعِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: (مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهذَا عَلِيٌّ مَوْلاَهُ. اللَّهُمَّ والِ مَنْ وَالاَهُ، وعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وأدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ كَيْفَمَا دَارَ. اللَّهُمَّ مَنْ أَحَبَّهُ مِنَ النَّاسِ فَكُنْ لَهُ حَبِيباً، ومَنْ أَبْغَضَهُ فَكُنْ لَهُ مُبْغِضاً). إلاَّ قَامَ فَشَهِدَ.

فقام إليه رجال فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ يقول ذلك، ولم يقم أنس بن مالك ولم يقل شيئاً.

فقال عليه السلام له: يَا أَنَسُ، لَقَدْ حَضَرْتَهَا فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُومَ وتَشْهَدَ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ.

قال: يا أمير المؤمنين، كبر سنّي، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره.

فقال عليه السلام: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ اللَّهُ بِهَا بَيْضَاءَ لاَمِعَةً لاَ تُوارِيهَا الْعِمَامَةُ.

فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يُرى إلاَّ مبرقعاً حتى مات.

وروي عن أنس أنه قال بعد ما أصيب: رأيت رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ في المنام، فقال لي يا أنس، ما حملك على أن لا تؤدي ما سمعت مني في علي بن أبي طالب حتى أدركتك العقوبة، ولولا استغفار علي بن أبي طالب لك ما شممت رائحة الجنة أبداً.

كلام له عليه السلام (١٣٧)

لبعض أصحابه

وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به وأنتم أعلم الناس بالكتاب والسنة، والأعلون نسباً، والأكرمون حسباً، والأتمّون شرفاً، والأشدّون نَوْطاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقرابة.

فقال عليه السلام: يَا أَخَا بَنِي أَسَد، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، ضَيِّقُ الْمَخْرَمِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ ذِي سَدَد، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ، وحَقُّ الْمَسْأَلَة.

وَقَد اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهذَا الْمَقَامِ، ونَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، والأَشَدُّونَ بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ نَوْطاً، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ.

ونِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ الْعَدْلُ، والْمَعُودُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَة، وفِي السَّاعَةِ مَا يُوْفِكُونَ، ولِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وسَوْفَ تَعْلَمُونَ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حُجَرَاتِه ولَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ وهَلُمَّ إِلَى الْخَطْبِ الْجَلِيلِ فِي أَمْرِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِه.

فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، ويُكْثِرُ الأَوَدَ.

حَاوَلَ الْقَوْمُ، واللَّه، إِطْفَاءَ نُورِ اللَّه مِنْ مِصْبَاحِه، وسَدَّ فَوَّارِه مِنْ يُنْبُوعِه، والِادْهَانَ فِي دِينِ اللَّه. وهَيْهَاتَ ذَلِكَ مِنِّي.

ولاَ غَرْوَ، واللَّه، قَدْ يَئِسَ الْقَوْمُ مِنْ هَيْبَتِي، وَجَدَحُوا بَيْنِي وبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً.

فَإِنْ تَكُ لِلأَيَّامِ عَاقِبَةٌ، [وَ] تَرْتَفِعْ عَنَّا وعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوى، أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِه، وإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وفَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ.

كلام له عليه السلام (١٣٨)

لعبد الرحمن بن شبيب الفرازي وكان عيناً لعلي عليه السلام في الشّام

وقد حدّثه أن أهل الشام بلغ بهم سرورهم بقتل محمد بن أبي بكر إلى أنهم أذّنوا بقتله على المنبر.

فقال عليه السلام: أَمَا إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلى قَدْرَ سُرُورِهِمْ بِهِ، إِلاَّ أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً، ونَقَصْنَا حَبِيباً.

فَمَا جَزَعْتُ عَلى هَالِكٍ مُنْذُ دَخَلْتُ هذِهِ الْحُرُوبَ جَزْعي عَلَيْهِ.

كلام له عليه السلام (١٣٩)

للخوارج لمّا أنكروا عليه التحكيم

فقال عليه السلام: إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ.

وهذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوخَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، ولاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ.

ولَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ، لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّي عَنْ كِتَابِ اللهِ -عز وجل -، وقَدْ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالى -: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ والرَّسُولِ﴾.

فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحْكِمَ بِكِتَابِهِ، ورَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نُؤْخَذَ بِسُنَّتِهِ.

فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَنَحْنُ أَوْلاَهُمْ بِهِ.

وأمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ أجَلًا فِي التَّحْكِيمِ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، ويَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ.

ولَعَلَّ الله - تعالى - أنْ يُصْلِحَ في هذِهِ الْهُدْنَةِ أمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ، ولاَ تُؤْخَذَ بِأكْظَامِهَا، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وتَنْقَادَ لأَوَّلِ الْغَيِّ.

ثم قال عليه السلام لهم: أُدْخُلُوا مِصْرَكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ.

كلام له عليه السلام (١٤٠)

في الخوارج لمّا سمع قولهم: لا حُكم إلّا للّه

فقال عليه السلام: حُكْمَ الله - عز وجل - أنْتَظِرُ فيكُمْ.

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ.

نَعَمْ إنَّهُ لاَ حُكْمَ إلاَّ للَّه، ولكنَّ هؤُلاَءِ يَقُولُونَ: لاَ إِمْرَةَ.

وإنَّهُ لاَ بُدَّ للنَّاسِ مِنْ أميرٍ بَرٍّ أوفَاجِرٍ.

أمَّا الإِمْرَةُ الْبَرَّةُ، فَيَعْمَلُ فِيهَا الْمُؤْمِنُ، ويَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، ويُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الأَجَلَ، ويُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، ويُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وتُؤْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، ويُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بِهِ بَرٌّ، ويُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ.

أمَّا الإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ، فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ إلى أنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ.

إنَّ السُّلْطَانَ وَزَعَةُ اللَّه في أرْضِه.

ثم قال عليه السلام: أمَا إنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ثَلاَثَ خِصَالٍ مَا صَحِبْتُمُونَا: لاَ نَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدَ اللَّه أنْ تُصَلُّوا مَعَنَا فِيهَا [وَ] تَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَهُ.

ولاَ نَمْنَعُكُمْ نَصِيبَكُمْ مِنَ الْفَيْءِ مَا دَامَتْ أيْدِيكُمْ مَعَ أيْدِينَا.

ولاَ نَبْدَؤُكُمْ بِحَرْبٍ حَتَّى تَبْدَؤُونَا بِهَا.

وأشْهَدُ لَقَدْ أخْبَرَني النَّبيُّ الصَّادِقُ، عَنِ الرُّوحِ الأَمينِ، عَنْ رَبِّ الْعَالَمينَ، أَنَّهُ لاَ يَخْرُجُ عَلَيْنَا مِنْكُمْ فِرْقَةٌ، قَلَّتْ أوكَثُرَتْ، إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إلاَّ جَعَلَ الله - عز وجل - حَتْفَهَا عَلى أَيْدِينَا، وأنَّ أفْضَلَ الْجِهَادِ جِهَادُكُمْ، وأفْضَلَ الشُّهَدَاءِ مَنْ قَتَلْتُمُوهُ، وأفْضَلَ الْمُجَاهِدينَ مَنْ قَتَلَكُمْ.

فَاعْمَلُوا مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ، ولِكُلِّ نَبإٍ مُسْتَقَرٌّ وسَوْفَ تَعْلَمُونَ.

كلام له عليه السلام (١٤١)

للبرج بن مسهر الطائي الخارجي

وقد قال له بحيث يسمعه: لا حكم إلاَّ للّه

فقال عليه السلام: أُسْكُتْ، قَبَّحَكَ اللَّهُ، يَا أَثْرَمُ، فَواللَّه لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فيه ضَئِيلًا شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

كلام له عليه السلام (١٤٢)

كلّم به الخوارج

لمّا قالوا له: انّا حكّمنا، فلمّا حكّمنا أثمنا، وكنّا بذلك كافرين. وقد تُبنا. فإن تُبتَ كما تُبنا فنحن منك ومعك.

فقال عليه السلام: أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، ولاَ بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ، أَبَعْدَ إيمَانِي باللَّه، وجِهَادِي فِي سَبِيلِ اللَّه، وهِجْرَتِي مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، والتَّفَقُّهِ فِي دِينِ اللَّه، أَبُوءُ وأَشْهَدُ عَلى نَفْسِي بِالْكُفْرِ.

قَدْ ضَلَلْتُ إذاً وما أنا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.

فَمَعَاذَ اللَّه أنْ أكُونَ ارْتَبْتُ مُنْذُ أسْلَمْتُ، أوضَلَلْتُ مُنْذُ اهْتَدَيْتُ.

بَلْ بِنَا هَدَاكُمُ اللَّهُ مِنَ الضَّلَالَة، واسْتَنْقَذَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وعَصَمَكُمْ مِنَ الْجَهَالَة.

نَحْنُ أهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّة، ومَوْضِعُ الرِّسَالَة، ومُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَة، وعُنْصُرُ الرَّحْمِ، ومَعْدِنُ الْعِلْمِ والْحِكْمَة.

نَحْنُ دُعَاةُ الْحَقِّ، وأئِمَّةُ الْخَلْق، وأَلْسِنَةُ الصِّدْق.

نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطى، [وَ] أُفُقُ الْحِجَازِ، بِنَا يَلْحَقُ التَّالِي الْبَطِيءُ، وإِلَيْنَا يَرْجِعُ الْغَالِي التَّائِبُ.

طَرِيقُنَا الْقَصْدُ، وأمْرُنَا الرُّشْدُ، مَنْ تَمَسَّكَ بِنَا لَحِقَ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنَّا مُحِقَ، ومَنِ اتَّبَعَ أمْرَنَا سَبَقَ، ومَنْ سَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِنَا سُحِقَ، ومَنْ رَكِبَ غَيْرَ سَفِينَتِنَا غَرِقَ.

إنَّ لِمُحِبِّينَا أفْوَاجٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّه، وإنَّ لِمُبْغِضِينَا أفْوَاجٌ مِنْ سَخَطِ الله - سبحانه -.

وإنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أحْيَا الْقُرْآنُ، ويُمِيتَا مَا أمَاتَ الْقُرْآنُ.

وإِحْيَاؤُهُ الاجْتِمَاعُ عَلَيْه، وإِمَاتَتُهُ الافْتِرَاقُ عَنْهُ.

فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ، وإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا.

فَإِنْ أبَيْتُمْ إِلاَّ أنْ تَزْعُمُوا أنِّي أخْطَأْتُ وضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ بِضَلَالِي، وتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَأِي، وتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي، سُيُوفُكُمْ عَلى عَوَاتِقِكُمْ، تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ والسُّقْمِ، وتَخْلِطُونَ مَنْ أذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ.

وقَدْ عَلِمْتُمْ أنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْه، ثُمَّ وَرَّثَهُ أهْلَهُ. وقَتَلَ الْقَاتِلَ، ووَرَّثَ مِيرَاثَهُ أهْلَهُ، وقَطَعَ يَدَ السَّارِقِ، وجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَّمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ، ونَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ.

فَأخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ بِذُنُوبِهِمْ، وأقَامَ حَقَّ اللَّه فِيهِمْ، ولَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسْلَامِ، ولَمْ يُخْرِجْ أسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أهْلِه.

ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، ومَنْ رَمى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَه، وضَرَبَ بِه تِيهَهُ.

والَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، وتَرَدَّى بِالْعَظَمَة، لَوضَرْبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفي هذَا عَلى أَنْ يُبْغِضَني مَا أَبْغَضَني، ولَوصَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلى أَنْ يُحِبَّني مَا أَحَبَّني. وذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضى عَلى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، إِنَّهُ قَالَ: يَا عَلِيُّ، لاَ يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ ولاَ يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَة، ولَولاَ أَنْتَ لَمْ يُعْرَفْ حِزْبُ اللَّه.

[ولَقَد] دَعَاني رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ فِيكَ مَثَلًا مِنْ عيسى بْنِ مَرْيَمَ، أَبْغَضَتْهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ فَهَلَكُوا، وأَحَبَّتْهُ النَّصَارى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتي لَيْسَ بِهَا فَهَلَكُوا، أَمَا واللَّه مَا كَذَبْتُ ولاَ كُذِبْتُ، ولاَ ضَلَلْتُ ولاَ ضُلَّ بي، وقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرى.

أَلاَ وإِنَّهُ سَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَان: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ غَال، يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلى غَيْرِ الْحَقِّ.

ومُبْغِضٌ مُفْرِطٌ قَال يَذْهَبُ بِه الْبُغْضُ إِلى غَيْرِ الْحَقِّ.

وخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا النَّمَطُ الأَوْسَطُ، فَالْزَمُوهُ.

والْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ، فَإِنَّ يَدَ اللَّه مَعَ الْجَمَاعَة.

وإِيَّاكُمْ والْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّاذَّ عَنِ الْحَقِّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْب.

أَلاَ مَنْ دَعَا إِلى هذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ، ولَوكَانَ تَحْتَ عِمَامَتي هذِه.

كلام له عليه السلام (١٤٢)

لرجل من أصحابه

وقد أرسله ليعلم له أحوال قوم من جند الكوفة قد همّوا باللّحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه عليه السلام.

فلمّا عاد إليه الرجل قال له أمير المؤمنين عليه السلام: أَآمِنُوا فَقَطَنُوا، أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا.

فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: أَوقَدْ فَعَلُوهَا، بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ.

أَمَا، واللَّه، لَوقَدْ أُشْرِعَتِ الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلى هَامَاتِهِمْ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلى مَا كَانَ مِنْهُمْ.

إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ وأَضَلَّهُمْ، وهُوغَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، ومُتَخَلٍّ عَنْهُمْ.

كلام له عليه السلام (١٤٤)

لمّا سمع رجلًا من الحرورية يتهجّد بصوت حزين ويقرأ

فقال عليه السلام: نَوْمٌ عَلى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاَةٍ عَلى شَكٍّ.

كلام له عليه السلام (١٤٥)

لمّا أراد المسير إلى النهروان

وقد قال له أحد أصحابه: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة، فإنك إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك في علم النجوم، فقال عليه السلام له: أَيُّهَا الدِّهْقَانُ الْمُنْبِئُ بِالأَخْبَارِ، والْمُحَذِّرُ مِنَ الأَقْدَارِ، أَنْتَ الَّذي تُسَيِّرُ الْجَارِيَاتِ، وتَقْضي عَلَيَّ بِالْحَادِثَاتِ، وتَنْقُلُهَا مَعَ الدَّقَائِقِ والسَّاعَاتِ.

أَعَالِمٌ أَنْتَ بِمَا نَزَلَ الْبَارِحَةَ في آخِرِ الْميزَانِ، وبِأَيِّ نَجْمٍ اخْتَلَفَ بُرْجُ السَّرَطَانِ.

فَأَخْبِرْنِي عَنْ طُولِ الأَسَدِ وتَبَاعُدِهِ مِنَ الْمَطَالِعِ والْمَرَاجِعِ، ومَا الزُّهْرَةُ مِنَ التَّوَابِعِ والْجَوَامِعِ.

فَمَا بَيْنَ السَّوَارِي إِلَى الزَّرَارِي.

ومَا بَيْنَ السَّاعَاتِ إِلَى الْمُعْجزَاتِ.

وكَمْ قَدْرُ شُعَاعِ الْمُبْدِرَاتِ.

وكَمْ يَحْصُلُ الْفَجْرُ فِي الْغَدَوَاتِ.

ثم قال عليه السلام: فَهَلْ عَلِمْتَ، يَا دِهْقَانُ، أَنَّ الْمَلِكَ انْتَقَلَ الْبَارِحَةَ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ بِالصِّينِ، وانْقَلَبَ بُرْجُ مَاجِينَ، واحْتَرَقَ دُورٌ بِالزِّنْجِ، وطَفَحَ جُبُّ سَرَانْدِيبَ، وتَهَدَّمَ حِصْنُ الأَنْدَلُسِ، وهَاجَ نَمْلُ الشِّحِ فِي وَادِ النَّمْلِ، وانْهَزَمَ مُرَاقُ الْهِنْدِيِّ، وفُقِدَ دَيَّانُ الْيَهُودِ بِبَابِلَةَ، وهُزِمَ بَطْرِيكُ الرُّومِ بِرُومِيَةَ، وعَمِيَ رَاهِبُ عَمُورِيَةَ، وهَلَكَ مَلِكُ إِفْرِيقِيَةَ، وسَقَطَتْ شُرْفَاتُ الذَّهَبِ مِنْ قُسْطَنْطِينِيَّةَ الْكُبْرَى.

أَفَعَالِمٌ أَنْتَ بِهذِهِ الْحَوَادِثِ، ومَا الَّذِي أَحْدَثَهَا شَرْقِيُّهَا أَوغَرْبِيُّهَا مِنَ الْفَلَكِ.

وبِأَيِّ كَوْكَبٍ تَقْضِي فِي أَعْلَى الْقُطْبِ، وبِأَيِّهَا تُنَحَّسُ مَنْ تُنَحِّسُ.

فَهَلْ عَلِمْتَ أَنَّهُ سَعِدَ الْيَوْمَ اثْنَانِ وسَبْعُونَ عَالَماً، فِي كُلِّ عَالَمٍ سَبْعُونَ عَالَماً، مِنْهُمْ فِي الْبَرِّ، ومِنْهُمْ فِي الْبَحْرِ، وبَعْضٌ فِي الْجِبَالِ، وبَعْضٌ فِي الْغِيَاضِ، وبَعْضٌ فِي الْعُمْرَانِ، ومَا الَّذِي أَسْعَدَهُمْ.

ثم قال عليه السلام: يَا دِهْقَانُ، أَظُنُّكَ حَكَمْتَ عَلَى اقْتِرَانِ الْمُشْتَرِي وزُحَلَ، لَمَّا اسْتَتَارَ لَكَ فِي الْغَسَقِ، وظَهَرَ تَلأْلُؤُ شُعَاعِ الْمِرِّيخِ وتَشْرِيقِهِ فِي السَّحَرِ، وقَدْ سَارَ فَاتَّصَلَ جِرْمُهُ بِجِرْمِ تَرْبِيعِ الْقَمَرِ.

وذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْقَاقِ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْبَشَرِ، كُلُّهُمْ يُولَدُونَ الْيَوْمَ واللَّيْلَةَ، ويَمُوتُ مِثْلُهُمْ.

ثم قال عليه السلام: إِذَا كَانَ طُرُقَ السَّمَاءِ لاَ تَعْلَمُهَا فَإِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ قَرِيبٍ.

أَتَدْرِي مَا فِي بَطْنِ فرسي هذِهِ، أَذَكَرٌ هُوأَمْ أُنْثَى.

قال: إِن حسبت علمت.

فقال عليه السلام: إنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ مَا كَانَ يَدَّعي عِلْمَ مَا ادَّعَيْتَ عِلْمَهُ.

[ثم قال عليه السلام:] أتَزْعُمُ أنَّكَ تَهْدي إلَى السَّاعَة الَّتي مَنْ سَارَ فيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ، وتُخَوِّفُ منَ السَّاعَة الَّتي مَنْ سَارَ فيهَا حَاقَ به الضُّرُّ.

فَمَنْ صَدَّقَكَ بهذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، واسْتَغْنَى عَنِ الاسْتِعَانَة بالله - عز وجل - في نَيْلِ الْمَحْبُوبِ ودَفْعِ الْمَكْرُوه.

وتَبْتَغي في قَوْلكَ للْعَامل بأمْرِكَ أنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّه - جَلَّ جَلالُهُ - ، لأنَّكَ، بزَعْمكَ أنْتَ، هَدَيْتَهُ إلَى السَّاعَة الَّتي نَالَ فيهَا النَّفْعَ، وصَرَفْتَهُ عَنِ السَّاعَة الَّتي يَحيقُ السُّوءُ بمَنْ سَارَ فيهَا وأمِنَ الضُّرَّ.

فَمَنْ آمَنَ بكَ في هذَا لَمْ آمَنْ عَلَيْه أنْ يَكُونَ كَمَنِ اتَّخَذَ منْ دُونِ اللَّه نِدّاً.

اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إلاَّ خَيْرُكَ، ولاَ ضُرَّ إلاَّ ضُرُّكَ، ولاَ إلهَ غَيْرُكَ.

أمَا واللَّه لَئنْ بَلَغَني أنَّكَ بَعْدَهَا تَنْظُرُ في النُّجُوم وتَعْمَلُ بهَا لأجْلدَنَّكَ حَدَّ الْمُفْتَري، ولأُخَلِّدَنَّكَ في السِّجْنِ أبَداً مَا بَقيتُ وبَقيتَ، ولأُحْرِمَنَّكَ الْعَطَاءَ مَا كَانَ لي منْ سُلْطَان.

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال: أيُّهَا النَّاسُ، إيَّاكُمْ وتَعَلُّمَ النُّجُومِ إلاَّ مَا يُهْتَدى به في ظُلُمَات بَرٍّ أوبَحْر، فَإنَّهَا تَدْعُوإلَى الْكَهَانَة، والْمُنَجِّمُ كَالْكَاهن، والْكَاهنُ كَالسَّاحر، والسَّاحرُ كَالْكَافر، والْكَافرُ في النَّار.

أمَا إنَّهُ مَا كَانَ لمُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله مُنَجِّمٌ ولاَ لَنَا منْ بَعْده حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا بلاَدَ كسْرى وقَيْصَرَ وسَائرَ الْبُلْدَان.

أيُّهَا النَّاسُ، تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّه وثقُوا به، فَإنَّهُ يَكْفي ممَّنْ سوَاهُ.

ثم قال له عليه السلام: نُكَذِّبُكَ ونُخَالفُكَ ونَسيرُ في السَّاعَة الَّتي نَهَيْتَنَا عَنْهَا.

سيرُوا عَلَى اسْمِ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - وعَوْنه.

كلام له عليه السلام (١٤٦)

لمّا قيل له: إنّ الخوارج قد عبروا جسر النهروان

فقال عليه السلام: واللّه مَا عَبَرُوهُ، ولَنْ يَعْبُرُوهُ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ بِالرُّمَيْلَةِ دُونَهُ.

وإنَّ مَصَارِعَهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ.

عَهْدٌ مِنَ اللَّه ورَسُوله، واللَّه مَا كَذَبْتُ ولاَ كُذِبْتُ، ولاَ ضَلَلْتُ ولاَ ضُلَّ بِيَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يَقُولُ: يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتي يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، ولاَ صَلاَتُكُمْ إِلَى صَلاَتِهِمْ بِشَيْءٍ، ولاَ صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وهُوَعَلَيْهِمْ، لاَ تُجَاوِزُ صَلاَتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.

لَوَيَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ لاَتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ.

وآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ ولَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ عَلَيْه شَعَرَاتٌ بِيضٌ.

ولمّا رشقوا رسوله الذي أرسله إليهم بالمصحف نادى عليه السلام في الجند: شُدُّوا عَلَى الْقَوْمِ. إِحْمِلُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ، واللَّه، لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، ولاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ.

والَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَنْ يَبْلُغُوا الأَثِيلاَتِ والنُّخَيْلاَتِ، ولاَ قَصْرَ بُورى بِنْتِ كِسْرى، حَتَّى يَقْتُلَهُمُ الله - عز وجل - عَلى يَدَيَّ.

عَهْدٌ مَعْهُودٌ، وقَدَرٌ مَقْدُورٌ. وقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرى.

قال جندب بن زهير الحارث: لقد قتلت بكفي هذه ثمانية قبل أن أصلي الظهر، وما قُتل منا عشرة ولا نجا منهم عشرة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

كلام له عليه السلام (١٤٧)

لمّا قُتل الخوارج وقيل له: قد قطع اللّه دابرهم إلى آخر الدهر

فقال عليه السلام: كَلاَّ واللّهِ، إِنَّهُمْ نُطَفٌ في أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ.

لاَ تَخْرُجُ خَارِجَةٌ إِلاَّ خَرَجَتْ بَعْدَهَا مِثْلُهَا، حَتَّى تَخْرُجَ خَارِجَةٌ بَيْنَ الْفُرَاتِ ودِجْلَةَ، مَعَ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: الأَشْمَطُ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ. ولاَ تَخْرُجُ بَعْدَهَا خَارِجَةٌ أَبَداً إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ.

[وَ] يَكُونُ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ.

كلام له عليه السلام (١٤٨)

في نهي أصحابه عن قتال الخوارج من بعده

لاَ تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي.

فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ.

كلام له عليه السلام (١٤٩)

يوم النهروان لمّا مرّ بقتلى الخوارج

فقال عليه السلام: بُؤْساً لَكُمْ.

لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ.

فقيل له: مَن غرّهم يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، والأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالأَمَانِيِّ، وفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، ووَعَدَتْهُمُ الاِظْهَارَ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ.

كلام له عليه السلام (١٥٠)

بعد الجمل والنهروان

لمّا قال له رهط من شيعته، فيهم مالك الأشتر: إنّا قاتلنا أهل البصرة وأهل الكوفة ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد، وتعادوا، وضعفت النية، وقلّ العدد، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجّت طائفة ممن معك إذ عمّوا به، واغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقلّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يجتوي الحق ويستمرئ الباطل ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الرجال، وتصفُ ودّهم، وتستخلص نصيحتهم و... فقال عليه السلام مخاطباً الأشتر: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَمَلَنَا وسيرَتَنَا بِالْعَدْلِ، فَإِنَّ الله - عز وجل - يَقُولُ-: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِه ومَنْ أَساءَ فَعَلَيْها وما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

وأَنَا مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقَصِّراً فِيمَا ذَكَرْتَ أَخْوَفُ.

وأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْحَقَّ ثَقُلَ عَلَيْهِمْ فَفَارَقُونَا لِذَلِكَ، فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا مِنْ جَوْرٍ، ولاَ لَجَؤُوا إِذْ فَارَقُونَا إِلى عَدْلٍ، ولَمْ يَلْتَمِسُوا إِلاَّ دُنْيَا زَائِلَةً عَنْهُمْ كَأَنْ قَدْ فَارَقُوهَا، ولَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلدُّنْيَا أَرَادُوا، أَمْ لِلَّهِ عَمِلُوا.

وأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ بَذْلِ الأَمْوَالِ، واصْطِنَاعِ الرِّجَالِ، فَإِنَّهُ لاَ يَسَعُنَا أَنْ نُؤْتِيَ امْرَأً مِنَ الْفَيْءِ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ.

وقَدْ قَالَ الله - سبحانه - وقَوْلُهُ الْحَقُّ-: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وقَدْ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ، وَحْدَهُ، فَكَثَّرَهُ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وأَعَزَّ فِئَتَهُ بَعْدَ الذِّلَّةِ، وإِنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُوَلِّيَنَا هذَا الأَمْرَ يُذَلِّلْ لَنَا صَعْبَهُ، ويُسَهِّلْ لَنَا حَزْنَهُ.

وأَنَا قَابِلٌ مِنْ رَأْيِكَ مَا كَانَ للَّهِ- عز وجل - رِضىً، وأَنْتَ مِنْ آمَنِ أَصْحَابِي عِنْدِي، وأَنْصَحِهِمْ لِي، وأَوْثَقِهِمْ فِي نَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثم خاطب عليه السلام الآخرين فقال: وَيْحَكُمْ أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ.

واللَّهِ، لاَ أَطُورُ بِهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ، ومَا سَمَرَ بِنَا سَمِيرٌ، ومَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً.

واللَّهِ لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ.

ثم قال عليه السلام: واللَّهِ مَا دُنْيَاكُمْ عِنْدِي إِلاَّ كَسَفْرٍ عَلَى مَنْهَلٍ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا، ولاَ لَذَاذَتُهَا فِي عَيْنِي إِلاَّ كَحَمِيمٍ أَشْرَبُهُ غَسَّاقاً، أَوْعَلْقَمٍ أَتَجَرَّعُهُ زُعَاقاً، أَوسُمٍّ أَفْعَاةٍ أُسْقَاهُ دِهَاقاً، أَوقِلاَدَةٍ مِنْ نَارٍ أُوهَقُهَا خِنَاقاً.

واللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا.

ولَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ، لاَ يَرْتَضِيهَا لِيَرْقَعَهَا.

فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى، ويَنْجَلِي عَنَّا عَلاَلاَتُ الْكَرَى.

واللَّهِ، لَوشِئْتُ، لَتَسَرْبَلْتُ بِالْعَبْقَرِيِّ الْمَنْقُوشِ مِنْ دِيبَاجِكُمْ، ولأَكَلْتُ لُبَابَ هذَا الْبُرِّ بِصُدُورِ دَجَاجِكُمْ، وشَرِبْتُ الْمَاءَ الزُّلاَلَ بِرَقِيقِ زُجَاجِكُمْ، ولكِنِّي أُصَدِّقُ اللهَ - جَلَّتْ عَظَمَتُهُ - حَيْثُ يَقُولُ-: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾.

فَكَيْفَ أَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَلى نَارٍ لَوقُذِفَ بِشَرَارَةٍ مِنْ شَرَرِهَا إِلَى الأَرْضِ لأَحْرَقَتْ نَبْتَهَا، ولَواعْتَصَمَتْ نَفْسٌ بِقُلَّةٍ لأَنْضَجَهَا وَهْجُ النَّارِ في قُلَّتِهَا.

وأَيُّمَا خَيْرٌ لِعَلِيٍّ، أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مُقَرَّباً، أَويَكُونَ في لَظى خَسِيئاً مُبْعَداً، مَسْخُوطاً عَلَيْهِ بِجُرْمِهِ مُكَذِّباً.

واللَّهِ لأَنْ أَبِيتَ عَلى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوأُجَرَّ في الأَغْلاَلِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى الله - تعالى - ورَسُولَهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ.

وكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلى قُفُولُهَا، ويَطُولُ في الثَّرى حُلُولُهَا، وإِنْ عَاشَتْ رُوَيْداً فَبِدِي الْعَرْشِ نُزُولُهَا.

مَعَاشِرَ شِيعَتِي، احْذَرُوا فَقَدْ عَضَّتْكُمُ الدُّنْيَا بِأَنْيَابِهَا، تَخْتَطِفُ مِنْكُمْ نَفْساً بَعْدَ نَفْسٍ كَذِئَابِهَا، وهذه مَطَايَا الرَّحِيلِ قَدْ أُنِيخَتْ لِرُكَّابِهَا.

أَلاَ إِنَّ الْحَدِيثَ ذُوشُجُون.

فَلاَ يَقُولَنَّ قَائِلُكُمْ: إِنَّ كَلاَمَ عَلِيٍّ مُتَنَاقِضٌ. لأَنَّ الْكَلاَمَ عَارِضٌ.

ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُطَّانِ الْمَدَائِنِ تَبِعَ بَعْدَ الْحَنِيفِيَّةِ عُلُوجَهُ، ولَبِسَ مِنْ نَالَةِ دِهْقَانِهِ مَنْسُوجَهُ، وتَضَمَّخَ بِمِسْكِ هذه النَّوَافِجِ صَبَاحَهُ، وتَبَخَّرَ بِعُودِ الْهِنْدِ رَوَاحَهُ، وحَوْلَهُ رَيْحَانُ حَدِيقَةٍ يَشُمُّ تُفَّاحَهُ، وقَدْ مُدَّ لَهُ مَفْرُوشَاتُ الرُّومِ عَلى سُرُرِهِ.

تَعْساً لَهُ بَعْدَ مَا نَاهَزَ السَّبْعِينَ مِنْ عُمُرِهِ. وحَوْلَهُ شَيْخٌ يَدُبُّ عَلى أَرْضِهِ مِنْ هَرَمِهِ، وذَا يُتْمَةٍ تَضَوَّرَ مِنْ ضُرِّهِ ومِنْ قَرْمِهِ، فَمَا وَاسَاهُمْ بِفَاضِلاَتِ مِنْ عَلْقَمِهِ.

لَئِنْ أَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ لأَخْضِمَنَّهُ خَضْمَ الْبُرِّ، ولأُقِيمَنَّ عَلَيْهِ حَدَّ الْمُرْتَدِّ، ولأَضْرِبَنَّهُ الثَّمَانِينَ بَعْدَ حَدٍّ، ولأَسُدَّنَّ مِنْ جَهْلِهِ كُلَّ مَسَدٍّ.

تَعْساً لَهُ.

أَفَلاَ شَعَّرَ، أَفَلاَ صَوَّفَ، أَفَلاَ وَبَّرَ.

أَفَلاَ رَغِيفٌ قِفَارٌ لِلَيْلِ إِفْطَارٍ مُقَدَّمٍ.

أَفَلاَ عَبْرَةٌ عَلَى خَدٍّ فِي ظُلْمَةِ لَيْلٍ تَنْحَدِرُ.

وَلَو كَانَ مُؤْمِناً لاَتَّسَعَتْ لَهُ الْحُجَّةُ إِذَا ضَيَّعَ مَا لاَ يَمْلِكُ.

واللَّه لَقَدْ رَأَيْتُ أَخِي عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وعَاوَدَنِي فِي عَشْرِ وُسُقٍ مِنْ شَعِيرِكُمْ يُطْعِمُهُ جِيَاعَهُ، وكَادَ يَطْوِي ثَالِثَ أَيَّامِه خَامِصاً مَا اسْتَطَاعَهُ.

ورَأَيْتُ صِبْيَانَهُ غَرْثَى، شُعْثَ الشُّعُورِ مِنْ ضُرِّهِمْ، غُبْرَ الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ.

وعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَغَرَّهُ، وظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي.

فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِه لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسَمِهَا.

فَقُلْتُ لَهُ: ثَكَلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، يَا عَقِيلُ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِه، وتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَّرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِه.

أَ تَئِنُّ مِنَ الأَذَى ولاَ أَئِنُّ مِنْ لَظًى.

واللَّه لَوسَقَطَتِ الْمُكَافَاةُ عَنِ الأُمَمِ، وتُرِكَتْ فِي مَضَاجِعِهَا بَالِيَاتٌ فِي الرَّمَمِ، لاسْتَحْيَيْتُ مِنْ مَقْتِ رَقِيبٍ يَكْشِفُ فَاضِحَاتِ مِنَ الأَوْزَارِ تُنْسَخُ.

فَصَبْراً عَلَى دُنْيَا تَمُرُّ بِلاَوَائِهَا كَلَيْلَةِ بِأَحْلاَمِهَا تَنْسَلِخُ.

كَمْ بَيْنَ نَفْسٍ فِي خِيَامِهَا نَاعِمَةٌ وبَيْنَ أَثِيمٍ فِي جَحِيمٍ يَصْطَرِخُ.

فَلاَ تَعْجَبْ مِنْ هذَا.

وأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ زَمَّلَهَا فِي وِعَائِهَا، ومَعْجُونَةٍ شَنَئْتُهَا بَسَطَهَا فِي إِنَائِهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْئِهَا.

فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ، فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ كُلُّهُ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وعُوِّضْنَا مِنْهُ

خُمْسَ ذي الْقُرْبى في الْكتَاب والسُّنَّة.

فَقَالَ: لاَ ذَا ولاَ ذَاكَ، ولكنَّهَا هَديَّةٌ.

فَقُلْتُ: هَبلَتْكَ الْهَبُولُ، أعَنْ دين اللَّه أتَيْتَني لتَخْدَعَني بمَعْجُونَة عَرَّقْتُمُوهَا بقَنْدكُمْ، وخَبيصَة صَفْرَاءَ أتَيْتَني بهَا بعَصير تَمْركُمْ.

أمُخْتَبطٌ أنْتَ، أمْ ذُوجنَّة، أمْ تَهْجُرُ.

أليْسَت النُّفُوسُ عَنْ مثْقَال حَبَّة منْ خَرْدَل مَسْؤُولَةٌ.

فَمَاذَا أقُولُ في مَعْجُونَة أتَرَقَّمُهَا مَعْمُولَةٌ.

واللَّه لَوأُعْطيتُ الأقَاليمَ السَّبْعَةَ بمَا تَحْتَ أفْلاكهَا، واسْتُرقَّ لي قُطَّانُهَا، مُذْعنَةً بأمْلاكهَا، عَلى أنْ أعْصيَ اللَّهَ في نَمْلَة أسْلُبُهَا جلْبَ شَعيرَة فَألُوكُهَا، مَا فَعَلْتُ ولاَ أرَدْتُ.

واللَّه إنَّ دُنْيَاكُمْ هذه عنْدي لأهْوَنُ منْ وَرَقَة في فَم جَرَادَة تَقْضَمُهَا، وأقْذَرُ عنْدي منْ عرَاق خنْزير يَقْذفُ بهَا أجْذَمُهَا، وأمَرُّ عَلى فُؤَادي منْ حَنْظَلَة يَلُوكُهَا ذُوسَقَم فَيَبْشمُهَا، فَكَيْفَ أقْبلُ مَلْفُوفَةً عَكَمْتَهَا في طَيِّهَا، ومَعْجُونَة كَأنَّهَا عُجنَتْ بريق حَيَّة أوقَيْئهَا.

اللَّهُمَّ إنِّي نَفَرْتُ عَنْهَا نَفَارَ الْمُهْرَة منْ كَيِّهَا.

مَا لعَليٍّ ونَعيم يَفْنى، ولَذَّة لاَ تَبْقى.

فَدَعُوني أكْتَفي منْ دُنْيَاكُمْ بملْحي وأقْرَاصي، فَبتَقْوَى اللَّه أرْجُو خَلاَصي.

سَألْقى وشيعَتي رَبَّنَا بعُيُون سَاهرَة، وبُطُون خمَاص، ليُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا ويَمْحَقَ الْكافرينَ.

نَعُوذُ باللَّه منْ سُبَات الْعَقْل، وقُبْح الزَّلَل، وسَيِّئَات الْعَمَل، وبه نَسْتَعينُ.

وصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّد وآله الطَّاهرينَ.

ثم أرمَّ عليه السلام طويلًا ساكتاً، ثم رفع رأسه وقال: إنَّ الله - سبحانه - فَرَضَ في أمْوَال الأغْنيَاء أقْوَاتَ الْفُقَرَاء، فَمَا جَاعَ فَقيرٌ إلاَّ بمَا مُتِّعَ به غَنيٌّ، والله - تَعَالى جَدُّهُ-

يُسَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

أَلاَ ومَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَهُ مَالٌ فَإِيَّاهُ والْفَسَادَ، فَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وإِسْرَافٌ وفَسَادٌ.

وهُووإِنْ كَانَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا فَهُ ويَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ، ويُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ ويُهِينُهُ عِنْدَ الله - عز وجل -.

ولَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، ولاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، إِلاَّ حَرَمَهُ الله - تعالى - شُكْرَهُمْ، وكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ.

فَإِنْ بَقِيَ مَعَهُ مَنْ يُرِيدُ الْوُدَّ، ويُظْهِرُ لَهُ الشُّكْرَ، فَإِنَّمَا هُومَلَقٌ وكَذِبٌ يُرِيدُ التَّقَرُّبَ بِهِ إِلَيْهِ.

ولَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنَ الْحَظِّ فِيمَا أَتى، إِلاَّ مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ، وثَنَاءُ الأَشْرَارِ، ومَقَالَةُ الْجُهَّالِ، مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ مَا أَجْوَدَ يَدَهُ، وهُوعَنْ ذَاتِ اللَّهِ بَخِيلٌ.

فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً، فَاحْتَاجَ إِلى مَعُونَتِهِمْ أَومُكَافَأَتِهِ، فَشَرُّ خَلِيلٍ، وأَلأَمُ خَدِينٍ.

فَأَيُّ حَظٍّ أَبْوَرَ وأَخْسَرُ مِنْ هذَا الْحَظِّ.

وأَيُّ فَائِدٍ مَعْرُوفٍ أَضْيَعُ وأَقَلُّ عَائِدَةً مِنْ هذَا الْمَعْرُوفِ.

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الأَسِيرَ والْعَانِي، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَلْيُعِنْ بِهِ الْغَارِمَ وابْنَ السَّبِيلِ، والْمُهَاجِرِينَ والْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ والنَّوَائِبِ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ. فَإِنَّ فَوْزاً بِهذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، ودَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

كلام له عليه السلام (١٥١)

وقد بلغه نعي مالك الأشتر رحمه الله

فقال عليه السلام: لِلّه دَرُّ مَالِكٍ.

ومَا مَالكٌ.

واللّه لَو كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْداً، ولَو كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً، لاَ يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، ولاَ يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ.

أَمَا واللّه لَيَهُدَّنَّ مَوْتُكَ عَالَماً، ولَيُفَرِّحَنَّ عَالَماً.

فَهَلْ مَرْجُو كَمَالك.

وهَلْ قَامَتِ النِّسَاءُ عَنْ مِثْلِ مَالِكٍ.

فَعَلى مِثْله فَلْتَبْكِ الْبَوَاكي.

ثم قال عليه السلام: إِنَّا لِلّه وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، والْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْتَسِبُهُ عِنْدَكَ، فَإِنَّ مَوْتَهُ مِنْ مَصَائِبِ الدَّهْرِ.

فَرَحِمَ اللّهُ مَالِكاً، فَقَدْ وَفى بِعَهْدِه، وقَضى نَحْبَهُ، ولَقِى رَبَّهُ.

مَعَ أَنَّا قَدْ وَطَّنَّا أَنْفُسَنَا أَنْ نَصْبِرَ عَلى كُلِّ مُصِيبَةٍ بَعْدَ مُصَابِنَا بِرَسُولِ اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمُصِيبَاتِ.

كلام له عليه السلام (١٥٢)

لمّا خرج بُسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز

فجمع عليه السلام الناس، وحضّهم على الجهاد. فسكتوا ملياً. فقال: مَا بَالُكُمْ،أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ لاَ تَتَكَلَّمُونَ.

فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين، إِن سرتَ سِرنا معك.

فقال عليه السلام: اللَّهُمَّ مَا لَكُمْ لاَ سَدَّدْتُمْ لِرُشْدٍ، ولاَ هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ،أفي مِثْلِ هذَا يَنْبَغي لي أنْ أخْرُجَ.

إنَّمَا يَخْرُجُ في مِثْلِ هذَا رَجُلٌ ممَّنْ أرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وذَوي بَأْسِكُمْ.

ولاَ يَنْبَغي لي أنْ أدَعَ الْجُنْدَ، والْمِصْرَ، وبَيْتَ الْمَالِ، وجِبَايَةَ الأَرْضِ، والْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ، والنَّظَرَ في حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أخْرُجَ في كَتِيبَةٍ أتَّبِعُ أُخْرى فِي الْفَلَوَاتِ وشُعُفِ الْجِبَالِ، أتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ.

وإنَّمَا أنَا قُطْبُ الرَّحى تَدُورُ عَلَيَّ وأنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، واضْطَرَبَ ثِفَالُهَا.

هذَا، لَعَمْرُ اللَّه، الرَّأْيُ السُّوءُ.

واللَّه لَولاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ، لَوقَدْ حُمَّ لي لِقَاؤُهُ، لَقَرَّبْتُ رِكَابِي، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ، فَلاَ أطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وشِمَالٌ.

طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ.

فَواللَّه، إنَّ فِرَاقَكُمْ لَرَاحَةٌ لِلنَّفْسِ والْبَدَنِ، إنَّهُ لاَ غَنَاءَ في كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ.

لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتي لاَ يَهْلِكُ عَلَيْهَا إلاَّ هَالِكٌ، [فَ]مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، ومَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ.

مَا بَالُ مَنْ خَالَفَكُمْ أشَدُّ بَصِيرَةً في ضَلاَلَتِهِمْ، وأبْذَلُ لِمَا في أيْدِيهِمْ مِنْكُمْ.

مَا ذَاكَ إلاَّ أنَّكُمْ رَكَنْتُمْ إلَى الدُّنْيَا فَرَضِيتُمْ بِالضَّيْمِ، وشَحَحْتُمْ عَلَى الْحُطَامِ، وفَرَّطْتُمْ فيمَا فيهِ عِزُّكُمْ وسَعَادَتُكُمْ، وقُوَّتُكُمْ عَلَى مَنْ بَغى عَلَيْكُمْ.

لاَ مِنْ رَبِّكُمْ تَسْتَحْيُونَ، ولاَ لأَنْفُسِكُمْ تَنْظُرُونَ، وأنْتُمْ في كُلِّ يَوْمٍ تُضَامُونَ، ولاَ تَنْتَبِهُونَ مِنْ رَقْدَتِكُمْ، ولاَ يَنْقَضي فُتُورُكُمْ.

أمَا تَرَوْنَ إلى دِينِكُمْ كُلَّ يَوْمٍ يَبْلى، وأنْتُمْ في غَفْلَةِ الدُّنْيَا.

يَقُولُ الله - عز وجل - لَكُمْ: ﴿ولا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾.

ثم دعا عليه السلام على بسر فقال: اللَّهُمَّ إِنَّ بُسْراً بَاعَ دِينَهُ بِالدُّنْيَا، وانْتَهَكَ مَحَارِمَكَ، وكَانَتْ طَاعَةُ مَخْلُوقٍ فَاجِرٍ آثَرَ عِنْدَهُ مِمَّا عِنْدَكَ.

اللَّهُمَّ فَلاَ تُمِتْهُ حَتَّى تَسْلُبَهُ عَقْلَهُ، ولاَ تُوجِبْ لَهُ رَحْمَتَكَ ولاَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

اللَّهُمَّ الْعَنْ بُسْراً، وعَمْراً، ومُعَاوِيَةَ، ولْيَحِلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُكَ، ولْتَنْزِلْ بِهِمْ نِقْمَتُكَ، ولْيُصِبْهُمْ بَأْسُكَ ورِجْزُكَ الَّذي لاَ تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

كلام له عليه السلام (١٥٣)

لمّا بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار

فخرج عليه السلام بنفسه ماشياً حتى أتى النُخيلة، فأدركه الناس، وقالوا: إرجع يا أمير المؤمنين، نحن نكفيكهم.

فقال عليه السلام: مَا تَكْفُونَني أَنْفُسَكُمْ، فَكَيْفَ تَكْفُونَني غَيْرَكُمْ.

إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا، فَإِنَّني الْيَوْمَ أَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتي.

فَكَأَنَّني الْمَقُودُ وهُمُ الْقَادَةُ، أَوالْمَوْزُوعُ وهُمُ الْوَزَعَةُ.

فلمّا قال عليه السلام هذا الكلام تقدم إليه رجل من أصحابه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا أنا وأخي أقول كما قال موسى عليه السلام: إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وأَخِي، فمُرْنا بأمرك يا أمير المؤمنين نَنْقَدْ له، وإن حال دون ما تريده جمر الغضا وشوك القتاد.

فقال عليه السلام: وأَيْنَ تَقَعَانِ، رَحِمَكُمَا اللَّهُ، مِمَّا أُرِيدُ.

كلام له عليه السلام (١٥٤)

لولده الحسن عَلَيه السَّلام في سُحرة اليوم الذي ضُرب فيه

مَلَكَتْني عَيْني وأنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ لي حَبيبي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا ذَا لَقيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الأَوَدِ واللَّدَدِ.

فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ.

فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِيَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً لي مِنْهُمْ، وأَبْدَلَهُمْ بي شَرّاً لَهُمْ مِنّي.

الباب الأول

فصل الوصايا

(الشفهية)

وصية له عليه السلام (١)

لابنه محمد بن الحنفية رحمة الله عليه

يَا بُنَيَّ، لاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ، بَلْ لاَ تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ فَإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - قَدْ فَرَضَ عَلى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ويَسْأَلُكَ عَنْهَا، وذَكَّرَهَا، ووَعَظَهَا، وحَذَّرَهَا، وأَدَّبَهَا، ولَمْ يَتْرُكْهَا سُدى، فَقَالَ الله - عز وجل -: ﴿ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾.

وقَالَ - عز وجل - : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وهُوعِنْدَ اللَّه عَظِيمٌ﴾.

ثُمَّ اسْتَعْبَدَهَا بِطَاعَتِه فَقَالَ - عز وجل -: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا رَبَّكُمْ وافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

فَهذه فَرِيضَةٌ جَامِعَةٌ وَاجِبَةٌ عَلَى الْجَوَارِحِ.

وقَالَ الله - عز وجل -: ﴿وأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾. يَعْنِي بِالْمَسَاجِدِ: الْوَجْهَ والْيَدَيْنِ والرُّكْبَتَيْنِ والإِبْهَامَيْنِ.

وقَالَ - عز وجل - : ﴿وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبْصارُكُمْ ولا جُلُودُكُمْ﴾. يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ.

ثُمَّ خَصَّ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِكَ بِفَرْضٍ، ونَصَّ عَلَيْهَا.

فَفَرَضَ عَلَى السَّمْعِ أَنْ لاَ تُصْغِيَ بِه إِلَى الْمَعَاصِي فَقَالَ - عز وجل - : ﴿وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها ويُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ﴾.

وقَالَ - عز وجل - : ﴿وإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

ثُمَّ اسْتَثْنى - عز وجل - مَوْضِعَ النِّسْيَانِ فَقَالَ-: ﴿وإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالمينَ﴾.

وقَالَ- عز وجل-: ﴿فَبَشِّرْ عباد الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئكَ الَّذينَ هَداهُمُ اللَّهُ وأُولئكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبابِ﴾.

وقَالَ- عز وجل-: ﴿وإِذا مَرُّوا باللَّغْومَرُّوا كراماً﴾.

وقَالَ- عز وجل-: ﴿وإِذا سَمِعُوا اللَّغْوأَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.

فَهذَا مَا فَرَضَ الله - عز وجل - عَلَى السَّمْعِ، وهُوعَمَلُهُ.

وفَرَضَ عَلَى الْبَصَرِ أَنْ لاَ يَنْظُرَ إِلى مَا حَرَّمَ الله - عز وجل - عَلَيْهِ، فَقَالَ- عز مِنْ قَائِلٍ-: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.

فَحَرَّمَ أَنْ يَنْظُرَ أَحَدٌ إِلى فَرْجِ غَيْرِهِ.

وفَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ الاقْرَارَ والتَّعْبِيرَ عَنِ الْقَلْبِ بِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ، فَقَالَ- عز وجل-: ﴿قُولُوا آمَنَّا باللَّه وما أُنْزِلَ إِلَيْنا﴾.

وقَالَ- عز وجل-: ﴿وقُولُوا للنَّاسِ حُسْناً﴾.

وفَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ، وهُوأَمِيرُ الْجَوَارِحِ، الَّذي بِهِ تَعْقِلُ وتَفْهَمُ، وتَصْدُرُ عَنْ أَمْرِهِ ونَهْيِهِ، فَقَالَ- عز وجل-: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ﴾.

وقَالَ- تَعَالى- حِينَ أَخْبَرَ عَنْ قَوْمٍ أَعْطَوُا الإِيمَانَ بِأَفْوَاهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ-: ﴿الَّذينَ قالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

وقَالَ- عز وجل-: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

وقَالَ- عز وجل-: ﴿إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوتُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ﴾.

وفَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ أَنْ لاَ تَمُدَّهُمَا إِلى مَا حَرَّمَ الله - عز وجل - عَلَيْكَ، وأَنْ تَسْتَعْمِلَهُمَا بِطَاعَتِهِ، فَقَالَ- عز وجل-: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

وقَالَ- عز وجل-: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ﴾.

وقَالَ- عز وجل-: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ واضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

وفَرَضَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ أَنْ تَنْقُلَهُمَا في طَاعَته، وأَنْ لاَ تَمْشِيَ بِهِمَا مَشْيَةَ عَاصٍ، فَقَالَ- عز وجل-: ﴿ولا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ ولَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾.

وقَالَ- عز وجل-: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْوَاهِهِمْ وتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

فَأَخْبَرَ عَنْهَا أَنَّهَا تَشْهَدُ عَلى صَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَة.

فَهذَا مَا فَرَضَ الله - تَبَارَكَ وتَعَالى- عَلى جَوَارِحِكَ.

فَاتَّقِ اللَّهَ، يَا بُنَيَّ، واسْتَعْمِلْهَا بِطَاعَته ورِضْوَانه، واحْذَرْ أَنْ يَرَاكَ الله - تَعَالى ذِكْرُهُ عِنْدَ مَعْصِيَته فَيَمْقُتُكَ، ويَفْقِدَكَ فَلاَ يَجِدُكَ عِنْدَ طَاعَته فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

يَا بُنَيَّ، إِذَا قَوِيتَ فَاقْوَعَلى طَاعَة الله - عز وجل -، وإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَة الله - سبحانه -.

وعَلَيْكَ بِقِرَاءَة الْقُرْآن، والْعَمَلِ بِمَا فيه، ولُزُومِ فَرَائِضه وشَرَائِعه، وحَلاَلِه وحَرَامِه، وأَمْرِه ونَهْيِه، والتَّهَجُّد به، وتِلاَوَته في لَيْلِكَ ونَهَارِكَ، فَإِنَّهُ عَهْدٌ مِنَ الله - تَبَارَكَ وتَعَالى- إِلى خَلْقِه، وواجِبٌ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَنْظُرَ كُلَّ يَوْمٍ في عَهْدِه ولَوْ خَمْسِينَ آيَةً.

واعْلَمْ أَنَّ دَرَجَاتِ الْجَنَّة عَلى عَدَدِ آيَاتِ الْقُرْآن، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَة يُقَالُ لِقَارِئِ الْقُرْآن: اقْرَأْ وارْقَ، فَلاَ يَكُونُ في الْجَنَّة بَعْدَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ أَرْفَعَ مِنْهُ دَرَجَةً.

يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنَ الْفَقْرِ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّه مِنْهُ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْت.

لاَ يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وإِنْ طَالَ الزَّمَانُ.

[وَ] الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلى مَا تَكْرَهُ، وصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ.

وأَحْسَنُ مِنْهُ الصَّبْرُ عَمَّا حَرَّمَ الله - عز وجل - عَلَيْكَ.

الْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ.

أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ.

لَيْسَ بَلَدٌ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ بَلَد، خَيْرُ الْبِلاَد مَا حَمَلَكَ.

مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ.

مَنْ شَكَى الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهَا إِلَى الله - سبحانه -، ومَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَى الله - سبحانه -.

الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا، ولَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا.

إِنَّ لِلَّه - سبحانه - مَلَكاً يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ: يَا أَهْلَ الدُّنْيَا، لِدُوا لِلْمَوْتِ، واجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وابْنُوا لِلْخَرَابِ، واجْمَعُوا لِلذَّهَابِ.

إِنَّ الدَّهْرَ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ، ويُجَدِّدُ الآمَالَ، ويُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ، ويُبَاعِدُ الأُمْنِيَةَ، مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ، ومَنْ فَاتَهُ تَعِبَ، كُلَّمَا اطْمَأَنَّ صَاحِبُهَا مِنْهَا إِلَى سُرُور، أَشْخَصَتْهُ إِلَى مَحْذُور.

إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا، ولاَ تَغْفَلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ.

نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِه.

شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وتَبْقَى مَثُوبَتُهُ.

أَفْضَلُ الأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.

الْحِلْمُ والأَنَاةُ تَوْأَمَانِ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّةِ.

أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَّا، وأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَّا.

لاَ تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ، ولاَ بَلاَغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ.

مَنْهُومَانِ لاَ يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وطَالِبُ دُنْيَا.

فَمَنِ اقْتَصَرَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ سَلِمَ، ومَنْ تَنَاوَلَهَا مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا هَلَكَ، إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ ويُرَاجِعَ.

ومَنْ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِه وعَمِلَ بِهِ نَجَا، ومَنْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا هَلَكَ، وهُوَ حَظُّهُ.

والْعُلَمَاءُ عَالِمَانِ: عَالِمٌ عَمِلَ بِعِلْمِه فَهُوَ نَاجٍ.

وعَالِمٌ تَارِكٌ لِعِلْمِه فَهُوَ هَالِكٌ.

إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَتَأَذَّوْنَ مِنْ نَتْنِ رِيحِ الْعَالِمِ التَّارِكِ لِعِلْمِه.

وإنَّ أشدَّ النَّاسِ نَدامَةً وحَسْرَةً رَجُلٌ دَعَا عَبْداً إلَى الله - سبحانه - فَاسْتَجَابَ لَهُ فَأَطَاعَ اللَّهَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وعَصَى اللَّهَ الدَّاعي فَأُدْخِلَ النَّارَ بِتَرْكِهِ عِلْمَهُ، واتِّبَاعِهِ هَوَاهُ، وعِصْيَانِهِ اللَّهَ.

الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ، ومَسْمُوعٌ.

ولاَ يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ.

ومَنْ عَرَفَ الْحِكْمَةَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الازْدِيَادِ مِنْهَا.

النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.

الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ ولَوْمِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ.

لاَ تَرَى الْجَاهِلَ أَبَداً إلاَّ مُفْرِطاً أَومُفَرِّطاً، يُسِيءُ عَمْداً، ويُحْسِنُ غَلَطاً.

خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ ومِمَّنْ أَتَاكَ بِهَا، وانْظُرْ إلَى مَا قَالَ ولاَ تَنْظُرْ إلَى مَنْ قَالَ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ في صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ في صَدْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إلَى صَوَاحِبِهَا في صَدْرِ الْمُؤْمِنِ.

قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.

مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الاجَابَةَ.

ومَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ.

ومَنْ أُعْطِيَ الاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ.

ومَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ.

وتَصْدِيقُ ذَلِكَ في كِتَابِ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - قَالَ الله - عز وجل - في الدُّعَاءِ: وقَالَ رَبُّكُمُ.

وقَالَ - تَعَالى - في الاسْتِغْفَارِ -: ﴿ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَويَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

وقَالَ - تَعَالى - في الشُّكْرِ -: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

وقَالَ - تَعَالى - في التَّوْبَةِ -: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً، وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾.

النَّاسُ في الدُّنْيَا عَامِلاَنِ: عَامِلٌ عَمِلَ في الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ، يَخْشَى

عَلى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ، ويَأمَنُهُ عَلى نَفْسه، فَيُفْني عُمُرَهُ في مَنْفَعَة غَيْره.

وعَامِلٌ عَمِلَ في الدُّنْيا لِمَا بَعْدَهَا، فَجَاءَهُ الَّذي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً، ومَلَكَ الدَّارَيْنِ جَميعاً، فَأَصْبَحَ وَجيهاً عِنْدَ اللَّه، لاَ يَسْأَلُ الله - تعالى - حَاجَةً فَيَمْنَعَهُ.

لاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ دُنْيَاهُمْ لإِصْلاَحِ آخِرَتِهِمْ إلاَّ عَوَّضَهُمُ الله - سبحانه - خَيْراً مِنْهُ، ولاَ يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دينِهِمْ لاسْتِصْلاَحِ دُنْيَاهُمْ إلاَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ.

مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْليمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْليمِ غَيْرِهِ.

ولْيَكُنْ تَأْديبُهُ بِسيرَتِهِ قَبْلَ تَأْديبِهِ بِلِسَانِهِ.

ومُعَلِّمُ نَفْسِهِ ومُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالاجْلاَلِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ ومُؤَدِّبِهِمْ.

عَجِبْتُ لِلشَّقِيِّ الْبَخيلِ، يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذي مِنْهُ هَرَبَ، ويَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعيشُ في الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، ويُحَاسَبُ في الآخِرَةِ حِسَابَ الأَغْنِيَاءِ.

وعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الْفَخُورِ الَّذي كَانَ بِالأَمْسِ نُطْفَةً، ويَكُونُ غَداً جِيفَةً.

وعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ في اللَّه وهُوَ يَرى عَجَائِبَ خَلْقِ اللَّه.

وعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وهُوَ يَرى مَنْ يَمُوتُ.

وعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرى وهُوَ يَرَى النَّشْأَةَ الأُولى.

وعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ، وتَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ.

وعَجِبْتُ لِمَنْ يَرى أَنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ في نَفْسِهِ وعُمُرِهِ وهُوَ لاَ يَتَأَهَّبُ لِلْمَوْتِ.

وعَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمي مِنَ الطَّعَامِ لأَذِيَّتِهِ كَيْفَ لاَ يَحْتَمي مِنَ الذَّنْبِ لِعُقُوبَتِهِ.

[وَ] عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ ومَعَهُ كَلِمَةُ النَّجَاةِ وهُوَ الاسْتِغْفَارُ.

وعَجِبْتُ لِمَنْ عَلِمَ شِدَّةَ انْتِقَامِ اللَّه وهُوَ مُقيمٌ عَلَى الاصْرَارِ.

الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْ سُوءِ تَقَلُّبِهَا جَهْلٌ.

والتَّقْصيرُ في حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ.

والطُّمَأْنِينَةُ إِلى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الاخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ.

إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلاَحُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِهِ، ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ حَوْبَةٌ، فَقَدْ ظَلَمَ، واعْتَدى. وإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِهِ، فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ.

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلاَ تُبَلْ كَيْفَ كُنْتَ.

يَا بُنَيَّ، أُوصِيكَ بِتَوْقِيرِ أَخَوَيْكَ لِعَظِيمِ حَقِّهِمَا عَلَيْكَ، فَلاَ تُوثِقْ أَمْراً دُونَهُمَا.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلْهِمَكَ الشُّكْرَ وَالرُّشْدَ، وَيُقَوِّيَكَ عَلَى الْعَمَلِ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَيَصْرِفَ عَنْكَ كُلَّ مَحْذُورٍ بِرَحْمَتِهِ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وصية له عليه السلام (٢)

لأصحابه علّمهم فيها آداب الدين والدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا بَاطِلَ الأَمَلِ، فَرُبَّ مُسْتَقْبِلِ يَوْمَاً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ، قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ.

تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا التَّقْوَى فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَزَوَّدْتُمُوهُ مِنْهَا.

إِتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَالْحَاكِمُ.

وَارْغَبُوا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَاطْلُبُوا مَرْضَاتِهِ وَطَاعَتَهُ، وَاصْبِرُوا عَلَيْهِمَا، فَمَا أَقْبَحَ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَهُوَمَهْتُوكُ السِّتْرِ.

لاَ تُعْيُونَا فِي طَلَبِ الشَّفَاعَةِ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ مَا قَدَّمْتُمْ، وَلاَ تَفْضَحُوا أَنْفُسَكُمْ عِنْدَ عَدُوِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ تُكَذِّبُوا أَنْفُسَكُمْ عِنْدَهُمْ فِي مَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِالْحَقِيرِ مِنَ الدُّنْيَا.

تَمَسَّكُوا بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ، فَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يُغْتَبَطَ وَيَرَى مَا يُحِبُّ إِلاَّ أَنْ يَحْضُرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَتَأْتِيَهُ الْبِشَارَةُ، وَاللَّهِ، فَتَقَرُّ عَيْنُهُ، وَيُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ.

أَذْكُرُوا عِنْدَ الْمَعَاصِي انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ، وَبَقَاءَ التَّبِعَاتِ.

لاَ تَدَعُوا ذِكْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلاَ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

إِذَا وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ إِلى أَحَدِكُمْ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ، وَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وبِرَسُولِهِ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ.

إِلْزَمُوا الصِّدْقَ فَإِنَّهُ مَنْجَاةٌ.

لاَ تَقيسُوا الدِّينَ فَإِنَّ مِنَ الدِّينِ مَا لاَ يُقَاسُ.

وسَيَأْتي قَوْمٌ يَقيسُونَ الدِّينَ وهُمْ أَعْدَاؤُهُ.

وأَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْليسُ.

إِنْتَظِرُوا الْفَرَجَ، ولاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، فَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى الله - عز وجل - انْتِظَارُ الْفَرَجِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ.

الصَّلاَةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ.

والْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيف.

وجِهَادُ الْمَرْأَة حُسْنُ التَّبَعُّلِ.

ولِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ.

وزَكَاةُ الْعَقْلِ احْتِمَالُ الْجُهَّال.

وزَكَاةُ الْيَسَارِ بِرُّ الْجيرَانِ وصِلَةُ الأَرْحَامِ.

وزَكَاةُ الصِّحَّة السَّعْيُ فِي طَاعَة اللَّه.

وزَكَاةُ الشَّجَاعَة الْجِهَادُ في سَبيلِ اللَّه.

وزَكَاةُ السُّلْطَانِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوف.

وزَكَاةُ النِّعَمِ اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوف.

الْفَقْرُ مَعَ الدَّيْنِ هُوالْمَوْتُ الأَحْمَرُ، والشَّقَاءُ الأَكْبَرُ.

وقِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ.

التَّقْديرُ نِصْفُ الْعَيْشِ، والتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ، والْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ.

مَا عَالَ امْرُؤٌ اقْتَصَدَ، ومَا عَطِبَ امْرُؤٌ اسْتَشَارَ.

الصَّدَقَةُ جُنَّةٌ عَظِيمَةٌ، وحِجَابٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ، ووِقَايَةٌ لِلْكَافِرِ مِنْ تَلَفِ الْمَالِ، تُعَجِّلُ لَهُ الْخَلَفَ، وتَدْفَعُ السُّقْمَ عَنْ بَدَنِهِ، ومَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ.

إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ.

إِسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ.

دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وسُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وثَقِّلُوا مَوَازِينَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاَءِ بِالدُّعَاءِ.

فَوالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَلْبَلاَءُ أَسْرَعُ إِلَى الْمُؤْمِنِ مِنَ السَّيْلِ مِنْ أَعْلَى التَّلْعَةِ إِلَى أَسْفَلِهَا، أَومِنْ رَكْضِ الْبَرَاذِينِ.

سَلُوا الْعَافِيَةَ مِنْ جُهْدِ الْبَلاَءِ، فَإِنَّ جُهْدَ الْبَلاَءِ ذَهَّابُ الدِّينِ.

أَكْثِرُوا الاسْتِغْفَارَ فَإِنَّهُ يَجْلُبُ الرِّزْقَ، وقَدِّمُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ تَجِدُوهُ غَداً.

تَوَقُّوا الذُّنُوبَ، فَمَا مِنْ بَلِيَّةٍ ولاَ نَقْصِ رِزْقٍ إِلاَّ بِذَنْبٍ، حَتَّى الْخَدْشَ والنَّكْبَةَ والْمُصِيبَةَ. فَإِنَّ الله - جَلَّ ذِكْرُهُ - يَقُولُ: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ويَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾.

تُوبُوا إِلَى الله - عز وجل - وادْخُلُوا فِي مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ الله - عز وجل - يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ويُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ.

والْمُؤْمِنُ مُنِيبٌ وتَوَّابٌ.

بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ لِمَنْ أَرَادَهَا، فَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ.

الدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضَاءَ الْمُبْرَمَ، فَاتَّخِذُوهُ عُدَّةً، واسْتَعْمِلُوهُ.

تَقَدَّمُوا فِي الدُّعَاءِ قَبْلَ نُزُولِ الْبَلاَءِ، فَإِنَّهُ تُفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فِي سِتَّةِ مَوَاقِفَ: عِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ.

وعِنْدَ الزَّحْف.

وعِنْدَ الأَذَان.

وعِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآن.

ومَعَ زَوَالِ الشَّمْسِ.

وعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ.

مَا الْمُبْتَلَى الَّذي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلاَءُ بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذي لاَ يَأْمَنُ الْبَلاَءَ.

مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلى رَبِّه حَاجَةٌ فَلْيَطْلُبْهَا في ثَلاَث سَاعَات: سَاعَة في يَوْمِ الْجُمُعَة.

وسَاعَة تَزُولُ الشَّمْسُ، حِينَ تَهُبُّ الرِّيحُ، وتُفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وتُنَزَّلُ الرَّحْمَةُ، ويُصَوِّتُ الطَّيْرُ.

وسَاعَةٍ في آخِرِ اللَّيْلِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَإِنَّ مَلَكَيْنِ يُنَادِيَانِ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَيُتَابُ عَلَيْهِ.

هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطى.

هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ.

هَلْ مِنْ طَالِبِ حَاجَةٍ فَتُقْضى لَهُ.

فَأَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّه.

تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّه عِنْدَ رُكْعَتَي الْفَجْرِ بَعْدَ فَرَاغِكُمْ مِنْهَا، فَفِيهَا تُعْطَى الرَّغَائِبُ.

واطْلُبُوا الرِّزْقَ فِيمَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلى طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَإِنَّهُ أَسْرَعُ لِطَلَبِ الرِّزْقِ مِنَ الضَّرْبِ فِي الأَرْضِ، وهِيَ السَّاعَةُ الَّتي يَقْسِمُ اللَّهُ فِيهَا الأَرْزَاقَ بَيْنَ عِبَادِه.

مَنْ قَرَأَ: قُلْ هُوَاللَّهُ أَحَدٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ عَشْرَ مَرَّات، ومِثْلَهَا: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ومِثْلَهَا آيَةَ الْكُرْسِيِّ، مَنَعَ مَالَهُ مِمَّا يَخَافُ عَلَيْهِ.

ومَنْ قَرَأَ: قُلْ هُوَاللَّهُ أَحَدٌ وَ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، لَمْ يُصِبْهُ

في ذَلِكَ الْيَوْمِ ذَنْبٌ وإنْ جَهِدَ إبْليسُ.

الْمُنْتَظِرُ وَقْتَ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ زُوَّارِ الله - عز وجل -، وحَقٌّ عَلَى الله - تعالى - أنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ، وأنْ يُعْطِيَهُ مَا سَأَلَ.

إذَا أرَادَ أحَدُكُمْ حَاجَةً فَلْيُبَكِّرْ في طَلَبِهَا يَوْمَ الْخَميسِ، فَإنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِهَا يَوْمَ الْخَميسِ.

ولْيَقْرَأْ إذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِه: إنَّ في خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ واخْتلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، إلى قَوْلِه: إنَّكَ لا تُخْلِفُ الْميعادَ، وآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وإنَّا أنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وأُمَّ الْكِتَابِ، فَإنَّ فيهَا قَضَاءُ حَوَائِجِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

السُّؤَالُ بَعْدَ الْمَدْحِ، فَامْدَحُوا الله - عز وجل - ثُمَّ سَلُوهُ الْحَوَائِجَ، وأثْنُوا عَلَيْهِ قَبْلَ طَلَبِهَا.

يَا صَاحِبَ الدُّعَاءِ، لاَ تَسْأَلْ مَا لاَ يَكُونُ ولاَ يَحِلُّ.

سارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، واعْلَمُوا أنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوهَا إلاَّ بالتَّقْوى.

مَنْ كَمُلَ عَقْلُهُ حَسُنَ عَمَلُهُ، ونَظَرَ إلى دِينِه.

مَنْ صَدِئَ بالإثْمِ عَشِيَ عَنْ ذِكْرِ الله - عز وجل -.

مَنْ تَرَكَ الأَخْذَ عَنْ أمْرِ اللَّه بطَاعَتِه قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ.

أخْبَثُ الأَعْمَالِ مَا وَرَّثَ الضَّلاَلَ، وخَيْرُ مَا اكْتُسِبَ أعْمَالُ الْبِرِّ.

أنْتُمْ عُمَّارُ الأَرْضِ الَّذينَ اسْتَخْلَفَكُمُ الله - عز وجل - فيهَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَرَاقِبُوهُ فيمَا يَرى مِنْكُمْ.

عَلَيْكُمْ بِالْمَحَجَّةِ الْعُظْمى فَاسْلُكُوهَا، لاَ تَسْتَبْدِلْ بِكُمْ غَيْرَكُمْ.

إنَّ الْحِجَامَةَ تُصِحُّ الْبَدَنَ، وتَشُدُّ الْعَقْلَ.

أخْذُ الشَّارِبِ مِنَ النَّظَافَةِ، وهُوَ مِنَ السُّنَّةِ.

والطِّيبُ فِي الشَّارِبِ مِنْ أَخْلاَقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وكَرَامَةٌ لِلْكَاتِبِينَ.

نِعْمَ الطِّيبُ الْمِسْكُ، خَفِيفٌ مَحْمِلُهُ، عَطِرٌ رِيحُهُ.

والدَّهْنُ بِالزَّيْتِ يُلِينُ الْبَشَرَةَ، ويَزِيدُ فِي الدِّمَاغِ والْعَقْلِ، ويُسَهِّلُ مَجَارِيَ الْمَاءِ، ويَذْهَبُ بِالْقَشَفِ، ويُصَفِّي اللَّوْنَ.

السِّوَاكُ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ، ومُطَيِّبَةٌ لِلْفَمِ، [وَ] يُذْهِبُ الْبَلْغَمَ، وهُومِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

وغَسْلُ الرَّأْسِ بِالْخَطْمِيِّ يَذْهَبُ بِالدَّرَنِ، ويَنْفِي الأَقْذَارَ.

والْمَضْمَضَةُ والاسْتِنْشَاقُ بِالْمَاءِ عِنْدَ الطُّهُورِ سُنَّةٌ، وطُهُورٌ لِلْفَمِ والأَنْفِ.

وَالسُّعُوطُ مَصَحَّةٌ لِلرَّأْسِ، وتَنْقِيَةٌ لِلْبَدَنِ وسَائِرِ أَوْجَاعِ الرَّأْسِ.

والنُّورَةُ نَشْرَةٌ لِلْبَدَنِ، وطُهُورٌ لِلْجَسَمِ.

[وَ] الْحِنَّاءُ بَعْدَ النُّورَةِ أَمَانٌ مِنَ الْجُذَامِ والْبَرَصِ.

الْحُقْنَةُ مِنَ الأَرْبَعَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحُقْنَةُ، وهِيَ تُعَظِّمُ الْبَطْنَ، وتُنَقِّي دَاءَ الْجَوْفِ، وتُقَوِّي الْبَدَنَ.

إِسْتِجَادَةُ الْحِذَاءِ وِقَايَةٌ لِلْبَدَنِ، وعَوْنٌ عَلَى الطُّهُورِ والصَّلاَةِ.

وتَقْلِيمُ الأَظَافِرِ يَمْنَعُ الدَّاءَ الأَعْظَمَ، ويَجْلِبُ الرِّزْقَ ويُدِرُّهُ.

ونَتْفُ الإِبِطِ يَنْفِي الرَّائِحَةَ الْمُنْكَرَةَ، وهُوطُهُورٌ وسُنَّةٌ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الطَّيِّبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

غَسْلُ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الطَّعَامِ وبَعْدَهُ زِيَادَةٌ فِي الرِّزْقِ.

غُسْلُ الأَعْيَادِ طُهُورٌ لِمَنْ أَرَادَ طَلَبَ الْحَوَائِجِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ - عز وجل - واتِّبَاعَ السُّنَّةِ.

وقِيَامُ اللَّيْلِ مَصَحَّةٌ لِلْبَدَنِ، ورِضىً لِلرَّبِّ- عز وجل -، وتَعَرُّضٌ لِلرَّحْمَةِ، وتَمَسُّكٌ بِأَخْلاَقِ النَّبِيِّينَ.

والْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ بَعْدِ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلى حِينِ طُلُوعِ الشَّمْسِ لِلاشْتِغَالِ بِذِكْرِ اللهِ - سبحانه - أَسْرَعُ فِي تَيْسِيرِ الرِّزْقِ مِنَ الضَّرْبِ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ.

عَلَيْكُمْ بِأَكْلِ التُّفَّاحِ فَإِنَّهُ نَضُوحٌ لِلْمَعِدَةِ.

مَضْغُ اللُّبَانِ يَشُدُّ الأَضْرَاسَ، وَيَنْفِي الْبَلْغَمَ، وَيَقْطَعُ رِيحَ الْفَمِ.

أَكْلُ السَّفَرْجَلِ قُوَّةٌ لِلْقَلْبِ الضَّعِيفِ، وَهُوَ يُطَيِّبُ الْمَعِدَةَ، وَيُذَكِّي الْفُؤَادَ، وَيُشَجِّعُ الْجَبَانَ، وَيُحَسِّنُ الْوَلَدَ.

أَكْلُ إِحْدى وَعِشْرِينَ زَبِيبَةٍ حَمْرَاءَ عَلَى الرِّيقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَدْفَعُ الأَمْرَاضَ إِلاَّ مَرَضَ الْمَوْتِ.

وَأَكْلُ الْعَدَسِ يُرِقُّ الْقَلْبَ، وَيُسَرِّعُ دَمْعَةَ الْعَيْنِ.

كُلُوا الدُّبَّاءَ فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الدِّمَاغِ، وَكَانَ يُعْجِبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَرَقَةِ الدُّبَّاءِ.

كُلُوا الأُتْرُجَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ، فَإِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ يَأْكُلُونَهُ.

الْكُمَّثْرى يَجْلُوا الْقَلْبَ، وَيُسَكِّنُ أَوْجَاعَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ.

كُلُوا الرُّمَّانَ بِشَحْمِهِ فَإِنَّهُ دِبَاغٌ لِلْمَعِدَةِ، وَفِي كُلِّ حَبَّةٍ مِنَ الرُّمَّانِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي مَعِدَةِ الْمُسْلِمِ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَارَةٌ لِلنَّفْسِ، وَيَذْهَبُ بِوَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً.

[فَإِنَّهُ] لَيْسَ مِنْ رُمَّانَةٍ إِلاَّ وَفِيهَا حَبَّةٌ مِنْ رُمَّانَةِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا شَذَّ شَيْءٌ مِنْهَا فَاتْبَعُوهُ وَكُلُوهُ.

كُلُوا الْهِنْدِبَاءَ فَإِنَّهُ مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلاَّ وَعَلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ قَطَرَاتِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَكَلْتُمُوهَا فَلاَ تَنْفُضُوهَا.

نِعْمَ الإِدَامُ الْخَلُّ، يَكْسِرُ الْمُرَارَ، وَيُحْيِي الْقَلْبَ.

إِسْتَعْطُوا بِالْبِنَفْسَجِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَوْيَعْلَمُ النَّاسَ مَا فِي الْبِنَفْسَجِ لَحَسَوْهُ حَسْواً، إِنَّهُ حَارٌّ فِي الشِّتَاءِ، بَارِدٌ فِي الصَّيْفِ.

تَشَمَّمُوا النَّرْجِسَ وَلَوفِي الْيَوْمِ مَرَّةً، وَلَوفِي الْعَامِ مَرَّةً، وَلَوفِي الدَّهْرِ مَرَّةً، فَإِنَّ فِي

قَلْبِ الإِنْسَانِ حَبَّةٌ مِنَ الْجُنُونِ والْجُذَامِ والْبَرَصِ لاَ يُزِيلُهَا إِلاَّ شَمُّ النَّرْجِسِ.

حَسْوالَّلبَنِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلاَّ الْمَوْتِ.

إِتَّخِذُوا الْمَاءَ طيباً.

إِشْرَبُوا مَاءَ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ طَهُورٌ لِلْبَدَنِ، ويَدْفَعُ الأَسْقَامَ.

قَالَ الله - جَلَّ وعَزَّ-: ﴿**وينَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ويُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ ولِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ ويُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدامَ**﴾.

أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ: الْفُرَاتُ، والنِّيلُ، وسيحَانُ، وجيحَانُ.

الْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ مَا مِنْ دَاءٍ إِلاَّ وفيهَا مِنْهُ شِفَاءٌ إِلاَّ السَّامُ.

خَالِفُوا أَصْحَابَ الْمُسْكِرِ. وكُلُوا التَّمْرَ فَإِنَّ فيه شِفَاءٌ مِنَ الأَدْوَاءِ.

مَا تَأْكُلُ النُّفَسَاءُ شَيْئاً، ولاَ تَبْدَأُ به، أَفْضَلَ مِنَ الرُّطَبِ، قَالَ الله - عز وجل - لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ-: ﴿**وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا فَكُلِي واشْرَبِي وقَرِّي عَيْناً**﴾.

لَعْقُ الْعَسَلِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ.

قَالَ الله - تَبَارَكَ وتَعَالى-: ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ، وهُومَعَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**﴾.

عَلَيْكُمْ بِالزَّيْتِ فَإِنَّهُ يُذْهِبُ الْبَلْغَمَ، ويَشُدُّ الْعَصَبَ، ويُحَسِّنُ الْخُلُقَ، ويُطَيِّبُ النَّفْسَ، ويُذْهِبُ الْغَمَّ.

عَلَيْكُمْ بِالإِثْمِدِ فَإِنَّهُ مَنْبَتَةٌ لِلشَّعْرِ، مَذْهَبَةٌ لِلْقَذَاءِ، مصْفَاةٌ لِلْبَصَرِ.

كُلُوا اللَّحْمَ، فَإِنَّ اللَّحْمَ مِنَ اللَّحْمِ، ومَنْ لَمْ يَأْكُلِ اللَّحْمَ أَرْبَعِينَ يَوْماً سَاءَ خُلُقُهُ.

[وَ] إِذَا ضَعُفَ الْمُسْلِمُ فَلْيَأْكُلِ اللَّحْمَ بِاللَّبَنِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْقُوَّةَ فيهِمَا.

إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمُ اللَّحْمَ فَلْيُخْرِجْ مِنْهُ الْعُدَدَ، فَإِنَّهُ يُحَرِّكُ عِرْقَ الْجُذَامِ.

إِبْدَؤُوا بِالْمِلْحِ فِي أَوَّلِ طَعَامِكُمْ واخْتِمُوا بِهِ، فَلَوْيَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْمِلْحِ لاَخْتَارُوهُ

عَلَى التِّرْيَاقِ الْمُجَرَّبِ.

مَنِ ابْتَدَأَ طَعَامَهُ بِالْمِلْحِ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ دَاءً لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ الله - عز وجل -.

أَقِرُّوا الْحَارَّ حَتَّى يَبْرُدَ وَيُمْكِنَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ قَالَ، وقَدْ قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامٌ حَارٌّ جِدّاً: أَقِرُّوهُ حَتَّى يَبْرُدَ وَيُمْكِنَ أَكْلُهُ، ومَا كَانَ الله - تعالى - لِيُطْعِمَنَا الْحَارَّ، والْبَرَكَةُ فِي الْبَارِدِ، والْحَارُّ غَيْرُ ذي بَرَكَةٍ.

أَقِلُّوا مِنْ أَكْلِ الْحِيتَانِ، فَإِنَّهَا تُذِيبُ الْبَدَنَ، وتُكْثِرُ الْبَلْغَمَ، وتُغْلِظُ النَّفْسَ.

لُحُومُ الْبَقَرِ دَاءٌ، وأَلْبَانُهَا دَوَاءٌ، وأَسْمَانُهَا شِفَاءٌ، والشَّحْمُ يُخْرِجُ مِثْلَهُ مِنَ الدَّاءِ.

وأَطْيَبُ اللَّحْمِ لَحْمُ فَرْخٍ قَدْ نَهَضَ أَوْ كَادَ يَنْهَضُ.

تَنَزَّهُوا عَنْ أَكْلِ الطَّيْرِ الَّذي لَيْسَ لَهُ قَانِصَةٌ ولاَ صِيصَةٌ ولاَ حَوْصَلَةٌ، ولاَ كَابِرَةٌ.

واتَّقُوا أَكْلَ كُلِّ ذي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وكُلِّ ذي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ.

ولاَ تَأْكُلُوا الطِّحَالَ فَإِنَّهُ يَنْبُتُ مِنَ الدَّمِ الْفَاسِدِ.

إِتَّقُوا الْغُدَدَ مِنَ اللَّحْمِ، فَإِنَّهَا تُحَرِّكُ عِرْقَ الْجُذَامِ.

فُقِدَتْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمَّتَانِ: وَاحِدَةٌ فِي الْبَحْرِ، وأُخْرَى فِي الْبَرِّ، فَلاَ تَأْكُلُوا إِلاَّ مَا عَرَفْتُمْ.

تَوَقَّوا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي الأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ، وآخِرُهُ يُورِقُ.

تَوَقَّوا الْحِجَامَةَ والنُّورَةَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ ويَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّ الأَرْبِعَاءَ نَحْسٌ مُسْتَمِرٌّ، وفِيهِ خُلِقَتْ جَهَنَّمُ. وفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لاَ يَحْتَجِمُ فِيهَا أَحَدٌ إِلاَّ مَاتَ.

ومَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ، ولاَ بَقَاءَ، فَلْيُبَاكِرِ الْغَدَاءَ، ولْيَسْتَقِلَّ غِشْيَانَ النِّسَاءِ، ولْيُخَفِّفِ الرِّدَاءَ، ولْيُدِيمِ الْحِذَاءَ.

قيل: يا أمير المؤمنين، وما الرداء.

قال عليه السلام: خِفَّةُ الدَّيْنِ.

ثم قال عليه السلام: الاسْتِنْجَاءُ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ يَقْطَعُ الْبَوَاسِيرَ.

وغَسْلُ الثِّيَابِ يَذْهَبُ بِالْهَمِّ والْحُزْنِ، وهُوَ طُهُورٌ للصَّلاَةِ.

الْحُمَّى رَائِدُ الْمَوْتِ، وسِجْنُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، يَحْبِسُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وهِيَ تَحتُّ الذُّنُوبَ كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَبَرُ عَنْ سَنَامِ الْبَعِيرِ.

لَيْسَ مِنْ دَاءٍ إِلاَّ وهُوَ دَاخِلُ الْجَوْفِ، إِلاَّ الْجِرَاحَةَ والْحُمَّى، فَإِنَّهُمَا يَرِدَانِ عَلَى الْجَسَدِ وُرُوداً.

إِكْسِرُوا حَرَّ الْحُمَّى بِالْبَنْفَسَجِ والْمَاءِ الْبَارِدِ، فَإِنَّ حَرَّهُمَا مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ.

لاَ يَتَدَاوَى الْمُسْلِمُ حَتَّى يَغْلِبَ مَرَضُهُ صِحَّتَهُ.

الْعَيْنُ حَقٌّ، والرُّقَى حَقٌّ، والسِّحْرُ حَقٌّ، والْفَأْلُ حَقٌّ.

والطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ، والْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ.

والطِّيبُ نُشْرَةٌ، والْغُسْلُ نُشْرَةٌ، والنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ، والرُّكُوبُ نُشْرَةٌ.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضاً أَوأُتِيَ إِلَيْهِ بِهِ قَالَ: أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، إِشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً.

إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ فِي الْمِرْآةِ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي فَأَحْسَنَ خَلْقِي، وصَوَّرَنِي فَأَحْسَنَ صُورَتِي، وزَانَ مِنِّي مَا شَانَ مِنْ غَيْرِي، وأَكْرَمَنِي بِالإِسْلاَمِ.

إِيَّاكُمْ وعَمَلَ الصُّوَرِ، فَمَنْ عَمِلَ الصُّوَرَ سُئِلَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

إِيَّاكُمْ والْكَسَلَ، فَإِنَّهُ مَنْ كَسِلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللهِ - عز وجل -.

إِيَّاكُمْ والزِّنَا، فَإِنَّ فِيهِ ستُّ خِصَالٍ. ثَلاَثٌ فِي الدُّنْيَا، وثَلاَثٌ فِي الآخِرَةِ: فَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الدُّنْيَا، فَيَذْهَبُ بِالْبَهَاءِ، ويَقْطَعُ الرِّزْقَ الْحَلاَلَ، ويُعَجِّلُ الْفَنَاءَ إِلَى النَّارِ.

وأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الآخِرَةِ، فَسُوءُ الْحِسَابِ، وسَخَطُ الرَّحمنِ، والْخُلُودُ فِي النَّارِ.

لاَ تَخَتَّمُوا بِغَيْرِ الْفِضَّةِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ قَالَ: مَا طَهَّرَ اللَّهُ يَداً فِيهَا خَاتَمُ حَدِيدٍ.

ومَنْ نَقَشَ عَلى خَاتَمِهِ اسْماً مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَلْيُحَوِّلْهُ عَنِ الْيَدِ الَّتي يَسْتَنْجي بِهَا فِي الْمُتَوَضَّأ.

لاَ تَنْتُفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ، ومَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمِ كَانَ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

لاَ يَتْفِلِ الْمُسْلِمُ فِي الْقِبْلَةِ، فَإِنْ فَعَلَ نَاسِياً فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ - عز وجل - مِنْهُ.

لاَ يَنْفُخِ الْمَرْءُ فِي مَوْضِعِ سُجُودِهِ، ولاَ يَنْفُخْ فِي طَعَامِهِ، ولاَ فِي شَرَابِهِ، ولاَ فِي تَعْوِيذِهِ.

لاَ يَتَغَوَّطَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ، ولاَ يَبُولَنَّ عَلى سَطْحٍ فِي الْهَوَاءِ، ولاَ فِي مَاءٍ جَارٍ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ. فَإِنَّ لِلْمَاءِ أَهْلًا، ولِلْهَوَاءِ أَهْلًا.

وإِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَطْمَحَنَّ بِبَوْلِهِ فِي الْهَوَاءِ ولاَ يَسْتَقْبِلْ بِهِ الرِّيحَ.

إِلْبَسُوا ثِيَابَ الْقُطْنِ فَإِنَّهُ لِبَاسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وهُوَ لِبَاسُنَا، ولَمْ نَكُنْ نَلْبَسُ الصُّوفَ ولاَ الشَّعْرَ إِلاَّ مِنْ عِلَّةٍ.

إِنَّ اللهَ - عز وجل - جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، ويُحِبُّ أَنْ يَرى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلى عَبْدِهِ.

لاَ تَلْبَسُوا السَّوَادَ فَإِنَّهُ لِبَاسُ فِرْعَوْنَ.

لاَ تَحْتَذُوا الْمُلَسَّنَ فَإِنَّهُ حِذَاءُ فِرْعَوْنَ، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَذَا الْمُلَسَّنَ.

تَنَزَّهُوا عَنْ قُرْبِ الْكِلاَبِ، فَمَنْ أَصَابَهُ كَلْبٌ جَافٌّ فَلْيَنْضَحْ ثَوْبَهُ بِالْمَاءِ، وإِنْ كَانَ الْكَلْبُ رَطْباً فَلْيَغْسِلْهُ.

لاَ يَنَامُ الرَّجُلُ مَعَ الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ولاَ الْمَرْأَةُ مَعَ الْمَرْأَةِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِ الأَدَبُ وهُوَ التَّعْزِيرُ.

إِفْعَلُوا الْخَيْرَ ولاَ تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وقَلِيلَهُ كَثِيرٌ.

ولاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَداً أَوْلى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي، فَيَكُونُ، واللَّهِ، كَذَلِكَ.

إِنَّ لِلْخَيْرِ والشَّرِّ أَهْلًا، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ.

إِيَّاكُمْ والتَّسْويفَ في الْعَمَلِ، بَادِرُوا به إِذَا أَمْكَنَكُمْ.

الْبِرُّ لاَ يَبْلى، والذَّنْبُ لاَ يُنْسى، وإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

بَادِرُوا بِعَمَلِ الْخَيْرِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا عَنْهُ بِغَيْرِه.

لاَ تَسْتَصْغِرُوا قليلَ الإِثْمِ لَمَّا لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى الْكَبِيرِ، فَإِنَّ الصَّغيرَ يُحْصى ويُرْجَعُ إِلَى الْكَبِيرِ.

أَحْسِنُوا في عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا في عَقِبِكُمْ.

لاَ تَصْلُحُ الصَّنِيعَةُ إِلاَّ عِنْدَ ذي حَسَبٍ أَودِينٍ.

أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلاَّ ويَدُ اللَّه بِيَدِه تَرْفَعُهُ.

صِلُوا أَرْحَامَكُمْ ولَوبِالسَّلاَمِ، لِقَوْلِ اللَّه: واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَائَلُونَ بِهِ والْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً.

لِيَتَزَيَّنَ أَحَدُكُمْ لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِذَا أَتَاهُ كَمَا يَتَزَيَّنُ لِلْغَرِيبِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يَرَاهُ في أَحْسَنِ هَيْئَة.

تَنَظَّفُوا بِالْمَاءِ مِنَ الرِّيحِ الْمُنْتِنَةِ الَّتي يُتَأَذَّى بِه. وتَعَهَّدُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّ الله - عز وجل - يُبْغِضُ مِنْ عِبَادِه الْقَاذُورَةَ الَّذي يَتَأَفَّفُ به مَنْ جَلَسَ إِلَيْه.

رَوِّضُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الأَخْلاَقِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ.

إِطْرَحُوا سُوءَ الظَّنِّ بَيْنَكُمْ فَإِنَّ الله - عز وجل - نَهى عَنْ ذَلِكَ.

الْمُسْلِمُ مِرْآةُ أَخِيه، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ أَخِيكُمْ هَفْوَةً فَلاَ تَكُونُوا عَلَيْه إِلْباً، وكُونُوا لَهُ كَنَفْسِه، وأَرْشِدُوهُ، وانْصَحُوا لَهُ، وتَرَفَّقُوا به.

وإِيَّاكُمْ والْخِلاَفَ فَتَمَزَّقُوا.

وعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ تُزْلَفُوا وتُرْجَوْا [وَ] تُؤْجَرُوا.

إِذَا لَقِيتُمْ إِخْوَانَكُمْ فَتَصَافَحُوا، وأَظْهِرُوا لَهُمُ الْبَشَاشَةَ والْبِشْرَ، تَتَفَرَّقُوا ومَا عَلَيْكُمْ

مِنَ الأَوْزَارِ قَدْ ذَهَبَ.

إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَسَمِّتُوهُ [وَ] قُولُوا: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وهُوَ يَقُولُ-: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَيَرْحَمُكُمْ﴾.

قَالَ الله - تَبَارَكَ وتَعَالى-: ﴿وإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْرُدُّوها﴾.

صَافِحْ عَدُوَّكَ وإِنْ كَرِهَ، فَإِنَّهُ مِمَّا أَمَرَ الله - عز وجل - به عِبَادَهُ، يَقُولُ-: ﴿ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ ولاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وما يُلَقَّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾.

مَا يُكَافَأُ عَدُوُّكَ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ تُطِيعَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ.

وحَسْبُكَ أَنْ تَرى عَدُوَّكَ يَعْمَلُ بِمَعَاصِي الله - عز وجل -.

إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ.

مَوَدَّةُ ذَوِي الدِّينِ بَطِيئَةُ الانْقِطَاعِ، دَائِمَةُ الثَّبَاتِ والْبَقَاءِ.

ومَوَدَّةُ الآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الأَبْنَاءِ.

والْقَرَابَةُ إِلَى الْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ.

إِرْحَمُوا ضُعَفَاءَكُمْ، واطْلُبُوا الرَّحْمَةَ مِنَ الله - عز وجل - لَهُمْ.

لاَ تُحَقِّرُوا ضُعَفَاءَ إِخْوَانِكُمْ، فَإِنَّهُ مَنِ احْتَقَرَ مُؤْمِناً حَقَّرَهُ اللَّهُ ولَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ.

ولاَ يُكَلِّفُ الْمَرْءُ أَخَاهُ الطَّلَبَ إِلَيْهِ إِذَا عَرَفَ حَاجَتَهُ.

إِذَا قَالَ الْمُؤْمِنُ لأَخِيهِ: أُفٍّ، انْقَطَعَ مَا بَيْنَهُمَا.

وإِذَا قَالَ لَهُ: أَنْتَ كَافِرٌ، كَفَرَ أَحَدُهُمَا.

وإِذَا اتَّهَمَهُ انْمَاثَ الإِسْلاَمُ فِي قَلْبِهِ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ.

مَنْ قَالَ لِمُسْلِمٍ قَوْلًا يُرِيدُ بِهِ انْتِقَاصَ مُرُوءَتِهِ، حَبَسَهُ الله - عز وجل - فِي طِينَةِ خَبَالٍ حَتَّى يَأْتِيَ مِمَّا قَالَ بِمَخْرَجٍ.

تَزَاوَرُوا، [وَ] تَوَازَرُوا، وتَبَاذَلُوا، ولاَ تَكُونُوا بِمَنْزِلَةِ الْمُنَافِقِ الَّذي يَصِفُ مَا لاَ يَفْعَلُ.

الْمُؤْمِنُ لاَ يَغِشُّ أَخَاهُ، ولاَ يَخُونُهُ، ولاَ يَتَّهِمُهُ، ولاَ يَخْذُلُهُ، ولاَ يَقُولُ لَهُ: أَنَا مِنْكَ بَرِيءٌ.

أُطْلُبْ لأَخيكَ عُذْراً، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ لَهُ عُذْراً فَالْتَمِسْ لَهُ عُذْراً.

إِيَّاكُمْ وغِيبَةَ الْمُسْلِمِ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ لاَ يَغْتَابُ أَخَاهُ، وقَدْ نَهَى الله - عز وجل - عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ -: ﴿ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاًأَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

إِتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - جَعَلَ الْحَقَّ عَلى أَلْسِنَتِهِمْ.

لاَ تَقْطَعُوا نَهَارَكُمْ بِكَيْتَ وكَيْتَ، وفَعَلْنَا كَذَا وكَذَا، فَإِنَّ مَعَكُمْ حَفَظَةً يَحْفَظُونَ عَلَيْكُمْ وعَلَيْنَا.

واذْكُرُوا الله - عز وجل - بِكُلِّ مَكَانٍ فَإِنَّهُ مَعَكُمْ.

ولْيَكُنْ جُلُّ كَلاَمِكُمْ ذِكْرُ الله - عز وجل -.

وصَلُّوا عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُ دُعَاءَكُمْ عِنْدَ ذِكْرِ مُحَمَّدٍ ودُعَائِكُمْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله.

الْمُؤْمِنُ نَفْسُهُ مِنْهُ في تَعَبٍ، والنَّاسُ مِنْهُ في رَاحَةٍ.

قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ.

لاَ يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ في ثَلاَثٍ: في نَكْبَتِهِ، وغَيْبَتِهِ، ووَفَاتِهِ.

الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ، والتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوحَسَدٌ.

شَارِكُوا الَّذي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنى، وأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ عَلَيْهِ.

إِذَا كَانَ في رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا.

إِيَّاكُمْ والْجِدَالَ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الشَّكَّ.

إِحْسَبُوا كَلاَمَكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ يَقِلُّ كَلاَمُكُمْ إِلاَّ فِي الْخَيْرِ.

كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ، وسَلِّمُوا تَسْلِيماً تَغْتَنِمُوا، [فَـ] رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ، ورُبَّ فِتْنَةٍ أَثَارَهَا قَوْلٌ.

بِاللِّسَانِ يُكَبُّ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، وبِاللِّسَانِ يَسْتَوْجِبُ أَهْلُ الْقُبُورِ النُّورَ، فَاحْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ، واشْغَلُوهَا بِذِكْرِ الله - عز وجل -.

أَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكُمْ ولَوإِلَى قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ.

أَوْفُوا بِالْعُهُودِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، فَمَا زَالَتْ نِعْمَةٌ عَنْ قَوْمٍ ولاَ نَضَارَةُ عَيْشٍ إِلاَّ بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، ذلكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ.

ولَوأَنَّهُمُ اسْتَقْبَلُوا ذَلكَ بِالدُّعَاءِ لَمْ تَزَلْ.

ولَوأَنَّهُمْ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ النِّقَمُ، أَوزَالَتْ عَنْهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى الله - عز وجل - بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، ولَمْ يَهِنُوا، ولَمْ يُسْرِفُوا، لأَصْلَحَ اللَّهُ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ، ورَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ صَالِحٍ.

وإِذَا ضَاقَ الْمُسْلِمُ فَلاَ يَشْكُوَنَّ رَبَّهُ- عز وجل- ولكِنْ يَشْكُوإِلَيْهِ، فَإِنَّ بِيَدِهِ مَقَالِيدَ الأُمُورِ وتَدْبِيرُهَا فِي السَّمواتِ والأَرَضِينَ ومَا فِيهِنَّ وهُورَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، والْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

إِتَّبِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فَإِنَّهُ قَالَ: مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ.

تَعَرَّضُوا لِلتِّجَارَةِ، فَإِنَّ فِيهِ غِنىً عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وإِنَّ الله - عز وجل - يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُحْتَرِفَ الأَمِينَ.

مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ فِي الرِّبَا، فَلاَ يَقْعُدْ فِي السُّوقِ إِلاَّ مَنْ يَعْقِلُ الشِّرَاءَ والْبَيْعَ.

أَكْثِرُوا ذِكْرَ الله - عز وجل - إِذَا دَخَلْتُمُ الأَسْوَاقَ، وعِنْدَ اشْتِغَالِ النَّاسِ بِالتِّجَارَاتِ،

فَإِنَّهُ كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ، وزِيَادَةٌ فِي الْحَسَنَاتِ، ولاَ تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ.

إِذَا اشْتَرَيْتُمْ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ السُّوقِ، فَقُولُوا حِينَ تَدْخُلُونَ الأَسْوَاقَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ، ويَمِينٍ فَاجِرَةٍ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ بَوَاءِ الإِثْمِ.

أَلِمُّوا بِالْقُبُورِ الَّتِي أَلْزَمَكُمُ اللهُ - عز وجل - حَقَّ سُكَّانِهَا، وزُرُوهَا، واطْلُبُوا الرِّزْقَ عِنْدَهَا، فَإِنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِزِيَارَتِكُمْ.

أَكْثِرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ، ويَوْمَ خُرُوجِكُمْ مِنَ الْقُبُورِ، وقِيَامِكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، تَهُنْ عَلَيْكُمُ الْمَصَائِبُ.

لاَ يَمِينَ لِلْوَلَدِ مَعَ وَالِدِهِ، ولاَ لِلْمَرْأَةِ مَعَ زَوْجِهَا، ولاَ لِعَبْدٍ مَعَ مَوْلاَهُ.

مَنْ أَحْزَنَ وَالِدَيْهِ فَقَدْ عَقَّهُمَا.

لِيَطْلُبَ الرَّجُلُ الْحَاجَةَ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ وأُمِّهِ بَعْدَ مَا يَدْعُوَ لَهُمَا.

مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ كَيْفَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ مِنْهُ عِنْدَ الذُّنُوبِ، كَذَلِكَ تَكُونُ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللهِ - تَبَارَكَ وتَعَالَى -.

أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ لِلَّهِ - سبحانه - شُكْرُ أَيَادِيهِ وابْتِغَاءُ مَرَاضِيهِ، [وَ] أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّهِ - تعالى - أَنْ لاَ تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ.

إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلاَ تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ.

أَحْسِنُوا صُحْبَةَ النِّعَمِ قَبْلَ فِرَاقِهَا، فَإِنَّهَا تَزُولُ وتَشْهَدُ عَلَى صَاحِبِهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا.

مَنْ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ رَضِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ.

إِيَّاكُمْ والتَّفْرِيطَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْحَسْرَةَ حِينَ لاَ تَنْفَعُ الْحَسْرَةُ.

إِذَا لَقِيتُمْ عَدُوَّكُمْ فِي الْحَرْبِ فَأَقِلُّوا الْكَلاَمَ، وأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ - جَلَّ وعَزَّ -، ولاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ فَتَسْخَطُوا اللَّهَ وتَسْتَوْجِبُوا غَضَبَهُ.

إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ فِي الْحَرْبِ الْمَجْرُوحَ، أَوْمَنْ قَدْ نُكِّلَ بِهِ أَوْمَنْ قَدْ طَمِعَ

عَدُوُّكُمْ فيه، فَقُوهُ بِأَنْفُسِكُمْ.

إِصْطَنِعُوا الْمَعْرُوفَ بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَى اصْطِنَاعِه، فَإِنَّهُ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ.

تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ مِنَ اللهِ - تَبَارَكَ وتَعَالى - عَلَى قَدْرِ الْمَؤُونَة.

أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ - عز وجل -، فَإِنَّ الْمُنْفِقَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّه.

مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّة، وسَخَتْ نَفْسُهُ بِالنَّفَقَة.

إِذَا نَاوَلْتُمْ سَائِلًا شَيْئاً فَاسْأَلُوهُ أَنْ يَدْعُوَ لَكُمْ، فَإِنَّهُ يُجَابُ فِيكُمْ ولاَ يُجَابُ فِي نَفْسِه، لأَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ، ولْيَرُدَّ الَّذِي يُنَاوِلُهُ يَدَهُ إِلى فِيه فَلْيُقَبِّلْهَا، فَإِنَّ اللهَ - عز وجل - يَأْخُذُهَا قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ، قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وتَعَالى -: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ**﴾.

تَصَدَّقُوا بِاللَّيْلِ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ بِاللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ -.

إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً، وإِقْبَالًا وإِدْبَاراً، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ.

إِنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَة.

أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ - جَلَّ وعَزَّ - عَلَى الطَّعَامِ ولاَ تَلْغَطُوا فِيه، فَإِنَّهُ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّه، ورِزْقٌ مِنْ رِزْقِه، يَجِبُ عَلَيْكُمْ فِيه شُكْرُهُ وحَمْدُهُ.

إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى الطَّعَامِ، فَلْيَجْلِسْ جِلْسَةَ الْعَبْد، ولْيَأْكُلْ عَلَى الأَرْضِ، ولاَ يَضَعْ إِحْدَى رِجْلَيْه عَلَى الأُخْرَى، ولاَ يَتَرَبَّعْ، فَإِنَّهَا جِلْسَةٌ يَبْغُضُهَا اللَّهُ ويَمْقُتُ صَاحِبَهَا.

كُلُوا مَا يَسْقُطُ مِنَ الْخِوَانِ، فَإِنَّ فِيه شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ بِإِذْنِ اللهِ - عز وجل - لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَشْفِيَ بِه.

إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمُ الطَّعَامَ فَمَصَّ أَصَابِعَهُ الَّتِي أَكَلَ بِهَا، قَالَ اللهُ - عز وجَلَّ ذِكْرُهُ -: ﴿**بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ**﴾.

لاَ تَعَجِّلُوا الرَّجُلَ عِنْدَ طَعَامِه حَتَّى يَفْرَغَ، ولاَ عِنْدَ غَائِطِه حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى حَاجَتِه.

لاَ يَشْرَبْ أَحَدُكُمُ الْمَاءَ قَائِماً، فَإِنَّهُ يُورِثُ الدَّاءَ الَّذي لاَ دَوَاءَ لَهُ إِلاَّ أَنْ يُعَافِيَ الله - عز وجل -.

عَشَاءُ الأَنْبِيَاءِ بَعْدَ الْعَتْمَة، فَلاَ تَدَعُوا الْعَشَاءَ فَإِنَّ تَرْكَهُ خَرَابُ الْبَدَنِ.

لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةٌ، وثَمَرَةُ الْمَعْرُوفِ تَعْجِيلُ السَّرَاحِ.

إِذَا قَرَأْتُمْ: والتِّين... فَقُولُوا في آخرِهَا: ونَحْنُ عَلى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

وإِذَا قَرَأْتُمْ: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ...، فَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ حَتَّى تَبْلُغُوا إِلى قَوْلِهِ: ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

يَنْزِلُ الصَّبْرُ [مِنَ] الله - تَبَارَكَ وتَعَالى - عَلى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، ومَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ فَقَدْ حَبِطَ أَجْرُهُ.

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ فَاتَّعَظَ.

الْعُمْرُ الَّذي أَعْذَرَ الله - سبحانه - فيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً.

لاَ نَذْرَ في مَعْصِيَةٍ، ولاَ يَمِينَ في قَطِيعَةٍ.

الْمَسْؤُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ.

الدَّاعي بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامي بِلاَ وَتَرٍ.

الْمَقْتُولُ دُونَ مَالِهِ شَهِيدٌ.

الْمَغْبُونُ غَيْرُ مَحْمُودٍ ولاَ مَأْجُورٍ.

لاَ وِصَالَ في صِيَامٍ، ولاَ صَمْتَ يَوْماً إِلَى اللَّيْلِ إِلاَّ في ذِكْرِ الله - عز وجل -.

لاَ تَعَرُّبَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، ولاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ.

لاَ تَعَجَّلُوا الأُمُورَ قَبْلَ بُلُوغِهَا فَتَنْدَمُوا، ولاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ.

الدُّنْيَا دُوَلٌ، فَاطْلُبْ حَظَّكَ مِنْهَا بِأَجْمَلِ الطَّلَبِ، واصْطَبِرْ حَتَّى تَأْتِيَكَ دُوْلَتُكَ.

صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ، يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، ويَذْهَبُ بِذَهَابِهَا.

مُزَاوَلَةُ قَلْعِ الْجِبَالِ، أَيْسَرُ مِنْ مُزَاوَلَةِ مُلْكٍ مُؤَجَّلٍ.

واسْتَعِينُوا بِاللَّه واصْبِرُوا إنَّ الأَرْضَ لِلَّه يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِه والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الامْكَان، والأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَة.

إِسْتَعِيذُوا بِالله - عز وجل - مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، [فَإِنَّهُ] يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكْلِ، ولاَ يَنَامُ عَلَى الْحَرَب.

إِذَا كَسَى الله - عز وجل - مُؤْمِناً ثَوْباً جَدِيداً فَلْيَتَوَضَّأْ ولْيُصَلِّ رَكْعَتَيْن، يَقْرَأُ فِيهِمَا: أُمَّ الْكِتَاب وآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وقُلْ هُواللَّهُ أَحَدٌ، وإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر، ثُمَّ لِيَحْمَدِ اللَّه الَّذِي سَتَرَ عَوْرَتَهُ وزَيَّنَهُ فِي النَّاسِ، ولْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَإِنَّهُ لاَ يَعْصِي اللَّهَ فِيه.

عَلَيْكُمْ بِالصَّفِيقِ مِنَ الثِّيَاب، فَإِنَّهُ مَنْ رَقَّ ثَوْبُهُ رَقَّ دِينُهُ.

لاَ يَقُومَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّه - جَلَّ وعَزَّ - وعَلَيْه ثَوْبٌ يَشِفُّ.

تَشْمِيرُ الثِّيَابِ طُهُورٌ لَهَا، قَالَ الله - تَبَارَكَ وتَعَالَى -: ﴿وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، أَيْ فَشَمِّرْ﴾.

لَيْسَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْشِفَ ثِيَابَهُ عَنْ فَخِذِه ويَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْ قَوْم.

صُومُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ فَهِيَ تَعْدِلُ صَوْمَ الدَّهْرِ، ونَحْنُ نَصُومُ خَمِيسَيْنِ بَيْنَهُمَا أَرْبِعَاء.

لأَنَّ الله - عز وجل - خَلَقَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الأَرْبِعَاء. فَتَعَوَّذُوا بِالله - جَلَّ وعَزَّ - مِنْهَا.

وصَوْمُ شَهْرِ شَعْبَانَ يَذْهَبُ بِوَسْوَاسِ الصَّدْرِ وبَلاَبِلِ الْقَلْب.

لَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَخْرُجَ فِي سَفَرٍ إِذَا حَضَرَ شَهْرُ رَمَضَانَ، لِقَوْلِ الله - عز وجل -: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

فِي كُلِّ امْرِئٍ وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلاَثٍ: الطِّيَرَةُ، والْكِبْرُ، والتَّمَنِّي.

فَإِذَا تَطَيَّرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمْضِ عَلَى طِيَرَتِه، ولْيَذْكُرِ الله - عز وجل -.

وإِذَا خَشِيَ الْكِبْرَ فَلْيَأْكُلْ مَعَ عَبْدِه وخَادِمِه، ولْيَحْلُبِ الشَّاةَ.

وإذَا تَمَنَّى فَلْيَسْأَلِ اللهَ - عز وجل - ويَبْتَهِلْ إِلَيْهِ، ولاَ تُنَازِعْهُ نَفْسُهُ إِلَى الإِثْمِ.

شَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وخَيْرُ الأُمُورِ مَا كَانَ للَّهِ - جَلَّ وعَزَّ - رِضىً.

إِنَّ الْمِسْكِينَ رَسُولُ اللَّهِ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ، ومَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللهَ - سبحانه -.

سِرَاجُ الْمُؤْمِنِ مَعْرِفَةُ حَقِّنَا، وأَشَدُّ النَّاسِ عَمىً مَنْ عَمِيَ عَنْ حُبِّنَا وفَضْلِنَا، ونَاصَبَنَا الْعَدَاوَةَ بِلاَ ذَنْبٍ سَبَقَ إِلَيْهِ مِنَّا، إِلاَّ أَنَّا دَعَوْنَاهُ إِلَى الْحَقِّ والدِّينِ، ودَعَاهُ سِوَانَا إِلَى الْفِتْنَةِ والدُّنْيَا، فَآثَرَهُمَا، ونَصَبَ الْبَرَاءَةَ مِنَّا والْعَدَاوَةَ لَنَا.

وأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ عَرَفَ فَضْلَنَا، وتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِنَا، وأَخْلَصَ حُبَّنَا، وعَمِلَ بِمَا إِلَيْهِ نَدَبْنَا، وانْتَهى عَمَّا عَنْهُ نَهَيْنَا، فَذَاكَ مِنَّا، وهُوفي دَارِ الْمُقَامَةِ مَعَنَا.

مَثَلُ أَهْلِ الْبَيْتِ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ.

إِيَّاكُمْ والْغُلُوَّ فِينَا، قُولُوا: إِنَّا عِبَادٌ مَرْبُوبُونَ، واعْتَقِدُوا في فَضْلِنَا مَا شِئْتُمْ.

مَنْ أَحَبَّنَا فَلْيَعْمَلْ بِعَمَلِنَا، ولْيَسْتَعِنْ بِالْوَرَعِ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ مَا يُسْتَعَانُ بِهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

لاَ تُجَالِسُوا لَنَا عَائِباً، ولاَ تَمْدَحُونَا عِنْدَ عَدُوِّنَا مُعْلِنِينَ بِإِظْهَارِ حُبِّنَا، فَتُذِلُّوا أَنْفُسَكُمْ عِنْدَ سُلْطَانِكُمْ.

لَنَا رَايَةُ الْحَقِّ، مَنِ اسْتَظَلَّ بِهَا كَنَّتْهُ، ومَنْ سَبَقَ إِلَيْهَا فَازَ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ، ومَنْ فَارَقَهَا هَوى، ومَنْ تَمَسَّكَ بِهَا نَجَا.

نَحْنُ الْخُزَّانُ لدينِ اللَّهِ، ونَحْنُ مَصَابِيحُ الْعِلْمِ، إِذَا مَضى مِنَّا عَلَمٌ بَدَا عَلَمٌ.

لاَ يَضِلُّ مَنِ اتَّبَعَنَا، ولاَ يَهْتَدِي مَنْ أَنْكَرَنَا، ولاَ يَنْجُومَنْ أَعَانَ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا، ولاَ يُعَانُ مَنْ أَسْلَمَنَا، فَلاَ تَتَخَلَّوْا عَنَّا لِطَمَعٍ فِي دُنْيَا، وحُطَامٍ زَائِلٍ عَنْكُمْ وأَنْتُمْ تَزُولُونَ عَنْهُ.

فَإِنَّ مَنْ آثَرَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ واخْتَارَهَا عَلَيْنَا عَظُمَتْ حَسْرَتُهُ غَداً، وذَلِكَ قَوْلُ اللهِ - عز وجل -: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وإِنْ كُنْتُ

لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

نَحْنُ بَابُ الْجَنَّة إِذَا بُعِثُوا وضَاقَتْ بِهِمُ الْمَذَاهِبُ.

ونُحْنُ بَابُ حِطَّة وهُوبَابُ السَّلاَمِ، مَنْ دَخَلَهُ نَجَا، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ هَوى.

أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، والْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ الظَّلَمَة، فَبي يَلُوذُ الْمُؤْمِنُون، وبِهذَا يَلُوذُ الْمُنَافِقُونَ.

واللَّه لاَ يُحِبُّني إِلاَّ مُؤْمِنٌ، ولاَ يُبْغِضُني إِلاَّ مُنَافِقٌ.

أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله ومَعَهُ عِتْرَتُهُ وسِبْطَاهُ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ أَرَادَنَا فَلْيَأْخُذْ بِقَوْلِنَا، ولْيَعْمَلْ بِعَمَلِنَا، فَإِنَّ لِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ نَجِيبٌ، ولَنَا شَفَاعَةٌ، ولأَهْلِ مَوَدَّتِنَا شَفَاعَةٌ.

فَتَنَافَسُوا في لِقَائِنَا عَلَى الْحَوْضِ، فَإِنَّا لَنَذُودُ عَنْهُ أَعْدَاءَنَا، ونَسْقِي مِنْهُ أَحِبَّاءَنَا وأَوْلِيَاءَنَا، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً.

وحَوْضُنَا مُتَّرِعٌ فيه مَثْعَبَان يَنْصَبَّان مِنَ الْجَنَّة: أَحَدُهُمَا تَسْنِيم، والآخَرُ مَعِين.

عَلى حَافَتَيْه الزَّعْفَرَانُ، وحَصَاهُ اللُّؤْلُؤُ والْيَاقُوتُ، وهُوالْكَوْثَرُ.

فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلى مَا اخْتَصَّكُمْ بِه مِنْ بَادِي النِّعَمِ وعَلى طِيبِ الْوِلاَدَة.

نَحْنُ أَهْلُ بَيْت بِنَا مَيَّزَ اللَّهُ الْكَذِبَ، وبِنَا فَتَحَ الله - جَلَّ وعَزَّ -، وبِنَا يَخْتِمُ اللَّهُ. ، وبِنَا يَمْحُواللَّهُ مَا يَشَاءُ وبِنَا يُثْبِتُ، وبِنَا يَدْفَعُ اللَّهُ الزَّمَانَ الْكَلِب، وبِنَا يَنْزِعُ اللَّهُ رِبْقَ الذُّلِّ، وبِنَا يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، فَاعْتَبِرُوا بِنَا وبِعَدُوِّنَا، وبِهُدَانَا وبِهُدَاهُمْ، وبِسِيرَتِنَا وبِسِيرَتِهِمْ، وبِمِيتَتِنَا وبِمِيتَتِهِمْ، ولا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّه الْغَرُورُ.

إِنَّ ذِكْرَنَا أَهْلَ الْبَيْت شِفَاءٌ مِنَ الْعِلَلِ والأَسْقَامِ ووَسْوَاسِ الرِّيب، وإِنَّ حُبَّنَا رِضَى الرَّبِّ- عز وجل -، والآخِذُ بِأَمْرِنَا وطَرِيقَتِنَا ومَذْهَبِنَا مَعَنَا غَداً في حَظِيرَةِ الْفِرْدَوْسِ، والْمُنْتَظِرُ لأَمْرِنَا كَالْمُتَشَحِّط بِدَمِه في سَبِيلِ اللَّه.

إِنَّ الله - تَبَارَكَ وتَعَالَى - اطَّلَعَ إِلَى الأَرْضِ فَاخْتَارَنَا، واخْتَارَ لَنَا شِيعَةً يَنْصُرُونَنَا،

وَيَفْرَحُونَ بِفَرَحِنَا، وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا، وَيَبْذُلُونَ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِينَا، فَأُولَئِكَ مِنَّا وَإِلَيْنَا، وَهُمْ مَعَنَا فِي الْجَنَّةِ.

مَا مِنْ شِيعَتِنَا أَحَدٌ يُقَارِفُ أَمْراً نَهَيْنَاهُ عَنْهُ فَيَمُوتُ حَتَّى يُبْتَلَى بِبَلِيَّةٍ تُمَحَّصُ بِهَا ذُنُوبُهُ، إِمَّا فِي مَالٍ وَإِمَّا فِي وَلَدٍ، وَإِمَّا فِي نَفْسِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ - عز وجل - وَمَا لَهُ ذَنْبٌ، وَإِنَّهُ لَيَبْقَى عَلَيْهِ الشَّيْءُ مِنْ ذُنُوبِهِ، فَيُشَدَّدُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَتُمَحَّصُ ذُنُوبُهُ.

الْمَيِّتُ مِنْ شِيعَتِنَا صِدِّيقٌ شَهِيدٌ، صَدَّقَ بِأَمْرِنَا، وَأَحَبَّ فِينَا، وَأَبْغَضَ فِينَا. يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ - عز وجل -، مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ.

قَالَ اللهُ - عز وجل -: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾.

شِيعَتُنَا بِمَنْزِلَةِ النَّحْلِ فِي الطَّيْرِ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الطَّيْرِ إِلاَّ وَهُوَ يَسْتَضْعِفُهَا، وَلَوْ أَنَّ الطَّيْرَ تَعْلَمُ مَا فِي جَوْفِ النَّحْلِ مِنَ الْبَرَكَةِ مَا بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلاَّ أَكَلَتْهُ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ عَلِمُوا مَا فِي أَجْوَافِكُمْ أَنَّكُمْ تُحِبُّونَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَأَكَلُوكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ.

كُلُّ عَيْنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَاكِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاهِرَةٌ، إِلاَّ عَيْنٌ مَنِ اخْتَصَّهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَبَكَى عَلَى مَا يُنْتَهَكُ مِنَ الْحُسَيْنِ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ.

إِفْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، اثْنَتَانِ وَسَبْعِينَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ -: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ. وَهُمْ أَنَا وَشِيعَتِي**﴾.

مَنْ أَذَاعَ سِرَّنَا أَذَاقَهُ اللَّهُ بَأْسَ الْحَدِيدِ.

إِذَا سَمِعْتُمْ مِنْ حَدِيثِنَا مَا لاَ تَعْرِفُونَ فَرُدُّوهُ إِلَيْنَا وَقِفُوا عِنْدَهُ، وَسَلِّمُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْحَقُّ، وَلاَ تَكُونُوا مَذَايِيعَ عُجَّلًا.

إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَنْظُرُونَ إِلَى مَنَازِلِ شِيعَتِنَا كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ إِلَى الْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ الَّذِي فِي أُفُقِ السَّمَاءِ.

مَنْ شَهِدَنَا في حَرْبِنَا، أوسَمِعَ دَاعِيَتَنَا، فَلَمْ يَنْصُرْنَا، أكَبَّهُ اللَّهُ عَلى مِنْخَرَيْهِ فِي النَّارِ.

إِحْذَرُوا السَّفَلَةَ، فَإِنَّ السَّفَلَةَ لاَ يَخَافُ [ونَ] الله - جَلَّ وعَزَّ -، فيهِمْ قَتَلَهُ الأَنْبِيَاءِ، وفيهِمْ أَعْدَاؤُنَا.

لاَ يَخْرُجُ الْمُسْلِمُ فِي الْجِهَادِ مَعَ مَنْ لاَ يُؤْمَنُ عَلَى الْحُكْمِ، ولاَ يُنَفِّذُ فِي الْفِئَةِ أَمْرَ الله - جَلَّ وعَزَّ -، فَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ كَانَ مُعِيناً لِعَدُوِّنَا فِي حَبْسِ حُقُوقِنَا، والإِشَاطَةِ بِدِمَائِنَا، ومِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ.

مَا أَنْزَلَتِ السَّمَاءُ مِنْ قَطْرَةِ مَاءٍ مُنْذُ حَبَسَهُ الله - عز وجل -، ولَوقَدْ قَامَ قَائِمُنَا لأَنْزَلَتِ السَّمَاءُ قَطْرَهَا، ولأَخْرَجَتِ الأَرْضُ نَبَاتَهَا، ولَذَهَبَتِ الشَّحْنَاءُ مِنْ قُلُوبِ الْعِبَادِ، واصْطَلَحَتِ السِّبَاعُ والْبَهَائِمُ، حَتَّى تَمْشِيَ الْمَرْأَةُ بَيْنَ الْعِرَاقِ والشَّامِ لاَ تَضَعُ قَدَمَيْهَا إِلاَّ عَلَى النَّبَاتِ وعَلَى رَأْسِهَا زَنْبِيلُهَا، لاَ يُهَيِّجُهَا سَبُعٌ ولاَ تَخَافُهُ.

مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً، ومَنْ تَوَلاَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَلْبَسْ لِلْمِحَنِ إِهَاباً.

مَنْ أَحَبَّنَا بِقَلْبِهِ، وأَعَانَنَا بِلِسَانِهِ، وقَاتَلَ مَعَنَا أَعْدَاءَنَا بِيَدِهِ فَهُوَمَعَنَا فِي الْجَنَّةِ فِي دَرَجَتِنَا.

ومَنْ أَحَبَّنَا بِقَلْبِهِ، وأَعَانَنَا بِلِسَانِهِ، ولَمْ يُقَاتِلْ مَعَنَا أَعْدَاءَنَا بِيَدِهِ، فَهُوَأَسْفَلُ مِنْ ذَلِكَ بِدَرَجَةٍ.

ومَنْ أَحَبَّنَا بِقَلْبِهِ، ولَمْ يُعِنَّا بِلِسَانِهِ ولاَ بِيَدِهِ، فَهُوفِي الْجَنَّةِ.

ومَنْ أَبْغَضَنَا بِقَلْبِهِ، وأَعَانَ عَلَيْنَا بِلِسَانِهِ ويَدِهِ، فَهُومَعَ عَدُوِّنَا فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ النَّارِ.

ومَنْ أَبْغَضَنَا بِقَلْبِهِ، وأَعَانَ عَلَيْنَا بِلِسَانِهِ ولَمْ يُعِنْ عَلَيْنَا بِيَدِهِ، فَهُوفَوْقَ ذَلِكَ بِدَرَجَةٍ.

ومَنْ أَبْغَضَنَا بِقَلْبِهِ، ولَمْ يُعِنْ عَلَيْنَا بِلِسَانِهِ ولاَ بِيَدِهِ، فَهُوفِي النَّارِ.

لَوتَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ فِي مُقَامِكُمْ بَيْنَ أَعْدَائِكُمْ، وصَبْرِكُمْ عَلَى مَا تَسْمَعُونَ مِنَ الأَذَى

لَقَرَّتْ أَعْيُنُكُمْ.

ولَوقَدْ فَقَدْتُمُونِي لَرَأَيْتُمْ مِنْ بَعْدِي أُمُوراً يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِمَّا يَرى مِنْ أَهْلِ الْجُحُودِ والْعُدْوَانِ والأَثَرَةِ والاسْتِخْفَافِ بِحَقِّ اللهِ - تَعَالى ذِكْرُهُ - والْخَوْفِ عَلى نَفْسِهِ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ولاَ تَفَرَّقُوا، وعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ والصَّلاَةِ والتَّقِيَّةِ.

إِعْلَمُوا أَنَّ صَالِحِي عَدُوِّكُمْ يُرَائِي بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وذَلِكَ أَنَّ اللهَ - عز وجل - لاَ يُوَفِّقُهُمْ، ولاَ يَقْبَلُ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً.

واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ - عز وجل - يُبْغِضُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَلَوِّنَ، فَلاَ تَزُولُوا عَنِ الْحَقِّ وولاَيَةِ أَهْلِ الْحَقِّ، فَإِنَّ مَنِ اسْتَبْدَلَ بِنَا هَلَكَ، وفَاتَتْهُ الدُّنْيَا، وخَرَجَ مِنْهَا آثِماً بِحَسْرَةٍ.

لَيْسَ عَمَلٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ - عز وجل - مِنَ الصَّلاَةِ، فَلاَ يَشْغَلَنَّكُمْ عَنْ أَوْقَاتِهَا شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ - عز وجل - ذَمَّ أَقْوَاماً اسْتَهَانُوا بِأَوْقَاتِهَا فَقَالَ: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ يَعْنِي أَنَّهُمْ غَافِلُونَ**﴾.

لاَ يَتَوَضَّأُ الرَّجُلُ حَتَّى يُسَمِّيَ، يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ الْمَاءَ: بِسْمِ اللَّهِ وبِاللَّهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، واجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ.

فَإِذَا فَرَغَ مِنْ طُهُورِهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ.

فَعِنْدَهَا يَسْتَحِقُّ الْمَغْفِرَةَ.

الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ، فَمَنْ نَامَ فَلْيَتَوَضَّأْ.

إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًا وإِدْبَاراً، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ، وإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ.

إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا.

لاَ تَقْضُوا النَّافِلَةَ فِي وَقْتِ الْفَرِيضَةِ، ولكن ابْدَؤُوا بِالْفَرِيضَةِ ثُمَّ صَلُّوا مَا بَدَا لَكُمْ، [فَإِنَّهُ] لاَ قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ ولاَ يُصَلِّي الرَّجُلُ نَافِلَةً فِي وَقْتِ فَرِيضَةٍ، ولاَ يَتْرُكُهَا إِلاَّ مِنْ عُذْرٍ، ولكِنْ يَقْضِي بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَمْكَنَهُ الْقَضَاءَ. فَإِنَّ الله - عز وجل - يَقُولُ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ، يَعْنِي الَّذِينَ يَقْضُونَ مَا فَاتَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ، ومَا فَاتَهُمْ مِنَ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ﴾.

مَنْ أَتَى الصَّلاَةَ عَارِفاً بِحَقِّهَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ.

ولاَ يَقُومَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ مُتَكَاسِلًا ولاَ مُتَقَاعِساً ونَاعِساً.

لِيُقِلَّ الْعَبْدُ الْفِكْرَ فِي نَفْسِهِ إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَإِنَّمَا لَهُ مِنْ صَلاَتِهِ مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ.

لاَ يَلْتَفِتَنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا الْتَفَتَ فِيهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: إِلَيَّ- عَبْدِي-، [أَنَا] خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ.

إِذَا قَامَ الرَّجُلُ إِلَى الصَّلاَةِ أَقْبَلَ إِبْلِيسُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ حَسَداً لِمَا يَرَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي تَغْشَاهُ.

إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَلْيُصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ.

إِذَا افْتَتَحَ أَحَدُكُمُ الصَّلاَةَ فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ بِحِذَاءِ صَدْرِهِ.

إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ الله - جَلَّ جَلاَلُهُ - فَلْيَتَحَرَّى بِصَدْرِهِ، ولْيُقِمْ صُلْبَهُ ولاَ يَنْحَنِي.

لاَ يَقْطَعُ الصَّلاَةَ التَّبَسُّمُ، وتَقْطَعُهَا الْقَهْقَهَةُ، والالْتِفَاتُ الْفَاحِشُ يَقْطَعُ الصَّلاَةَ، ويَنْبَغِي لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَنْ يَبْتَدِئَ الصَّلاَةَ بِالأَذَانِ والإِقَامَةِ والتَّكْبِيرِ.

إِذَا غَلَبَتْكَ عَيْنُكَ وأَنْتَ فِي الصَّلاَةِ فَاقْطَعْهَا ونَمْ، فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي تَدْعُولَكَ أوعَلى نَفْسِكَ، لَعَلَّكَ أَنْ تَدْعُوعَلى نَفْسِكَ.

لاَ يَجْمَعِ الْمُؤْمِنُ يَدَيْهِ فِي الصَّلاَةِ وهُوقَائِمٌ بَيْنَ يَدَيِ الله - عز وجل - يَتَشَبَّهُ بِأَهْلِ

الْكُفْرِ، يَعْنِي الْمَجُوسَ.

لِيَخْشَعِ الرَّجُلُ في صَلاَتِه، فَإِنَّهُ مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ للَّهِ- عز وجل - فِي الرَّكْعَةِ خَشَعَتْ جَمِيعُ جَوَارِحُهُ، فَلاَ يَعْبَثْ بِشَيْءٍ في صَلاَةٍ.

لاَ يَعْبَثْ أَحَدُكُمْ بِلِحْيَتِه فِي الصَّلاَةِ، ولاَ بِمَا يَشْغَلُهُ عَنْهَا.

إِذَا صَلَّيْتَ وَحْدَكَ فَأَسْمِعْ نَفْسَكَ الْقِرَاءَةَ والتَّكْبِيرَ والتَّسْبِيحَ.

إِذَا أَصَابَ أَحَدُكُمْ الدَّابَّةَ وهُوفي صَلاَتِه فَلْيَدْفُنْهَا ويَتْفِلْ عَلَيْهَا، أَويَضُمَّهَا في ثَوْبِهِ حَتَّى يَنْصَرِفَ.

لاَ يَجُوزُ السَّهْوفي خَمْسٍ: فِي الْوَتْرِ.

والْجُمُعَةِ.

والرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ مِنْ كُلِّ صَلاَةٍ مَفْرُوضَةٍ الَّتي تَكُونُ فيهِمَا الْقِرَاءَةُ.

وفِي الصُّبْحِ.

وفِي الْمَغْرِبِ.

لاَ يُصَلِّي الرَّجُلُ فِي قَمِيصٍ مُتَوَشِّحاً بِه، فَإِنَّهُ مِنْ فِعَالِ قَوْمِ لُوطٍ تَجْزِي الصَّلاَةُ لِلرَّجُلِ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ، يَعْقِدُ طَرَفَيْهِ عَلى عُنُقِه، وفِي الْقَمِيصِ الصَّفِيقِ يُزِرُّهُ عَلَيْهِ.

لاَ يَسْجُدُ الرَّجُلُ عَلى صُورَةٍ، ولاَ عَلى بِسَاطٍ فِيهِ صُورَةٌ، ويَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، أَويَطْرَحَ عَلَيْهَا مَا يُوارِيهَا.

ولاَ يَعْقِدُ الرَّجُلُ الدِّرْهَمَ الَّذي فيهِ الصُّورَةُ في ثَوْبِهِ وهُويُصَلِّي، ويَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الدِّرْهَمُ في هِمْيَانٍ أَوفي ثَوْبٍ إِذَا خَافَ، ويَجْعَلَهَا في ظَهْرِهِ.

لاَ يَسْجُدُ الرَّجُلُ عَلى كَدْسِ حُنْطَةٍ، ولاَ عَلى شَعِيرٍ، ولاَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا يُؤْكَلُ، ولاَ يَسْجُدُ عَلَى الْخُبْزِ.

لِيَرْفَعِ السَّاجِدُ مُؤَخَّرَهُ في الصَّلاَةِ الْفَرِيضَةِ إِذَا سَجَدَ.

أَطِيلُوا السُّجُودَ، فَمَا مِنْ عَمَلٍ أَشَدُّ عَلى إِبْلِيسَ مِنْ أَنْ يَرَى ابْنَ آدَمَ سَاجِداً، لأَنَّهُ

أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَعَصى، وهذَا أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَأَطَاعَ فَنَجَا.

أَعْطُوا كُلَّ سُورَةٍ حَقَّهَا مِنَ الرُّكُوعِ والسُّجُودِ إِذَا كُنْتُمْ فِي الصَّلاَةِ.

إِجْلِسُوا بَعْدَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّى تَسْكُنَ جَوَارِحُكُمْ ثُمَّ قُومُوا، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِنَا.

لَوِيَعْلَمُ الْمُصَلِّي مَا يَغْشَاهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا انْفَتَلَ، ولاَ سَرَّهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ.

الْقُنُوتُ فِي كُلِّ صَلاَةٍ ثُنَائِيَّةٍ قَبْلَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، إِلاَّ الْجُمُعَةَ فَإِنَّ فِيهَا قُنُوتَانِ: أَحَدُهُمَا قَبْلَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولى، والآخَرُ بَعْدَهُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ.

الْقِرَاءَةُ فِي الْجُمُعَةِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولى بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وفِي الثَّانِيَةِ الْحَمْدُ والْمُنَافِقُونَ.

إِذَا قَرَأْتُمْ مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ الأَخِيرَةَ شَيْئاً فَقُولُوا: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلى.

وإِذَا قَرَأْتُمْ: إِنَّ اللَّهَ ومَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ فِي الصَّلاَةِ كُنْتُمْ أوفي غَيْرِهَا.

إِذَا قَالَ الْعَبْدُ فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ مِنَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، ثُمَّ أَحْدَثَ حَدَثاً، فَقَدْ تَمَّتْ صَلاَتُهُ.

لاَ يَنْفَتِلُ الْعَبْدُ مِنْ صَلاَتِهِ حَتَّى يَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، ويَسْتَجِيرَ بِهِ مِنَ النَّارِ، ويَسْأَلَهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ.

إِذَا انْفَتَلْتَ مِنْ صَلاَتِكَ فَانْفَتِلْ عَنْ يَمِينِكَ.

إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ الصَّلاَةِ فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، ولْيَنْصِبْ فِي الدُّعَاءِ.

فقال عبد الله ابن سبأ: يا أمير المؤمنين، أليس الله بكلّ مكان.

فقال عليه السلام: بَلى.

قال: فلِمَ نرفع أيدينا إلى السّماء.

فقال عليه السلام: وَيْحَكَ، أَمَا تَقْرَأُ: ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وما تُوعَدُونَ﴾.

فَمِنْ أَيْنَ يُطْلَبُ الرِّزْقُ إلاَّ مِنْ مَوْضِعِه.

ومَوْضِعُ الرِّزْقِ ومَا وَعَدَ الله - عز وجل - السَّمَاءُ.

ثم قال عليه السلام: إذَا فَرَغَ الرَّجُلُ مِنْ صَلاَتِه فَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ، ولْيَسْأَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ، ويَسْتَجِرْ بِه مِنَ النَّارِ، ويَسْأَلُهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ رَجَعَتْ دَعْوَتُهُ، ومَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ سَمِعَهُ النَّبِيُّ، ورُفِعَتْ دَعْوَتُهُ.

ومَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ سَمِعَتِ الْجَنَّةُ فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَعْطِ عَبْدَكَ مَا سَأَلَ.

ومَنِ اسْتَجَارَ بِه مِنَ النَّارِ قَالَتِ النَّارُ: يَا رَبِّ، أَجِرْ عَبْدَكَ مِمَّا اسْتَجَارَكَ مِنْهُ.

ومَنْ سَأَلَ الْحُورَ الْعِينَ سَمِعَتِ الْحُورُ الْعِينُ فَقُلْنَ: اللَّهُمَّ أَعْطِ عَبْدَكَ مَا سَأَلَ.

مَا عُبِدَ الله - جَلَّ وعَزَّ - بِشَيْءٍ هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْمَشْيِ إلى بَيْتِه لِلصَّلاَةِ.

مَنْ أَكَلَ شَيْئاً مِنَ الْمُؤْذِيَاتِ بِرِيحِهَا فَلاَ يَقْرَبَنَّ الْمَسْجِدَ.

ولاَ يَقْرَأُ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ إذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ حَتَّى يَتَطَهَّرَ.

إذَا أَرَدْتُمُ الْحَجَّ فَتَقَدَّمُوا فِي شِرَاءِ بَعْضِ حَوَائِجِكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ بِبَعْضِ مَا يُقَوِّيكُمْ عَلَى السَّفَرِ، فَإِنَّ الله - تَبَارَكَ وتَعَالَى - قَالَ: ولَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً.

إذَا حَجَجْتُمْ إلى بَيْتِ الله - عز وجل - فَأَكْثِرُوا النَّظَرَ إلى بَيْتِ اللَّه، فَإِنَّ لِلَّه مِائَةً وعِشْرِينَ رَحْمَةً عِنْدَ بَيْتِه الْحَرَامِ، مِنْهَا سِتُّونَ لِلطَّائِفِينَ، وأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ، وعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ.

أَقِرُّوا بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ عِنْدَ الْمُلْتَزَمِ بِمَا حَفِظْتُمُوهُ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ومَا لَمْ تَحْفَظُوهُ فَقُولُوا: مَا حَفِظْتَهُ يَا رَبِّ عَلَيْنَا ونَسِينَاهُ فَاغْفِرْهُ لَنَا، فَإِنَّهُ مَنْ أَقَرَّ بِذُنُوبِه فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وعَدَّدَهَا وذَكَرَهَا واسْتَغْفَرَ الله - جَلَّ وعَزَّ - مِنْهَا كَانَ حَقّاً عَلَى الله - عز وجل - أَنْ يَغْفِرَهَا لَهُ.

الْحَاجُّ والْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّه، وحَقٌّ عَلَى اللَّه أنْ يُكْرِمَ وَفْدَهُ، ويَحْبُوَهُ بالْمَغْفِرَة.

الصَّلاَةُ فِي الْحَرَمَيْنِ تَعْدِلُ أَلْفَ صَلاَة. ودِرْهَمٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ فِي الْحَجِّ يَعْدِلُ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

الاطِّلاَعُ فِي بِئْرِ زَمْزَمَ يَذْهَبُ بالدَّاء، فَاشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا مِمَّا يَلِي الرُّكْنَ الَّذي فيه الْحَجَرُ الأَسْوَدُ، [فَإِنَّ] مَاءَ زَمْزَمَ خَيْرُ مَاء عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وشَرُّ مَاء عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَاءُ بَرَهُوت الَّتي بِحَضْرَ مُوتَ، تَرِدُهُ هَامُّ الْكُفَّار.

لاَ تَخْرُجُوا بِسُيُوفِكُمْ إِلَى الْحَرَمِ، ولاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ وبَيْنَ يَدَيْهِ سَيْفٌ، فَإِنَّ الْقِبْلَةَ أَمْنٌ.

أَلِمُّوا بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ حَجَّكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ إِلَى بَيْتِ اللَّه، فَإِنَّ تَرْكَهُ جَفَاءٌ.

وبِذَلِكَ أُمِرْتُمْ.

إِذَا قَدِمَ أَخُوكَ مِنْ مَكَّةَ فَقَبِّلْ عَيْنَهُ الَّتي نَظَرَ بِهَا إِلى بَيْتِ الله - عز وجل -، وفَمَهُ الَّذي قَبَّلَ بِهِ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ الَّذي قَبَّلَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ. وقَبِّلْ مَوْضِعَ سُجُودِهِ وجَبْهَتَهُ.

وإِذَا هَنَّأْتُمُوهُ فَقُولُوا لَهُ: قَبِلَ اللَّهُ نُسُكَكَ، وشَكَرَ سَعْيَكَ، وأَخْلَفَ عَلَيْكَ نَفَقَتَكَ، ولاَ جَعَلَهُ آخِرَ عَهْدِكَ بِبَيْتِهِ الْحَرَامِ.

أَطْلُبُوا الْخَيْرَ فِي أَعْنَاقِ الإِبِلِ وأَخْفَافِهَا، صَادِرَةً وَوَارِدَةً.

أَبْعَدُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ اللَّه إِذَا كَانَ هَمُّهُ بَطْنَهُ وفَرْجَهُ.

رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لاَ يَدْفَعُهُ إِلاَّ الشَّرُّ.

أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّه وقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ الْعُقُوبَةَ.

وإِذَا حَلَفَ بِاللَّه الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَلَمْ يُعَاجَلْ، لأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَهُ- سُبْحَانَهُ وتَعَالى-.

إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ، لِمَا مَضى، إِذَا قَبَضَهُ.

الْغِنَاءُ نَوْحُ إِبْلِيسَ عَلَى الْجَنَّة.

أُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُطْلِيَ فِي كُلِّ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً مَرَّةً بِالنُّورَة.

لاَ يَنَامُ الْمُسْلِمُ وهُوَجُنُبٌ، ولاَ يَنَامُ إِلاَّ عَلى طُهُور، فَإِنْ لَمْ يَجِد الْمَاءَ فَلْيَتَيَمَّمْ بِالصَّعِيد. فَإِنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ تُرفَعُ إِلَى الله - عز وجل - فَيَقْبَلُهَا ويُبَارِكُ عَلَيْهَا، فَإِنْ كَانَ أَجَلُهَا قَدْ حَضَرَ جَعَلَهَا فِي صُورَةِ حَسَنَةٍ فِي كُنُوزِ رَحْمَتِه، وإِنْ لَمْ يَكُنْ أَجَلُهَا قَدْ حَضَرَ بَعَثَ بِهَا مَعَ أُمَنَائِه مِنَ الْمَلاَئِكَة فَيَرُدُّونَهَا فِي جَسَدِه.

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ الْغَسْلَ فَلْيَبْدَأْ بِذِرَاعَيْه فَلْيَغْسِلْهُمَا.

إِذَا خَرَجَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْحَمَّامِ فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ: طَابَ حَمَّامُكَ وحَمِيمُكَ، فَلْيَقُلْ: أَنْعَمَ اللَّهُ بَالَكَ.

وإِذَا قَالَ لَهُ: حَيَّاكَ اللَّهُ بِالسَّلاَمِ، فَلْيَقُلْ لَهُ: وأَنْتَ فَحَيَّاكَ اللَّهُ بِالسَّلاَمِ، وأَحَلَّكَ دَارَ الْمُقَامِ.

لِلْوُضُوءِ بَعْدَ الطُّهْرِ عَشْرُ حَسَنَات، فَتَطَهَّرُوا.

لاَ يَنَامُ الرَّجُلُ عَلى وَجْهِه، ومَنْ رَأَيْتُمُوهُ عَلى وَجْهِه فَأَنْبِهُوهُ ولاَ تَدَعُوهُ.

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ النَّوْمَ فَلْيَضَعْ يَدَهُ الْيُمْنى تَحْتَ خَدِّه الأَيْمَنِ ولْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّه وَضَعْتُ جَنْبِي لِلَّه عَلى مِلَّة إِبْرَاهِيمَ ودِينِ مُحَمَّدٍ وولاَيَةِ مَنِ افْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

فَمَنْ قَالَ ذَلِكَ عِنْدَ مَنَامِه حُفِظَ مِنَ اللُّصِّ والْمُغِيرِ والْهَدْمِ، واسْتَغْفَرَتْ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى يَنْتَبِهَ.

ومَنْ قَرَأَ: قُلْ هُواللَّهُ أَحَدٌ حِينَ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ وكَّلَ الله - عز وجل - بِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ مَلَك يَحْرُسُونَهُ لَيْلَتَهُ.

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ النَّوْمَ فَلاَ يَضَعَنَّ جَنْبَهُ حَتَّى يَقُولَ: أُعِيذُ نَفْسِي وأَهْلِي ودِينِي

ومَالي وولَدي وخَوَاتيمَ عَمَلي، ومَا رَزَقَني رَبّي وخَوَّلَني، بعزَّة اللَّه، وعَظَمَة اللَّه، وجَبَرُوت اللَّه، وسُلْطَان اللَّه، ورَحْمَة اللَّه، ورَأفَة اللَّه، وغُفْرَان اللَّه، وقُوَّة اللَّه، وقُدْرَة اللَّه، وجَلاَل اللَّه، ولاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وأرْكَان اللَّه، وصُنْع اللَّه، وجَمْع اللَّه، وبرَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، وبقُدْرَته عَلى مَا يَشَاءُ، منْ شَرِّ السَّامَّة والْهَامَّة، ومنْ شَرِّ الْجنِّ والإنْس، ومنْ شَرِّ مَا يَدُبُّ في الأَرْض ومَا يَخْرُجُ منْهَا، ومنْ شَرِّ مَا يَنْزلُ منَ السَّمَاء ومَا يَعْرُجُ فيهَا، ومنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّة أنْتَ آخذٌ بنَاصيَتهَا، إنَّ رَبّي عَلى صرَاطٍ مُسْتَقيمٍ، وهُوعَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه الْعَظيمِ.

فَإنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ كَانَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ والْحُسَيْنَ بهَا، وبذلكَ أمَرَنَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

إذَا انْتَبَهَ أحَدُكُمْ منْ نَوْمه فَلْيَقُلْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ الْحَليمُ الْكَريمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وهُوعَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ. سُبْحَانَ رَبِّ النَّبيِّينَ وإله الْمُرْسَلينَ، وسُبْحَانَ رَبِّ السَّموَات السَّبْعِ ومَا فيهنَّ، ورَبِّ الأَرَضينَ السَّبْعِ ومَا فيهنَّ، ورَبِّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ، والْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ.

وإذَا جَلَسَ الْعَبْدُ منْ نَوْمه فَلْيَقُلْ، قَبْلَ أنْ يَقُومَ: حَسْبيَ اللَّهُ، حَسْبيَ الرَّبُّ منَ الْعبَاد. حَسْبيَ الَّذي هُوحَسْبي مُنْذُ كُنْتُ، حَسْبيَ اللَّهُ ونعْمَ الْوَكيلُ.

وإذَا قَامَ أحَدُكُمْ منَ اللَّيْل فَلْيَنْظُرْ إلى أكْنَاف السَّمَاء، ولْيَقْرَأْ: ﴿إنَّ في خَلْق السَّماوات والأَرْض واخْتلاف اللَّيْل والنَّهار لآيات، (إلى قَوْله)-: إنَّكَ لا تُخْلفُ الْميعادَ﴾.

مَنْ عَبَدَ الدُّنْيَا وآثَرَهَا عَلَى الآخرَة اسْتَوْخَمَ الْعَاقبَةَ.

مَنْ رَضيَ منَ الله - عز وجل - بمَا قَسَمَ لَهُ اسْتَرَاحَ بَدَنُهُ.

خَسرَ مَنْ ذَهَبَتْ حَيَاتُهُ وعُمُرُهُ فيمَا يُبَاعدُهُ منَ الله - عز وجل -.

مَا كَانَ لَكُمْ منْ رزْقٍ فَسَيَأتيكُمْ عَلى ضَعْفكُمْ، ومَا كَانَ عَلَيْكُمْ فَلَنْ تَقْدرُوا عَلى

دَفْعه بحيلَة، [فَـ] مُرُوا بالْمَعْرُوف، وانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، واصْبِرُوا عَلى مَا أَصَابَكُمْ.

الْمُؤْمِنُ يَقْظَانُ مُتَرَقِّبٌ خَائِفٌ يَنْتَظِرُ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ. ويَخَافُ الْبَلاَءَ حَذَراً مِنْ ذُنُوبِه، [وَ] يَرْجُورَحْمَةَ رَبِّه- عز وجل -.

لاَ يَعْرَى الْمُؤْمِنُ مِنْ خَوْفِه ورَجَائِه، يَخَافُ مِمَّا قَدَّمَ، ولاَ يَسْهُوعَنْ طَلَبِ مَا وَعَدَ اللَّهُ، ولاَ يَأْمَنُ مِمَّا خَوَّفَهُ الله - عز وجل -.

مَنْ كَانَ عَلى يَقِينٍ فَشَكَّ فَلْيَمْضِ عَلى يَقِينِه، فَإِنَّ الشَّكَّ لاَ يَدْفَعُ الْيَقِينَ ولاَ يَنْقُضُهُ.

ولاَ تَشْهَدُوا قَوْلَ الزُّورِ.

ولاَ تَجْلِسُوا عَلى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لاَ يَدْرِي مَتى يُؤْخَذُ.

لَيْسَ فِي شُرْبِ الْخَمْرِ والْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ تَقِيَّةٌ.

مُدْمِنُ الْخَمْرِ يَلْقَى الله - عز وجل - حينَ يَلْقَاهُ كَعَابِدِ وَثَنٍ.

فقال له حجر بن عديّ: يا أمير المؤمنين، مَن المُدمن للخمر.

فقال عليه السلام: الَّذي إِذَا وَجَدَهَا شَرِبَهَا.

ثم قال عليه السلام: مَنْ شَرِبَ مُسْكِراً لَمْ تُقْبَلْ صَلاَتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً ولَيْلَةً.

مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وهُويَعْلَمُ أَنَّهُ خَمْرٌ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، وإِنْ كَانَ مَغْفُوراً لَهُ.

مَنْ سَقَى صَبِيّاً مُسْكِراً وهُولاَ يَعْقِلُ حَبَسَهُ الله - تعالى- في طِينَةِ الْخَبَالِ حَتَّى يَأْتِيَ مِمَّا فَعَلَ بِمَخْرَجٍ.

إِنَّمَا سُمِّيَ نَبِيذُ السِّقَايَةِ لأَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ أُتِيَ بِزَبِيبٍ مِنَ الطَّائِفِ، فَأَمَرَ أَنْ يُنْبَذَ ويُطْرَحَ في مَاءِ زَمْزَمَ لأَنَّهُ مُرٌّ، فَأَرَادَ أَنْ يَكْسِرَ مَرَارَتَهُ. فَلاَ تَشْرَبُوا إِذَا عُتِّقَ.

لاَ يَخْرُجُ الرَّجُلُ في سَفَرٍ يَخَافُ فيه عَلى دينه وصَلاَته.

إِذَا رَكِبْتُمُ الدَّوَابَّ فَاذْكُرُوا الله - عز وجل -، وقُولُوا-: ﴿سُبْحانَ الَّذي سَخَّرَ

لَنا هذا وما كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ وإنَّا إلى ربِّنا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

وإذَا خَرَجَ أَحَدُكُمْ في سَفَرٍ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والْحَامِلُ عَلَى الظَّهْرِ، والْخَلِيفَةُ في الأَهْلِ والْمَالِ والْوَلَدِ.

وإذَا نَزَلْتُمْ فَقُولُوا: رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكاً وأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ.

مَنْ سَافَرَ مِنْكُمْ بِدَابَّةٍ فَلْيَبْدَأْ، حِينَ يَنْزِلُ، بِعَلْفِهَا وسَقْيِهَا.

لاَ تُسَافِرُوا في مُحَاقِ الشَّهْرِ، ولاَ إذَا كَانَ الْقَمَرُ في الْعَقْرَبِ لاَ تَضْرِبُوا الدَّوَابَّ عَلى وُجُوهِهَا، فَإِنَّهَا تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا.

مَنْ ضَلَّ مِنْكُمْ في سَفَرٍ، أوخَافَ عَلى نَفْسِه، فَلْيُنَادِ: يَا صَالِحُ أَغِثْنِي. فَإِنَّ في إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ جِنِّيّاً يُسَمَّى صَالِحاً يَسِيحُ في الْبِلاَدِ لِمَكَانِكُمْ، مُحْتَسِباً نَفْسَهُ لَكُمْ، فَإِذَا سَمِعَ الصَّوْتَ أَجَابَ وأَرْشَدَ الضَّالَّ مِنْكُمْ، وحَبَسَ عَلَيْهِ دَابَّتَهُ.

ومَنْ خَافَ مِنْكُمْ مِنَ الأَسَدِ عَلى نَفْسِه أودَابَّتِه وغَنَمِه فَلْيَخُطَّ عَلَيْهَا خِطَّةً ولْيَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ دَانْيَالَ والْجُبِّ، وكُلِّ أَسَدٍ مُسْتَأْسِدٍ، احْفَظْنِي واحْفَظْ غَنَمِي.

ومَنْ خَافَ مِنْكُمُ الْغَرَقَ فَلْيَقُلْ-: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها ومُرْساها إنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. بِسْمِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ ﴿وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه والْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ومَنْ خَافَ مِنْكُمُ الْعَقْرَبَ فَلْيَقْرَأْ-: ﴿سَلامٌ عَلى نُوحٍ في الْعالَمِينَ إنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

إذَا اشْتَكَى أَحَدُكُمْ عَيْنَيْهِ فَلْيَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، ولْيُضْمِرْ في نَفْسِه أَنَّهَا تُبْرِئُ، فَإِنَّهُ يُعَافَى إنْ شَاءَ اللَّهُ.

مَنْ كَتَمَ وَجَعاً أَصَابَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنَ النَّاسِ وشَكَى إلَى الله - سبحانه - كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعَافِيَهُ مِنْهُ.

إذَا أُخِذَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ قَذَاةٌ فَلْيَقُلْ: أَمَاطَ اللَّهُ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ.

إِذَا هَنَّأْتُمُ الرَّجُلَ عَنْ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ فَقُولُوا: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي هِبَتِهِ، وَبَلَّغَهُ أَشُدَّهُ، وَرَزَقَكَ بِرَّهُ.

إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ فَالْعَصَبَةُ أَوْلَى.

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الْخَلاَءَ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ. اللَّهُمَّ أَمِطْ عَنِّي الأَذَى، وَأَعِذْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

وَلْيَقُلْ إِذَا جَلَسَ: اللَّهُمَّ كَمَا أَطْعَمْتَنِيهِ طَيِّباً وَسَوَّغْتَنِيهِ فَاكْفِنِيهِ.

فَإِذَا نَظَرَ إِلَى حَدَثِهِ بَعْدَ فَرَاغِهِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الْحَلاَلَ، وَجَنِّبْنِي الْحَرَامَ. فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلاَّ وَقَدْ وَكَلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكاً يَلْوِي عُنُقَهُ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْحَلاَلَ، فَإِنَّ الْمَلَكَ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَذَا مَا حَرَصْتَ عَلَيْهِ، انْظُرْ مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَهُ، وَإِلَى مَاذَا صَارَ.

إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ، يَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَهْلٌ فَلْيَقُلْ: السَّلاَمُ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا، وَلْيَقْرَأْ: قُلْ هُوَاللَّهُ أَحَدٌ حِينَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ، فَإِنَّهُ يَنْفِي الْفَقْرَ.

تَزَوَّجُوا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَسْتَنَّ بِسُنَّتِي فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي التَّزْوِيجُ. وَاطْلُبُوا الْوَلَدَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ غَداً.

وَتَوَقُّوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ مِنْ لَبَنِ الْبَغِيِّ مِنَ النِّسَاءِ، وَالْمَجْنُونَةِ، فَإِنَّ اللَّبَنَ يُعْدِي.

أَفْضَلُ مَا يَتَّخِذُهُ الرَّجُلُ فِي مَنْزِلِهِ لِعِيَالِهِ الشَّاةَ.

فَمَنْ كَانَتْ فِي مَنْزِلِهِ شَاةٌ قَدَّسَتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً.

وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ اثْنَتَانِ قَدَّسَتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ.

وَكَذَلِكَ فِي الثَّلاَثِ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بُورِكَ فِيكُمْ.

لِتَطَيُّبِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ لِزَوْجِهَا.

إِذَا تَعَرَّى الرَّجُلُ نَظَرَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَطَمِعَ فِيهِ، فَاسْتَتِرُوا.

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَلْيَتَوَقَّ أَوَّلَ الأَهِلَّةَ، وأَنْصَافَ الشُّهُورِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَطْلُبُ الْوَلَدَ في هذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ. والشَّياطينُ يَطْلُبونَ الشِّرْكَ فيهِمَا، فَيجيئُونَ ويُحَبِّلُونَ.

يُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ لِقَوْلِ اللَّهِ -: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ﴾.

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَلاَ يُعَاجِلَنَّهَا، وَلْيَمْكُثْ يَكُنْ مِنْهَا مِثْلَ الَّذي يَكُونُ مِنْهُ، فَإِنَّ لِلنِّسَاءِ حَوَائِجُ.

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ غِشْيَانَ زَوْجَتِهِ فَلْيُقِلَّ الْكَلاَمَ، فَإِنَّ الْكَلاَمَ عِنْدَ ذَلِكَ يُورِثُ الْخَرَسَ.

لاَ يَنْظُرَنَّ أَحَدُكُم إِلى بَاطِنِ فَرْجِ امْرَأَتِه فَإِنَّهُ يُورِثُ الْبَرَصَ.

وإِذَا أَتى أَحَدُكُمْ زَوْجَتَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَحْلَلْتُ فَرْجَهَا بِأَمْرِكَ، وقَبِلْتُهَا بِأَمَانَتِكَ، فَإِنْ قَضَيْتَ مِنْهَا وَلَداً فَاجْعَلْهُ ذَكَراً سَوِيّاً، ولاَ تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ شِرْكاً ولاَ نَصِيباً.

سَمُّوا أَوْلاَدَكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَدْرُوا أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثى فَسَمُّوهُمْ بِالأَسْمَاءِ الَّتي تَكُونُ لِلذَّكَرِ والأُنْثى، فَإِنَّ أَسْقَاطَكُمْ إِذَا لَقُوكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولَمْ تُسَمُّوهُمْ يَقُولُ السِّقْطُ لأَبِيه: أَلاَ سَمَّيْتَنِي.

وقَدْ سَمَّى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله مُحْسِناً قَبْلَ أَنْ يُولَدَ.

حَنِّكُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالتَّمْرِ، فَهكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله بِالْحَسَنِ والْحُسَيْنِ.

إِخْتِنُوا أَوْلاَدَكُمْ يَوْمَ السَّابِعِ، ولاَ يَمْنَعُكُمْ حَرٌّ ولاَ بَرْدٌ، فَإِنَّهُ طُهْرٌ لِلْجَسَدِ، وإِنَّ الأَرْضَ لَتَضِجُّ إِلَى اللَّه مِنْ بَوْلِ الأَغْلَفِ.

عُقُّوا عَنْ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، وتَصَدَّقُوا إِذَا حَلَقْتُمْ رُؤُوسَهُمْ بِزِنَةِ شُعُورِهِمْ فِضَّةً عَلَى مُسْلِمٍ. كَذَلِكَ فَعَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ بِالْحَسَنِ والْحُسَيْنِ

وسائر وُلْده.

إغْسِلُوا صِبْيَانَكُمْ مِنَ الْغَمْرِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَشُمُّ الْغَمْرَ فَيَفْزَعُ الصَّبِيُّ في رُقَادِه، ويَتَأَذَّى به الْكَاتِبَان.

عَلِّمُوا صِبْيَانَكُمْ مَا يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ به، لاَ تَغْلِبْ عَلَيْهِمُ الْمُرْجِئَةُ برَأْيِهَا.

عَلِّمُوا صِبْيَانَكُمُ الصَّلاَةَ، وخُذُوهُمْ بِهَا إِذَا بَلَغُوا ثَمَانِيَ سِنِينَ.

إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ امْرَأَةً تُعْجِبُهُ فَلْيَلْقَ أَهْلَهُ، فَإِنَّ عِنْدَ أَهْلِه مِثْلُ الَّذي رَأَى. ولاَ يَجْعَلْ للشَّيْطَانِ عَلَى قَلْبِه سَبِيلًا. ولْيَصْرِفْ بَصَرَهُ عَنْهَا.

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ويَحْمَدِ اللَّهَ كَثِيراً، ويُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وآلِه ثُمَّ لِيَسْأَلِ اللَّهَ مِنْ فَضْلِه، فَإِنَّهُ يُبِيحُ لَهُ برَأْفَتِه مَا يُغْنِيه.

لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ أَوَّلُ نَظْرَةٍ، فَلاَ تُتْبِعُوهَا بِنَظْرَةٍ أُخْرَى، واحْذَرُوا الْفِتْنَةَ.

لَيْسَ في الْبَدَنِ شَيْءٌ أَقَلَّ شُكْراً مِنَ الْعَيْنِ، فَلاَ تُعْطُوهَا سُؤْلَهَا فَتَشْغَلَكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله - جَلَّ وعَزَّ -.

أَعْطِ السَّمْعَ أَرْبَعَةً في الدُّعَاءِ: الصَّلاَةَ عَلَى النَّبِيِّ وآلِه، واطْلُبْ مِنْ رَبِّكَ الْجَنَّةَ، والتَّعَوُّذَ مِنَ النَّارِ، وسُؤَالَكَ إِيَّاهُ الْحُورَ الْعِينَ.

أَصْنَافُ السُّكْرِ أَرْبَعَةٌ: سُكْرُ الشَّبَابِ، وسُكْرُ الْمَالِ، وسُكْرُ النَّوْمِ، وسُكْرُ الْمُلْكِ.

إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ في الشَّمْسِ فَلْيَسْتَدْبِرْهَا لِظَهْرِه، فَإِنَّهَا تُظْهِرُ الدَّاءَ الدَّفِينَ.

لاَ تُؤَخِّرُوا الْجَنَازَةَ إِذَا حَضَرَتْ.

مَنْ مَسَّ جَسَدَ مَيِّتٍ بَعْدَ مَا يَبْرُدُ لَزِمَهُ الْغُسْلُ، مَنْ غَسَّلَ مُؤْمِناً فَلْيَغْتَسِلْ بَعْدَ مَا يُلْبِسُهُ أَكْفَانَهُ، ولاَ يَمَسُّهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْغُسْلُ.

ولاَ تُجَمِّرُوا الأَكْفَانَ، ولاَ تُمِسُّوا مَوْتَاكُمُ الطِّيبَ إِلاَّ الْكَافُورَ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ بِمَنْزِلَةِ الْمُحْرِمِ.

مُرُوا أَهَالِيكُمْ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ عِنْدَ الْمَيِّتِ، فَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ لَمَّا قُبِضَ أَبُوهَا عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ أَشْعَرَهَا بَنَاتُ هَاشِمٍ. فَقَالَتْ: دَعُوا الْحِدَادَ، وعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ.

وصية له عليه السلام (٣)

لجابر بن عبد اللّه الأنصاري

يَا جَابِرُ، قِوَامُ الدِّينِ والدُّنْيَا بِأَرْبَعٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ.

وجَاهِلٍ لاَ يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ.

وجَوَادٍ لاَ يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ عَلَى أَهْلِ دِينِ اللهِ - عز وجل -.

وفَقِيرٍ لاَ يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ.

فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ.

[وَ] مَا أَخَذَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا.

وإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ رَجَعَتِ الدُّنْيَا إِلَى وَرَائِهَا الْقَهْقَرَى، [وَ] حَلَّ الْبَلاَءُ، وعَظُمَ الْعِقَابُ.

فَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ [عِنْدَ ذَلِكَ] يَا جَابِرُ.

إِنَّ اللهَ - سبحانه - عِبَاداً يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ.

مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ - تعالى -، وأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَى اللهِ - سبحانه -.

يَا جَابِرُ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ - عز وجل - فِيهَا بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ فَقَدْ عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ والْبَقَاءِ، ومَنْ لَمْ يَقُمْ لِلَّهِ -

سبحانه - فيها بمَا يَجِبُ فَقَدْ عَرَّضَهَا للزَّوَالِ والْفَنَاءِ.

ثم أنشأ عليه السلام:

مَـــا أَحْـــسَنَ الدُّنْـــيَا وإِقْـــبَالَهَا ... إِذَا أَطَـــاعَ اللَّـــهَ مَـــنْ نَالَهَـــا

مَـنْ لَـمْ يُـوَاسِ الـنَّاسَ مِـنْ فَـضْلِهِ ... عَـــرَّضَ لِلإِدْبَـــارِ إِقْـــبَالَهَا

فَاحْـــذَرْ زَوَالَ الْفَـــضْلِ يَـــا جَابِـــرُ ... واعْـــطِ مِـــنَ الدُّنْـــيَا لِمَـــنْ سَـــالَهَا

فَـــإِنَّ ذِي الْعَـــرْشِ جَـــزِيلُ الْعَطَـــا ... يُـــضْعِفُ بِالْجَـــنَّةِ أَمْـــثَالَهَا

وصية له عليه السلام (٤)

لمالك الأشتر رحمه الله

يَا مَالِكُ، احْفَظْ عَنِّي هذَا الْكَلاَمَ، وعِه.

يَا مَالِكُ، بَخَسَ مُرُوءَتَهُ مَنْ ضَعُفَ يَقِينُهُ، وأَزْرى بِنَفْسِه مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ، وأَفْسَدَ دِينَهُ مَنْ تَعَرَّى عَنِ الْوَرَعِ، ورَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّه، وهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَطْلَعَ عَلى سِرِّه، وأَهْلَكَهَا مَنْ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ.

الشَّرَهُ جَرَّارُ الْخَطَرِ، والْبُخْلُ عَارٌ، والْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ، والْعَجْزُ آفَةٌ، والْوَرَعُ جُنَّةٌ، والشُّكْرُ ثَرْوَةٌ، والصَّبْرُ شَجَاعَةٌ.

والْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ، والْبَخِيلُ ذَلِيلٌ بَيْنَ أَعِزَّتِهِ، والْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِه.

ونِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَا، والآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، ومَرْتَبَةُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ، وصَدْرُ الْعَاقِلِ خَزَانَةُ سِرِّه. والْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَحَبَّة، والاحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوب، والتَّثَبُّتُ حَزْمٌ.

الْمَوْعِظَةُ نَصِيحَةٌ شَافِيَةٌ، والْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ، والْعِلْمُ وِرَاثَةٌ جَلِيلَةٌ، ونِعْمَةٌ عَمِيمَةٌ، والْحِلْمُ سَجِيَّةٌ فَاضِلَةٌ.

الْمَسْأَلَةُ خَبْءُ الْعُيُوبِ.

وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ، وَمَنْ بَذَلَ مَعْرُوفَهُ كَثُرَ الرَّاغِبُ إِلَيْهِ.

مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ، وَمَنْ قَاتَلَ جَهْلَهُ بِعِلْمِهِ فَازَ بِالْحَظِّ الأَسْعَدِ، وَمَنْ ضَيَّعَهُ الأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الأَبْعَدُ.

مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظَلَمَ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ.

وَالصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ.

وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نَصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ.

وَالاعْتِبَارُ تَدَبُّرُ صُلْحٍ.

[يَا مَالِكُ،] ضَعْ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ.

وصية له عليه السلام (٥)

لعبد الله بن العباس عند استخلافه إيّاه على البصرة

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ - عز وجل -، وَالْعَدْلِ عَلَى مَنْ وَلاَّكَ اللَّهُ أَمْرَهُ.

سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ مَجْلِسَكَ وَحُكْمَكَ.

وَإِيَّاكَ وَالْهَوَى فَإِنَّهُ يَصُدُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

وَإِيَّاكَ وَالإِحَنَ فَإِنَّهَا تُمِيتُ الْقَلْبَ وَالْحَقَّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.

وَاذْكُرِ اللَّهَ كَثِيراً، وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

وصية له عليه السلام (٦)

لزياد بن أبيه وقد استخلفه لعبد اللّه بن العباس على فارس وأعمالها

إِسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ، واحْذَرِ الْعَسْفَ والْحَيْفَ.

فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلاَءِ، ويُعَجِّلُ الْعُقُوبَةَ والِانْتِقَامَ.

والْحَيْفَ يَدْعُوإِلَى السَّيْفِ.

وصية له عليه السلام (٧)

لمعقل بن قيس الرياحي

وصّاه بها حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدّمة:

يَا مَعْقِلُ، اتَّقِ اللَّهَ الَّذي لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، ولاَ مُنْتَهى لَكَ دُونَهُ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ.

ولاَ تَبْغِ عَلى أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

ولاَ تَظْلِمْ أَهْلَ الذِّمَّةِ.

ولاَ تَتَكَبَّرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ.

وسَكِّنِ النَّاسَ وأَمِّنْهُمْ.

ولاَ تُقَاتِلَنَّ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَكَ.

وسِرِ الْبَرْدَيْنِ.

وغَوِّرْ بِالنَّاسِ.

ورَفِّهْ فِي السَّيْرِ.

ولاَ تَسِرْ أوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وقَدَّرَهُ مُقَاماً لاَ ظَعْناً، فَأَرِحْ فيه بَدَنَكَ وجُنْدَكَ، ورَوِّحْ ظَهْرَكَ.

فَإِذَا وَقَفْتَ حينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ، أوحينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلى بَرَكَة اللَّه.

فَإِذَا القيتَ الْعَدُوفَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، ولاَ تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُومَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، ولاَ تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي.

وإِيَّاكَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَال، إِلاَّ أَنْ يَبْدَؤُوكَ، حَتَّى تَلْقَاهُمْ وتَسْمَعَ مِنْهُمْ.

ولاَ يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلى قِتَالِهِمْ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ والإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّة.

وصية له عليه السلام (٨)

لزياد بن النضر وشُريح بن هانئ

وصّى بها لمّا جعلهما على مقدمته إلى الشام يَا زِيَادُ، اتَّقِ اللَّهَ في كُلِّ صَبَاحٍ ومَسَاء، وخفْ عَلى نَفْسكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ، ولاَ تَأْمَنْهَا عَلى حَال مِنَ الْبَلاَء.

واعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ سَمَتْ بِكَ الأَهْوَاءُ إِلى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ حَتَّى تَطْعَنَ.

فَكُنْ لِنَفْسِكَ عَنِ الظُّلْمِ مَانِعاً رَادِعاً، ولِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً.

فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ هذَا الْجُنْدَ، فَلاَ تَسْتَذِلَّنَّهُمْ ولاَ تَسْتَطِيلَنَّ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.

وتَعَلَّمْ مِنْ عَالِمِهِمْ وعَلِّمْ جَاهِلَهُمْ، واحْلُمْ عَنْ سَفِيهِهِمْ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا تُدْرِكُ الْخَيْرَ بِالْعِلْمِ وكَفِّ الأَذى والْجَهْلِ.

يَا شُرَيْحُ، انْظُرْ إِلى أَهْلِ الشُّحِّ والْمَعْكِ، والْمَطَلِ والاضْطِهَادِ، ومَنْ يَدْفَعُ حُقُوقَ

النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَقْدِرَةِ والْيَسَارِ مِمَّنْ يُدْلي بأَمْوَالِ الْمُسْلِمينَ إِلَى الْحُكَّامِ، فَخُذْ للنَّاسِ بِحُقُوقِهِمْ مِنْهُمْ، وبِعْ فيهَا الْعِقَارَ والدِّيَارَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله يَقُولُ: مَطَلُ الْمُسْلِمِ الْمُوسِرِ ظُلْمٌ لِلْمُسْلِمِ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِقَارٌ ولاَ دَارٌ ولاَ مَالٌ فَلاَ سَبِيلَ عَلَيْه.

واعْلَمْ أَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْحَقِّ إِلاَّ مَنْ وَزَعَهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ.

[وَ] لاَ يُقِيمُ أَمْرَ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - إِلاَّ مَنْ لاَ يُصَانِعُ، ولاَ يُضَارِعُ، ولاَ يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ.

ثُمَّ وَاسِ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ بِوَجْهِكَ ومَنْطِقِكَ ومَجْلِسِكَ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ قَرِيبُكَ في حَيْفِكَ، ولاَ يَيْأَسَ عَدُوُّكَ مِنْ عَدْلِكَ.

ورُدَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعي مَعَ بَيِّنَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْلَى لِلْعَمى، وأَثْبَتُ فِي الْقَضَاءِ.

واعْلَمْ أَنَّ الْمُسْلِمينَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ، إِلاَّ مَجْلُوداً في حَدٍّ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ، أَومَعْرُوفاً بِشَهَادَةِ الزُّورِ، أَوظَنِيناً.

وإِيَّاكَ والتَّضَجُّرَ والتَّأَذِّي في مَجْلِسِ الْقَضَاءِ الَّذي أَوْجَبَ الله - تعالى - فيه الأَجْرَ، وأَحْسَنَ فيه الذُّخْرَ لِمَنْ قَضى بِالْحَقِّ.

واعْلَمْ أَنَّ الصُّلْحَ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ إِلاَّ صُلْحاً حَرَّمَ حَلاَلاً، أَوأَحَلَّ حَرَاماً.

واجْعَلْ لِمَنِ ادَّعى شُهُوداً غُيَّباً أَمَداً بَيْنَهُمْ، فَإِنْ أَحْضَرَهُمْ أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّه، وإِنْ لَمْ يُحْضِرْهُمْ أَوْجَبْتَ عَلَيْه الْقَضِيَّةَ.

وإِيَّاكَ أَنْ تُنَفِّذَ حُكْماً فيه قَضِيَّةٌ في قِصَاصٍ، أَوحَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّه، أَوحَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمينَ، حَتَّى تَعْرِضَ ذَلِكَ عَلَيَّ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَجْلِسَ في مَجْلِسِ الْقَضَاءِ حَتَّى تَطْعَمَ شَيْئاً، إِنْ شَاءَ الله - تعالى -.

وصية له عليه السلام (٩)

لمن كان يستعمله على الصدقات

إِنْطَلِقْ، يَا عَبْدَ اللَّه، وعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّه وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

ولاَ تُوْثِرَنَّ دُنْيَاكَ عَلى آخِرَتِكَ، وكُنْ حَافِظاً لِمَا ائْتَمَنْتُكَ عَلَيْه، رَاعِياً لِحَقِّ اللَّه فيه.

ولاَ تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً، ولاَ تَجْتَازَنَّ عَلَيْه كَارِهاً، ولاَ تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّه فِي مَالِه.

فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ والْوَقَارِ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، ولاَ تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولُ لَهُمْ: يَا عِبَادَ اللَّه، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّه وخَلِيفَتُهُ لآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّه فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّه - تَعَالى - فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلى وَلِيِّه.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: لاَ، فَلاَ تُرَاجِعْهُ، وإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مِنْهُمْ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوتُوعِدَهُ، أَوتَعْسِفَهُ أَوتُرْهِقَهُ، فَقُلْ: يَا عَبْدَ اللَّه، أَتَأْذَنُ لِي فِي دُخُولِ مَالِكَ.

فَإِنْ أَذِنَ لَكَ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوفِضَّةٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوإِبِلٌ فَلاَ تَدْخُلْهَا إِلاَّ بِإِذْنِه، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ.

فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ تَدْخُلْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ ولاَ عَنِيفٍ بِه.

ولاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً ولاَ تُفْزِعَنَّهَا، ولاَ تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا.

واصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ أَيَّ الصَّدْعَيْنِ شَاءَ، فَإِذَا اخْتَارَ أَيَّهُمَا فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ.

ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِي صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَ.

فَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ الله - تَبَارَكَ وتَعَالى - فِي مَالِه، فَإِذَا

بَقِيَ ذَلِكَ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّه مِنْهُ.

فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخْلِطْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذي صَنَعْتَ أَوَّلًا، حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ في مَاله.

ولاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، ولاَ هَرِمَةً، ولاَ مَكْسُورَةً، ولاَ مَهْلُوسَةً، ولاَ ذَاتَ عَوَارٍ.

وإِذَا قَبَضْتَهَا فَلاَ تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ تَثِقُ بِدِينِه، رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى يُوصِلَهُ إِلى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ.

ولاَ تُوَكِّلْ بِهَا إِلاَّ نَاصِحاً شَفِيقاً، وحَفِيظاً أَميناً، غَيْرَ مُعْنِفٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا ولاَ مُجْحِفٍ، ولاَ مُلْغِبٍ ولاَ مُتْعِبٍ.

ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا كُلَّ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ كُلِّ نَادٍ نُصَيِّرُهُ حَيْثُ أَمَرَ الله - عز وجل - به.

فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْه أَنْ لاَ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وفَصِيلِهَا، ولاَ يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا، ولاَ يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، ولْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا في ذَلِكَ وبَيْنَهَا.

ولْيَرِفْهُ عَلَى اللاَّغِبِ، ولْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ والظَّالِعِ، ولْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِه منَ الْغُدُرِ، ولاَ يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إِلى جَوَادِّ الطُّرُقِ، ولْيُرَوِّحْهَا في السَّاعَاتِ الَّتي فِيهَا تُرِيحُ وتَفِيقُ، ولْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ والأَعْشَابِ.

ولْيَرْفُقْ بِهَا جُهْدَهُ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِهَا، بِإِذْنِ اللَّه، بُدَّناً سِحَاحاً سِمَاناً، مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ ولاَ مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا، عَلى كِتَابِ اللَّه وسُنَّةِ نَبِيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، عَلى أَوْلِيَاءِ اللَّه، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِكَ، وأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ الله - تعالى -.

يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهَا وإِلَيْكَ، وإِلى جَهْدِكَ ونَصِيحَتِكَ لِمَنْ بَعَثَكَ وبُعِثْتَ في حَاجَتِه، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ قَالَ: مَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلى وَلِيٍّ لَهُ يُجْهِدُ نَفْسَهُ بِالطَّاعَةِ والنَّصِيحَةِ لَهُ ولإِمَامِه إِلاَّ كَانَ مَعَنَا في الرَّفِيقِ الأَعْلى.

وصية له عليه السلام (١٠)

لعامله على عُكبَرا

إِذَا صِرْتَ إِلَيْهِمْ، ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه، فَخُذْهُمْ بِمَا آمُرُكَ بِهِ، فَإِنْ خَالَفْتَني أَخَذَكَ اللَّهُ بِهِ دُوني، وإِنْ بَلَغَني خِلاَفُ مَا أَمَرْتُكَ عَزَلْتُكَ.

إِذَا قَدِمْتَ عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْغِيَنَّ لَهُمْ رِزْقاً يَأْكُلُونَهُ، ولاَ كِسْوَةَ شِتَاءٍ في شِتَاءٍ، ولاَ كِسْوَةَ صَيْفٍ في صَيْفٍ، ولاَ تَضْرِبَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ سَوْطاً، ولاَ تُهَيِّجْهُ، في طَلَبِ دِرْهَمٍ.

ولاَ تَبِيعَنَّ لَهُمْ دَابَّةً يَعْمَلُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّا لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ.

فقال له عامله: يا أمير المؤمنين، إذن أجيئك كما ذهبت.

فقال عليه السلام: وإِنْ رَجَعْتَ كَمَا ذَهَبْتَ.

وَيْحَكَ، إِنَّمَا أُمِرْنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْهُمُ الْعَفْوَ.

قال العامل: فخرجت في وجهي واتّبعتُ ما أمرني به أمير المؤمنين فقدمتُ، والله، وما بقي عليهم درهم واحد إلاّ أدّوه.

وصية له عليه السلام (١١)

لمالك الأشتر رحمه الله بعد عزل محمد بن أبي بكر

لَيْسَ لَهَا غَيْرُكَ، فَاخْرُجْ إِلَيْهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ، فَإِنِّي إِنْ لَمْ أُوصِكَ اكْتَفَيْتُ بِرَأْيِكَ.

فَاسْتَعِنْ بِاللَّه عَلَى مَا أَهَمَّكَ، واخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ، وارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، واعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لاَ يُغْنِي عَنْكَ إِلاَّ الشِّدَّةُ.

وصية له عليه السلام (١٢)

لعبد اللّه بن العباس لمّا بعثه للاحتجاج على الخوارج

لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُووُجُوهٍ، تَقُولُ ويَقُولُونَ. ولكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحيصاً.

الباب الأول

فصل الأدعية

دعاء له عليه السلام (١)

يسأل الله تعالى الصلاة على النبي صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسلّمَ

بِسْمِ اللّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

اللّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّات، وذَاعِمَ الْمَسْمُوكَات، وجَابِلَ الْقُلُوب عَلى فِطْرَتِهَا، شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا، وغَوِيِّهَا ورَشِيدِهَا، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، ونَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، ورَأْفَةَ تَحِيَّاتِكَ، على سَيِّدِنَا مُحَمَّد عَبْدِكَ، ورَسُولِكَ، وحَبِيبِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، والْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، والنَّاطِقِ بِالصِّدْقِ، والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، والدَّامِغِ صَوْلاَتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ، فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، ولاَ وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلى نَفَاذِ أَمْرِكَ.

حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ والآثَامِ، والْخَبْطِ فِي عَشْوَاءِ الظَّلاَمِ، وأَقَامَ مُوضِحَاتِ الأَعْلاَمِ، وآثَارَ نَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، ومُنِيرَاتِ الإِسْلاَمِ.

فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وحُجَّتُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ، وبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ نِعْمَةً، ورَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ رَحْمَةً.

اللّهُمَّ فَاقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ، وافْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظُلَّكَ، واجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، مُهَنَّئَاتٍ غَيْرَ مُكَدَّرَاتٍ، مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ، وجَزْلِ عَطَائِكَ الْمَعْلُولِ.

اللّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ ونُزُلَهُ، وشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وأَعْطِهِ السَّنَاءَ والْفَضِيلَةَ، واجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وخُطَّةِ فَصْلٍ، وبُرْهَانٍ عَظِيمٍ.

اللّهُمَّ واحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ خَزَايَا ولاَ نَادِمِينَ، ولاَ نَاكِبِينَ، ولاَ نَاكِثِينَ، ولاَ ضَالِّينَ، ولاَ مُضِلِّينَ، ولاَ مَفْتُونِينَ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ في بَرْدِ الْعَيْشِ، وقَرَارِ النِّعْمَةِ، ومُنَى الشَّهَوَاتِ، وأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، ورَخَاءِ الدَّعَةِ، ومُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ، وتُحَفِ الْكَرَامَةِ. آمينَ رَبَّ الْعَالَمينَ.

دعاء له عليه السلام (٢)

يلجأ فيه إلى اللّه سبحانه ليهديه إلى الرّشاد ويغفر له الذنوب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسينَ لأَوْلِيَائِكَ، وأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلينَ عَلَيْكَ، تُشَاهِدُهُمْ في سَرَائِرِهِمْ، وتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ في ضَمَائِرِهِمْ، وتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ.

إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَؤُوا إِلَى الاسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الأُمُورِ بِيَدِكَ، ومَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.

اللَّهُمَّ فَإِنْ فَهِمْتُ عَنْ مَسْأَلَتي، أَوعَمِيتُ عَنْ طَلِبَتي، فَدُلَّني عَلى مَصَالِحي، وخُذْ بِقَلْبي إِلى مَرَاشِدي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، ولاَ بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ.

اللَّهُمَّ احْمِلْني عَلى عَفْوِكَ، ولاَ تَحْمِلْني عَلى عَدْلِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ في كِتَابِكَ الْمُنْزَلِ عَلى نَبِيِّكَ الْمُرْسَلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه، وقَوْلُكَ الْحَقُّ-: ﴿كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ وبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ.

وقُلْتَ تَبَارَكْتَ وتَعَالَيْتَ-: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ واسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ.

وقُلْتَ تَبَارَكْتَ وتَعَالَيْتَ-: ﴿الصَّابِرِينَ والصَّادِقِينَ والْقانِتِينَ والْمُنْفِقِينَ والْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ﴾. وأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ.

وقُلْتَ تَبَارَكْتَ وتَعَالَيْتَ-: ﴿والَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ومَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ولَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وهُمْ

يَعْلَمُونَ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ﴾.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْيَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿وما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ وما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿وأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ويُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ويَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ ولا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿هُوأَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿واسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿واسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوالْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿وما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى ويَسْتَغْفِرُوا

رَبَّهُمْ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَولا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿وظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وخَرَّ راكِعاً وأَنابَ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ومَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويُؤْمِنُونَ بِهِ ويَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ والْإِبْكارِ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ واسْتَغْفِرُوهُ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ والْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ولِلْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِناتِ واللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ ومَثْواكُمْ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿ولا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ واسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿وإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً﴾. وأنا أستغفرُكَ وأتوبُ إليْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿هُوَ خَيْراً وأَعْظَمَ أَجْراً واسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وأنا أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ.

وقُلْتَ تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ-: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً﴾. وأنا أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ.

دعاء له عليه السلام (٣)

في الاستغفار والتوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا وأَيْتُ مِنْ نَفْسي ولَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَاني ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي رَمَزَاتِ الأَلْحَاظِ، وسَقَطَاتِ الأَلْفَاظِ، وسَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وهَفَوَاتِ اللِّسَانِ.

دعاء له عليه السلام (٤)

يستعيذ فيه بالله من اختلاف السريرة والعيان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تَحْسُنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي، وتَقْبُحَ فِيمَا أَبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي، مُحَافِظاً عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي، فَأُبْدِيَ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وأُفْضِيَ إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّباً إِلَى عِبَادِكَ، وتَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِكَ.

دعاء له عليه السلام (٥)

كان يدعوبه كثيراً ويلتجئ فيه إلى اللّه أن يُغنيه

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

الْحَمْدُ للَّه الَّذي لَمْ يُصْبِحْ بي مَيِّتاً ولاَ سَقيماً، ولاَ مَضْرُوباً عَلى عُرُوقي بِسُوء، ولاَ مَأْخُوذاً بِأَسْوَأِ عَمَلي، ولاَ مَقْطُوعاً دَابِري، ولاَ مُرْتَدّاً عَنْ ديني، ولاَ مُنْكِراً لِرَبّي، ولاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ إيمَاني، ولا مُلْتَبِساً عَقْلي، ولاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ الأُمَمِ مَنْ قَبْلي.

أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ ولاَ حُجَّةَ لي.

ولاَ أَسْتَطيعُ أَنْ آخُذَ إِلاَّ مَا أَعْطَيْتَني، ولاَ أَتَّقِيَ إِلاَّ مَا وَقَيْتَني.

اللَّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ في غِنَاكَ، أَوأَضِلَّ في هُدَاكَ، أَوأُضَامَ في سُلْطَانِكَ، أَوأُضْطَهَدَ والأَمْرُ لَكَ.

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِيَ بِالْيَسَارِ، ولاَ تَبْذُلْ جَاهي بِالاقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبي رِزْقَكَ، وأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وأُبْتَلى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَاني، وأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَني، وأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّه وَلِيُّ الاعْطَاءِ والْمَنْعِ، وإِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمي، وأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدي.

اللَّهُمَّ إِنّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَونُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوتَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ.

وصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وآله.

دعاء له عليه السلام (٦)

إذا أراد القتال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمْتَ سَبِيلًا مِنْ سُبُلِكَ، فَجَعَلْتَ فيه رِضَاكَ، وَنَدَبْتَ إِلَيْه أَوْلِيَاءَكَ، وجَعَلْتَهُ أَشْرَفَ سُبُلِكَ عِنْدَكَ ثَواباً، وأَكْرَمَهَا لَدَيْكَ مَآباً، وأَحَبَّهَا إِلَيْكَ مَسْلَكاً، ثُمَّ اشْتَرَيْتَ فيه مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِكَ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْكَ حَقّاً في التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والْقُرْآنِ، فَاجْعَلْني مِمَّنِ اشْتَرى فيه مِنْكَ نَفْسَهُ، ثُمَّ وَفى لَكَ بِبَيْعِه الَّذي بَايَعَكَ عَلَيْه، غَيْرَ نَاكِثٍ، ولاَ نَاقِضٍ عَهْداً، ولاَ مُبَدِّلٍ تَبْدِيلًا، إِلاَّ اسْتِنْجَازاً لِوَعْدِكَ، واسْتِيجَاباً لِمَحَبَّتِكَ، وتَقَرُّباً به إِلَيْكَ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، واجْعَلْهُ خَاتِمَةَ عَمَلي، وصَيِّرْ فيه فَنَاءَ عُمُري، وارْزُقْني فيه لَكَ وبِه مَشْهَداً تُوجِبُ لي بِه مِنْكَ الرِّضَا، وتَحُطُّ بِه عَنِّي الْخَطَأ، وتَجْعَلُني في الأَحْيَاءِ الْمَرْزُوقِينَ بِأَيْدِي الْعُدَاةِ والْعُصَاةِ، تَحْتَ لِوَاءِ الْحَقِّ ورَايَةِ الْهُدى، مَاضِياً عَلى نُصْرَتِهِمْ قُدُماً، غَيْرَ مُوَلٍّ دُبُراً، ولاَ مُحْدِثٍ شَكّاً.

اللَّهُمَّ وأَعُوذُبِكَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجُبْنِ عِنْدَ مَوَارِدِ الأَهْوَالِ، ومِنَ الضَّعْفِ عِنْدَ مُسَاوَرَةِ الأَبْطَالِ، ومِنَ الذَّنْبِ الْمُحْبِطِ لِلأَعْمَالِ، فَأُحْجِمُ مِنْ شَكٍّ، أَوأَمْضي بِغَيْرِ يَقِينٍ، فَيَكُونَ سَعْيي في تَبَابٍ، وعَمَلي غَيْرَ مَقْبُولٍ.

دعاء له عليه السلام (٧)

لمّا وضع رجله في ركاب دابّته يوم خرج إلى صفّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ. الْحَمْدُ للَّهِ عَلى نِعَمِهِ عَلَيْنَا وفَضْلِهِ الْعَمِيمِ، [وَ] أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ.

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي هَدَانَا للإِسْلاَمِ، وجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذي أَكْرَمَنَا وحَمَلَنَا فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ، ورَزَقَنَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلَنَا عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا.

سُبْحانَ الَّذي سَخَّرَ لَنا هذا وما كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ وإِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ.

ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، والْحَيْرَةِ بَعْدَ الْيَقِينِ، وسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي النَّفْسِ والأَهْلِ والْمَالِ والْوَلَدِ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، ولاَ يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ، لأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لاَ يَكُونُ مُسْتَصْحَباً، والْمُسْتَصْحَبَ لاَ يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً.

اللَّهُمَّ اطْوِلَنَا الْبَعِيدَ، وسَهِّلْ لَنَا الْحُزُونَةَ، واكْفِنَا الْمُهِمَّ، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

دعاء له عليه السلام (٨)

لمّا عزم على لقاء القوم بصفّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ رَبَّ هذَا السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، والْجَوالْمَكْفُوف، الَّذي جَعَلْتَهُ مَغيضاً لِلَّيْلِ والنَّهَارِ، وجَعَلْتَ فيه مَجْرىً لِلشَّمْسِ والْقَمَرِ، ومُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلاَئِكَتِكَ، لاَ يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ، ورَبَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلأَنَامِ، ومَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ والأَنعَامِ، ومَا لاَ يُحْصى مِمَّا يُرى ومَا لاَ يُرى مِنْ خَلْقِكَ الْعَظِيمِ، ورَبَّ الْفُلْكِ الَّتي تَجْري فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، ورَبَّ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، ورَبَّ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ الْمُحِيطِ بِالْعَالَمِ، ورَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً، ولِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ، وسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ، وإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ، واعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُعَادِيَ لَكَ وَلِيّاً، أَوأُوَالِيَ لَكَ عَدُوّاً، أَوأَرْضى لَكَ سُخْطاً أَبَداً.

اللَّهُمَّ مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ فَصَلَوَاتُنَا عَلَيْهِ، ومَنْ لَعَنْتَهُ فَلَعْنَتُنَا عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ فِي مَوْتِهِ فَرَجٌ لَنَا ولِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَأَرِحْنَا مِنْهُ، وأَبْدِلْنَا بِهِ مَنْ هُوخَيْرٌ لَنَا مِنْهُ، حَتَّى تُرِيَنَا مِنْ عِلْمِ الإِجَابَةِ مَا نَتَعَرَّفُهُ فِي أَدْيَانِنَا ومَعَايِشِنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وصَلَّى اللَّهُ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وآلِهِ وسَلَّمَ.

دعاء له عليه السلام (٩)

كان يدعوبه حين الشروع في القتال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ.

يَا اللَّهُ، يَا رَحْمنُ، يَا رَحِيمُ، يَا وَاحِدُ، يَا أَحَدُ، يَا صَمَدُ، يَا اللَّهُ، يَا إِلهَ مُحَمَّد، اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وبُسِطَتِ الأَيْدِي، ومُدَّتِ الأَعْنَاقُ، وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ، ونُقِلَتِ الأَقْدَامُ، وأَنْضِيَتِ الأَبْدَانُ، ودَعَتِ الأَلْسُنُ، وطُلِبَتِ الْحَوَائِجُ، وإِلَيْكَ التَّحَاكُمُ فِي الأَعْمَالِ.

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وجَاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغَانِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا، وشِدَّةَ الزَّمَانِ، وظُهُورَ الْفِتَنِ. فأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحٍ تُعَجِّلُهُ، ونَصْرٍ تُعِزُّ بِهِ سُلْطَانَ الْحَقِّ وتُظْهِرُهُ.

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ.

[ثم يقول عليه السلام للجند:] سيرُوا عَلى بَرَكَةِ اللَّه.

سيرُوا إِلى أَعْدَاءِ اللَّه.

سيرُوا إِلى أَعْدَاءِ السُّنَنِ والْقُرْآنِ.

سيرُوا إِلى بَقِيَّةِ الأَحْزَابِ، وقَتَلَةِ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ.

[ثم ينادي:] اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ.

يَا اللَّهُ يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ، يَا رَبَّ مُحَمَّد، كُفَّ عَنَّا بَأْسَ الظَّالمينَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم- : ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

الباب الثاني

فصل الكتب

كتاب له عليه السلام (١)

إلى سلمان الفارسي رحمه اللّه قبل أيام خلافته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى سَلْمَانَ.

سَلَامٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، شَدِيدٌ نَهْشُهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْإِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ.

وَالسَّلَامُ.

كتاب له عليه السلام (٢)

إلى عمّار بن ياسر وأبا الهيثم بن التيّهان لما ولّاهما بيت مال المدينة بعد خلافته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَأَبَا الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيِّهَانِ.

سَلَامٌ عَلَيْكُمَا.

أَمَّا بَعْدُ، الْعَرَبِيُّ، وَالْقُرَشِيُّ، وَالْأَنْصَارِيُّ، وَالْعَجَمِيُّ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَأَجْنَاسِ الْعَجَمِ سَوَاءٌ.

كتاب له عليه السلام (٣)

إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى

وكان عبد الله يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ كانتفاعي بهذا الكلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، يَا أَخِي، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ أَبَداً وإِنْ جَهِدَ.

وَلَوْ أَنَّهُ فَكَّرَ لأَبْصَرَ، وَلَعَلِمَ أَنَّهُ مُدْبِرٌ، واقْتَصَرَ عَلى مَا تَيَسَّرَ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا تَعَسَّرَ، واسْتَرَاحَ قَلْبُهُ مِمَّا اسْتَوْعَرَ.

فَلاَ يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ، ولكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ.

وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أُوحُكْمٍ أَوْمَنْطِقٍ أَوسِيرَةٍ أَوقَوْلٍ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلى مَا فَاتَكَ مِنْهَا.

وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ، يَا أَخِي، فَلاَ تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٤)

إلى عبد الله بن العباس أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجَلِكَ، وَلاَ مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ.

وَإِذَا كَانَ لَكَ فَلاَ تَبْطَرْ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ، فَبِكِلَيْهِمَا أَنْتَ مُخْتَبَرٌ.

وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

[وَالسَّلاَمُ].

كتاب له عليه السلام (٥)

إلى الحارث الهمداني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَارِثِ الْهَمْدَانِيِّ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقِ اللَّهَ،] وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلاَلَهُ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَاعْمَلْ بِعَزَائِمِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ.

وَاعْتَبِرْ بِمَامَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرُهَا لاَ حِقٌ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ.

وَعَظِّمِ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاَّ عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَذِكْرَ مَا تَقْدِمُ عَلَيْهِ

بَعْدَ الْمَوْت، ولاَ تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إلاَّ بشَرْط وَثيق.

واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحبُهُ لنَفْسه، ويَكْرَهُهُ لعَامَّة الْمُسْلمينَ.

واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ به في السِّرِّ ويُسْتَحى منْهُ في الْعَلاَنيَة.

واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إذَا سُئلَ عَنْهُ صَاحبُهُ أنْكَرَهُ أواعْتَذَرَ منْهُ.

ولاَ تَجْعَلْ عرْضَكَ غَرَضاً لنبَال الْقَوْل.

ولاَ تُحَدِّث النَّاسَ بكُلِّ مَا سَمعْتَ به، فَكَفى بذَلكَ كَذباً.

ولاَ تَرُدَّ عَلى النَّاس كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ به، فَكَفى بذَلكَ جَهْلًا.

واكْظمِ الْغَيْظَ، واحْلُمْ عنْدَ الْغَضَب، وتَجَاوَزْ عنْدَ الْمَقْدرَة، واصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَة، تَكُنْ لَكَ الْعَاقبَةُ.

واسْتَصْلحْ كُلَّ نعْمَة أنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، ولاَ تُضَيِّعَنَّ نعْمَةً منْ نعَم الله - سبحانه - عنْدَكَ، ولْيُرَ عَلَيْكَ أثَرُ مَا أنْعَمَ اللَّهُ به عَلَيْكَ.

واعْلَمْ أنَّ أفْضَلَ الْمُؤْمنينَ أفْضَلُهُمْ تَقْدمَةً منْ نَفْسه وأهْله ومَاله، فَإنَّكَ مَا تُقَدِّمُ منْ خَيْر يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، ومَا تُؤَخِّرُ يَكُنْ لغَيْرك خَيْرُهُ.

واسْكُنِ الأمْصَارَ الْعظَامَ، فَإنَّهَا جمَاعُ الْمُسْلمينَ، واحْذَرْ مَنَازلَ الْغَفْلَة والْجَفَاء وقلَّةَ الأعْوَان عَلى طَاعَة اللَّه.

واقْصُرْ رَأيَكَ عَلى مَا يَلْزَمُكَ، ولاَ تَخُضْ فيمَا لاَ يَعْنيكَ.

وإيَّاكَ ومَقَاعدَ الأسْوَاق، فَإنَّهَا مَحَاضرُ الشَّيْطَان، ومَعَاريضُ الْفتَن.

وأكْثرْ أنْ تَنْظُرَ إلى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْه، فَإنَّ ذَلكَ منْ أبْوَاب الشُّكْر.

ولاَ تُسَافرْ في يَوْمِ الْجُمُعَة حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلاَةَ، إلاَّ فَاصلًا في سَبيلِ اللَّه، أوفي أمْرٍ تُعْذَرُ به.

وأطعِ الله - سبحانه - في جُمَلِ أُمُورك، فَإنَّ طَاعَةَ اللَّه فَاضلَةٌ عَلى مَا سوَاهَا.

والْزَمِ الْوَرَعَ، وخَادعْ نَفْسَكَ في الْعبَادَة، وارْفُقْ بهَا، ولاَ تَقْهَرْهَا، وخُذْ عَفْوَهَا ونَشَاطَهَا، إلاَّ مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ منَ الْفَريضَة، فَإنَّهُ لاَ بُدَّ منْ قَضَائهَا وتَعَاهُدهَا عنْدَ مَحَلِّهَا.

إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا واعْزِفْ عَنْهَا، وإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وقَلْبُكَ مُتَعَلِّقٌ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَتَهْلَكَ.

واحْذَرْ صَحَابَةَ كُلِّ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ، ويُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ.

وإِيَّاكَ ومُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ.

وإِيَّاكَ ومُعَاشَرَةَ الأَشْرَارِ، فَإِنَّهُمْ كَالنَّارِ مُبَاشَرَتُهَا تُحْرِقُ.

ووَقِّرِ اللَّهَ، وأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ.

واحْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٦)

إلى معاوية أول ما بويع له

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ، وإِعْرَاضِي عَنْكُمْ، حَتَّى كَانَ مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ ولاَ دَفْعَ لَهُ. والْحَدِيثُ طَوِيلٌ، والْكَلاَمُ كَثِيرٌ.

وقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ، وأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٧)

لمّا استُخلف، إلى أمراء الأجناد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ، وأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ.

كتاب له عليه السلام (٨)

إلى أمرائه على الجيش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ بْنِ أبي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَلَى الْوَالِي أَنْ لاَ يُغَيِّرَهُ عَلى رَعِيَّتِه فَضْلٌ نَالَهُ، ولاَ طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِه دُنُوّاً مِنْ عِبَادِه، وعَطْفاً عَلى إِخْوَانِه.

أَلاَ وإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لاَ أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِراً إِلاَّ فِي حَرْبٍ، ولاَ أَطْوِيَ عَنْكُمْ أَمْراً إِلاَّ فِي حُكْمٍ، ولاَ أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّه، ولاَ أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِه، ولاَ أَرْزَؤُكُمْ شَيْئاً، وأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً.

فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ، وَلِي عَلَيْكُمُ الْبَيْعَةُ، ولَزِمَتْكُمُ النَّصِيحَةُ والطَّاعَةُ.

وأَنْ لاَ تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، ولاَ تُفَرِّطُوا فِي صَلاَحِ دِينِكُمْ مِنْ دُنْيَاكُمْ.

وأَنْ تُنَفِّذُوا لِمَا هُوَ لِلَّهِ طَاعَةٌ ولِمَعِيشَتِكُمْ صَلاَحٌ.

وأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، ولاَ تَأْخُذَكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ.

فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أَعْظَمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، ولاَ يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً.

فَخُذُوا هذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٩)

إلى عمّاله على الخَراج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا، وَمَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَانْقَادَ لَهُ، عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحَنَّ مِنَ النَّادِمِينَ.

أَلاَ وَإِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَنْ عَدَلَ عَمَّا يَعْرِفُ ضُرَّهُ، وَإِنَّ أَشْقَاهُمْ مَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ.

فَاعْتَبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ مِنْ خَيْرٍ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَدِدْتُمْ لَوْ أَنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ مَا فَرَّطْتُمْ فِيهِ، وَأَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ بِهِ لَيَسِيرٌ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ لَكَثِيرٌ.

وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ، لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لاَ عُذْرَ لأَحَدٍ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ.

فَارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَلاَ تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ.

وَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ، وَوُكَلاَءُ الأُمَّةِ، وَسُفَرَاءُ الأَئِمَّةِ.

وَلاَ تُدْخِلَنَّ حُجَّاباً، وَلاَ تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ حَتَّى يُنْهِيَهَا إِلَيْكُمْ، وَلاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ.

وَلاَ تَأْخُذُوا أَحَداً بِأَحَدٍ إِلاَّ كَفِيلًا عَمَّنْ كَفِلَ عَنْهُ.

ولاَ تَبيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ ولاَ صَيْفٍ، ولاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا، ولاَ عَبْداً.

ولاَ تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ.

ولاَ تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، مُصَلٍّ ولاَ مُعَاهَدٍ، إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوسِلاَحاً يُعْدى بِهِ عَلى أَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ، فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ.

واصْبِرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلى مَا فِيهِ الاغْتِبَاطُ.

وإِيَّاكُمْ وتَأْخِيرَ الْعَمَلِ ودَفْعَ الْخَيْرِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ النَّدَمَ.

واحْتَرِسُوا أَنْ تَعْمَلُوا أَعْمَالاً لاَ يَرْضَى اللَّهُ بِهَا عَنَّا فَيَرُدَّ عَلَيْنَا وعَلَيْكُمْ دُعَاءَنَا، فَإِنَّ الله - تعالى - قَولُ: ﴿**قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَولا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً**﴾.

فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا مَقَتَ قَوْماً مِنَ السَّمَاءِ هَلَكُوا فِي الأَرْضِ.

ولاَ تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، ولاَ الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ، ولاَ الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، ولاَ دِينَ اللَّهِ قُوَّةً، وأَبْلُوا فِي سَبِيلِهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ الله - سبحانه - قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا وأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا. ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

كتاب له عليه السلام (١٠)

إلى أمراء البلاد في تحديد أوقات الصلاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى أُمَرَاءِ الْبِلاَدِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبِضِ الْعَنْزِ.

وصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ والشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا

فَرْسَخَان.

وصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، ويَدْفَعُ الْحَاجُّ إلى مِنى.

وصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ الآخِرَةَ حينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إلى ثُلُثِ اللَّيْلِ.

وصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ والرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِه.

وصَلُّوا بِهِمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِمْ، ولاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ.

كتاب له عليه السلام (١١)

إلى أهل مصر أرسله مع قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إلى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هذَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُسْلِمِينَ.

سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ - عز وجل - بِحُسْنِ صُنْعِهِ وتَقْدِيرِهِ وتَدْبِيرِهِ اخْتَارَ الإِسْلاَمَ ديناً لِنَفْسِهِ ومَلاَئِكَتِهِ ورُسُلِهِ، وبَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ إلى عِبَادِهِ، وخَصَّ مَنِ انْتَجَبَ مِنْ خَلْقِهِ.

فَكَانَ مِمَّا أَكْرَمَ اللهَ - عز وجل - بِهِ هذِهِ الأُمَّةَ، وخَصَّهُمْ بِهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ، أَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، فَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ، والْفَرَائِضَ والسُّنَّةَ، وأَدَّبَهُمْ لِكَيْمَا يَهْتَدُوا، وجَمَعَهُمْ لِكَيْمَا لاَ يَتَفَرَّقُوا، وزَكَّاهُمْ لِكَيْمَا يَتَطَهَّرُوا، ورَفَّهَهُمْ لِكَيْمَا لاَ يَجُورُوا.

فَلَمَّا قَضى مِنْ ذَلِكَ مَا عَلَيْهِ، قَبَضَهُ اللهُ - عز وجل - إِلَيْهِ حَمِيداً مَحْمُوداً، فَعَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وسَلاَمُهُ ورَحْمَتُهُ وبَرَكَاتُهُ ورِضْوَانُهُ.

ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ اسْتَخْلَفُوا أَمِيرَيْنِ مِنْهُمْ رَضَوْا بِهُدَاهُمَا وسيرَتِهِمَا، قَامَا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ تَوَفَّاهُمَا الله - عز وجل -.

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الأُمَّةِ بَعْدَهُمَا والٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقِمُوا عَلَيْهِ فَغَيَّرُوا.

ثُمَّ جَاؤُونِي كَتَتَابُعِ الْخَيْلِ فَبَايَعُونِي، فَأَنَا أَسْتَهْدِي الله - عز وجل - لِلْهُدى، وأَسْتَعِينُهُ عَلَى التَّقْوى.

أَلاَ وإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِكِتَابِ الله - تعالى - وسيرَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، والْقِيَامَ بِحَقِّهِ، والنَّعْشَ لِسُنَّتِهِ، والنُّصْحَ لَكُمْ بِالْغَيْبِ، وبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ عَلى ذَلِكَ وهُوَ حَسْبُنَا ونِعْمَ الْوَكِيلُ.

وقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الأَنْصَارِيَّ أَمِيراً، فَوَازِرُوهُ وكَاتِفُوهُ، وأَعِينُوهُ عَلَى الْحَقِّ.

وقَدْ أَمَرْتُهُ بِالإِحْسَانِ إِلى مُحْسِنِكُمْ، والشِّدَّةِ عَلى مُرِيبِكُمْ، والرِّفْقِ بِعَوَامِّكُمْ وخَوَاصِّكُمْ.

وهُوَ مِمَّنْ أَرْضى هُدَاهُ، وأَرْجُو صَلاَحَهُ ونُصْحَهُ.

أَسْأَلُ الله - عز وجل - لَنَا ولَكُمْ عَمَلًا زَاكِياً، وثَوَاباً جَزِيلًا، ورَحْمَةً وَاسِعَةً.

والسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ.

كتاب له عليه السلام (١٢)

إلى قثم بن عباس وهوعامله على مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى قُثَمِ بْنِ عَبَّاسَ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ.

واجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ، فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِي، وعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وذَاكِرِ الْعَالِمَ.

ولاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسَانُكَ، ولاَ حَاجِبٌ إِلاَّ وَجْهُكَ.

ولاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا.

وانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ والْمَجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْمَفَاقِرِ والْخَلاَّتِ، ومَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا.

وأْمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لاَ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ الله - سبحانه - يَقُولُ: سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ والْبَادِ.

فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ، والْبَادِي الَّذِي يَحِجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ.

وَفَّقَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (١٣)

إلى الأسود بن قُطبة صاحب جند حُلوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الأَسْوَدِ بْنِ قُطْبَةَ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَالِي إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ.

فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ.

فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ.

وابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ، رَاجِياً ثَوَابَهُ، ومُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ.

واعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلاَّ كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً.

ومِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، والاحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (١٤)

إلى طلحة والزبير وعائشة أرسله مع عمران بن الحصين الخزاعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى طَلْحَةَ والزُّبَيْرِ وعَائِشَةَ.

سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ.

أَمَّا بَعْدُ، يَا طَلْحَةُ ويَا زُبَيْرُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا، وإِنْ كَتَمْتُمَا، أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، ولَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي.

وإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وبَايَعَنِي.

وإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، ولاَ لِعَرَضٍ حَاضِرٍ.

فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ، فَارْجِعَا عَمَّا أَنْتُمَا عَلَيْهِ وتُوبَا إِلَى اللهِ - عز وجل - مِنْ قَرِيبٍ، وإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ، فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ، وإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ.

ولَعَمْرِي، مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ والْكِتْمَانِ.

إِنَّكَ، يَا زُبَيْرُ، لَفَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وحَوَارِيُّهُ.

وإِنَّكَ، يَا طَلْحَةُ، لَشَيْخُ الْمُهَاجِرِينَ.

وإِنَّ دَفْعَكُمَا هذَا الأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلاَ فيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ.

وقَدْ عَرَفْتُمَا مَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

وقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ.

فَبَيْنِي وبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ.

وقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي آوَيْتُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ.

فَهؤُلاَءِ بَنُو عُثْمَانَ أَوْلِيَاؤُهُ، فَلْيَدْخُلُوا فِي طَاعَتِي، ثُمَّ يُخَاصِمُوا إِلَيَّ قَتَلَةَ أَبِيهِمْ.

ومَا أَنْتُمَا وعُثْمَانَ إِنْ كَانَ قُتِلَ ظَالِماً أَومَظْلُوماً.

وقَدْ بَايَعْتُمَانِي وأَنْتُمَا بَيْنَ خَصْلَتَيْنِ قَبِيحَتَيْنِ: نَكْثِ بَيْعَتِكُمَا، وإِخْرَاجِكُمَا أُمَّكُمَا مِنْ بَيْتِهَا الَّذِي أَمَرَ اللهُ - تعالى - أَنْ تَقَرَّ فيهِ. واللَّهُ حَسْبُكُمَا.

فَارْجِعَا، أَيُّهَا الشَّيْخَانِ، عَنْ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ والنَّارُ.

وأَنْتِ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّكِ خَرَجْتِ مِنْ بَيْتِكِ عَاصِيَةً لِلَّهِ - عز وجل - ولِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ تَطْلُبِينَ أَمْراً كَانَ عَنْكِ مَوْضُوعاً، ثُمَّ تَزْعُمِينَ أَنَّكِ تُرِيدِينَ الإِصْلاَحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَخَبِّرِينِي مَا لِلنِّسَاءِ وقَوْدِ الْجُيُوشِ، والْبُرُوزِ لِلرِّجَالِ، والْوُقُوعِ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

وطَلَبْتِ، عَلَى زَعْمِكِ، دَمَ عُثْمَانَ، ومَا أَنْتِ وذَاكَ، عُثْمَانُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وأَنْتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ.

ثُمَّ أَنْتِ بِالأَمْسِ تَقُولِينَ فِي مَلاَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ

وسَلَّمَ: اقْتُلُوا نَعْثَلًا، قَتَلَهُ اللَّهُ، فَقَدْ كَفَرَ، ثُمَّ تَطْلُبِينَ الْيَوْمَ بِدَمِه.

ولَعَمْري، إِنَّ الَّذي عَرَّضَكِ لِلْبَلاَءِ، وحَمَلَكِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، لأَعْظَمُ إِلَيْكِ ذَنْباً مِنْ قَتْلِه عُثْمَانَ.

ومَا غَضِبْتِ حَتى أُغْضِبْتِ، ولاَ هِجْتِ حَتَّى هُيِّجْتِ، فَاتَّقِي اللَّهَ، يَا عَائِشَةُ، وارْجِعي إِلى بَيْتِكِ، واسْبِلي عَلَيْكِ سِتْرَكِ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (١٥)

إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ووَلِيِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ إِلى أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ والْمُسْلِمينَ، جَبْهَةِ الأَنْصَارِ، وسَنَامِ الْعَرَبِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِه: إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرُ اسْتِعْتَابَهُ، وأَقَلُّ عِتَابَهُ، وكَانَ هذَانِ الرَّجُلاَنِ، طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ أَهْوَنَ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وأَرْفَقَ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ.

وقَدْ كَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ.

وبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ ولاَ مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

وكَانَ هذَانِ الرَّجُلاَنِ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَنِي عَلى مَا بُويِعَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ قَبْلِي، ثُمَّ خَرَجَا يَطْلُبَانِ بِدَمِ عُثْمَانَ وهُمَا اللَّذَانِ فَعَلاَ بِعُثْمَانَ مَا فَعَلاَ.

واللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَجِدْ بُدّاً مِنَ الدُّخُولِ فِي هذَا الأَمْرِ، ولَوعَلِمْتُ أَنَّ أَحَداً أَوْلى بِهِ مِنِّي لَمَا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ.

وعَجِبْتُ لَهُمَا كَيْفَ أَطَاعَا أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ فِي الْبَيْعَةِ وأَبَيَا ذَلِكَ عَلَيَّ، وهُمَا يَعْلَمَانِ أَنِّي لَسْتُ دُونَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

مَعَ أَنِّي قَدْ عَرَضْتُ عَلَيْهِمَا، قَبْلَ أَنْ يُبَايِعَانِي، إِذَا أَحَبَّا بَايَعْتُ لأَحَدِهِمَا، فَقَالاَ: لاَ نَنْفَسُ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ نُبَايِعُكَ ونُقَدِّمُكَ عَلَيْنَا بِحَقٍّ. فَبَايَعَا.

ثُمَّ إِنَّهُمَا اسْتَأْذَنَانِي فِي الْعُمْرَةِ ولَيْسَا إِيَّاهَا أَرَادَا، فَأَذِنْتُ لَهُمَا.

فَنَقَضَا الْعَهْدَ، ونَصَبَا الْحَرْبَ، وأَخْرَجَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ مِنْ بَيْتِهَا لِيَتَّخِذَانِهَا فِئَةً.

وقَدْ سَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ اخْتِيَاراً لَهَا، وقَدْ سِرْتُ إِلَيْكُمُ اخْتِيَاراً لَكُمْ.

ولَعَمْرِي مَا إِيَّايَ تُجِيبُونَ. إِنَّمَا تُجِيبُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ.

ولَنْ أُقَاتِلَهُمْ وفِي نَفْسِي مِنْهُمْ حَاجَةٌ.

واعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وقَلَعُوا بِهَا، وجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ، وقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ.

وكَانَتْ فَاعِلَةً يَوْمَ مَا فَعَلَتْ.

وقَدْ رَكِبَتِ الْمَرْأَةُ الْجَمَلَ، ونَبَحَتْهَا كِلاَبُ الْحَوْأَبِ.

وقَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ بِقَوْدِهَا، يَطْلُبُونَ بِدَمٍ هُمْ سَفَكُوهُ، وعِرْضٍ هُمْ شَتَمُوهُ، وحُرْمَةٍ [هُمْ] انْتَهَكُوهَا، وأَبَاحُوا مَا أَبَاحُوا.

يَعْتَذِرُونَ إِلَى النَّاسِ دُونَ اللَّهِ، يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ.

إِعْلَمُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، أَنَّ الْجِهَادَ مُفْتَرَضٌ عَلَى الْعِبَادِ، فَقَدْ جَاءَكُمْ فِي دَارِكُمْ مَنْ يَحُثُّكُمْ عَلَيْهِ، ويَعْرِضُ عَلَيْكُمْ رُشْدَكُمْ.

وقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمُ ابْنِيَ الْحَسَنَ، وابْنَ عَمِّي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وقَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، مُسْتَنْفِرِينَ لَكُمْ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، [وَ] كُونُوا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّي بِكُمْ.

فَحَسْبي بِكُمْ إِخْوَاناً، وَلدين اللَّه أَعْوَاناً وأَنْصَاراً إِنْ شَاءَ الله - عز وجل -.

﴿فَانْفِرُوا خِفَافاً وثِقَالاً وجَاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وأَيِّدُونَا، وانْهَضُوا إِلَيْنَا، فَالإِصْلاَحُ مَا نُرِيدُ، لتَعُودَ الأُمَّةُ إِخْوَاناً.

ومَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ وآثَرَهُ فَقَدْ أَحَبَّ الْحَقَّ وآثَرَهُ، ومَنْ أَبْغَضَ ذَلِكَ فَقَدْ أَبْغَضَ الحَقَّ وغَمَضَهُ.

ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (١٦)

إلى أهل الكوفة ايضاً عند مسيره من المدينة إلى البصرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ خَرَجْتُ مَخْرَجِي مِنْ حَيِّي هذَا إِمَّا ظَالِماً وإِمَّا مَظْلُوماً، وإِمَّا بَاغِياً وإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ.

وأَنَا أُذَكِّرُ اللهَ - عز وجل - مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي.

واللَّهِ إِنَّ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ لأَوَّلُ مَنْ بَايَعَنِي، وأَوَّلُ مَنْ غَدَرَ.

فَهَلِ اسْتَأْثَرْتُ بِمَالٍ، أَوبَدَّلْتُ حُكْماً.

فَانْفِرُوا، فَمُرُوا بِمَعْرُوفٍ، وانْهَوْا عَنْ مُنْكَرٍ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (١٧)

إلى أبي موسى الأشعري عامله على الكوفة

وقد بلغه عنه تثبيطه النّاس عن الخروج إليه لمّا ندبهم لحرب أصحاب الجمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُولَكَ وعَلَيْكَ.

فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، واشْدُدْ مِئْزَرَكَ، واخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وانْدُبْ مَنْ مَعَكَ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ، وإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ.

وأَيْمُ اللَّهِ، لَتُؤْتَيَنَّ حَيْثُ أَنْتَ، ولاَ تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ، وذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ، وحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قَعْدَتِكَ، وتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ.

ومَا هِيَ بِالْهُوَيْنَا الَّتِي تَرْجُو، ولكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرى، يُرْكَبُ جَمَلُهَا، ويُذَلُّ صَعْبُهَا، ويُسَهَّلُ جَبَلُهَا.

فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وامْلِكْ أَمْرَكَ، وخُذْ نَصِيبَكَ وحَظَّكَ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلى غَيْرِ رَحْبٍ ولاَ فِي نَجَاةٍ.

فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لاَ يُقَالَ: أَيْنَ فُلاَنٌ.

واللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ، ومَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (١٨)

إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة مع زَحر بن قيس الجُعفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ.

سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ. فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ وَحُسْنِ بَلاَئِهِ عِنْدِي وَعِنْدَكُمْ حَكَمٌ عَدْلٌ: ﴿**لا يُغَيِّرُ مـا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وال**﴾.

ثُمَّ إِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنَّا وَعَمَّنْ سِرْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ جَمْعِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ بَعْدَ نَكْثِهِمَا، عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتُمْ، مِنْ صَفْقَةِ أَيْمَانِهِمَا وَهُمَا طَائِعَانِ غَيْرُ مُكْرَهَيْنِ، وَتَنَكُّبِهِمَا عَنِ الْحَقِّ.

فَخَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ بِمَنْ خَرَجْتُ، مِمَّنْ سَارَعَ إِلَى بَيْعَتِي وَإِلَى الْحَقِّ [مِنَ] الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، حَتَّى أَتَيْنَا (ذَا قَارٍ).

فَبَعَثْتُ ابْنَيَ الْحَسَنَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ابْنَ عَمِّي، وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَقَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَاسْتَنْفَرْتُكُمْ لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَحَقِّنَا. فَأَجَابَنِي إِخْوَانُكُمْ سِرَاعاً حَتَّى قَدِمُوا عَلَيَّ، فَسِرْتُ بِهِمْ وَبِالْمُسَارَعَةِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى نَزَلْتُ ظَهْرَ الْبَصْرَةِ.

وَقَدِمَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ الْبَصْرَةَ، وَصَنَعَا بِعَامِلِي عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ مَا صَنَعَا، فَقَدَّمْتُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَأَعْذَرْتُ كُلَّ الاعْذَارِ، وَأَقَمْتُ الْحُجَّةَ، وَأَقَلْتُ الْعَثْرَةَ وَالزَّلَّةَ مِنْ أَهْلِ الرِّدَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَاسْتَتَبْتُهُمْ مِنْ نَكْثِهِمْ بَيْعَتِي وَعَهْدِ اللَّهِ لِي عَلَيْهِمْ، وَنَاشَدْتُهُمْ عَقْدَ

بَيْعَتِهِمْ. فَأَبَوْا إِلاَّ قِتَالِي وقِتَالَ مَنْ مَعِيَ، والتَّمَادِيَ فِي الْغَيِّ.

فَلَقِينَا الْقَوْمَ النَّاكِثِينَ لِبَيْعَتِنَا، الْمُفَرِّقِينَ لِجَمَاعَتِنَا، الْبَاغِينَ عَلَيْنَا مِنْ أُمَّتِنَا، فَلَمْ أَجِدْ بُدّاً مِنْ مُنَاصَفَتِهِمْ لي، فَاسْتَعَنْتُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، ونَاهَضْتُهُمْ بِالْجِهَادِ فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ بِالْخُرَيْبَةِ فِنَاءِ مِنْ أَفْنِيَةِ الْبَصْرَةِ، فَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ نَاكِثاً، ونَصَرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وقُتِلَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ عَلَى نَكْثِهِمَا وشِقَاقِهِمَا.

وقَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِمَا بِالْمَعْذِرَةِ، وأَبْلَغْتُ إِلَيْهِمَا بِالنَّصِيحَةِ، وأَشْهَدْتُ عَلَيْهِمَا صُلَحَاءَ الأُمَّةِ، ومَكَّنْتُهُمَا فِي الْبَيْعَةِ، فَمَا أَطَاعَا الْمُرْشِدِينَ، ولاَ أَجَابَا النَّاصِحِينَ.

ولاَذَ أَهْلُ الْبَغْيِ بِعَائِشَةَ، فَقُتِلَ حَوْلَهَا عَالَمٌ جَمٌّ لاَ يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلاَّ اللَّهُ.

ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ وَجْهَ بَقِيَّتِهِمْ فَأَدْبَرُوا، ووَلَّى مَنْ وَلَّى إِلَى مِصْرِهِ.

فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ أَشْأَمَ مِنْ نَاقَةِ الْحِجْرِ عَلَى أَهْلِ ذَلِكَ الْمِصْرِ، مَعَ مَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْحُوبِ الْكَبِيرِ فِي مَعْصِيَتِهَا لِرَبِّهَا ونَبِيِّهِ، مِنَ الْحَرْبِ، واغْتِرَارِ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا، ومَا صَنَعَتْهُ مِنَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وسَفْكِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، بِلاَ بَيِّنَةٍ ولاَ مَعْذِرَةٍ ولاَ حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ لَهَا.

فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ [وَ] خُذِلُوا وأَدْبَرُوا، وتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ، ولَمَّا رَأَوْا مَا حَلَّ بِهِمْ، سَأَلُونِي مَا كُنْتُ دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ قَبْلَ اللِّقَاءِ مِنْ كَفِّ الْقِتَالِ.

فَقَبِلْتُ مِنْهُمْ، وأَغْمَدْتُ السَّيْفَ عَنْهُمْ، وأَخَذْتُ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ، وأَجْرَيْتُ الْحَقَّ والسُّنَّةَ بَيْنَهُمْ، فَأَمَرْتُ أَنْ لاَ يُقْتَلَ مُدْبِرٌ، ولاَ يُجْهَزَ عَلَى جَرِيحٍ، ولاَ تُكْشَفَ عَوْرَةٌ، ولاَ يُهْتَكَ سِتْرٌ، ولاَ يُدْخَلَ دَارٌ إِلاَّ بِإِذْنِ أَهْلِهَا، وقَدْ آمَنْتُ النَّاسَ.

وقَدِ اسْتُشْهِدَ مِنَّا رِجَالٌ صَالِحُونَ، ضَاعَفَ اللَّهُ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ ورَفَعَ دَرَجَاتِهِمْ، وأَثَابَهُمْ ثَوَابَ الصَّادِقِينَ الصَّابِرِينَ.

وأُصِيبَ مِمَّنْ أُصِيبَ مِنَّا: ثُمَامَةُ بْنُ الْمُثَنَّى، وهِنْدُ بْنُ عَمْرٍو، وعَلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ، وسِيحَانُ وزَيْدٌ ابْنَا صَوْحَانَ ومَحْدُوجٌ.

وجَزَاكُمُ اللَّهُ، مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ

بطَاعَته، والشَّاكرينَ لنعْمَته.

فَقَدْ سَمعْتُمْ وأَطَعْتُمْ، ودُعيتُمْ فَأَجَبْتُمْ. فَنِعْمَ الإِخْوَانُ والأَعْوَانُ عَلَى الْحَقِّ أَنْتُمْ.

وقَد اخْتَرْتُ لَهُمْ عَاملًا اسْتَعْمَلْتُهُ عَلَيْهِمْ وهُوعَبْدُ اللَّه بْنَ الْعَبَّاسِ.

وأَنَا سَائرٌ إِلَى الْكُوفَة إِنْ شَاءَ الله - تعالى- .

وقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ زَحْرَ بْنَ قَيْسِ الْجُعْفِيَّ بِالْبِشَارَة لِتَسْأَلُوهُ، ولِيُخْبِرَكُمْ عَنَّا وعَنْهُمْ، ورَدِّهِمُ الْحَقَّ عَلَيْنَا، ورَدِّ اللَّه لَهُمْ وهُمْ كَارِهُونَ.

والسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللَّه وبَرَكَاتُهُ.

كتاب له عليه السلام (١٩)

إلى عبد اللَّه بن عباس وهوعامله على البصرة

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْد اللَّه عَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمنينَ إِلى عَبْد اللَّه بْنِ عَبَّاسٍ.

الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ، وصَلَّى اللَّهُ عَلى سَيِّدنَا مُحَمَّد عَبْده ورَسُوله.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ قَدمَ عَلَيَّ رَسُولُكَ، وقَرَأْتُ كِتَابَكَ، تَذْكُرُ فيه حَالَ أَهْلِ الْبَصْرَة واخْتِلاَفَهُمْ بَعْدَ انْصرَافي عَنْهُمْ.

وسَأُخْبِرُكَ عَنِ الْقَوْمِ: هُمْ بَيْنَ مُقيمٍ لِرَغْبَة يَرْجُوهَا، أوخَائف منْ عُقُوبَة يَخْشَاهَا، فَحَادثْ أَهْلَهَا بِالاحْسَان إِلَيْهِمْ، وأَرْغبْ رَاغبَهُمْ بِالْعَدْل عَلَيْه والإِنْصَاف إِلَيْه، واحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْف عَنْ قُلُوبِهِمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لأُمَرَاء أَهْلِ الْبَصْرَة في قُلُوبِهِمْ عِظَمٌ إِلاَّ قَليلٍ منْهُمْ.

وقَدْ بَلَغَني تَنَمُّرُكَ لبَني تَميمٍ وغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ، وإِنَّ بَني تَميمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلاَّ طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ في جَاهِلِيَّةٍ ولاَ إِسْلاَمٍ.

وإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً، وقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُنَ عَلى صِلَتِهَا، ومَأْزُورُونَ عَلى قَطِيعَتِهَا.

فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللَّهُ، فِيمَا جَرَى عَلى لِسَانِكَ ويَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ، فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ، وانْتَهِ إِلى أَمْرِي ولاَ تَعْدُهُ.

وأَحْسِنْ إِلى هذَا الْحَيِّ مِنْ رَبِيعَةَ، وكُلُّ مَنْ قِبَلَكَ، فَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ مَا اسْتَطَعْتَ، وكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، ولاَ تُفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٢٠)

إلى عبد اللّه بن عباس أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ [سَلاَمٌ عَلَيْكَ.] أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ - عز وجل - غَداً أَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِهِ فِيمَا لَهُ وعَلَيْهِ، وأَقْوَلُهُمْ بِالْحَقِّ وإِنْ كَانَ مُرّاً، فَإِنَّ بِالْحَقِّ قَامَتِ السَّمواتُ والأَرْضُ.

ولْتَكُنْ سَرِيرَتُكَ كَعَلاَنِيَتِكَ، ولْيَكُنْ حُكْمُكَ وَاحِداً، وطَرِيقَتُكَ مُسْتَقِيمَةً.

واعْلَمْ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، ومَغْرِسُ الْفِتَنِ، فَلاَ تَفْتَحَنَّ عَلى يَدِ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَاباً لاَ نُطِيقُ سَدَّهُ نَحْنُ ولاَ أَنْتَ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٢١)

إلى بعض عمّاله

[يمكن ان يكون عبد الله بن العباس لمّا كان والياً على البصرة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى ( ).

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ، وخُنْتَ الْمُسْلِمِينَ.

بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ.

فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ، واعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٢٢)

إلى أحد عمّاله وهوابن عمه عبد اللّه بن عباس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وجَعَلْتُكَ شِعَارِي وبِطَانَتِي.

ولَمْ يَكُنْ رَجُلٌ فِي أَهْلِي أَوْثَقُ مِنْكَ فِي نَفْسِي، لِمُوَاسَاتِي ومُوَازَرَتِي، وأَدَاءِ الأَمَانَةِ إِلَيَّ.

فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ، والْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ، وأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ

خَزِيَتْ، وهذه الأُمَّةَ قَدْ فُتِكَتْ وشَغَرَتْ، قَلَبْتَ لابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ.

فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْفَارِقِينَ، وخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ.

فَلاَ ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، ولاَ الأَمَانَةَ أَدَّيْتَ.

فَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، وكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ.

وكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هذه الأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، واخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لأَرَامِلِهِمْ وأَيْتَامِهِمُ، اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةِ.

فَحَمَلْتَهُ وانْقَلَبْتَ بِهِ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ، كَأَنَّكَ، لاَ أَبَا لِغَيْرِكَ، حَدَرْتَ إِلى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وأُمِّكَ.

فَسُبْحَانَ اللَّهِ، أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ.

أَوَمَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ.

أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُولِي الأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وطَعَاماً، وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وتَشْرَبُ حَرَاماً، وتَبْتَاعُ الإِمَاءَ، وتَنْكِحُ النِّسَاءَ، مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامى والأَرَامِلِ والْمَسَاكِينِ والْمُؤْمِنِينَ والْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هذه الأَمْوَالَ، وأَحْرَزَ بِهِمْ هذه الْبِلاَدَ.

فَاتَّقِ اللَّهَ، وارْدُدْ إِلى هؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ أَمْكَنَنِيَ اللَّهُ مِنْكَ، لأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، ولأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِيَ الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ.

ووَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ والْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، ولاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٢٣)

إلى عبد الله بن عباس عامله على البصرة

وذلك لمّا كتب إليه أن حقه في مال الله أكثر مما أخذه من بيت المال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْكَ إِذْ تَرى لِنَفْسِكَ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ مِنَ الْحَقِّ أَكْثَرَ مِمَّا لِرَجُلٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ عَلِمْتَ بِسَوَابِقِ أَهْلِ بَدْرٍ، وَمَا كَانُوا يَأْخُذُونَ غَيْرَ مَا فُرِضَ لَهُمْ.

وَلَقَدْ أَفْلَحْتَ إِنْ كَانَ تَمَنِّيكَ الْبَاطِلَ، وادِّعَاؤُكَ مَا لاَ يَكُونُ، يُنْجِيكَ مِنَ الْمَآثِمِ، وَيُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

إِنَّكَ لأَنْتَ الْمُهْتَدِي السَّعِيدُ إِذاً.

عَمَّرَكَ اللَّهُ، إِنَّكَ لأَنْتَ الْبَعِيدُ الْبَعِيدُ.

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَكَّةَ وَطَناً، وَضَرَبْتَ بِهَا عَطَناً، تَشْتَرِي الْمُوَلَّدَاتِ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ، تَخْتَارُهُنَّ عَلى عَيْنِكَ، وَتُعْطِي فِيهِنَّ مَالَ غَيْرِكَ.

فَارْجِعْ، هَدَاكَ اللَّهُ، إِلى رُشْدِكَ، وَتُبْ إِلَى اللَّهِ رَبِّكَ، وَاخْرُجْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ، مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي.

فَمَا بَالُ اغْتِبَاطِكَ بِهِ تَأْكُلُهُ حَرَاماً.

فَضَحٌ رُوَيْداً، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدى، ودُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرى، غَيْرَ مُوَسَّد ولاَ مُمَهَّد، قَدْ فَارَقْتَ الأَحْبَابَ، ووَاجَهْتَ الْحِسَابَ، وعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذي يُنَادي الظَّالِمُ الْمُغْتَرُّ فيه بِالْحَسْرَةِ، ويَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ فيه الرَّجْعَةَ [وَ] التَّوْبَةَ، ولاَتَ حِينَ مَناصٍ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٢٤)

إلى زياد بن أبيه

وهوخليفة عامله عبد اللّه بن عباس على البصرة وعبد اللّه عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان وغيرها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّه عَلِيٍّ أمير الْمُؤْمنينَ إلى زِيَاد بْنِ أبيه.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رَسُولي أَخْبَرَني بِعَجَب، زَعَمَ أَنَّكَ قُلْتَ لَهُ فيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَهُ: إِنَّ الأَكْرَادَ هَاجَتْ بِكَ فَكَسَرَتْ عَلَيْكَ كَثيراً مِنَ الْخَرَاجِ.

وقُلْتَ لَهُ: لاَ تُعْلِمْ بِذَلِكَ أميرَ الْمُؤْمنينَ.

يَا زِيَادُ، إِنِّي أُقْسِمُ بِالله - عز وجل - قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَني أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمينَ شَيْئاً صَغيراً أَوْ كَبيراً، لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَليلَ الْوَفْرِ، ثَقيلَ الظَّهْرِ، ضَئيلَ الأَمْرِ.

إِلاَّ أَنْ تَكُونَ لِمَا كَسَرْتَ مِنَ الْخَرَاجِ مُحْتَمِلًا. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٢٥)

إلى زياد أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ سَعْداً ذَكَرَ لِي أَنَّكَ شَتَمْتَهُ ظُلْماً، وَتَهَدَّدْتَهُ وَجَبَهْتَهُ تَجَبُّراً وَتَكَبُّراً.

فَمَا دَعَاكَ إِلَى التَّكَبُّرِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الْكِبْرِيَاءُ وَالْعَظَمَةُ رِدَاءُ اللَّهِ، فَمَنْ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَهُ قَصَمَهُ.

وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّكَ تُكْثِرُ مِنَ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الطَّعَامِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ، وَأَنَّكَ تَبَخَّرُ وَتَدَّهِنُ كُلَّ يَوْمٍ.

فَمَا ذَا عَلَيْكَ، ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ، لَوْ صُمْتَ لِلَّهِ أَيَّاماً، وَتَصَدَّقْتَ بِبَعْضِ مَا عِنْدَكَ مُحْتَسِباً، وَأَكَلْتَ طَعَامَكَ مِرَاراً قِتَاراً، فَإِنَّ ذَلِكَ سِيرَةُ الأَنْبِيَاءِ وَشِعَارُ الصَّالِحِينَ.

وَادَّهِنْ غِبّاً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ادَّهِنُوا غِبّاً، وَلاَ تَدَّهِنُوا رَفَهاً.

فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَتَطْمَعُ، وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَسْتَأْثِرُ بِهِ عَلَى الْجَارِ وَالْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ، وَتَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالأَرْمَلَةَ وَالْيَتِيمَ، أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ.

وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ تَتَكَلَّمُ عَلَى الْمِنْبَرِ بِكَلاَمِ الصِّدِّيقِينَ، وَتَعْمَلُ إِذَا نَزَلْتَ عَمَلَ الْخَطَّائِينَ، فَإِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فَنَفْسَكَ ظَلَمْتَ، وَعَمَلَكَ أَحْبَطْتَ، فَتُبْ إِلَى رَبِّكَ، وَأَصْلِحْ عَمَلَكَ.

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا سَلَّفَ، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ. وَالسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٢٦)

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة

وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة رجل من أهلها فمضى إليها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أمير الْمُؤْمِنِينَ إِلى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، فَكَرَعْتَ وأَكَلْتَ أَكْلَ ذِئْبٍ نَهِمٍ وضَبُعٍ قَرِمٍ.

ومَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ.

فَانْظُرْ إِلى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، ومَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

أَلاَ وإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ ويَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ.

أَلاَ وإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، ومِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، لاَ يَطْعَمُ الْفَلْذَةَ فِي حَوْلِهِ إِلاَّ فِي يَوْمِ أُضْحِيَتِهِ، يَسْتَشْرِقُ الافْطَارَ عَلى أَدْمَيْهِ، ولَقَدْ آثَرَ الْيَتِيمَةَ عَلى سِبْطَيْهِ.

أَلاَ وإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلى ذَلِكَ، ولكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ واجْتِهَادٍ وعِفَّةٍ وسَدَادٍ.

فَواللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، ولاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، ولاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، ولاَ ادَّخَرْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، ولاَ أَخَذْتُ مِنْهَا إِلاَّ كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ، ولَهِيَ فِي عَيْنِي أَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ. [قَالَ الله - تعالى -] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ولا فَساداً﴾.

بَلى، كَانَتْ في أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، ونِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

ومَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغَيْرِ فَدَكٍ، والنَّفْسُ مَظَانُّهَا في غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ في ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وتَغِيبُ فِيهِ أَخْبَارُهَا، وحُفْرَةٌ لَوزِيدَ في فُسْحَتِهَا، وأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ والْمَدَرُ، وسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أُرَوِّضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ.

ولَوشِئْتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، ولُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، ونَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ، ولكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوبِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، ولاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوأَبِيتَ مِبْطَاناً وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوأَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: وحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ لِي: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ولاَ أُشَارِكُهُمْ في مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوأَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ في جُشُوبَةِ الْعَيْشِ.

فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوالْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وتَلْهُوعَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوأُتْرَكَ سُدًى، أَوأُهْمَلَ عَابِثاً، أَوأَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوأَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ.

وكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ، ومُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ.

أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ يَقُولُ: ﴿**فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكانُوا واللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾.

أَلاَ وإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، والرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، والنَّابَاتِ الْبَدَوِيَّةَ أَقْوَى وُقُوداً، وأَبْطَأُ خُمُوداً.

واللَّهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ، ورَمَيْتُ بِهَا خَلْفَ ظَهْرِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعاً، بِقُوَّةٍ جَسَدَانِيَّةٍ،

ولاَ بِحَرَكَةٍ غِذَائِيَّةٍ، ولكنّي أَيَّدْتُ بِقُوَّةٍ رَحْمَانِيَّةٍ مَلَكُوتِيَّةٍ، ونَفْسٍ بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيئَةٍ.

أَلاَ إِنَّ الذُّرِّيَّةَ أَفْنَانٌ أَنَا شَجَرَتُهَا، ودَوْحَةٌ أَنَا سَاقُهَا، وأَنَا مِنْ أَحْمَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، والْكَفِّ مِنَ الْيَدِ، والذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ.

كُنَّا ظِلاَلاً تَحْتَ الْعَرْشِ قَبْلَ خَلْقِ الْبَشَرِ، وقَبْلَ خَلْقِ الطِّينَةِ الَّتِي كَانَ مِنْهَا الْبَشَرُ، أَشْبَاحاً عَالِيَةً، لاَ أَجْسَاماً نَامِيَةً.

واللَّهِ لَوِ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، ولَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، ومَا أَبْقَيْتُ عَلَيْهَا.

ومَنْ لَمْ يُبَالِ مَتَى حَتْفُهُ عَلَيْهِ سَاقِطٌ فَجَنَانُهُ فِي الْمُلِمَّاتِ رَابِطٌ.

وسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، والْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ. وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

إِلَيْكَ عَنِّي، يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، واجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ.

أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ.

أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ.

هَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، ومَضَامِينُ اللُّحُودِ.

واللَّهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِيِّ، وأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، ومُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى الْمَتَالِفِ، وأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلاَءِ، إِذْ لاَ وِرْدَ ولاَ صَدَرَ.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ، ومَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، ومَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، والسَّالِمُ مِنْكِ لاَ يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، والدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلاَخُهُ.

إِغْرُبِي عَنِّي، فَوَاللَّهِ لاَ أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذْلِينِي، ولاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي، بِأَنْ أَنَامَ عَلَى الْقَبَاطِيِّ مِنَ الْيَمَنِ، وأَتَمَرَّغَ فِي مَفْرُوشٍ مِنْ مَنْقُوشِ الأَرْمَنِ، وأَغْذُوا نَفْساً حُلْوَهَا ومُرَّهَا

لَتَسْمَنَنَّ، إِذاً أَكُونُ كَإِبِلٍ تَرْعى وتُبْعَرُ.

وأَيْمُ اللَّه، يَميناً بَرَّةً أَسْتَثْني فيها بِمَشيئَة الله - عز وجل -، لأُرَوِّضَنَّ نَفْسي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، ولأَدَعَنَّ مُقْلَتي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعُهَا.

أَ تَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِهَا فَتَبْرُكَ، وتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ، ويَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ، قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدى بَعْدَ السِّنِينِ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، والسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ.

طُوبى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ.

أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

فَاتَّقِ اللَّهَ، يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، وَلْيَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلاَصُكَ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٢٧)

إلى الأشعث بن قيس عامله على آذربيجان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَلَوْلاَ هَنَاتٌ وهَنَاتٌ كُنَّ مِنْكَ لَكُنْتَ الْمُقَدَّمَ فِي هذَا الأَمْرِ قَبْلَ النَّاسِ.

ولَعَلَّ آخِرَ أَمْرِكَ يَحْمَدُ أَوَّلَهُ، ويَحْمِلُ بَعْضُهُ بَعْضاً، إِنِ اتَّقَيْتَ اللهَ - عز وجل -.

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ مَضى عُثْمَانُ لِسَبِيلِهِ كَمَا بَلَغَكَ، وكَانَ مِنْ بَيْعَةِ النَّاسِ إِيَّايَ مَا قَدْ عَلِمْتَ.

وكَانَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ أوَّلَ مَنْ بَايَعَني، ثُمَّ نَكَثَا بَيْعَتي عَلى غَيْرِ حَدَثٍ، وأخْرَجَا أمَّ الْمُؤْمِنينَ، وسَارُوا بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَسِرْتُ إِلَيْهِمْ فِي الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، فَالْتَقَيْنَا، فَدَعَوْتُهُمْ إِلى أنْ يَرْجِعُوا إِلى مَا خَرَجُوا مِنْهُ. فَأَبَوْا.

فَأَبْلَغْتُ فِي الدُّعَاءِ، وأحْسَنْتُ فِي اللِّقَاءِ.

وأَمَرْتُ أنْ لاَ يُذَفَّ عَلى جَرِيحٍ، ولاَ يُتْبَعَ مُنْهَزِمٌ، ومَنْ ألْقى سِلاَحَهُ وأغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ.

واعْلَمْ أنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، ولكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أمَانَةٌ، وأنْتَ مُسْتَرْعىً لِمَنْ فَوْقَكَ.

لَيْسَ لَكَ أنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، ولاَ تُخَاطِرَ إِلاَّ بِوَثِيقَةٍ.

وإِنَّ فِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ - عز وجل -، وأنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ عَلَيْهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ولَعَلِّي أنْ لاَ أكُونَ شَرَّ وُلاَتِكَ لَكَ إِنِ اسْتَقَمْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.

والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٢٨)

لشُريح بن الحارث

رُوي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك، فاستدعى شُريحاً وقال له: بَلَغَني أنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، وكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وأشْهَدْتَ فيه شُهُوداً.

فقال له شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين.

فنظر عليه السلام إليه نظر المغضَب ثم قال: يَا شُرَيْحُ، اتَّقِ اللَّهَ.

أمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، ولاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، ويُسْلِمَكَ إِلى قَبْرِكَ خَالِصاً.

فَانْظُرْ، يَا شُرَيْحُ، أَنْ لاَ تَكُونَ ابْتَعْتَ هذه الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَونَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ، فَإِذاً أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الآخِرَةِ جَمِيعاً.

أَمَا إِنَّكَ لَو كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلى هذه النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ في شِرَاءِ هذه الدَّارِ بِالدِّرْهَمِ فَمَا فَوْقَهُ.

قال شُرَيح: وما كنت تكتب يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: كُنْتُ أَكْتُبُ لَكَ هذَا الْكِتَابَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

هـذَا مَا اشْتَرى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أَزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وخِطَّةِ الْهَالِكِينَ.

وتَجْمَعُ هذه الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الأَوَّلُ مِنْهَا يَنْتَهِي إِلى دَوَاعِي الآفَاتِ.

والْحَدُّ الثَّانِي مِنْهَا يَنْتَهِي إِلى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ.

والْحَدُّ الثَّالِثُ مِنْهَا يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي.

والْحَدُّ الرَّابِعُ مِنْهَا يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وفيه يُشْرَعُ بَابُ هذه الدَّارِ.

إِشْتَرى هـذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ، مِنْ هذَا الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ، هذه الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، والدُّخُولِ في ذُلِّ الطَّلَبِ والضَّرَاعَةِ.

فَمَا أَدْرَكَ هـذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرى مِنْهُ مِنْ دَرْكٍ فَعَلى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، ومُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرى وقَيْصَرَ، وتُبَّعٍ وحِمْيَرَ، ومَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، ومَنْ بَنى وشَيَّدَ، وزَخْرَفَ ونَجَّدَ، وادَّخَرَ واعْتَقَدَ، ونَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ.

إِشْخَاصُهُمْ، واللَّهِ، جَمِيعاً إِلى مَوْقِفِ الْعَرْضِ والْحِسَابِ، ومَوْضِعِ الثَّوَابِ والْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ.

شَهِدَ عَلى ذَلِكَ: التَّوَانِي ابْنُ الْفَاقَة.

والْغُرُورُ ابْنُ الأَمَلِ.

والْحِرْصُ ابْنُ الرَّغْبَة.

واللَّهْوابْنُ اللَّعِب.

ومَنْ أَخْلَدَ إِلى مَحَلِّ الْثوى، ومَالَ إِلَى الدُّنْيَا عَنِ الأُخْرى.

[وَ] شَهِدَ عَلى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوى، وسَلِمَ مِنْ عَلاَئِقِ الدُّنْيَا، وسَمِعَ مُنَادِيَ الزُّهْدِ يُنَادي في عَرَصَاتِهَا: مَا أَبْيَنَ الْحَقَّ لِذي عَيْنَيْنِ إِنَّ الرَّحِيلَ أَحَدُ الْيَوْمَيْنِ تَزَوَّدُوا مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ، وقَرِّبُوا الآمَالَ بِالآجَالِ، فَقَدْ دَنَا الرِّحْلَةُ والزَّوَالُ.

كتاب له عليه السلام (٢٩)

إلى معاوية أرسله مع جرير بن عبد الله البجلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ بَيْعَتي وأَنَا بِالْمَدِينَةِ قَدْ لَزِمَتْكَ وأَنْتَ بِالشَّامِ، لأَنَّهُ بَايَعَني الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ عَلى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، ولاَ لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ.

وإِنَّمَا الشُّورى لِلْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلى رَجُلٍ وسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ- عز وجل - رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوبِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلى مَا خَرَجَ مِنْهُ. فَإِنْ أَبى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، ووَلاَّهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وأَصْلاَهُ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيراً.

فَانْظُرْ، يَا شُرَيْحُ، أَنْ لاَ تَكُونَ ابْتَعْتَ هذه الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَونَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ، فَإِذاً أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا ودَارَ الآخِرَةِ جَمِيعاً.

أَمَا إِنَّكَ لَو كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلى هذه النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ في شِرَاءِ هذه الدَّارِ بِالدِّرْهَمِ فَمَا فَوْقَهُ.

قال شُرَيح: وما كنت تكتب يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: كُنْتُ أَكْتُبُ لَكَ هذَا الْكِتَابَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

هـذَا مَا اشْتَرى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أَزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وخِطَّةِ الْهَالِكِينَ.

وتَجْمَعُ هذه الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الأَوَّلُ مِنْهَا يَنْتَهِي إِلى دَوَاعِي الآفَاتِ.

والْحَدُّ الثَّانِي مِنْهَا يَنْتَهِي إِلى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ.

والْحَدُّ الثَّالِثُ مِنْهَا يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي.

والْحَدُّ الرَّابِعُ مِنْهَا يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وفيه يُشْرَعُ بَابُ هذه الدَّارِ.

إِشْتَرى هـذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ، مِنْ هذَا الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ، هذه الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، والدُّخُولِ في ذُلِّ الطَّلَبِ والضَّرَاعَةِ.

فَمَا أَدْرَكَ هـذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرى مِنْهُ مِنْ دَرْكٍ فَعَلى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، ومُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرى وقَيْصَرَ، وتُبَّعٍ وحِمْيَرَ، ومَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، ومَنْ بَنى وشَيَّدَ، وزَخْرَفَ ونَجَّدَ، وادَّخَرَ واعْتَقَدَ، ونَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ.

إِشْخَاصُهُمْ، واللَّهِ، جَمِيعاً إِلى مَوْقِفِ الْعَرْضِ والْحِسَابِ، ومَوْضِعِ الثَّوَابِ والْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ.

شَهِدَ عَلى ذَلِكَ: التَّوَانِي ابْنُ الْفَاقَةِ.

والْغُرُورُ ابْنُ الأَمَلِ.

والْحِرْصُ ابْنُ الرَّغْبَةِ.

واللَّهْوابْنُ اللَّعِبِ.

ومَنْ أَخْلَدَ إِلى مَحَلِّ الْثوى، ومَالَ إِلَى الدُّنْيَا عَنِ الأُخْرى.

[وَ] شَهِدَ عَلى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوى، وسَلِمَ مِنْ عَلاَئِقِ الدُّنْيَا، وسَمِعَ مُنَادِيَ الزُّهْدِ يُنَادي فِي عَرَصَاتِهَا: مَا أَبْيَنَ الْحَقَّ لِذي عَيْنَيْنِ إِنَّ الرَّحِيلَ أَحَدُ الْيَوْمَيْنِ تَزَوَّدُوا مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ، وقَرِّبُوا الآمَالَ بِالآجَالِ، فَقَدْ دَنَا الرِّحْلَةُ والزَّوَالُ.

كتاب له عليه السلام (٢٩)

إلى معاوية أرسله مع جرير بن عبد الله البجلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ بَيْعَتِي وأَنَا بِالْمَدِينَةِ قَدْ لَزِمَتْكَ وأَنْتَ بِالشَّامِ، لأَنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ عَلى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، ولاَ لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ.

وإِنَّمَا الشُّورى لِلْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلى رَجُلٍ وسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ- عز وجل - رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوبِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلى مَا خَرَجَ مِنْهُ. فَإِنْ أَبى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، ووَلاَّهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وأَصْلاَهُ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيراً.

ثُـمَّ إِنَّ طَلْحَـةَ والزُّبَيْـرَ بَايَعَانـي فِـي الْمَدِيـنَة، ثُمَّ نَقَضَا بَيْعَتَهُمَا، وكَانَ نَقْضُهُمَا كَـرِدَّتِهِمَا، فَجَاهَـدْتُهُمَا عَلى ذَلِكَ بَعْدَ مَا أَعْذَرْتُ إِلَيْهِمَا، حَتَّى جاءَ الْحَقُّ وظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وهُمْ كارِهُونَ.

واعْلَـمْ، يَـا مُعَاوِيَـةُ، أَنَّـكَ مِـنَ الطُّلَقَـاءِ الَّـذِينَ لاَ تَحِلُّ لَهُمُ الْخِلاَفَةُ، ولاَ تُعْقَدُ مَعَهُمُ الإِمَامَةُ، ولاَ يُدْخَلُونَ فِي الشُّورى.

فَادْخُـلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيَّ قَبُولُكَ الْعَافِيَةَ إِلاَّ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْبَلاَءِ.

فَإِنْ تَعَرَّضْتَ لَهُ قَاتَلْتُكَ، واسْتَعَنْتُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ.

وقَـدْ أَكْثَـرْتَ الْكَـلاَمَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ. فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ مِنْ بَيْعَتِي، ثُـمَّ حَـاكِمِ الْقَـوْمَ إِلَـيَّ، أَحْمِلْـكَ وإِيَّاهُمْ عَلى كِتَابِ اللهِ - تعالى - وسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

وأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ.

ولَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ.

ولَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ. إِلاَّ أَنْ تَتَجَنَّى، فَتَجْنَ مَا بَدَا لَكَ.

وقَـدْ أَرْسَـلْتُ إِلَـيْكَ وإِلـى مَـنْ قَـبْلَكَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ وهُومِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ والْهِجْرَةِ السَّابِقَةِ، فَبَايِعْ، ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٣٠)

إلى جرير بن عبد اللّه البجلي بعد ما تأخر في أخذ البيعة من معاوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى جُرَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هذَا فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وخُذْهُ بِالأَمْرِ الْجَزْمِ.

ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ: حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوسِلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وأَقْبِلْ إِلَيَّ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٣١)

إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي

وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل نعمان بن عجلان الزّرقي مكانه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيِّ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلاَنَ الزُّرْقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، ونَزَعْتُ يَدَكَ بِلاَ ذَمٍّ لَكَ، ولاَ تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ.

ولَعَمْرِي لَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلاَيَةَ، وأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ ولاَ مَلُومٍ، ولاَ مُتَّهَمٍ ولاَ مَأْثُومٍ.

فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسيرَ إِلى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ وبَقِيَّةِ الأَحْزَابِ، وأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعي لِقَاءَهُمْ.

فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلى جِهَادِ الْعَدُووَنَصْرِ الْهُدى وإِقَامَةِ عَمُودِ الدّينِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

جَعَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكَ مِنَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ بِالْحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ.

كتاب له عليه السلام (٣٢)

إلى مخنف بن سليم الأزدي عامله على إصبهان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ إِلى مَخْنَفِ بْنِ سَلِيمٍ الأَزْدي.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

فَإِنّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ جِهَادَ مَنْ صَدَفَ عَنِ الْحَقِّ رَغْبَةً عَنْهُ، وَهَبَّ في نُعَاسِ الْعَمى والضَّلاَلِ اخْتِيَاراً لَهُ، فَريضَةٌ عَلَى الْعَارِفينَ.

إِنَّ اللَّهَ يَرْضى عَمَّنْ أَرْضَاهُ، ويَسْخَطُ عَلى مَنْ عَصَاهُ.

وإِنَّا قَدْ هَمَمْنَا بِالْمَسيرِ إِلى هؤُلاَءِ الْقَوْمِ الَّذينَ عَمِلُوا في عِبَادِ اللَّهِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، واسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ، وعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وأَمَاتُوا الْحَقَّ، وأَظْهَرُوا فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ، واتَّخَذُوا الْفَاسِقينَ وَليجَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ.

فَإِذَا وَلِيُّ اللَّهِ أَعْظَمَ إِحْدَاثَهُمْ أَبْغَضُوهُ وأَقْصَوْهُ وحَرَمُوهُ، وإِذَا ظَالِمٌ سَاعَدَهُمْ عَلى ظُلْمِهِمْ أَحَبُّوهُ وأَدْنَوْهُ وبَرُّوهُ، فَقَدْ أَصَرُّوا عَلَى الظُّلْمِ، وأَجْمَعُوا عَلَى الْخِلاَفِ، وقَديماً مَا صَدُّوا عَنِ الْحَقِّ، وتَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ، وكَانُوا ظَالِمينَ.

فَإِذَا أُتيتَ بِكِتَابِي هذَا فَاسْتَخْلِفْ عَلى عَمَلِكَ أَوْثَقَ أَصْحَابِكَ في نَفْسِكَ، وأَقْبِلْ إِلَيْنَا، لَعَلَّكَ تَلْقى مَعَنَا هذَا الْعَدُوالْمُحِلَّ، فَتَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وتَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ، وتُجَامِعَ الْحَقَّ، وتُبَايِنَ الْبَاطِلَ، فَإِنَّهُ لاَ غَنَاءَ بِنَا ولاَ بِكَ عَنْ أَجْرِ الْجِهَادِ.

وحَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الْوَكِيلُ. ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

كتاب له عليه السلام (٣٣)

كان يكتبه إلى بعض أكابر أصحابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إِلَى الْمُقَرَّبِينَ فِي الأَظِلَّةِ، الْمُمْتَحَنِينَ بِالْبَلِيَّةِ، الْمُسَارِعِينَ فِي الطَّاعَةِ، الْمُسْتَيْقِنِينَ بِالْكَرَّةِ.

تَحِيَّةً مِنَّا إِلَيْكُمْ، وسَلاَمٌ عَلَيْكُمْ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله - تعالى - قَدْ خَصَّكُمْ بِالإِسْلاَمِ واسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وذَلِكَ لأَنَّهُ اسْمُ سَلاَمَةٍ، وجِمَاعُ كَرَامَةٍ.

إِصْطَفَى الله - تعالى - مَنْهَجَهُ، وبَيَّنَ حُجَجَهُ، ووَصَفَهُ وَحَدَّهُ ووَصَفَ أَخْلاَقَهُ، وجَعَلَهُ رَصّاً، وأَرَّفَ أُرَفَهُ، ووَصَلَ أَطْنَابَهُ، وأَكَّدَ مِيثَاقَهُ.

وفِي الْقُرْآنِ بُنْيَانُهُ وبَيَانُهُ، وحُدُودُهُ وأَرْكَانُهُ، ومَوَاضِيعُ مَقَادِيرِهِ، ووَزْنُ مِيزَانِهِ، مِيزَانِ الْعَدْلِ، وحُكْمِ الْفَصْلِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَخَلَ حُفْرَتَهُ أَتَاهُ مَلَكَانِ: أَحَدُهُمَا مُنْكَرٌ، والآخَرُ نَكِيرٌ.

فَأَوَّلُ مَا يَسْأَلاَنِهِ عَنْ رَبِّهِ، ثُمَّ عَنْ نَبِيِّهِ، ثُمَّ عَنْ وَلِيِّهِ، فَإِنْ أَجَابَ نَجَا، وإِنْ تَحَيَّرَ عَذَّبَاهُ.

فَقَالَ قَائِلٌ: فَمَا حَالُ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ، وعَرَفَ نَبِيَّهُ، ولَمْ يَعْرِفْ وَلِيَّهُ.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله: ذَلِكَ مُذَبْذَبٌ، لاَ إِلى هؤُلاَءِ ولاَ إِلى هؤُلاَءِ، ومَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا.

قِيلَ: فَمَنِ الْوَلِيُّ يَا رَسُولَ اللَّه.

فَقَالَ: وَلِيُّكُمْ في هذَا الزَّمَانِ أَنَا، ومِنْ بَعْدي وَصِيِّي عَلِيٌّ، ومِنْ بَعْدِه وَصِيُّهُ، ولِكُلِّ زَمَانٍ عَالِمٌ يَحْتَجُّ اللَّهُ بِه، كَيْلاَ تَقُولُوا كَمَا قَالَ الضُّلاَّلُ قَبْلَكُمْ حِينَ فَارَقَهُمْ نَبِيُّهُمْ: لَولا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ ونَخْزى.

وإِنَّمَا كَانَ تَمَامُ ضَلاَلَتِهِمْ جَهَالَتُهُمْ بِالآيَاتِ، وهُمُ الأَوْصِيَاءُ، فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ: قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ ومَنِ اهْتَدى.

وإِنَّمَا كَانَ تَرَبُّصُهُمْ أَنْ قَالُوا: نَحْنُ في سَعَةٍ عَنْ مَعْرِفَةِ الأَوْصِيَاءِ حَتَّى نَعْرِفَ إِمَاماً.

وإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلى خَلْقِه، وعُرَفَاؤُهُ عَلى عِبَادِه، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وعَرَفُوهُ، ولاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وأَنْكَرُوهُ، لأَنَّهُمْ عُرَفَاءُ الْعِبَادِ، عَرَّفَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهُمْ عِنْدَ أَخْذِ الْمَوَاثِيقِ عَلَيْهِمْ بِالطَّاعَةِ لَهُمْ، فَوَصَفَهُمْ في كِتَابِه فَقَالَ- جَلَّ وعَزَّ-: ﴿**وعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**﴾.

وهُمُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ، والنَّبِيُّونَ شُهَدَاءُ لَهُمْ بِأَخْذِه مَوَاثِيقَ الْعِبَادِ بِالطَّاعَةِ، وذَلِكَ قَوْلُ اللَّه-: ﴿**فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْتُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ ولا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً**﴾.

وكَذَلِكَ أَوْحَى الله - تَبَارَكَ وتَعَالى- إِلى آدَمَ: أَنْ يَا آدَمُ، قَدِ انْقَضَتْ مُدَّتُكَ، وقُضِيَتْ نُبُوَّتُكَ، واسْتَكْمَلْتَ أَيَّامَكَ، وحَضَرَ أَجَلُكَ، فَخُذِ النُّبُوَّةَ ومِيرَاثَ الْعِلْمِ، واسْمَ اللَّهِ الأَكْبَرَ، فَادْفَعْهُ إِلَى ابْنِكَ هِبَةِ اللَّه، فَإِنِّي لَمْ أَدَعِ الأَرْضَ بِغَيْرِ عَلَمٍ تُعْرَفُ بِه طَاعَتِي وتُعْرَفُ بِه وِلاَيَتِي.

فَلَمْ يَزَلِ الأَنْبِيَاءُ والأَوْصِيَاءُ يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ حَتَّى انْتَهَى الأَمْرُ إِلَيَّ.

وأَنَا أَدْفَعُ ذَلِكَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَصِيِّي، وهُومِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسى.

وإِنَّ عَلِيّاً يُوَرِّثُ وُلْدَهُ حَيَّهُمْ عَنْ مَيِّتِهِمْ.

فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ رَبِّهِ فَلْيَتَوَلَّ عَلِيّاً والأَوْصِيَاءَ مِنْ بَعْدِهِ، ولْيُسَلِّمْ لِفَضْلِهِمْ، فَإِنَّهُمُ الْهُدَاةُ بَعْدي.

أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فَهْمي وعِلْمي، فَهُمْ عِتْرَتي مِنْ لَحْمي ودَمي، أَشْكُوإِلَى اللَّهِ عَدُوَّهُمْ، والْمُنْكِرَ لَهُمْ فَضْلَهُمْ، والْقَاطِعَ عَنْهُمْ صِلَتي.

فَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، ومَعْدِنُ الرَّحْمَةِ، ومُخْتَلَفُ الْمَلاَئِكَةِ، ومَوْضِعُ الرِّسَالَةِ.

فَمَثَلُ أَهْلِ بَيْتي في هذِهِ الأُمَّةِ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ، ومَثَلِ بَابِ حِطَّةٍ في بَني إِسْرَائِيلَ، مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ.

فَأَيُّمَا رَايَةٍ خَرَجَتْ لَيْسَتْ مِنْ أَهْلِ بَيْتي فَهِيَ رَايَةٌ دَجَّالِيَّةٌ.

إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لِدِينِهِ أَقْوَاماً انْتَخَبَهُمْ لِلْقِيَامِ عَلَيْهِ، والنَّصْرِ لَهُ، طَهَّرَهُمْ بِكَلِمَةِ الإِسْلاَمِ، وأَوْحى إِلَيْهِمْ مُفْتَرَضَ الْقُرْآنِ، والْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ في مَشَارِقِ الأَرْضِ ومَغَارِبِهَا.

عَلَيْكُمْ نُورُ الْبَصِيرَةِ رُوحُ الْحَيَاةِ الَّذي لاَ يَنْفَعُ إِيمَانٌ إِلاَّ بِهِ، مَعَ اتِّبَاعِ كَلِمَةِ اللَّهِ والتَّصْدِيقِ بِهَا.

فَالْكَلِمَةُ مِنَ الرُّوحِ، والرُّوحُ مِنَ النُّورِ، والنُّورُ نُورُ السَّمواتِ والأَرْضِ.

فَبِأَيْدِيكُمْ سَبَبٌ وَصَلَ إِلَيْكُمْ مِنَّا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لاَ تَعْقِلُونَ شُكْرَهَا، خَصَّكُمْ بِهَا واسْتَخْلَصَكُمْ لَهَا، وتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وما يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ.

إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ أَنْ لَنْ يَحِلَّ عَقْدَهُ أَحَدٌ سِوَاهُ، فَسَارِعُوا إِلى وَفَاءِ الْعَهْدِ، وامْكُثُوا في طَلَبِ الْفَضْلِ، فَإِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ والْفَاجِرُ، وإِنَّ الآخِرَةَ وَعْدٌ صَادِقٌ يَقْضي فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ.

أَلاَ وإنَّ الأمْرَ كَمَا وُقِعَ، لِسَبْعٍ بَقَيْنَ مِنْ صَفَرٍ، تَسيرُ فيهَا الْجُنُودُ، ويَهْلِكُ فيهَا الْمُبْطِلُ الْجَحُودُ، خُيُولُهَا عِرَابٌ، وفُرْسَانُهَا حِرَابٌ، ونَحْنُ بِذَلِكَ وَاثِقُونَ، ولِمَا ذَكَرْنَا مُنْتَظِرُونَ، انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ، لِيُنْبِتَ الْعُشْبُ ويُجْنَى الثَّمَرُ.

دَعَانِي إِلَى الْكِتَابِ إِلَيْكُمُ اسْتِنْقَاذُكُمْ مِنَ الْعَمى، وإِرْشَادُكُمْ بَابَ الْهُدى، فَاسْلُكُوا سَبِيلَ السَّلاَمَةِ، فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْكَرَامَةِ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٣٤)

إلى العمّال الذين يطأ الجيش عملهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وعُمَّالِ الْبِلاَدِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ الله - تعالى- ، وقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ للَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الأَذى، وصَرْفِ الشَّذى.

وأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وإِلى أَهْلِ ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ، إِلاَّ مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لاَ يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلى شِبَعِه.

فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ، والتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ.

وأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ، فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ، ومَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ ولاَ تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلاَّ بِاللَّهِ وبِي فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

كتاب له عليه السلام (٣٥)

إلى المنذر بن الجارود العبدي

وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الأمانة في بعض ما ولّاه من أعماله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ الْعَبْدِي.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ مَا غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ، فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ، لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً، وَلاَ تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً.

تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ، وَلاَ تَسْمَعُ قَوْلَ النَّاصِحِ وَإِنْ أَخْلَصَ النُّصْحَ لَكَ.

بَلَغَنِي أَنَّكَ تَدَعُ عَمَلَكَ كَثِيراً، وَتَخْرُجُ لاَهِياً مُتَنَزِّهاً، تَطْلُبُ الصَّيْدَ، وَتُلاَعِبُ الْكِلاَبَ، وَأَنَّكَ قَدْ بَسَطْتَ يَدَكَ فِي مَالِ اللَّهِ لِمَنْ أَتَاكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ كَأَنَّهُ تُرَاثُكَ عَنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ.

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنَفَّذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ.

فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُكَ كِتَابِي هَذَا، إِنْ شَاءَ اللهُ - تعالى -. وَالسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٣٦)

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهوعامله على أردشير خُرّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلهَكَ، وأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ.

بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وخُيُولُهُمْ، وأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، ومَنِ اعْتَرَاكَ مِنَ السَّائِلَةِ والأَحْرَابِ وأَهْلِ الْكَدْيَةِ مِنَ الشُّعَرَاءِ، كَمَا تَقْسِمُ الْجَوْزَ.

فَوالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، وأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً لأُفَتِّشَنَّ عَنْ ذَلِكَ تَفْتِيشاً شَافِياً، فَلَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً، ولَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً.

فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، ولاَ تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وهُمْ يَحْسَبُونَ.

أَلاَ وإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ، يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ، ويَصْدُرُونَ عَنْهُ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٣٧)

إلى مصقلة بن هبيرة أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى مُصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ.]

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ، وأَفْظَعَ الْغِشِّ عَلَى أَهْلِ الْمِصْرِ غِشُّ الأَئِمَّةِ.

وعِنْدَكَ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَمِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَابْعَثْ بِهَا إِلَيَّ سَاعَةَ يَأْتِيكَ رَسُولِي.

وإِلاَّ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي، فَإِنِّي قَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَى رَسُولِي إِلَيْكَ أَنْ لاَ يَدَعَكَ تُقِيمُ سَاعَةً وَاحِدَةً بَعْدَ قُدُومِهِ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنْ تَبْعَثَ بِالْمَالِ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٣٨)

إلى عمر بن أبي سَلَمة الأرحبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الأَرْحَبِيِّ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وقَسْوَةً، واحْتِقَاراً وجَفْوَةً.

ونَظَرْتُ فِي أَمْرِهِمْ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، ولاَ لأَنْ يُقْصَوْا ويُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ فِي غَيْرِ ظُلْمٍ ولاَ نَقْصٍ.

ودَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ والرَّأْفَةِ، وامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ والإِدْنَاءِ، والإِبْعَادِ والإِقْصَاءِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَإِنْ هُمْ أَجْبَوْنَا صَاغِرِينَ فَخُذْ مَا لَكَ عِنْدَهُمْ وَهُمْ صَاغِرُونَ، وَلاَ تَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً، فَقَدْ قَالَ الله - عز وجل -: ﴿لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾.

وقَالَ - جَلَّ وعَزَّ - في أَهْلِ الْكِتَابِ -: ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ والنَّصارى أَوْلِياءَ﴾.

وقَالَ - تَبَارَكَ وتَعَالى - : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

وقَرِّعْهُمْ بِخَرَاجِهِمْ، وقَاتِلْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وإِيَّاكَ ودِمَاءَهُمْ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٣٩)

إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهوعامله على المدينة،

في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلى مُعَاوِيَةَ.

فَلاَ تَأْسَفْ عَلى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، ويَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفى لَهُمْ غَيّاً، ولَكَ مِنْهُمْ شَافِياً، فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدى والْحَقِّ، وإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمى والْجَهْلِ.

وإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، ومُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ ورَأَوْهُ، وسَمِعُوهُ ووَعَوْهُ، وقَدْ عَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ، فَبُعْداً لَهُمْ وسُحْقاً.

إِنَّهُمْ، واللَّهِ، لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ، ولَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ.

أَمَا لَوقَدْ بُعْثِرَتِ الْقُبُورُ، وحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، واجْتَمَعَتِ الْخُصُومُ، وقَضَى اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِالْحَقِّ، لَتَبَيَّنَ لِلْقَوْمِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ.

وإِنَّا لَنَطْمَعُ في هذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللَّهُ لَنَا أَصْعَبَهُ، ويُسَهِّلَ لَنَا أَحْزَنَهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَسْأَلُنِي الإِذْنَ لَكَ فِي الْقُدُومِ، فَاقْدِمْ إِذَا شِئْتَ، عَفَى اللَّهُ عَنَّا وعَنْكَ، ولاَ تَذَرْ خَلَلًا. والسَّلاَمُ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ.

كتاب له عليه السلام (٤٠)

إلى عثمان بن حُنيف في قوم كانوا قد شردوا عن الطاعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ عَادُوا إِلى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذي نُحِبُّ، وإِنْ تَوَافَتِ الأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ، وتَمَادَ[تْ] بِهِمْ إِلَى الْعِصْيَانِ، فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلى مَنْ عَصَاكَ، واسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ.

فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وقُعُودُهُ أَغْنى مِنْ نُهُوضِهِ، والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٤١)

إلى مولى له سأله مالًا

فقال له عليه السلام يخرج عطائي فأقاسمك، فخرج إلى معاوية فأعطاه جائزة سنيّة ومالًا كثيراً، فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بما أصاب من المال، فكتب إليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذي في يَدَيْكَ مِنْ مَالِ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ، وهُوصَائِرٌ إِلى أَهْلٍ بَعْدَكَ، وإِنَّمَا لَكَ مِنْهُ مَا مَهَّدْتَ لِنَفْسِكَ.

فَآثِرْ نَفْسَكَ عَلى صَلاَحِ وُلْدِكَ، فَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ عَمِلَ فيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ.

أَورَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ.

ولَيْسَ أَحَدُ هذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلى نَفْسِكَ، ولاَ أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلى ظَهْرِكَ.

فَارْجُ لِمَنْ مَضى رَحْمَةَ اللَّهِ، وثِقْ لِمَنْ بَقِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ.

كتاب له عليه السلام (٤٢)

إلى كميل بن زياد النخعي وهوعامله على هيت

ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدوطالباً الغارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى كُمَيْلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ، وتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ، ورَأْيٌ مُتَبَّرٌ.

وإِنَّ تَعَاطِيكَ الْغَارَةَ عَلى أَهْلِ قَرْقِيسِيَا، وتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتي وَلَّيْنَاكَ عَلَيْهَا، لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا، ولاَ يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا، لَرَأْيُ شَعَاعٌ.

فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلى أَوْلِيَائِكَ، غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ، ولاَ مَهِيبِ الْجَانِبِ، ولاَ سَادٍّ ثُغْرَةً، ولاَ كَاسِرٍ لِعَدُوشَوْكَةً، ولاَ مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، ولاَ مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ.

والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٤٣)

إلى أهل البصرة كتبه إليهم مع جارية بن قدامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ كِتَابِي هذَا مِنْ سَاكِنِي الْبَصْرَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُسْلِمِينَ.

سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ ذُوأَنَاة، لاَ يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ قَبْلَ الْبَيِّنَةِ، ولاَ يَأْخُذُ الْمُذْنِبَ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، ولكِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ، ويَسْتَدِيمُ الأَنَاةَ، ويَرْضى بِالإِنَابَةِ، لِيَكُونَ أَعْظَمَ لِلْحُجَّةِ، وأَبْلَغَ فِي الْمَعْذِرَةِ.

وقَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وشِقَاقِكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ مَا لَمْ تَغْبَوْا عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، ورَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ، وأَخَذْتُ بَيْعَتَكُمْ.

فَإِنْ تَفُوا بِبَيْعَتِي، وتَقْبَلُوا نَصِيحَتِي، وتَسْتَقِيمُوا عَلى طَاعَتِي، أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالْكِتَابِ والسُّنَّةِ وقَصْدِ الْحَقِّ، وأُقِمْ فِيكُمْ سَبِيلَ الْهُدى.

فَواللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ وَالِياً بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله أَعْلَمُ بِذلِكَ مِنِّي ولاَ أَعْمَلُ.

أَقُولُ قَوْلِي هذَا صَادِقاً غَيْرَ ذَامٍّ لِمَنْ مَضى، ولاَ مُنْتَقِصاً لأَعْمَالِهِمْ.

فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ، وسَفَهُ الآرَاءِ الْجَائِرَةِ، إِلى مُنَابَذَتِي وخِلاَفِي، فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، ورَحَّلْتُ رِكَابِي.

وأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لاَ يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلاَّ كَلَعْقَةِ لاَعِقٍ.

وإِنِّي لَظَانٌّ أَنْ لاَ تَجْعَلُوا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، عَلى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلاً.

مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلى بَرِيءٍ، ولاَ نَاكِثاً إِلى وَفِيٍّ.

وقَدْ قَدَّمْتُ هذَا الْكِتَابَ إِلَيْكُمْ حُجَّةً عَلَيْكُمْ، ولَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ كِتَاباً إِنْ أَنْتُمُ اسْتَغْشَشْتُمْ نَصِيحَتِي، ونَابَذْتُمْ رَسُولِي، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الشَّاخِصُ نَحْوَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالى. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٤٤)

إلى عمروبن العاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عَمْرِوبْنِ الْعَاصِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وصَاحِبُهَا مَنْهُومٌ عَلَيْهَا، مَقْهُورٌ فِيهَا.

لَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلاَّ فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، ولَهَجاً بِهَا، وأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ مَؤُونَةً تَزِيدُهُ رَغْبَةً فِيهَا.

ولَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا.

ومِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، ونَقْضُ مَا أَبْرَمَ.

والسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَلاَ تُحْبِطْ، أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، عَمَلَكَ بِمُجَارَاةِ مُعَاوِيَةَ فِي بَاطِلِهِ، فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ غَمَصَ النَّاسَ، وسَفِهَ الْحَقَّ، واخْتَارَ الْبَاطِلَ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٤٥)

إلى عمروبن العاص أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عَمْرِوبْنِ الْعَاصِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذي أَعْجَبَكَ مِنَ الدُّنْيَا مِمَّا نَازَعَتْكَ إِلَيْهِ نَفْسُكَ مِنْهَا، ووَثِقْتَ بِهِ مِنْهَا، لَمُنْقَلِبٌ عَنْكَ ومُفَارِقٌ لَكَ، فَلاَ تَطْمَئِنَّ إِلَى الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَّارَةٌ.

ولَواعْتَبَرْتَ بِمَا مَضى حَفِظْتَ مَا بَقِى، وانْتَفَعْتَ مِنْهَا بِمَا وُعِظْتَ بِهِ، ولكِنَّكَ اتَّبَعْتَ هَوَاكَ وآثَرْتَهُ.

ولَولاَ ذَلِكَ لَمْ تُؤْثِرْ عَلى مَا دَعَوْتَاكَ إِلَيْهِ غَيْرَهُ، لأَنَّا أَعْظَمُ رَجَاءً وأَوْلى بِالْحُجَّةِ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٤٦)

إلى عمروبن العاص كذلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الأَبْتَرِ ابْنِ الأَبْتَرِ عَمْرِوبْنِ الْعَاصِ بنِ وَائِلٍ، شَانِئِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ والإِسْلاَمِ.

سَلاَمٌ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ فَاسِقٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، ويُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَصَارَ قَلْبُكَ لِقَلْبِهِ تَبَعاً، كَمَا قِيلَ: وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَهُ.

وكَانَ عِلْمُ اللَّه بَالِغاً فيكَ.

فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ للضِّرْغَامِ، يَلُوذُ إلى مَخَالِبِه، ويَنْتَظِرُ مَا يُلْقِي إلَيْهِ مِنْ فَضْلِ سُؤْرِه، وحَوَايَا فَرِيسَتِه، فَأَذْهَبْتَ دِينَكَ وأَمَانَتَكَ، ودُنْيَاكَ وآخِرَتَكَ، ولكِنْ لاَ نَجَاةَ مِنَ الْقَدَرِ.

ولَوبالْحَقِّ أَخَذْتَ لأَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ.

وقَدْ رَشَدَ مَنْ كَانَ الْحَقُّ قَائِدَهُ.

فَإِنْ يُمَكِّنِّي اللَّهُ مِنْكَ ومِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، [وَ] أَلْحِقُكُمَا بِمَنْ قَتَلَهُ اللَّهُ مِنْ ظَلَمَةِ قُرَيْشٍ عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ.

وإِنْ تُعْجِزَانِي وتَبْقَيَا بَعْدِي فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، [وَ] اللَّهُ حَسْبُكُمَا.

وكَفَى بِانْتِقَامِه انْتِقَاماً، وبِعِقَابِه عِقَاباً. والسَّلاَمُ لأَهْلِه.

كتاب له عليه السلام (٤٧)

إلى زياد بن النضر وشُريح بن هانئ

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّه عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إلى زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ وشُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وعَلى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ، فَاسْمَعَا لَهُ، وأَطِيعَا أَمْرَهُ، واجْعَلاَهُ دِرْعاً ومِجَنّاً، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لاَ يُخَافُ وَهْنُهُ ولاَ سَقْطَتُهُ، ولاَ بُطْؤُهُ عَمَّا الإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، ولاَ إِسْرَاعُهُ إلى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

وقَدْ أَمَرْتُهُ بِمِثْلِ الَّذِي كُنْتُ أَمَرْتُكُمَا بِه، أَنْ لاَ يَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ حَتَّى يَلْقَاهُمْ فَيَدْعُوَهُمْ ويُعْذِرَ إِلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٤٨)

إلى معاوية ومَن معه من الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَمَنْ قِبَلَهُ مِنَ النَّاسِ.

سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً آمَنُوا بِالتَّنْزِيلِ، وَعَرَفُوا التَّأْوِيلَ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ، وَبَيَّنَ اللَّهُ فَضْلَهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، وَأَنْتَ، يَا مُعَاوِيَةُ وَأَبُوكَ وَأَهْلُكَ، فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مُكَذِّبُونَ بِالْكِتَابِ الْمُبِينِ، مُجْتَمِعُونَ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ ثَقِفْتُمْ مِنْهُمْ حَبَسْتُمُوهُ أَوْعَذَّبْتُمُوهُ أَوْقَتَلْتُمُوهُ.

وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ - تعالى - الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَهْبَةً وَإِمَّا رَغْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ.

فَلاَ يَنْبَغِي لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ مِثْلُ سَوَابِقِهِمْ فِي الدِّينِ، وَلاَ فَضَائِلِهِمْ فِي الإِسْلاَمِ، أَنْ يُنَازِعَهُمُ الأَمْرَ الَّذِي هُمْ أَهْلُهُ وَأَوْلَى بِهِ، فَيَحُوبَ بِظُلْمِهِ.

وَلاَ يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ أَنْ يَجْهَلَ أَمْرَهُ وَقَدْرَهُ، وَلاَ أَنْ يَعْدُوَ حَدَّهُ وَطَوْرَهُ، وَلاَ أَنْ يُشْقِيَ نَفْسَهُ بِالْتِمَاسِ مَا لَيْسَ لَهُ وَلاَ بِأَهْلِهِ.

ثُمَّ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِأَمْرِ هذِهِ الأُمَّةِ قَدِيماً وَحَدِيثاً أَقْرَبُهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ - عز وجل -، وَأَفْقَهُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، وَأَوَّلُهُمْ إِسْلاَماً، وَأَفْضَلُهُمْ جِهَاداً، وَأَشَدُّهُمْ بِمَا تَحْمِلُهُ الأَئِمَّةُ مِنْ أَمْرِ الأُمَّةِ اضْطِلاَعاً.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، ولا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وتَكْتُمُوا الْحَقَّ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

واعْلَمُوا أَنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، وأَنَّ شِرَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يُنَازِعُونَ بِالْجَهْلِ أَهْلَ الْعِلْمِ.

فَإِنَّ لِلْعَالِمِ بِعِلْمِه فَضْلًا، وإِنَّ الْجَاهِلَ لَنْ يَزْدَادَ بِمُنَازَعَتِه الْعَالِمَ إِلاَّ جَهْلًا.

أَلاَ وإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلى كِتَابِ اللهِ - عز وجل - وسُنَّةِ نَبِيِّه مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه، وحَقْنِ دِمَاءِ هذِه الأُمَّة، فَإِنْ قَبِلْتُمْ أَصَبْتُم رُشْدَكُمْ، واهْتَدَيْتُمْ لِحَظِّكُمْ، وإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْفُرْقَةَ وشَقَّ عَصَا هذِه الأُمَّة، فَلَنْ تَزْدَادُوا مِنَ اللَّهِ إِلاَّ بُعْداً، ولَنْ يَزْدَادَ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ إِلاَّ سَخَطاً. والسَّلامُ.

كتاب له عليه السلام (٤٩)

إلى معاوية يفنّد فيه مزاعمه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَخَا خَوْلاَنَ قَدِمَ عَلَيَّ بِكِتَابٍ مِنْكَ تَذْكُرُ فِيه اصْطِفَاءَ اللَّهِ فِيه نَبِيَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ لِدِينِه، وتَأْيِيدِه إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ، ومَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِه مِنَ الْهُدَى والْوَحْيِ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ لَهُ الْوَعْدَ، وتَمَّمَ لَهُ النَّصْرَ، ومَكَّنَ لَهُ فِي الْبِلاَدِ، وأَظْهَرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه، وقَمَعَ بِه أَهْلَ الْعَدَاوَةِ والشَّنَآنِ مِنْ قَوْمِه، الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، وشَنِفُوا لَهُ، وظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِه وإِخْرَاجِ أَصْحَابِه، وأَلَّبُوا عَلَيْهِ الْعَرَبَ، وجَامَعُوهُمْ عَلَى حَرْبِه، وجَهِدُوا فِي أَمْرِهِ كُلَّ الْجُهْدِ، وقَلَّبُوا لَهُ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وهُمْ كَارِهُونَ.

وكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ تَأْلِيباً وتَحْرِيضاً أُسْرَتُهُ، والأَدْنى فَالأَدْنى مِنْ قَوْمِهِ، إِلاَّ قَلِيلًا مِمَّنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ.

وذَكَرْتَ أَنَّ الله - جَلَّ ثَنَاؤُهُ وتَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ- اجْتَبى لَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَعْوَاناً أَيَّدَهُ بِهِمْ، فَكَانُوا فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ عَلى قَدْرِ فَضَائِلِهِمْ فِي الإِسْلاَمِ، فَكَانَ أَفْضَلَهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، كَمَا زَعَمْتَ، وأَنْصَحَهُمْ للَّهِ ولِرَسُولِهِ، الْخَلِيفَةُ الصِدِّيقُ، ومِنْ بَعْدِهِ خَلِيفَةُ الْخَلِيفَةِ الْفَارُوقُ.

ولَعَمْرِي إِنْ كَانَ مَكَانُهُمَا فِي الإِسْلاَمِ لَعَظِيماً، وإِنَّ كَانَ الْمُصَابُ بِهِمَا لَجُرْحاً فِي الإِسْلاَمِ شَدِيدٌ. فَرَحِمَهُمَا اللَّهُ وجَزَاهُمَا بِأَحْسَنِ مَا عَمِلاَ.

ومَا أَنْتَ والصِّدِّيقُ، فَالصِّدِّيقُ مَنْ صَدَّقَ بِحَقِّنَا، وأَبْطَلَ بَاطِلَ عَدُوِّنَا.

ومَا أَنْتَ والْفَارُوقُ، فَالْفَارُوقُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَنَا وبَيْنَ عَدُوِّنَا.

وذَكَرْتَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ كَانَ فِي الْفَضْلِ ثَالِثاً.

فَإِنْ يَكُنْ عُثْمَانُ مُحْسِناً فَسَيَجْزِيهِ اللَّهُ بِإِحْسَانِهِ، وإِنْ يَكُ مُسِيئاً فَسَيَلْقَى رَبّاً غَفُوراً لاَ يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ.

ولَعَمْرُ اللَّهِ، إِنِّي لأَرْجُو إِذَا أَعْطَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلى قَدْرِ فَضَائِلِهِمْ فِي الإِسْلاَمِ، ونَصِيحَتِهِمْ للَّهِ ولِرَسُولِهِ أَنْ يَكُونَ نَصِيبُنَا أَهْلُ الْبَيْتِ فِي ذَلِكَ الأَوْفَرُ.

إِنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ لَمَّا دَعَا إِلَى الإِيمَانِ بِاللَّهِ والتَّوْحِيدِ لَهُ كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وصَدَّقَ بِمَا جَاءَ بِهِ.

فَلَبِثْنَا أَحْوَالًا كَامِلَةً مُجَرَّمَةً تَامَّةً ومَا يَعْبُدُ اللَّهَ فِي رَبْعٍ سَاكِنٍ مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ غَيْرُنَا.

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْمِيرَةَ، وأَمْسَكُوا عَنَّا الْعَذْبَ، وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إِلى جَبَلٍ وَعْرٍ، وجَعَلُوا عَلَيْنَا الأَرْصَادَ والْعُيُونَ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، وكَتَبُوا عَلَيْنَا بَيْنَهُمْ كِتَاباً: لاَ يُوَاكِلُونَنَا، ولاَ يُشَارِبُونَنَا، ولاَ يُنَاكِحُونَنَا، ولاَ يُبَايِعُونَنَا، ولاَ يُكَلِّمُونَنَا، ولاَ نَأْمَنُ فِيهِمْ حَتَّى

نَدْفَعَ إِلَيْهِمْ نَبِيَّنَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ فَيَقْتُلُوهُ ويُمَثِّلُوا به.

فَلَمْ نَكُنْ نَأْمَنُ فيهِمْ إلاَّ مِنْ مَوْسِمٍ إلى مَوْسِمٍ.

فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلى مَنْعه والذَّبِّ عَنْ حَوْزَته، والرَّمْيِ مِنْ وَرَاء حُرْمَته، والْقيَامِ بأَسْيَافنَا دُونَهُ في سَاعَاتِ الْخَوْفِ، وبِاللَّيْلِ والنَّهَارِ، فَمُؤْمِنُنَا يَبْغي بِذَلِكَ الأَجْرَ، وكَافِرُنَا يُحَامي عَنِ الأَصْلِ.

وأَمَّا مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدُ فَإِنَّهُ خلْومِمَّا نَحْنُ فيه بحلْف يَمْنَعُهُ، أوعَشيرَة تَقُومُ دُونَهُ، فَلاَ يَبْغيه أَحَدٌ بمثْلِ مَا بَغَانَا به قَوْمُنَا مِنَ التَّلَفِ، فَهُومِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ نَجْوَةٍ وأَمْنٍ.

فَكَانَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ.

ثُمَّ أَمَرَ الله - تعالى - رَسُولَهُ بالْهجْرَة، وأَذِنَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ في قتَال الْمُشْرِكِينَ.

وكَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، ودُعِيَتْ نزَال، وأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْته فَوَقى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوف والأَسنَّة، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِث يَوْمَ بَدْر. وقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُد. وقُتِلَ جَعْفَرُ وزَيْدٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ.

وأَسْلَمَ النَّاسُ نَبِيَّهُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ غَيْرَ الْعَبَّاس عمِّه، وأبي سُفْيَانَ بْن الْحَارِث بْن عَبْد الْمُطَّلب ابْن عَمِّه. وأَرَادَ مَنْ لَوشئْتَ، يَا مُعَاوِيَةَ، ذَكَرْتُ اسْمَهُ مثْلَ الَّذي أَرَادُوا منَ الشَّهَادَة مَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّة، ولكنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، ومَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ. واللَّهُ وَليُّ الاحْسَان إِلَيْهِمْ، والْمَنَّانُ عَلَيْهِمْ، بمَا قَدْ أَسْلَفُوا منَ الصَّالحَات.

وأَيْمُ اللَّه مَا سَمِعْتُ بأَحَد ولاَ رَأَيْتُ مَنْ هُوأَنْصَحُ للَّه في طَاعَة رَسُوله، ولاَ أَطْوَعُ لرَسُوله في طَاعَة رَبِّه، ولاَ أَصْبَرَ عَلَى اللأْوَاء والضَّرَّاء، وحينَ الْبَأْس، ومَوَاطن الْمَكْرُوه، مَعَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ منْ هؤُلاَء النَّفَر منْ أَهْل بَيْته الَّذينَ سَمَّيْتُ لَكَ، وفي الْمُهَاجرينَ خَيْرٌ كَثيرٌ نَعْرفُهُ، جَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْراً بأَحْسَن أَعْمَالهمْ.

وذَكَرْتَ حَسَدي عَلَى الْخُلَفَاء، وإِبْطَائي عَنْهُمْ، وبَغْيي عَلَيْهِمْ.

فَأَمَّا الْحَسَدُ والْبَغْيُ عَلَيْهِمْ، فَمَعَاذَ اللَّه أَنْ أَكُونَ أَسْرَرْتُهُ أَوأَعْلَنْتُهُ، بَلْ أَنَا الْمَحْسُودُ الْمَبْغِيُّ عَلَيْه.

وأمَّا الإبطاءُ عَنْهُمْ والْكَرَاهَةُ لأمْرِهِمْ. فَإنّي لَسْتُ أعْتَذِرُ مِنْهُ إلَيْكَ ولاَ إلَى النَّاسِ. وذَلِكَ لأنَّ الله - جَلَّ ذِكْرُهُ- لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ اخْتَلَفَ النَّاسُ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: منَّا الأميرُ، وقَالَت الأنْصَارُ: منَّا الأميرُ.

فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: منَّا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فَنَحْنُ أحَقُّ بِالأمْرِ مِنْكُمْ. فَعَرَفَتْ ذَلِكَ الأنْصَارُ، فَسَلَّمَتْ لقُرَيْشٍ الْوِلاَيَةَ والسُّلْطَانَ.

فَإذَا اسْتَحَقُّوهَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ دُونَ الأنْصَارِ، فَإنَّ أوْلَى النَّاسِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أحَقُّ بِهَا مِنْهُمْ، وإلاَّ فَإنَّ الأنْصَارُ أعْظَمُ الْعَرَبِ فِيهَا نَصِيباً.

فَلاَ أدْرِي أصْحَابِي سَلَّمُوا مِنْ أنْ يَكُونُوا حَقِّي أخَذُوا، أوالأنْصَارَ ظَلَمُوا.

بَلْ عَرَفْتُ أنَّ حَقِّي هُوالْمَأْخُوذُ، وقَدْ تَرَكْتُهُ لَهُمْ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فَيَا عَجَباً للدَّهْرِ إذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، ولَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لاَ يُدْلِي أحَدٌ بِمِثْلِهَا، إلاَّ أنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لاَ أعْرِفُهُ، ولاَ أظُنُّ الله - تعالى- يَعْرِفُهُ. فَالْحَمْدُ للَّه عَلى كُلِّ حَالٍ.

وأمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أمْرِ عُثْمَانَ، وقَطِيعَتِي رَحِمَهُ، وتَأْلِيبِي النَّاسَ عَلَيْهِ. فَإنَّ عُثْمَانَ عَمِلَ مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الْحَدَثِ، فَصَنَعَ النَّاسُ بِهِ مَا قَدْ رَأيْتَ مِنَ التَّغْيِيرِ.

وإنَّكَ لَتَعْلَمُ، يَا مُعَاوِيَةُ، أنّي قَدْ كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، يَسَعُنِي مِنْ ذَلِكَ مَا وَسِعَ أصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ. إلاَّ أنْ تَتَجَنَّى، فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ.

وأمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إلَيْكَ، فَإنّي نَظَرْتُ فِي هذَا الأمْرِ، وضَرَبْتُ أنْفَهُ وعَيْنَيْهِ، فَلَمْ أرَ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إلَيْكَ ولاَ إلَى غَيْرِكَ.

ولَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وشِقَاقِكَ، يَا ابْنَ آكِلَةِ الأكْبَادِ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، ولاَ يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ ولاَ بَحْرٍ، ولاَ جَبَلٍ ولاَ سَهْلٍ، إلاَّ أنَّهُ طَلَبٌ يَسُوؤُكَ وِجْدَانُهُ، وزَوْرٌ لاَ يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ.

ولَقَدْ كَانَ أَبُوكَ أَبُوسُفْيَانَ أَتَاني حينَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ ووَلِّي النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: لأَنْتَ أَحَقُّ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ وأَوْلَى بِهذَا الأَمْرِ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ خَالَفَ عَلَيْكَ، ابْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ، فَأَنْتَ أَعَزُّ الْعَرَبِ دَعْوَةً. فَلَمْ أَقْبَلْ ذَلِكَ.

وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ قَدْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ وأَرَادَهُ، حَتَّى كُنْتُ أَنَا الَّذي أَبَيْتُ عَلَيْهِ لِقُرْبِ عَهْدِ النَّاسِ بِالْكُفْرِ والْجَاهِلِيَّةِ، مَخَافَةَ الْفُرْقَةِ بَيْنَ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، وشَقِّ عَصَا الأُمَّةِ.

فَإِنْ تَعْرِفْ مِنْ حَقِّي مَا كَانَ يَعْرِفُ أَبُوكَ تُصِبْ رُشْدَكَ، وإِنْ أَبَيْتَ اسْتَعَنْتُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ ونِعْمَ الْمُسْتَعَانُ، وعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإِلَيْهِ أُنيبُ.

والسَّلاَمُ لأَهْلِه.

كتاب له عليه السلام (٥٠)

إلى معاوية أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ مُرُورَ الدُّنْيَا وانْقِضَاءَهَا، وتَصَرُّمَهَا، وتَصَرُّفَهَا بِأَهْلِهَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا.

وخَيْرُ مَا اكْتَسَبْتَ مِمَّا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَصَابَ الْعِبَادُ الصَّالِحُونَ الصَّادِقُونَ فِيمَا مَضَى مِنْهَا مِنَ التَّقْوَى.

ومَنْ يَقِسْ شَأْنَ الدُّنْيَا بِشَأْنِ الآخِرَةِ يَجِدْ بَيْنَهُمَا بَوْناً بَعِيداً.

واعْلَمْ، يَا مُعَاوِيَةُ، أَنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِه لاَ فِي قَدِيمٍ ولاَ فِي حَدِيثٍ،

ولاَ فِي الْقِدَمِ ولاَ فِي الْوِلاَيَةِ.

ولَسْتَ تَقُولُ فيه بِأَمْرٍ بَيِّنٍ تُعْرَفُ لَكَ به أَثَرَةٌ ولاَ لَكَ عَلَيْه شَاهِدٌ، ولَسْتَ مُتَعَلِّقاً بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّه، ولاَ عَهْدٍ تَدَّعِيه مِنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

فَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فيه مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، وخُلِّيَ فيهَا بَيْنَكَ وبَيْنَ عَدُوِّ كَلْبٍ مُضِلٍّ، جَاهِدٍ مُلِحٍّ، مَعَ مَا قَدْ ثَبَتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ حُبِّ دُنْيَاً قَدْ دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا.

فَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الأَمْرِ قَدْ وَجَدْتَهُ يُنْجِيكَ.

وإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مجَنٌّ، فَاسْتَيْقِظْ مِنْ سِنَتِكَ، وارْجِعْ إِلَى خَالِقِكَ، واقْعَسْ عَنْ هَذَا الأَمْرِ، وخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ، وشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، ولاَ تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ، والشَّيْطَانَ مِنْ بُغْيَتِه فِيكَ، مَعَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ صَادِقَانِ فِيمَا قَالاَ.

وإِنْ لاَ تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ والدَّمِ فِي الْعُرُوقِ.

ومَتَى كُنْتُمْ، يَا مُعَاوِيَةُ، سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، ووُلاَةَ أَمْرِ الأُمَّةِ، بِغَيْرِ قَدَمٍ حَسَنٍ سَابِقٍ، ولاَ شَرَفٍ عَلَى قَوْمِكُمْ بَاسِقٍ. فَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ.

وأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ الأُمْنِيَةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَةِ والسَّرِيرَةِ.

واعْلَمْ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ لَوْ كَانَ إِلَى النَّاسِ أَوبِأَيْدِيهِمْ لَحَسَدُونَاهُ، ولاَمْتَنُّوا بِه عَلَيْنَا، ولَكِنَّهُ قَضَاءٌ مِمَّنْ مَنَحَنَاهُ واخْتَصَّنَا بِه، عَلَى لِسَانِ نَبِيِّه الصَّادِقِ الْمُصَدَّقِ. لاَ أَفْلَحَ مَنْ شَكَّ بَعْدَ الْعِرْفَانِ والْبَيِّنَةِ.

يَا ابْنَ صَخْرِ اللَّعِينِ الأَبْتَرِ، زَعَمْتَ أَنْ يَزِنَ الْجِبَالَ حِلْمُكَ ويَفْصِلَ بَيْنَ أَهْلِ الشَّكِّ عِلْمُكَ، وأَنْتَ الْجِلْفُ الْمُنَافِقُ، الأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْقَلِيلُ الْعَقْلِ، الْجَبَانُ، الرَّذْلُ.

وقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِيمَا تَسْطُرُ، ويُعِينُكَ عَلَيْه الأَبْتَرَانِ

أَخُوبَنِي سَهْمٍ، وابْنُ النَّابِغَة، فَدَعِ النَّاسَ جَانباً وابْرُزْ لِمَا دَعَوْتَني إِلَيْه منَ الْحَرْب، والصَّبْرِ عَلَى الضَّرْب، واخْرُجْ إِلَيَّ وَاعْفِ الْفَرِيقَيْنَ مِنَ الْقِتَال، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلى قَلْبِه، والْمُغَطَّى عَلى بَصَرِه.

فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالب، وأَنَا أَبُوالْحَسَنِ والْحُسَيْنِ، قَاتِلُ جَدِّك عُتْبَةَ، وأَخيكَ حَنْظَلَةَ، وعَمِّكَ شَيْبَةَ وخَالكَ الْوَلِيد، شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، ومَا أَنْتَ مِنْهُمْ بِبَعيد.

وذَلكَ السَّيْفُ مَعي، وبِذَلكَ الْقَلْبِ أَلْقى عَدُوّي، يَحْمِلُهُ سَاعِدي، بِثَبَاتٍ مِنْ صَدْري، وقُوَّةٍ مِنْ بَدَني، ونَصْرَةٍ مِنْ رَبّي، كَمَا خَلَّفَهُ النَّبِيُّ في كَفّي.

واللَّه مَا اسْتَبْدَلْتُ ديناً، ولاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً، وإِنّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذي تَرَكْتُمُوهُ طَائعينَ، ودَخَلْتُمْ فيه مُكْرَهينَ.

وزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائراً بِدَمِ عُثْمَانَ، ولَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ، فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالباً.

ولَيْسَ إِبْطَائي عَنْكَ إِلاَّ تَرَقُّباً لِمَا أَنْتَ لَهُ مُكَذِّبٌ وأَنَا لَهُ مُصَدِّقٌ.

فَكَأَنّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْب، إِذَا عَضَّتْكَ، ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالأَثْقَال، وكَأَنّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُوني جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، والْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، ومَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ، إِلى كِتَابِ اللَّه، وهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَومُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ.

اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَنْ خَالَفَنَا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمينَ.

وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى، وخَشِيَ عَوَاقِبَ الرَّدى.

كتاب له عليه السلام (٥١)

إلى معاوية كذلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّه عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ مُشَاغَبَتِي، وتَسْتَقْبِحُ مُوَازَرَتِي، وتَزْعُمُنِي مُتَجَبِّراً، وعَنْ حَقِّ اللَّه مُقَصِّراً.

فَسُبْحَانَ اللَّه، كَيْفَ تَسْتَجِيزُ الْغِيبَةَ، وتَسْتَحْسِنُ الْعَضِيهَةَ. فَإِنِّي لَمْ أُشَاغِبْ إِلاَّ فِي أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَونَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ. ولَمْ أَتَجَبَّرْ إِلاَّ عَلى بَاغٍ مَارِقٍ، أَومُلْحِدٍ كَافِرٍ، ولَمْ آخُذْ فِي ذَلِكَ إِلاَّ بِقَوْلِ اللهِ - سبحانه -: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ ولَوكانُوا آباءَهُمْ أَوأَبْناءَهُمْ**﴾.

وأَمَّا التَّقْصِيرُ فِي حَقِّ اللهِ - تعالى - فَمَعَاذَ اللَّه.

وإِنَّمَا الْمُقَصِّرُ فِي حَقِّ اللهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - مَنْ عَطَّلَ الْحُقُوقَ الْمُؤَكَّدَةَ، ورَكَنَ إِلَى الأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وأَخْلَدَ إِلَى الضَّلاَلَةِ الْمُحَيِّرَةِ.

ومِنَ الْعَجَبِ أَنْ تَصِفَ، يَا مُعَاوِيَةُ، الاحْسَانَ، وتُخَالِفَ الْبُرْهَانَ، وتَنْكُثَ الْوَثَائِقَ الَّتِي هِيَ لِلَّه - عز وجل - طَلِبَةٌ، وعَلى عِبَادِهِ حُجَّةٌ، مَعَ نَبْذِ الإِسْلاَمِ، وتَضْيِيعِ الأَحْكَامِ، وطَمْسِ الأَعْلاَمِ، والْجَرْيِ فِي الْهَوى، والتَّهَوُّسِ فِي الرَّدى.

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وانْظُرْ فِي حَقِّه عَلَيْكَ، وارْجِعْ إِلى مَعْرِفَةِ مَا لاَ تُعْذَرُ بِجَهَالَتِه، فَإِنَ لِلطَّاعَةِ أَعْلاَماً وَاضِحَةً، وسُبُلاً نَيِّرَةً، ومَحَجَّةً نَهْجَةً، وغَايَةً مُطْلَبَةً، يَرِدُهَا الأَكْيَاسُ، ويُخَالِفُهَا الأَنْكَاسُ.

مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، وخَبَطَ فِي التِّيهِ، وغَيَّرَ اللَّهُ عَنْهُ نِعْمَتَهُ، وأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ.

فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ، فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلى غَايَةِ خُسْرٍ، ومَحَلَّةِ كُفْرٍ.

وإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً، وأَقْحَمَتْكَ غَيّاً، وأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

وإِنَّ لِلنَّاسِ جَمَاعَةً يَدُ اللَّهِ عَلَيْهَا، وغَضَبُ اللَّهِ عَلى مَنْ خَالَفَهَا.

فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِكَ، فَإِنَّكَ إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ، وإِلى حَشْرِهِ مُهْطِعٌ، وسَيُبْهِظُكَ كَرْبُهُ، ويَحِلُّ بِكَ غَمُّهُ، يَوْمَ لاَ يُغْنِي النَّادِمَ نَدَمُهُ، ولاَ يُقْبَلُ مِنَ الْمُعْتَذِرِ عُذْرُهُ، يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً ولا هُمْ يُنْصَرُونَ.

كتاب له عليه السلام (٥٢)

إلى معاوية يعِظه فيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ تِجَارَةٍ رِبْحُهَا أَوخُسْرُهَا الآخِرَةُ، فَالسَّعِيدُ مَنْ كَانَتْ بِضَاعَتُهُ فِيهَا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، ومَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِعَيْنِهَا، وقَدَّرَهَا بِقَدَرِهَا.

وإِنِّي لأَعِظُكَ مَعَ عِلْمِي بِسَابِقِ الْعِلْمِ فِيكَ مِمَّا لاَ مَرَدَّ لَهُ دُونَ نَفَاذِهِ، ولَكِنَّ اللهَ - تعالى - أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُؤَدُّوا الأَمَانَةَ، وأَنْ يَنْصَحُوا الْغَوِيَّ والرَّشِيدَ.

فَاتَّقِ اللَّهَ، ولاَ تَكُنْ مِمَّنْ لاَ يَرْجُولِلَّهِ وَقَاراً، ومَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ.

وإنَّ دُنْيَاكَ سَتُدْبِرُ عَنْكَ، وسَتَعُودُ حَسْرَةً عَلَيْكَ، فَأَقْلِعْ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَيِّ والضَّلاَلِ، عَلى كِبَرِ سِنِّكَ، وفَنَاءِ عُمُرِكَ.

فَإِنَّ حَالَكَ الْيَوْمَ كَحَالِ الثَّوْبِ الْمَهِيلِ الَّذي لاَ يَصْلُحُ مِنْ جَانِبٍ إِلاَّ فَسَدَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ.

وقَدْ أَرْدَيْتَ جِيلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وأَلْقَيْتَهُمْ في مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وتَتَلاَطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ.

فَجَارُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ، ونَكَصُوا عَلى أَعْقَابِهِمْ، وتَوَلَّوْا عَلى أَدْبَارِهِمْ، وعَوَّلُوا عَلى أَحْسَابِهِمْ.

إِلاَّ مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وهَرَبُوا إِلَى اللهِ - سبحانه - مِنْ مُوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ.

فَاتَّقِ اللَّهَ، يَا مُعَاوِيَةُ، في نَفْسِكَ، وجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، والآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٥٣)

إلى معاوية يزهّده فيه بالدنيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ذَاتُ زِينَةٍ وبَهْجَةٍ، لَمْ يَصْبُ إِلَيْهَا أَحَدٌ إِلاَّ شَغَلَتْهُ بِزِينَتِهَا عَمَّا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِنْهَا.

وبِالآخِرَةِ أُمِرْنَا، وعَلَيْهَا حُثِثْنَا.

فَدَعْ، يَا مُعَاوِيَةُ، مَا يَفْنَى، واعْمَلْ لِمَا يَبْقَى، واحْذَرِ الْمَوْتَ الَّذي إِلَيْهِ مَصِيرُكَ، والْحِسَابَ الَّذي إِلَيْهِ عَاقِبَتُكَ.

واعْلَمْ أنَّ الله - تعالى - إذَا أرَادَ بعَبْدٍ خَيْراً حَالَ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَا يَكْرَهُ، ووَفَّقَهُ لطَاعَته، وإذَا أرَادَ اللَّهُ بعَبْدٍ سُوءاً أغْرَاهُ بالدُّنْيَا، وأنْسَاهُ الآخرَةَ، وبَسَطَ لَهُ أمَلَهُ، وعَاقَّهُ عَمَّا فيه صَلاَحُهُ.

وقَدْ وَصَلَني كتَابُكَ، فَوَجَدْتُكَ تَرْمي غَيْرَ غَرَضِكَ، وتَنْشُدُ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وتَخْبِطُ في عَمَايَة، وتَتيهُ في ضَلاَلَة، وتَعْتَصِمُ بغَيْرِ حُجَّة، وتَلُوذُ بأضْعَف شُبْهَة.

فَأمَّا سُؤَالُكَ إلَيَّ الْمُتَارَكَةَ والإقْرَارَ لَكَ عَلَى الشَّام، فَلَو كُنْتُ فَاعلًا ذَلكَ الْيَوْمَ لَفَعَلْتُهُ أمْس.

وأمَّا قَوْلُكَ: إنَّ عُمَرَ وَلاَّكَهَا، فَقَدْ عَزَلَ مَنْ كَانَ وَلاَّهُ صَاحبُهُ، وعَزَلَ عُثْمَانُ مَنْ كَانَ عُمَرُ وَلاَّهُ.

ولَمْ يُنْصَبْ للنَّاس إمَامٌ إلاَّ ليَرى منْ صَالح الأُمَّة مَا قَدْ كَانَ ظَهَرَ لمَنْ كَانَ قَبْلَهُ، أوخَفيَ عَنْهُمْ عَيْبُهُ، والأمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الأمْرُ، ولكُلِّ وَال رَأْيٌ واجْتهَادٌ.

فَسُبْحَانَ اللَّه مَا أشَدَّ لُزُومَكَ للأهْوَاء الْمُبْتَدَعَة، والْحَيْرَة الْمُتَّبَعَة، مَعَ تَضْييع الْحَقَائق، واطِّرَاح الْوَثَائق، الَّتي هيَ للَّه - تَعَالى - طَلبَةٌ، وعَلى عبَاده حُجَّةٌ.

فَأمَّا إكْثَارُكَ الْحجَاجَ في عُثْمَانَ وقَتْلَته، فَإنَّكَ إنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٥٤)

إلى معاوية في تبادل الأسرى

بسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

منْ عَبْد اللَّه عَليٍّ أمير الْمُؤْمنينَ إلى مُعَاوِيَةَ بْن أبي سُفْيَانَ.

أمَّا بَعْدُ، يَا مُعَاوِيَةُ، فَإنَّ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - عَدْلٌ لاَ يَجُورُ، وعَزيزٌ لاَ يُغْلَبُ، يَجْزي بالاحْسَان إحْسَاناً، وهُوبَصيرٌ بمَا يَعْمَلُ الْعبَادُ.

وقَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وابْتَلى فيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.

ولَسْنَا للدُّنْيَا خُلِقْنَا، ولاَ بالسَّعْيِ فيهَا أُمِرْنَا، وإِنَّمَا وُضِعْنَا فيهَا لِنُبْتَلى بِهَا.

وقَد ابْتَلاَنِي اللَّهُ بِكَ، وابْتَلاَكَ بي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي ولاَ لِسَانِي، وعَصَبْتَهُ أَنْتَ وأَهْلُ الشَّامِ بي، وأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ، وقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ.

فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وامْلِكْ أَمْرَكَ، وجَاهِدْ نَفْسَكَ، واعْمَلْ لِلآخِرَةِ جَهْدَكَ، واتَّقِ اللَّهَ في نَفْسِكَ، ونَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، واجْعَلْ لِلَّهِ جِدَّكَ، واصْرِفْ إِلَى الآخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وطَرِيقُكَ.

واحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الأَصْلَ، وتَقْطَعُ الدَّابِرَ.

ولاَ تُطْغِيَنَّكَ الأَمَانِيُّ الْبَاطِلَةُ والْغُرُورُ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وإِيَّاكَ جَوَامِعُ الأَقْدَارِ لاَ أَزَالُ بِبَاحَتِكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

فَأَطْلِقْ مَنْ في يَدَيْكَ مِنْ إِخْوَانِنَا حَتَّى نُطْلِقَ مَنْ في أَيْدِينَا مِنْ أَصْحَابِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ في ذَلِكَ مَوْلاَيَ سَعْداً. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٥٥)

إلى معاوية جواباً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وأَنْتُمْ، عَلى مَا ذَكَرْتَ، مِنَ الأُلْفَةِ والْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وكَفَرْتُمْ، والْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وفُتِنْتُمْ.

ومَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلاَّ كُرْهاً، وبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الإِسْلاَمِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ حَرْباً.

وذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ، وشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ، ونَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ، وذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ ولَمْ تَحْضَرْهُ، ولَوْ حَضَرْتَهُ لَعَلِمْتَهُ. فَلاَ الْجِنَايَةُ [فيه] عَلَيْكَ، ولاَ الْعُذْرُ فيه إِلَيْكَ.

وذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِري فِي الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، وقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ.

فَإِنْ كَانَ فيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ الله - عز وجل - إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ.

وإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَد:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ ... بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وجُلْمُودِ

وعِنْدِي السَّيْفُ الَّذي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وخَالِكَ وأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ.

وإِنَّكَ، واللَّهِ، مَا عَلِمْتُ الأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ.

والأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لاَ لَكَ، لأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، ورَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ ولاَ فِي مَعْدِنِهِ.

فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ.

وقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وأَخْوَالٍ، حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، ولَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلاَ مِنْهَا الْوَغَى، ولَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا. والسَّلاَمُ لأَهْلِهِ.

كتاب له عليه السلام (٥٦)

إلى معاوية أيضاً

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّه عَليٍّ أميرِ الْمُؤْمنينَ إلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أبي سُفْيَانَ.

أمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ منْ عِيَانِ الأُمُورِ، فَلَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أسْلاَفِكَ بِادِّعَائِكَ الأَبَاطِيلَ، وإقْحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ والأَكَاذِيبِ، مِنِ انْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلاَ عَنْكَ، وابْتِزَازِكَ لِمَا قَدِ اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ ودَمِكَ، ممَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، ومُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ.

فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إلاَّ الضَّلاَلُ، وبَعْدَ الْبَيَانِ إلاَّ اللَّبْسُ.

فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ واشْتِمَالَهَا عَلى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أغْدَفَتْ جَلاَبِيبَهَا، وأعْشَتِ الأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.

وقَدْ أتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلْمِ، وأسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ ولاَ حِلْمٌ، أصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، والْخَابِطِ فِي الدَّيْمَاسِ، وتَرَقَّيْتَ إلى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ الْمَرَامِ، نَازِحَةِ الأَعْلاَمِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الأَنُوقُ، ويُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ.

وحَاشَ للَّه أنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِي صَدْراً أوورْداً، أوأُجْرِيَ لَكَ عَلى أحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أوعَهْداً.

فَمِنَ الآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وانْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إلَيْكَ عِبَادُ اللَّه أرْتِجَتْ عَلَيْكَ الأُمُورُ، ومُنِعْتَ أمْراً هُومِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٥٧)

إلى معاوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّه عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالاسْتِمَاعِ إِلى كِتَابِكَ، لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي، ومُخَطِّئٌ فِرَاسَتِي.

وإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الأُمُورَ، وتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ، كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلاَمُهُ، أَوالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ، لاَ يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ. ولَسْتَ بِه، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ.

وأُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَولاَ بَعْضُ الاسْتِبْقَاءِ، لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ تَقْرَعُ الْعَظْمَ، وتَهْلِسُ اللَّحْمَ.

واعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ تَبَطَّكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ، وتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ.

والسَّلاَمُ لأَهْلِه.

كتاب له عليه السلام (٥٨)

إلى معاوية يكذّب فيه ادعاءاته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّه عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ صَخْرٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، ورِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَهَا بِضَلاَلِكَ، وأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ.

وكتابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْديه، ولاَ قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوى فَأَجَابَهُ، وقَادَهُ الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لاَغِطاً، وضَلَّ خَابِطاً.

فَأَمَّا أَمْرُكَ لي بِالتَّقْوى، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، وأَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُمِرُوا بِهَا أَخَذَتْهُمُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ.

ولَولاَ عِلْمِي بِكَ، ومَا قَدْ سَبَقَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ فِيكَ مِمَّا لاَ مَرَدَّ لَهُ دُونَ نَفَاذِهِ، إِذاً لَوَعَظْتُكَ.

ولكِنَّ عِظَتِي لاَ تَنْفَعُ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ، ولَمْ يَخَفِ الْعِقَابَ، ولَمْ يَرْجُ لِلَّهِ وَقَاراً، ولَمْ يَخَفْ لَهُ حَذَاراً.

وأَمَّا تَحْذِيرُكَ إِيَّايَ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلِي وسَابِقَتِي فِي الإِسْلاَمِ، فَلَعَمْرِي لَوكُنْتُ الْبَاغِيَ عَلَيْكَ لَكَانَ لَكَ أَنْ تُحَذِّرَنِي ذَلِكَ، ولكِنِّي وَجَدْتُ الله - تعالى - يَقُولُ: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾.

فَنَظَرْنَا إِلَى الْفِئَتَيْنِ، أَمَّا الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَوَجَدْنَاهَا الْفِئَةَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، لأَنَّ بَيْعَتِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمَتْكَ وأَنْتَ بِالشَّامِ، كَمَا لَزِمَتْكَ بَيْعَةُ عُثْمَانَ بِالْمَدِينَةِ وأَنْتَ أَمِيرٌ لِعُمَرَ عَلَى الشَّامِ، وكَمَا لَزِمَتْ يَزِيدَ أَخَاكَ بَيْعَةُ عُمَرَ وهُوأَمِيرٌ لأَبِي بَكْرٍ عَلَى الشَّامِ.

وأَمَّا شَقُّ عَصَا هذه الأُمَّة، فَأَنَا أَحَقُّ أَنْ أَنْهَاكَ عَنْهُ.

وأَمَّا تَخْوِيفُكَ لِي مِنْ قَتْلِ أَهْلِ الْبَغْيِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله أَمَرَنِي بِقِتَالِهِمْ وقَتْلِهِمْ، وقَالَ لأَصْحَابِهِ: إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ، وأَشَارَ إِلَيَّ.

وأَنَا أَوْلَى مَنِ اتَّبَعَ أَمْرَهُ.

وزَعَمْتَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَفْسَدَ عَلَيْكَ بَيْعَتِي خُفُورِي فِي عُثْمَانَ، ولَعَمْرِي مَا كُنْتُ إِلاَّ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَوْرَدْتُ كَمَا أَوْرَدُوا، وأَصْدَرْتُ كَمَا أَصْدَرُوا، ومَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلاَلٍ، ولاَ لِيَضْرِبَهُمْ بِالْعَمَى.

وما أمرتُ فتلزمني خطيئةُ الأمرِ، ولا قتلتُ فيجبَ عليَّ قصاصُ القاتلِ.

وأمَّا قولُكَ: إنَّ أهلَ الشَّامِ همُ الحكَّامُ على أهلِ الحجازِ، فهاتِ رجلًا منْ قريشِ الشَّامِ يُقبلُ في الشُّورى، أوتحلُّ لهُ الخلافةُ.

فإنْ سمَّيتَ أحداً منهُمْ كذَّبكَ المُهاجرُونَ والأنصارُ، وإلاَّ فأنا آتيكَ بهِ منْ قريشِ الحجازِ.

وأمَّا قولُكَ: إنَّ بيعتي لمْ تصحَّ لأنَّ أهلَ الشَّامِ لمْ يدخلُوا فيها، كيفَ وإنَّها شملتِ الخاصَّ والعامَّ، لأنَّها بيعةٌ عامَّةٌ واحدةٌ، تُلزمُ الحاضرَ والغائبَ، لا يُثنَّى فيها النَّظرُ، ولا يُستأنفُ فيها الخيارُ.

الخارجُ منْها طاعنٌ، والمُروِّي فيها مُداهنٌ.

وإنَّما الشُّورى للمُؤمنينَ منَ المُهاجرينَ الأوَّلينَ، السَّابقينَ بالاحسانِ منَ البدريِّينَ.

وإنَّما أنتَ طليقٌ ابنُ طليقٍ، لعينٌ ابنُ لعينٍ، وتَنٌ ابنُ وتَنٍ، ليستْ لكَ هجرةٌ ولا سابقةٌ، ولا منقبةٌ ولا فضيلةٌ، وكانَ أبوكَ منَ الأحزابِ الَّذينَ حاربُوا اللَّهَ ورسولَهُ. فنصرَ اللَّهُ عبدَهُ، وصدَّقَ وعدَهُ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ.

وأمَّا تمييزُكَ بينَ أهلِ الشَّامِ وأهلِ البصرةِ، وبينَكَ وبينَ طلحةَ والزُّبيرِ، فلعمري ما الأمرُ في ذلكَ إلاَّ واحدٌ سواءٌ.

وأمَّا قولُكَ: ادفعْ إليَّ قتلةَ عثمانَ، فما أنتَ وذاكَ، إنَّما أنتَ رجلٌ منْ بني أميَّةَ وهاهُنا بنُوعثمانَ وهمْ أولى بمطالبةِ دمه منْكَ.

فإنْ زعمتَ أنَّكَ أقوى على طلبِ دمِ أبيهمْ منْهُمْ، فارجعْ إلى البيعةِ الَّتي لزمتْكَ، وادخلْ في طاعتي، ثمَّ حاكمِ القومَ إليَّ، أحملْكَ وإيَّاهُمْ على المحجَّةِ.

وأمَّا وُلوعُكَ في أمرِ عثمانَ، فواللَّهِ ما قلتَ ذلكَ عنْ حقٍّ العيانِ، ولا عنْ يقينٍ بالخبرِ.

وأمَّا اعترافُكَ بفضلي وبقدمي وسوابقي في الإسلامِ وقرابتي منْ رسولِ اللَّهِ صلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وشَرَفي في بَني هَاشِمٍ، فَلَعَمْري لَواسْتَطَعْتَ دَفْعَهُ لَفَعَلْتَ.

فَشَأْنَكَ ومَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ والْحَيْرَةِ والْجَهَالَةِ، تَجِدِ اللهَ - عز وجل - في ذَلِكَ بِالْمِرْصَادِ، مِنْ دُنْيَاكَ الْمُنْقَطِعَةِ عَنْكَ، وتَمَنِّيكَ الأَبَاطِيلَ.

وقَدْ عَلِمْتَ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فيكَ وفي أُمِّكَ وأَبِيكَ.

فَارْبَعْ عَلى ظَلْعِكَ، وانْزَعْ سِرْبَالَ غَيِّكَ، واتْرُكْ مَا لاَ جَدْوى لَهُ عَلَيْكَ، فَلَيْسَ لَكَ عِنْدي إلاَّ السَّيْفُ حَتَّى تَفيءَ إلى أَمْرِ اللَّهِ صَاغِراً، وتَدْخُلَ في الْبَيْعَةِ رَاغِماً.

أَلَمْ تَرَ قَوْمي إِذْ دَعَاهُمْ أَخُوهُمُ أَجَابُوا وإِنْ يَغْضَبْ عَلى الْقَوْمِ يَغْضَبُوا والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٥٩)

إلى معاوية جواباً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ إلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أبي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ هِنْد، فَقَدْ أَتَاني كِتَابُكَ تَذْكُرُ فيه اصْطِفَاءَ اللهِ - تعالى - مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ لِدِينِه، وتَأْييدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِه.

فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ اللهِ - تعالى - عِنْدَنَا، ونِعْمَتِه عَلَيْنَا في نَبِيِّنَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، فَكُنْتَ في ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إلى هَجَرٍ، أَوْدَاعي مُسَدِّده إلَى النِّضَالِ.

فَطَالَمَا دَعَوْتَ أَنْتَ وأَوْلِيَاؤُكَ، أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، الْحَقَّ أَسَاطِيرَ الأَوَّلِينَ، ونَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وجَهَدْتُمْ في إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ وأَفْوَاهِكُمْ، ويَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

ولَعَمْري لَيَنْفُذَنَّ الْعِلْمُ فيكَ، ولَيَتِمَّنَّ النُّورُ بِصَغَارِكَ وقَمَاءَتِكَ، ولَتَخْسَأَنَّ طَرِيداً مَدْحُوراً، أَوْقَتِيلاً مَثْبُوراً، ولَتُجْزَيَنَّ بِعَمَلِكَ حَيْثُ لاَ نَاصِرَ لَكَ ولاَ مُصَرِّخَ عِنْدَكَ.

فَعِثْ فِي دُنْيَاكَ الْمُنْقَطِعَةِ عَنْكَ مَا طَابَ لَكَ، فَكَأَنَّكَ بِأَجَلِكَ قَدِ انْقَضَى، وعَمَلِكَ قَدْ هَوَى، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى لَظَى، لَمْ يَظْلِمْكَ اللَّهُ شَيْئاً وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

وزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وفُلاَنٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ.

ومَا أَنْتَ، يَا ابْنَ هِنْدٍ، والْفَاضِلُ والْمَفْضُولُ، والسَّائِسُ والْمَسُوسُ.

ومَا لِلطُّلَقَاءِ وأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ والأَحْزَابِ وأَبْنَاءِ الأَحْزَابِ والتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، وتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ، وتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ.

هَيْهَاتَ، لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا.

أَلاَ تَرْبَعُ، أَيُّهَا الإِنْسَانُ، عَلَى ظَلْعِكَ، وتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، ولاَ لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ.

وإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ.

أَلاَ تَرَى، غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ولكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ، أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ - تعالى - مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، ولِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِه عَلَيْهِ، ووَضَعَهُ بِيَدِه فِي قَبْرِه.

أَوَلاَ تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ولِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُوالْجَنَاحَيْنِ.

أَوَلاَ تَرَى أَنَّ مُسْلِمَنَا قَدْ بَانَ فِي إِسْلاَمِه كَمَا بَانَ جَاهِلُنَا فِي جَاهِلِيَّتِه، حَتَّى قَالَ عَمِّيَ الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لأَبِي طَالِبٍ: أَبَا طَالِبٍ لاَ تَقْبَلِ النَّصْفَ مِنْهُمْ وإِنْ أَنْصَفُوا حَتَّى نُعَقَّ ونُظْلَمَا أَبى قَوْمُنَا أَنْ يَنْصِفُونَا فَأَنْصَفَتْ صَوَارِمُ فِي أَيْمَانِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا

تَرَكْنَاهُمُ لاَ يَسْتَحِلُّونَ بَعْدَهَا لِذِي حُرْمَةٍ فِي سَائِرِ النَّاسِ مُحْرَمَا ولَولاَ مَا نَهَى اللَّهُ

عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، ولاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ.

فَدَعْ عَنْكَ، يَا ابْنَ هِنْدٍ، مَنْ قَدْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا.

لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا ولاَ عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وأَنْكَحْنَا فِعْلَ الأَكْفَاءِ، ولَسْتُمْ هُنَاكَ.

وأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ، كَذَلِكَ ومِنَّا الْمِشْكَاةُ والزَّيْتُونَةُ ومِنْكُمُ الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ، ومِنَّا النَّبِيُّ ومِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ، ومِنَّا أَسَدُ اللَّهِ ومِنْكُمْ طَرِيدُ رَسُولِ اللَّهِ، ومِنَّا هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مُنَافٍ ومِنْكُمْ أُمَيَّةُ كَلْبُ الأَحْلاَفِ، ومِنَّا الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ ومِنْكُمْ عَدُوالإِسْلاَمِ والسُّنَّةِ، ومِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ومِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، ومِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بِلاَ كَذِبٍ ومِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ. فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وعَلَيْكُمْ.

فَإِسْلاَمُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وجَاهِلِيَّتُكُمْ لاَ تُدْفَعُ، والْقُرْآنُ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وهُوقَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ وتعالى -: ﴿وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

وقَوْلُهُ - تعالى -: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وهَذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا واللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ.

ولَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

وزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا وقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ

حَتَّى أُبَايِعَ. ولَعَمْرُ اللَّه لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ.

ومَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ في أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً في دِينِهِ، ولاَ مُرْتَاباً بِيَقِينِه.

وهـذِهِ حُجَّتِي إِلى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، ولكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وأَمْرِ عُثْمَانَ. فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هذه لرَحِمكَ مِنْهُ.

فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدى لَهُ، وأَهْدى إِلى مَقَاتله، أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ واسْتَكَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخى عَنْهُ وبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْه، حَتَّى أَتى قَدَرُهُ عَلَيْه.

كَلاَّ واللَّه، لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ والْقَائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ولا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلًا.

ومَا كُنْتُ لأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْه أَحْدَاثاً، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْه إِرْشَادي وهِدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لاَ ذَنْبَ لَهُ وقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ ومَا أَرَدْتُ قَالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ورَزَقَنِي مِنْهُ.

ولَعَمْرِي مَا قَتَلَ ابْنَ عَمِكَ غَيْرُكَ، ولاَ خَذَلَهُ سِوَاكَ.

ولَقَدْ تَرَبَّصْتَ بِهِ الدَّوَائِرَ، وتَمَنَّيْتَ لَهُ الأَمَانِيَّ، طَمَعاً فِيمَا ظَهَرَ مِنْكَ، ودَلَّ عَلَيْهِ فِعْلُكَ.

وإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُلْحِقَكَ بِه عَلى أَعْظَمَ مِنْ ذَنْبِه، وأَكْبَرَ مِنْ خَطِيئَتِه.

وكُنْتَ تَسْأَلُنِي [أَنْ] أَدْفَعَ إِلَيْكَ قَتَلَةَ عُثْمَانَ، ولَيْسَ لَكَ أَنْ تَسْأَلَ ذَلِكَ، ولاَ إِلَيَّ أَنْ أَدْفَعَهُمْ إِلَيْكَ، وإِنَّمَا ذَلِكَ إِلى وَرَثَةِ عُثْمَانَ وأَوْلاَدِه، وهُمْ أَوْلى بِطَلَبِ دَمِ أَبِيهِمْ مِنْكَ.

فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ أَقْوى عَلَى الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيه الْمُهَاجِرُونَ والأَنْصَارُ، وحَاكِمِ الْقَوْمَ أَحْمِلْكَ وإِيَّاهُمْ عَلى كِتَابِ اللهِ - عَزَّ وجل - وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.

وذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لي ولاَ لأَصْحَابِي عِنْدَكَ إلاَّ السَّيْفُ.

فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ.

يَا ابْنَ آكِلَةِ الأَكْبَادِ، مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وبِالسُّيُوفِ مُخَوَّفِينَ.

فَلَبِّثْ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، ويَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ.

وأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ.

وقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ، وسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وخَالِكَ وجَدِّكَ وأَهْلِكَ، وما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ.

ثُمَّ لاَ أَقْبَلُ لَكَ مَعْذِرَةً ولاَ شَفَاعَةً، ولاَ أُجِيبُكَ إِلَى طَلَبٍ وسُؤَالٍ، ولَتَرْجِعَنَّ إِلَى تَحَيُّرِكَ وتَلَدُّدِكَ.

فَأَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ صَاحِبُ السَّيْفِ، وإِنَّ قَائِمَتَهُ لَفِي يَدِي.

وقَدْ عَلِمْتَ مَنْ قَتَلْتُ مِنْ صَنَادِيدِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وفَرَاعِنَةِ بَنِي سَهْمٍ وجُمَحٍ ومَخْزُومٍ، وأَيْتَمْتُ أَبْنَاءَهُمْ، وأَيَّمْتُ نِسَاءَهُمْ.

وأُذَكِّرُكَ مَا لَسْتَ لَهُ نَاسِياً، يَوْمَ قَتَلْتُ أَخَاكَ حَنْظَلَةَ وجَرَرْتُ بِرِجْلِهِ إِلَى الْقَلِيبِ، وأَسَرْتُ أَخَاكَ عَمْراً فَجَعَلْتُ عُنُقَهُ بَيْنَ سَاقَيْهِ رِبَاطاً، وطَلَبْتُكَ فَفَرَرْتَ ولَكَ حُصَاصٌ.

فَلَولاَ أَنِّي لاَ أَتْبَعُ فَارّاً لَجَعَلْتُكَ ثَالِثَهُمَا.

وإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةً بَرَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وإِيَّاكَ جَوَامِعُ الأَقْدَارِ لأَتْرُكَنَّكَ مَثَلًا يَتَمَثَّلُ بِهِ النَّاسُ أَبَداً، ولأُجَعْجِعَنَّ بِكَ فِي مَنَاخِكَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وبَيْنَكَ وهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

وقَدْ مَضَى مَا مَضَى، وانْقَضَى مِنْ كَيْدِكَ مَا انْقَضَى.

وأَنَا سَائِرٌ نَحْوَكَ عَلَى أَثَرِ هَذَا الْكِتَابِ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ، وانْظُرْ لَهَا، وتَدَارَكْهَا.

فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ واسْتَمْرَرْتَ عَلى غَيِّكَ وغُلْوَائِكَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّه، أَرْتَجَتْ عَلَيْكَ الأُمُورُ، ومُنِعْتَ أَمْراً هُوالْيَوْمَ مِنْكَ مَقْبُولٌ.

يَا ابْنَ حَرْب، إِنَّ لِجَاجَكَ فِي مُنَازَعَةِ الأَمْرِ أَهْلَهُ مِنْ سَفَاهِ الرَّأْيِ، فَلاَ يُطْمِعَنَّكَ أَهْلُ الضَّلاَلِ، ولاَ يُوبِقَنَّكَ سَفَهُ رَأْيِ الْجُهَّال، فَوالَّذي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِه، لَئِنْ بَرَقَتْ فِي وَجْهِكَ بَارِقَةٌ مِنْ ذِي الْفَقَارِ، لَتُصْعَقَنَّ صَعْقَةً لاَ تَفِيقُ مِنْهَا حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ النَّفْخَةُ الَّتِي يَئِسْتَ مِنْهَا كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ.

كتاب له عليه السلام (٦٠)

إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّه عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيه أَنَّكَ لَوعَلِمْتَ وعَلِمْنَا أَنَّ الْحَرْبَ تَبْلُغُ بِنَا وبِكَ مَا بَلَغَتْ، لَمْ يَجْنِهَا بَعْضُنَا عَلى بَعْضٍ، فَإِنَّا وإِيَّاكَ، يَا مُعَاوِيَةُ، نَلْتَمِسُ مِنَ الْحَرْبِ غَايَةً لَمْ نَبْلُغْهَا بَعْدُ.

وإِنِّي لَوقُتِلْتُ فِي ذَاتِ اللَّه وحَيِيتُ، ثُمَّ قُتِلْتُ ثُمَّ حَيِيتُ سَبْعِينَ مَرَّةً، لَمْ أَرْجِعْ عَنِ الشِّدَّةِ فِي ذَاتِ اللَّه، والْجِهَادِ لأَعْدَاءِ اللَّه.

وأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُقُولِنَا مَا نَنْدَمُ بِهِ عَلى مَا مَضى، فَإِنِّي مَا نَقَصْتُ عَقْلِي، ولاَ نَدِمْتُ عَلى فِعْلِي.

وأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ.

وأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلاَّ حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، أَلاَ فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّة، ومَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ.

وأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ والرِّجَالِ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَمْضى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلى

الْيَقينِ، ولَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ.

وأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّنَا بَنُوعَبْدِ مَنَافٍ، ولَيْسَ لِبَعْضِنَا فَضْلٌ عَلَى بَعْضٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ.

فَلَعَمْري إِنَّا بَنُوأَبٍ وَاحِدٍ، ولكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، ولاَ حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ولاَ أَبُوسُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، ولاَ الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، ولاَ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، ولاَ الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، ولاَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغَلِ.

ولَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوى فِي نَارِ جَهَنَّمَ. واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

وفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، ونَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ، وبِعْنَا بِهَا الْحُرَّ، ومَلَكْنَا بِهَا الْعَرَبَ، واسْتَعْبَدْنَا بِهَا الْعَجَمَ.

فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، ولاَ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٦١)

إلى معاوية حول قبوله التحكيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا شَغَلَ بِهِ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ اتِّبَاعُ مَا حَسُنَ بِهِ فِعْلُهُ، واسْتَوْجَبَ فَضْلَهُ، وسَلِمَ مِنْ عَيْبِهِ.

وإِنَّ الْبَغْيَ والزُّورَ يُوتِغَانِ بِالْمَرْءِ فِي دِينِهِ، ودُنْيَاهُ، ويُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ.

فَاحْذَرِ الدُّنْيَا، يَا مُعَاوِيَةُ، فَإِنَّهُ لاَ فَرَحَ فِي شَيْءٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْهَا.

ولَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ.

وقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَلَّوا عَلَى اللهِ - جَلَّ وعَزَّ - فَأَكْذَبَهُمْ، ومَتَّعَهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ اضْطَرَّهُمْ إِلى عَذَابٍ غَلِيظٍ.

فَاحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ فيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِه، ويَنْدَمُ فيهِ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِه فَلَمْ يُجَاذِبْهُ، وغَرَّتْهُ الدُّنْيَا واطْمَأَنَّ إِلَيْهَا.

وأَرَاكَ قَدْ دَعَوْتَنَا إِلى حُكْمِ الْقُرْآنِ، ولَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِه، ولاَ حُكْمَهُ تُرِيدُ، واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

ولَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، ولكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ في حُكْمِه، ومَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْقُرْآنِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً. والسَّلاَمُ عَلى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

كتاب له عليه السلام (٦٢)

إلى الحصين بن المنذر

لمّا كتب إليه إن الحرب أكثرت في ربيعة

فوقّع أمير المؤمنين عليه السّلام: بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقى عَدَداً، وأَكْثَرُ وَلَداً.

كتاب له عليه السلام (٦٣)

لمّا جاءه كتاب من ولده الحسن عَلَيه السَّلام

فوقّع: رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ الْغُلاَمِ.

وعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَالِماً بِأَهْلِ زَمَانِه، مَالِكاً لِلسَانِه، مُقْبِلًا عَلى شَأْنِه.

كتاب له عليه السلام (٦٤)

إلى زياد بن أبيه

وقد بلغه أن معاوية قد كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ مَا وَلَّيْتُكَ وأَنَا أَرَاكَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وإِنَّكَ لَنْ تَضْبِطَ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلاَّ بِالصَّبْرِ.

فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وتَوَكَّلْ عَلَيْهِ.

وقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، ويَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ.

فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَالشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، يَأْتِي الْمَرْءَ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، ومِنْ خَلْفِهِ، وعَنْ يَمِينِهِ، وعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، ويَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ. فَاحْذَرْ، ثُمَّ احْذَرْ، ثُمَّ احْذَرْ.

وإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، ونَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، لاَ يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، ولاَ يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، والْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ، والنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ. والسَّلاَمُ.

فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها ورب الكعبة.

ولم تزل في نفسه حتى ادّعاه معاوية.

كتاب له عليه السلام (٦٥)

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحَكَمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ.

[أَمَّا بَعْدُ،] فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا، ونَطَقُوا بِالْهَوَى.

وإنّي نَزَلْتُ مِنْ هذَا الأَمْرِ مَنْزِلًا مُعْجِباً، اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، فَإِنّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً.

ولَيْسَ رَجُلٌ، فَاعْلَمْ، أَحْرَصَ عَلى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وأُلْفَتِهَا مِنّي، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وكَرَمَ الْمَآبِ.

وسَأَفِي بِالَّذِي وأَيْتُ عَلى نَفْسِي.

وإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ والتَّجْرِبَةِ.

وإِنّي لأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ، وأَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ اللَّهُ.

فَدَعْ مَا لاَ تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٦٦)

إلى أهل الأمصار يقصّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صفّين

وكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا والْقَوْمَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، والظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، ودَعْوَتَنَا فِي الإِسْلاَمِ وَاحِدَةٌ، ولاَ نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الإِيمَانِ بِاللَّهِ والتَّصْدِيقِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ ولاَ يَسْتَزِيدُونَنَا.

الأَمْرُ وَاحِدٌ إِلاَّ مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، ونَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِي مَا لاَ يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلى وَضْعِ الْحَقِّ فِي مَوَاضِعِهِ.

فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ.

فَأَبَوْا، حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ ورَكَدَتْ، ووَقَدَتْ نِيرَانُهَا وحَمِسَتْ.

فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وإِيَّاهُمْ، ووَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ

الْحُجَّةُ، وانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ، فَمَنْ تَمَّ عَلى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوالَّذي أنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، ومَنْ لَجَّ وتَمادى فَهُوالرَّاكِسُ الَّذي رَانَ اللَّهُ عَلى قَلْبِهِ، وصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلى رَأْسِهِ.

كتاب له عليه السلام (٦٧)

إلى قُثم بن العباس عامله على مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أميرِ الْمُؤْمِنينَ إلى قُثَمِ بْنِ الْعَبَّاسِ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

أمَّا بَعْدُ، فَإنَّ عَيْني بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إلَيَّ يُعْلِمُني أنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أهْلِ الشَّامِ الْعَرَبِ، مِنَ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الأَبْصَارِ، الَّذينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، ويُطيعُونَ الْمَخْلُوقَ في مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، ويَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ، ويَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبْرَارِ الْمُتَّقينَ.

وإنَّهُ لَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إلاَّ عَامِلُهُ، ولاَ يُجْزى جَزَاءَ الشَّرِّ إلاَّ فَاعِلُهُ.

وقَدْ وَجَّهْتُ إلَيْهِمْ جَمْعاً مِنَ الْمُسْلِمينَ ذَوي بَسَالَةٍ ونَجْدَةٍ، مَعَ الْحَسيبِ الصَّلِيبِ الْوَرِعِ التَّقِيِّ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ الرِّيَاحِيِّ.

وقَدْ أمَرْتُهُ بِاتِّبَاعِهِمْ، وقَصِّ آثَارِهِمْ، حَتَّى يَنْفِيَهُمْ مِنْ أرْضِ الْحِجَازِ.

فَأقِمْ عَلى مَا في يَدَيْكَ مِمَّا إلَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ، والنَّاصِحِ اللَّبِيبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ، الْمُطيعِ لإمَامِهِ، ولاَ يَبْلُغُني عَنْكَ وَهْنٌ ولاَ خَوَرٌ.

وإيَّاكَ ومَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ.

ووَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى الصَّبْرِ في الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ، ولاَ تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً، ولاَ عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٦٨)

إلى مالك الأشتر رحمه اللّه وهوبنصيبين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ الأَشْتَرِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلى إِقَامَةِ الدِّينِ، وأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ، وأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ.

وقَدْ كُنْتُ وَلَّيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مِصْرَ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ بِهَا خَوَارِجُ، وهُوغُلاَمٌ حَدَثُ السِّنِّ لَيْسَ بِذِي تَجْرِبَةٍ لِلْحُرُوبِ، ولاَ بِمُجَرَّبٍ لِلأَشْيَاءِ، فَأَقْدِمْ عَلَيَّ لِنَنْظُرَ فِيمَا يَنْبَغِي، واسْتَخْلِفْ عَلى عَمَلِكَ أَهْلَ النَّقَةِ والنَّصِيحَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ. والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٦٩)

إلى أهل مصر لمّا ولى عليهم الأشتر رحمه اللّه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ والْفَاجِرِ، والْمُقِيمِ والظَّاعِنِ، فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، ولاَ مُنْكَرٌ يُتَنَاهى عَنْهُ.

سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ، وأَسْأَلُهُ الصَّلاَةَ عَلى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ أَشَدِّ عِبَادِ اللَّهِ - عَزَّ وجل - بَأْساً، وأَكْرَمِهِمْ

نَسَباً، لاَ يَنَامُ أيَّامَ الْخَوْفِ، ولاَ يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، حَذَّارَ الدَّوَائِرِ، وأَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وأَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ دَنَسٍ أوعَارٍ، وهُومَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الأَشْتَرِ أَخُومَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، لاَ كَلِيلُ الظُّبَةِ، ولاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ.

حَلِيمٌ فِي الْجِدِّ، رَزِينٌ فِي الْحَرْبِ.

لاَ تَسْتَوْهِبُهُ بِدْعَةٌ، ولاَ تُثْنِيهِ يَدُ غِوَايَةٍ.

ذُو رَأْيٍ أَصِيلٍ، وصَبْرٍ جَمِيلٍ.

فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، وإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَجْمَحُوا فَاجْمَحُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ ولاَ يُحْجِمُ، ولاَ يُؤَخِّرُ ولاَ يُقَدِّمُ، إِلاَّ عَنْ أَمْرِي.

وقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

عَصَمَكُمُ اللَّهُ بِالْحَقِّ والْهُدَى وثَبَّتَكُمْ عَلَى الْيَقِينِ والتَّقْوَى، ووَفَّقَنَا وإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّ ويَرْضَى.

والسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ.

كتاب له عليه السلام (٧٠)

إلى محمد بن أبي بكر

لمّا بلغه توجّده من عزله بالأشتر عن مصر، ثم تُوفّي الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِيَ الأَشْتَرَ إِلى عَمَلِكَ، وإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجُهْدِ، ولاَ ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ.

ولَوْنَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَأَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وأَعْجَبُ إِلَيْكَ ولاَيَةً.

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً، وعَلى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً، فَرَحِمَهُ اللَّهُ، فَلَقَد اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، ولاَقى حِمَامَهُ، ونَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ.

أَوْلاَهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وضَاعَفَ لَهُ الثَّوَابَ، وأَحْسَنَ لَهُ الْمَآبَ.

فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وامْضِ عَلى بَصِيرَتِكَ، وشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، وادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وأَكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ، والاسْتِعَانَةَ بِهِ، والْخَوْفَ مِنْهُ، يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، ويُعِنْكَ عَلى مَا يَنْزِلُ بِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أَعَانَنَا اللَّهُ وإِيَّاكَ عَلى مَا لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِرَحْمَتِهِ، والسَّلاَمُ عَلَيْكَ.

كتاب له عليه السلام (٧١)

إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله لمّا سأله أن يكتب له كتاباً

فيه فرائض وأشياء مما يُبتلى به مثله من القضاة بين الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ وَصَلَ إِلَيَّ كِتَابُكَ، فَقَرَأْتُهُ وفَهِمْتُ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ، فَأَعْجَبَنِي اهْتِمَامُكَ بِمَا لاَ بُدَّ لَكَ مِنْهُ، ومَا لاَ يُصْلِحُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُهُ، وظَنَنْتُ أَنَّ الَّذِي دَعَاكَ إِلَيْهِ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ، ورَأْيٌ غَيْرُ مَدْخُولٍ ولاَ خَسِيسٍ.

وقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ أَبْوَابَ الأَقْضِيَةِ جَامِعاً لَكَ مَا أَرَدْتَ فِيهَا.

ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، وحَسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الْوَكِيلُ.

كتاب له عليه السلام (٧٢)

إلى عبد الله بن العبّاس بعد مقتل محمد بن أبي بكر بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، ومُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، قَدِ اسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ اللهِ - عَزَّ وجل - نَحْتَسِبُهُ ونَدَّخِرُهُ، وَلَداً نَاصِحاً، وعَامِلًا كَادِحاً، وسَيْفاً قَاطِعاً، ورُكْناً دَافِعاً.

وقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلى لحَاقِه، وأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِه قَبْلَ الْوَقْعَةِ، ودَعَوْتُهُمْ سِرّاً وجَهْراً، وعَوْداً وبَدْءاً، فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهاً، ومِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً، ومِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلًا.

أَسْأَلُ اللهَ - تعالى - أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً ومَخْرَجاً، وأَنْ يُرِيحَنِي مِنْهُمْ عَاجِلًا.

فَواللَّهِ لَولاَ طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ، لأَحْبَبْتُ أَنْ لاَ أَبْقى مَعَ هؤُلاَءِ يَوْماً وَاحِداً، ولاَ أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً.

عَزَمَ اللَّهُ لَنَا ولَكَ عَلَى الرُّشْدِ، وعَلى تَقْوَاهُ وهُدَاهُ، إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

والسَّلاَمُ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ.

كتاب له عليه السلام (٧٣)

إلى زياد بن خصفة التيمي

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[مِنْ عَبْد اللَّه عَليّ أمير الْمُؤْمنينَ إلى زِيَاد بْن خَصْفَةَ.

سَلاَمٌ عَلَيْكَ. فَإنّي أحْمَدُ اللَّه الَّذي لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ.] أمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَني كتَابُكَ، وفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أمْرِ النَّاجِي وإخْوَانِه، الَّذينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ، وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أعْمَالَهُمْ فَهُمْ حَيَارى عَمِهُونَ، ويَحْسَبُونَ أنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً.

ووَصَفْتَ مَا بَلَغَ بِكَ وبِهِمُ الأمْرُ.

فَأمَّا أنْتَ وأصْحَابُكَ، فَللَّه سَعْيُكُمْ، وعَلَيْه أجْرُكُمْ، فَأيْسَرُ ثَوَاب اللَّه لِلْمُؤْمِنِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا الَّتي يَقْتُلُ الْجَاهِلُونَ أنْفُسَهُمْ عَلَيْهَا، فَما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وما عِنْدَ اللَّه باقٍ ولَنَجْزِيَنَّ الَّذينَ صَبَرُوا أجْرَهُمْ بِأحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ.

وأمَّا عَدُوُّكُمُ الَّذي لَقيتُمُوهُمْ فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدى، وارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلاَلِ والْعَمى، وصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وجِمَاحِهِمْ فِي التِّيه، ولَجَاجِهِمْ فِي الْفِتْنَة، فَذَرْهُمْ وما يَفْتَرُونَ، ودَعْهُمْ في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.

فَأسْمِعْ بِهِمْ وأبْصِرْ، فَكَأنَّكَ بِهِمْ عَنْ قَليلٍ بَيْنَ أسيرٍ وقَتيلٍ.

فَأقْبِلْ إلَيْنَا أنْتَ وأصْحَابُكَ مَأجُورينَ، فَلَقَدْ أطَعْتُمْ وسَمِعْتُمْ، وأحْسَنْتُمُ الْبَلاَءَ.

والسَّلاَمُ.

كتاب له عليه السلام (٧٤)

إلى أخيه عقيل بن أبي طالب

في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء. وهوجواب كتاب كتبه إليه عقيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ إِلى عَقيلِ بْنِ أبي طَالِبٍ.

سَلاَمُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، يَا أَخي، كَلأَنَا اللَّهُ وإِيَّاكَ كَلاَءَةَ مَنْ يَخْشَاهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ.

قَدْ وَصَلَ إِلَيَّ كِتَابُكَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدٍ الأَزْدِيِّ تَذْكُرُ فيه أَنَّكَ لَقيتَ ابْنِ أبي سَرْحٍ مُقْبِلًا مِنْ (قُدَيْدٍ) في نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعينَ فَارِساً مِنْ أَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ مِنْ بَني أُمَيَّةَ مُتَوَجِّهينَ إِلى جَهَةِ الْمَغْرِبِ.

وإِنَّ ابْنَ أبي سَرْحٍ، يَا أَخي، طَالَمَا كَادَ اللَّهَ ورَسُولَهُ وكِتَابَهُ، وصَدَّ عَنْ سَبيلِهِ وبَغَاهَا عِوَجاً.

أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ غَارَةِ الضَّحَّاكِ عَلى أَهْلِ الْحيرَةِ والْيَمَامَةِ، فَهُوَ أَقَلُّ وأَذَلُّ مِنْ أَنْ يَلُمَّ بِهَا، أَوأَنْ يَدْنُومِنْهَا، ولكِنَّهُ قَدْ كَانَ أَقْبَلَ في جَريدَةِ خَيْلٍ، فَأَخَذَ عَلَى (السَّمَاوَةِ)، ثُمَّ مَرَّ بِـ(وَاقِصَةَ)، و(شَرَافَ)، و(الْقُطْقُطَانَةِ)، ومَا إِلى ذَلِكَ الصُّقْعِ.

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثيفاً مِنَ الْمُسْلِمينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، ونَكَصَ نَادِماً.

فَأَتْبَعُوهُ فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وقَدْ أَمْعَنَ في السَّيْرِ، وكَانَ ذَلِكَ حِينَ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ، فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً قَلِيلًا كَلاَ ولاَ، فَلَمْ يَصْبِرْ لِوَقْعِ الْمَشْرَفِيَّةِ.

فَمَا كَانَ إلاَّ كَمَوْقف سَاعَة حَتَّى وَلَّى هَارِباً، وقُتِلَ مِنْ أَصْحَابه بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، ونَجَا جَرِيضاً بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ، ولَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلأْياً بِلأْيٍ مَا نَجَا.

فَدَعِ ابْنَ أَبِي سَرْحٍ، وَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً، وخَلِّهِمْ وتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي الْيَوْمَ كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ قَبْلِي، فَأَصْبَحُوا قَدْ جَهِلُوا حَقَّهُ، وجَحَدُوا فَضْلَهُ، وبَادَرُوهُ الْعَدَاوَةَ، ونَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ، وجَهِدُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْجُهْدِ، وجَرُّوا عَلَيْهِ جَيْشَ الأَحْزَابِ، وجَدُّوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ.

فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي بِفِعَالِهَا، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وتَظَاهَرُوا عَلَيَّ، ودَفَعُونِي عَنْ حَقِّي، وسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي، وسَلَّمُوا ذَلِكَ إِلَى مَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي قَرَابَتِي مِنَ الرَّسُولِ، وحَقِّي فِي الإِسْلَامِ، وسَابِقَتِي الَّتِي لاَ يَدَّعِي مِثْلَهَا مُدَّعٍ، إِلاَّ أَنْ يَدَّعِيَ مَا لاَ أَعْرِفُهُ، ولاَ أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي مَا أَنَا فِيهِ [مِنَ] الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ - عَزَّ وجل - ، لاَ يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، ولاَ تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، لأَنِّي مُحِقٌّ، واللَّهُ مَعَ الْمُحِقِّ.

ووَاللَّهِ مَا أَكْرَهُ الْمَوْتَ عَلَى الْحَقِّ، لأَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِمَنْ كَانَ مُحِقّاً ودَعَا إِلَى الْحَقِّ.

وأَمَّا مَا عَرَضْتَهُ عَلَيَّ مِنْ مَسِيرِكَ إِلَيَّ بِبَنِيكَ وبَنِي أَبِيكَ، فَلاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ.

فَأَقِمْ رَاشِداً مَحْمُوداً، فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَهْلِكُوا مَعِيَ إِنْ هَلَكْتُ.

ولاَ تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ، ولَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ، مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، ولاَ مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً، ولاَ سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ، ولاَ وَطِئَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُقْتَعِدِ.

ولكنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَني سَليم:

فَإِنْ تَسْأَليني كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّني ... صَبُورٌ عَلى رَيْبِ الزَّمَانِ صَليبُ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرى بي كَآبَةٌ ... فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبيبُ

[وَالسَّلاَمُ.]

كتاب له عليه السلام (٧٥)

أمر أن يُقرأ على الناس كل يوم جمعة

وذلك لمّا سألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان، فغضب عليه السلام، وقال:

أوقَدْ تَفَرَّغْتُمْ لِلسُّؤَالِ عَمَّا لاَ يَعْنيكُمْ وهذه مِصْرُ قَدِ افْتُتِحَتْ، وشيعَتي بِهَا قَدْ قُتِلَتْ، وقَتَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَديجٍ مُحَمَّدَ بْنَ أبي بَكْرٍ.

فَيَا لَهَا مِنْ مُصيبَةٍ. مَا أَعْظَمَ مُصيبَتي بِمُحَمَّدٍ، فَوَاللَّه مَا كَانَ إِلاَّ كَبَعْضِ بَنِيَّ.

سُبْحَانَ اللَّه، بَيْنَا نَرْجُوأَنْ نَغْلِبَ الْقَوْمَ عَلى مَا في أَيْديهِمْ إِذْ غَلَبُونَا عَلى مَا في أَيْدينَا.

وأَنَا مُخْرِجٌ لَكُمْ كِتَاباً فيه تَصْريحُ مَا سَأَلْتُمْ، وأَسْأَلُكُمْ أَنْ تَحْفَظُوا مِنْ حَقِّي مَا ضَيَّعْتُمْ، فَاقْرَؤُوهُ عَلى شيعَتي، وكُونُوا عَلَى الْحَقِّ أَعْوَاناً.

[ثم أخرج عليه السلام لهم الكتاب وفيه:]

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّه عَلَيٍّ أَميرِ الْمُؤْمنينَ إِلى شيعَتِه مِنَ الْمُؤْمنينَ والْمُسْلمينَ.

وهُواسْمٌ شَرَّفَهُ الله - تعالى - فِي الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾.

وأنْتُمْ شيعَةُ النَّبيِّ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، كَمَا أنَّ مُحَمَّداً مِنْ شيعَةِ إبْرَاهيمَ.

إسْمٌ غَيْرُ مُخْتَصٍّ، وأمْرٌ غَيْرُ مُبْتَدَعٍ.

وسَلامُ اللَّه عَلَيْكُمْ، واللَّهُ هُوالسَّلامُ الْمُؤْمِنُ أوْلِيَاءَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، الْحَاكِمُ عَلَيْهِمْ بِعَدْله.

أمَّا بَعْدُ، فَإنَّ الله - سُبْحَانَهُ- بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ بَشيراً ونَذيراً لِلْعَالَمينَ، ومُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلينَ، وأميناً عَلَى التَّنْزيل، وشَهيداً عَلى هذه الأُمَّة.

وأنْتُمُ مَعْشَرَ الْعَرَب يَوْمَئذ عَلى شَرِّ دين، وفي شَرِّ دَار.

مُتَنَخُّونَ بَيْنَ حجَارَة خُشْن، وحَيَّات صُمّ، وأوْثَان مُضِلَّة، وشَوْك مَبْثُوث في الْبلاَد.

تَشْرَبُونَ الْمَاءَ الْكَدرَ، وتَأكُلُونَ الطَّعَامَ الْجَشبَ.

وتَسْفكُونَ دمَاءَكُمْ، وتَقْطَعُونَ أرْحَامَكُمْ.

يَغْذُوأحَدُكُمْ كَلْبَهُ، ويَقْتُلُ وُلْدَهُ، ويُغيرُ عَلى غَيْره، فَيَرْجعُ وقَدْ أُغيرَ عَلَيْه.

ويَسْبي بَعْضُكُمْ بَعْضاً، وتَأكُلُونَ أمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ.

الأصْنَامُ فيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، والآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ، وسُبُلُكُمْ خَائفَةٌ.

تَأكُلُونَ الْعلْهزَ والْهَبيدَ والْميتَةَ والدَّمَ.

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، فَبَعَثَهُ إلَيْكُمْ رَسُولًا مِنْ أنْفُسكُمْ، وقَالَ فيمَا أنْزَلَ مِنْ كتَابه: ﴿هُوالَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولًا منْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياته ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الْكتَابَ والْحكْمَةَ وإنْ كانُوا منْ قَبْلُ لَفي ضَلال مُبين﴾.

وقَالَ: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسكُمْ عَزيزٌ عَلَيْه ما عَنتُّمْ حَريصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمنينَ رَؤُفٌ رَحيمٌ﴾.

وقَالَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمنينَ إذْ بَعَثَ فيهمْ رَسُولًا منْ أنْفُسهمْ﴾.

وقَالَ: ﴿ذلكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتيه مَنْ يَشاءُ واللَّهُ ذُوالْفَضْل الْعَظيم﴾.

فَكَانَ الرَّسُولُ إلَيْكُمْ مِنْ أنْفُسكُمْ بِلسَانكُمْ، وكُنْتُمْ أوَّلَ الْمُؤْمنينَ تَعْرفُونَ وَجْهَهُ

وشِعْبَهُ وعِمارَتَهُ، فَعَلَّمَكُمْ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ والْفَرائِضَ والسُّنَّةَ.

وأَمَرَكُمْ بِصِلَةِ أَرْحامِكُمْ، وحَقْنِ دِمائِكُمْ، وصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، وأَنْ تُؤَدُّوا الأَمانات إِلى أَهْلِها، وأَنْ تُوفُوا بِالْعَهْدِ ولا تَنْقُضُوا الأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها.

وأَمَرَكُمْ أَنْ تَعاطَفُوا، وتَبارُّوا، وتَباشَرُوا، وتَباذَلُوا، وتَراحَمُوا.

ونَهاكُمْ عَنِ التَّناهُبِ، والتَّظالُمِ، والتَّحاسُدِ، والتَّباغي، والتَّقاذُفِ، وعَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، وبَخْسِ الْمِكْيالِ، ونَقْصِ الْمِيزانِ.

وتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ، فِيمَا تَلى عَلَيْكُمْ، أَنْ لاَ تَزْنُوا، ولاَ تَرْبُوا، ولاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَ الْيَتامى ظُلْماً، ولاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ، ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.

فَكُلُّ خَيْرٍ يُدْنِي إِلَى الْجَنَّةِ ويُبَاعِدُ عَنِ النَّارِ قَدْ أَمَرَكُمْ بِهِ، وحَضَّكُمْ عَلَيْهِ، وكُلُّ شَرٍّ يُدْنِي إِلَى النَّارِ ويُبَاعِدُ عَنِ الْجَنَّةِ قَدْ نَهَاكُمْ عَنْهُ.

وقَدْ خَصَّ اللَّهُ قُرَيْشاً بِثَلاثِ آيَاتٍ، وعَمَّ الْعَرَبَ بِآيَةٍ.

فَأَمَّا الآيَاتُ اللَّوَاتِي فِي قُرَيْشٍ فَهِيَ: قَوْلُهُ- تعالى-: ﴿واذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ورَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

والثَّانِيَةُ-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ومَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾.

والثَّالِثَةُ: قَوْلُ قُرَيْشٍ لِنَبِيِّ اللَّهِ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ والْهِجْرَةِ، فَقَالُوا: إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا. فَقَالَ الله - تعالى-: ﴿أَولَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا ولكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

وأَمَّا الآيَةُ الَّتِي عَمَّ بِهَا الْعَرَبَ، فَهِيَ قَوْلُهُ- تعالى-: ﴿واذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

فَيا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ مَا أَعْظَمَهَا إِنْ لَمْ تَخْرُجُوا مِنْهَا إِلى غَيْرِهَا.

وَيا لَهَا مِنْ مُصيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا، إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهَا، وَتَرْغَبُوا عَنْهَا.

فَلَمَّا اسْتَكْمَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ مُدَّتَهُ مِنَ الدُّنْيَا، تَوَفَّاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ سَعيداً حَميداً، مَشْكُوراً سَعْيُهُ، مَرْضِيّاً عَمَلُهُ، مَغْفُوراً ذَنْبُهُ، شَريفاً عِنْدَ اللَّهِ نُزُلُهُ.

فَيا لَمَوْتَةٌ مُصيبَةٌ خَصَّتِ الأَقْرَبينَ، وعَمَّتْ جَميعَ الْمُسْلِمينَ، مَا أُصيبُوا قَبْلَهَا بِمِثْلِهَا، ولَنْ يُعَاينُوا بَعْدَهَا أُخْتَهَا.

فَلَمَّا مَضى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ لِسَبيلِه، وقَدْ بَلَّغَ مَا أُرْسِلَ بِه، وتَرَكَ كِتَابَ اللَّهِ وأَهْلَ بَيْتِه إِمَامَيْنِ لاَ يَخْتَلِفَانِ، وأَخَوَيْنِ لاَ يَتَخَاذَلاَنِ، ومُجْتَمِعَيْنِ لاَ يَتَفَرَّقَانِ، تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِه.

ولَقَدْ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله ولأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ مِنِّي بِقَميصي هذَا.

فَواللَّهِ مَا كَانَ يُلْقى في رَوْعي، ولاَ يَخْطُرُ بِبَالي، ولاَ عَرَضَ في رَأْيي، أَنَّ وَجْهَ النَّاسِ إِلى غَيْري، وأَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِه، ولاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِه.

فَلَمَّا أَبْطَؤُوا عَنِّي بِالْوَلاَيَةِ لِهَمِمِهِمْ، وتَثَبَّطَ الأَنْصَارُ، وهُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ وكَتِيبَةُ الإِسْلاَمِ.

هُمْ، واللَّهِ، رَبَّوا الإِسْلاَمَ كَمَا يُرَبَّى الْفَلُوَمَعَ غَنَائِهِمْ، بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ، وأَلْسِنَتِهِمُ السِّلاَطِ.

وقَالُوا: أَمَّا إِذَا لَمْ تُسَلِّمُوهَا لِعَلِيٍّ فَصَاحِبُنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِه.

فَواللَّهِ مَا أَدْري إِلى مَنْ أَشْكُو.

فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الأَنصَارُ ظُلِمَتْ حَقَّهَا، وإِمَّا أَنْ يَكُونُوا ظَلَمُوني حَقِّي.

بَلْ حَقِّيَ الْمَأْخُوذُ، وأَنَا الْمَظْلُومُ.

فَقَالَ قَائِلُ قُرَيْشٍ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ: الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَفَعُوا الأَنصَارَ عَنْ دَعْوَتِهَا، ومَنَعُوني حَقِّي مِنْهَا.

وَا عَجَباً أَتَكُونُ الْخِلاَفَةُ بِالصَّحَابَةِ، ولاَ تَكُونُ بِالْقَرَابَةِ والصَّحَابَةِ.

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ بِهذَا والْمُشِيرُونَ غُيَّبُ

وإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ فَغَيْرُكَ أَوْلى بِالنَّبِيِّ وأَقْرَبُ

ولَقَدْ أَتَانِي رَهْطٌ يَعْرِضُونَ النَّصْرَ عَلَيَّ، مِنْهُمْ أَبْنَاءُ سَعِيد، والْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ، وأَبُوذَرٍّ الْغِفَارِي، وعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، والزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، والْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ.

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ عَهْداً، ولَهُ إِلَيَّ وَصِيَّةٌ، ولَسْتُ أُخَالِفُ مَا أَمَرَنِي بِهِ.

فَواللَّهِ لَوخَزَمُونِي بِأَنْفِي لأَقْرَرْتُ لِلَّهِ- تعالى- سَمْعاً وطَاعَةً.

فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ انْثِيَالُ النَّاسِ عَلى فُلاَنٍ وإِجْفَالُهُمْ إِلَيْهِ يُبَايِعُونَهُ.

فَأَمْسَكْتُ يَدِي، ورَأَيْتُ أَنِّي أَوْلى وأَحَقُّ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فِي النَّاسِ مِمَّنْ تَوَلَّى الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ.

وقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ أَمَّرَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عَلى جَيْشٍ وجَعَلَهُمَا فِي جَيْشِهِ، ومَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ جَيْشِ أُسَامَةَ، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ قَدْ أَمَّرَهُ عَلَيْهِ وعَلى صَاحِبِهِ.

ومَا زَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ إِلى أَنْ قَاضَتْ نَفْسُهُ يَقُولُ: أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ. أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ.

فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَمِ، يَدْعُونَ إِلى مَحْقِ دِينِ اللَّهِ، ومَحْوِمِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ وإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

فَخَشيتُ، إنْ أنا قَعَدْتُ ولَمْ أنْصُرِ الإسْلامَ وأهْلَهُ، أنْ أرى فيه ثَلْماً أوهَدْماً، تَكُونُ الْمُصيبَةُ به عَلَيَّ أعْظَمَ مِنْ فَوْتِ ولايَتِكُمُ الَّتي إنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أيَّامٍ قَلائِلَ، ثُمَّ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أويَنْقَشِعُ كَمَا يَنْقَشِعُ السَّحَابُ.

ورَأيْتُ النَّاسَ قَد امْتَنَعُوا بِقُعُودي عَنِ الْخُرُوجِ إلَيْهِمْ، فَمَشَيْتُ عِنْدَ ذَلِكَ إلى أبي بَكْرٍ فَبَايَعْتُهُ، ونَهَضْتُ مَعَ الْقَوْمِ في تِلْكَ الأحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وزَهَقَ، واطْمَأنَّ الدِّينُ وتَنَهْنَهَ، وكَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ولَوكَرِهَ الْكَافِرُونَ.

ولَولاَ أنّي فَعَلْتُ ذَلِكَ لَبَادَ الإسْلاَمُ.

ولَقَدْ كَانَ سَعْدٌ، لَمَّا رَأى النَّاسَ يُبَايِعُونَ أبَا بَكْرٍ، نَادى: أيُّهَا النَّاسُ، إنّي، واللَّهِ، مَا أرَدْتُهَا حَتَّى رَأيْتُكُمْ تَصْرِفُونَهَا عَنْ عَلِيٍّ، ولاَ أُبَايِعُكُمْ حَتَّى يُبَايِعَكُمْ عَلِيٌّ، ولَعَلّي لاَ أفْعَلُ وإنْ بَايَعَ. ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ وأتى «حَوْرَانَ»، وأقَامَ في خَانٍ في «عِنَان» حَتَّى هَلَكَ، ولَمْ يُبَايِعْ.

وقَامَ فَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍوالأنْصَارِيُّ، وكَانَ يَقُودُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فَرَسَيْنِ، ويَصْرِمُ أَلْفَ وَسَقٍ مِنْ تَمْرٍ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى الْمَسَاكِينَ، فَنَادى: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أخْبِرُوني هَلْ فيكُمْ رَجُلٌ تَحِلُّ لَهُ الْخِلاَفَةُ وفيهِ مَا في عَلِيٍّ.

فَقَالَ قَيْسُ بْنُ مَخْرَمَةَ الزُّهْرِيُّ: لَيْسَ فينَا مَنْ فيهِ مَا في عَلِيٍّ.

فَقَالَ: صَدَقْتَ. فَهَلْ في عَلِيٍّ مَا لَيْسَ في أحَدٍ مِنْكُمْ.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ فَمَا صَدَّكُمْ عَنْهُ.

قَالَ: اجْتِمَاعُ النَّاسِ عَلى أبي بَكْرٍ.

قَالَ: أمَا، واللَّهِ، لَئِنْ أصَبْتُمْ سُنَّتَكُمْ فَقَدْ أخْطَأْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، ولَوجَعَلْتُمُوهَا في أهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ لأكَلْتُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ومِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ.

فَتَولَّى أبُوبَكْرٍ تِلْكَ الأُمُورَ فَيَسَّرَ وسَدَّدَ، وقَارَبَ واقْتَصَدَ، حَسَبَ اسْتِطَاعَتِهِ، عَلى

ضَعْفٍ وحَدّ كَانَا فيه، فَصَحِبْتُهُ مُنَاصِحاً، وأَطَعْتُهُ فيمَا أَطَاعَ اللَّهَ فيه جَاهداً.

ومَا طَمِعْتُ، أَنْ لَوحَدَثَ بِهِ حَادِثٌ وأَنَا حَيٌّ أَنْ يَرُدَّ إِلَيَّ الأَمْرَ الَّذي نَازَعْتُهُ فيه طَمَعَ مُسْتَيْقِنٍ، ولاَ يَئِسْتُ مِنْهُ يَأْسَ مَنْ لاَ يَرْجُوهُ.

ولَولاَ خَاصَّةٌ بَيْنَهُ وبَيْنَ عُمَرَ، وأَمْرٌ كَانَا رَضِيَاهُ بَيْنَهُمَا، لَظَنَنْتُ أَنَّهُ لاَ يَعْدِلُهُ عَنِّي.

وقَدْ سَمِعَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله لِبُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ، حينَ بَعَثَني وخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَنِ: إِذَا افْتَرَقْتُمَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَى حِيَالِهِ، وإِذَا اجْتَمَعْتُمَا فَعَلِيٌّ عَلَيْكُمْ جَمِيعاً.

فَغَزَوْنَا، وأَصَبْنَا سَبْياً فيهِمْ بِنْتُ جَعْفَرَ جَارِ الصَّفَا. وإِنَّمَا سُمِّيَتْ جَارُ الصَّفَا لِحُسْنِهَا.

فَأَخَذْتُ الْحَنَفِيَّةَ خَوْلَةَ واغْتَنَمَهَا خَالِدٌ مِنِّي، وبَعَثَ بُرَيْدَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَرِّشاً عَلَيَّ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَخْذِي خَوْلَةَ.

فَقَالَ [رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ]: يَا بُرَيْدَةُ، حَظُّهُ فِي الْخُمُسِ أَكْثَرُ مِمَّا أَخَذَ، إِنَّهُ وَلِيُّكُمْ بَعْدِي.

سَمِعَهَا أَبُوبَكْرٍ وعُمَرُ، وهذَا بُرَيْدَةُ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ.

فَهَلْ بَعْدَ هذَا مَقَالٌ لِقَائِلٍ.

فَلَمَّا احْتُضِرَ بَعَثَ إِلَى عُمَرَ فَوَلاَّهُ دُونَ الْمَشُورَةِ.

وتَوَلَّى عُمَرُ الأَمْرَ فَأَقَامَ واسْتَقَامَ، فَسَمِعْنَا وأَطَعْنَا، وبَايَعْنَا ونَاصَحْنَا، عَلَى عَسْفٍ وعَجْرَفِيَّةٍ كَانَا فيه، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ.

فَكَانَ مَرْضِيَّ السِّيرَةِ مِنَ النَّاسِ، مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ عِنْدَهُمْ.

حَتَّى إِذَا احْتُضِرَ قُلْتُ فِي نَفْسِي: لَيْسَ يَعْدِلُ بِهذَا الأَمْرِ عَنِّي لِلَّذِي قَدْ رَأَى مِنِّي فِي الْمَوَاطِنِ، وبَعْدَ مَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله مَا سَمِعَ.

فَجَعَلَهَا عُمَرُ شُورَى، وجَعَلَنِي سَادِسَ سِتَّةٍ، وأَمَرَ صُهَيْباً أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ودَعَا أَبَا طَلْحَةَ زَيْدَ بْنَ سَعْدٍ الأَنْصَارِيَّ فَقَالَ لَهُ: كُنْ فِي خَمْسِينَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِكَ، فَاقْتُلْ مَنْ أَبَى

أنْ يَرْضى مِنْ هؤُلاَءِ السِّتَّة.

ثُـمَّ اخْـتَلَفُوا عُـثْمَانَ ثَالِثاً [وهُوَ] لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِه شَيْئاً، غَلَبَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ، فَقَادُوهُ إِلى أَهْوَائِهِمْ كَمَا تَقُودُ الْوَلِيدَةُ الْبَعِيرَ الْمَخْطُومَ.

فَلَمْ يَزَلِ الأَمْرُ بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاسِ يَبْعُدُ تَارَةً ويَقْرُبُ أُخْرى، حَتَّى نَزَوْا عَلَيْه فَقَتَلُوهُ.

فَالْعَجَبُ مِـنِ اخْـتِلاَقِ الْقَـوْمِ، إِذْ زَعَمُـوا أَنَّ أَبَـا بَكْرٍ اسْتَخْلَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه.

فَلَوكَانَ هذَا حَقّاً لَمْ يَخْفَ عَلَى الأَنْصَارِ فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلى شُورى.

ثُمَّ جَعَلَهَا أَبُوبَكْرٍ لِعُمَرَ بِرَأْيِه خَاصَّةً.

ثُمَّ جَعَلَهَا عُمَرُ بِرَأْيِه شُورى بَيْنَ سِتَّةٍ.

فَهذَا الْعَجَبُ مِنِ اخْتِلاَقِهِمْ.

والدَّلِيلُ عَلى مَـا لاَ أُحِـبُّ أَنْ أَذْكُـرَ قَـوْلُهُ: هـؤُلاَءِ الرَّهْطُ الَّذِينَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وهُوعَنْهُمْ رَاضٍ، فَكَيْفَ يَأْمُرُ بِقَتْلِ قَوْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَسُولُهُ.

إِنَّ هذَا لأَمْرٌ عَجِيبٌ.

ولَـمْ يَكُونُوا لِوِلاَيَةِ أَحَدٍ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً مِنْهُمْ لِوِلاَيَتِي عَلَيْهِمْ، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَنِي عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ وأَنَا أُحَاجُّ أَبَا بَكْرٍ وأَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّـا أَهْـلَ الْبَيْتِ أَحَقُّ بِهـذَا الأَمْـرِ مِـنْكُمْ مَـا كَـانَ مِنْكُمْ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، ويَعْرِفُ السُّنَّةَ، ويَدِينُ بِدِينِ اللَّه الْحَقَّ.

أَنَا، واللَّه، أَوْلى بِهذَا الأَمْرِ مِنْكُمْ، وأَنْتُمْ أَوْلى بِالْبَيْعَةِ لِي.

وإِنَّمَـا حُجَّتِـي أَنِّـي وَلِـيُّ هـذَا الأَمْـرِ دُونَ قُـرَيْشٍ أَنَّ نَبِـيَّ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ قَالَ: الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ.

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّـه صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله بِعِتْقِ الرِّقَابِ مِنَ النَّارِ، وبِعِتْقِهَا مِنَ السَّيْفِ، وهذَانِ لَمَّا اجْتَمَعَا كَانَا أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ الرِّقَابِ مِنَ الرِّقِّ.

فَكَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ ولاءُ هذه الأُمَّة. وكَانَ لي بَعْدَهُ مَا كَانَ لَهُ.

أَخَذْتُمْ هذَا الأَمْرَ مِنَ الأَنْصَارِ واحْتَجَجْتُمْ عَلَى الْعَرَبْ بِالْقَرَابَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، وتَأْخُذُونَهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غَصْباً وظُلْماً.

أَلَسْتُمْ زَعَمْتُمْ لِلأَنْصَارِ أَنَّكُمْ أَوْلَى بِهذَا الأَمْرِ مِنْهُمْ لِمَكَانِكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ لَمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ مِنْكُمْ. فَأَعْطَوْكُمُ الْمَقَادَةَ، وسَلَّمُوا إِلَيْكُمُ الإِمَارَةَ.

وأَنَا أَحْتَجُّ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا احْتَجَجْتُمْ بِه عَلَى الأَنْصَارِ والْعَرَبِ.

أَنَا أَوْلَى بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ مِنْكُمْ حَيّاً ومَيِّتاً.

وأَنَا وَصِيُّهُ ووَزِيرُهُ، ومُسْتَوْدَعُ عِلْمِه وسِرِّه.

وأَنَا الصِّدِّيق الأَكْبَرُ، أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِه وصَدَّقَهُ.

وأَحْسَنُكُمْ بَلاءً فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ، وأَعْرَفُكُمْ بِالْكِتَابِ والسُّنَّة، وأَفْقَهُكُمْ فِي الدِّينِ، وأَعْلَمُكُمْ بِعَوَاقِبِ الأُمُورِ، وأَذْرَبُكُمْ لِساناً، وأَثْبَتُكُمْ جَنَاناً.

فَمَا جَازَ لِقُرَيْشٍ مِنْ فَضْلِهَا عَلَى الْعَرَبِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ جَازَ لِبَنِي هَاشِمٍ عَلَى قُرَيْشٍ، ومَا [جَازَ] لِبَنِي هَاشِمٍ عَلَى قُرَيْشٍ بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ جَازَ لِي عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهذَا عَلِيٌّ مَوْلاَهُ.

إِلاَّ أَنْ تَدَّعِيَ قُرَيْشٌ فَضْلَهَا عَلَى الْعَرَبِ بِغَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، فَإِنْ شَاؤُوا فَلْيَقُولُوا ذَلِكَ.

فَعَلاَمَ تُنَازِعُونَا هذَا الأَمْرَ.

أَنْصِفُونَا مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَخَافُونَ اللَّهَ، واعْرِفُوا لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِثْلَ مَا عَرَفَتْهُ الأَنْصَارُ لَكُمْ، وإِلاَّ فَبُوؤُوا بِالظُّلْمِ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

فَخَشِيَ الْقَوْمُ إِنْ أَنَا وَلِيتُ عَلَيْهِمْ أَنْ آخُذَ بِأَنْفَاسِهِمْ، وأَعْتَرِضَ فِي حُلُوقِهِمْ، ولاَ

يَكُونَ لَهُمْ فِي الأَمْرِ نَصيبٌ مَا بَقَوْا، فَأَجْمَعُوا عَلَيَّ إِجْمَاعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ حَتَّى صَرَفُوا الْوِلاَيَةَ إِلَى عُثْمَانَ، وأَخْرَجُونِي مِنَ الإِمْرَةِ عَلَيْهِمْ رَجَاءَ أَنْ يَنَالُوهَا ويَتَدَاوَلُوهَا فيمَا بَيْنَهُمْ إِذْ يَئِسُوا أَنْ يَنَالُوهَا مِنْ قِبَلِي.

فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادى مُنَادٍ لاَ يُدْرى مَنْ هُوَ، وأَظُنُّهُ جِنِّيّاً، فَأَسْمَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةَ بَايَعُوا عُثْمَانَ فَقَالَ:

يَا نَاعِيَ الإِسْلاَمِ قُمْ فَانْعِهِ ... قَدْ مَاتَ عُرْفٌ وبَدَا مُنْكَرُ

مَا لِقُرَيْشٍ لاَ عَلاَ كَعْبُهَا ... مَنْ قَدَّمُوا الْيَوْمَ ومَنْ أَخَّرُوا

إِنَّ عَلِيّاً هُوَأَوْلى بِهِ مِنْهُ فَوَلُّوهُ ولاَ تُنْكِرُوا فَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ.

ولَولاَ أَنَّ الْعَامَّةَ قَدْ عَلِمَتْ بِذَلِكَ لَمْ أَذْكُرْهُ.

ثُمَّ دَعَوْنِي إِلَى بَيْعَةِ عُثْمَانَ، فَقَالُوا: هَلُمَّ بَايِعْ، وإِلاَّ جَاهَدْنَاكَ. فَبَايَعْتُ مُسْتَكْرَهاً، وصَبَرْتُ مُحْتَسِباً، وعَلَّمْتُ أَهْلَ الْقُنُوتِ أَنْ يَقُولُوا: اللَّهُمَّ لَكَ أَخْلَصَتِ الْقُلُوبُ، وإِلَيْكَ شَخَصَتِ الأَبْصَارُ، وأَنْتَ دُعِيتَ بِالأَلْسُنِ، وإِلَيْكَ تُحُوكِمَ فِي الأَعْمَالِ، فَافْتَحْ بَيْنَنَا وبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وقِلَّةَ عَدَدِنَا، وهَوَانَنَا عَلَى النَّاسِ، وشِدَّةَ الزَّمَانِ، ووُقُوعَ الْفِتَنِ.

اللَّهُمَّ فَفَرِّجْ ذَلِكَ بِعَدْلٍ تُظْهِرُهُ، وسُلْطَانِ حَقٍّ تَعْرِفُهُ.

وقَالَ لِي قَائِلٌ مِنْهُمْ: إِنَّكَ عَلَى الأَمْرِ، يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، لَحَرِيصٌ.

فَقُلْتُ: لَسْتُ عَلَيْهِ حَرِيصاً، بَلْ أَنْتُمْ، واللَّهِ، لأَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنِّي وأَبْعَدُ، وأَنَا أَخَصُّ وأَقْرَبُ.

أَيُّنَا أَحْرَصُ، أَنَا الَّذِي إِنَّمَا طَلَبْتُ مِيرَاثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، وحَقّاً لِي جَعَلَنِيَ اللَّهُ ورَسُولُهُ أَوْلى بِهِ، وأَنَّ وِلاَءَ أُمَّتِهِ لِي مِنْ بَعْدِهِ، أَمْ أَنْتُمْ إِذْ تَحُولُونَ بَيْنِي وبَيْنَهُ، وتَضْرِبُونَ وَجْهِيَ دُونَهُ بِالسَّيْفِ.

فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلأِ الْحَاضِرِينَ، هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ، لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ، واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلى قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ. اللَّهُمَّ فَخُذْ بِحَقِّي مِنْهُم، ولا تَدَعْ مَظْلَمَتِي لَهُمْ، إِنَّكَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وأَكْفَأُوا إِنَائِي، وأَضَاعُوا أَيَامِي، ودَفَعُوا حَقِّي، وصَغَّرُوا قَدْرِي وفَضْلِي وعَظِيمَ مَنْزِلَتِي، واسْتَحَلُّوا الْمَحَارِمَ مِنِّي، وأَجْمَعُوا عَلى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلى بِهِ مِنْ غَيْرِي، فَسَلَبُونِيه، ثُمَّ قَالُوا: إِنَّكَ لَحَرِيصٌ مُتَّهَمٌ، أَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ نَأْخُذَهُ، وفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً كَمِداً، أَوْمُتْ مُتَأَسِّفاً حَنِقاً.

وأَيْمُ اللَّهِ لَواسْتَطَاعُوا أَنْ يَدْفَعُوا قَرَابَتِي كَمَا قَطَعُوا سَبَبِي فَعَلُوا، ولكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا إِلى ذَلِكَ سَبِيلًا.

وإِنَّمَا حَقِّي عَلى هذِهِ الأُمَّةِ كَرَجُلٍ لَهُ حَقٌّ عَلى قَوْمٍ إِلى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِنْ أَحْسَنُوا وعَجَّلُوا لَهُ حَقَّهُ قَبِلَهُ حَامِداً، وإِنْ أَخَّرُوهُ إِلى أَجَلِهِ أَخَذَهُ غَيْرَ حَامِدٍ.

ولاَ يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ.

وقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، لَكَ وِلاَءُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، فَإِنْ وَلَّوْكَ فِي عَافِيَةٍ، وأَجْمَعُوا عَلَيْكَ بِالرِّضَا، فَقُمْ بِأَمْرِهِمْ. وإِنِ اخْتَلَفُوا عَلَيْكَ فَدَعْهُمْ ومَا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ مَخْرَجاً.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ ولاَ رَافِدٌ ولاَ ذَابٌّ، ولاَ مَعِي نَاصِرٌ ولاَ مُسَاعِدٌ، إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ [وَ] الْمَنِيَّةِ.

ولَوْ كَانَ لِي بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ عَمِّي حَمْزَةُ وأَخِي جَعْفَرُ لَمْ أُبَايِعْ كُرْهاً، ولكِنِّي بُلِيتُ بِرَجُلَيْنِ حَدِيثَيْ عَهْدٍ بِالإِسْلاَمِ: الْعَبَّاسِ وعَقِيلٍ.

فَأَغْضَيْتُ عَيْنِي عَلَى الْقَذَى، وجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلى أَمَرَّ مِنَ طَعْمِ الْعَلْقَمِ، وآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ، وأَخْذِ الْكَظَمِ.

وأمَّا أمْرُ عُثْمَانَ فَكَأَنَّهُ عِلْمٌ مِنَ الْقُرُونِ الأُولى عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي ولا يَنْسى.

خَذَلَهُ أهْلُ بَدْرٍ، وقَتَلَهُ أهْلُ مِصْرَ.

واللَّهِ مَا أمَرْتُ بِهِ ولاَ نَهَيْتُ عَنْهُ، ولَوانَّني أمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أوانّي نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً، وكَانَ الأَمْرُ لاَ يَنْفَعُ فيهِ الْعَيَانُ، ولاَ يُشْفي مِنْهُ الْخَبَرُ.

غَيْرَ أنَّ مَنْ نَصَرَهُ لاَ يَسْتَطيعُ أنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أنَا خَيْرٌ مِنْهُ، ومَنْ خَذَلَهُ لاَ يَسْتَطيعُ أنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوخَيْرٌ مِنّي.

وأنَا جَامِعٌ لَكُمْ أمْرَهُ: إسْتَأْثَرَ عُثْمَانُ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ، وجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ، وللَّهِ -عَزَّ وجل- حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ والْجَازِعِ.

واللَّهِ مَا يَلْزَمُني في دَمِ عُثْمَانَ تُهْمَةٌ، مَا كُنْتُ إلاَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمينَ الْمُهَاجِرينَ فِي بَيْتِي، فَلَمَّا نَقَمْتُمْ عَلَيْهِ أتَيْتُمُوهُ فَقَتَلْتُمُوهُ، ثُمَّ جِئْتُمُوني رَاغِبينَ إلَيَّ فِي أمْرِكُمْ، حَتَّى اسْتَخْرَجْتُمُوني مِنْ مَنْزِلي لِتُبَايِعُوني.

فَأَبَيْتُ عَلَيْكُمْ وأَبَيْتُمْ عَلَيَّ، وأَمْسَكْتُ يَدِيَ فَنَازَعْتُمُوني ودَافَعْتُمُوني، وبَسَطْتُمْ يَدِيَ فَكَفَفْتُهَا، ومَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا.

فَالْتَوَيْتُ عَلَيْكُمْ لأَبْلُوَمَا عِنْدَكُمْ، فَرَادَدْتُمُونِيَ الْقَوْلَ مِرَاراً ورَادَدْتُكُمْ.

ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإبِلِ الْهِيمِ عَلى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، وقَدْ أرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وخُلِعَتْ مَثَانِيهَا، حِرْصاً عَلى بَيْعَتي، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وسَقَطَ الرِّدَاءُ، ووُطِئَ الضَّعِيفُ.

وازْدَحَمْتُمْ عَلَيَّ حَتَّى ظَنَنْتُ أنَّكُمْ قَاتِلي أوأنَّ بَعْضَكُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، فَقُلْتُمْ: بَايِعْنَا، فَإنَّا لاَ نَجِدُ غَيْرَكَ، ولاَ نَرْضى إلاَّ بِكَ، بَايِعْنَا، لاَ نَفْتَرِقُ ولاَ تَخْتَلِفُ كَلِمَتُنَا.

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْكُمْ رَوَيْتُ فِي أمْرِي وأمْرِكُمْ، وقُلْتُ: إنْ أنَا لَمْ أُجِبْهُمْ إلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِهِمْ لَمْ يُصيبُوا أحَداً يَقُومُ فيهِمْ مَقَامي، ويَعْدِلُ فيهِمْ عَدْلي.

وقُلْتُ: واللَّهِ لأُبَيِّنَنَّهُمْ وهُمْ يَعْرِفُونَ حَقّي وفَضْلي أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ يَلُوني وهُمْ لاَ

يَعْرِفُونَ حَقّي وفَضْلي.

فَبَايَعْتُمُوني، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلمينَ، عَلى كِتَابِ اللَّهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ وفيكُمُ الْمُهَاجِرُونَ والأَنْصَارُ والتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ.

وبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ.

فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَني طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ، فَقَالاَ: نُبَايِعُكَ عَلى أَنَّا شُرَكَاؤُكَ في هذَا الأَمْرِ.

فَقُلْتُ: لاَ، ولكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ في الْقُوَّةِ والاسْتِعَانَةِ، وعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ والأَوَدِ.

فَبَايَعَاني عَلى هذَا الأَمْرِ، ولَوأَبَيَا مَا أَكْرَهْتُهُمَا، كَمَا لَمْ أُكْرِهْ غَيْرَهُمَا.

وكَانَ طَلْحَةُ يَرْجُوالْيَمَنَ، والزُّبَيْرُ يَرْجُوالْعِرَاقَ، فَلَمَّا عَلِمَا أَنِّي غَيْرُ مُوَلِّيهِمَا لَمْ يَلْبَثَا إِلاَّ يَسِيراً حَتَّى اسْتَأْذَنَانِي لِلْعُمْرَةِ وهُمَا يُرِيدَانِ الْغَدْرَةَ، فَأَتَيَا عَائِشَةَ واسْتَخَفَّاهَا مَعَ شَيْءٍ كَانَ في نَفْسِهَا عَلَيَّ.

مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ. نَوَاقِصُ الْعُقُولِ. نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ.

فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ، فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاَةِ والصِّيَامِ في أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ.

وأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ، فَلاَ شَهَادَةَ لَهُنَّ إِلاَّ في الدَّيْنِ، وشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ.

وأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ، فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ.

فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلى حَذَرٍ.

ولاَ تُطِيعُوهُنَّ في الْمَعْرُوفِ حَتَّى لاَ يَطْمَعْنَ في الْمُنْكَرِ.

[وَ] لاَ تُطْلِعُوهُنَّ عَلى حَالٍ، ولاَ تَأْمَنُوهُنَّ عَلى مَالٍ، ولاَ تَذَرُوهُنَّ إِلاَّ لِتَدْبِيرِ الْعِيَالِ.

فَإِنَّهُنَّ إِنْ تُرِكْنَ ومَا يُرِدْنَ أَوْرَدْنَ الْمَهَالِكَ، وأَفْسَدْنَ الْمَمَالِكَ.

فَإِنَّا وَجَدْنَاهُنَّ لاَ وَرَعَ لَهُنَّ عِنْدَ حَاجَتِهِنَّ، ولاَ صَبْرَ لَهُنَّ عِنْدَ شَهْوَتِهِنَّ.

الْبَذْخُ لَهُنَّ لاَزِمٌ وإِنْ كَبِرْنَ، والْعُجْبُ لَهُنَّ لاَحِقٌ وإِنْ عَجُزْنَ.

رِضَاهُنَّ في قُرُوجِهِنَّ.

لاَ يَشْكُرْنَ الْكَثِيرَ إِذَا مُنِعْنَ الْقَلِيلَ.

يَنْسَيْنَ الْخَيْرَ، ويَحْفَظْنَ الشَّرَّ.

يَتَهَافَتْنَ فِي الْبُهْتَانِ، ويَتَمَادَيْنَ فِي الطُّغْيَانِ، ويَتَصَيَّدْنَ لِلشَّيْطَانِ.

فَدَارُوهُنَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وأَحْسِنُوا لَهُنَّ الْمَقَالَ، لَعَلَّهُنَّ يُحْسِنَّ الْفِعَالَ.

وقَادَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ إِلَى الْبَصْرَةِ، وضَمِنَ لَهُمَا الأَمْوَالَ والرِّجَالَ.

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كَمَا تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ.

فَبَيْنَاهُمَا يَقُودَانِهَا إِذْ هِيَ تَقُودُهُمَا.

فَاتَّخَذَاهَا دَرِيئَةً يُقَاتِلاَنِ بِهَا.

فَأَيُّ خَطِيئَةٍ أَعْظَمُ مِمَّا أَتَيَا، حَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ لَهُمَا ولِغَيْرِهِمَا مِنْ بَيْتِهَا، فَكَشَفَا عَنْهَا حِجَاباً سَتَرَهُ اللهُ - جَلَّ اسْمُهُ- عَلَيْهَا، ومَا أَنْصَفَا اللَّهَ ولاَ رَسُولَهُ مِنْ أَنْفُسِهِمَا.

فَأَصَابُوا ثَلاَثاً بِثَلاَثِ خِصَالٍ مَرْجِعُهَا عَلَى النَّاسِ فِي كِتَابِ اللهِ - عَزَّ وجل-: الْبَغْيُ، والنَّكْثُ والْمَكْرُ.

قَالَ الله - تعالى-: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ﴾.

وقَالَ: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِه﴾.

وقَالَ: ﴿ولا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِه﴾.

فَقَدْ، واللَّهِ، بَغَيَا عَلَيَّ، ونَكَثَا بَيْعَتِي، ومَكَرَا بِي.

[أَيُّهَا النَّاسُ،] إِنِّي مُنِيتُ بِأَطْوَعِ النَّاسِ فِي النَّاسِ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، وبِأَشْجَعِ النَّاسِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وبِأَخْصَمِ النَّاسِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ. وأَعَانَهُمْ عَلَيَّ يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ التَّمِيمِيُّ بِأَصْوُعِ الدَّنَانِيرِ. واللَّهِ لَئِنِ اسْتَقَامَ أَمْرِي لأَجْعَلَنَّ مَالَهُ فَيْئاً لِلْمُسْلِمِينَ.

ثُـمَّ أَتَـوُا الْبَـصْرَةَ فـي جَـيْشٍ مَـا مِـنْهُمْ رَجُـلٌ إِلاَّ وقَـدْ أَعْطَانِـيَ الطَّاعَةَ، وسَمَحَ لي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَقَدِمُوا عَلى عُمَّالي بِهَا، وخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذي في يَدِي، وعَلى غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرِي الَّذِينَ كُلُّهُمْ مُجْتَمِعُونَ في طَاعَتي وعَلى بَيْعَتي، وبِهَا شِيعَتي، فَدَعَوُا النَّاسَ إِلى مَعْصِيَتي، وإِلى نَقْضِ بَيْعَتي وطَاعَتي، فَمَنْ أَطَاعَهُمْ أَكْفَرُوهُ، ومَنْ عَصَاهُمْ قَتَلُوهُ.

فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، فَاجَزَهُمْ حُكَيْمُ بْنُ جَبَلَةَ الْعَبْدِيُّ، فَقَتَلُوهُ في سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ عُبَّادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ومُخْبِتِيهِمْ يُسَمَّوْنَ الْمُتَنَّنِينَ، كَأَنَّ رَاحَ أَكُفِّهِمْ [وجَبَهَاتِهِمْ] ثَفِنَاتُ الإِبِلِ.

وأَبى أَنْ يُبَايِعَهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ الْيَشْكُرِيُّ، وهُوشَيْخُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: اتَّقِيَا اللَّهَ، إِنَّ أَوَّلَكُمْ قَادَنَا إِلَى الْجَنَّةِ، فَلاَ يَقُودُنَا آخِرُكُمْ إِلَى النَّارِ، فَلاَ تُكَلِّفُونَا أَنْ نُصَدِّقَ الْمُدَّعِيَ، ونَقْضِيَ عَلَى الْغَائِبِ.

أَمَّا يَميني فَقَدَ شَغَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ بِبَيْعَتي إِيَّاهُ، وأَمَّا شِمَالي فَهِذِهِ خُذَاهَا فَارِغَةٌ إِنْ شِئْتُمَا.

فَخُنِقَ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكِيمٍ التَّمِيمي فَقَالَ: يَا طَلْحَةُ، هَلْ تَعْرِفُ هذَا الْكِتَابَ.

قَالَ: نَعَمْ. هذَا كِتَابي إِلَيْكَ.

قَالَ: هَلْ تَدْري مَا فيهِ.

قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَيَّ.

فَقَرَأَ، فَإِذَا فيهِ عَيْبُ عُثْمَانَ، ودُعَاؤُهُ إِلى قَتْلِهِ.

فَسَيَّرُوهُ مِنَ الْبَصْرَةِ.

فَقَامَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ الْخُزَاعِيُّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وهُوالَّذي جَاءَتْ فيهِ الأَحَادِيثُ، وقَالَ: يَا هذَانِ، لاَ تُخْرِجَانَا بِبَيْعَتِكُمَا مِنْ طَاعَةِ عَلِيٍّ ولاَ

تَحْمِلاَنَا عَلى نَقْضِ بَيْعَتِه، فَإِنَّهَا للَّه رِضى.

أَمَا وَسِعَتْكُمَا بُيُوتُكُمَا حَتَّى أَتَيْتُمَا بِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

فَالْعَجَبُ لاخْتِلاَفِهَا إِيَّاكُمَا، ومَسِيرِهَا مَعَكُمَا.

فَكُفَّا عَنَّا أَنْفُسَكُمَا وارْجِعَا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمَا، فَلَسْنَا عَبِيدَ مَنْ غَلَبَ، ولاَ أَوَّلَ مَنْ سَبَقَ.

فَهَمَّا به ثُمَّ كَفَّا عَنْهُ.

ثُمَّ أَخَذُوا عَامِلي عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفَ أميرَ الأَنْصَارِ غَدْراً، فَمَثَّلُوا بِهِ كُلَّ الْمُثْلَةِ، ونَتَفُوا كُلَّ شَعْرَةٍ في رَأْسِه ووَجْهِه.

ووَثَبُوا عَلى شِيعَتِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ صَبْراً، وطَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً، وطَائِفَةً غَضِبُوا للَّه وَلِي فَعَضُّوا عَلى أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ.

فَواللَّه لَوَلَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ رَجُلًا وَاحِداً مُتَعَمِّدِينَ لِقَتْلِه، بِلاَ جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قِتَالُهُمْ وقَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّه، لِرِضَاهُمْ بِقَتْلِ مَنْ قُتِلَ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، ولَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ ولاَ بِيَدٍ.

دَعْ مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

وقَدْ أَدَالَ اللَّهُ مِنْهُمْ، فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

فَأَمَّا طَلْحَةُ فَرَمَاهُ مَرْوَانُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ.

وأَمَّا الزُّبَيْرُ فَذَكَّرْتُهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ: إِنَّكَ تُقَاتِلُ عَلِيّاً وأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ.

فَرَجَعَ مِنَ الْحَرْبِ عَلى عَقِبِه.

وأَمَّا عَائِشَةُ فَإِنَّهَا كَانَتْ نَهَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه عَنْ مَسِيرِهَا، فَعَضَّتْ يَدَيْهَا نَادِمَةً عَلى مَا كَانَ مِنْهَا.

وقَدْ كَانَ طَلْحَةُ لَمَّا نَزَلَ (ذَاقَارٍ) قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا أَخْطَأْنَا في عُثْمَانَ

خَطِيئَةً مَا يُخْرِجُنَا مِنْهَا إِلاَّ الطَّلَبُ بِدَمِه، وعَلِيٌّ قَاتِلُهُ وعَلَيْه دَمُهُ.

وقَدْ نَزَلَ دَاراً مَعَ شُكَّاكِ اللاَ نَسْتَطِيعُ قَتْلَهُ إِلاَّ بِكَ، لِمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَّرَ أَبَا ذَرّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وفَتَقَ عَمَّاراً، وآوَى الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، وقَدْ طَرَدَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآلِه وسَلَّمَ وأَبُوبَكْرٍ وعُمَرُ، واسْتَعْمَلَ الْفَاسِقَ عَلى كِتَابِ اللَّه الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وسَلَّطَ خَالِدَ بْنَ عُرْفُطَةَ الْعُذْرِيَّ عَلى كِتَابِ اللَّه يُمَزِّقُهُ ويُحْرِقُهُ.

فَقُلْتُ: كُلُّ هذَا قَدْ عَلِمْتُ، ولاَ أَرى قَتْلَهُ يَوْمِي هذَا، وأَوْشَكَ سِقَاؤُهُ أَنْ يُخْرِجَ الْمَخْضَ زُبْدَتَهُ.

فَأَقَرَّا بِمَا قُلْتُ.

وأَمَّا قَوْلُكُمَا: إِنَّكُمَا تَطْلُبَانِ بِدَمِ عُثْمَانَ، فَهذَانِ ابْنَاهُ عَمْروسَعِيدٌ، فَخَلُّوا عَنْهُمَا يَطْلُبَانِ دَمَ أَبِيهِمَا.

ومَتى كَانَتْ أَسَدٌ وتَيْمٌ أَوْلِيَاءُ دَمِ بَنِي أُمَيَّةَ.

فَانْقَطَعَا عِنْدَ ذَلِكَ.

وكَانَتْ عَائِشَةُ قَدْ شَكَّتْ فِي مَسِيرِهَا وتَعَاظَمَت الْقِتَالَ، فَدَعَتْ كَاتِبَهَا عُبَيْدَ اللَّه بْنَ كَعْبٍ النُّمَيْرِيَّ فَقَالَت: اكْتُبْ، مِنْ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ إِلى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ: هذَا أَمْرٌ لاَ يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ.

قَالَتْ: ولِمَ.

قَالَ: لأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي الإِسْلاَمِ أَوَّلٌ، ولَهُ بِذَلِكَ الْبَدْءُ فِي الْكِتَابِ.

فَقَالَت: اكْتُبْ: إِلى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ قَرَابَتَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّه، ولاَ قِدَمَكَ فِي الإِسْلاَمِ، ولاَ عَنَاءَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّه، وإِنَّمَا خَرَجْتُ مُصْلِحَةً بَيْنَ بَنِيَّ، لاَ أُرِيدُ حَرْبَكَ إِنْ كَفَفْتَ عَنْ هذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ. فِي كَلاَمٍ لَهَا كَثِيرٍ.

فَلَمْ أُجِبْهَا بِحَرْفٍ، وأَخَّرْتُ جَوَابَهَا لِقِتَالِهَا.

فَلَمَّا قَضَى اللَّهُ لي بِالْحُسْنى سِرْتُ إِلَى الْكُوفَةِ، واسْتَخْلَفْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ.

فَقَدِمْتُ إِلَى الْكُوفَةِ وقَد اتَّسقَتْ لِيَ الْوُجُوهُ كُلُّهَا إِلاَّ الشَّامَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ الْحُجَّةَ، وأُفْضِيَ الْعُذْرَ، وأَخَذْتُ بِقَوْلِ الله - تعالى -: ﴿وإِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ﴾.

فَبَعَثْتُ جُرَيْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلى مُعَاوِيَةَ مُعْذِراً إِلَيْهِ، مُتَّخِذاً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

فَرَدَّ كِتَابِي، وجَحَدَ حَقِّي، ودَفَعَ بَيْعَتِي، وبَعَثَ إِلَيَّ أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ قَتَلَةَ عُثْمَانَ.

فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ: مَا أَنْتَ وقَتَلَةَ عُثْمَانَ، أَوْلاَدُهُ أَوْلَى بِهِ.

فَادْخُلْ أَنْتَ وهُمْ فِي طَاعَتِي، ثُمَّ خَاصِمِ الْقَوْمَ، لأَحْمِلَكُمْ وإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وإِلاَّ فَهذِهِ خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنْ رِضَاعِ الْمَلِيِّ.

فَلَمَّا يَئِسَ مِنْ هذَا الأَمْرِ بَعَثَ إِلَيَّ أَنِ اجْعَلِ الشَّامَ لِي حَيَاتَكَ، فَإِنْ حَدَثَ بِكَ حَادِثٌ مِنَ الْمَوْتِ لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ عَلَيَّ طَاعَةٌ.

وإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَخْلَعَ طَاعَتِي مِنْ عُنُقِهِ، فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ.

فَبَعَثَ إِلَيَّ: أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ كَانُوا الْحُكَّامَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا قَتَلُوا عُثْمَانَ صَارَ أَهْلُ الشَّامِ الْحُكَّامَ عَلَى أَهْلِ الْحِجَازِ.

فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ: إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَسَلِّمْ لِي رَجُلاً مِنْ قُرَيْشِ الشَّامِ تَحِلُّ لَهُ الْخِلاَفَةُ ويُقْبَلُ فِي الشُّورَى، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ سَمَّيْتُ لَكَ مِنْ قُرَيْشِ الْحِجَازِ مَنْ يَحِلُّ لَهُ الْخِلاَفَةُ، ويُقْبَلُ فِي الشُّورَى.

ثُمَّ إِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِ أَهْلِ الشَّامِ، فَإِذَا هُمْ حُثَالَةُ أَعْرَابٍ وبَقِيَّةُ أَحْزَابٍ، فَرَاشُ نَارٍ، وذُبَابُ طَمَعٍ، جُفَاةٌ طُغَاةٌ تَجَمَّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، مِمَّنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُؤَدَّبَ ويُحْمَلَ عَلَى السُّنَّةِ، أَوأَنْ يُوَلَّى عَلَيْهِ ويُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ.

لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ولاَ الأَنْصَارِ ولاَ مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

فَسِرْتُ إِلَيْهِمْ ودَعَوْتُهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ والْجَمَاعَةِ، فَأَبَوْا إِلاَّ فِرَاقاً وشِقَاقاً.

ثُمَّ نَهَضُوا فِي وُجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ والتَّابِعِينَ يَنْضَحُونَهُمْ بِالنَّبْلِ، ويَشْجُرُونَهُمْ بِالرِّمَاحِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَضْتُ إِلَيْهِمْ بِالْمُسْلِمِينَ فَقَاتَلْتُهُمْ.

فَلَمَّا عَضَّهُمُ السِّلاَحُ، وخَافَ عَدُوُّكُمُ الاجْتِيَاحَ، واسْتَحَرَّ بِهِمُ الْقَتْلُ، ووَجَدُوا أَلَمَ الْجِرَاحِ، رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ يَدْعُونَكُمْ إِلَى مَا فِيهَا لِيَفْتَؤُوكُمْ عَنْهُمْ، ويَقْطَعُوا الْحَرْبَ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ، ويَتَرَبَّصُوا بِكُمْ رَيْبَ الْمَنُونِ.

فَأَنْبَأْتُكُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ دِينٍ ولاَ أَصْحَابِ قُرْآنٍ، وأَنَّهُمْ إِنَّمَا رَفَعُوهَا لَكُمْ غَدْراً ومَكِيدَةً وخَدِيعَةً ووَهْناً وضَعْفاً، فَامْضُوا، عِبَادَ اللَّهِ، عَلَى حَقِّكُمْ وصِدْقِكُمْ لِقِتَالِهِمْ.

فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ واتَّهَمْتُمُونِي، وقُلْتُمْ: اقْبَلْ مِنْهُمْ، واكْفُفْ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَجَابُوا إِلَى مَا فِي الْقُرْآنِ جَامَعُونَا عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وإِنْ أَبَوْا كَانَ أَعْظَمَ لِحُجَّتِنَا عَلَيْهِمْ.

فَقَبِلْتُ مِنْكُمْ، وكَفَفْتُ عَنْهُمْ، إِذْ وَنَيْتُمْ وأَبَيْتُمْ.

فَكَانَ الصُّلْحُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ عَلَى رَجُلَيْنِ حَكَمَيْنِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَاهُ الْقُرْآنُ، ويُمِيتَا مَا أَمَاتَهُ الْقُرْآنُ.

فَاخْتَلَفَ رَأْيُهُمَا، وتَفَرَّقَ حُكْمُهُمَا، ونَبَذَا مَا فِي الْكِتَابِ، وخَالَفَا مَا فِي الْقُرْآنِ، واتَّبَعَا هَوَاهُمَا بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ، فَجَنَّبَهُمَا اللَّهُ السَّدَادَ، وأَهْوَى بِهِمَا فِي غَمْرَةِ الضَّلاَلِ، وكَانَا أَهْلَ ذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّ طَائِفَةً مِنَّا اعْتَزَلَتْ فَتَرَكْنَاهُمْ مَا تَرَكُونَا، حَتَّى إِذَا عَاثُوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ يَقْتُلُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وكَانَ فِيمَنْ قَتَلُوهُ أَهْلَ مِيرَةٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، وقَتَلُوا خَبَّاباً وابْنَهُ وأُمَّ وَلَدِهِ والْحَارِثَ بْنِ مُرَّةَ الْعَبْدِيَّ. فَبَعَثْتُ إِلَيْهِمْ دَاعِياً، فَقُلْتُ لَهُمْ: ادْفَعُوا إِلَيْنَا قَتَلَةَ إِخْوَانِنَا، ثُمَّ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ.

فَقَالُوا: كُلُّنَا قَتَلْنَاهُمْ، وكُلُّنَا اسْتَحَلَّنَا دِمَاءَهُمْ ودِمَاءَكُمْ، ثُمَّ شَدَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُهُمْ ورِجَالُهُمْ، فَصَرَعَهُمُ اللَّهُ مَصَارِعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ، أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَمْضُوا مِنْ فَوْرِكُمْ ذَلِكَ إِلَى عَدُوِّكُمْ، فَإِنَّهُ أَفْزَعُ لِقُلُوبِهِمْ، وَأَنْهَكُ لِمَكْرِهِمْ، وَأَهْتَكُ لِكَيْدِهِمْ.

فَقُلْتُمْ: كَلَّتْ سُيُوفُنَا، وَنَفِدَتْ نَبَالُنَا، وَنَصِلَتْ أَسِنَّةُ رِمَاحِنَا، وَعَادَ أَكْثَرُهَا قِصْداً، فَارْجِعْ بِنَا إِلَى مِصْرِنَا لِنَسْتَعِدَّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا، وَإِذَا رَجَعْتَ زِدْتَ فِي مُقَاتِلَتِنَا عِدَّةَ مَنْ قُتِلَ مِنَّا وَمَنْ قَدْ فَارَقَنَا، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْوَى لَنَا عَلَى عَدُوِّنَا.

فَأَقْبَلْتُ بِكُمْ حَتَّى إِذَا أَطْلَلْتُمْ عَلَى الْكُوفَةِ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَنْزِلُوا بِالنُّخَيْلَةِ، وَأَنْ تَلْزَمُوا مُعَسْكَرَكُمْ، وَأَنْ تَضُمُّوا إِلَيْهِ قَوَاصِيَكُمْ، وَأَنْ تُوَطِّنُوا عَلَى الْجِهَادِ أَنْفُسَكُمْ، وَلاَ تُكْثِرُوا زِيَارَةَ أَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُرِقُّ قُلُوبَكُمْ وَيُلْوِيكُمْ.

وَإِنَّ أَهْلَ الْحَرْبِ الْمُصَابِرُونَ، وَأَهْلَ التَّسْمِيرِ فِيهَا الَّذِينَ لاَ يَتَوَجَّدُونَ وَلاَ يَتَوَجَّعُونَ، وَلاَ يَسْأَمُونَ مِنْ سَهَرِ لَيْلِهِمْ، وَلاَ ظَمَأِ نَهَارِهِمْ، وَلاَ مِنْ خَمْصِ بُطُونِهِمْ، وَلاَ نَصَبِ أَبْدَانِهِمْ، وَلاَ فُقْدَانِ أَوْلاَدِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، حَتَّى يُدْرِكُوا بِثَأْرِهِمْ، وَيَنَالُوا بُغْيَتَهُمْ وَمَطْلَبَهُمْ.

فَأَقَامَتْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ مَعِيَ مُعَذِّرَةً، وَطَائِفَةٌ مِنْكُمْ دَخَلَتِ الْمِصْرَ عَاصِيَةً، فَلاَ الَّذِي أَقَامَ مِنْكُمْ ثَبَتَ مَعِيَ وَصَبَرَ، وَلاَ مَنْ دَخَلَ الْمِصْرَ عَادَ إِلَيَّ وَرَجَعَ.

وَلَقَدْ أَتَيْتُنِي وَنَظَرْتُ إِلَى مُعَسْكَرِي وَلَيْسَ فِيهِ مِنْكُمْ إِلاَّ خَمْسُونَ رَجُلًا.

فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَتَيْتُمْ، دَخَلْتُ إِلَيْكُمْ، فَمَا قُدِّرَ لَكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ إِلَى يَوْمِكُمْ هَذَا.

فَمَا بَالُكُمْ.

لِلَّهِ أَنْتُمْ مِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ.

[وَ] أَيْنَ تَذْهَبُونَ.

وَمَا لَكُمْ أَنَّى تُؤْفَكُونَ.

وَأَنَّى تُسْحَرُونَ.

ولَوأَنَّكُمْ عَزَمْتُمْ وأَجْمَعْتُمْ لَمْ تُرَامُوا.

إلاَّ أنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَدُّوا وتَآسَوْا، واجْتَمَعُوا وتَنَاشَبُوا، وتَنَاصَرُوا، وتَنَاصَحُوا، وإِنَّكُمْ قَدْ وَنَيْتُمْ، وتَخَاذَلْتُمْ وتَغَاشَشْتُمْ واقْتَرَفْتُمْ.

مَا أَنْتُمْ إِنْ بَقِيتُمْ عَلى ذَلكَ بِمُنْقَذِينَ.

فَانْتَهُوا بِأَجْمَعِكُمْ عَمَّا نَهَيْتُكُمْ، [وَ] أَيْقِظُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، نَائِمَكُمْ، وأَجْمِعُوا عَلى حَقِّكُمْ، وتَجَرَّدُوا لِحَرْبِ عَدُوِّكُمْ، فَقَدْ أَبْدَتِ الرَّغْوَةُ عَنِ الصَّرِيخِ، وأَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ.

فَانْتَبِهُوا، إِنَّمَا أَنْتُمْ تُقَاتِلُونَ الطُّلَقَاءَ وأَبْنَاءَ الطُّلَقَاءِ، وأَهْلَ الْجَفَاءِ، ومَنْ أَسْلَمَ كَرْهاً، فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ أَنفاً، وَلِلإِسْلاَمِ كُلِّهِ حَرْباً، أَعْدَاءَ اللَّهِ والسُّنَّةِ والْقُرْآنِ، وأَهْلَ الْبِدَعِ والإِحْدَاثِ، ومَنْ كَانَتْ بَوَائِقُهُ تُتَّقى، وكَانَ عَلَى الإِسْلاَمِ وأَهْلِهِ مَخُوفاً.

فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْخَمْرَ الْحَرَامَ، وجُلِدَ حَدّاً فِي الإِسْلاَمِ، وكُلُّكُمْ يَعْرِفُهُ بِالْفَسَادِ فِي الدِّينِ والْفِعْلِ السَّيِّءِ.

وإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الإِسْلاَمِ الرَّضَائِخُ.

ولَقَدْ أُنْهِيَ إِلَيَّ أَنَّ ابْنَ النَّابِغَةِ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً هِيَ أَعْظَمُ مِمَّا فِي يَدِهِ مِنْ سُلْطَانِهِ.

أَلاَ فَلاَ ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ دِينَهُ بِالدُّنْيَا، وخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ بِنُصْرَةِ فَاسِقٍ غَادِرٍ بِأَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ.

فَهؤُلاَءِ قَادَةُ الْقَوْمِ، ومَنْ تَرَكْتُ لَكُمْ ذِكْرَ مَسَاوِئِهِ مِنْ قَادَتِهِمْ مِثْلُ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْهُمْ، بَلْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُمْ وأَضَرُّ.

وأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وأَسْمَائِهِمْ.

كَانُوا عَلَى الإِسْلاَمِ ضِدّاً، ولِنَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ حَرْباً، وَلِلشَّيْطَانِ حِزْباً.

لَمْ يَتَقَدَّمْ إِيمَانُهُمْ، ولَمْ يَحْدُثْ نِفَاقُهُمْ.

أَكَلَةُ الرُّشَا، وعَبِيدُ الدُّنْيَا.

ولأَنْتُمْ عَلى مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ تَوَاكُلٍ وتَخَاذُلٍ خَيْرٌ مِنْهُمْ وأَهْدى سَبِيلًا.

فَفِيكُمُ الْفُقَهَاءُ، والْعُلَمَاءُ، والنُّجَبَاءُ، والْحُكَمَاءُ، والْعُبَّادُ والزُّهَّادُ فِي الدُّنْيَا، وعُمَّارُ الْمَسَاجِدِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وحَمَلَةُ الْكِتَابِ، والْمُتَهَجِّدُونَ بِالأَسْحَارِ.

أَفَلَا تَسْخَطُونَ وتَنْقِمُونَ أَنْ يُنَازِعَكُمُ الْوِلَايَةَ عَلَيْكُمْ سُفَهَاؤُكُمْ والأَشْرَارُ والأَرَاذِلُ مِنْكُمْ، الْبُطَاءُ عَنِ الإِسْلَامِ، الْجُفَاةُ فِيهِ.

فَاسْمَعُوا، هَدَاكُمُ اللَّهُ، قَوْلِي إِذَا قُلْتُ، وأَطِيعُوا أَمْرِي إِذَا أَمَرْتُ، واعْرِفُوا نَصِيحَتِي إِذَا نَصَحْتُ، واعْتَقِدُوا حَزْمِي إِذَا حَزَمْتُ، والْتَزِمُوا عَزْمِي إِذَا عَزَمْتُ، وانْهَضُوا لِنُهُوضِي، وقَارِعُوا مَنْ قَارَعْتُ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَطَعْتُمُونِي لَا تَغْوُونَ، وإِنْ عَصَيْتُمُونِي لَا تَرْشُدُونَ.

قَالَ الله - تعالى -: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾.

وقَالَ الله - تعالى - لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ -: ﴿**إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ**﴾.

فَالْهَادِي بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ هَادٍ لأُمَّتِهِ عَلى مَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، فَمَنْ عَسى أَنْ يَكُونَ الْهَادِي إِلَّا الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وقَادَكُمْ إِلَى الْهُدى.

فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وعَلَا سَنَاهَا، وأُوقِدَ نَارُهَا، وتَجَرَّدَ لَكُمُ الْفَاسِقُونَ الظَّالِمُونَ كَيْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ، ويُعَذِّبُوا عِبَادَ اللَّهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ، وقَاتِلُوا مَنْ حَادَّ اللَّهَ وحَاوَلَ أَنْ يُطْفِئَ نُورَ اللَّهِ.

قَاتِلُوا الْخَاطِئِينَ الضَّالِّينَ الْقَاسِطِينَ الْمُجْرِمِينَ، الَّذِينَ لَيْسُوا بِقُرَّاءَ لِلْقُرْآنِ، ولَا فُقَهَاءَ فِي الدِّينِ، ولَا عُلَمَاءَ فِي التَّأْوِيلِ، ولَا لِهَذَا الأَمْرِ بِأَهْلٍ فِي سَابِقَةِ الإِسْلَامِ.

واسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعى إِلَى النَّصْرِ.

أَلاَ إِنَّهُ لَيْسَ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ مِنْ أَهْلِ الطَّمَعِ والْمَكْرِ والْجَفَاءِ بِأَوْلى بِالْجِدِّ في غَيِّهِمْ وضَلاَلِهِمْ وبَاطِلِهِمْ، مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَهْلِ الْبِرِّ والزَّهَادَةِ والإِخْبَاتِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ، ومُنَاصَحَةِ إِمَامِهِمْ.

إِنِّي، واللَّهِ، لَولَقِيتُهُمْ وَحْدِي وهُمْ طِلاَعُ الأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ بِهِمْ، ولاَ اسْتَوْحَشْتُ مِنْهُمْ.

وإِنِّي مِنْ ضَلاَلِهِمُ الَّذي هُمْ فيهِ، والْهُدَى الَّذي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلى ثِقَةٍ وبَيِّنَةٍ وبَصيرَةٍ مِنْ نَفْسي، ويَقِينٍ مِنْ رَبّي.

ولكِنَّ أَسىً يُريبُني، وجَزَعاً يَعْتَريني، وحُزْناً يُخَامِرُني، مِنْ أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هذه الأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُوَلاً، وعِبَادَ اللَّهِ خَوَلاً، وكِتَابَ اللَّهِ دَخَلاً، والصَّالِحينَ حَرْباً، والْفَاسِقينَ حِزْباً.

واللَّهِ لَووَلُوا عَلَيْكُمْ لأَظْهَرُوا فيكُمُ الْفَخْرَ والنُّكْرَ، والْكُفْرَ والْفُجُورَ، والتَّسَلُّطَ بِالْجَبْرِيَّةِ، والْفَسَادَ فِي الأَرْضِ، واتَّبَعُوا الْهَوى، وحَكَمُوا بِغَيْرِ الْحَقِّ، ولَعَمِلُوا فيكُمْ بِأَعْمَالِ كِسْرى وقَيْصَرَ.

وأَيْمُ اللَّهِ، لَولاَ ذَلِكَ لَمَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وتَأْنِيبَكُمْ، وجَمْعَكُمْ وتَحْرِيضَكُمْ، ولَتَرَكْتُكُمْ، إِذْ أَبَيْتُمْ ووَنَيْتُمْ، حَتَّى أَلْقَاهُمْ بِنَفْسي مَتى حُمَّ لي لِقَاؤُهُمْ.

فَواللَّهِ إِنِّي لَعَلَى الْحَقِّ، وإِنِّي لِلشَّهَادَةِ لَمُحِبٌّ، وإِنِّي إِلى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌ، ولِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ.

لِلَّهِ أَبُوكُمْ، مَا تَنْتَظِرُونَ.

أَلاَ تَرَوْنَ إِلى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتُقِصَتْ، وإِلى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ، وإِلى شِيعَتي بِهَا قَدْ قُتِلَتْ.

أَلاَ تَرَوْنَ إِلى مَمَالِكِكُمْ تُزْوى، وإِلى مَسَالِحِكُمْ تَغْزى، وإِلى بِلاَدِكُمْ تُغْزى، وإِلى

صَفَاتِكُمْ تُرْمى، وأَنْتُمْ ذَوُوعَدَدٍ جَمٍّ كَثيرٍ، وشَوْكَةٍ وبَأْسٍ شَديدٍ.

إِنِّي نَافِرٌ بِكُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَانْفِرُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، إِلى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ خِفافاً وثِقالاً وجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

ولاَ تَثَّاقَلُوا إِلَى الأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ، وتَبُوءُوا بِالذُّلِّ، ويَكُونَ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ.

إِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الأَرِقُ، إِنْ نَامَ لَمْ تَنَمْ عَيْنُهُ، ومَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، ومَنْ غَفَلَ أَوْدى، ومَنْ ضَعُفَ ذَلَّ، ومَنْ كَرِهَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ الْمَغْبُونَ الْمَهِينَ.

إِنِّي لَكُمُ الْيَوْمَ عَلى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ بِالأَمْسِ، ولَسْتُمْ لِي عَلى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ.

واللَّهِ لَوْنَصَرْتُمُ اللَّهَ لَنَصَرَكُمُ اللَّهُ، وثَبَّتَ أَقْدَامَكُمْ، إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَنْصُرَ مَنْ نَصَرَهُ، ويَخْذُلَ مَنْ خَذَلَهُ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْنَا وإِيَّاهُمْ عَلَى الْهُدى، وزَهِّدْنَا وإِيَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا، واجْعَلِ الآخِرَةَ خَيْراً لَنَا ولَهُمْ مِنَ الأُولى. والسَّلاَمُ.

الباب الثاني

فصل العهود والأحلاف

عهد له عليه السلام (١)

إلى مخنف بن سليم الأزدي وقد بعثه على الصدقة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِخْنَفَ بْنَ سُلَيْمٍ الأَزْدي في عَهْدِه إِلَيْهِ حِينَ بَعَثَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ.] أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ رَبِّهِ في سَرَائِرِ أُمُورِهِ وخَفِيَّاتِ أَعْمَالِهِ، حَيْثُ لاَ شَهِيدَ غَيْرُهُ، ولاَ وَكِيلَ دُونَهُ.

وأَمَرَهُ أَنْ لاَ يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ.

ومَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وعَلاَنِيَتُهُ، وفِعْلُهُ ومَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى الأَمَانَةَ، وأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ.

وأَمَرَهُ أَنْ يَلْقَاهُمْ بِبَسْطِ الْوَجْهِ، ولِينِ الْجَانِبِ.

وأَمَرَهُ أَنْ يَلْزَمَ التَّوَاضُعَ، ويَتَجَنَّبَ التَّكَبُّرَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ الْمُتَوَاضِعِينَ، ويَضَعُ الْمُتَكَبِّرِينَ.

وأَمَرَهُ أَنْ لاَ يَجْبَهَهُمْ ولاَ يَعْضَهَهُمْ، ولاَ يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ الإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، والأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ.

وإِنَّ لَكَ، يَا مِخْنَفَ بْنَ سُلَيْمٍ، في هذه الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وحَقّاً مَعْلُوماً، ولَكَ فِيهَا شُرَكَاءُ أَهْلُ مَسْكَنَةٍ، وضُعَفَاءُ ذَوِي فَاقَةٍ، وغَارِمِينَ ومُجَاهِدِينَ، وأَبْنَاءُ سَبِيلٍ، ومَمْلُوكِينَ، ومُتَأَلِّفِينَ، وإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ، فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ.

وإِنْ لاَ تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وبُؤْساً لِمَنْ يَكُونُ خَصْمَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ، والْمَسَاكِينَ، والسَّائِلُونَ، والْمَدْفُوعُونَ، والْغَارِمُونَ، وابْنُ السَّبِيلِ.

ومَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ، ورَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، ولَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ ودِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذُّلَّ والْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وهُوَ فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وأَخْزَى. والسَّلاَمُ.

عهد له عليه السلام (٢)

إلى محمد بن أبي بكر رضي اللّه عنه حين قلّده مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أميرِ الْمُؤْمِنينَ عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ إلى أهْلِ مِصْرَ ومُحَمَّدِ بْنِ أبي بَكْرٍ.

سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ.

فَإنّي أحْمَدُ إلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذي لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ.

أمَّا بَعْدُ، فَإنّي أُوصيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ في سِرِّكُمْ وعَلاَنِيَتِكُمْ، وعَلى أيِّ حَالٍ كُنْتُمْ عَلَيْهَا، والْعَمَلِ بِمَا انْتُمْ عَنْهُ مَسْؤُولُونَ، فَانْتُمْ بِه رَهْنٌ وانْتُمْ إلَيْه صَائِرُونَ، فَإنَّ الله - عَزَّ وجل - يَقُولُ في كِتَابِه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾. ويَقُولُ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وإلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. ويَقُولُ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فَاعْلَمُوا أنَّ الله - تعالى- لَيُسَائِلُكُمْ، مَعْشَرَ عِبَادِه، عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أعْمَالِكُمْ والْكَبِيرَةِ، والظَّاهِرَةِ والْمَسْتُورَةِ، فَإنْ يُعَذِّبْ فَانْتُمْ أظْلَمُ، وإنْ يَعْفُ ويَغْفِرْ ويَرْحَمْ فَهُوَ أكْرَمُ، وهُوَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

ولْيَعْلَمِ الْمَرْءُ مِنْكُمْ أنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلاَءٍ وفَنَاءٍ، والآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ وبَقَاءٍ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أنْ يُؤْثِرَ مَا يَبْقى عَلى مَا يَفْنى فَلْيَفْعَلْ.

رَزَقَنَا اللَّهُ وإيَّاكُمْ بَصَراً لِمَا بَصَّرَنَا، وفَهْماً لِمَا فَهَّمَنَا، حَتَّى لاَ نُقَصِّرَ عَمَّا أمَرَنَا بِه، ولاَ نَتَعَدَّى إلى مَا نَهَانَا عَنْهُ.

واعْلَمُوا، يَا عِبَادَ اللَّه، أنَّ أقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إلَى الْمَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ حِينَمَا يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّه، ويَنْصَحُهُ بالتَّوْبَةِ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى الله - عَزَّ وجل - فَإنَّهَا تَجْمَعُ مِنَ الْخَيْرِ مَا لاَ يَجْمَعُ غَيْرُهُ، ويُدْرَكُ بِهَا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وخَيْرِ الآخِرَةِ مَا لاَ يُدْرَكُ بِغَيْرِهَا.

قَالَ الله - عَزَّ وجل-: ﴿وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ ولَدارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ ولَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

واعْلَمُوا، يَا عِبادَ اللَّه، أنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْمَلُ لِثَلاثٍ مِنَ الثَّوابِ:

إمَّا لِخَيْرِ الدُّنْيا، فَإنَّ اللَّهَ يُثِيبُهُ بِعَمَلِهِ في دُنْيَاهُ.

قَالَ الله - سُبْحَانَهُ- لإبْراهِيمَ-: ﴿وآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

فَمَنْ عَمِلَ للَّه- تعالى- أعْطَاهُ أجْرَهُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وكَفَاهُ الْمُهِمَّ فيهِمَا.

وقَدْ قَالَ الله - عَزَّ وجل-: ﴿قُلْ يا عِباد الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وأَرْضُ اللَّه واسِعَةٌ إنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِساب﴾.

فَمَا أعْطَاهُمُ اللَّهُ في الدُّنْيَا لَمْ يُحَاسِبْهُمْ بِهِ في الآخِرَةِ.

قَالَ الله - عَزَّ وجل-: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وزِيادَةٌ﴾.

فَالْحُسْنى هِيَ الْجَنَّةُ، والزِّيَادَةُ هِيَ الدُّنْيَا.

وإمَّا لِخَيْرِ الآخِرَةِ، فَإنَّ الله - تعالى- يُكَفِّرُ عَنْهُ بِكُلِّ حَسَنَةٍ سَيِّئَةً.

قَالَ الله - عَزَّ وجل-: ﴿إنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾.

حَتَّى إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ حُسِبَتْ لَهُمْ حَسَنَاتُهُمْ، ثُمَّ أُعْطُوا بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعمَائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ الله - عَزَّ وجل-: ﴿جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً﴾.

وقَالَ-: ﴿وما أَمْوالُكُمْ ولا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إلاَّ﴾.

فَارْغَبُوا في هذَا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، واعْمَلُوا لَهُ، وتَحَاضُّوا عَلَيْهِ.

واعْلَمُوا، عِبَادَ اللَّه، أنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وآجِلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا في دُنْيَاهُمْ، ولَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا في آخِرَتِهِمْ.

أَبَاحَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مَا كَفَاهُمْ بِهِ وأَغْنَاهُمْ.

قَالَ الله - عَزَّ وجل-: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّه الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ.

شَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا في دُنْيَاهُمْ، فَأَكَلُوا مَعَهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا يَأْكُلُونَ، وشَرِبُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا

يَشْرَبُونَ، ولَبِسُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَلْبَسُونَ، وسَكَنُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَسْكُنُونَ، وتَزَوَّجُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَتَزَوَّجُونَ، ورَكِبُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَرْكَبُونَ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ، والْمَتْجَرِ الْمُرْبِحِ.

أَصَابُوا لَذَّةَ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللهِ - عَزَّ وجل - غَداً فِي آخِرَتِهِمْ، يَتَمَنَّوْنَ عَلَيْهِ فَيُعْطِيهِمْ مَا يَتَمَنَّوْنَ، لاَ تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، ولاَ يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ.

فَإِلَى هذَا، يَا عِبَادَ اللَّهِ، يَشْتَاقُ مَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ، ويَعْمَلُ لَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ. ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.

فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ، يَا أَهْلَ مِصْرَ، ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، أَنْ يُصَدِّقَ قَوْلُكُمْ فِعْلَكُمْ، وأَنْ يُوَافِقَ سِرُّكُمْ عَلاَنِيَتَكُمْ، ولاَ تُخَالِفَ أَلْسِنَتُكُمْ قُلُوبَكُمْ، فَافْعَلُوا. عَصَمَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ بِالْهُدَى، وسَلَكَ بِنَا وبِكُمُ الْمَحَجَّةَ الْوُسْطَى.

وإِيَّاكُمْ ودَعْوَةَ الْكَذَّابِ ابْنِ هِنْدٍ، وتَأَمَّلُوا، واعْلَمُوا أَنَّهُ لاَ سَوَاءَ إِمَامُ الْهُدَى وإِمَامُ الرَّدَى، ووَلِيُّ النَّبِيِّ وعَدُوُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ. جَعَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يُحِبُّ ويَرْضَى.

ولَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً ولاَ مُشْرِكاً. أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ.

ولكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ. وقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ: مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ، وسَاءَتْهُ سَيِّئَاتُهُ، فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ حَقّاً، وكَانَ يُقَالُ: خَصْلَتَانِ لاَ تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، وفِقْهٌ فِي سُنَّةٍ.

واعْلَمُوا، يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّكُمْ إِذَا اتَّقَيْتُمْ رَبَّكُمْ، وحَفِظْتُمْ نَبِيَّكُمْ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَدْ عَبَدْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا عُبِدَ، وذَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا ذُكِرَ، وشَكَرْتُمُوهُ بِأَفْضَلِ مَا شُكِرَ، وأَخَذْتُمْ بِأَفْضَلِ الصَّبْرِ، وجَاهَدْتُمْ بِأَفْضَلِ الْجِهَادِ، وإِنْ كَانَ غَيْرُكُمْ أَطْوَلَ مِنْكُمْ صَلاَةً، وأَكْثَرَ صِيَاماً وصَدَقَةً، إِذْ كُنْتُمْ أَتْقَى وأَخْشَعَ لِلَّهِ - عَزَّ وجل - مِنْهُمْ، وأَنْصَحَ لأَوْلِيَاءِ اللَّهِ ومَنْ هُوَ وَلِيُّ الأَمْرِ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ.

واحْذَرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، الْمَوْتَ وقُرْبَهُ وكَرْبَهُ وسَكْرَتَهُ ونُزُولَهُ، وأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لاَ يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً، أَوبِشَرٍّ لاَ يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً.

فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّة مِنْ عَامِلِهَا، ومَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّار مِنْ عَامِلِهَا.

قَد انْجَابَت السَّرَائِرُ لأَهْلِ الْبَصَائِر، ووَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا، وأَسْفَرَت السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وظَهَرَت الْعَلاَمَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا.

إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ تُفَارِقُ رُوحُهُ جَسَدَهُ حَتَّى يَعْلَمَ إِلى أَيِّ الْمَنْزِلَيْنِ يَصِيرُ: إِلَى الْجَنَّة أَمْ إِلَى النَّار.

أَهُوَ عَدُوٌ للَّه أَمْ هُوَ لَهُ وَلِيٌّ.

فَإِنْ كَانَ وَلِيّاً للَّه فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّة، وشُرِّعَتْ لَهُ طُرُقُهَا، ونَظَرَ إِلى مَا أَعَدَّ الله - عَزَّ وجل - لأَوْلِيَائِه فِيهَا، فَفَرَغَ مِنْ كُلِّ شُغْلٍ، ووُضِعَ عَنْهُ كُلُّ ثِقْلٍ.

وإِنْ كَانَ عَدُوّاً للَّه فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ النَّار، وشُرِّعَتْ لَهُ طُرُقُهَا، ونَظَرَ إِلى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لأَهْلِهَا، فَاسْتَقْبَلَ كُلَّ مَكْرُوه، وفَارَقَ كُلَّ سُرُور.

كُلُّ هذَا يَكُونُ عِنْدَ الْمَوْت، وعِنْدَهُ يَكُونُ الْيَقِينُ، قَالَ الله - عَزَّ اسْمُهُ -: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ويَقُولُ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

واعْلَمُوا، يَا عِبَادَ اللَّه، أَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ مِنْهُ فَوْتٌ، فَاحْذَرُوهُ قَبْلَ وُقُوعِه، وأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ.

وإِنَّكُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْت، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ.

إِنَّ الْمَوْتَ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، والدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ.

فَالاسْرَاعَ، الاسْرَاعَ.

الْوَحَا، الْوَحَا.

النَّجَاءَ، النَّجَاءَ.

فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ طَالِبٌ حَثِيثٌ، فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ عِنْدَمَا تُنَازِعُكُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُكُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّهُ كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظاً.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَثِيراً مَا يُوصِي أَصْحَابَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: أَكْثِرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ هَادِمُ اللَّذَّاتِ، حَائِلٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ.

وَاعْلَمُوا، يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ لِمَنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَيَرْحَمْهُ، فَاحْذَرُوا الْقَبْرَ وَضِيقَهُ وَضَنْكَهُ وَضَمَّتَهُ وَظُلْمَتَهُ وَغُرْبَتَهُ.

أَلاَ وَإِنَّ الْقَبْرَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.

أَلاَ وَإِنَّ الْقَبْرَ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَةِ.

أَنَا بَيْتُ التُّرْبَةِ.

أَنَا بَيْتُ الْوَحْشَةِ.

أَنَا بَيْتُ الدَّيْدَانِ وَالْهَوَامِّ.

إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا دُفِنَ قَالَتِ الأَرْضُ لَهُ: مَرْحَباً وَأَهْلًا، قَدْ كُنْتَ مِمَّنْ أُحِبُّ أَنْ تَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِي، فَسَتَعْلَمُ، إِذَ وَلِيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ، كَيْفَ صُنْعِي بِكَ. فَتَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ الْبَصَرِ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا دُفِنَ قَالَتْ لَهُ الأَرْضُ: لاَ مَرْحَباً وَلاَ أَهْلًا، فَقَدْ كُنْتَ مِمَّنْ أُبْغِضُ أَنْ تَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِي، فَإِذْ وَلِيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَعْلَمُ كَيْفَ صُنْعِي بِكَ. فَتَنْضَمُّ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَقِيَ عَلَيْهِ وَتَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ الَّتِي قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ وَحَذَّرَ مِنْهَا عَدُوَّهُ هِيَ عَذَابُ الْقَبْرِ.

فَإِنَّهُ يُسَلَّطُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ تِنِّيناً عِظَاماً فَيَنْهَشْنَ لَحْمَهُ، وَيَكْسِرْنَ عَظْمَهُ، وَيَتَرَدَّدْنَ عَلَيْهِ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يُبْعَثَ إِلَى الْحِسَابِ.

لَوأنَّ تِنّيناً وَاحداً مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ زَرْعاً أبداً.

واعْلَمُوا، يَا عِبَادَ اللَّه، أنَّ أَنْفُسَكُمُ الضَّعيفَةَ، وأجْسَادَكُمُ النَّاعِمَةَ الرَّقيقَةَ الَّتي يَكْفيهَا اليَسيرُ مِنَ الْعِقَاب، تَضْعُفُ عَنْ هذَا، فَإن اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَرْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ وأجْسَادَكُمْ مِمَّا لاَ طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ، ولاَ صَبْرَ لَكُمْ عَلَيْهِ، فَتَعْمَلُوا بِمَا أَحَبَّ الله - سُبْحَانَهُ- ، وتَتْرُكُوا مَا كَرِهَ اللَّهُ، فَافْعَلُوا.

ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه.

أَلاَ واعْلَمُوا، يَا عِبَادَ اللَّه، أنَّ بَعْدَ الْقَبْرِ الْبَعْثُ مَا هُوأشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ، يَوْمَ يَشيبُ فيه الصَّغيرُ، ويَسْكَرُ فيهُ الْكَبيرُ، وتَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أرْضَعَتْ، وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وتَرَى النَّاسَ سُكارى وما هُمْ بِسُكارى ولكِنَّ عَذابَ اللَّه شَديدٌ.

واحْذَرُوا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً. ويَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً.

وذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فيهِ الأَوَّلينَ والآخِرينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ وجَزَاءِ الأَعْمَالِ، خُضُوعاً.

قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، ورَجَفَتْ بِهِمُ الأَرْضُ.

فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمِه مَوْضِعاً، ولِنَفْسِه مُتَّسَعاً.

أَمَا إنَّ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وفَزَعَهُ اسْتَطَارَ حَتَّى لَيَرْهَبُ مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ الَّذينَ لاَ ذَنْبَ لَهُمْ، وتَرْعَبُ مِنْهُ السَّبْعُ الشِّدَادُ، والْجِبَالُ الأَوْتَادُ، والأَرْضُ الْمِهَادُ، وتَنْشَقُّ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ، وتَتَغَيَّرُ فَكَأَنَّهَا وَرْدَةٌ كَالدِّهَانِ، وتَكُونُ الْجِبَالُ سَرَاباً كَثِيباً مَهِيلًا بَعْدَ مَا كَانَتْ صُمّاً صِلاَباً.

يَقُولُ الله - سُبْحَانَهُ- : ﴿ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ ومَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ﴾.

فَكَيْفَ بِمَنْ عَصَى اللَّهَ بِالسَّمْعِ والْبَصَرِ واللِّسَانِ واليَدِ والرِّجْلِ والْفَرْجِ والْبَطْنِ، إنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ ويَرْحَمْهُ، مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

واعْلَمُوا، يَا عِبَادَ اللَّه، أَنَّ مَا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَشَدُّ وأَدْهى عَلى مَنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ.

فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وحَرُّهَا شَدِيدٌ، وشَرَابُهَا صَدِيدٌ، وعَذَابُهَا جَدِيدٌ، ومَقَامِعُهَا مِنْ حَدِيد، لاَ يَفْتُرُ عَذَابُهَا، ولاَ يَمُوتُ سَاكِنُهَا.

دَارٌ لَيْسَ للَّهِ- سُبْحَانَهُ- فِيهَا رَحْمَةٌ، ولاَ تُسْمَعُ فِيهَا لأَهْلِهَا دَعْوَةٌ، ولاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ.

واعْلَمُوا، يَا عِبَادَ اللَّه، أَنَّ مَعَ هذَا رَحْمَةُ اللَّه الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، لاَ تَعْجَزُ عَنِ الْعِبَادِ، وجَنَّة عَرْضُهَا السَّماواتُ والْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.

خَيْرٌ لاَ يَكُونُ بَعْدَهُ شَرٌّ أَبَداً، وشَهْوَةٌ لاَ تَنْفَدُ أَبَداً، ولَذَّةٌ لاَ تَفْنى أَبَداً، ومَجْمَعٌ لاَ يَتَفَرَّقُ أَبَداً.

سُكَّانُهَا قَدْ جَاوَرُوا الرَّحْمنَ، وقَامَ بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْغِلْمَانُ، بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا الْفَاكِهَةُ والرَّيْحَانُ.

وإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَزُورُونَ الْجَبَّارَ- سُبْحَانَهُ- في كُلِّ جُمُعَةٍ، فَيَكُونُ أَقْرَبُهُمْ مِنْهُ عَلى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ.

والَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلى مَنَابِرَ مِنْ يَاقُوت.

والَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلى مَنَابِرَ مِنْ زَبَرْجَدٍ.

والَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلى مَنَابِرَ مِنْ مِسْك.

فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ يَنْظُرُونَ إِلى نُورِ الله - جَلَّ جَلاَلُهُ- ويَنْظُرُ اللَّهُ في وُجُوهِهِمْ، إِذْ أَقْبَلَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهُمْ، فَتُمْطِرُ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ واللَّذَّةِ والسُّرُورِ والْبَهْجَةِ مَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ الله - سُبْحَانَهُ-.

ومَعَ هذَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ: رِضْوَانُ اللَّه الأَكْبَرُ.

فَلَوْ أَنَّنَا لَمْ نُخَوَّفْ إِلاَّ بِبَعْضِ مَا خُوِّفْنَا بِهِ لَكُنَّا مَحْقُوقِينَ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُنَا مِمَّا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ، ولاَ صَبْرَ لَنَا عَلَيْهِ، وأَنْ يَشْتَدَّ شَوْقُنَا إِلى مَا لاَ غَنَاءَ لَنَا عَنْهُ، ولاَ بُدَّ لَنَا مِنْهُ.

وإِنِ اسْتَطَعْتُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا.

فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّه بربِّه عَلى قَدْرِ خَوْفِه مِنْ رَبِّه.

وإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللَّه أَشَدُّهُمْ خَوْفاً للَّه.

جَعَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وأَدْخَلَنَا وإِيَّاكُمْ دَارَ النَّعِيمِ، وأَجَارَنَا وإِيَّاكُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَلِيمِ.

واعْلَمْ، يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ.

وإِذْ وَلَّيْتُكَ مَا وَلَّيْتُكَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ فِيهِ عَلى نَفْسِكَ، وأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ، ولَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ إِلاَّ سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ.

وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تُسْخِطَ اللهَ - عَزَّ وجل - بِرِضى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِه فَافْعَلْ، فَإِنَّ فِي اللهِ - عَزَّ وجل - خَلَفاً مِنْ غَيْرِه، ولَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِي شَيْءٍ غَيْرِه.

ثُمَّ اعْلَمْ، يَا مُحَمَّدُ، أَنَّكَ وإِنْ كُنْتَ مُحْتَاجاً إِلى نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ أَنَّكَ إِلى نَصِيبِكَ مِنَ الآخِرَةِ أَحْوَجُ.

فَإِنْ عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا لِلآخِرَةِ، والآخَرُ لِلدُّنْيَا، فَابْدَأْ بِأَمْرِ الآخِرَةِ.

ولْتَعْظُمْ رَغْبَتُكَ فِي الْخَيْرِ، ولْتَحْسُنْ فِيهِ نِيَّتُكَ.

فَإِنَّ اللهَ - عَزَّ وجل - يُعْطِي الْعَبْدَ عَلى قَدْرِ نِيَّتِه، وإِذَا أَحَبَّ الْخَيْرَ وأَهْلَهُ ولَمْ يَعْمَلْهُ كَانَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، كَمَنْ عَمِلَهُ.

فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ قَالَ حِينَ رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لأَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ، ولاَ هَبَطْتُمْ مِنْ وَادٍ، إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ، مَا حَبَسَهُمْ إِلاَّ الْمَرَضُ.

يَقُولُ: كَانَتْ لَهُمْ نِيَّةٌ.

إِشْتَدَّ عَلَى الظَّالِمِ وخُذْ عَلى يَدَيْهِ.

ولِنْ لأَهْلِ الْخَيْرِ وقَرِّبْهُمْ مِنْكَ، واجْعَلْهُمْ بِطَانَتَكَ.

وآثِرِ الْفُقَهَاءَ وأَهْلَ الصِّدْقِ والْوَفَاءِ والْحَيَاءِ والْوَرَعِ عَلى أَهْلِ الْفُجُورِ والْكَذِبِ والْغَدْرِ.

ولْيَكُنِ الصَّالِحُونَ الأَبْرَارُ إِخْوَانَكَ وأَقْرَانَكَ، والْفَاجِرُونَ الْغَادِرُونَ أَعْدَاءَكَ، فَإِنَّ أَحَبَّ إِخْوَانِي إِلَيَّ أَكْثَرُهُمْ للَّهِ ذِكْراً، وأَشَدُّهُمْ مِنْهُ خَوْفاً. وأَنَا أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وإِذَا أَنْتَ قَضَيْتَ بَيْنَ النَّاسِ فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ.

وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ، والإِشَارَةِ والتَّحِيَّةِ حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ في حَيْفِكَ لَهُمْ، ولاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ.

وأَنْ تَسْأَلَ الْمُدَّعِي الْبَيِّنَةَ، وعَلَى الْمُدَّعى عَلَيْهِ الْيَمِينُ.

ومَنْ صَالَحَ أَخَاهُ عَلى صُلْحٍ فَأَجْزِ صُلْحَهُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ صُلْحاً يُحَرِّمُ حَلاَلاً، أَوْيُحَلِّلُ حَرَاماً.

ثُمَّ انْظُرْ، يَا مُحَمَّدُ، إِلى صَلاَتِكَ كَيْفَ تُصَلِّيهَا، فَإِنَّكَ إِمَامُ الْقَوْمِ، يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُتِمَّهَا، وأَنْ تُخَفِّفَهَا، وأَنْ تُصَلِّيَهَا لِوَقْتِهَا.

فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ إِمَامٍ يُصَلِّي بِقَوْمٍ فَيَكُونَ في صَلاَتِهِمْ تَقْصِيرٌ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارُهُمْ، ولاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ صَلاَتِهِمْ شَيْئاً، ولاَ يُتِمُّهَا إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ، ولاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً.

ثُمَّ انْظُرْ إِلى وُضُوئِكَ فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ، ولاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ وُضُوءَ لَهُ، فَأْتِ بِهِ عَلى وَجْهِهِ: تَمَضْمَضْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

واسْتَنْشِقْ ثَلاَثاً.

واغْسِلْ وَجْهَكَ.

ثُمَّ يَدَكَ الْيُمْنى إِلَى الْمِرْفَقِ.

ثُمَّ الْيُسْرى إِلَى الْمِرْفَقِ.

ثُمَّ امْسَحْ رَأْسَكَ ورِجْلَيْكَ.

فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ يَصْنَعُ ذَلِكَ.

واعْلَمْ أَنَّ الْوُضُوءَ نِصْفُ الإِيمَانِ.

وصَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا الْمُوَقَّتِ لَهَا، ولاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، ولاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاِشْتِغَالٍ، فَإِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ عَنْ أَوْقَاتِ الصَّلاَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَأَرَانِي وَقْتَ الصَّلاَةِ: فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ فَكَانَتْ عَلَى حَاجِبِهِ الأَيْمَنِ.

ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ فَكَانَتْ بَيْضَاءَ نَقِيَّةً.

ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ.

ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ.

ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ فَغَلَّسَ بِهَا والنُّجُومُ مُشْتَبِكَةٌ.

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كَذَا يُصَلِّي قَبْلَكَ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ، ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، أَنْ تَلْتَزِمَ السُّنَّةَ الْمَعْرُوفَةَ، وتَسْلُكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ الَّذِي أَخَذُوا، فَافْعَلْ، لَعَلَّكَ تَقْدُمُ عَلَيْهِمْ غَداً.

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى رُكُوعِكَ وسُجُودِكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ كَانَ أَتَمَّ النَّاسِ صَلاَةً وأَحْفَظَهُمْ لَهَا.

وكَانَ إِذَا رَكَعَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وبِحَمْدِهِ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

وإِذَا رَفَعَ صُلْبَهُ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ سَمَوَاتِكَ ومِلْءَ أَرْضِكَ ومِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ.

فَإِذَا سَجَدَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وبِحَمْدِهِ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

واعْلَمْ، يَا مُحَمَّدُ، أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ، فَمَنْ ضَيَّعَ الصَّلاَةَ فَإِنَّهُ

لِغَيْرِ الصَّلاَةِ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلاَمِ أَضْيَعُ.

أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذي يَرى ولاَ يُرى، وهُوبِالْمَنْظَرِ الأَعْلى، أَنْ يَجْعَلَنَا وإِيَّاكَ مِمَّنْ يُحِبُّ ويَرْضى، حَتَّى يُعِينَنَا وإِيَّاكَ عَلى شُكْرِهِ وذِكْرِهِ، وحُسْنِ عِبَادَتِه وأَدَاءِ حَقِّه، وعَلى كُلِّ شَيْءٍ اخْتَارَهُ لَنَا، في دِينِنَا ودُنْيَانَا، وأُولاَنَا وآخِرَتِنَا، وأَنْ يَجْعَلَنَا وإِيَّاكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

يَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْفِقْهِ الْوَرَعُ في دِينِ اللَّهِ، والْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ في مُقَامِكَ ومَقْعَدِكَ، وسِرِّكَ وعَلاَنِيَتِكَ، وعَلى أَيِّ حَالٍ كُنْتَ عَلَيْهَا.

واعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلاَءٍ وفَنَاءٍ، والآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ وبَقَاءٍ، فَاعْمَلْ لِمَا يَبْقى، واعْدِلْ عَمَّا يَفْنى، ولاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا.

جَعَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

ثُمَّ إِنِّي أُوصِيكَ بِسَبْعِ خِصَالٍ هُنَّ جَوَامِعُ الإِسْلاَمِ: إِخْشَ اللهَ - عَزَّ وجل - ولاَ تَخْشَ النَّاسَ فِي اللَّهِ، وإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا صَدَّقَهُ الْعَمَلُ.

ولاَ تَقْضِ في أَمْرٍ وَاحِدٍ بِقَضَاءَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَيَتَنَاقَضُ أَمْرُكَ، وتَزِيغُ عَنِ الْحَقِّ.

وأَحِبَّ لِعَامَّةِ رَعِيَّتِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وأَهْلِ بَيْتِكَ، واكْرَهْ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وأَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَلْزَمُ لِلْحُجَّةِ عِنْدَ اللَّهِ، وأَصْلَحُ لأَحْوَالِ رَعِيَّتِكَ.

وخُضِ الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، ولاَ تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ.

وأَقِمْ وَجْهَكَ، وانْصَحِ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ إِذَا اسْتَشَارَكَ.

واجْعَلْ نَفْسَكَ أُسْوَةً لِقَرِيبِ الْمُسْلِمِينَ وبَعِيدِهِمْ.

وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ واصْبِرْ عَلى ما أَصَابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ.

وعَلَيْكَ بِالصَّوْمِ. فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ اعْتَكَفَ عَاماً فِي الْعَشْرِ الأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. واعْتَكَفَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ فِي الْعَشْرِ الأَوْسَطِ. فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الثَّالِثُ

رَجَعَ مِنْ بَدْرٍ وقَضى اعْتِكَافَهُ. فَنَامَ ورأى في مَنَامِه لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ كَأَنَّهُ يَسْجُدُ في مَاءٍ وطِينٍ.

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ رَجَعَ مِنْ لَيْلَتِه إلى أزْوَاجِه وأُنَاسٌ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِه.

ثُمَّ إِنَّهُمْ مُطِرُوا لَيْلَةَ ثَلاَثٍ وعِشْرِينَ، فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحَ، فَرُئِيَ في وَجْهِ النَّبِيِّ الطِّينُ.

فَلَمْ يَزَلْ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ.

وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالَ، فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ.

جَعَلَ الله - عَزَّ وجل - مَوَدَّتَنَا فِي الدِّينِ، وخُلَّتَنَا وإِيَّاكُمْ خُلَّةَ الْمُتَّقِينَ، ووُدَّ الْمُخْلِصِينَ، وأَبْقَى لَكُمْ طَاعَتَكُمْ حَتَّى يَجْمَعَنَا وإِيَّاكُمْ بِهَا في دَارِ الرِّضْوَانِ إِخْوَاناً عَلى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أَحْسِنُوا، يَا أَهْلَ مِصْرَ، مُوَازَرَةَ مُحَمَّدٍ أميرَكُمْ، واثْبُتُوا عَلى طَاعَتِه، تَرِدُوا حَوْضَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه.

أَعَانَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ عَلى مَا يُرْضِيه.

والسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ.

ورُوي أن عمروبن العاص لمّا ظهر على محمد بن أبي بكر وقتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان.

وكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويعجبه.

فقال الوليد بن عقبه، وهوعند معاوية، لمّا رأى إعجاب معاوية به: مُر بهذه الأحاديث أن تُحرق.

فقال معاوية: مَه، يا ابن أبي مُعيط. إنه لا رأي لك.

فقال له الوليد: إنه لا رأي لك. أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب

عندك تتعلم منها وتقضي بقضائه.

فقال معاوية: ويلك، أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا.

والله ما سمعتُ بعلم أجمع منه ولا أحكم ولا أوضح.

فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلامَ تقاتله.

فقال معاوية: لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه.

ثم سكت هنيهة. ثم نظر إلى جلسائه فقال: إنا لا نقول إن هذه من كتب علي بن أبي طالب، ولكنا نقول: إن هذه من كتب أبي بكر الصّديق كانت عند إبنه محمد، فنحن نقضي بها ونفتي.

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولّي عمر بن عبد العزيز، فهوالذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب عليه السلام.

عهد له عليه السلام (٣)

كتبه لمالك الأشتر النخعي

لمّا ولّاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

هـذَا مَا أَمَرَ بِه عَبْدُ اللَّه عَلِيٌّ أَميرُ الْمُؤْمنينَ مَالكَ بْنَ الْحَارِث الأَشْتَرَ في عَهْده إِلَيْه حينَ وَلاَّهُ مصْرَ: جَبْوَةَ خَرَاجهَا، وجهَادَ عَدُوِّهَا، واسْتصْلاَحَ أَهْلهَا، وعمَارَةَ بلاَدهَا.

أَمَرَهُ بتَقْوَى الله - سُبْحَانَهُ- وإِيثَار طَاعَته، واتّبَاع مَا أَمَرَ به في كتَابه، منْ فَرَائضه وسُنَنه الَّتي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ باتّبَاعهَا، ولاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودهَا وإِضَاعَتهَا، وأَنْ يَنْصُرَ الله - سُبْحَانَهُ- بيَده وقَلْبه ولسَانه، فَإِنَّهُ- جَلَّ اسْمُهُ- قَدْ تَكَفَّلَ بنَصْر مَنْ نَصَرَهُ، وإِعْزَاز مَنْ أَعَزَّهُ.

وأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، ويَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللَّهُ، وأَنْ يَعْتَمِدَ كِتَابَ اللَّهِ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ، فَإِنَّ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وهُدىً ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، وأَنْ يَتَحَرَّى رِضَى اللَّهِ، ولاَ يَتَعَرَّضَ لِسَخَطِهِ، ولاَ يُصِرَّ عَلى مَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّهُ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ.

ثُمَّ اعْلَمْ، يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وجَوْرٍ، وإِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ مِثْلَ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، ويَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ.

وإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلى أَلْسُنِ عِبَادِهِ الأَخْيَارِ مِنْ حُسْنِ الأَفْعَالِ وجَمِيلِ السِّيرَةِ.

فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِالْقَصْدِ فِيمَا تَجْمَعُ، ومَا تَرْعَى بِهِ رَعِيَّتَكَ.

فَامْلِكْ عَلَيْكَ هَوَاكَ، وشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ وكَرِهَتْ.

وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ، والإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ، ولاَ تَنْلْهُمْ حَيْفاً، ولاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ.

يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، ويُؤْتَى عَلى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ والْخَطَأِ.

فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ - سُبْحَانَهُ- مِنْ عَفْوِهِ وصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، ووَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، واللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ، وقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وابْتَلاَكَ بِهِمْ.

تَحَرَّ رِضَا اللَّهِ وتَجَنَّبْ سَخَطَهُ، ولاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ - تعالى- ، فَإِنَّهُ لاَ يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، ولاَ غِنىً بِكَ عَنْ عَفْوِهِ ورَحْمَتِهِ، ولاَ مَلْجَأَ لَكَ مِنْهُ إِلاَّ إِلَيْهِ.

ولاَ تَنْدَمَنَّ عَلى عَفْوٍ، ولاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَة، ولاَ تُسْرِعَنَّ إلى بَادِرَة وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، ولاَ تَقُولَنَّ: إنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإنَّ ذَلِكَ إدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، ومَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ. فَتَعَوَّذْ بِاللَّه مِنْ دَرَكِ الشَّقَاء.

وإذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيه مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْمَخِيلَةً، فَانْظُرْ إلى عِظَمِ مُلْكِ اللَّه فَوْقَكَ، وقُدْرَتِه مِنْكَ عَلى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْه مِنْ نَفْسِكَ.

وتَفَكَّرْ فِي الْمَوْتِ ومَا بَعْدَهُ، فَإنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، ويُلَيِّنُ مِنْ جِمَاحِكَ، ويَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، ويَفِيءُ إلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.

وإيَّاكَ ومُسَامَاةَ اللهِ -سُبْحَانَهُ- فِي عَظَمَتِه، أوالتَّشَبُّهَ بِه فِي جَبَرُوتِه، فَإنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّار، ويُهِينُ كُلَّ مُخْتَال فَخُور.

أَنْصِفِ اللَّهَ وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، ومِنْ خَاصَّتِكَ، ومِنْ أَهْلِكَ، ومَنْ لَكَ فِيه هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ.

فَإنَّكَ إنْ لاَ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، ومَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّه كَانَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِه، ومَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وكَانَ لِلَّه حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ ويَتُوبَ.

ولَيْسَ شَيْءٌ أَدْعى إلى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّه، وتَعْجِيلِ نِقْمَتِه، مِنْ إقَامَةٍ عَلى ظُلْمٍ، فَإنَّ اللَّهَ سَمِيعُ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِينَ، وهُوللظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَاد.

ولْيَكُنْ أَحَبُّ الأُمُورِ إلَيْكَ أَوْسَطَهَا فِي الْحَقِّ، وأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ، وأَجْمَعَهَا لِطَاعَةِ الرَّبِّ، ولِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وإنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ.

ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وأَكْرَهَ لِلانْصَافِ، وأَسْأَلَ بِالالْحَافِ، وأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإعْطَاءِ، وأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ، مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ.

وإنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، والْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ

صَغْوُكَ لَهُمْ، ومَيْلُكَ مَعَهُمْ.

واعْمَدْ لأَعَمِّ الأُمُورِ مَنْفَعَةً، وخَيْرِهَا عَاقِبَةً. ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه.

ولْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وأَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، والله - سُبْحَانَهُ- يَحْكُمُ عَلى مَا غَابَ مِنْهَا عَنْكَ.

فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ، مَا اسْتَطَعْتَ، يَسْتُرِ الله - سُبْحَانَهُ- مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، واقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، واقْبَلِ الْعُذْرَ.

وادْرَإِ الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ.

وتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لاَ يَضِحُ لَكَ.

ولاَ تَعْجَلَنَّ إِلى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ ظَالِمٌ لِمَنْ سَعى بِهِ، غَاشٌّ لِمَنْ سَعَى إِلَيْهِ، وإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

ولاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، ويَعِدُكَ الْفَقْرَ، ولاَ تُشْرِكَنَّ فِي رَأْيِكَ جَبَاناً يُضَعِّفُكَ عَنِ الأُمُورِ، ولاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ والْجُبْنَ والْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِالله - تعالى- كُمُونُهَا فِي الأَشْرَارِ.

واعْلَمْ أَنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً.

ومَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، وقَامَ بِأُمُورِهِمْ فِي عِبَادِ اللَّهِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، تُشْرِكُهُمْ فِي دَوْلَتِكَ، كَمَا شَرَكُوا فِي سُلْطَانِ غَيْرِكَ، فَأَوْرَدُوهُمْ مَصَارِعَ السُّوءِ.

ولاَ يُعْجِبَنَّكَ شَاهِدُ مَا يَحْضُرُونَكَ بِهِ، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَئِمَةِ، وإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وعُبَابُ كُلِّ طَمَعٍ ودَغَلٍ.

وأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ ونَفَاذِهِمْ، ولَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وأَوْزَارِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلى ظُلْمِهِ، ولاَ آثِماً عَلى إِثْمِهِ، ولَمْ يَكُنْ مَعَ غَيْرِكَ لَهُ سِيرَةٌ أَجْحَفَتْ بِالْمُسْلِمِينَ والْمُعَاهِدِينَ.

أُولئكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وأَحْنى عَلَيْكَ عَطْفاً، وأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولئكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وحَفَلاَتِكَ.

ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ، فَإِنَّهُمْ يَقِفُونَكَ عَلَى الْحَقِّ، ويُبَصِّرُونَكَ مَا يَعُودُ عَلَيْكَ نَفْعُهُ.

والْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ والصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلى أَنْ لاَ يُطْرُوكَ ولاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الاِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ، والرِّضَا بِذَلِكَ يُوجِبُ الْمَقْتَ مِنَ اللَّهِ.

وإِنَّ أَكْثَرَ الْقَوْلِ أَنْ يُشْرَكَ فِيهِ الْكَذِبُ تَزْكِيَةُ السُّلْطَانِ، لأَنَّهُ لاَ يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلى حُدُودِ الْحَقِّ دُونَ التَّجَاوُزِ إِلَى الاِفْرَاطِ.

ولاَ يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ والْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الاِحْسَانِ فِي الاِحْسَانِ، وتَدْرِيباً لأَهْلِ الاِسَاءَةِ عَلَى الاِسَاءَةِ.

وأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ أَدَباً مِنْكَ، يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ، ويَنْتَفِعُ بِهِ أَعْوَانُكَ.

واعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعى إِلى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِهِمْ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا.

وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ.

وإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ.

فَاعْرِفْ هذِهِ الْمَنْزِلَةَ لَكَ وعَلَيْكَ، لِتَرِدْكَ بَصِيرَةً فِي حُسْنِ الصُّنْعِ، واسْتِكْثَارِ حُسْنِ الْبَلاَءِ

عِنْدَ الْعَامَّةِ، مَعَ مَا يُوجِبُ اللَّهُ بِهَا لَكَ فِي الْمَعَادِ.

ولاَ تَنْقُضَنَّ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ، واجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ،

وصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ.

ولاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، والْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، ومُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ، في تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ، وإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحِقُّ الْحَقَّ ويَدْفَعُ الْبَاطِلَ، ويُكْتَفَى بِهِ دَلِيلًا ومِثَالًا. لأَنَّ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ هِيَ السَّبِيلُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ، ولاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ.

فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ.

ومِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ والْخَاصَّةِ، ومِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، ومِنْهَا عُمَّالُ الانْصَافِ والرِّفْقِ.

ومِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ والْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ومُسْلِمَةِ النَّاسِ.

ومِنْهَا التُّجَّارُ وأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ.

ومِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ والْمَسْكَنَةِ.

وكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ سَهْمَهُ، ووَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَتَهُ، في كِتَابِهِ أَوسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وزَيْنُ الْوُلاَةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وسُبُلُ الأَمْنِ والْخَفْضِ، ولَيْسَ يَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ.

ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلاَّ بِمَا يُخْرِجُ اللهُ - تعالى - لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، ويَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، ويَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ.

ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلاَّ بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ والْعُمَّالِ والْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، ويَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، ويُظْهِرُونَ مِنَ الانْصَافِ، ويُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وعَوَامِّهَا.

ولاَ قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلاَّ بِالتُّجَّارِ وذَوِي الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ

مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ، مِمَّا لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ، وَفِي فَيْءِ اللهِ - عَزَّ وجل - لِكُلِّ سَعَةٌ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ.

وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ - تعالى - مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ بِالاهْتِمَامِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً، وَأَجْمَعَهُمْ عِلْماً وَسِيَاسَةً، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الأَحْسَابِ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ، يَهْدُونَ إِلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَالإِيمَانِ بِقَدَرِهِ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا.

وَلاَ يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلاَ تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ.

وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ وَبَذْلِهِ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَتَنْقَطِعَ هُمُومُهُمْ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ.

ثُمَّ وَاتِرْ إِغْلاَمَهُمْ ذَاتَ نَفْسِكَ فِي إِيثَارِهِمْ، وَالتَّكْرِمَةِ لَهُمْ، وَالارْصَادِ بِالتَّوْسِعَةِ، وَحَقِّقْ ذَلِكَ بِحُسْنِ الْفِعَالِ وَالأَثَرِ وَالْعَطْفِ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

وإنَّ أفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ.

وإنَّـهُ لاَ تَظْهَـرُ مَـوَدَّتُهُمْ إلاَّ بِسَلاَمَةِ صُـدُورِهِمْ، ولاَ تَـصِحُّ نَـصِيحَتُهُمْ إلاَّ بِحِيطَتِهِمْ عَلى وُلاَةِ أُمُورِهِمْ، وقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ.

ثُـمَّ لاَ تَكِلَنَّ جُنُودَكَ إلى مَغْنَمٍ وَزَّعْتَهُ بَيْنَهُمْ، بَلْ أَحْدِثْ لَهُمْ مَعَ كُلِّ مَغْنَمٍ بَذْلًا مِمَّا سِوَاهُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، تَسْتَنْصِرُ بِهِ، ويَكُونُ دَاعِيَةً لَهُمْ إلَى الْعَوْدَةِ لِنَصْرِ اللَّهِ ودِينِهِ. ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ.

واخْـصُصْ أَهْلَ الشَّجَاعَةِ والنَّجْدَةِ بِكُلِّ عَارِفَةٍ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ إلى مُنْتَهى غَايَةِ آمَالِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ بِالْبَذْلِ.

ووَاصِـلْ فِـي حُـسْنِ الثَّـنَاءِ عَلَيْهِمْ، ولَطِيفِ التَّعَهُّدِ لَهُمْ رَجُلًا رَجُلًا، وتَعْدِيدِ مَا أَبْلى ذَوُوالْـبَلاَءِ مِـنْهُمْ فِـي كُـلِّ مَـشْهَدٍ، فَـإِنَّ كَثْـرَةَ الذِّكْـرِ مِـنْكَ لِحُـسْنِ فِعَـالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إنْ شَاءَ الله - تعالى -.

ثُـمَّ لاَ تَـدَعْ أَنْ يَكُـونَ لَـكَ عَلَيْهِمْ عُيُونٌ مِنْ أَهْلِ الأَمَانَةِ والْقَوْلِ بِالْحَقِّ عِنْدَ النَّاسِ، فَيُثْبِتُونَ بَلاَءَ كُلِّ ذِي بَلاَءٍ مِنْهُمْ، لِيَثِقَ أُولَئِكَ بِعِلْمِكَ بِبَلاَئِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ شَهِدْتَهُ.

ثُـمَّ اعْـرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلى، ولاَ تَضُمَّنَّ بَلاَءَ امْرِئٍ إلى غَيْرِهِ، ولاَ تُقَصِّرَنَّ بِـهِ دُونَ غَايَـةِ بَلاَئِـهِ، وكَـافِ كُلًّا مِنْهُمْ بِقَدْرِ مَا كَانَ مِنْهُ، واخْصُصْهُ بِكِتَابٍ مِنْكَ تَهَزُّهُ بِهِ، وتُنَبِّهُهُ بِمَا بَلَغَكَ عَنْهُ.

ولاَ يَدْعُـوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إلى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، ولاَ ضَعَةُ امْرِئٍ إلى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

ولاَ يُفْـسِدَنَّ امْـرِئٌ عِـنْدَكَ عِلَّـةٌ إنْ عَرَضَتْ لَهُ، ولاَ نَبْوَةَ حَدِيثٍ لَهُ قَدْ كَانَ لَهُ قَبْلَهَا حُسْنُ بَلاَءٍ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وإنِ اسْتُـشْهِدَ أَحَـدٌ مِـنْ جُنُودِكَ، وأَهْـلِ الـنِّكَايَةِ فِي عَدُوِّكَ، فَاخْلُفْهُ فِي عِيَالِهِ بِمَا يَخْلُـفُ بِهِ الْوَصِيُّ الشَّفِيقُ الْمَوْثُوقُ بِهِ، مِنَ اللُّطْفِ بِهِمْ، وحُسْنِ الْوِلاَيَةِ لَهُمْ، حَتَّى لاَ يُرى

عَلَيْهِمْ أَثَرُ فَقْدِه، فَإِنَّ ذَلِكَ يَعْطِفُ عَلَيْكَ قُلُوبَ فُرْسَانِكَ، ويَزْدَادُونَ به تَعْظِيماً لِطَاعَتِكَ، ويَسْلَسُونَ لِرُكُوبِ مَعَارِيضِ التَّلَفِ الشَّدِيدِ في وِلاَيَتِكَ. ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه.

وارْدُدْ إِلَى اللَّه ورَسُوله مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوب، ويَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُور، فَقَدْ قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ -: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّه والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللَّه والْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وقَالَ - تعالى -: ﴿ولَوْرَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ولَولا فَضْلُ اللَّه عَلَيْكُمْ ورَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾.

فَالرَّدُّ إِلَى اللَّه الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِه، والرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الأَخْذُ بِسُنَّتِه الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَة.

ونَحْنُ أَهْلُ رَسُولِ اللَّه الَّذِينَ نَسْتَنْبِطُ الْمُحْكَمَ مِنْ كِتَابِه، ونُمَيِّزُ الْمُتَشَابِهَ مِنْهُ، ونَعْرِفُ النَّاسِخَ مِمَّا نَسَخَ اللَّهُ ووَضَعَ إِصْرَهُ.

ثُمَّ انْظُرْ في أَمْرِ الأَحْكَامِ بَيْنَ النَّاسِ بِنِيَّةٍ صَالِحَة، فَإِنَّ الْحُكْمَ في إِنْصَافِ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، والأَخْذِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، وإِقَامَةِ حُدُودِ اللَّه عَلَى سُنَّتِهَا ومِنْهَاجِهَا، مِمَّا يُصْلِحُ عِبَادَ اللَّه وبِلاَدَهُ.

فَاخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ في نَفْسِكَ وأَنْفُسِهِمْ لِلْعِلْمِ والْحِلْمِ والْوَرَعِ والسَّخَاءِ، مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِه الأُمُورُ، ولاَ يُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، ولاَ يَتَمَادَى في إِثْبَاتِ الزَّلَّة، ولاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، ولاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، ولاَ يَدْخُلُهُ إِعْجَابٌ، ولاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، أَوْقَفَهُمْ في الشُّبُهَاتِ، وآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشِيفِ الأُمُور، وأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، ولاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، ولاَ يُصْغِي لِلتَّبْلِيغِ بِأَنْ يُقَالَ: قَالَ فُلاَنٌ، وقَالَ فُلاَنٌ.

فَوَلِّ قَضَاءَكَ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، وأُولئِكَ قَلِيلٌ.

ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ أَمْرِهِ وقَضَائِه، وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ، مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وأَعْطِه مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فيه غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ، فَلاَ يُحَابِي أَحَداً لِلرَّجَاءِ، ولاَ يُصَانِعُهُ لاسْتِجْلاَبِ حُسْنِ الثَّنَاءِ.

وأَحْسِنْ تَوْقِيرَهُ فِي صُحْبَتِكَ، وقَرِّبْهُ فِي مَجْلِسِكَ، وأَمْضِ قَضَاءَهُ، وأَنْفِذْ حُكْمَهُ، واشْدُدْ عَضُدَهُ.

واجْعَلْ أَعْوَانَهُ خِيَارَ مَنْ تَرْضَى مِنْ نُظَرَائِه مِنَ الْفُقَهَاءِ وأَهْلِ الْوَرَعِ والنَّصِيحَةِ للَّه ولِعِبَادِ اللَّه، لِيُنَاظِرَهُمْ فِيمَا شُبِّه عَلَيْهِ، ويَلْطُفَ عَلَيْهِمْ لِعِلْمِ مَا غَابَ عَنْهُ، ويَكُونُونَ شُهَدَاءَ عَلَى قَضَائِه بَيْنَ النَّاسِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

واخْتَرْ لأَطْرَافِكَ قُضَاةً تَجْتَهِدُ فِيهِمْ نَفْسَكَ، لاَ يَخْتَلِفُونَ ولاَ يَتَدَابَرُونَ فِي حُكْمِ اللَّه وسُنَّةِ رَسُولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه، فَإِنَّ الاخْتِلاَفَ فِي الْحُكْمِ إِضَاعَةٌ لِلْعَدْلِ، وغِرَّةٌ فِي الدِّينِ، وسَبَبٌ لِلْفُرْقَةِ.

وقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ مَا يَأْتُونَ ومَا يُنْفِقُونَ، وأَمَرَ بِرَدِّ مَا لاَ يَعْلَمُونَ إِلَى مَنِ اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ عِلْمَ كِتَابِه، واسْتَحْفَظَهُ الْحُكْمَ فِيه.

فَإِنَّمَا اخْتِلاَفُ الْقُضَاةِ فِي دُخُولِ الْبَغْيِ بَيْنَهُمْ، واكْتِفَاءِ كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بِرَأْيِه دُونَ مَنْ فَرَضَ اللَّهُ وِلاَيَتَهُ، ولَيْسَ يَصْلُحُ الدِّينُ ولاَ أَهْلُ الدِّينِ عَلَى ذَلِكَ.

ولكِنْ عَلَى الْحَاكِمِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الأَثَرِ والسُّنَّةِ، فَإِذَا أَعْيَاهُ ذَلِكَ رَدَّهُ إِلَى أَهْلِه، فَإِنْ غَابَ أَهْلُهُ عَنْهُ نَاظَرَ غَيْرَهُ مِنْ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ. لَيْسَ لَهُ تَرْكُ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِه.

ولَيْسَ لِقَاضِيَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ أَنْ يُقِيمَا عَلَى اخْتِلاَفٍ فِي الْحُكْمِ دُونَمَا رَفْعِ ذَلِكَ إِلَى وَلِيِّ الأَمْرِ فِيهَا، فَيَكُونُ هُوَ الْحَاكِمُ بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ عَلَى حُكْمِهِمَا فِيمَا وَافَقَهُمَا أَوْ خَالَفَهُمَا.

فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ

فيه بالْهَوى، وتُطْلَبُ به الدُّنْيا.

واكْتُبْ إلى قُضَاة بُلْدانكَ فَلْيَرْفَعُوا إلَيْكَ كُلَّ حُكْمٍ اخْتَلَفُوا فيه عَلى حُقُوقه.

ثُمَّ تَصَفَّحْ تِلْكَ الأَحْكَامَ، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّه، وسُنَّةَ نَبِيِّه، والأَثَرَ مِنْ إمَامك، فَامْضِه واحْمِلْهُمْ عَلَيْه، ومَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ فَاجْمَعْ لَهُ الْفُقَهَاءَ بِحَضْرَتكَ، فَنَاظِرْهُمْ فيه، ثُمَّ أَمْضِ مَا يَجْتَمِعُ عَلَيْه أَقَاوِيلُ الْفُقَهَاء بِحَضْرَتكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ كُلَّ حُكْمٍ اخْتَلَفَ فيه الرَّعِيَّةُ مَرْدُودٌ إلَى الإمَام، وعَلَى الإمَام الاسْتِعَانَةُ بِاللَّه، والاجْتِهَادُ في إقَامَة الْحُدُود، وجَبْرُ الرَّعِيَّة عَلى أَمْرِه. ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه.

ثُمَّ انْظُرْ في أُمُور عُمَّالكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، ولاَ تُوَلِّهِمْ أُمُورَكَ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ والْخِيَانَة للَّه، وإدْخَالُ الضَّرَرِ عَلَى النَّاس. ولَيْسَتْ تَصْلُحُ الأُمُورُ بالادْغَال.

فَاصْطَفِ لِوِلاَيَة أَعْمَالكَ أَهْلَ الْفِقْه والْوَرَعِ والْعِلْم والسِّيَاسَة، وتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَة والْحَيَاء، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَات الصَّالحَة، والْقَدَمِ في الإسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَة، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وأَقَلُّ في الْمَطَامِعِ إشْرَافاً، وأَبْلَغُ في عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً. فَلْيَكُونُوا أَعْوَانَكَ عَلى مَا تَقَلَّدْتَ، ولاَ تَسْتَعْمِلْ إلاَّ شيعَتَكَ مِنْهُمْ.

ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمْ في الْعِمَالاَت، ووَسِّعْ عَلَيْهِمْ في الأَرْزَاق، فَإِنَّ في ذَلكَ قُوَّةً لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وهُوَ، مَعَ ذَلكَ، حُجَّةٌ لَكَ عَلَيْهِمْ إنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوثَلَمُوا أَمَانَتَكَ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْق والْوَفَاء عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ في السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَال الأَمَانَة، والرِّفْق بالرَّعِيَّة.

واحْذَرْ أَنْ تَسْتَعْمِلَ أَهْلَ التَّكَبُّرِ والتَّجَبُّرِ والنَّخْوَة، ومَنْ يُحِبُّ الاطِّرَاءَ والثَّنَاءَ والذِّكْرَ ويَطْلُبُ شَرَفَ الدُّنْيا، ولاَ شَرَفَ إلاَّ بالتَّقْوى.

وتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَان، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إلى خِيَانَة، أورَكِبَ فُجُوراً

اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ مَعَ سُوءِ ثَنَاءِ رَعِيَّتِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً عَلَيْهِ، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، ووَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ تَنْكِيلًا وَعِظَةً لِغَيْرِهِ. إِنْ شَاءَ اللهُ - تعالى -.

وتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، ولَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وأَهْلِهِ.

ولْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ.

ومَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وأَهْلَكَ الْعِبَادَ، ولَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا.

فَاجْمَعْ إِلَيْكَ أَهْلَ الْخَرَاجِ مِنْ كُلِّ بُلْدَانِكَ، ومُرْهُمْ فَلْيُعْلِمُوكَ حَالَ بِلَادِهِمْ، ومَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ ورَخَاءُ جِبَايَتِهِمْ، ثُمَّ سَلْ عَمَّا يَرْفَعُ إِلَيْكَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلًا فِي الْخَرَاجِ أَوعِلَّةً، أَوانْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوبَالَّةٍ، أَوإِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوأَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُوأَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ.

وإِنْ سَأَلُوا مَعُونَةً عَلَى إِصْلَاحِ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِأَمْوَالِهِمْ، فَاكْفِهِمْ مَؤُونَتَهُ، فَإِنَّ فِي عَاقِبَةِ كِفَايَتِكَ إِيَّاهُمْ صَلَاحاً. إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ولَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وتَزْيِينِ ولَايَتِكَ، مَعَ اقْتِنَائِكَ مَوَدَّتَهُمْ، واسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ والْخَيْرِ فِيهِمْ، ومَا يُسَهِّلُ اللَّهُ بِهِ مِنْ جَلْبِهِمْ، فَإِنَّ الْخَرَاجَ لَا يُسْتَخْرَجُ بِالْكَدِّ والِاتْعَابِ، مَعَ أَنَّهَا عَقْدٌ تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا إِنْ حَدَثَ حَدَثٌ كُنْتَ عَلَيْهِمْ مُعْتَمِداً أَفْضَلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، والثِّقَةَ مِنْهُمْ، بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، ورِفْقِكَ بِهِمْ.

فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فيه عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِه.

فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وإِنَّمَا يُؤْتى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا.

وإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاَةِ عَلَى الْجَمْعِ، وسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

فَمَا الْوَالِي إِلاَّ عَلَى إِحْدَى مَنْزِلَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَبْقَى إِلَى قَابِلٍ، فَهُوَإِلَى مَا عَمِلَ بِهِ مِنْ إِصْلاَحٍ وإِحْسَانٍ إِلَى رَعِيَّتِهِ أَحْوَجُ، والثَّنَاءُ عَلَيْهِ أَحْسَنُ والدُّعَاءُ أَكْثَرُ، والثَّوَابُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ.

وإِنْ جَمَعَ لِغَيْرِهِ فِي الْخَزَائِنِ مَا أَخْرَبَ بِهِ الْبِلاَدَ، وأَهْلَكَ بِهِ الرَّعِيَّةَ، صَارَ مُرْتَهَناً لِغَيْرِهِ، والاثْمُ فيه عَلَيْهِ.

ولَيْسَ يَبْقَى مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ إِلاَّ ذِكْرُهُمْ، حَسَنَةً كَانَتْ أوقَبِيحَةً، وأَمَّا الأَمْوَالُ فَلاَ بُدَّ أَنْ يُؤْتى عَلَيْهَا، فَيَكُونُ نَفْعُهَا لِغَيْرِهِ، أولَنَائِبَةٍ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ تَأْتِي عَلَيْهَا فَتَكُونَ حَسْرَةً عَلَى أَهْلِهَا.

وإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْرِفَ عَوَاقِبَ الاحْسَانِ والاسَاءَةِ، وضَيَاعَ الْعُقُولِ بَيْنَ ذَلِكَ، فَانْظُرْ فِي أُمُورِ مَنْ مَضى مِنْ صَالِحِي الْوُلاَةِ وشِرَارِهِمْ، فَهَلْ تَجِدُ مِنْهُمْ أَحَداً مِمَّنْ حَسُنَتْ فِي النَّاسِ سِيرَتُهُ، وخَفَّتْ عَلَيْهِمْ مَؤُونَتُهُ، وسَخَتْ بِإِعْطَاءِ الْحَقِّ نَفْسُهُ، أَضَرَّ بِه ذَلِكَ فِي شِدَّةِ مُلْكِه، أوفي لَذَّاتِ بَدَنِه، أوفي حُسْنِ ذِكْرِهِ فِي النَّاسِ.

أوهَلْ تَجِدُ أَحَداً مِمَّنْ سَاءَتْ فِي النَّاسِ سِيرَتُهُ، واشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ مَؤُونَتُهُ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْعِزِّ فِي مُلْكِه مِثْلُ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ النَّقْصِ بِهِ فِي دُنْيَاهُ وآخِرَتِه.

فَلاَ تَنْظُرْ إِلَى مَا تَجْمَعُ مِنَ الأَمْوَالِ، ولَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَا تَجْمَعُ مِنَ الْخَيْرَاتِ وتَعْمَلُ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنَّ الْمُحْسِنَ مُعَانٌ، واللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ والْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ.

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَاعْرِفْ حَالَ كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ يَصْلُحُ لِلْمُنَاظَرَةِ فِي جَلاَئِلِ الأُمُورِ، ومِنْ ذَوِي الرَّأْيِ والنَّصِيحَةِ والذِّهْنِ، وأَطْوَاهُمْ عَنْكَ لِمَكْنُونِ الأَسْرَارِ،

ممَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، ولاَ يَزْدَهِيه الْلُطَافُ، ولاَ تَمْحَقُ به الدَّالَّةُ، فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ في خِلاَفٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلأٍ، ولاَ تُقَصِّرُ به الْغَفْلَةُ عَنْ إيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وإصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، وفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ ويُعْطِي مِنْكَ، ولاَ يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، ولاَ يَعْجِزُ عَنْ إطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، ولاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلُ.

وولِّ مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابَةِ رَسَائِلِكَ، وجَمَاعَاتِ كُتُبِ خَرَاجِكَ، ودَوَاوِينِ جُنُودِكَ، قَوْماً تَجْتَهِدُ نَفْسَكَ فِي اخْتِيَارِهِمْ، فَإِنَّهَا رُؤُوسُ أَمْرِكَ، وأَجْمَعُهَا لِنَفْعِكَ، وأَعَمُّهَا لِنَفْعِ رَعِيَّتِكَ.

ثُمَّ لاَ يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ، واسْتِنَامَتِكَ، وحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ بِهِمْ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، ولَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ والأَمَانَةِ شَيْءٌ.

ولَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وأَعْرَفِهِمْ فِيهَا بِالنُّبْلِ والأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ ولِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ، ثُمَّ مُرْهُمْ بِحُسْنِ الْوِلاَيَةِ، ولِينِ الْكَلِمَةِ.

واجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ، لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، ولاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا.

ثُمَّ تَفَقَّدْ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ حَالاَتِهِمْ، وأُمُورِ مَنْ يَرِدُ عَلَيْكَ رَسَائِلُهُ، وذَوِي الْحَاجَةِ، وكَيْفَ ولاَيَتُهُمْ، وقَبُولُهُمْ، ولِينُهُمْ، وحُجَّتُهُمْ، فَإِنَّ التَّبَرُّمَ والْعِزَّ والنَّخْوَةَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكُتَّابِ، إلاَّ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ.

ولَيْسَ لِلنَّاسِ بُدٌّ مِنْ طَلَبِ حَاجَاتِهِمْ، ومَهْمَا كَانَ فِي عُمَّالِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ.

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وذَوِي الصِّنَاعَاتِ وأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً، الْمُقِيمِ مِنْهُمْ،

والْمُضْطَرِبُ بِمَالِه، والْمُتَرَفِّقُ بِبَدَنِه، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ والْمَطَارِحِ، في بَرِّكَ وبَحْرِكَ، وسَهْلِكَ وجَبَلِكَ، حَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، ولاَ يَجْتَرِؤُونَ عَلَيْهَا.

فَاحْفَظْ حُرْمَتَهُمْ، وآمِنْ سُبُلَهُمْ، وخُذْ لَهُمْ بِحُقُوقِهِمْ، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وصُلْحٌ لاَ تُخْشَى غَائِلَتُهُ.

وتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ، وفي حَوَاشِي بِلاَدِكَ.

واعْلَمْ، مَعَ ذَلِكَ، أَنَّ في كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وشُحّاً قَبِيحاً، واحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وتَحَكُّماً في الْبِيَاعَاتِ، وذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وعَيْبٌ عَلَى الْوُلاَةِ، فَامْنَعْ مِنَ الاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ مَنَعَ مِنْهُ.

ولْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وأَسْعَارٍ لاَ تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ: مِنَ الْبَائِعِ والْمُبْتَاعِ.

فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ، فَنَكِّلْ بِه وعَاقِبْهُ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ فَعَلَ ذَلِكَ.

ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ في الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَسَاكِينَ، والْمُحْتَاجِينَ، وأَهْلِ الْبُؤْسَى والزَّمْنَى، فَإِنَّ في هذِه الطَّبَقَةِ قَانِعاً ومُعْتَرّاً.

واحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، واجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وقِسْماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإِسْلاَمِ في كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ.

فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ الصَّغِيرَ التَّافِهَ لإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ.

فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، ولاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وتَوَاضَعْ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ - الَّذِي رَفَعَكَ، واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلضُّعَفَاءِ، وتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ

الْعُيُونُ، وتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ.

فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ والتَّوَاضُعِ، مِمَّنْ لاَ يَحْتَقِرُ الضُّعَفَاءَ، ولاَ يَسْتَشْرِفُ الْعُظَمَاءَ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالاعْذَارِ إِلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ وتعالى - يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الانْصَافِ والتَّعَاهُدِ مِنْ غَيْرِهِمْ. وكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ - تعالى - فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

وتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ والزَّمَانَةِ، وذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ، مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ، ولاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، فَأَجْرِ لَهُمْ أَرْزَاقاً. فَإِنَّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ، فَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِتَخَلُّصِهِمْ، ووَضْعِهِمْ مَوَاضِعَهُمْ فِي أَقْوَاتِهِمْ وحُقُوقِهِمْ. فَإِنَّ الأَعْمَالَ إِنَّمَا تَخْلُصُ بِصِدْقِ النِّيَّاتِ.

ثُمَّ إِنَّهُ لاَ تَسْكُنُ نُفُوسُ النَّاسِ أَوبَعْضِهِمْ إِلَى أَنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ حُقُوقَهُمْ بِظَهْرِ الْغَيْبِ دُونَ مُشَافَهَتِكَ بِالْحَاجَاتِ، وذَلِكَ عَلَى الْوُلاَةِ ثَقِيلٌ، والْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ - تعالى - عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، ووَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ. فَكُنْ مِنْهُمْ واسْتَعِنْ بِاللَّهِ.

واجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وذِهْنَكَ مِنْ كُلِّ شُغْلٍ، ثُمَّ تَأْذَنُ لَهُمْ عَلَيْكَ، وتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ - عَزَّ وجل - الَّذِي خَلَقَكَ، وتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وشُرَطِكَ.

تَخْفِضُ لَهُمْ فِي مَجْلِسِكَ ذَلِكَ جَنَاحَكَ، وتُلَيِّنُ لَهُمْ كَنَفَكَ فِي مُرَاجَعَتِكَ ووَجْهَكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ.

ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ والْعِيَّ، ونَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ والأَنَفَ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، ويُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ.

وأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وإِعْذَارٍ، وتَوَاضَعْ هُنَاكَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَاضِعِينَ.

وَلْيَكُنْ أَكْرَمُ أَعْوَانِكَ عَلَيْكَ وَأَحْظَا[هُمْ] عِنْدَكَ، أَلْيَنَهُمْ جَانِباً، وَأَحْسَنَهُمْ مُرَاجَعَةً، وَأَلْطَفَهُمْ بِالضُّعَفَاءِ، وَأَعْمَلَهُمْ بِالْحَقِّ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ إِنَّ أُمُوراً مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ.

وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورَ أَعْوَانِكَ.

وَمِنْهَا مَعْرِفَةُ مَا يَصْلُ إِلَى الْكُتَّابِ وَالْخُزَّانِ مِمَّا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ.

فَلاَ تَتَوَانَ فِيمَا هُنَالِكَ، وَلاَ تَغْتَنِمْ تَأْخِيرَهُ.

وَاجْعَلْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهَا مَنْ يُنَاظِرُ فِيهِ وُلاَتَهُ بِتَفْرِيغٍ لِقَلْبِكَ وَهَمِّكَ، فَكُلَّمَا أَمْضَيْتَ أَمْراً فَأَمْضِهِ بَعْدَ التَّرْوِيَةِ، وَمُرَاجَعَةِ نَفْسِكَ وَمُشَاوَرَةِ وَلِيِّ ذَلِكَ، بِغَيْرِ احْتِشَامٍ وَلاَ رَأْيٍ يُكْتَسَبُ بِهِ عَلَيْكَ نَقِيضُهُ.

وَلاَ تُؤَخِّرْ عَمَلَ يَوْمٍ إِلَى غَدٍ.

وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ.

وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وتعالى - أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ - تعالى - إِذَا صَلُحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ لِلَّهِ بِهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ النَّافِلَةَ لِنَبِيِّهِ خَاصَّةً دُونَ [سَائِرِ] خَلْقِهِ، فَقَالَ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾.

فَذَلِكَ أَمْرٌ اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ وَأَكْرَمَهُ بِهِ، لَيْسَ لأَحَدٍ سِوَاهُ، وَهُوَ لِمَنْ سِوَاهُ تَطَوُّعٌ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ مَا يَجِبُ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ

ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ ولاَ مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ.

وإِذَا قُمْتَ في صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ، ولاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً ولاَ مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ ولَهُ الْحَاجَةُ.

وقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ: كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ.

فَقَالَ: صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً.

وأَمَّا بَعْدَ هَذَا، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ.

والاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ، فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، ويَعْظُمُ الصَّغِيرُ، ويَقْبُحُ الْحَسَنُ، ويَحْسُنُ الْقَبِيحُ، ويُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ.

وإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ، ولَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ.

فَتَحَصَّنْ مِنَ الادْخَالِ فِي الْحُقُوقِ بِلِينِ الْحِجَابِ، فَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ، فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوفِعْلِ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ.

أَومُبْتَلىً بِالْمَنْعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ.

مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لاَ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلَمَةٍ، أَوطَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

فَانْتَفِعْ بِمَا وَصَفْتُ لَكَ، واقْتَصِرْ عَلَى حَظِّكَ ورُشْدِكَ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وتَطَاوُلٌ، وقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ.

ولاَ تَقْطَعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وحَامَّتِكَ قَطِيعَةً، ولاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ

تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْبٍ أَوعَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

عَلَيْكَ بِالْعَدْلِ فِي حُكْمِكَ إِذَا انْتَهَتِ الأُمُورُ إِلَيْكَ، وأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ والْبَعِيدِ، وكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وخَوَاصِّكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، واعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، ورِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ فِي خَفْضٍ وإِجْمَالٍ.

ولاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ ولِلَّهِ فِيهِ رِضىً، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، ورَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وأَمْناً لِبِلاَدِكَ.

ولكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ.

فَخُذْ بِالْحَزْمِ، واتَّهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ، وتَحَصَّنْ كُلَّ مَخُوفٍ تُؤْتَى مِنْهُ، وبِاللَّهِ الثِّقَةُ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ.

وإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوأَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ والصِّدْقِ.

واجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ مِنْ عَهْدِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ - عَزَّ وجل - شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ.

وقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ.

فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، ولاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، ولاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ.

وقَدْ جَعَلَ الله - سُبْحَانَهُ- عَهْدَهُ وذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَاد برَحْمَته، وحَريماً يَسْكُنُونَ إلى مَنْعَته، ويَسْتَفيضُونَ إلى جوَاره، فَلاَ إدْغَالَ ولاَ مُدَالَسَةَ ولاَ خِدَاعَ فيه.

ولاَ تَعْقدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فيه الْعلَلَ، ولاَ تُعَوِّلَنَّ عَلى لَحْنِ الْقَوْل بَعْدَ التَّوْكيد والتَّوْثقَة.

ولاَ يَدْعُوَنَّكَ ضيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فيه عَهْدُ اللَّه، إلى طَلَب انْفساخه بغَيْر الْحَقِّ، فَإنَّ صَبْرَكَ عَلى ضيق أَمْرٍ تَرْجُو انْفرَاجَهُ وفَضْلَ عَاقبَته، خَيْرٌ لَكَ منْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبعَتَهُ، وأَنْ تُحيطَ بكَ فيه منَ اللَّه طلْبَةٌ لاَ تَسْتَقْبلُ فيهَا دُنْيَاكَ ولاَ آخرَتَكَ.

وقَدْ كَانَتْ منْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ سُنَنٌ في الْمُشْركينَ، ومنَّا بَعْدَهُ سُنَنٌ، قَدْ جَرَتْ بهَا سُنَنٌ وأَمْثَالٌ في الظَّالمينَ ومَنْ تَوَجَّهَ قبْلَتَنَا وتَسَمَّى بدينَنَا، فَسرْفي عَدُوِّكَ بمثْل مَا شَاهَدْتَ منَّا في مثْلهمْ منَ الأَعْدَاء.

ووَاتَرْ إلَيْنَا الْكُتُبَ بالإخْبَار بكُلِّ حَدَث، يَأْتكَ منَّا أَمْرٌ عَامٌّ. واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وإيَّاكَ والدِّمَاءَ وسَفْكَهَا بغَيْر حلِّهَا، فَإنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعى لنَقْمَة، ولاَ أَعْظَمَ لتَبعَة، ولاَ أَحْرى بزَوَال نعْمَة، وانْقطَاع مُدَّة، منْ سَفْك الدِّمَاء بغَيْر حَقِّهَا.

والله - سُبْحَانَهُ- مُبْتَدئٌ بالْحُكْم بَيْنَ الْعبَاد، فيمَا تَسَافَكُوا منَ الدِّمَاء يَوْمَ الْقيَامَة.

فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بسَفْك دَم حَرَام، فَإنَّ ذَلكَ ممَّا يُضْعفُهُ ويُوهنُهُ، بَلْ يُزيلُهُ ويَنْقُلُهُ.

فَإيَّاكَ والتَّعَرُّضَ لسَخَط اللَّه، فَإنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لوَليِّ مَنْ قُتلَ مَظْلُوماً سُلْطَاناً، قَالَ اللَّهُ-: ﴿ومَنْ قُتلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لوَليِّه سُلْطاناً فَلا يُسْرفْ في الْقَتْل إنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾.

ولاَ عُذْرَ لَكَ عنْدَ اللَّه ولاَ عنْدي في قَتْل الْعَمْد، لأَنَّ فيه قَوَدَ الْبَدَن.

وإنِ ابْتُليتَ بخَطَإٍ وأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَويَدُكَ بعُقُوبَة، فَإنَّ في الْوَكْزَة فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً.

فَلاَ تَطْمَحَنَّ بكَ نَخْوَةُ سُلْطَانكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إلى أَوْليَاء الْمَقْتُول حَقَّهُمْ دِيَةً

مُسَلَّمَةً يُتَقَرَّبُ [بِهَا] إِلَى اللَّه زُلْفى.

وإِيَّاكَ والاعْجَابَ بِنَفْسِكَ، والثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وحُبَّ الاطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ.

وإِيَّاكَ والْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوالتَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوأَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الاحْسَانَ، والتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، والْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ والنَّاسِ، وقَدْ قَالَ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى -: ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ**﴾.

وإِيَّاكَ والْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوالتَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَواللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ، أَوالْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وإِيَّاكَ والاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ إِسْوَةٌ، والتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ.

وعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ، ويَبْرُزُ الْجَبَّارُ بِعَظَمَتِهِ ويَنْتَصِفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ.

إِمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وسَوْرَةَ حَدِّكَ، وسَطْوَةَ يَدِكَ، وغَرْبَ لِسَانِكَ، واحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ.

وارْفَعْ بَصَرَكَ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَمَا يَحْضُرُكَ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الاخْتِيَارَ.

ولَنْ تُحْكِمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ جُمِعَ لَكَ فِي هذَا الْعَهْدِ مِنْ صُنُوفِ مَا لَمْ آلُكَ فِيهِ رُشْداً إِنْ أَحَبَّ اللَّهُ إِرْشَادَكَ وتَوْفِيقَكَ.

والْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوسُنَّةٍ

فَاضِلَة، أوأثر عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، أوفَريضَة في كتَاب اللَّه، فَتَقْتَديَ بِمَا شَاهَدْتَ ممَّا عَمِلْنَا بِه فيهَا، وتَجْتَهدَ لنَفْسكَ في اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ في عَهْدي هذَا، وفيمَا اسْتَوْثَقْتُ به منَ الْحُجَّة لنَفْسي عَلَيْكَ، لكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ علَّةٌ عنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسكَ إلى هَوَاهَا، فَلَنْ يَعْصمَ منَ السُّوء، ولاَ يُوَفِّقَ للْخَيْر، إلاَّ الله - تعالى-.

وقَدْ كَانَ ممَّا عَهدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ في وَصَايَاه تَحْضيضاً عَلَى الصَّلاَة والزَّكَاة ومَا مَلَكَتْ أيْمَانُكُمْ، فَبذَلكَ أَخْتمُ لَكَ مَا عَهدْتُ إِلَيْكَ، ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه الْعَليِّ الْعَظيمِ.

وأنَا أَسْأَلُ الله - تعالى- بسَعَة رَحْمَته، وعَظيم قُدْرَته عَلى إعْطَاء كُلِّ رَغْبَة، أنْ يُوَفِّقَني وإيَّاكَ لمَا فيه رضَاهُ منَ الاقَامَة عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضحِ إِلَيْه وإلى خَلْقه، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاء في الْعبَاد، وجَميلِ الأَثَرِ في الْبلاَد، وتَمَامِ النِّعْمَة، وتَضْعيفِ الْكَرَامَة، وأنْ يَخْتمَ لي ولَكَ بالسَّعَادَة والشَّهَادَة إنَّا إِلَيْه رَاغبُونَ.

والسَّلاَمُ عَلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ وسَلَّمَ تَسْليماً كَثيراً.

حلف له عليه السلام (١)

كتبه بين ربيعة واليمن نُقل من خط هشام بن الكلبي

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

هذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْه أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضرُهَا وبَاديهَا، وربيعَةُ حَاضرُهَا وبَاديهَا.

إنَّهُمْ عَلى كتَاب اللَّه، يَدْعُونَ إِلَيْه، ويَأْمُرُونَ به، ويُجيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْه وأَمَرَ به، لاَ يَشْتَرُونَ به ثَمَناً، ولاَ يَرْضَوْنَ به بَدلاً.

وإنَّهُمْ يَدٌ وَاحدَةٌ عَلى مَنْ خَالَفَ ذلكَ وتَرَكَهُ.

وإنَّهُمْ أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لبَعْض.

دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ.

لاَ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبِ عَاتِبٍ، ولاَ لِغَضَبِ غَاضِبٍ، ولاَ لاسْتِذْلاَلِ قَوْمٍ قَوْماً، ولاَ لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْماً.

عَلَى ذلِكَ شَاهِدُهُمْ وغَائِبُهُمْ، وسَفِيهُهُمْ وحَلِيمُهُمْ، وعَالِمُهُمْ وجَاهِلُهُمْ.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذلِكَ عَهْدَ اللَّهِ ومِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْؤُولًا.

وكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

الباب الثاني

فصل الوصايا

(المكتوبة)

وصية له عليه السلام (١)

كتبها لزياد بن النضر الحارثي وشُريح بن هانئ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلى زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ، وشُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ.

سَلاَمٌ عَلَيْكُمَا.

فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهَ الَّذي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ مُقَدِّمَتي زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وأَمَّرْتُهُ عَلَيْهَا، وشُرَيْحٌ عَلى طَائفَة منْهَا أَميرٌ.

فَإِنْ جَمَعَكُمَا بَأْسٌ فَزِيَادٌ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ، وإِنِ افْتَرَقْتُمَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا أَميرٌ عَلَى الطَّائفَة الَّتي وَلَّيْتُهُ أَمْرَهَا.

واعْلَمَا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وعُيُونُ الْمُقَدِّمَة طَلاَئعُهُمْ.

فَإِذَا أَنْتُمَا خَرَجْتُمَا مِنْ بِلاَدِكُمَا، ودَنَوْتُمَا مِنْ بِلاَدِ عَدُوِّكُمَا، فَلاَ تَسْأَمَا مِنْ تَوْجِيهِ الطَّلاَئعِ في كُلِّ نَاحِيَة، ومِنْ نَفْضِ الشِّعَابِ والشَّجَرِ والْخَمَرِ في كُلِّ جَانِبٍ، كَيْلاَ يَغْتَرَّكُمَا عَدُوٌّ، أَويَكُونَ لَهُمْ كَمِينٌ.

ولاَ تُسَيِّرُنَّ الْكَتَائبَ مِنْ لَدُن الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ إِلاَّ عَلى تَعْبِئَة وحَذَرٍ، فَإِنْ دَهَمَكُمْ دَاهِمٌ، أَوغَشِيَكُمْ مَكْرُوهٌ، كُنْتُمْ قَدْ تَقَدَّمْتُمْ في التَّعْبِئَة.

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوأَونَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ في قُبُلِ الأَشْرَافِ، أَوسِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوأَثْنَاءِ الأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً، ودُونَكُمْ مَرَدّاً.

ولْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْه وَاحِد أَواثْنَيْنِ.

واجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ في صَيَاصِي الْجِبَالِ، وبِمَنَاكِبِ الْهِضَابِ، وبِأَعَالِي الشِّرَافِ، يَرَوْنَ لَكُمْ، لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ الْعَدُومِنْ مَكَان مَخَافَة أَوأَمْن.

وإِيَّاكُمْ والتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَميعاً، وإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَميعاً.

وإذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَنَزَلْتُمْ، فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً.

واجْعَلُوا رُمَاتَكُمْ يَلُونَ تِرْسَتَكُمْ، ورِمَاحَكُمْ يَلُونَهُمْ.

ومَا أَقَمْتُمْ فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا، كَيْلاَ تُصَابَ مِنْكُمْ غَفْلَةٌ، ولاَ تُلْفى لَكُمْ غِرَّةٌ، فَمَا مِنْ قَوْمٍ حَفُّوا عَسْكَرَهُمْ بِرِمَاحِهِمْ وتِرْسَتِهِمْ مِنْ لَيْلٍ أَووإِيَّاكُمَا أَنْ تُقَاتِلاَ حَتَّى أَقْدُمَ عَلَيْكُمَا، إِلاَّ أَنْ تُبْدَءَا، أَويَأْتِيَكُمَا أَمْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

والسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ.

وصية له عليه السلام (٢)

لولده الحسن عَلَيه السَّلام كتبها إليه بـ «حاضرين» عند انصرافه من صفّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ لِلْعُمُرِ الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتى.

إِلَى الْمَوْلُودِ، الْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْقَامِ، ورَهِينَةِ الأَيَّامِ، ورَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وعَبْدِ الدُّنْيَا، وتَاجِرِ الْغُرُورِ، وغَرِيمِ الْمَنَايَا، وأَسِيرِ الْمَوْتِ، وحَلِيفِ الْهُمُومِ، وقَرِينِ الأَحْزَانِ، ونُصُبِ الآفَاتِ، وصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، يَا بُنَيَّ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، والاهْتِمَامِ بِمَا وَرَايَ.

غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَّقَنِي رَأْيِي، وصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضى بِي إِلى جِدٍّ لاَ يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وصِدْقٍ لاَ يَشُوبُهُ كَذِبٌ.

ووَجَدْتُكَ، أَيْ بُنَيَّ، بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوأَصَابَكَ أَصَابَنِي، وكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوأَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ، يَا بُنَيَّ، كِتَابِي هذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوفَنِيتُ.

وإِنَّ أَوَّلَ مَا أَبْدَؤُكَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وآخِرِهِ أَنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ إِلهِي وإِلهَكَ وإِلهَ آبَائِكَ

الأوَّلينَ والآخرينَ، ورَبَّ مَنْ فِي السَّمواتِ ومَنْ فِي الأَرَضينَ، بِمَا هُوأَهْلُهُ، وكَمَا هُوأَهْلُهُ، وكَمَا يُحبُّ ويَنْبَغي لَهُ.

وأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ وعَلى أَهْلِ بَيْته، وعَلى أَنْبياء اللَّه ورُسُله بِصَلاَة جَميعِ مَنْ صَلَّى عَلَيْه مِنْ خَلْقه، وأَنْ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْنَا لِمَا وَفَّقَنَا مِنْ مَسْأَلَته والاسْتجَابَة لَنَا، فَإِنَّ بِنِعْمَته تَتمُّ الصَّالحَاتُ.

[أَمَّا بَعْدُ،] فَإِنِّي أُوصيكَ بِتَقْوَى الله - عَزَّ وجل - أَيْ بُنَيَّ، ولُزُوم أَمْره، وعمَارَة قَلْبكَ بِذكْره، والاعْتصَام بِحَبْله، فَإِنَّ الله - تعالى - يَقُولُ: ﴿واعْتَصمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَميعاً ولا تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّه عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَته إِخْواناً﴾.

وأَيُّ سَبَب أَوْثَقُ مِنْ سَبب بَيْنَكَ وبَيْنَ الله - تعالى - إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ به.

[يَا بُنَيَّ،] أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعظَة، وأَمتْهُ بالزَّهَادَة، وقَوِّه باليَقين، ونَوِّرْهُ بالْحكْمَة، وأَسْكنْهُ بالْخَشْيَة، وأَشْعرْهُ بالصَّبْر، وذَلِّلْهُ بذكْر الْمَوْت، وقَرِّرْهُ بالْفَنَاء، وبَصِّرْهُ فَجَائعَ الدُّنْيَا، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْر وفُحْشَ تَقَلُّب اللَّيَالي والأَيَّام، واعْرِضْ عَلَيْه أَخْبَارَ الْمَاضينَ، وذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ منَ الأَوَّلينَ.

وسِرْ في دِيَارهِمْ، واعْتَبِرْ بآثَارهِمْ، فَانْظُرْ فيمَا فَعَلُوا، وعَمَّا انْتَقَلُوا، وأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَد انْتَقَلُوا عَنِ الأَحبَّة، وحَلُّوا دَارَ الْغُرْبَة.

ونَاد في دِيَارهِمْ: أَيْتُهَا الدِّيَارُ الْخَاليَةُ، أَنَّى أَهْلُك.

ثُمَّ قِفْ عَلى قُبُورهِمْ فَقُلْ: أَيُّتُهَا الأَجْسَادُ الْبَاليَةُ، والأَعْضَاءُ الْمُتَفَرِّقَةُ، كَيْفَ وَجَدْتُمُ الدِّيَارَ الَّتي أَنْتُمْ بِهَا.

أَيْ بُنَيَّ، وكَأَنَّكَ عَنْ قَليل قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وبِعْ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ، ولاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ.

ودَعِ الْقَوْلَ فيمَا لاَ تَعْرِفُ، والْخطَابَ فيمَا لَمْ تُكَلَّفْ.

وأَمْسِكْ عَنْ طَرِيق إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَة الضَّلاَل خَيْرٌ مِنْ رُكُوب الأَهْوَال.

يَا بُنَيَّ، اقْبَلْ مِنَ الْحُكَمَاء مَوَاعِظَهُمْ، وتَدَبَّرْ أَحْكَامَهُمْ، [فَإِنَّ] كُلَّ وِعَاء يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فيه

إلاَّ وِعَاءَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ.

[وَ] إِذَا أَرْذَلَ اللَّهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ.

وكُنْ آخَذَ النَّاسِ بِمَا تَأْمُرُ بِهِ، وأَكَفَّ النَّاسِ عَمَّا تَنْهى عَنْهُ.

عَظِّمِ الْخَالِقَ عِنْدَكَ يَصْغُرِ الْمَخْلُوقُ فِي عَيْنِكَ.

وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ ولِسَانِكَ، وبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ اسْتِتْمَامَ الأُمُورِ عِنْدَ اللهِ - تَبَارَكَ وتعالى - الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، ولاَ تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ.

وخُضِ الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ.

وتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ الْفُقَهَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً ولاَ دِرْهَماً، ولكِنَّهُمْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ.

فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ للَّهِ حَسَنَةٌ، وطَلَبَهُ عِبَادَةٌ، والْمُذَاكَرَةَ فِيهِ تَسْبِيحٌ، والْعَمَلَ بِهِ جِهَادٌ، وتَعْلِيمَهُ مَنْ لاَ يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وبَذْلَهُ لأَهْلِهِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ - تعالى - .

لأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلاَلِ والْحَرَامِ، ومَنَارُ سُبُلِ الْجَنَّةِ، والْمُؤْنِسُ فِي الْوَحْشَةِ، والصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ والْوَحْدَةِ، والْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، والدَّلِيلُ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والسِّلاَحُ عَلَى الأَعْدَاءِ، والزَّيْنُ عَلَى الأَخِلاَّءِ.

بِهِ يُطَاعُ الرَّبُّ ويُعْبَدُ، وبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ، ويُعْرَفُ الْحَلاَلُ مِنَ الْحَرَامِ.

يُلْهَمُ بِهِ السُّعَدَاءُ، ويُحْرَمُهُ الأَشْقِيَاءُ.

يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَاماً فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً، تُقْتَبَسُ آثَارُهُمْ، ويُهْتَدى بِفِعَالِهِمْ، ويُنْتَهى إِلى آرَائِهِمْ، فَطُوبى لِمَنْ لَمْ يَحْرِمْهُ اللَّهُ مِنْهُ حَظَّهُ.

واعْلَمْ أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمواتِ والأَرْضِ، وكُلُّ رَطْبٍ ويَابِسٍ، حَتَّى الطَّيْرُ فِي جَوِّالسَّمَاءِ، والْحُوتُ فِي الْبَحْرِ. وإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضىً بِهِ.

وفِيهِ شَرَفُ الدُّنْيَا والْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وضِيَاءُ الأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمَةِ، وقُوَّةُ الأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ، يَبْلُغُ بِالْعَبْدِ مَنَازِلَ الأَخْيَارِ، ومَجَالِسَ الأَبْرَارِ، والدَّرَجَاتِ الْعُلى فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

الذِّكْرُ فيه يَعْدِلُ بالصِّيَامِ، ومُدَارَسَتُهُ بالْقِيَامِ، لأنَّ الْفُقَهَاءَ هُمُ الدُّعَاةُ إلَى الْجِنَانِ، والأَدِلاَّءُ عَلَى الرَّحْمنِ.

وعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، [فإنّ] الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعْصِمُ الْقَلْبَ، ونِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ، واحْمِلْهَا عَلى مَا أَصَابَكَ مِنْ أَهْوَالِ الدُّنْيَا وهُمُومِهَا.

والْجِئْ نَفْسَكَ في أُمُورِكَ كُلِّهَا إلى إلهِكَ، فَإنَّكَ تُلْجِئُهَا إلى كَهْفٍ حَصِينٍ، وحِرْزٍ حَرِيزٍ.

واعْتَصِمْ في أَحْوَالِكَ كُلِّهَا باللَّهِ، فَإنَّكَ تَعْتَصِمُ مِنْهُ- سُبْحَانَهُ- بِمَانِعٍ عَزِيزٍ.

وأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإنَّ بِيَدِهِ الْخَيْرَ والشَّرَّ، والْعَطَاءَ والْمَنْعَ، والصِّلَةَ والْحِرْمَانَ.

وأَكْثِرِ الاسْتِخَارَةَ لَهُ. وتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، ولاَ تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً، فَإنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ.

واعْلَمْ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ في عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، ولاَ يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لاَ يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أَيْ بُنَيَّ، إنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ بَلَغْتَ سِنّاً، ورَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرَتْ بِوَصِيَّتِي إلَيْكَ، وأَرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْأَنْ أَنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْأَنْ يَسْبِقَنِي إلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ.

وإنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ إلاَّ قَبِلَتْهُ.

فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبَةِ، وعُوفِيتَ مِنْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، واسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا فِيهِ.

أَيْ بُنَيَّ، إنِّي وإنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ.

بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، ونَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ.

ورَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ، ومُقْتَبَلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، ونَفْسٍ صَافِيَةٍ.

وأنْ أبْتَدئَكَ بتَعْليمِ كتَابِ الله - عَزَّ وجل - وتَأْويلِه، وشَرَائِعِ الإسْلاَمِ وأحْكَامِه، وحَلاَلِه وحَرَامِه، لاَ أُجَاوِزُ ذَلكَ بكَ إلى غَيْرِه.

ثُمَّ أشْفَقْتُ أنْ يَلْتَبسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فيه منْ أهْوَائِهمْ وآرَائِهمْ مثْلَ الَّذي الْتَبسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إحْكَامُ ذَلكَ، عَلى مَا كَرِهْتُ منْ تَنْبيهكَ لَهُ، أحَبَّ إلَيَّ منْ إسْلاَمكَ إلى أمْرٍ لاَ آمَنُ عَلَيْكَ فيه منَ الْهَلَكَة، ورَجَوْتُ أنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ فيه لرُشْدِكَ، وأنْ يَهْدِيَكَ لقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إلَيْكَ وَصيَّتي هذه.

واعْلَمْ مَعَ ذَلكَ، يَا بُنَيَّ، أنَّ أحَبَّ مَا أنْتَ آخذٌ به إلَيَّ منْ وَصيَّتي تَقْوَى اللَّه، والاقْتصَارُ عَلى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، والأَخْذُ بمَا مَضى عَلَيْه الأوَّلُونَ منْ آبَائكَ، والصَّالحُونَ منْ أهْلِ بَيْتكَ، فَإنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أنْ نَظَرُوا لأنْفُسهمْ كَمَا أنْتَ نَاظرٌ، وفَكَّرُوا كَمَا أنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخرُ ذَلكَ إلَى الأَخْذ بمَا عَرَفُوا، والإمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا.

فَإنْ أبَتْ نَفْسُكَ أنْ تَقْبَلَ ذَلكَ دُونَ أنْ تَعْلَمَ كَمَا كَانُوا عَلمُوا، فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلكَ بتَفَهُّمٍ وتَعَلُّمٍ، لاَ بتَوَرُّط الشُّبُهَات، وعُلَقِ الْخُصُومَات.

وابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ في ذلكَ بالاسْتعَانَة بإلهكَ، والرَّغْبَة إلَيْه في تَوْفيقكَ، وتَرْكِ كُلِّ شَائبَة أوْلَجَتْكَ في شُبْهَة، أوأسْلَمَتْكَ إلى ضَلاَلَة.

فَإذَا أيْقَنْتَ أنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وكَانَ هَمُّكَ في ذَلكَ هَمّاً وَاحداً، فَانْظُرْ فيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وإنْ أنْتَ لَمْ يَجْتَمعْ لَكَ رَأْيُكَ عَلى مَا تُحبُّ منْ نَفْسكَ، وفَرَاغِ نَظَرِكَ وفكْرِكَ، فَاعْلَمْ أنَّكَ إنَّمَا تَخْبطُ الْعَشْوَاءَ، وتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ.

ولَيْسَ طَالبُ الدِّينِ مَنْ خَبطَ أوخَلَطَ، والإمْسَاكُ عَنْ ذَلكَ أمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ، يَا بُنَيَّ، وَصيَّتي، واعْلَمْ أنَّ مَالكَ الْمَوْت هُومَالكُ الْحَيَاة، وأنَّ الْخَالقَ هُوالْمُميتُ، وأنَّ الْمُفْني هُوالْمُعيدُ، وأنَّ الْمُبْتَلي هُوالْمُعَافي، وأنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لتَسْتَقرَّ إلاَّ عَلى مَا جَعَلَهَا الله - تَبَارَكَ وتعالى - عَلَيْه منَ النَّعْمَاء والابْتلاَء، والْجَزَاء في الْمَعَاد، أومَا شَاءَ ممَّا لاَ نَعْلَمُ.

فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلى جَهَالَتِكَ بِه، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِمْتَ.

ومَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الأَمْرِ، ويَتَحَيَّرُ فيه رَأْيُكَ، ويَضِلُّ فيه بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَاعْتَصِمْ بِالَّذي خَلَقَكَ ورَزَقَكَ وسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وإِلَيْه رَغْبَتُكَ، ومِنْهُ شَفَقَتُكَ.

واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ الله - سُبْحَانَهُ- كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، فَارْضَ به رَائِداً، وإِلَى النَّجَاة قَائِداً.

فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصيحَةً، وإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ، وإِنِ اجْتَهَدْتَ، مَبْلَغَ نَظَري لَكَ، لِعِنَايَتي وطُولِ تَجْرِبَتي.

واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوكَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، ولَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِه وسُلْطَانِه، ولَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وصِفَاتِه، ولكِنَّهُ إِلهٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ.

لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِه أَحَدٌ ولاَ يُحَاجُّهُ، ولاَ يَزُولُ أَبَداً ولَمْ يَزَلْ.

أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاء بِلاَ أَوَّلِيَّة، وآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاء بِلاَ نِهَايَة، حَكِيمٌ، عَلِيمٌ، قَدِيمٌ.

عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَة قَلْبٍ أَوبَصَرٍ.

فَإِذَا أَنْتَ عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِه، وقِلَّة مَقْدِرَتِه، وكَثْرَة عَجْزِه، وعَظِيمِ حَاجَتِه إِلَى رَبِّه فِي طَلَبِ طَاعَتِه، والْخَشْيَة مِنْ عُقُوبَتِه، والشَّفَقَة مِنْ سَخَطِه، فَإِنَّهُ- سُبْحَانَهُ- لَمْ يَأْمُرْكَ إِلاَّ بِحَسَنٍ، ولَمْ يَنْهَكَ إِلاَّ عَنْ قَبِيحٍ.

يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وحَالِهَا، وزَوَالِهَا وانْتِقَالِهَا بِأَهْلِهَا، وأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَة ومَا أَعَدَّ اللَّهُ لأَهْلِهَا فِيهَا، وضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وتَحْذُوعَلَيْهَا.

إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَابِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيباً وجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ،

لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، ومَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، ولاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً فيه مَغْرَماً، ولاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ.

ومَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ، ولاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ، ولاَ أَهْوَلَ لَدَيْهِمْ، مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فيه إِلى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ ويَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ قَرَعْتُكَ بِأَنْوَاعِ الْجَهَالاَتِ لِئَلاَّ تَعُدَّ نَفْسَكَ عَالِماً، فَإِنْ وَرَدَ عَلَيْكَ شَيْءٌ تَعْرِفُهُ أَكْبَرْتَ ذَلِكَ.

فَإِنَّ الْعَالِمَ مَنْ عَرَفَ أَنَّ مَا يَعْلَمُ فِيمَا لاَ يَعْلَمُ قَلِيلٌ، فَعَدَّ نَفْسَهُ بِذَلِكَ جَاهِلًا، فَازْدَادَ بِمَا عَرَفَ مِنْ ذَلِكَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ اجْتِهَاداً، فَمَا يَزَالُ لِلْعِلْمِ طَالِباً، وفيه رَاغِباً، ولَهُ مُسْتَفِيداً، ولأَهْلِهِ خَاشِعاً، ولِرَأْيِهِ مُتَّهِماً، وللصَّمْتِ لاَزِماً، وللْخَطَأِ حَاذِراً، ومِنْهُ مُسْتَحْيِياً.

وإِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْرِفُ لَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ، لِمَا قَرَّرَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْجَهَالَةِ.

وإِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَدَّ نَفْسَهُ لِمَا جَهِلَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ لِلْعِلْمِ عَالِماً، وبِرَأْيِهِ مُكْتَفِياً، فَمَا يَزَالُ لِلْعُلَمَاءِ مُبَاعِداً، وعَلَيْهِمْ زَارِياً، ولِمَنْ خَالَفَهُ مُخَطِّئاً، ولِمَا لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الأُمُورِ مُضَلِّلًا.

فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الأُمُورِ مَا لاَ يَعْرِفُهُ أَنْكَرَهُ وكَذَّبَ بِهِ، وقَالَ بِجَهَالَتِهِ: مَا أَعْرِفُ هذَا. ومَا أَرَاهُ كَانَ. ومَا أَظُنُّ أَنْ يَكُونَ. وأَنَّى كَانَ. وذَلِكَ لِثِقَتِهِ بِرَأْيِهِ، وقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِجَهَالَتِهِ.

فَمَا يَنْفَكُّ بِمَا يَرى مِمَّا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ بِرَأْيِهِ مِمَّا لاَ يَعْرِفُ لِلْجَهْلِ مُسْتَفِيداً، ولِلْحَقِّ مُنْكِراً، وفِي الْجَهَالَةِ مُتَحَيِّراً، وفِي اللَّجَاجَةِ مُتَجَرِّئاً، وعَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مُسْتَكْبِراً.

يَا بُنَيَّ، تَفَهَّمْ وَصِيَّتِي واجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، واكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، ولاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وأَحْسِنْ إِلى جَمِيعِ النَّاسِ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ،

وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ.

وأَخْلِصْ لِلَّهِ عَمَلَكَ وعِلْمَكَ، وحُبَّكَ وبُغْضَكَ، وأَخْذَكَ وتَرْكَكَ، وكَلاَمَكَ وصَمْتَكَ.

ولاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، بَلْ ولاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

[وَ] لاَ تَسْأَلْ عَمَّا لاَ يَكُونُ، فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغُلٌ.

إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا، والْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِئِ.

وحَسِّنْ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ خُلُقَكَ حَتَّى إِذَا غِبْتَ عَنْهُمْ حَنُّوا إِلَيْكَ، وإِذَا متَّ بَكَوْا عَلَيْكَ وقَالُوا: إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولاَ تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُقَالُ عِنْدَ مَوْتِهِمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[فَإِنَّ] أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الإِخْوَانِ، وأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ.

واعْلَمْ أَنَّ رَأْسَ الْعَقْلِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللهِ - عَزَّ وجل - مُدَارَاةُ النَّاسِ، ولاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُعَاشِرُ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لاَبُدَّ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ إِلَى الْخَلاَصِ مِنْهُ سَبِيلًا.

فَإِنِّي وَجَدْتُ جَمِيعَ مَا يَتَعَايَشُ بِهِ النَّاسُ وبِهِ يَتَعَاشَرُونَ مِلْءَ مِكْيَالٍ، ثُلُثَاهُ اسْتِحْسَانٌ، وثُلُثُهُ تَغَافُلٌ.

ومَا خَلَقَ اللهُ - عَزَّ وجل - شَيْئاً أَحْسَنَ مِنَ الْكَلاَمِ، ولاَ أَقْبَحَ مِنْهُ، فَبِالْكَلاَمِ ابْيَضَّتِ الْوُجُوهُ، وبِالْكَلاَمِ اسْوَدَّتِ الْوُجُوهُ.

واعْلَمْ أَنَّ الْكَلاَمَ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ.

[وَ] إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلاَمُ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ ووَرِقَكَ، فَإِنَّ اللِّسَانَ سَبُعٌ، فَإِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ، والْغَضَبُ شَرٌّ إِنْ أَطَعْتَهُ دَمَّرَ.

لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وقَلْبُ الأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ.

دَعِ الْكَلاَمَ فيمَا لاَ يَعْنيكَ وفي غَيْرِ مَوْضعِه، فَرُبَّ كَلمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً، وجَلَبَتْ نِقْمَةً، ورُبَّ لَفْظَةٍ أَتَتْ عَلى مُهْجَة.

مَنْ سَيَّبَ عُذَارَهُ قَادَهُ إِلى كُلِّ كَرِيهَةٍ وفَضيحَة، ثُمَّ لَمْ يَخْلُصْ مِنْ وَهْدِه إِلاَّ عَلى مَقْتٍ مِنَ اللَّه وذَمٍّ مِنَ النَّاس.

واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ الاعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَاب، وآفَةُ الأَلْبَاب، [وَ] يَمْنَعُ مِنَ الازْدِيَاد، فَاسْعَ في كَدْحِكَ، وأَنْفِقْ مِنْ خَيْرِكَ، ولاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ.

وإِذَا أَنْتَ هُديتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

لاَ تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ، فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ، ولاَ تَسْتَكْثِرَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ نَوَالِكَ فَإِنَّكَ أَكْثَرُ مِنْهُ.

يَا بُنَيَّ، هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الأَمْرُ قَرِيبٌ، والْمُقَامَ يَسِيرٌ، والرَّحِيلُ وشِيكٌ، والاصْطِحَابُ قَلِيلٌ.

أَيْ بُنَيَّ، لاَ تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فيه بِطَاعَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ- فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ به.

وإِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فيه بِمَعْصِيَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ- فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلى مَعْصِيَتِه.

ولَيْسَ أَحَدُ هذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلى نَفْسِكَ، وتَحْمِلَهُ عَلى ظَهْرِكَ.

يَا بُنَيَّ، إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا في غَيْرِ طَاعَةِ اللَّه، فَوَرَّثَهُ رَجُلًا فَأَنْفَقَهُ في طَاعَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ- فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ، ودَخَلَ الأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، ومَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وإِنَّهُ لاَ غِنى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ، وقَدْرِ بَلاَغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ في حَشْرِكَ ونَشْرِكَ، فَبْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ.

وإذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوافِيكَ بِهِ غَداً فِي مَعَادِكَ حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاغْتَنِمْهُ وحَمِّلْهُ إِيَّاهُ.

وأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ.

واغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَثِقَ لِتَحْمِيلِ زَادِكَ بِمَنْ لاَ وَرَعَ لَهُ ولاَ أَمَانَةَ، فَيَكُونُ مَثَلُكَ مَثَلَ ظَمْآنٍ رَأَى سَرَاباً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً، فَتَبْقَى فِي الْقِيَامَةِ مُنْقَطَعاً بِكَ.

واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ، والْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ أَمْراً مِنَ الْمُسْرِعِ، وأَنَّ مَهْبِطَهَا بِكَ، لاَ مَحَالَةَ إِمَّا عَلى جَنَّةٍ أَوعَلى نَارٍ.

فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، ووَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، ولاَ إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمواتِ والأَرْضِ، [وَ] مَلَكُوتُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ، وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وتَطْلُبَ إِلَيْهِ لِيُرْضِيَكَ، وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وهُوَرَحِيمٌ كَرِيمٌ.

ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، ولَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، ولَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، ولَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ، ولَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلى، ولَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ، ولَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، ولَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ.

بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وتَوْبَتَكَ التَّوَرُّعَ مِنَ الذَّنْبِ، وحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً، وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ، سَمِعَ نِدَاكَ، وإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ.

فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، واسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، واسْتَعَنْتَهُ عَلى أُمُورِكَ، ونَاجَيْتَهُ بِمَا تَسْتَخْفِي بِهِ مِنَ الْخَلْقِ مِنْ سِرِّكَ، وسَأَلْتَهُ مِنْ

خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ، وصِحَّةِ الأَبْدَانِ، وسَعَةِ الأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، واسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَأَلِحَّ بِالْمَسْأَلَةِ، ولاَ يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلى قَدْرِ الْمَسْأَلَةِ.

ورُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ، وأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ.

ورُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ وأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْصُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ.

فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ مِنَ اللهِ - تعالى - فِيمَا يَعْنِيكَ مِمَّا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، ويُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ ولاَ تَبْقَى لَهُ.

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ - سُبْحَانَهُ وتعالى - حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلاَةِ عَلى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ، فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعالى - أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا ويَمْنَعَ الأُخْرى.

[وَ] مَا كَانَ اللهُ - سُبْحَانَهُ - لِيَفْتَحَ عَلى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ.

ولاَ لِيَفْتَحَ عَلى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الإِجَابَةِ. ولاَ لِيَفْتَحَ عَلى عَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ ويُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ.

واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا، ولِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ، ولِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَيَاةِ، وأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ، ودَارِ بُلْغَةٍ، وطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ، وأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، ولاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ، ولاَ بُدَّ أَنَّهُ يَوْماً مُدْرِكُهُ. فَكُنْ مِنْهُ عَلى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وأَنْتَ عَلى حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ فِيهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولُ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

فَتَفَقَّدْ دِينَكَ لِنَفْسِكَ، فَدِينُكَ لَحْمُكَ ودَمُكَ، ولاَ يُنْقِذُكَ غَيْرُهُ.

يَا بُنَيَّ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، واجْعَلْهُ أَمَامَكَ حَيْثُ تَرَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، ولاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ، ولاَ يَأْخُذَكَ عَلَى غِرَّتِكَ.

وأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الآخِرَةِ وكَثْرَةِ نَعِيمِهَا وحُبُورِهَا وسُرُورِهَا ودَوَامِهَا، وكَثْرَةِ صُنُوفِ لَذَّاتِهَا، وقِلَّةِ آفَاتِهَا، إِذَا سَلَّمْتَ، وفَكِّرْ فِي أَلْوَانِ عَذَابِهَا، وشِدَّةِ غُمُومِهَا، وأَصْنَافِ نَكَالِهَا، إِذَا تَيَقَّنْتَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُزَهِّدُكَ فِي الدُّنْيَا ويُصَغِّرُهَا عِنْدَكَ، ويُرَغِّبُكَ فِي الآخِرَةِ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ - جَلَّ جَلاَلُهُ- عَنْهَا، ونَعَتْ هِيَ لَكَ نَفْسَهَا، وتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا.

فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ، وسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضِهَا، ويَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، ويَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، وكَثِيرُهَا قَلِيلَهَا.

نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ أَهْلَهَا عُقُولَهَا، ورَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، ولاَ مُسِيمٌ يُسِيمُهَا.

سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنْهَجِ الصَّوَابِ ومَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، واتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ ولَعِبُوا بِهَا، ونَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

رُوَيْداً حَتَّى يُسْفِرَ الظَّلاَمُ، كَأَنْ، ورَبِّ الْكَعْبَةِ، قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ.

واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، والسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ، ويَحْذَرُهَا ذُواللُّبِّ الْعَاقِلُ.

[وَ] أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وهُمْ نِيَامٌ.

واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وإِنْ كَانَ وَاقِفاً، ويَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

[وَ] إذَا كُنْتَ في إدْبَارٍ، والْمَوْتُ في إقْبَالٍ، فَمَا أسْرَعَ الْمُلْتَقى.

أيْ بُنَيَّ، أبَى الله - تعالى - إلاَّ خَرَابَ الدُّنْيَا وعِمَارَةَ الآخِرَةِ. ، فَإنْ تَزْهَدْ فيمَا زَهَّدَكَ اللَّهُ فيه، وتَعْزِفْ نَفْسَكَ عَنْهَا، فَهِيَ أهْلُ ذَلكَ.

وإنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ نُصْحي إيَّاكَ فيهَا فَاعْلَمْ يَقيناً أنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أمَلَكَ، ولَنْ تَعْدُوَ أجَلَكَ، وأنَّكَ في سَبيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ في الطَّلَبِ، وأجْمِلْ في الْمُكْتَسَبِ، فَإنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إلى حَرَبٍ.

فَلَيْسَ كُلُّ طَالبٍ بِمَرْزُوقٍ، ولاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ.

وأكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وإنْ سَاقَتْكَ إلَى الرَّغَائِبِ، فَإنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ دِينِكَ وعِرْضِكَ ونَفْسِكَ عِوَضاً وإنْ جَلَّ، وابْذُلْ في الْمَكَارِمِ جُهْدَكَ تَخْلُصْ مِنَ الْمَآثِمِ وتُحْرِزِ الْمَكَارِمَ.

ولاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ الله - سُبْحَانَهُ - حُرّاً.

واعْلَمْ أنَّهُ لاَ غِنى يَعْدِلُ الْجَنَّةَ، ولاَ فَقْرَ يَعْدِلُ النَّارَ.

ومَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إلاَّ بِشَرٍّ، ويُسْرٍ لاَ يُنَالُ إلاَّ بِعُسْرٍ.

وإيَّاكَ أنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ.

وإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ لاَ يَكُونَ بَيْنَكَ وبَيْنَ الله - تعالى - ذُونِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ، وآخِذٌ سَهْمَكَ.

وإنَّ الْيَسيرَ مِنَ الله - سُبْحَانَهُ وتعالى - أعْظَمُ وأكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ، وإنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

فَإنْ نَظَرْتَ، ولِلَّهِ الْمَثَلُ الأعْلى، فيمَا تَطْلُبُ مِنَ الْمُلُوكِ ومَنْ دُونَهُمْ مِنَ السَّفَلَةِ، لَعَرَفْتَ أنَّ لَكَ في يَسيرِ مَا تَطْلُبُ مِنَ الْمُلُوكِ افْتِخَاراً، وأنَّ عَلَيْكَ في كَثِيرِ مَا تُصيبُ مِنَ الدُّنَاةِ عَاراً.

فَاقْتَصِدْ في أمْرِكَ تَحْمَدْ مَغَبَّةَ عِلْمِكَ أنَّكَ لَسْتَ بَائِعاً شَيْئاً مِنْ دِينِكَ وعِرْضِكَ إلاَّ

بِثَمَنٍ.

والْمَغْبُونُ مَنْ غُبِنَ نَصيبَهُ مِنَ اللَّهِ، والْمَحْرُوبُ مَنْ حُرِبَ دينُهُ، والْمَسْلُوبُ مَنْ سُلِبَ يَقينُهُ.

فَخُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ.

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ.

إِنَّ الطَّمَعَ مُوردٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ، وضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ، وربَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ.

وكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ.

والأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ.

والْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لاَ يَأْتِيهِ.

يَا بُنَيَّ، احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً، وأَرْبَعاً، لاَ يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ.

وأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ.

وأَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ.

وأَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ.

يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُجْهِدُ لَكَ نَفْسَهُ ولاَ يَنْفَعُكَ، ولَرُبَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ.

فَسُكُوتُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ نُطْقِهِ، وبُعْدُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ قُرْبِهِ، ومَوْتُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حَيَاتِهِ.

وإِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ الْمُحْتَقَرِ.

وإِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ.

وإِيَّاكَ ومُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ، ولاَ يَهْنَئُكَ مَعَهُ عَيْشٌ، يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، ويُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ، يَنْقُلُ حَدِيثَكَ ويَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَيْكَ، كُلَّمَا أَفْنَى أُحْدُوثَةً مَطَّهَا بِأُخْرَى، حَتَّى إِنَّهُ لَيُحَدِّثُ بِالصِّدْقِ فَمَا يُصَدَّقُ، ويُعْرَفُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدَاوَةِ.

فَإِنِ اضْطُرِرْتَ إِلَيْهِ فَلاَ تُصَدِّقْهُ، ولاَ تُعْلِمْهُ أَنَّكَ تُكَذِّبُهُ، فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ عَنْ وُدِّكَ ولاَ يَنْتَقِلُ عَنْ طَبْعِه.

[يَا بُنَيَّ،] لاَ تَصْحَبِ الْمَائِقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، ويَوَدُّ لَوْ أَنَّكَ تَكُونُ مِثْلَهُ، ويُزَيِّنُ لَكَ أَسْوَءَ خِصَالِه، ومَدْخَلُهُ عَلَيْكَ ومَخْرَجُهُ مِنْ عِنْدِكَ شَيْنٌ وعَارٌ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى اللَّئِيمِ، فَإِنَّهُ يَخْذُلُ مَنِ اعْتَمَدَ عَلَيْه.

وإِيَّاكَ ومُصَاحَبَةَ الأَشْرَارِ، فَإِنَّهُمْ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ بِالسَّلاَمَةِ مِنْهُمْ.

وإِيَّاكَ ومُعَاشَرَةَ مُتَتَبِّعِي عُيُوبِ النَّاسِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مُصَاحِبُهُمْ مِنْهُمْ.

وإِيَّاكَ ومُقَارَبَةَ مَنْ رَهِبْتَهُ عَلى دِينِكَ وعِرْضِكَ.

وتَبَاعَدْ مِنَ السُّلْطَانِ، ولاَ تَأْمَنْ خُدَعَ الشَّيْطَانِ.

تَقُولُ: مَتَى أَرى مَا أُنْكِرُ نَزَعْتُ.

فَإِنَّهُ هكَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وقَدْ أَيْقَنُوا بِالْمَعَادِ، فَلَوسُمْتَ بَعْضَهُمْ بَيْعَ آخِرَتِه بِالدُّنْيَا لَمْ يَطِبْ بِذَلِكَ نَفْساً، ثُمَّ قَدْ يَتَحَيَّلُهُ الشَّيْطَانُ بِخُدَعِه ومَكْرِه، حَتَّى يُوَرِّطَهُ فِي هَلَكَةٍ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ حَقِيرٍ، ويَنْقُلَهُ مِنْ شَرٍّ إِلى شَرٍّ حَتَّى يُؤْيِسَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ويُدْخِلَهُ فِي الْقُنُوطِ، فَيَجِدُ الْوَجْهَ إِلى مَا خَالَفَ الإِسْلاَمَ وأَحْكَامَهُ.

فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ إِلاَّ حُبَّ الدُّنْيَا وقُرْبَ السُّلْطَانِ، فَخَالَفَتْكَ إِلى مَا نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِمَّا فِيهِ رُشْدُكَ، فَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، فَإِنَّهُ لأَثِقَةٌ لِلْمُلُوكِ عِنْدَ الْغَضَبِ، فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ أَخْبَارِهِمْ، ولاَ تَنْطِقْ بِأَسْرَارِهِمْ، ولاَ تَدْخُلْ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

يَا بُنَيَّ، لاَ مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ. ولاَ فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ. ولاَ وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ. ولاَ وَاعِظَ أَبْلَغُ مِنَ النُّصْحِ. ولاَ مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ.

ولاَ عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ. ولاَ كَرَمَ كَالتَّقْوى. ولاَ قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ. ولا مِيرَاثَ كَالأَدَبِ. ولاَ قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ. ولاَ تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. ولاَ رِبْحَ كَالثَّوَابِ. ولاَ وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ. ولاَ زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ. ولاَ عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ. ولاَ عِبَادَةَ كَأَدَاءِ

الْفَرَائِضِ. ولاَ إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ والصَّبْرِ.

ولاَ حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ. ولاَ شَرَفَ كَالْعِلْمِ. ولاَ عِزَّ كَالْحِلْمِ، ولاَ حِلْمَ كَالصَّبْرِ والصَّمْتِ.

[وَ] أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ، وأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ والأَرْكَانِ.

يَا بُنَيَّ، الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمَرْءِ، والْعَقْلُ دَلِيلُهُ، والْحِلْمُ وَزِيرُهُ، والصَّبْرُ مِنْ خَيْرِ جُنُودِهِ، والرِّفْقُ وَالِدُهُ، والْعَمَلُ قَرِينُهُ، والْيُسْرُ أَخُوهُ.

وفِي الصَّمْتِ السَّلاَمَةُ مِنَ النَّدَامَةِ، وتَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ فَائِدَةَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ.

وحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ.

واعْلَمْ أَنَّ حِفْظَ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ.

كُنْ سَمْحاً ولاَ تَكُنْ مُبَذِّراً، وكُنْ مُقَدِّراً، ولاَ تَكُنْ مُقَتِّراً.

وحُسْنُ التَّدْبِيرِ مَعَ الْكَفَافِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الاِسْرَافِ.

فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا، ومَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ.

ومُدَاوَمَةُ الْوَحْدَةِ أَسْلَمُ مِنْ خِلْطَةِ النَّاسِ.

ولاَ تُحَدِّثْ إِلاَّ عَنْ ثِقَةٍ، فَتَكُونَ كَذَّاباً.

والْكَذِبُ ذُلٌّ، فَجَانِبْهُ وأَهْلَهُ.

يَا بُنَيَّ، الْحُرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ.

والْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ.

ورُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ.

مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، ومَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ.

ومِنْ خَيْرِ حَظِّ الْمَرْءِ الْقَرِينُ الصَّالِحُ، فَقَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وبَايِنْ أَهْلَ

الشَّرَّ ومَنْ يَصُدُّكَ عَنْ ذِكْرِ الله - عَزَّ وجل - وذِكْرِ المَوْتِ بالأباطيلِ المُزَخْرَفَةِ والأَرَاجيفِ المُلَفَّقَة، تَبِنْ عَنْهُمْ.

أَحْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بقَلْعِه مِنْ صَدْرِكَ.

وَضَعْ أَمْرَ أخيكَ عَلى أَحْسَنِه حَتَّى يَأْتِيَكَ مِنْهُ مَا يَغْلِبُكَ.

لاَ تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً وأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا.

لاَ يَغْلِبَنَّ عَلَيْكَ سُوءُ الظَّنِّ فَإِنَّهُ لاَ يَدَعُ بَيْنَكَ وبَيْنَ خَلِيلٍ صُلْحاً.

وعَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ فَأَكْثِرْ فِي اكْتِسَابِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عُدَّةٌ عِنْدَ الرَّجَاءِ، وجُنَّةٌ عِنْدَ الْبَلاَءِ.

وشَاوِرْ في حَدِيثِكَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ.

وأَحْبِبِ الإِخْوَانَ عَلى قَدْرِ التَّقْوى.

إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فيه، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ، [وَ] الاِحْجَامُ عَنِ الأَمْرِ يُورِثُ الْعَجْزَ، والاقْدَامُ عَلَيْهِ يُورِثُ اجْتِلاَبَ الْحَظِّ.

لاَ تَدْعُوَنَّ أَحَداً إِلى مُبَارَزَةٍ، وإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ، فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ، والْبَاغِيَ مَصْرُوعٌ.

مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ للَّهِ - سُبْحَانَهُ - قَوِيَ عَلى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ.

بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ، وبِئْسَ الْقُوتُ أَكْلُ مَالِ الأَيْتَامِ، وبِئْسَتِ الْقِلاَدَةُ قِلاَدَةُ الآثَامِ.

وظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، وظُلْمُ الْمُسْتَسْلِمِ أَعْظَمُ الْجُرْمِ.

لِلظَّالِمِ الْبَادِئِ غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ، ولِلْمُسْتَحْلِي لَذَّةَ الدُّنْيَا غُصَّةٌ، ولِلأَخِلاَّءِ نَدَامَةٌ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ.

والْفَاحِشَةُ كَاسْمِهَا.

والتَّصَبُّرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعْصِمُ الْقَلْبَ.

وإِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً.

إمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشى بِكَ.

رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، والدَّاءُ دَوَاءً، ورُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ.

وإيَّاكَ والاتِّكَالُ عَلَى الْمُنى، فَإنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكى، وتَثْبِيطٌ عَنْ خَيْرِ الآخِرَةِ والدُّنْيا.

الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ.

والْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإنْ أَجَابَهُ وإلاَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ.

الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، والْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ، تَسْلَمْ لَكَ الْمَوَدَّةُ، وتَظْهَرْ لَكَ الْمَحَبَّةُ.

أَفْضَلُ رِدَاءٍ يُرْتَدى بِهِ الْحِلْمُ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ، فَإنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إلاَّ أَوْشَكَ أنْ يَكُونَ مِنْهُمْ.

وإيَّاكَ والْعُجْبَ وسُوءَ الْخُلُقِ وقِلَّةَ الصَّبْرِ، فَإنَّهُ لاَ يَسْتَقِيمُ لَكَ عَلى هذه الْخِصَالِ الثَّلاَثِ صَاحِبٌ، ولاَ يَزَالُ لَكَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ مُجَانِبٌ، وأَلْزِمْ نَفْسَكَ التَّوَدُّدَ، وصَبِّرْ عَلى مَؤُونَاتِ النَّاسِ نَفْسَكَ.

إسْتَشِرْ أَعْدَاءَكَ تَعْرِفْ مِنْ رَأْيِهِمْ مِقْدَارَ عَدَاوَتِهِمْ، ومَوَاضِعَ مَقَاصِدِهِمْ.

وابْذُلْ لأَخِيكَ دَمَكَ ومَالَكَ، ولِصَدِيقِكَ نُصْحَكَ، ولِمَعَارِفِكَ مَعُونَتَكَ، وللْعَامَّةِ بِشْرَكَ ومَحَبَّتَكَ، ولِعَدُوِّكَ عَدْلَكَ وإنْصَافَكَ.

لاَ تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِقَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ، وَاضْنُنْ بِدِينِكَ وعِرْضِكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، فَإنَّهُ أَسْلَمُ لِدِينِكَ ودُنْيَاكَ.

ذَكِّ قَلْبَكَ بِالأَدَبِ كَمَا تُذَكَّى النَّارُ بِالْحَطَبِ، فَنِعْمَ الْعَوْنُ الأَدَبُ لِلْخِبْرَةِ، والتَّجَارِبُ لِذِي اللُّبِّ.

ورَأْسُ الْعَقْلِ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ، وخَيْرُ الأُمُورِ مَا أَصْلَحَكَ.

ولاَ تَكُنْ، فِيمَا تُورِدُ، كَحَاطِبِ اللَّيْلِ وغُثَاءِ السَّيْلِ.

نِعْمَ الْمُوَازَرَةُ الْمُشَاوَرَةُ، وبِئْسَ الاسْتِعْدَادُ الاسْتِبْدَادُ.

لاَ تَسْتَبِدَّ بِرَأْيِكَ فَمَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، ولاَ تَتَّبِعِ الْهَوى فَمَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ ارْتَبَكَ.

ومَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا في عُقُولِهَا.

أَضْمُمْ آرَاءَ الرِّجَالِ بَعْضَهَا إِلى بَعْضٍ، ثُمَّ اخْتَرْ أَقْرَبَهَا إِلَى الصَّوَابِ، وأَبْعَدَهَا عَنِ الارْتِيَابِ.

لاَ تُنَالُ نِعْمَةٌ إِلاَّ بَعْدَ أَذى.

واعْلَمْ أَنَّ كُفْرَ النِّعْمَةِ لُؤْمٌ، وصُحْبَةَ الْجَاهِلِ شُؤْمٌ.

مِنَ الْكَرَمِ لِينُ الْكَلاَمِ. [وَ] الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكَمٌ.

يَا بُنَيَّ، لِلْمُؤْمِنِ ثَلاَثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ.

وسَاعَةٌ يَرُمُّ فِيهَا مَعَاشَهُ.

وسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ ويَجْمُلُ.

ولَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلاَّ في ثَلاَثٍ: مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ. أَوتَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ. أَو لَذَّةٍ في غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

واعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، ومَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ.

وقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ ويُبْغِضُ عَمَلَهُ، ويُحِبُّ الْعَمَلَ ويُبْغِضُ بَدَنَهُ.

واعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وكُلُّ نَبَاتٍ لاَ غِنى لَهُ عَنِ الْمَاءِ.

والْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ، وحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، ومَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ، وأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.

يَا بُنَيَّ، بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، وبَادِرِ الْبِرَّ فَإِنَّ أَعْمَالَ الْبِرِّ فُرْصَةٌ.

والظَّفَرُ بِالْحَزْمِ، والْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ، والرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ.

واعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْحَزْمِ الْعَزْمُ، ومِنْ سَبَبِ الْحِرْمَانِ التَّوَانِي، ولَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، ولاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ.

وإِنَّ مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةَ الزَّادِ، ومِنَ الشَّقَاءِ مَفْسَدَةُ الْمَعَادِ.

ولِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَومُرَّةٌ.

ولاَ تَدَعِ الطَّلَبَ فيمَا يَحِلُّ ويَطِيبُ، فَلاَ بُدَّ مِنْ بُلْغَةٍ، وسَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ.

[وَ] التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ.

خُذْ بِالْفَضْلِ، وأَحْسِنْ فِي الْبَذْلِ، وقُلْ لِلنَّاسِ حُسْناً.

ورُبَّ يَسِيرٍ أَنْمى مِنْ كَثِيرٍ.

لاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، ولاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ.

يَا بُنَيَّ، احْلَمْ فَإِنَّ مَنْ حَلُمَ سَادَ، ومَنْ تَفَهَّمَ ازْدَادَ، ومَنْ سَأَلَ اسْتَفَادَ.

والْقَ أَهْلَ الْخَيْرِ، فَإِنَّ لِقَاءَ أَهْلِ الْخَيْرِ عِمَارَةُ الْقَلْبِ.

سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ.

إِتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التُّقَى وإِنْ قَلَّ، واجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللَّهِ سِتْراً وإِنْ رَقَّ.

وإِنْ قَارَفْتَ سَيِّئَةً فَعَاجِلْ مَحْوَهَا بِالتَّوْبَةِ.

[وَ] تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ.

[وَ] سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ.

أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، ولاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ، ولاَ تَشِنْ عَدُوَّكَ وإِنْ شَانَكَ، ولاَ تُذِعْ سِرَّهُ وإِنْ أَذَاعَ سِرَّكَ.

ثَمَرَةُ الْعَقْلِ الاسْتِقَامَةُ، وثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ، وثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلاَمَةُ. ومِنَ الْفِقْهِ كِتْمَانُ السِّرِّ، ولَقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ، وطُولُ التَّجَارِبِ زِيَادَةٌ فِي الْعَقْلِ.

الاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ.

ولاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ، [فَإِنَّ] اللَّجَاجَةَ تَسُلُّ الرَّأْيَ.

والطَّمَعُ رِقٌّ مُخَلَّدٌ، والْحِرْصُ عَنَاءٌ مُؤَبَّدٌ، والْيَأْسُ عِتْقٌ مُجَدَّدٌ.

وأَحْسَنُ كَلِمَةِ حُكْمٍ جَامِعَةٍ: أَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وتَكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لَهَا.

إِنَّكَ قَلَّ مَا تَسْلَمُ مِمَّنْ تَسَرَّعْتَ إِلَيْهِ، وكَثِيراً مَا يَحْمَدُ مَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ.

أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ.

يَا بُنَيَّ، لاَبُدَّ لِلْعَاقِلِ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَأْنِهِ، فَلْيَحْفَظْ فَرْجَهُ ولِسَانَهُ، ولْيَعْرِفْ أَهْلَ زَمَانِهِ.

واعْلَمْ أَنَّ قَدْرَ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ، وصِدْقَهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ، وشَجَاعَتَهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ، وعِفَّتَهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ.

إِنَّ مِنْ أَشْرَفِ الشِّيَمِ الْوَفَاءُ بِالذِّمَمِ، ومِنَ الكَرَمِ صِلَةُ الرَّحِمِ، والدَّفْعُ عَنِ الْحُرَمِ.

أَوْلَى النَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عُرِفَتْ بِهِ الْكِرَامُ.

والصُّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ، وكَثْرَةُ التَّغَلُّلِ آيَةُ الْبُخْلِ.

وبَعْضُ إِمْسَاكِكَ عَلَى أَخِيكَ مَعَ لُطْفٍ خَيْرٌ مِنْ بَذْلٍ مَعَ عُنْفٍ.

ومَنْ يَرْجُوكَ أَوِيَثِقُ بِصِلَتِكَ، إِذَا قَطَعْتَ صِلَةَ قَرَابَتِكَ.

والتَّجَرُّمُ وَجْهُ الْقَطِيعَةِ. [وَ] الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ.

إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ والْمُقَارَبَةِ، وعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ.

وكُنْ لِلَّذِي يَبْدُو مِنْهُ حَمُولًا، ولَهُ وَصُولًا، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وكَأَنَّهُ ذُونِعْمَةٍ عَلَيْكَ، وإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوأَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ.

أصْدِقَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ، وأعْدَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ.

فَأصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وعَدُوعَدُوِّكَ.

وأعْدَاؤُكَ: عَدُوُّكَ، وعَدُوصَدِيقِكَ، وصَدِيقُ عَدُوِّكَ.

ولاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوصَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِي صَدِيقَكَ.

ولاَ تَعْمَلْ بِالْخَدِيعَةِ فَإِنَّهَا خُلُقُ اللَّئِيمِ.

وامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أوقَبِيحَةً، وسَاعِدْهُ عَلى كُلِّ حَالٍ، وزُلْ مَعَهُ حَيْثُمَا زَالَ. مَا لَمْ يَحْمِلْكَ عَلى مَعْصِيَةِ الله - عَزَّ وجل -.

عَاتِبْ أَخَاكَ بِالاحْسَانِ إِلَيْهِ، وارْدُدْ شَرَّهُ بِالانْعَامِ عَلَيْهِ، ولاَ تَطْلُبَنَّ مُجَازَاةَ أخيكَ وإِنْ حَثَا التُّرَابَ بِفِيكَ.

وتَسَلَّمْ مِنَ النَّاسِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ.

وتَجَرَّعِ الْغَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أرَ جُرْعَةً أحْلى مِنْهَا عَاقِبَةً، ولاَ أَلَذَّ مَغَبَّةً، ولاَ أدْفَعَ بِسُوءِ أدَبٍ، ولاَ أعْوَنَ عَلى دَرْكِ مَطْلَبٍ. وتَجَرَّعْ مَضَضَ الْحِلْمِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْحِكْمَةِ وثَمَرَةُ الْعِلْمِ.

ولاَ تَصْرِمْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيَابٍ، ولاَ تَهْجُرْهُ دُونَ اسْتِعْتَابٍ، [فَ]لَعَلَّ لَهُ عُذْرٌ وأنْتَ تَلُومُ.

إِقْبَلْ مِنْ مُتَنَصِّلٍ عُذْرَهُ فَتَنَالُكَ الشَّفَاعَةُ.

وأَكْرِمِ الَّذِينَ بِهِمْ نَصْرُكَ، وازْدَدْ لَهُمْ عَلى طُولِ الصُّحْبَةِ بَرّاً وإِكْرَاماً وتَبْجِيلًا.

وأَكْثِرِ الْبِرَّ مَا اسْتَطَعْتَ لِجَلِيسِكَ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ رَأَيْتَ رُشْدَهُ.

ولِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أنْ يَلِينَ لَكَ، وتَظْفَرَ بِطَلِبَتِكَ.

وخُذْ عَلى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أحْلَى الظَّفَرَيْنِ.

[وَ] إِذَا قَدَرْتَ عَلى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَعَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، [فَإِنَ] أوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ.

مَا أَقْبَحَ الأَشَرَ عِنْدَ الظَّفَرِ، والْكَآبَةَ عِنْدَ النَّائِبَةِ، والْقَسْوَةَ عَلَى الْجَارِ، والْخِلاَفَ عَلَى الصَّاحِبِ، والْحِنْثَ مِنْ ذَوِي الْمُرُوءَةِ، والْغَدْرَ مِنَ السُّلْطَانِ. ومَا أَقْبَحَ الْقَطِيعَةَ بَعْدَ الصِّلَةِ، والْجَفَاءَ بَعْدَ الإِخَاءِ، والْعَدَاوَةَ بَعْدَ الْمَحَبَّةِ، وزَوَالَ الأُلْفَةِ بَعْدَ اسْتِحْكَامِهَا، والْخِيَانَةَ لِمَنِ ائْتَمَنَكَ، والْغَدْرَ بِمَنِ اسْتَأْمَنَ إِلَيْكَ.

أَغْضِ عَلَى الْقَذَى والأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً.

إِنِ اسْتَنَمْتَ إِلى وَدُودِكَ فَاحْرِزْ لَهُ مِنْ سِرِّكَ مَا لَعَلَّكَ أَنْ تَنْدَمَ عَلَيْهِ وَقْتاً مَّا.

وإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَّا، ومَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، ومَنْ رَجَاكَ فَلاَ تُخَيِّبْ أَمَلَه.

إِيَّاكَ أَنْ تَغْفَلَ عَنْ حَقِّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلى وَاجِبِ حَقِّكَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لأَخِيكَ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ، ولاَ تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلى مَا بَيْنَكَ وبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ.

ولاَ يَكُنْ أَهْلُكَ وذَوُوكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ.

يَا بُنَيَّ، لاَ تَسْتَخِفَّنَّ بِرَجُلٍ تَرَاهُ أَبَداً، فَإِنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْكَ فَاحْسِبْ أَنَّهُ أَبُوكَ، وإِنْ كَانَ مِثْلَكَ فَهُوَ أَخُوكَ، وإِنْ كَانَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَاحْسِبْ أَنَّهُ ابْنُكَ.

ولاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، ولاَ تَزْهَدَنَّ فِيمَنْ رَغِبَ إِلَيْكَ، [فَإِنْ] زُهْدَكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، ورَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ.

ولاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوى عَلى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلى صِلَتِه، ولاَ يَكُونَنَّ عَلَى السَّاءَةِ أَقْوى مِنْكَ عَلَى الاِحْسَانِ، ولاَ عَلَى الْبُخْلِ أَقْوى مِنْكَ عَلَى الْبَذْلِ، ولاَ عَلَى التَّقْصِيرِ أَقْوى مِنْكَ عَلَى الْفَضْلِ.

ولاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعى فِي مَضَرَّتِه ونَفْعِكَ، ولَيْسَ جَزَاءُ مَنْ عَظَّمَ شَأْنَكَ أَنْ تَضَعَ مِنْ قَدْرِه، ولاَ جَزَاءُ مَنْ نَفَعَكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

واعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ:

رِزْقٌ تَطْلُبُهُ.

ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ.

فَلاَ تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلى هَمِّ يَوْمِكَ، [وَ] لاَ تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذي لَمْ يَأْتِ عَلى يَوْمِكَ الَّذي أَنْتَ فيه.

وكَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ مَا هُوفيه، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ الله - تَعَالى جَدُّهُ- سَيُؤْتِيكَ في كُلِّ غَدٍ جَديدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ والْغَمِّ فيمَا لَيْسَ لَكَ.

واعْلَمْ أَنَّهُ لَنْ يَسْبِقَكَ إِلى رِزْقِكَ طَالِبٌ، ولَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، ولَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ، ولَنْ يَفُوتَكَ مَا قُسِمَ لَكَ.

فَكَمْ مِنْ طَالِبٍ مُتْعِبٍ نَفْسَهُ مُقْتَرٍ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، ومُقْتَصِدٍ فِي الطَّلَبِ قَدْ سَاعَدَتْهُ الْمَقَادِيرُ، وكُلٌّ مَقْرُونٌ بِهِ الْفَنَاءُ.

والْيَوْمُ لَكَ وأَنْتَ مِنْ بُلُوغِ غَدٍ عَلى غَيْرِ يَقِينٍ.

فَلاَ يَغُرَّنَّكَ مِنَ اللَّهِ طُولُ حُلُولِ النِّعَمِ، وإِبْطَاءُ مَوَارِدِ النِّقَمِ، فَإِنَّهُ لَوخَشِيَ الْفَوْتَ عَاجَلَ بِالْعُقُوبَةِ قَبْلَ الْمَوْتِ.

[يَا بُنَيَّ،] إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وأَخْيَبَهُمْ سَعْياً، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ في طَلَبِ آمَالِه، وشُغِلَ بِهَا عَنْ مَعَادِه، ولَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلى إِرَادَتِه، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِه، وقَدِمَ عَلَى الآخِرَةِ بِتَبِعَتِه.

واعْلَمْ، أَيْ بُنَيَّ، أَنَّ الدَّهْرَ ذُوصُرُوفٍ، فَلاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ تَشْتَدُّ لأَنِمَّتُهُ، ويَقِلُّ عِنْدَ النَّاسِ عُذْرُهُ.

مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، والْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنى.

[يَا بُنَيَّ،] إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ، وإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلى مَا تَفَلَّتَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ.

واسْتَدلَّ عَلى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْبَاهٌ.

لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ، ومَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ.

لاَ تَكْفُرَنَّ نِعْمَةً، فَإِنَّ كُفْرَ النِّعْمَةِ مِنَ الأَمِ الْكُفْرِ.

ولاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ لاَ تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلاَّ إِذَا بَالَغَتْ في إِيلاَمِه، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالأَدَبِ الْقَلِيلِ، والْبَهَائِمَ لاَ تَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّرْبِ الأَلِيمِ.

واتَّعِظْ بِغَيْرِكَ، ولاَ يَكُونَنَّ غَيْرُكَ مُتَّعِظاً بِكَ.

واخْتَذ بِحِذَاءِ الصَّالِحِينَ، واقْتَدِ بِآدَابِهِمْ، وسِرْ بِسِيرَتِهِمْ.

واعْرِفِ الْحَقَّ لِمَنْ عَرَضَهُ لَكَ رَفِيعاً كَانَ أَووَضِيعاً.

واطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وحُسْنِ الْيَقِينِ.

[فَإِنَّ] مَنْ لَمْ يُنْجِه الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ، ومَنْ لَمْ يُصْلِحْهُ الْوَرَعُ أَفْسَدَهُ الطَّمَعُ.

سَاعَاتُ الْهُمُومِ سَاعَاتُ الْكَفَّارَاتِ، والسَّاعَاتُ تُنْفِدُ الْعُمُرَ.

لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

لاَ خَيْرَ في لَذَّةٍ بَعْدَهَا النَّارُ.

ومَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ.

ونِعْمَ حَظُّ الْمَرْءِ الْقَنَاعَةُ، وشَرُّ مَا أَشْعَرَ قَلْبَ الْمَرْءِ الْحَسَدُ.

صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ.

وفِي الْقُنُوطِ التَّفْرِيطُ، وفِي الْخَوْفِ مِنَ الْعَوَاقِبِ الْبَغْيُ.

فَاصْرِفْ عَنْكَ الْحَسَدَ تَغْنَمْ، وانْقِ صَدْرَكَ مِنَ الْغِلِّ تَسْلَمْ، وارْجُ الَّذِي بِيَدِهِ الأَقْوَاتُ وخَزَائِنُ الأَرْضِ والسَّمَوَاتِ، وسَلْهُ طِيبَ الْمَكَاسِبِ، تَجِدْهُ مِنْكَ قَرِيباً ولَكَ مُجِيباً.

والشُّحُّ يَجْلِبُ الْمَلاَمَةَ، [وَ] سُوءُ الطُّعْمَةِ يُفْسِدُ الْعِرْضَ، ويَخْلُقُ الْوَجْهَ، ويَمْحَقُ الدِّينَ.

والصَّاحِبُ الصَّالِحُ مُنَاسِبٌ.

صَدِيقُكَ أَخُوكَ لأَبِيكَ وأُمِّكَ، ولَيْسَ كُلُّ أَخٍ مِنْ أَبِيكَ وأُمِّكَ صَدِيقُكَ.

والصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ.

والْهَوى شَرِيكُ الْعَمى، والْهُدى يُجَلِّي الْعَمى.

ومِنَ التَّوْفِيقِ الْوُقُوفُ عِنْدَ الْحَيْرَةِ.

ونِعْمَ طَارِدُ الْهُمُومِ الْيَقِينُ.

وعَاقِبَةُ الْكَذِبِ النَّدَمُ، وعَاقِبَةُ الصِّدْقِ النَّجَاةُ. .

[أَيْ بُنَيَّ،] رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ وقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ.

الْقَرِيبُ مَنْ قَرَّبَتْهُ الْمَوَدَّةُ وإِنْ بَعُدَ نَسَبُهُ، والْبَعِيدُ مَنْ بَاعَدَتْهُ الْعَدَاوَةُ وإِنْ قَرُبَ نَسَبُهُ.

الْمُجَرِّبُ أَحْكَمُ مِنَ الطَّبِيبِ، والْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ.

لاَ يَعْدِمُكَ مِنْ حَبِيبٍ شَفِيقٍ سُوءُ ظَنٍّ. ومَنْ حَمى ظَنى.

مَنْ عَتَبَ عَلَى الدَّهْرِ طَالَ مَعْتَبُهُ، ومَنْ رَكِبَ الْبَاطِلَ أَهْلَكَهُ مَرْكَبُهُ، ومَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، ومَنِ اقْتَصَرَ عَلى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقى لَهُ.

[يَا بُنَيَّ،] لاَ تَكُنْ مِضْحَاكاً مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ، ولاَ مَشَّاءً إِلى غَيْرِ أَرَبٍ.

نِعْمَ الْخُلُقُ التَّكَرُّمُ، وأَلأَمُ اللُّؤْمِ الْبَغْيُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ.

والْحَيَاءُ سَبَبٌ إِلى كُلِّ جَمِيلٍ.

وأَوْثَقُ الْعُرَى التَّقْوى، وأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ - سُبْحَانَهُ وتعالى -.

ومَنَّكَ مَنْ أَعْتَبَكَ.

والاِفْرَاطُ فِي الْمَلاَمَةِ يَشِبُّ نَارَ اللَّجَاجَةِ.

ومَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوٌّ لَكَ.

كَمْ مِنْ دَنِفٍ قَدْ نَجَا، وصَحِيحٍ قَدْ هَوى، وقَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً إِذَا كَانَ الطَّمَعُ

هَلاَكاً.

[يَا بُنَيَّ،] لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، ولاَ كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ. ، ولاَ كُلُّ دُعَاءٍ يُجَابُ، وربَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وأَصَابَ الأَعْمى رُشْدَهُ.

لَيْسَ كُلُّ مَنْ طَلَبَ وَجَدَ، ولاَ كُلُّ مَنْ تَوَقَّى نَجَا.

أَخِرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وافْعَلِ الْخَيْرَ مَا أَمْكَنَ، وازْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ لَكَيْ يَرْغَبَ بالإِحْسَانِ.

وأَحْسِنْ إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ.

واحْتَمِلْ أَخَاكَ عَلى كُلِّ مَا فِيهِ، ولاَ تُكْثِرِ الْعِتَابَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الضَّغِينَةَ، ويَجُرُّ إِلَى الْبُغْضَةِ.

وعَاتِبْ مَنْ رَجَوْتَ عُتْبَاهُ، وفَاكِهْ مَنْ أَمِنْتَ بَلْوَاهُ.

وقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ.

وقَبِيحٌ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ حَسَنٍ جَاهِلٍ.

ومِنَ الْكَرَمِ مَنْعُ الْحَزْمِ.

مَا أَقْرَبَ النِّقْمَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ والْعُدْوَانِ.

[أَيْ بُنَيَّ،] لاَ تَبِيتَنَّ مِن امْرِئٍ عَلى غَدْرٍ.

الْغَدْرُ شَرُّ لِبَاسِ الْمُسْلِمِ، وأَخْلَقُ بِمَنْ غَدَرَ أَنْ لاَ يُوفى لَهُ.

الْوَفَاءُ لأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ، والْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ الله - تعالى- .

زَلَّةُ الْمُتَوَقِّي أَشَدُّ زَلَّةٍ، وعِلَّةُ الْقُبْحِ أَقْبَحُ عِلَّةٍ. والْفَسَادُ يُبِيرُ الْكَثِيرَ، والاقْتِصَادُ يُنْمِي الْيَسِيرَ. والْقِلَّةُ ذِلَّةٌ، وبِرُّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَكْرَمِ الطِّبَاعِ.

الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ ظَهَرَ.

[وَ] مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً فِي قَلْبِهِ إِلاَّ ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وصَفَحَاتِ وَجْهِهِ.

والْمُخَافِتُ شَرّاً يَخَافُ. والْخَوْفُ شَرٌّ لَحَافٍ.

والزَّلَلُ مَعَ الْعَجَلِ.

ولاَ خَيْرَ في لَذَّةٍ تَعْقُبُ نَدَماً.

إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ وَعَظَتْهُ التَّجَارِبُ، والْجَاهِلُ مَنْ خَدَعَتْهُ الْمَطَالِبُ.

[يَا بُنَيَّ،] مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ، ورَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ، واحْتِمَالُكَ دَلِيلُ حِلْمِكَ.

ولَيْسَ مَعَ الْخِلاَفِ ائْتِلاَفٌ، ولَيْسَ مَعَ الشَّرِّ عَفَافٌ.

ومَنْ خَيَّرَ خَوَّاناً فَقَدْ خَانَ.

مِنْ حُسْنِ الْجِوَارِ تَفَقُّدُ الْجَارِ.

لَنْ يَهْلِكَ مَنِ اقْتَصَدَ، ولَنْ يَفْتَقِرَ مَنْ زَهَدَ.

يُنْبِئُ عَنِ سِرِّ الْمَرْءِ دَخِيلُهُ.

رُبَّ بَاحِثٍ عَنْ حَتْفِه.

[أَيْ بُنَيَّ،] لاَ تَشُوبَنَّ بِثِقَةٍ رَجَاءً.

مَا كُلُّ مَا يُخْشَى يَضُرُّ.

رُبَّ هَزْلٍ عَادَ جِدّاً.

مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، ومَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ، ومَنْ تَرَغَّمَ عَلَيْهِ أَرْغَمَهُ، ومَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ أَسْلَمَهُ.

ولَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ.

إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.

[أَيْ بُنَيَّ،] خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ.

الْمِزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ.

أَعْذَرُ مَنِ اجْتَهَدَ، وربَّمَا أَكْدَى الْحَرِيصُ.

رَأْسُ الدِّينِ صُحْبَةُ الْمُتَّقِينِ، وتَمَامُ الإِخْلاَصِ تَجَنُّبُ الْمَعَاصِي.

وخَيْرُ الْمَقَالِ مَا صَدَّقَهُ حُسْنُ الْفِعَالِ، وأَحْسَنُ الْكَلاَمِ مَا زَانَهُ حُسْنُ النِّظَامِ، وفَهِمَهُ الْخَاصُّ والْعَامُّ.

والسَّلاَمَةُ مَعَ الاسْتِقَامَةِ، والدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ.

[يَا بُنَيَّ،] سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ، وكُنْ مِنَ الدُّنْيَا عَلى قُلْعَةٍ.

إِحْتَمِلْ دَالَّةَ مَنْ أَدَلَّ عَلَيْكَ، واقْبَلِ الْعُذْرَ مِمَّنِ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ، وأَحْسِنْ إِلى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ.

وخُذِ الْعَفْوَ مِنَ النَّاسِ، ولاَ تُبَلِّغْ إِلى أَحَدٍ مَكْرُوهَهُ.

إِرْحَمْ أَخَاكَ وإِنْ عَصَاكَ، وصِلْهُ وإِنْ جَفَاكَ.

وعَوِّدْ نَفْسَكَ السَّمَاحَ، وتَخَيَّرْ لَهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ فَإِنَّ الْخُلُقَ عَادَةٌ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلاَمِ مَا يَكُونُ قَذَراً أَومُضْحِكاً، وإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ، وأَنْصِفْ مِنْ نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْتَصَفَ مِنْكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجَلُّ لِقَدْرِكَ، وأَجْدَرُ بِرِضَا رَبِّكَ.

أَيْ بُنَيَّ، إِيَّاكَ ومُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، إِلاَّ مَنْ جَرَّبْتَ بِكَمَالٍ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلى أَفْنٍ، وعَزْمَهُنَّ إِلى وَهْنٍ.

واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى لَهُنَّ.

ولَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ.

وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ مِنَ الرِّجَالِ فَافْعَلْ، [فَإِنَّ] غَيْرَةَ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وغَيْرَةَ الْمَرْءِ إِيمَانٌ.

وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تُمَلِّكَ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَافْعَلْ، فَإِنَّ ذلِكَ أَنْعَمُ لِحَالِهَا، وأَرْخَى لِبَالِهَا، وأَدْوَمُ لِجَمَالِهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، ولَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ، فَدَارِهَا عَلى كُلِّ حَالٍ، وأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ لَهَا، يَصْفُ عَيْشُكَ.

ولاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، ولاَ تُطْمِعْهَا في أنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا، فَيَميلُ مَنْ شَفَعَتْ لَهُ عَلَيْكَ مَعَهَا.

ولاَ تُطِلِ الْخَلْوَةَ مَعَ النِّسَاءِ فَيَمْلكْنَكَ أويَمَلَّنَكَ وتَمَلَّهُنَّ.

واسْتَبْقِ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً، فَإنَّ إمْسَاكَكَ عَنْهُنَّ وهُنَّ يَرَيْنَ أنَّكَ ذُواقْتِدَارٍ خَيْرٌ مِنْ أنْ يَعْثُرْنَ لَكَ عَلَى انْكِسَارٍ.

وإيَّاكَ والتَّغَايُرَ في غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإنَّ ذَلِكَ يَدْعُوالصَّحيحَةَ مِنْهُنَّ إلَى السَّقَمِ، والْبَريئَةَ إلَى الرَّيْبِ. ولكِنْ أحْكِمْ أمْرَهُنَّ، فَإنْ رَأيْتَ مِنْ نِسَائِكَ رِيبَةً فَاجْعَلْ لَهُنَّ النَّكيرَ عَلَى الْكَبيرِ والصَّغيرِ.

وإيَّاكَ أنْ تُكَرِّرَ الْعَتَبَ، فَإنَّ ذَلِكَ يُغْري بالذَّنْبِ، ويُهَوِّنُ الْعَتَبَ.

[أيْ بُنَيَّ،] خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ، والْجُبْنُ، والْبُخْلُ.

فَإذَا كَانَتِ الْمَرْأةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا.

وإذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا.

وإذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا ومَالَ بَعْلِهَا.

[يَا بُنَيَّ،] أحْسِنْ لِلْمَمَاليكَ الأدَبَ، وأقْلِلِ الْغَضَبَ، ولاَ تُكْثِرِ الْعَتَبَ في غَيْرِ ذَنْبٍ.

وإنْ أجْرَمَ أحَدٌ مِنْهُمْ جُرْماً فَأحْسِنِ الْعَذْلَ، فَإنَّ الْعَفْوَمَعَ الْعَذْلِ أشَدُّ مِنَ الضَّرْبِ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ.

وخِفِ الْقِصَاصَ، ولاَ تُمَسِّكْ مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ.

واجْعَلْ لِكُلِّ إنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإنَّهُ أحْرى أنْ لاَ يَتَوَاكَلُوا في خِدْمَتِكَ.

وأكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذي بِهِ تَطيرُ، وأصْلُكَ الَّذي إلَيْهِ تَصيرُ، ويَدُكَ الَّتي بِهَا تَصُولُ، وهُمُ الْعُدَّةُ عِنْدَ الشِّدَّةِ، فَأكْرِمْ كَريمَهُمْ، وعُدْ سَقيمَهُمْ، واشْرَكْهُمْ في أُمُورِهِمْ، وتَيَسَّرْ عِنْدَ مَعْسُورِهِمْ.

إِرْفِقْ بِالْبَهَائِمِ، لاَ تُوقِفْ عَلَيْهَا أَحْمَالَهَا، ولاَ تُسْقِى بِلُجُمِهَا، ولاَ تُحَمِّلْ فَوْقَ طَاقَتِهَا.

كَيْفَ وأَنَّى بِكَ، يَا بُنَيَّ، إِذَا صِرْتَ فِي قَوْمٍ صَبِيُّهُمْ عَادٍ، وشَابُّهُمْ فَاتِكٌ، وشَيْخُهُمْ لاَ يَأْمُرُ بِمَعْرُوفٍ ولاَ يَنْهى عَنْ مُنْكَرٍ.

وعَالِمُهُمْ خَبٌّ مُوَارٍ، قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ هَوَاهُ، وتَمَسَّكَ بِعَاجِلِ دُنْيَاهُ.

أَشَدُّهُمْ عَلَيْكَ إِقْبَالًا يَرْصُدُكَ بِالْغَوَائِلِ، ويَطْلُبُ الْجَنَّةَ بِالتَّمَنِّي، ويَطْلُبُ الدُّنْيَا بِالاجْتِهَادِ.

خَوْفُهُمْ آجِلٌ، ورَجَاؤُهُمْ عَاجِلٌ.

لاَ يَهَابُونَ إِلاَّ مَنْ يَخَافُونَ لِسَانَهُ، ولاَ يُكْرِمُونَ إِلاَّ مَنْ يَرْجُونَ نَوَالَهُ.

دِينُهُمُ الرِّيَاءُ، وكُلُّ حَقٍّ عِنْدَهُمْ مَهْجُورٌ.

يُحِبُّونَ مَنْ غَشَّهُمْ، ويُجِلُّونَ مَنْ دَاهَنَهُمْ.

قُلُوبُهُمْ خَاوِيَةٌ، لاَ يَسْمَعُونَ دُعَاءً، ولاَ يُجِيبُونَ سَائِلًا.

قَدِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْغَفْلَةِ، وغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا.

إِنْ تَرَكْتَهُمْ لَمْ يَتْرُكُوكَ، وإِنْ تَابَعْتَهُمُ اغْتَالُوكَ.

إِخْوَانُ الظَّاهِرِ، وأَعْدَاءُ السَّرَائِرِ.

يَتَصَاحَبُونَ عَلَى غَيْرِ تَقْوى، فَإِذَا افْتَرَقُوا ذَمَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

تَمُوتُ فِيهِمُ السُّنَنُ، وتَحْيَا فِيهِمُ الْبِدَعُ.

فَأَحْمَقُ النَّاسِ مَنْ أَسِفَ عَلَى فَقْدِهِمْ، أَوسُرَّ بِكَثْرَتِهِمْ.

فَكُنْ فِي الْفِتْنَةِ عِنْدَ ذَلِكَ، يَا بُنَيَّ، كَابْنِ اللَّبُونِ، لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَبُ، ولاَ ضَرْعٌ فَيُحْلَبُ، ولاَ وَبَرٌ فَيُسْلَبُ.

ومَا طِلاَبُكَ لِقَوْمٍ إِنْ كُنْتَ عَالِماً عَابُوكَ، وإِنْ كُنْتَ جَاهِلًا لَمْ يُرْشِدُوكَ، وإِنْ طَلَبْتَ الْعِلْمَ قَالُوا: مُتَكَلِّفٌ مُتَعَمِّقٌ، وإِنْ تَرَكْتَ طَلَبَ الْعِلْمِ قَالُوا: عَاجِزٌ غَبِيٌّ.

وإِنْ تَحَقَّقْتَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ قَالُوا: مُتَصَنِّعٌ مُرَاءٍ.

وإنْ لَزِمْتَ الصَّمْتَ قَالُوا: أَلْكَنٌ، وإنْ نَطَقْتَ قَالُوا: مِهْزَالٌ.

وإنْ أَنْفَقْتَ قَالُوا: مُسْرِفٌ، وإنِ اقْتَصَدْتَ قَالُوا: بَخِيلٌ.

وإنِ احْتَجْتَ إلى مَا في أَيْدِيهِمْ صَارَمُوكَ وذَمُّوكَ، وإنْ لَمْ تَعْتَدَّ بِهِمْ كَفَّرُوكَ.

فَهذِهِ صِفَةُ أَهْلِ زَمَانِكَ، فَأَصْغَاكَ مَنْ فَزِعَ مِنْ جُودِهِمْ، وأَمِنَ مِنَ الطَّمَعِ فِيهِمْ، فَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى شَأْنِهِ مُدَارٍ لأَهْلِ زَمَانِهِ.

ومِنْ صِفَةِ الْعَالِمِ أَنْ لاَ يَعِظَ إلاَّ مَنْ يَقْبَلُ عِظَتَهُ، ولاَ يَنْصَحُ مُعْجَباً بِرَأْيِهِ، ولاَ يُخْبِرُ مَا يَخَافُ إِذَاعَتَهُ.

[أَيْ بُنَيَّ،] لاَ تُودِعْ سِرَّكَ إلاَّ عِنْدَ كُلِّ ثِقَةٍ، ولاَ تَلْفِظْ إلاَّ بِمَا يَتَعَارَفُ بِهِ النَّاسُ، ولاَ تُخَالِطْهُمْ إلاَّ بِمَا يَعْقِلُونَ، فَاحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ، وكُنْ فَرْداً وَحِيداً، واسْتَعِنْ بِاللهِ - جَلَّ وعَزَّ - عَلَى أَمْرِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهُ أَكْفَى مُعِينٍ.

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ ودُنْيَاكَ، وأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ والآجِلَةِ، والدُّنْيَا والآخِرَةِ، إنْ شَاءَ اللهُ - تعالى - . والسَّلاَمُ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ.

وصية له عليه السلام (٣)

بما يُعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفّين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

. هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وأَوْصَى فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِيُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، ويُعْطِيَهِ بِهِ الأَمَنَةَ، ويَصْرِفَ بِهِ النَّارَ عَنْهُ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.

لاَ يُبَاعُ ذَلِكَ ولاَ يُوهَبُ ولاَ يُورَثُ حَتَّى يَرِثَهُ اللهُ - عَزَّ وجل - وهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ.

قَضَيْتُ مَا بَيْنِي وبَيْنَ اللَّهِ مَا قَدَّمْتُ حَيٌّ أَنَا أَوْمَيِّتٌ.

إِنَّ مَا كَانَ مِنْ مَالٍ بِيَنْبُعَ يُعْرَفُ لِي فِيهَا ومَا حَوْلَهَا صَدَقَةٌ ورَقِيقُهَا، غَيْرَ أَنَّ رِيَاحاً،

وأخَا نَيْزَرَ، وجُبَيْراً، إنْ حَدَثَ بي حَدَثٌ، فَهُمْ عُتَقَاءُ لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَيْهِمْ سَبيلٌ، بَعْدَ أنْ يَعْمَلُوا في الْمَالِ خَمْسَ حِجَجٍ، ومِنْهُ نَفَقَتُهُمْ ورِزْقُهُمْ وأَرْزَاقُ أَهَاليهِمْ.

وإنَّ زُرَيْقاً لَهُ مِثْلَ مَا كَتَبْتُ لأَصْحَابِه.

ومَا كَانَ لي بِوَادِي الْقُرى كُلِّه مِنْ مَالٍ لِبَني فَاطِمَةَ، ورَقِيقُهَا صَدَقَةٌ.

ومَا كَانَ لي بِدَيْمَةَ وأَهْلُهَا صَدَقَةٌ.

ومَا كَانَ لي بِأُذَيْنَةَ وأَهْلُهَا صَدَقَةٌ.

والْقَفِيرَيْنِ، كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ، صَدَقَةٌ في سَبيلِ اللَّه.

وإنَّ الَّذي كَتَبْتُ مِنْ أَمْوَالي هذه صَدَقَةٌ وَاجِبَةٌ بَتْلَةٌ، حَيٌّ أَنَا أَومَيِّتٌ، تُنْفَقُ في كُلِّ نَفَقَةٍ يُبْتَغَى بِهَا وَجْهُ اللَّه، في سَبيلِ اللَّه ووَجْهِه، وذَوِي الرَّحِمِ مِنْ بَني هَاشِمٍ وبَني عَبْدِ الْمُطَّلِب، والْقَرِيبِ والْبَعِيد.

وإنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوف، ويُنْفِقُ في الْمَعْرُوفِ حَيْثُ يُرِيه الله - عَزَّ وجل - في حِلٍّ مُحَلَّلٍ لاَ حَرَجَ عَلَيْه فيه.

فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَبْذُلَ مَالًا مِنَ الصَّدَقَةِ مَكَانَ مَالٍ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لاَ حَرَجَ عَلَيْه فيه، وإِنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ نَصِيباً مِنَ الْمَالِ فَيَقْضِيَ بِهِ الدَّيْنَ فَلْيَفْعَلْ إِنْ شَاءَ، ولاَ حَرَجَ عَلَيْه فيه، وإِنْ شَاءَ جَعَلَهُ سَرِيَّ الْمُلْك.

وإنَّ وُلْدَ عَلِيٍّ ومَوَاليهِمْ وأَمْوَالِهِمْ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

وإِنْ كَانَتْ دَارُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ دَاراً غَيْرَ دَارِ الصَّدَقَةِ، فَبَدَا لَهُ أَنْ يَبِيعَهَا، فَلْيَبِعْ إِنْ شَاءَ ولا حَرَجَ عَلَيْه فيه.

وإِنْ بَاعَ فَإِنَّهُ يَقْسِمُ ثَمَنَهَا ثَلاَثَةَ أَثْلاَث: فَيَجْعَلُ ثُلُثاً في سَبيلِ اللَّه.

وثُلُثاً في بَني هَاشِمٍ وبَني عَبْدِ الْمُطَّلِب.

ويَجْعَلُ الثُّلُثَ في آلِ أَبي طَالِب، وإِنَّهُ يَضَعُهُ فيهِمْ حَيْثُ يُرِيه اللَّهُ.

فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ، وأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ.

وإنَّ حُسَيْناً يَفْعَلُ فيه مِثْلُ الَّذي أَمَرْتُ بِه حَسَناً، لَهُ مِثْلُ الَّذي كَتَبْتُ لِلْحَسَنِ، وعَلَيْهِ مِثْلُ الَّذي عَلَى الْحَسَنِ.

وإنَّ لابْنَيْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلُ الَّذي لِبَني عَلِيٍّ.

وإنِّي إنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنَيْ فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله - عَزَّ وجل -، وقُرْبَةً إِلى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ، وتَكْرِيماً لحُرْمَتِه، وتَشْرِيفاً لوَصْلَتِه.

وإنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ وحُسَيْنٍ حَدَثٌ فَإنَّ الأَوَّلَ مِنْ ذَوِي السِّنِّ والصَّلاَحِ مِنْ وُلْدِ الآخِرِ مِنْهُمَا يَنْظُرُ في ذَلِكَ.

وإنْ رَأى أَنْ يُولِيَهُ غَيْرَهُ نَظَرَ في بَنِي عَلِيٍّ، فَإنْ وَجَدَ فيهِمْ مَنْ يَرْضى بِهُدَاهُ وإِسْلاَمِه وأَمَانَتِه، فَإنَّهُ يَجْعَلُهُ إِلَيْه إِنْ شَاءَ.

وإنْ لَمْ يَرَفِيهِمْ الَّذي يُرِيدُهُ، فَإنَّهُ يَجْعَلُهُ إِنْ شَاءَ إِلى رَجُلٍ مِنْ آلِ أَبي طَالِبٍ يَرْضى بِه.

فَإنْ وَجَدَ أَنَّ آلَ أَبي طَالِبٍ قَدْ ذَهَبَ أَكَابِرُهُمْ وذَوُو آرَائِهِمْ فَإنَّهُ يَجْعَلُهُ، إِنْ شَاءَ، إِلى رَجُلٍ يَرْضَاهُ مِنْ بَني هَاشِمٍ.

ويَشْتَرِطُ عَلَى الَّذي يَجْعَلُهُ إِلَيْه أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلى أُصُولِه، ويُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِه حَيْثُ أُمِرَ بِه وهُدِيَ لَهُ، مِنْ سَبِيلِ اللَّه ووَجْهِه، وذَوِي الرَّحِمِ مِنْ بَني هَاشِمٍ وبَني عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، الْقَرِيبِ والْبَعِيدِ، وأَنْ لاَ يَبِيعَ مِنْ أَوْلاَدِ نَخِيلِ هذِه الْقُرى وَدِيَّةً حَتَّى تَشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً.

وإنَّ مَالَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلى نَاحِيَةٍ، وهُوَإِلى بَني فَاطِمَةَ.

وكَذَلِكَ مَالُ فَاطِمَةَ إِلى بَنِيهَا.

وإنَّ رَقِيقَيَّ اللَّذَيْنِ في صَحِيفَةِ صَغِيرَةِ الَّتي كَتَبْتُ عُتَقَاءَ.

ومَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللاَّتي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ، فَقَضَائي فيهِنَّ إِنْ حَدَثَ بي حَدَثٌ إِنَّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُنَّ لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ ولَيْسَتْ بِحُبْلى فَهِيَ عَتِيقَةٌ لِوَجْهِ الله - عَزَّ وجل - لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَيْهَا سَبِيلٌ.

ومَنْ كَانَ مِنْهُنَّ لَهَا وَلَدٌ أوهِيَ حَامِلٌ، فَتُمْسِكُ عَلى وَلَدِهَا وهِيَ مِنْ حَظِّه.

فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَيْهَا سَبِيلٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

ولاَ يَحِلُّ لاِمْرِئٍ مُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ أنْ يَقُولَ في شَيْءٍ قَضَيْتُهُ مِنْ مَالي، ويُخَالِفَ فيهِ أَمْرِي مِنْ قَرِيبٍ أوبَعِيدٍ.

هذَا مَا قَضى بِهِ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ في أَمْوَالِهِ هذِهِ، ووَلاَئِدِي التِّسْعَ عَشْرَةَ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ والدَّارِ الآخِرَةِ.

واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلى كُلِّ حَالٍ.

شَهِدَ أَبُوسَمْرِ بْنُ أَبْرَهَةَ، وصَعْصَعَةُ بْنُ صَوْحَانٍ، ويَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ، وهَيَاجُ بْنُ أبي هَيَاجٍ، وعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أبي رَافِعٍ.

وكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ بِيَدِهِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الأُولى سَنَةَ تِسْعٍ وثَلاَثِينَ.

وصية له عليه السلام (٤)

كتبها للحسن والحسين عليهما السلام وباقي أولاده

لمّا ضربه ابن ملجم لعنه اللّه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

هذَا مَا أَوْصى بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ لآخِرِ أَيَّامِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وهُوصَائِرٌ إِلَى بَرْزَخِ الْمَوْتى، والرَّحِيلِ عَنِ الأَهْلِ والأَخِلاَّءِ.

أَوْصى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، اخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ، وارْتَضَاهُ لِخَلْقِهِ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدى ودِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولَوكَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

صَلَوَاتُ اللَّهُ عَلَيْه وعَلى إخْوَانِه الْمُرْسَلينَ وآله وذُرِّيَّته الطَّيِّبينَ، وجَزَى اللَّهُ عَنَّا مُحَمَّداً أفْضَلَ مَا جَزى نَبِيّاً عَنْ أُمَّته.

ثُمَّ إنَّ صَلاَتي، ونُسُكي، ومَحْيَايَ، ومَمَاتي، للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ، لاَ شَريكَ لَهُ، وبِذَلكَ أُمرْتُ وأنَا منَ الْمُسْلمينَ.

ثُمَّ إنِّي أُوصيكُمَا بِتَقْوَى اللَّه، وطَاعَته، والرَّغْبَة في الآخرَة، ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنْتُمْ مُسْلمُونَ.

وأنْ لاَ تَبْغيَا الدُّنْيَا الْفَانيَةَ وإنْ بَغَتْكُمَا، ولاَ تَأسَفَا عَلى شَيْءٍ منْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، فَإنَّكُمَا رَاحلاَن.

وقُولاَ بالْحَقِّ، واعْمَلاَ للأَجْر، وارْحَمَا الْيَتيمَ، وأطْعمَا الْمسْكينَ، وأشْبعَا الْجَائعَ، وأعينَا الضَّعيفَ، وأغيثَا الْمَلْهُوفَ، وكُونَا للظَّالم خَصْماً، وللْمَظْلُوم عَوْناً.

إعْمَلاَ بمَا في كتَاب الله - عَزَّ وجل -، ولاَ تَأْخُذْكُمَا في اللَّه لَوْمَةُ لائم.

واعْتَصمُوا بحَبْل اللَّه جَميعاً ولا تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نعْمَتَ اللَّه عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أعْداءً فَألَّفَ بَيْنَ قُلُوبكُمْ.

إنَّ أوْلَى النَّاس بالأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَم أعْلَمُهُمْ بمَا جَاؤُوا به، [وإنْ] أقْرَبَ النَّاس منَ الأَنْبيَاء عَلَيْهمُ السَّلاَم أعْمَلُهُمْ بمَا أمَرُوا به. [قَالَ الله - تعالى -]: ﴿**إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذينَ اتَّبَعُوهُ وهذَا النَّبيُّ والَّذينَ آمَنُوا واللَّهُ وَليُّ الْمُؤْمنينَ**﴾.

انَّ وَليَّ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ مَنْ أطَاعَ اللَّهَ وإنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ، وإنَّ عَدُوَ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ مَنْ عَصَى اللَّهَ وإنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ.

يَا بَنيَّ، أُوصيكُمَا وجَميعَ مَنْ حَضَرَني منْ وَلَدي وأهْلي ومَنْ بَلَغَهُ كتَابي هذَا منَ الْمُؤْمنينَ بتَقْوَى اللَّه ربِّكُمْ، ونَظْم أمْركُمْ، وصَلاَح ذَات بَيْنكُمْ، فَإنِّي سَمعْتُ جَدَّكُمَا رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يَقُولُ: صَلاَحُ ذَات الْبَيْن أفْضَلُ منْ عَامَّة الصَّلاَة والصِّيَام.

وإنَّ المُبيرَةَ الحَالقَةَ للدِّينِ البُغْضَةُ لذَوي أرْحَامِكُمُ المُؤْمنينَ وفَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ.

ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللَّه العَليِّ العَظيمِ.

انْظُرُوا، يَا بَنِيَّ، إلى ذَوي أرْحَامِكُمْ فَصِلُوهُمْ يُهَوِّنُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الحِسَابَ.

اللَّهَ اللَّهَ في الأيْتَامِ، فَلاَ تُغبُّوا أفْوَاهَهُمْ، ولاَ يَضيعُوا بحَضْرَتِكُمْ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ عَالَ يَتيماً حَتَّى يَسْتَغْنِيَ أوْجَبَ الله - عَزَّ وجل - لَهُ بذَلكَ الجَنَّةَ، كَمَا أوْجَبَ لآكلِ مَالِ اليَتيمِ النَّارَ.

واللَّهَ اللَّهَ في جيرَانكُمْ، فَإنَّهُمْ وَصيَّةُ نَبيِّكُمْ، ومَا زَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يُوصي بهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ.

واللَّهَ اللَّهَ في القُرْآن، فَلاَ يَسْبقُكُمْ بالعَمَلِ به أحَدٌ غَيْرُكُمْ.

واللَّهَ اللَّهَ في الصَّلاَة، فَإنَّهَا خَيْرُ العَمَلِ، وهيَ عَمُودُ دينكُمْ، فَلاَ تَغْفَلُوا عَنْهَا.

واللَّهَ اللَّهَ في الزَّكَاة، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ يَقُولُ: الزَّكَاةُ قَنْطَرَةُ الإسْلاَمِ، فَمَنْ أدَّاهَا جَازَ القَنْطَرَةَ، ومَنْ مَنَعَهَا احْتُبسَ دُونَهَا، وهيَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ- جَلَّ جَلاَلُهُ- .

واللَّهَ اللَّهَ في ابْنِ السَّبيلِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشَنَّ منْ عَشيرَته بمَكَانكُمْ.

واللَّهَ اللَّهَ في فُقَرَاء المُسْلمينَ والمَسَاكينَ، فَأشْرِكُوهُمْ في مَعَايشكُمْ.

واللَّهَ اللَّهَ في الضَّيْف، فَلاَ يَنْصَرفَنَّ إلاَّ شَاكراً لَكُمْ.

واللَّهَ اللَّهَ في شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإنَّ صيَامَهُ جُنَّةٌ حَصينَةٌ منَ النَّار.

واللَّهَ اللَّهَ في حَجِّ بَيْتِ رَبِّكُمْ- عَزَّ وجل -، فَهُوالشَّريعَةُ الَّتي بهَا أُمرْتُمْ، فَلاَ تُخَلُّوهُ مَا بَقيتُمْ، فَإنَّهُ إنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا.

إنَّ أدنى مَا يَرْجعُ به مَنْ أتَاهُ أنْ يُغْفَرَ لَهُ مَا قَدْ سَلَفَ منْ ذَنْبه.

واللَّهَ اللَّهَ في الْجهَاد بأمْوَالكُمْ وأنْفُسكُمْ وألْسنَتكُمْ في سَبيلِ اللَّه، فَإنَّمَا يُجَاهدُ في سَبيلِ اللَّه رَجُلاَن: إمَامُ هُدىً، ومُطيعٌ لَهُ مُقْتَدٍ بهُدَاهُ.

واللَّهَ اللَّهَ في ذُرِّيَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه، فَلاَ يُظْلَمُنَّ بِحَضْرَتِكُمْ وبَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ وأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهُمْ.

واللَّهَ اللَّهَ في أَصْحَابِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله الَّذينَ لَمْ يُحْدِثُوا بَعْدَهُ حَدَثاً، ولَمْ يُؤْوُوا مُحْدِثاً، ولَمْ يَمْنَعُوا حَقّاً، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَلَّمَ أَوْصى بِهِمْ، ولَعَنَ الْمُحْدِثَ مِنْهُمْ ومِنْ غَيْرِهِمْ، والْمُؤْوِيَ لِلْمُحْدِث.

واللَّهَ اللَّهَ في نِسَائِكُمْ وفِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، فَإِنَّ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ به نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ أَنْ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِالضَّعِيفَيْنِ: نِسَائِكُمْ، ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.

الصَّلاَةَ، الصَّلاَةَ، الصَّلاَةَ، ولاَ تَأْخُذَنَّكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، يَكْفِكُمُ اللَّهُ مَنْ أَرَادَكُمْ وبَغى عَلَيْكُمْ.

وعَلَيْكُمْ، يَا بَنِيَّ، بِالتَّوَاصُلِ والتَّبَاذُلِ والتَّبَارِّ، وإِيَّاكُمْ والتَّدَابُرَ والتَّقَاطُعَ والتَّفَرُّقَ.

وتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوى ولا تَعاوَنُوا عَلَى الأِثْمِ والْعُدْوانِ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقاب.

وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً كَمَا أَمَرَكُمُ الله - عَزَّ وجل -.

لاَ تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلِّي اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ.

إِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ عَهِدَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، مُرْ بِالْمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ بِيَدِكَ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِكَ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِكَ، وإِلاَّ فَلاَ تَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَكَ.

يَا بَنِيَّ، لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، ولْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، ولاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، ولاَ عَنِ اللَّه يَعْقِلُونَ، ولَمْ يُعْطَوْا فِي اللَّه مَحْضَ الْيَقِينِ.

كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ، يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، ويُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

أَمَا، واللَّه، لَقَدْ شَهِدْتُ الدَّعَوَاتِ، وسَمِعْتُ الرِّسَالاَتِ، ويُتِمُّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ.

وَيْحٌ لِفِرَاخِ آلِ مُحَمَّدٍ، مِنْ خَلِيفَةٍ غَيْرِ مُسْتَخْلَفٍ، جَبَّارٍ، عَتِيفٍ، مُتْرَفٍ،

يَقْتُلُ خَلَفي وخَلَفَ الْخَلَف.

يَا بَنِيَّ، خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ.

ولاَ تُخْرِجُنَّ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ كَذْبَةً مَا بَقِيتُمْ.

ولاَ تَتَكَلَّمُوا بِالْفُحْشِ، فَإِنَّهُ لاَ يَلِيقُ بِنَا ولاَ بِشِيعَتِنَا، وإِنَّ الْفَاحِشَ لاَ يَكُونُ صِدّيقاً.

وإِنَّ الْمُتَكَبِّرَ مَلْعُونٌ، والْمُتَوَاضِعَ عِنْدَ اللَّه مَرْفُوعٌ.

يَا بَنِيَّ، إِنَّ الْقُلُوبَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تَتَلاَحَظُ بِالْمَوَدَّة وتَتَنَاجى بِهَا، وكَذَلِكَ هِيَ فِي الْبُغْضِ، فَإِذَا أَحْبَبْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَارْجُوهُ، وإِذَا أَبْغَضْتُمُ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ فَاحْذَرُوهُ.

وأُوصِيكُمْ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب خَاصَّةً، أَنْ يَتَبَيَّنَ فَضْلُكُمْ عَلى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ، وتَصْدِيقُ رَجَاءِ مَنْ أَمَّلَكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَشْبَهُ بِأَنْسَابِكُمْ.

وأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وعَلِّمُوهَا أَطْفَالَكُمْ.

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب، لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ غَداً تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي.

أَنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.

ولاَ تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ.

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ والْمُثْلَةَ ولَوبِالْكَلْبِ الْعَقُورِ.

وبعد الانتهاء من وصيته دعا أمير المؤمنين عليه السلام محمداً ولده وقال له: أَمَا سَمِعْتَ مَا أَوْصَيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ.

قال: بلى يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: فَإِنِّي أُوصِيكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وعَلَيْكَ بِبِرِّ أَخَوَيْكَ، الْحَسَنِ والْحُسَيْنِ، الْعَظِيمِ حَقُّهُمَا عَلَيْكَ وتَوْقِيرِهِمَا، ومَعْرِفَةِ فَضْلِهِمَا، فَاتَّبِعْ أَمْرَهُمَا، ولاَ تَقْطَعْ أَمْراً دُونَهُمَا.

ثم أقبل عليه السلام على الحسن والحسين عليهما السلام وقال: أُوصيكُمَا به خَيْراً، فَإِنَّهُ أَخُوكُمَا وابْنُ أبيكُمَا، وأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُحِبُّهُ، فَأَحِبَّاهُ بِحُبِّ أبيكُمَا لَهُ، وأَكْرِمَاهُ، واعْرِفَا حَقَّهُ.

ثم قال عليه السلام: حَفِظَكُمُ اللَّهُ أَهْلَ الْبَيْت، وحَفِظَ فيكُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ، وأَسْتَوْدِعُكُمَ اللَّهَ خَيْرَ مَسْتَوْدَعٍ، وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظيمَ لي ولَكُمْ.

بَلَّغَكُمُ اللَّهُ مَا تَأْمَلُونَ، ووَقَاكُمُ اللَّهُ مَا تَحْذَرُونَ.

واقْرَؤُوا عَلى أَهْلِ مَوَدَّتي السَّلاَمَ والْخَلَف وخَلَفِ الْخَلَف.

والسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللَّه وبَرَكَاتُهُ.

قالت أسماء بنت عميس: ثم شهق عليه السلام شهقة فأغمي عليه.

ثم أفاق وقال: مَرْحَباً، الْحَمْدُ للَّه الَّذي صَدَقَنا وَعْدَهُ وأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّة حَيْثُ نَشاءُ.

قيل له: ما ترى يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: هذَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وسَلَّمَ.

وهذَا أخي جَعْفَرُ.

وهذَا عَمّي حَمْزَةُ.

وأَبْوَابُ السَّمَاء مُفَتَّحَةٌ، والْمَلاَئكَةُ يَنْزِلُونَ عَلَيَّ ويُبَشِّرُونَني بِالْجَنَّة.

وهذه فَاطِمَةُ قَدْ أَحَاطَتْ بِهَا وصَائِفُهَا مِنَ الْحُور الْعِين.

وهذه مَنَازِلي.

لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ.

ثم لم يزل عليه السلام يقول لا إله إلاَّ اللّه حتى مضى.

هنا تمّ إكمال نهج البلاغة

الفهـرس

المقدمة: ٥

الباب الأول ٧

فصل الخطب ٧

خطبة له عليه السلام (١) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض ٩

خطبة له عليه السلام (٢) المعروفة بخطبة الأشباح ١٤

خطبة له عليه السلام (٣) في التوحيد وقد ألقاها بعد انصرافه من صفّين ٢٨

خطبة له عليه السلام (٤) في التوحيد ٣٩

خطبة له عليه السلام (٥) في توحيد اللّه تعالى والتزهيد في الدنيا ٤٦

خطبة له عليه السلام (٦) في وحدانية اللّه سبحانه وتعالى ٤٩

خطبة له عليه السلام (٧) في بيان قدرة اللّه وانفراده بالعظمة وأمر البعث ٥٢

خطبة له عليه السلام (٨) في توحيد اللّه تعالى وعجيب خلق الطّاووس والهمجة ... ٦٣

خطبة له عليه السلام (٩) في عظمة اللّه تعالى وبديع خلقة الخفّاش والذرّة ٧٠

خطبة له عليه السلام (١٠) في قدرة اللّه تعالى والحثّ على التقوى ٧٤

خطبة له عليه السلام (١١) المعروفة بالقاصعة في ذمّ إبليس ٧٨

خطبة له عليه السلام (١٢) وهي المعروفة بالوسيلةويذكر فيها فضل الإسلام ٩١

خطبة له عليه السلام (١٣) لما سأله رجل أن يعرّفه صفة الإسلام والإيمان ١١٤

خطبة له عليه السلام (١٤) في وصف المتّقين والمؤمنين ١٢٣

خطبة له عليه السلام (١٥) في التزهيد في الدنيا ١٣٧
خطبة له عليه السلام (١٦) في الحثّ على الاستعداد للموت ١٤١
خطبة له عليه السلام (١٧) وتسمّى الغرّاء ١٤٧
خطبة له عليه السلام (١٨) في فضيلة الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم ١٦٤
خطبة له عليه السلام (١٩) يبيّن فيها مكانته من رسول اللّه ﷺ وأهل البيت ١٧٤
خطبة له عليه السلام (٢٠) المسمّاة بالطالوتية ١٧٨
خطبة له عليه السلام (٢١) يبيّن فيها فضله وعلمه خطبها بعد النهروان ١٨٦
خطبة له عليه السلام (٢٢) يخبر فيها أيضا بما يحدث في آخر الزمان ٢٢٢
خطبة له عليه السلام (٢٣) لمّا ذكرت الخلافة (الخطبة الشقشقية) ٢٢٨
خطبة له عليه السلام (٢٤) فيمن يتصدّى للحكم بين الأمّة وليس لذلك أهل ٢٣١
خطبة له عليه السلام (٢٥) المعروفة بالديباج فيها وصايا شتّى ٢٤٥
خطبة له عليه السلام (٢٦) خطبها ارتجالاً خالية من النُقط ٢٥١
خطبة له عليه السلام (٢٧) خطبها ارتجالا خالية من النقط وهي خطبة نكاح ٢٥٣
خطبة له عليه السلام (٢٨) الموسومة بالمونقة ارتجلها خالية من حرف الألف ٢٥٥
خطبة له عليه السلام (٢٩) في أول جمعة بعد بيعته وفيها يحذّر من المنافقين ٢٦٠
خطبة له عليه السلام (٣٠) يوم الجمعة التي دخل فيها الكوفة ٢٧٠
خطبة له عليه السلام (٣١) في يوم الجمعة ٢٧٥
خطبة له عليه السلام (٣٢) في يوم الجمعة أيضاً ٢٨١
خطبة له عليه السلام (٣٣) في عيد الفطر ٢٩٢
خطبة له عليه السلام (٣٤) في عيد الأضحى ٢٩٦

خطبة له عليه السلام (٣٥) في الاستسقاء ٣٠٠
خطبة له عليه السلام (٣٦) لمّا أمره النبي صلى الله عليه وآله أن يخطب لنفسه الزهراء عليها السلام ٣٠٤
خطبة له عليه السلام (٣٧)بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٠٦
خطبة له عليه السلام (٣٨) لمّا جيء به ليبايع أبا بكر ٣٠٨
خطبة له عليه السلام (٣٩) بعد ما بويع في المدينة وفيها يخبر الناس بعلمه..... ٣١٠
خطبة له عليه السلام (٤٠) لمّا أنكروا عليه مساواته في القسم ٣١٥
خطبة له عليه السلام (٤١) في أمر البيعة..... ٣١٩
خطبة له عليه السّلام (٤٢) عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة ٣٢٢
خطبة له عليه السلام (٤٣) حين بلغه خلع طلحة والزبير بيعتهما ٣٢٦
خطبة له عليه السّلام (٤٤) عند خروجه لقتال أهل البصرة..... ٣٣٥
خطبة له عليه السلام (٤٥) قبل حرب الجمل في تعليم أصحابه ٣٤٠
خطبة له عليه السلام (٤٦) حين قتل طلحة وانفضّ أهل البصرة..... ٣٤٨
خطبة له عليه السّلام (٤٧) بعد وقعة الجمل في ذمّ أهل البصرة ٣٥١
خطبة له عليه السلام (٤٨) بعد دخوله الكوفة آتياً من البصرة ٣٦٣
خطبة له عليه السلام (٤٩) عند المسير إلى الشام بعد صلاته المغرب بالناس..... ٣٦٦
خطبة له عليه السلام (٥٠) وهوسائر إلى صفّين..... ٣٦٧
خطبة له عليه السلام (٥١) في معركة صفّين يحضّ أصحابه فيها على القتال ٣٧٠
خطبة له عليه السلام (٥٢) في بعض أيام صفّين ٣٧٣
خطبة له عليه السلام (٥٣) بصفّين لمّا غلب أصحاب معاوية على الفرات..... ٣٧٦
خطبة له عليه السلام (٥٤) في بعض أيام صفّين أيضاً..... ٣٧٧

خطبة له عليه السلام (٥٥) في إحدى أيام صفّين ٣٨٠
خطبة له عليه السلام (٥٦) بعد استشهاد محمّد بن أبي بكر رضوان اللّه عليه ٣٨١
خطبة له عليه السلام (٥٧) بعد ما بلغه غدر بن العاص بالأشعري في التحكيم ٣٨٤
خطبة له عليه السلام (٥٨) في تخويف أهل النهروان ٣٨٧
خطبة له عليه السلام (٥٩)وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء معاوية للبلاد ٣٩١
خطبة له عليه السلام (٦٠) في الحضّ على الجهاد لمّا بلغه أن أصحاب معاوية ٣٩٥
خطبة له عليه السلام (٦١) قبل أيام من استشهاده ٣٩٩
خطبة له عليه السلام (٦٢) قبيل موته ٤٢٤
الباب الأول ٤٢٩
فصل الكلمات ٤٢٩
كلام له عليه السلام (١) لذعلب اليماني ٤٣١
كلام له عليه السلام (٢) لما قال له رجل: بماذا عرفت ربك؟ ٤٣٢
كلام له عليه السلام (٣) لمّا سئل عن التوحيد والعدل ٤٣٢
كلام له عليه السلام (٤) لمّا سئل عن القدر ٤٣٣
كلام له عليه السلام (٥) في معنى قضاء اللّه وقدره ٤٣٤
كلام له عليه السلام (٦) لمن سأله عن الإيمان والنفاق ٤٣٥
كلام له عليه السلام (٧) لكميل رحمه الله في قواعد الإسلام ومعنى الاستغفار ٤٣٦
كلام له عليه السلام (٨) قاله بعد تلاوته: ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر ٤٣٨
كلام له عليه السلام (٩)عند تلاوته: يسبّح له فيها بالغدووالآصال ٤٤١
كلام له عليه السلام (١٠) قاله عند تلاوته: يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم.... ٤٤٢

كلام له عليه السلام (١١) في قوله تعالى: ثم لتُسئلُنّ يومئذ عن النعيم ٤٤٤
كلام له عليه السلام (١٢) في قوله تعالى: فاصفح الصفح الجميل ٤٤٤
كلام له عليه السلام (١٣) في قوله تعالى: أكّالون للسُّحت ٤٤٤
كلام له عليه السلام (١٤) في قوله تعالى: فلنُحيينَّه حياة طيبة ٤٤٥
كلام له عليه السلام (١٥) في قوله تعالى: إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان ٤٤٥
كلام له عليه السلام (١٦) في قوله تعالى: له مُعقِّبات من بين يديه ومن خلفه ٤٤٥
كلام له عليه السلام (١٧) لما سئل عن سبب عدم استجابة الدعوات ٤٤٦
كلام له عليه السلام (١٨) لسلمان الفارسي رحمه اللّه ٤٤٧
كلام له عليه السلام (١٩) لما قيل له: لوسُدّ على رجل باب بيته، وتُرك فيه ٤٤٧
كلام له عليه السلام (٢٠) لمّا سأله الحسن عليه السلام عن حب الناس للدنيا ٤٤٧
كلام له عليه السلام (٢١) لرجل سأله أن يعظه ٤٤٨
كلام له عليه السلام (٢٢) كان كثيراً ينادي أصحابه به بعد صلاة العشاء ٤٥٠
كلام له عليه السلام (٢٣) لمّا شكى إليه رجلٌ الحاجة ٤٥١
كلام له عليه السلام (٢٤) لمّا رُئي عليه إزار خلَق مرقوع، فقيل له في ذلك ٤٥٢
كلام له عليه السلام (٢٥) وقد مرّ مع أصحابه بقذر على مزبلة ٤٥٢
كلام له عليه السلام (٢٦) لمن أسف على مال فقده ٤٥٢
كلام له عليه السلام (٢٧) لنوف البكالي ٤٥٣
كلام له عليه السلام (٢٨) لمّا سأله رجل أن يصف الدنيا ٤٥٥
كلام له عليه السلام (٢٩) من خبر ضرار بن ضمرة الضبائي ٤٥٥
كلام له عليه السلام (٣٠) لمن سأله عن الخير ما هو ٤٥٨

كلام له عليه السلام (٣١) لمّا قال له عبد اللّه بن جعفر: كيف تجدك ٤٥٩
كلام له عليه السلام (٣٢) لمّا سمع رجلًا يذمّ الدنيا مُطنباً ٤٥٩
كلام له عليه السلام (٣٣) لمن سأله عن الزهد ٤٦٣
كلام له عليه السلام (٣٤) وقد تبع جنازة فسمع رجلًا يضحك.....٤٦٣
كلام له عليه السلام (٣٥) وقد سمع رجلًا يقول: أللهم إني أعوذ بك من الفتنة ٤٦٤
كلام له عليه السلام (٣٦) لبعض أصحابه في أهله ٤٦٤
كلام له عليه السلام (٣٧) لمّا سئل عن فساد أحوال العامّة.....٤٦٥
كلام له عليه السلام (٣٨) ٤٦٥
كلام له عليه السلام (٣٩) وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ٤٦٦
كلام له عليه السلام (٤٠).....٤٧٠
كلام له عليه السلام (٤١) في أصناف الناس وفضيلة العلم وجملة وصايا ٤٧١
كلام له عليه السلام (٤٢) لمّا اجتمع عنده جماعة فتذاكروا المعروف ٤٨٣
كلام له عليه السلام (٤٣) لبعض أصحابه في علّة اعتلّها ٤٨٣
كلام له عليه السلام (٤٤) معزّياً قوماً عن ميت مات لهم ٤٨٤
كلام له عليه السلام (٤٥) وقد عزّى الأشعث بن قيس في ابن له.....٤٨٤
كلام له عليه السلام (٤٦) وقد عزّى رجلًا مات له ولد ورُزق بولد ٤٨٥
كلام له عليه السلام (٤٧) لمّا هنّأ بحضرته رجل رجلًا بغلامٍ وُلد له ٤٨٥
كلام له عليه السلام (٤٨) لمّا سئل: كيف كان حبّكم للرسول صلى الله عليه وآله ٤٨٥
كلام له عليه السلام (٤٩) في بيان شجاعة النبي صلى الله عليه وآله ٤٨٦
كلام له عليه السلام (٥٠) لمّا سئل عن قُريش ٤٨٦

كلام له عليه السلام (٥١) لمّا سئل: أيهما أفضل: العدل، أوالجود ٤٨٦
كلام له عليه السلام (٥٢) لمّا قيل له: ما السخاء ٤٨٧
كلام له عليه السلام (٥٣) لمّا قيل له: صِف لنا العاقل ٤٨٧
كلام له عليه السلام (٥٤) لمّا سئل: من أشعر الشعراء ٤٨٧
كلام له عليه السلام (٥٥) لابن أخته جعدة بن هبيرة ٤٨٧
كلام له عليه السلام (٥٦) وهويحلف اليمين ٤٨٨
كلام له عليه السلام (٥٧) وقد أُتي بجانٍ ومعه غوغاء الناس ٤٨٨
كلام له عليه السلام (٥٨) لمّا قيل له: بأي شيء غلبت الأقران ٤٨٨
كلام له عليه السلام (٥٩) لمّا قيل له: أنت محروب، فلواتّخذت طِرْفاً ٤٨٨
كلام له عليه السلام (٦٠) في خطورة موقع صاحب السلطان ٤٨٩
كلام له عليه السلام (٦١) عن حال الغضب ٤٨٩
كلام له عليه السلام (٦٢) لعبد اللّه بن جعفر حين وكّله في الخصومة ٤٨٩
كلام له عليه السلام (٦٣) لبعض مخاطبيه وقد تكلم بكلمة ٤٨٩
كلام له عليه السلام (٦٤) وقد سمع رجلًا يغتاب آخر عند ٤٩٠
كلام له عليه السلام (٦٥) في أهمية النوافل ٤٩٠
كلام له عليه السلام (٦٦) وقد قال يوماً: ما أحسنتُ إلى أحد ٤٩٠
كلام له عليه السلام (٦٧) لرجل من أصحابه أكثر الثناء عليه ٤٩١
كلام له عليه السلام (٦٨) لقوم مدحوه في وجهه ٤٩٢
كلام له عليه السلام (٦٩) لرجل أفرط في الثناء عليه وكان له متّهماً ٤٩٢
كلام له عليه السلام (٧٠) في آداب الكتابة ٤٩٢

كلام له عليه السلام (٧١) في آداب الكتابة ٤٩٣
كلام له عليه السلام (٧٢) أراد به بعض أصحابه ٤٩٣
كلام له عليه السلام (٧٣) لمّا رُفع إليه رجلان سرقا من مال اللّه أحدهما ٤٩٤
كلام له عليه السلام (٧٤) لأصحابه لمّا كان جالساً يوماً فيهم فمرّت ٤٩٤
كلام له عليه السلام (٧٥) لمّا شيّع جيشاً بغزية ٤٩٥
كلام له عليه السلام (٧٦) لرجل من عمّاله بنى بناءً فخماً ٤٩٥
كلام له عليه السلام (٧٧) لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق لمّا دخل عليه ٤٩٥
كلام له عليه السلام (٧٨) وهو يلي غسل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وتجهيزه ٤٩٦
كلام له عليه السلام (٧٩) على قبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله ساعة دفنه ٤٩٦
كلام له عليه السلام (٨٠) بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وآله لمّا انتهت إليه أنباء السقيفة ...٤٩٧
كلام له عليه السلام (٨١) لمّا قال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم ٤٩٧
كلام له عليه السلام (٨٢) لولده الحسن عَليه السَّلام لمّا وقف عليه سائل ٤٩٨
كلام له عليه السلام (٨٣) لعمه العباس بشأن الصلاة على الزهراء ٤٩٩
كلام له عليه السلام (٨٤) عند دفنه سيدة النساء فاطمة عليها السلام مناجياً الرسول ٤٩٩
كلام له عليه السلام (٨٦) عن حليّ الكعبة ٥٠٠
كلام له عليه السلام (٨٧) لعمر وقد شاوره في الخروج إلى غزوالروم بنفسه ٥٠١
كلام له عليه السلام (٨٨) لعمر لمّا استشاره في قتال الفُرس بنفسه ٥٠٢
كلام له عليه السلام (٨٩) لبنت كسرى وقد سألها لمّا أُسرت ٥٠٣
كلام له عليه السلام (٩٠) يوم الشورى قبل البيعة لعثمان ٥٠٤
كلام له عليه السلام (٩١) لأبي ذر رحمه الله ٥١٧

كلام له عليه السلام (٩٢) لمّا أراد عثمان أن يسفّر عمّار بن ياسر ٥١٧
كلام له عليه السلام (٩٣) وقد وقعت مشاجرة بينه عليه السلام وبين عثمان ٥١٨
كلام له عليه السلام (٩٤) لسعيد بن العاص ٥١٨
كلام له عليه السلام (٩٥) لعثمان بن عفان ٥١٩
كلام له عليه السلام (٩٦) لمّا سمع قوماً يذمّون عثمان بن عفّان ٥١٩
كلام له عليه السلام (٩٧) لعثمان بن عفان لمّا اجتمع الناس إليه ٥١٩
كلام له عليه السلام (٩٨) لعبد اللّه بن عباس ٥٢١
كلام له عليه السلام (٩٩) لمّا اريد على البيعة بعد مقتل عثمان ٥٢٢
كلام له عليه السلام (١٠٠) بعد ما بويع في المدينة ٥٢٢
كلام له عليه السلام (١٠١) لعبد اللّه بن عباس..... ٥٢٣
كلام له عليه السلام (١٠٢) لعبد اللّه بن زمَعة وهومن شيعته ٥٢٤
كلام له عليه السلام (١٠٣) لطلحة والزبير ٥٢٤
كلام له عليه السلام (١٠٤) لمّا بلغه اتهام بني أميّةَ له بالمشاركة في دَم عثمان ٥٢٧
كلام له عليه السلام (١٠٥) لمّا بلغه تثاقل سعد بن أبي وقّاص، وأسامة بن زيد ٥٢٧
كلام له عليه السلام (١٠٦) رداً على زَعم الزّبير أنه بايع تَورِيةً ٥٢٨
كلام له عليه السلام (١٠٧) لعمّار بن ياسر رحمه الله..... ٥٢٨
كلام له عليه السلام (١٠٨) لابن عباس رحمه الله لمّا أرسله إلى الزبير يستفيئه ٥٢٩
كلام له عليه السلام (١٠٩) يصِف فيه الزبير بن العوّام ٥٢٩
كلام له عليه السلام (١١٠) لولده الحسن عَلَيه السَّلام..... ٥٢٩
كلام له عليه السلام (١١١) لكُليب الجَرَمي في وجوب اتّباع الحق..... ٥٣١

كلام له عليه السلام (١١٢) لابنه محمّد بن الحنفية لمّا أعطاه الراية يوم الجمل.... ٥٣٢
كلام له عليه السلام (١١٣) لمروان بن الحكم لمّا أُسر يوم الجمل ٥٣٢
كلام له عليه السلام (١١٤) لمّا مرّ بطلحة بن عبيد اللّه وعبد الرحمن ٥٣٣
كلام له عليه السلام (١١٥) لمّا أظفره اللّه تعالى بأصحاب الجمل ٥٣٤
كلام له عليه السلام (١١٦) لعبّاد بن قيس ٥٣٤
كلام له عليه السلام (١١٧) للعلاء بن زياد الحارثي وهومن أصحابه ٥٣٦
كلام له عليه السلام (١١٨) بعد وقعة الجمل لمّا أتاه قوم من قيس ٥٣٨
كلام له عليه السلام (١١٩) لعمروبن العاص نصحه بها ٥٣٨
كلام له عليه السلام (١٢٠) للأشتر وعليّ بن حاتم وشُريح وهاني بن عُروة ٥٣٩
كلام له عليه السلام (١٢١) لدهاقين الأنبار ٥٣٩
كلام له عليه السلام (١٢٢) قبل بدء القتال في صفّين ٥٤٠
كلام له عليه السلام (١٢٣) في حرب صفين لمّا طُلب منه الاحتراس ٥٤١
كلام له عليه السلام (١٢٤) في حرب صفّين محرّضاً عسكره على الاقتحام ٥٤١
كلام له عليه السلام (١٢٥) أيام حرب صفّين ٥٤٢
كلام له عليه السلام (١٢٦) في بعض أيام صفّين ٥٤٣
كلام له عليه السلام (١٢٧) مخاطباً القوم بعد اضطرابهم عنه في الحكومة ٥٤٣
كلام له عليه السلام (١٢٨) في وقعة صفّين للمتخاذلين من أصحابه ٥٤٤
كلام له عليه السلام (١٢٩) لمّا مرّ وهوعائد من صفّين على عدّة قبور ٥٤٦
كلام له عليه السلام (١٣٠) لمّا ورد الكوفة قادماً من صفّين ٥٤٧
كلام له عليه السلام (١٣١) بعد مرجعه من صفّين ٥٤٧

كلام له عليه السلام (١٣٢) بعد وقعة صفّين لمّا قيل له لوغيّرت ٥٤٨
كلام له عليه السلام (١٣٣) لمّا سئل عن قتلاه وقتلى معاوية ٥٤٨
كلام له عليه السلام (١٣٤) عن نيّته في إزالة البِدَع المُحْدَثة ٥٤٨
كلام له عليه السلام (١٣٥) لمّا هرب مَصْقَلَة بن هُبَيرة الشيباني إلى معاوية ٥٤٨
كلام له عليه السلام (١٣٦) في الرحبة بالكوفة ٥٤٩
كلام له عليه السلام (١٣٧) لبعض أصحابه ٥٥٠
كلام له عليه السلام (١٣٨) لعبد الرحمن بن شبيب الفرازي وكان ٥٥١
كلام له عليه السلام (١٣٩) للخوارج لمّا أنكروا عليه التحكيم ٥٥١
كلام له عليه السلام (١٤٠) في الخوارج لمّا سمع قولهم: لا حُكم إلّا للّه ٥٥٢
كلام له عليه السلام (١٤١) للبرج بن مسهر الطائي الخارجي ٥٥٣
كلام له عليه السلام (١٤٢) كلّم به الخوارج ٥٥٣
كلام له عليه السلام (١٤٣) لرجل من أصحابه ٥٥٥
كلام له عليه السلام (١٤٤) لمّا سمع رجلًا من الحرورية يتهجّد بصوت حزين ٥٥٦
كلام له عليه السلام (١٤٥) لمّا أراد المسير إلى النهروان ٥٥٦
كلام له عليه السلام (١٤٦) لمّا قيل له: إنّ الخوارج قد عبروا جسر النهروان ٥٥٩
كلام له عليه السلام (١٤٧) لمّا قُتل الخوارج وقيل له: قد قطع اللّه دابرهم ٥٦٠
كلام له عليه السلام (١٤٨) في نهي أصحابه عن قتال الخوارج من بعده ٥٦٠
كلام له عليه السلام (١٤٩) يوم النهروان لمّا مرّ بقتلى الخوارج ٥٦٠
كلام له عليه السلام (١٥٠) بعد الجمل والنهروان ٥٦١
كلام له عليه السلام (١٥١) وقد بلغه نعي مالك الأشتر رحمه اللّه ٥٦٧

كلام له عليه السلام (١٥٢) لمّا خرج بُسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز ٥٦٧
كلام له عليه السلام (١٥٣) لمّا بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار ٥٦٩
كلام له عليه السلام (١٥٤) لولده الحسن عليه السلام في سُحرة اليوم الذي ضُرب فيه ٥٧٠
البَابُ الأول ٥٧١
فصل الوصايا (الشفهية) ٥٧١
وصية له عليه السلام (١) لابنه محمد بن الحنفية رحمه الله ٥٧٣
وصية له عليه السلام (٢) لأصحابه علّمهم فيها آداب الدين والدنيا ٥٧٩
وصية له عليه السلام (٣) لجابر بن عبد اللّه الأنصاري ٦١٥
وصية له عليه السلام (٤) لمالك الأشتر رحمه الله ٦١٦
وصية له عليه السلام (٥) لعبد اللّه بن العباس عند استخلافه إيّاه على البصرة ٦١٧
وصية له عليه السلام (٦) لزياد بن أبيه وقد استخلفه لعبد اللّه بن العباس ٦١٨
وصية له عليه السلام (٧) لمعقل بن قيس الرياحي ٦١٨
وصية له عليه السلام (٨) لزياد بن النضر وشُريح بن هانئ ٦١٩
وصية له عليه السلام (٩) لمن كان يستعمله على الصدقات ٦٢١
وصية له عليه السلام (١٠) لعامله على عُكبَرا ٦٢٣
وصية له عليه السلام (١١) لمالك الأشتر رحمه الله بعد عزل محمد بن أبي بكر ٦٢٣
وصية له عليه السلام (١٢) لعبد اللّه بن العباس لمّا بعثه للاحتجاج ٦٢٤
البَابُ الأول ٦٢٥
فصل الأدعية ٦٢٥
دعاء له عليه السلام (١) يسأل اللّه تعالى الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ٦٢٧

دعاء له عليه السلام (٢) يلجأ فيه إلى اللّه سبحانه ليهديه إلى الرّشاد ٦٢٨
دعاء له عليه السلام (٣) في الاستغفار والتوبة ٦٣١
دعاء له عليه السلام (٤) يستعيذ فيه باللّه من اختلاف السريرة والعيان ٦٣١
دعاء له عليه السلام (٥) كان يدعوبه كثيراً ويلتجئ فيه إلى اللّه أن يُغنيه ٦٣٢
دعاء له عليه السلام (٦) إذا أراد القتال ٦٣٣
دعاء له عليه السلام (٧) لمّا وضع رجله في ركاب دابّته يوم خرج إلى صفّين ٦٣٤
دعاء له عليه السلام (٨) لمّا عزم على لقاء القوم بصفّين ٦٣٥
دعاء له عليه السلام (٩) كان يدعوبه حين الشروع في القتال ٦٣٦
البابُ الثاني ٦٣٩
فصل الكتب ٦٣٩
كتاب له عليه السلام (١) إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته ٦٤١
كتاب له عليه السلام (٢) إلى عمّار بن ياسر وأبا الهيثم بن التيّهان ٦٤١
كتاب له عليه السلام (٣) إلى عبد اللّه بن العباس رحمه الله ٦٤٢
كتاب له عليه السلام (٤) إلى عبد اللّه بن العباس أيضاً ٦٤٣
كتاب له عليه السلام (٥) إلى الحارث الهمداني ٦٤٣
كتاب له عليه السلام (٦) إلى معاوية أول ما بويع له ٦٤٥
كتاب له عليه السلام (٧) لمّا استُخلف، إلى أمراء الأجناد ٦٤٥
كتاب له عليه السلام (٨) إلى أمرائه على الجيش ٦٤٦
كتاب له عليه السلام (٩) إلى عمّاله على الخَراج ٦٤٧
كتاب له عليه السلام (١٠) إلى أمراء البلاد في تحديد أوقات الصلاة ٦٤٨

كتاب له عليه السلام (١١) إلى أهل مصر أرسله مع قيس بن سعد بن عبادة ٦٤٩
كتاب له عليه السلام (١٢) إلى قثم بن عباس وهو عامله على مكة ٦٥٠
كتاب له عليه السلام (١٣) إلى الأسود بن قُطبة صاحب جند حُلوان ٦٥١
كتاب له عليه السلام (١٤) إلى طلحة والزبير وعائشة أرسله مع عمران ٦٥٢
كتاب له عليه السلام (١٥) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة ٦٥٤
كتاب له عليه السلام (١٦) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة ٦٥٦
كتاب له عليه السلام (١٧) إلى أبي موسى الأشعري عامله على الكوفة ٦٥٧
كتاب له عليه السلام (١٨) إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة مع زَحر ٦٥٨
كتاب له عليه السلام (١٩) إلى عبد اللّه بن عباس وهو عامله على البصرة ٦٦٠
كتاب له عليه السلام (٢٠) إلى عبد اللّه بن عباس أيضاً ٦٦١
كتاب له عليه السلام (٢١) إلى بعض عمّاله ٦٦٢
كتاب له عليه السلام (٢٢) إلى أحد عمّاله وهو ابن عمه عبد اللّه بن عباس ٦٦٢
كتاب له عليه السلام (٢٣) إلى عبد اللّه بن عباس عامله على البصرة ٦٦٤
كتاب له عليه السلام (٢٤) إلى زياد بن أبيه ٦٦٥
كتاب له عليه السلام (٢٥) إلى زياد أيضاً ٦٦٦
كتاب له عليه السلام (٢٦) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة ٦٦٧
كتاب له عليه السلام (٢٧) إلى الأشعث بن قيس عامله على آذربيجان ٦٧٠
كتاب له عليه السلام (٢٨) لشُريح بن الحارث ٦٧١
كتاب له عليه السلام (٢٩) إلى معاوية أرسله مع جرير بن عبد اللّه البجلي ٦٧٣
كتاب له عليه السلام (٣٠) إلى جرير بن عبد اللّه البجلي بعد ما تأخر ٦٧٥

كتاب له عليه السلام (٣١) إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي ٦٧٥
كتاب له عليه السلام (٣٢) إلى مخنف بن سليم الأزدي عامله على إصبهان ٦٧٦
كتاب له عليه السلام (٣٣) كان يكتبه إلى بعض أكابر أصحابه ٦٧٧
كتاب له عليه السلام (٣٤) إلى العمّال الذين يطأ الجيش عملهم ٦٨٠
كتاب له عليه السلام (٣٥) إلى المنذر بن الجارود العبدي ٦٨١
كتاب له عليه السلام (٣٦) إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهوعامله على ٦٨٢
كتاب له عليه السلام (٣٧) إلى مصقلة بن هبيرة أيضاً ٦٨٣
كتاب له عليه السلام (٣٨) إلى عمر بن أبي سَلَمة الأرحبي ٦٨٣
كتاب له عليه السلام (٣٩) إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهوعامله ٦٨٤
كتاب له عليه السلام (٤٠) إلى عثمان بن حُنيف في قوم كانوا قد ٦٨٥
كتاب له عليه السلام (٤١) إلى مولى له سأله مالًا ٦٨٥
كتاب له عليه السلام (٤٢) إلى كميل بن زياد النخعي وهوعامله على هيت ٦٨٦
كتاب له عليه السلام (٤٣) إلى أهل البصرة كتبه إليهم مع جارية بن قدامة ٦٨٧
كتاب له عليه السلام (٤٤) إلى عمروبن العاص ٦٨٨
كتاب له عليه السلام (٤٥) إلى عمروبن العاص أيضاً ٦٨٩
كتاب له عليه السلام (٤٦) إلى عمروبن العاص كذلك ٦٨٩
كتاب له عليه السلام (٤٧) إلى زياد بن النضر وشُريح بن هانئ ٦٩٠
كتاب له عليه السلام (٤٨) إلى معاوية ومَن معه من الناس ٦٩١
كتاب له عليه السلام (٤٩) إلى معاوية يفنّد فيه مزاعمه ٦٩٢
كتاب له عليه السلام (٥٠) إلى معاوية أيضاً ٦٩٦

كتاب له عليه السلام (٥١) إلى معاوية كذلك ٦٩٩
كتاب له عليه السلام (٥٢) إلى معاوية يعظه فيه ٧٠٠
كتاب له عليه السلام (٥٣) إلى معاوية يزهّده فيه بالدنيا ٧٠١
كتاب له عليه السلام (٥٤) إلى معاوية في تبادل الأسرى ٧٠٢
كتاب له عليه السلام (٥٥) إلى معاوية جواباً ٧٠٣
كتاب له عليه السلام (٥٦) إلى معاوية أيضاً ٧٠٥
كتاب له عليه السلام (٥٧) إلى معاوية ٧٠٦
كتاب له عليه السلام (٥٨) إلى معاوية يكذّب فيه ادعاءاته ٧٠٦
كتاب له عليه السلام (٥٩) إلى معاوية جواباً ٧٠٩
كتاب له عليه السلام (٦٠) إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه ٧١٤
كتاب له عليه السلام (٦١) إلى معاوية حول قبوله التحكيم ٧١٥
كتاب له عليه السلام (٦٢) إلى الحصين بن المنذر ٧١٦
كتاب له عليه السلام (٦٣) لمّا جاءه كتاب من ولده الحسن عَلَيه السَّلام ٧١٦
كتاب له عليه السلام (٦٤) إلى زياد بن أبيه ٧١٦
كتاب له عليه السلام (٦٥) إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحَكَمين ٧١٧
كتاب له عليه السلام (٦٦) إلى أهل الأمصار يقصّ فيه ما جرى بينه ٧١٨
كتاب له عليه السلام (٦٧) إلى قُثم بن العباس عامله على مكة ٧١٩
كتاب له عليه السلام (٦٨) إلى مالك الأشتر رحمه اللّه وهوبنصيبين ٧٢٠
كتاب له عليه السلام (٦٩) إلى أهل مصر لمّا ولى عليهم الأشتر رحمه الله ٧٢٠
كتاب له عليه السلام (٧٠) إلى محمد بن أبي بكر ٧٢١

كتاب له عليه السلام (٧١) إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله لمّا سأله ٧٢٢
كتاب له عليه السلام (٧٢) إلى عبد اللّه بن العبّاس بعد مقتل محمد ٧٢٣
كتاب له عليه السلام (٧٣) إلى زياد بن خصفة التيمي ٧٢٤
كتاب له عليه السلام (٧٤) إلى أخيه عقيل بن أبي طالب ٧٢٥
كتاب له عليه السلام (٧٥) أمر أن يُقرأ على الناس كل يوم جمعة ٧٢٧
البَابُ الثاني ٧٥١
فصل العهود والأحلاف ٧٥١
عهد له عليه السلام (١) إلى مخنف بن سليم الأزدي وقد بعثه على الصدقة ٧٥٣
عهد له عليه السلام (٢) إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله حين قلّده مصر ٧٥٤
عهد له عليه السلام (٣) كتبه لمالك الأشتر النخعي ٧٦٦
حلف له عليه السلام (١) كتبه بين ربيعة واليمن نُقل من خط هشام بن الكلبي ٧٨٧
البَابُ الثاني ٧٨٩
فصل الوصايا (المكتوبة) ٧٨٩
وصية له عليه السلام (١) كتبها لزياد بن النضر الحارثي وشُريح بن هانئ ٧٩١
وصية له عليه السلام (٢) لولده الحسن عليه السلام كتبها إليه بـ«حاضرين» ٧٩٢
وصية له عليه السلام (٣) بما يُعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفّين ٨٢٣
وصية له عليه السلام (٤) كتبها للحسن والحسين عليهما السلام وباقي أولاده ٨٢٦

مكتبة الروضة المحمدية
الرقم ٥٣٦
التاريخ ١٤٣٠/١١/٢٦

نحن نعتز ونفتخر بأن كتاب نهج البلاغة الذي هو بعد القرآن الكريم أكبر دستور للحياة المادية والمعنوية، وأعظم كتاب لتحرير البشرية، والذي تعد تعاليمه في الأمور الروحية والشأن الحكومي أفضل السبل الى النجاة والسعادة، هو للإمامنا المعصوم.

الإمام الخميني رحمه الله

انتشارات دار التفسير

ايران - قم - شارع المعلم - ساحة روح الله

هاتف: ٧٧٤٣٢١٢ - تليفاكس: ٧٧٤١٦٢١

ISBN 964-7866-82-8